الروضة الندية في الخطب المنبرية

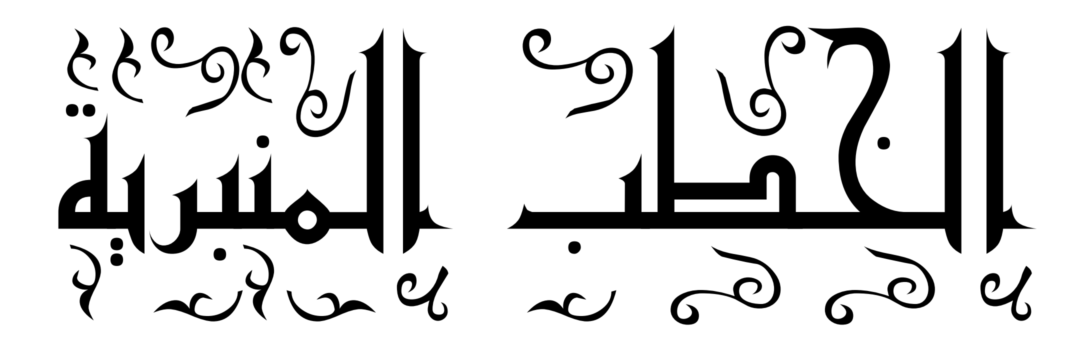
الشيخ المفتي
أحمد شريف النعسان

الجزء الثاني



الروضة الندية

في



الشيخ المفتي أحمد شريف النعسان

الجزء الثاني

مايقرب من ٥٠٠ خطبة منبرية في مختلف المناسبات الدينية

والاوضاع الاجتماعية

تمثل زادا خصبا للخطباء والمرشدين

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لَقَدْ خَاطَبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾.

وَخَاطَبَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَأَهَمُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَبْلِيغُ رِسَالَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَدَعْوَةُ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَتَرْغِيبُ العِبَادِ بِمَا عِنْدَ اللهِ تعالى مِنْ أَجْرٍ وَنَعِيمٍ، وَتَرْهِيبُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَسَخَطِهِ.

الدَّعْوَةُ إلى اللهِ تعالى مَهَمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَلَيْسَتْ أُلْعُوبَةً يَتَلَهَّى بِهَا الغِرُّ وَالجَاهِلُ، وَلَيْسَتْ شَهْوَةً يَنْدَفِعُ إِلَيْهَا مَنْ أَحَبَّ الكَلَامَ وَالشُّهْرَةَ، إِنَّمَا هِيَ دَعْوَةٌ إلى اللهِ تعالى، لِذَا يَجِبُ عَلَى مَنْ أَرَادَ القِيَامَ بِهَذِهِ المَهَمَّةِ وَهَذَا الشَّرَفِ العَظِيمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ فِيمَا يَقُولُ وَيَتَكَلَّمُ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

الدَّعْوَةُ إلى اللهِ تعالى وَإلى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَهَمَّةٌ جَلِيلَةٌ وَعَظِيمَةٌ، يَجِبُ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِهَا أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِالحَقِّ، خَبِيرًا بِطُرُقِ

الهِدَايَةِ، مُتَعَلِّمَاً أُسْلُوبَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ حَتَّى لَا يَكُونَ مُنَفِّرَاً مِنْ دَعْوَةِ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى.

وَلِجَلَالِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى وَعِظَمِهَا عَلَّمَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أُصُولَ الدَّعْوَةِ وَقَوَاعِدَهَا، حَتَّى يَجْمَعَ الخَلْقَ عَلَى اللهِ تعالى وَلَا يُفَرِّقَهُمْ، وَحَتَّى يُوَحِّدَ الأُمَّةَ وَلَا يُمَزِّقَهَا، وَحَتَّى يَبْنِيَ الشَّخْصِيَّةَ الكَامِلَةَ وَلَا يَهْدِمَهَا، فَقَالَ تعالى مُوَجِّهَاً وَمُعَلِّمَاً لِسَيِّدِ الدُّعَاةِ إلى اللهِ تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

وَذَكَّرَهُ بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلِهِ كَيْفَ كَانَ تَوْجِيهُ اللهِ تعالى لَهُمْ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى، فَقَالَ لِسَيِّدِنَا مُوسَى وَلِأَخِيهِ سَيِّدِنَا هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي * اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا

تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾.

وَخُطْبَةُ الجُمُعَةِ هِيَ أَهَمُّ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى، وَتَبْلِيغِ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِذَا عَنَى بِهَا القُرْآنُ العَظِيمُ عِنَايَةً فَائِقَةً، وَأَعْطَاهَا الأَهَمِّيَّةَ البَالِغَةَ، فَخَاطَبَ الأُمَّةَ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فَخُطْبَةُ الجُمُعَةِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى، وَسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ هِدَايَةِ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى، لِذَا وَجَبَ عَلَى الخَطِيبِ أَنْ يُوَثِّقَ مَا يَقُولُ، وَأَنْ يَسْلُكَ هَدْيَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مُخَاطَبَتِهِ لِلنَّاسِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَاً﴾.

وَلَقَدْ شَرَّفَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ـــ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلَاً لِذَاكَ ـــ أَنْ أَكُونَ خَطِيبَاً يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَإِنِّي أَرْجُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَكُونَ مُسَدَّدَاً فِيمَا أَقُولُ، وَأَنْ أَكُونَ مُتَّبِعَاً لِسَيِّدِ الدُّعَاةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ أَكُونَ مُمْتَثِلَاً قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً».

وَقَدْ كُنْتُ أَكْتُبُ خُطَبَ الجُمُعَةِ وَأُسَطِّرُهَا لَعَلَّ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، وَشَاءَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ نِعْمَةُ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ فِي التَّوَاصُلِ فِي هَذَا الزَّمَنِ مَوْجُودَةً، فَشَرَحَ اللهُ تعالى صَدْرِي لاسْتِغْلَالِ هَذِهِ الوَسَائِلِ فِي نَشْرِ رِسَالَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَاجِيَاً المَوْلَى جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَرْزُقَنِي الإِخْلَاصَ.

وَمِمَّا زَادَنِي حِرْصَاً عَلَى نَشْرِ هَذِهِ الخُطَبِ رَغْبَةُ أحدِ طُلَّابِ العِلْمِ فتح الله عليه عِنْدَمَا اتَّصَلَ بِي وَطَلَبَ مِنِّي نَشْرَ هَذِهِ الخُطَبِ بِطَرِيقَتِهِ الخَاصَّةِ عَنْ طَرِيقِ النت، فَشَكَرْتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَاعْتَبَرْتُ هَذَا فَضْلَاً مِنْهُ عَلَيَّ، لِذَا فَوَّضْتُ أَمْرِي وَأَمْرَهُ إلى اللهِ تعالى فِي أَنْ يُكَافِئَهُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ خَيْرَ مَا كَافَأَ أَخَاً عَنْ أَخِيهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ الثَّوَابَ فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا العَمَلَ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ عِبَادَ اللهِ تعالى، وَأَنْ يَرْزُقَنِي الإِخْلَاصَ فِي كُلِّ مَا أَقُولُ وَأَفْعَلُ، كَمَا أَسْأَلُهُ السَّدَادَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

حلب الثلاثاء ٢٨ رجب ١٤٣٨ هـ

٢٥ نيسان ٢٠١٧ م

أحمد النعسان

الفهرس

المحتويات

٢٨٥ـ أما آن الأوان أن نتمسك بحديث سيد البشر؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ من أعظمِ نِعَمِ الله تعالى على عبدِهِ نعمةَ اللِّسانِ، فهوَ وإن كانَ صغيراً في جرمِهِ إلا أنَّهُ عظيمٌ في طاعتِهِ وجُرمِهِ، وهوَ رَحْبُ المَيدانِ ليسَ له مَرَدٌّ، ولا لِمجالِهِ مُنتهى وحَدٌّ، له في الخيرِ مجالٌ رَحْبٌ، وله في الشَّرِّ ذَيْلٌ سَحْبٌ، فمن أطلقَ العِنانَ لِلسانِهِ سَلَكَ به الشَّيطانُ في مَيدانِهِ، وساقَهُ إلى شفا جُرُفٍ هارٍ، حتى يُوصلَهُ إلى دارِ المقامِ، حيثُ فيها بئسَ القرارِ.

ولا يُمكنُ للعبدِ أن ينجوَ من شرِّ لِسانِهِ إلا إذا قَيَّدَهُ بلِجامِ الشَّريعةِ، فلا يُطلِقُهُ إلا في فيما ينفعُهُ وينفعُ عبادَ الله في الدِّينِ والدُّنيا والآخرةِ، ويكفُّهُ عن كلِّ ما يُخشى من عاقبتِهِ في الدِّينِ والدُّنيا والآخرةِ.

أما آنَ الأوانُ؟

يا عباد الله، أما آنَ الأوانُ أن نتمسَّكَ بكلامِ سيِّدِ البشرِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ أما آنَ الأوانُ أن نتمسَّكَ بكلامِ من قال الله تعالى

في حقّ لِسانهِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾.؟ أما آنَ الأوانُ أن نحذرَ من مُخالفةِ أمرِ من حذّرنا اللهُ تعالى من مُخالفةِ أمرِهِ بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.؟ أما آنَ الأوانُ لأن نُطيعَ من كانت طاعتُهُ هيَ عينُ طاعةِ الله تعالى؟ قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾.؟ أما آنَ الأوانُ لأن نُطيعَ من كانت طاعتُهُ سَبباً لِدُخولِ الجنَّةِ؟ قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾.؟ أما آنَ الأوانُ لأن نُطيعَ من يقولُ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

هلُمُّوا إلى طاعةِ المعصومِ:

يا عباد الله، هَلُمُّوا إلى طاعةِ المعصومِ سيّدِنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، هَلُمُّوا إلى طاعةِ من كانَ سَبباً في هِدايتِنا، وكانَ سَبباً في غِنانا، وكانَ سَبباً في جَمعنا، وكانَ سَبباً في عِزّنا، وكانَ سَبباً في سِيادتِنا، فسيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُنادي الأمَّةَ، من خلالِ أحاديثِ الشّريعةِ، منها:

أولاً: أخرج الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».

ثانياً: أخرج الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُفْيَانَ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، (أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي فِي الْإِسْلَامِ بِأَمْرٍ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا أَتَّقِي؟ فَأَوْمَأَ إِلَى لِسَانِهِ).

ثالثاً: أخرج الترمذي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ».

رابعاً: أخرج البيهقي عن ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عن الشَّهادَةِ، قال: «هل تَرَى الشَّمسَ»؟ قال: نعم، قال: «على مِثلِهَا فَاشْهَدْ أو دَعْ».

خامساً: أخرج الإمام مسلم عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

وقعُ الأخبارِ في النُّفوسِ:

يا عباد الله، إنّ اللهَ تباركَ وتعالى خَلَقَ الإنسانَ، وأسبَغَ عليه نِعَمَهُ الظّاهرةَ والباطنةَ، وجَعَلَهُ مسؤولاً عنها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـــئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

وإنّ الناسَ يتعاملونَ فيما بينَ بعضِهِمُ البعض بِحَواسِّهِم في هذهِ الأيّامِ، وصارَ للأخبارِ وَقعٌ كبيرٌ في نُفُوسِهِم، وأصبحَ الخبرُ ينتشرُ بينَ العبادِ انتشارَ النارِ في الهشيمِ، وخاصّةً عن طريقِ وسائلِ الإعلامِ المسموعةِ والمرئيّةِ والشّبكةِ العنكبوتيّةِ التي امتدّت خُيوطُها في أرجاءِ المعمورةِ.

لقد صارَ للأخبارِ عن طريقِ القنواتِ الفضائيّةِ والشّبكةِ العنكبوتيّةِ من السِّحرِ والأثرِ ما لا يَتَصوَّرُهُ عقلٌ، فصارَ السّامعُ يأخذُ بكلِّ ما سَمِعَ بدونِ رَوِيّةٍ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾.

وقد استطاعَ أعداءُ الإسلامِ أن يستغلّوا هذا الأمرَ، ويجعلوهُ السِّلاحَ الفتّاكَ لِتمزيقِ كيانِ المسلمينَ، ومن جملةِ ذلك الكذبُ في الأخبارِ.

وقد حذّرَ سيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الأمّةَ من الكذبِ بقوله: «إِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَالفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً» رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُحذِّراً من عُقوبةِ الكذّابين في عالمِ البرزخِ: «فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ، فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بالجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ

ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الأَوَّلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ المَرَّةَ الأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ» ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الكَذِبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ».

وخبرٌ واحدٌ يُبَثُّ على أجهزةِ الإعلامِ بلحظةٍ واحدةٍ ينتشرُ في أرجاءِ المعمورةِ وله ما له من الأثرِ السَّلبيِّ أو الإيجابيِّ.

وكم من خبرٍ شاعَ بينَ الناسِ، ولاكتهُ الألسُنُ، ومصدرُهُ من رجلٍ أفّاكٍ أثيمٍ، لا يرعى إلًّا ولا ذِمّةً، يُزخرفُ القولَ، وينطَبقُ عليه قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

كَذِبٌ وتلفيقٌ وتزويرٌ وتهويلٌ وتعسيلٌ وَوَعدٌ وَوَعيدٌ وأوهامٌ، هذا يُثبتُ وذاكَ ينفي، وهذا يُؤكِّدُ وذاكَ يُشكِّكُ، ويحصلُ التّضاربُ في الأخبارِ، والزِّيادةُ والنُّقصانُ، حتى يُصبحَ الخبرُ ككُرَةِ الثّلجِ.

يقولُ الحسنُ البصريُّ رحمه الله تعالى: خرجَ عندنا رجلٌ بالبصرةِ، فقالَ: لأكذِبَنَّ كَذِبةً يَتَحدَّثُ بها الوليدُ، قال الرجلُ ــ الكذّابُ ــ: فما رَجَعتُ إلى منزلي حتى ظننتُ أنّها حقٌّ، لِكَثرةِ ما رأيتُ الناسَ يتحدَّثونَ بها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، اِستحضِروا قولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» رواه الإمام البخاري عَن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

والقيلُ والقالُ هو أقاويلُ الناسِ بدونِ تثبُّتٍ وبدونِ تَأَنٍّ، وخاصَّةً ما له أثرٌ سلبيٌّ على نُفُوسِ الناسِ، ولا يُنقِذُ العبدَ يومَ القيامةِ أن يقولَ في نهايةِ النَّبأِ: هكذا بَلَغَني ولستُ مُتأكِّداً، فإذا لم تتأكّدْ فَلِمَ تُشيعُ النَّبأَ؟ والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾. والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا» رواه أبو داود عَنْ أَبِي قِلابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

جاء في النِّهَايَة: الزَّعْمُ بِالضَّمِّ وَالفَتْحِ قَرِيبٌ مِنَ الظَّنِّ، أَيْ أَسْوَأُ عَادَةٍ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَّخِذ لَفْظَ زَعَمُوا مَرْكَباً إِلَى مَقَاصِدِهِ، فَيُخْبِرُ عَنْ أَمْرٍ تَقْلِيداً مِنْ غَيْر تَثَبُّت، فَيُخْطِئُ وَيُجَرَّبُ عَلَيْهِ الكَذِبُ. قَالَهُ الْمَنَاوِيُّ.

حتى لا نندمَ يومَ القيامةِ فلنحذر من شرِّ

ألسِنَتِنَا، ولا نَقُلْ إلا صِدقاً، والصِّدقُ لا يكونُ إلا بالتَّثبُّتِ، وحُسنِ الظَّنِّ، والتَّأنِّي، وإلا وَقَعَ العبدُ تحتَ قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾.

أسألُ اللهَ تعالى أن لا يجعَلَنا من النَّادمينَ عندَ سَكَراتِ الموتِ، ولا في أرضِ المحشرِ. آمين

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

286ـ كلمة الأسبوع: المظلوم بين الانتقام والعفو

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

من طبيعةِ الإنسانِ الظُّلمُ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

وظُلمُهُ في مجالاتٍ مختلفةٍ، وظُلمُهُ دائمٌ إلا من عَصَمَهُ اللهُ تعالى، ولأجلِ خُطورةِ الظُّلمِ حَرَّمَهُ اللهُ تعالى على نفسِهِ وعلى عبادِهِ، فقال تعالى في الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَن اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلا تَظالَمُوا). وفي رواية: (إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالَمُوا).

وقد كانَ سيِّدُ الكائناتِ سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

يستجيرُ باللهِ من أن يطلُبَهُ أحدٌ بمظلمةِ دمٍ أو مالٍ، أخرج الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ».

المظلومُ بينَ الانتقامِ والعفوِ:

يا عباد الله، من هَدْيِ القرآنِ العظيمِ، ومن عَدْلِ الله تعالى أَنَّهُ شَرَعَ القِصاصَ، لأنَّ القِصاصَ ضمانٌ لحياةِ الناسِ جميعاً، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وهوَ أعدلُ الطُّرُقِ وأقومُها.

وقال تعالى في الانتقامِ المُباحِ: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾. وما شَرَعَ اللهُ تعالى الانتقامَ إلا لِعلمِهِ بِضَعفِ الإنسانِ إن ظُلِمَ.

ولكن رَغَّبَ ربُّنا عزَّ وجلَّ عبادَهُ بالعفوِ والصَّفحِ لمن قَدَرَ على رَدِّ المظلمةِ والانتقامِ، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين﴾. وقال تعالى آمراً سيِّدَنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين﴾. وقال آمراً لحبيبِهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى مُرغِّباً عبادَهُ بالعفوِ والصَّفحِ: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وقال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

العفوُ من أسماءِ وصفاتِ الله تعالى:

يا عباد الله، من أسماءِ وصفاتِ الله تعالى العفوُ: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾. ﴿إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾. ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾.

روى الإمام أحمد عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى حَدَّثَنَا بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. وَسَأُفَسِّرُهَا لَكَ يَا عَلِيُّ: ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾. مِنْ مَرَضٍ أَوْ عُقُوبَةٍ أَوْ بَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾. وَاللهُ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْهِم الْعُقُوبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، فَاللهُ تَعَالَى أَحْلَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ عَفْوِهِ»).

وهذا ما أكّدَهُ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا، الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ» رواه أبو داود عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وروى الترمذي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَصَابَ حَدًّا فَعُجِّلَ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا، فَاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَى عَبْدِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ أَصَابَ حَدًّا فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ، فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ إِلَى شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ».

أيُّهما أسلمُ، الانتقامُ أم العفوُ؟

يا عباد الله، لِيُفكِّر كلٌّ واحدٍ منّا، أيُّهما أسلمُ له، العفوُ أم الانتقامُ؟

يقولُ الفضيلُ بنُ عياض رحمه الله تعالى: إِذَا أَتَاكَ رَجُلٌ يَشْكُو إِلَيْكَ رَجُلاً، فَقُلْ له: يَا أَخِي، اعْفُ عَنْهُ، فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، فإن قال: لايحتملُ قلبي العفوَ، ولكن أَنتَصِرُ كما أَمَرَنِي اللهُ عزَّ وجلَّ، فَقُلْ له: إِنْ كُنْتَ تُحْسِنُ أَنْ تَنْتَصِرَ مِثلاً بمِثلٍ، وَإلا فَارْجِعْ إِلَى بَابِ الْعَفْوِ، فَإِنَّهُ بَابٌ وَاسِعٌ، فَإِنَّهُ مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَصَاحِبُ الْعَفْوِ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِهِ بِاللَّيْلِ، وَصَاحِبُ الِانْتِصَارِ يُقَلِّبُ الْأُمُورَ.

العفوُ منزلةُ الأكابر:

يا عباد الله، إنّ مسألةَ العفوِ هيَ مسألةُ الأكابرِ من عبادِ الله تعالى، وهذا ما ينبغي أن يكونَ عليه حالُ الدُّعاةِ وأصحابُ القُدوةِ الصّالحةِ، فهذا سيِّدُنا أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنهُ يشتُمُهُ رجلٌ و لم يردَّ عليه، كما روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَجُلاً شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ، رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ» ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً».

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

فيا أيُّها المظلومُ: أنت مُخيَّرٌ إن قَدَرتَ على من ظَلَمَكَ، أن تُعامِلَهُ بالعدلِ أو تُعامِلَهُ بالفضلِ، فالعدلُ أن تأخُذَ حقَّكَ بدونِ زيادةٍ، وإلا فتنقلبُ إلى ظالمٍ، والفضلُ أن تأخذَ أجْرَ مَظلمَتِكَ من الله تعالى، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾. وأن تكونَ على يقينٍ من قولِ الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾. ومن قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد * كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾.

ودَخَلَ رجلٌ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُ اللهُ، فَجَعَلَ يشكو إليه رجلاً ظَلَمَهُ، ويَقَعُ فيه، فقال له عمرُ: إِنَّكَ أنْ تَلقَى اللهَ وَمَظلَمَتُكَ كما هي، خيرٌ لك من أن

تَلقاهُ وقدِ اقتَصَصتَهَا.

ورَحِمَ اللهُ الإمامَ الشافعيِّ عندما قال:

قالوا سَكَتَّ وقد خُوصِمتَ، قلتُ لهم *** إنَّ الجـــــوابَ لِبــابِ الــشَّرِّ مِفتاحُ

فالعفوُ عن جاهلٍ أو أحمقٍ أدبٌ *** نَـــعَمْ، وفيه لِصَــونِ العِـــرضِ إِصـــلاحُ

إنَّ الأُســـودَ لَتُـــخشَى وهي صـــامتةٌ *** والــــكلبُ يُحْثَى ويُرمَى وهو نَبَّاحُ

وفي الخِتامِ يقولُ مسلمُ بنُ يسار لِرجلٍ دَعا على ظالِمِهِ: كِلِ الظَّالمَ إلى ظُلمِهِ، فإنَّهُ أسرعُ إليه من دُعائِكَ عليهِ، إلا أن يَتَدارَكَهُ بِعمل، وَقَمِنٌ ألا يفعل. اهـــ. معنى قَمِنٌ: أي خليقٌ وجديرٌ.

اللّهُمَّ إنِّي أُشهدُكَ أنِّي قد عَفوتُ عن كلِّ من ظَلَمَني ابتغاءَ مرضاتِكَ، وأرجوكَ يا ربِّ أن تُلهِمَ كلَّ من ظَلَمتُهُ أو أسأتُ إليه أن يعفوَ عنِّي، ونسألُكَ يا الله أن تعفوَ عنَّا جميعاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

287ـ كلمة الأسبوع: متى يكون إهلاك الظالمين الطغاة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ بَلَدَنا الحبيبَ يعيشُ في أزمةٍ قاسيةٍ، وإنّ أخطرَ ما قد يُواجهُ الإنسانَ المسلمَ في هذهِ الأيّامِ العصيبةِ أمرٌ واحدٌ، وهوَ من الخُطورةِ بمكانٍ، ألا وهوَ أن يَتَسَرَّبَ إلى عقيدةِ المسلمِ شيءٌ من هذهِ الفِتَنِ فيُزَعزِعَهَا، وبذلك يخسرُ المسلمُ الدُّنيا والآخرةَ ـــ والعياذُ بالله تعالى ـــ.

العاصمُ لعقيدةِ المسلمِ في أيّامِ الفِتَنِ:

يا عباد الله، هناكَ أُمورٌ إن تَنَبَّهَ إليها المسلمُ في أيّامِ الفِتَنِ عَصَمَ عقيدَتَهُ بإذنِ الله تعالى من التّزَعزُعِ، وجَعَلَهُ الله تعالى في حِصنٍ حَصينٍ يقيهِ من الرِّيَبِ والشّكِّ والوسواسِ، ومن أهمِّ هذهِ الأُمورِ هيَ أن يعلمَ الإنسانُ المسلمُ بأنّ الله تبارك وتعالى ألزَمَ ذاتَهُ العَلِيّةَ بإهلاكِ الظّالمينَ الطُّغاةِ الذين يعيثونَ في الأرضِ فساداً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ

لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيد﴾.

متى يكونُ إهلاكُ الظّالمينَ الطُّغاةِ؟

يا عباد الله، عندما ألزَمَ ربُّنا ذاتَهُ العَلِيَّةَ بإهلاكِ الظّالمينَ الطُّغاةِ كما ذَكَرَ ذلك في القرآنِ العظيمِ، بَيَّنَ لنا في كتابِهِ العظيمِ سُنَّتَهُ في طريقةِ إهلاكِهِم، ومن الخَطَأِ بمكانٍ أن يتذكّرَ المسلمُ قول الله تعالى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِين﴾. ثمّ ينسى أو يتناسى سُنَّةَ الله تعالى في طريقةِ إهلاكِهِم.

من سُنَّةِ الله تعالى في طريقةِ إهلاكِ الظّالمينَ هيَ الإمهالُ، بحيثُ يُرخي لهمُ الحبلَ أمداً من الزّمنِ لا يعلمُ مَداهُ إلا الله تعالى ثم يأخُذُهم أخذَ عزيزٍ مقتَدِرٍ، وقد بيَّنَ ذلك في القرآنِ العظيمِ بقولِهِ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُون * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين﴾. وبقولِهِ تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُون﴾. وبقولِهِ تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد﴾. وبقولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾. وبقولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون﴾.

فسُنَّةُ الله تعالى في إهلاكِ الظّالمينَ أن يُمهِلَهُم إلى أجلٍ معلومٍ عندَهُ، ثمّ يأخذَهُم أخذَ عزيزٍ مُقتدرٍ، ويجعلَهُم أثَراً بعدَ عينٍ، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

أمثلةٌ على إهلاكِ الظّالمينَ الطُّغاةِ:

يا عباد الله، إنّكُم تعلمونَ بأنّ سيّدنا نوحاً عليه السّلامُ لَبثَ في قومِهِ داعياً إلى الله تعالى ألفَ سَنةٍ إلا خمسينَ عاماً، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾. وخلالَ هذهِ الفترةِ كان يدعوهُم إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، سِرّاً وجِهاراً، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾.

نعم، لقد أمهَلَهُمُ الله تعالى هذهِ الفترةَ، وعندما حانَ وقتُ الأخذِ قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلا مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

يا عباد الله، تَصوَّروا هذا الأخذَ الأليمَ، قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. فهل يَتذكّرُ ويَتفكّرُ ويَعتَبِرُ الطُّغاةُ المجرمونَ قتلةُ الأبرياءِ بهذهِ العاقبةِ الوخيمةِ لقومِ نوحٍ بعدَ أن أمهَلَهُمُ الله تعالى لعلَّهُم يتُوبُونَ، لعلَّهُم يرجعُونَ، لعلَّهُم يَكُفُّونَ عنِ الظُّلمِ؟

هل يَتَذكّرُ هؤلاءِ الطُّغاةُ المجرمونَ الذينَ يُمهِلُهُمُ الله تعالى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ

لَبِالْمِرْصَادِ﴾؟

يا عباد الله، إنَّكم لتعلمونَ كذلِكَ فرعونَ الذي عاثَ في الأرضِ فساداً، قَتَلَ من قَتَلَ من الأطفالِ، وسَبَى من سَبَى منَ النِّساءِ، حتى وَصَلَ بِطُغيانِهِ أن يقولَ لهامان: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَاب * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَاب﴾. وأن يقولَ لقومِهِ: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾. وأن يقولَ لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾. وأن يقولَ لهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.

وإنَّكم لتعلمونَ بأنَّ سيِّدنا موسى عليه السَّلامُ دَعَا عليهِ وعلى قومِهِ بقولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِس عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيم﴾. فماذا كانَ الجوابُ من اللهِ تعالى؟

الجواب: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُون﴾. بمعنى: قُمْ بما كُلِّفتَ بِهِ يا موسى من الاستِقامَةِ، وإنَّا سَنُهلِكُ فرعونَ وقومَهُ في الوقتِ الذي نُريدُ، في الوقتِ المُحدَّدِ المعلومِ عندنا.

وجاءَ الوقتُ المُحدَّدُ، فَنَبَذَهُ الله تعالى في اليمِّ وأهلكَهُ وأهلكَ قومَهُ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُم * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾.

يا عباد الله، لقد أهلكَ اللهُ تعالى فرعونَ وقومَهُ، لكن كم منَ الزّمنِ مَرَّ بعدَ دُعاءِ سيِّدنا موسى عليهِ السَّلامُ؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، كُونوا على حَذَرٍ من أن يَتَسَلَّلَ إلى عقيدَتِكُم شيءٌ من خُيوطِ هذهِ الفِتنةِ فَيُزَعزِعَهَا، إنَّ إهلاكَ المُجرمينَ الطُّغاةِ قَتَلَةِ الأبرياءِ حقيقةٌ لا مِريَةَ فيها، لأنَّ الله تعالى ألزَمَ ذاتَهُ العَلِيَّةَ بذلك بقولِهِ تعالى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾. وبقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾. وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾. ولكن لكلِّ أجلٍ كتابٌ، ربُّنا يُمهِلُ ولا يُهمِلُ لِحكمةٍ يُريدُها مولانا عزّ وجلّ، ولكن عندما يأخُذُ يأخذُ أخذَ عزيزٍ مُقتدرٍ.

أسألُ الله تعالى أن يُفرِّجَ الكربَ عن هذهِ الأمَّةِ عاجلاً غير آجلٍ، إنَّهُ خيرُ مسؤولٍ وخيرُ مأمولٍ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

289ـ كلمة الأسبوع: نِعم البلسم لجراح المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد ضاقت صُدورُ كثيرٍ من المؤمنينَ مِمَّا يجري على أرضِنا المباركةِ، وكَثُرَ السُّؤالُ: ما هوَ العلاجُ لِضِيقِ الصَّدرِ؟

يا عباد الله، إنّ خيرَ علاجٍ يأخُذُهُ الإنسانُ المسلمُ هوَ من كتابِ ربِّهِ عزَّ وجلَّ، لأنّ القرآنَ العظيمَ ﴿شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾. وقد عالَجَ ربُّنا عزَّ وجلّ ضِيقَ صَدْرِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندما آذاهُ قومُهُ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُون * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين﴾.

أهمِيَّةُ التَّسبيحِ وأثرُهُ في الشَّدائدِ:

يا عباد الله، التَّسبيحُ بِحمدِ الله عزَّ وجلّ له أثرٌ كبيرٌ في حياةِ العبدِ، لأنَّهُ بالتَّسبيحِ ينسجمُ العبدُ المُسبِّحُ مع الكونِ كلِّهِ المُسبِّحِ لله تعالى، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. وهذا التَّسبيحُ من الموجوداتِ مُستمرٌّ،

كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾. فما من شيءٍ في الوجود إلا وهوَ مُسبِّحٌ بحمدِ ربِّهِ عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. فالكونُ مُسبِّحٌ بالقهرِ، وأرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يُشرِّفَ العبدَ، فكلَّفَهُ بالتِّسبيحِ، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾. فالعبدُ له الاختيارُ بينَ الانسجامِ مع الكونِ كلِّهِ المُسبِّحِ بحمدِ ربِّهِ، وبينَ الإعراضِ عن ذلك، فإذا أعرضَ عن التَّسبيحِ فإنَّهُ يَشُذُّ عن الكونِ كلِّهِ، ومن شَذَّ شَذَّ في النَّارِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي ــ أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ــ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ».

يا عباد الله، هذا التَّسبيحُ الذي كُلِّفَ به العبدُ المؤمنُ خيرُهُ عائدٌ عليه لا على ربِّهِ عزَّ وجلَّ، لأنَّ الله غنيٌّ عن العالمين، فهوَ المُنزَّهُ عن الشَّريكِ والمَثيلِ والنَّظيرِ والشَّبيهِ سواءٌ سبَّحَ العبدُ أم لا، فمن فوائدِ التَّسبيحِ:

أولاً: تكفيرُ الذُّنوبِ والخطايا، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، (أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الْوَرَقِ، فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ، فَتَنَاثَرَ الْوَرَقُ، فَقَالَ: «إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ

وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»).

ثانياً: استغفارُ الملائكةِ للعبدِ المؤمنِ المُسبِّحِ، كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني في الكبير عن عبدِ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: (إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْتُكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إِذَا قَالَ: الْحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَتَبَارَكَ اللهُ، قَبَضَ عَلَيْهِنَّ مَلَكٌ، فَجَعَلَهُنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِنَّ، فَلا يَمُرُّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ حَتَّى يَجِيءَ بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ تَعَالَى، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾).

ثالثاً: التّسبيحُ عَمَلٌ عظيمٌ ثقيلٌ في ميزانِ العبدِ المُسبِّحِ، كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني في الكبير عَنْ عِمْرَانَ بن الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْمَلَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ عَمَلا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ عَمَلا؟ قَالَ:«كُلُّكُمْ يَسْتَطِيعُهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا؟، قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ، أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وَالْحَمْدُ للهِ، أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، واللهُ أَكْبَرُ، أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ».

رابعاً: التّسبيحُ سببٌ لذكرِ العبدِ المُسبِّحِ حولَ عرشِ الرّحمنِ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنّ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ

جَلَالِ اللهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ؟».

خامساً: التَّسبيحُ علاجٌ لِضيقِ الصَّدرِ من الإساءاتِ والشَّدائدِ والمِحَنِ والكُروبِ، وهذا ما أرشَدَ إليه ربُّنا عزَّ وجلَّ حبيبَنا المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُون * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين﴾.

نعمَ البلسمُ لِجراحِ المسلمينَ اليوم:

يا عباد الله، نِعمَ البلسمُ لِجراحِ المسلمينَ اليوم الذي يُرشدُنا إليه ربُّنا عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِين * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين﴾.بهذا التَّسبيحِ تخرجُ الأمَّةُ من ضِيقِها وكَربِها وشِدَّتِها، وهذا ما وَعَدَ به ربُّنا عزَّ وجلَّ عِبادَهُ المؤمنين، بعدَ أن أنجى سيِّدَنا يونسَ عليه السَّلامُ من ظُلُماتٍ ثلاثٍ، ظُلمةِ اللَّيلِ، وظُلمةِ البحرِ، وظُلمةِ بطنِ الحوتِ، بِبَركةِ هذا التَّسبيحِ، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِين﴾.

وهذا التَّسبيحُ ليسَ خاصَّاً بسيِّدِنا يونسَ عليه السَّلامُ، وهذا الفَرَجُ الذي أكرَمَهُ

اللهُ تعالى به ليسَ من خُصوصِيَّاتِهِ عليه السَّلامُ هوَ فقط، بل هوَ عامٌّ لكلِّ المؤمنين إذا سبَّحوا هذا التَّسبيحَ بقلبٍ صادقٍ، وإقرارٍ واعترافٍ بِظُلمِهِم، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، إن أَرَدْنا الخُروجَ من هذا الضِّيقِ، وأن نَضَعَ الدَّواءَ على دائِنا، فعلينا بالتَّسبيحِ بحمدِ ربِّنا، ثمَّ الإقرارِ بِظُلمِنا، وبِرَدِّ المظالمِ إلى أهلِها، والاصطلاحِ مع الله تعالى، فإنَّ الله تعالى لا يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

288ـ كلمة العيد: كن منصفاً أيها المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ أغلى شيءٍ على المؤمنِ هوَ سلامةُ عقيدَتِهِ، لأنَّ سلامَتَها سلامةُ الدِّينِ والدُّنيا والآخرةِ، وفي أيّامِ المِحَنِ والفِتَنِ تَتَزَعزَعُ هذهِ العقيدةُ من خلالِ ما يُلقيهِ شياطينُ الإنسِ والجنِّ من وساوسَ للتّشكيكِ في وَعْدِ الله تعالى، من جُملة ذلك يقولون: أينَ نَصْرُ الله تعالى للمؤمنينَ؟ ألم يَعِدِ الله تعالى عِبادَهُ المؤمنينَ بالنَّصرِ العاجلِ؟

وَعْدُ الله تعالى للمؤمنينَ بالنّصرِ:

يا عباد الله، مما لا شكَّ فيه بأنَّ وَعْدَ الله تعالى لا يخلفُ، لأنَّهُ لا يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ، ولأنَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ولأنَّ أَمرَهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ لهُ كُنْ فيكونُ، كيف يُخلِفُ الله تعالى وَعْدَهُ، وهو القائلُ في كتابهِ العظيم: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّوم * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون * فِي بِضْعِ

سِنِينَ للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون * بِنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم * وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون﴾؟

فأكثرُ الناسِ لا يعلمونَ هذهِ الحقيقةَ، أرجو اللهَ تعالى أن لا نكونَ منهم.

يا عباد الله، لقد وَعَدَ اللهُ تعالى عِبادَهُ المؤمنينَ بالنَّصرِ في مواطِنَ عِدَّةٍ من كتابهِ العظيم، من جُملةِ ذلكَ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾. وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. مستحيلٌ وألفُ مستحيلٍ أن يُخلِفُ اللهُ تعالى وَعْدَهُ للمؤمنينَ، ولكن لكلِّ شيءٍ أجلٌ وكتابٌ، ولكلِّ شيءٍ موعدٌ لا يعلمُهُ إلا اللهُ تعالى.

من هوَ المؤمنُ؟

يا عباد الله، الحقيقةُ مُرَّةٌ وقاسيةٌ على النُّفوسِ المريضةِ خاصَّةً، ربُّنا عزَّ وجلَّ وَعَدَ بالنَّصرِ لعِبادِهِ المؤمنينَ، فمن هوَ المؤمنُ؟

المؤمنُ يا عباد الله هوَ من تَطَابَقَت أقوالُهُ مع أفعالِهِ في سائِرِ أحوالِهِ، المؤمنُ هوَ الذي يُصدِّقُ اعتقادَهُ بأفعالِهِ، فلا ترى اعتقادَهُ في وادٍ، وسُلوكَهُ في وادٍ آخر، يقول مولانا عزَّ وجلَّ في حقِّ الأعرابِ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

فالمؤمنُ هوَ الذي استَقَرَّ الإيمانُ في قلبِهِ وصَدَّقَ ذلكَ عملُهُ، كما جاء في الأثر

الذي أخرجه ابن أبي شيبة عن الحسن قال: (إنَّ الإيمانَ ليسَ بالتَّحلِّـــي ولا بالتَّمَنِّي، إنَّ الإيمانَ ما وَقَرَ في القَلبِ وصدَّقَهُ العملُ). أمّا من تناقَضَ سُلوكُهُ مع اعتقادِهِ فهذا هوَ المنافقُ، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

لماذا التَناقُضُ في حياةِ بعضِ المؤمنين؟

يا عباد الله، يَجِبُ على المؤمنِ أن يكونَ مُنصِفاً عندما يَسألُ أينَ نَصْرُ الله لعِبادِهِ المؤمنين؟ يَجِبُ عليه قبلَ السُّؤالِ أن يَنظُرَ في حالِ الأمَّةِ بشكلٍ عام، ثم بعدَ ذلك يَسألُ هذا السُّؤالَ.

يا عباد الله، هل المؤمنُ الحقُّ يجترئُ على أكلِ الرِّبا وهوَ يقرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؟ والسؤال: كم هي نِسبةُ الرِّبا في صُفوفِ المؤمنين؟ والمرابونَ مُهَدَّدونَ بقول الله تعالى: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾.

يا عباد الله، هل المؤمنُ الحقُّ يتَّصِفُ بصفاتِ المنافقينَ الذين أشارَ إليهمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»؟ رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

والسُّؤال: كم هي نِسبةُ الكَذِبِ في حديثِ المؤمنينَ إذا حَدَّثُوا، وكم هي نِسبةُ

الخُلفِ في الوَعْدِ في صُفوفِ المؤمنينَ إذا وَعَدُوا؟ وكم هي نِسبةُ الخِيانَةِ في صُفوفِ المؤمنينَ إذا اؤتُمِنوا؟ وكم هي نِسبةُ الفُجورِ في صُفوفِ المؤمنينَ إذا اختَصَمُوا؟

يا عباد الله، هل المؤمنُ الحقُّ يجترئُ على السَّرِقَةِ، والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»؟ رواه الإمام البخاري عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وكم هي نِسبةُ السَّرِقَةِ في صُفوفِ المسلمين؟

يا عباد الله، هل المؤمنُ الحقُّ يجترئُ على الزِّنا، والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»؟ رواه الإمام البخاري عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وكم هي نِسبةُ الزِّنا في صُفوفِ المسلمين؟

يا عباد الله، هل المؤمنُ الحقُّ يجترئُ على تَكفيرِ المؤمنِ إذا خَالَفَهُ في مسألةٍ من مسائِلِ الفُروعِ، والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ». رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، المؤمنُ الصّادقُ يكونُ مُنصِفاً عادلاً يقولُ الحقَّ ولو على نفسِهِ، وذلك لقولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾

والسُّؤالُ يُوجَّهُ لمن أرادَ أن يُشَكِّكَ الناسَ في وَعْدِ الله تعالى الذي لا يُخلفُ، هل المجتمعُ اليومَ مُجتمعٌ يَتَّصِفُ بصِفَة الإيمانِ الحقّ الذي يستأهلُ النَّصرَ من الله تعالى؟ هل المجتمعُ اليومَ مُلتَزمٌ دِينَ الله تعالى، يُحِلُّ الحلالَ ويُحَرِّمُ الحرامَ حتى يَنصُرَهُ الله تعالى الذي قَيَّدَ نَصرَهُم بِنَصرِهِ، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم﴾.

يا عباد الله، نحنُ نسألُ الله تعالى أن يُعامِلَنا بِفضلِهِ لا بِعدلِهِ، وأن يُعامِلَنا بالإحسانِ لا بالميزانِ، وأن لا يُعامِلَنا بِعَمَلِنا، إنَّهُ خيرُ مسؤولٍ ومأمولٍ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

290ـ كلمة الأسبوع: الدعاء عبادة مقصودة بحد ذاتها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

الدُّعاءُ على نوعَين، دُعاءُ عِبادةٍ، ودُعاءُ مسألةٍ، ودُعاءُ المسألةِ هوَ أن يطلُبَ الدَّاعي من الله تعالى جَلْبَ نَفْعٍ، أو دَفْعَ ضُرٍّ، حَسبَ ما يراهُ الدَّاعي.

أمَّا دُعاءُ العِبادةِ، فهوَ الذي يتضمَّنُ الثَّناءَ على الله تعالى بما هوَ أَهلُهُ، مَصحوباً بالخوفِ والرَّجاءِ، وكلُّ دُعاءِ مسألةٍ يجبُ أن يكونَ مُنطَوياً تحتَ دُعاءِ العِبادةِ، وكلُّ دُعاءِ عِبادةٍ مُستَلزِمٌ لِدُعاءِ المسألةِ، وهذا ما صَرَّحَ به القرآنُ العظيمُ بقوله تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِين * وَلا تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِين﴾.

والذي يُوضِّحُ بأنّ الدُّعاءَ عِبادةٌ، ويجبُ على الدَّاعي أن يعلمَ ذلك، هوَ قولُ الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. سواءٌ أكانَ الدُّعاءُ دُعاءَ مسألةٍ أم

دُعاءَ عِبادةٍ، ولكن أَعقَبَ ربُّنا عزَّ وجلَّ هذا بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين﴾. لِيَعلمَ العبادُ بأنَّ الدُّعاءَ يجبُ أن يكونَ عبادةً وغايةً، لا أن يكونَ وسيلةً.

أعلِن عُبوديَّتَكَ لله عزَّ وجلَّ:

يا عباد الله، يجبُ على الإنسانِ المسلمِ أن يُعلنَ عن عُبوديَّتِهِ لله عزَّ وجلَّ عندَ الدُّعاءِ، وأن لا يَشترطَ على الله تعالى ما يُريدُ، لأنَّهُ عبدٌ لا يَعلمُ ما يُصلِحُهُ وما يُفسدُهُ، بل يُعلنُ عن حاجتِهِ لله تعالى وهوَ العبدُ الذَّليلُ المُنكسرُ إلى الله تعالى، المُتجلبِبِ بِرِداءِ العُبودِيَّةِ له، ثمَّ يُفوِّضَ أمرَهُ إلى الله تعالى، فهوَ الذي يختارُ لِعبدِهِ ما يُصلِحُهُ، بالعطاءِ أو بالمنعِ، بالخفضِ أو بالرَّفعِ، بالعِزِ أو بالذُّلِّ، لأنَّ الله تعالى يقول في كتابه العظيم: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾. فلا يَسعُ العبدَ بعدَ الدُّعاءِ إلا التَّفويضَ لأمرِ الله تعالى، لذلك خَتَمَ ربُّنا عزَّ وجلَّ الآيةَ بقوله: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾.

يا عباد الله، يجبُ أن تَستقرَّ هذهِ الحقيقةُ في نُفوسِنا، يجبُ علينا أن نتعرَّفَ على هُويَّتِنا، فنحنُ عبيدٌ، ومَالِكُنا هوَ الواحدُ الأَحدُ، الفردُ الصَّمَدُ، الذي لم يَلِد و لم يُولَد، و لم يَكُن لَهُ كُفُواً أَحدٌ، لا شَريكَ لَه ولا نَظيرَ ولا مَثيلَ ولا نِدَّ لَهُ، يفعلُ ما يشاءُ، وهوَ العَدْلُ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيز﴾.

تَضَرَّعِ إلى الله تعالى ثمّ سَلِّم له:

يا عباد الله، يجبُ على كلِّ واحدٍ منّا أن يَتَضَرَّعَ إلى الله تعالى، ثمّ بعدَ ذلك يُسلِّمُ الأمرَ لمن هوَ أرحمُ به من نفسهِ، لمن هوَ أعلمُ بما يُصلِحُهُ في الدُّنيا والآخرةِ، لمن هوَ الحكيمُ في شُؤونِ خلقِهِ.

يا عبادَ الله، لِننظُر إلى سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يومَ الطّائفِ، عندما ردَّتهُ شَرَّ رَدٍّ، وأوى إلى ظِلِّ شَجرةٍ في بُستَانِ ابنَي ربيعةٍ، ثمّ تَضرَّعَ إلى اللهِ تعالى تَضرُّعَ العبدِ الفقيرِ إلى خالِقِهِ، تَضرُّعَ العبدِ الذي تَبرَّأ مِن حَولِهِ وقُوَّتِهِ وتَدبيرِهِ إلى حَولِ وقُوَّةِ وتَدبيرِ مَولاهُ الذي لا يُعجزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي؛ وَقِلَّةَ حِيلَتِي؛ وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ؛ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، اللَّهُمَّ إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْته أَمْرِي؛ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي؛ غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَك أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُمَاتُ؛ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُك؛ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُك؛ لَك الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى؛ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِك».

تَضَرَّعَ النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، سألَ الله تعالى، واستجارَهُ وألحَّ وبَكَى، وشَكَى إليهِ أَمرَهُ بِقَولِهِ: «اللَّهُمَّ إِلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي؛ وَقِلَّةَ حِيلَتِي؛ وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ؛ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، اللَّهُمَّ إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْته أَمْرِي». ثمّ بعدَ ذلك سَلَّمَ الأمرَ

إلى اللهِ تعالى تَسلِيمَ العبدِ الذي يَبحَثُ عن رِضَا سيِّدِهِ ومَولاهُ، فقال: «إنْ لَمْ يَكُنْ بِك غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي؛ غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَك أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُمَاتُ؛ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُك؛ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُك؛ لَك الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى».

نعم، لقد تَضَرَّعَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عُبودِيَّةً، لأنَّهُ مأمورٌ بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. ثمَّ سَلَّمَ الأمرَ لمولاهُ تَسليمَ العَبدِ الفقيرِ لِسيِّدِهِ الغنِيِّ، سَلَّمَ تَسليمَ العبدِ الذي لا يملكُ لِنفسِهِ نَفعاً ولا ضُرّاً، ولا يَملكُ حَولاً ولا قُوَّةً ولا مَشيئَةً.

يا عباد الله، الدُّعاءُ إذاً هوَ عِبادةٌ مَقصُودَةٌ بحدِّ ذاتِها، وليسَ وسيلةً لِغايةٍ، وهذا ما أكَّدَهُ لنا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾». رواه الإمام أحمد عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وفي رواية للترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ». فالدُّعاءُ أكرمُ شيءٍ على اللهِ تعالى، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْ الدُّعَاءِ».

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، أكثِروا من الدُّعاءِ، من دُعاءِ المسأَلَةِ، ومن دُعاءِ العِبادةِ، وليكُن الدُّعاءُ عُبودِيَّةً للهِ تعالى، وليكُن مَقصُودًا بِحَدِّ ذاتِهِ، ولا تَجعَلُوهُ وَسيلةً لِغايةٍ، لأَنَّهُ مَن جَعَلَ الدُّعاءَ وَسِيلةً لِغايةٍ، فإِنَّهُ يترُكُ الدُّعاءَ إذا تحقَّقت غايتُهُ، وهذا مُناقِضٌ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين﴾.

يا عباد الله، لِندعوا اللهَ تعالى ونحنُ على يقينٍ بالاستجابةِ، لأنَّ وَعْدَ الله تعالى لا يُخلَفُ، وهوَ القائلُ في كتابه العظيم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

والاستجابةُ قد تكونُ بتحقِيقِ ما أرادَ العبدُ، أو بدفعِ ضُرٍ عنهُ، أو أن يُدَّخَرَ لهُ في الآخرةِ، كما جاءَ في الحديث الذي رواه الإمام مالك عن زيدٍ بن أسلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلا كَانَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ، إِمَّا أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ».

أسألُ اللهَ تعالى أن يُفرِّجَ عن هذهِ الأمَّةِ عاجِلاً غيرَ آجِلٍ. آمين. وصَلَّى اللهُ عَلَى سيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

291ـ كلمة الأسبوع: شروط ومواطن استجابة الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ الدُّعاءَ من أجَلِّ أنواعِ العِبادةِ، فيُقصَدُ لِذاتِهِ، كما يُقصَدُ لقضاءِ الحوائِجِ، ولِدفعِ المَضرَّةِ والشَّدائِدِ والمِحَنِ والكُروبِ والابتلاءاتِ، وفيهِ سُرعةُ الفَرَجِ، وتفريجُ الكُرَبِ، وهو سِلاحٌ يُتَّقى به العدوِّ وسوءُ القضاءِ، ويَجلبُ المصالحَ، ويَدفعُ المفاسدَ، ويَشغلُ العبدَ بذنبِهِ وعَيبِهِ عن ذنوبِ وعيوبِ الآخرين، وبهِ يشعرُ الإنسانُ بمعيَّةِ الله عزَّ وجلّ الذي لا يُعجِزُهُ شَيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ.

شُروطُ استجابةِ الدُّعاءِ:

يا عباد الله، نحنُ بحاجةٍ إلى الله تعالى، لأنَّنا فقراءُ إليه وهو الغنيُّ عنَّا، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد﴾. والفقيرُ يُنزِلُ حاجتَهُ في بابِ الغنيِّ، ولكن لا يُنزِلُ حاجتَهُ في بابِهِ إلا بعدَ التزامِ الأدبِ معه، وتحقيقِ الشُّروطِ المطلوبةِ منهُ.

يا عباد الله، لنلتزمِ الأدَبَ في بابِ مولانا الغنيِّ حينَ ندعوهُ، ولنُحقِّقَ شُروطَ استِجابةِ الدُّعاءِ، والتي منها:

أولاً: أن ندعوهُ بِجَسَدٍ طاهرٍ ظاهراً وباطناً، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلا طَيِّباً، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

ثانياً: أن ندعوهُ ونحنُ مُقرُّونَ بالإساءةِ والظُّلمِ من أنفُسِنا، قبلَ إساءةِ وظُلمِ غيرنا، لما روى الترمذي عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ».

ويقولُ الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: خَرَجَ النَّاسُ يستسقونَ، فقامَ فيهم بلالُ بنُ سعدٍ، فَحَمَدَ اللهَ تعالى وأثنى عليه، ثمَّ قال: (يا معشرَ من حَضَرَ، ألستُم مُقرِّينَ بالإساءةِ؟) قالوا: بلى، فقال: (اللَّهمَّ إنَّا سمِعناكَ تقولُ: ﴿ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾. وقد أقرَرْنا بالإساءةِ، فهل تكونُ مغفرتُكَ إلا لِمثلِنا؟ اللَّهمَّ اغفِر لنا وارحمْنا واسقِنا) فَرَفَعَ يَدَيهِ ورفعُوا أيديهِم فَسُقُوا.

ثالثاً: أن ندعوهُ بقلبٍ حاضرٍ خاشعٍ، لا بقلبٍ غافلٍ لاهٍ، لما روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

مواطنُ استجابةِ الدُّعاءِ:

يا عباد الله، أتوجَّهُ لنفسي ولكلِّ من يتألَّمُ على حالِنا مِمَّا يجري في بلدِنا العزيزِ الغالي الحبيبِ إلى قُلوبِنا من إساءاتٍ بكلِّ صُوَرِها وأشكالِها، وأقولُ له: كُن أنتَ الدَّاعي لله عزَّ وجلَّ أولاً، وحقِّقْ شُروطَ الدُّعاءِ في نفسِكَ، ثمَّ بعدَ ذلك اطلُبِ الدُّعاءَ من الصَّالحينَ والأتقياءِ، وإلا فاعلم بأنَّ دُعاءَ الصَّالحينَ والأتقياءِ لا يكفي لمن هوَ مُقيمٌ ومُصِرٌّ على معصيةِ الله عزَّ وجلَّ.

يا عباد الله، لندعوا اللهَ تعالى جميعاً بعدَ تحقيقِ شُروطِ استجابةِ الدُّعاءِ، ثمَّ لِنَلتَمِس مواطنَ استجابةِ الدُّعاءِ، والتي منها:

أولاً: الدُّعاءُ في جَوفِ اللَّيلِ الآخِرِ، لما روى الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». وفي رواية الإمام أحمد: «حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ». ولما روى الترمذي عن عَمْرو بْن عَبَسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ».

ثانياً: الدُّعاءُ في السُّجودِ، وخاصَّةً في صلاةِ النَّافلةِ، لما روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». ولما روى أيضاً عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: (كَشَفَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إلا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ». ومعنى قَمِنٌ: أي حقيقٌ وجديرٌ.

ثالثاً: الدُّعاءُ بينَ الأذانِ والإقامةِ، لما روى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ».

رابعاً: الدُّعاءُ بعدَ التَّسبيحِ والحمدِ والتَّكبيرِ عشراً، لما روى النسائي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: (جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَدْعُو بِهِنَّ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «سَبِّحِي اللهَ عَشْراً، وَاحْمَدِيهِ عَشْراً، وَكَبِّرِيهِ عَشْراً، ثُمَّ سَلِيهِ حَاجَتَكِ، يَقُلْ: نَعَمْ نَعَمْ»).

خامساً: الدُّعاءُ يومَ الجمعةِ، لما روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فَسَأَلَ اللهَ خَيْراً إِلا أَعْطَاهُ». وَقَالَ بِيَدِهِ وَوَضَعَ أُنْمُلَتَهُ عَلَى بَطْنِ الْوُسْطَى وَالْخِنْصِرِ، قُلْنَا: يُزَهِّدُهَا.

وقد أخفى اللهُ تعالى هذهِ السَّاعةَ لِنُكثِرَ من الدُّعاءِ يومَ الجمعةِ، فليكُن دُعاؤكَ عندَ صُعودِ الخطيبِ المنبرَ، وعندَ إقامةِ صلاةِ الجمعةِ، ودُبُرَ صلاةِ الجمعةِ، وبعدَ عصرِها، وعندَ غُروبِ شمسِها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، الدُّعاءُ عِبادةٌ مقصودةٌ بِحَدِّ ذاتِها، فلنتقرَّب إلى الله تعالى بالدُّعاءِ، كما نتقرَّبُ إليه بالصَّلاةِ والصِّيامِ وتلاوةِ القرآنِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ، لِنتقرَّب إلى الله تعالى بالدُّعاءِ ونحنُ عازمونَ في الدُّعاءِ، وذلك لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِم الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ. ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيُعْظِمْ رَغْبَتَهُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَاظَمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَعْطَاهُ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

لندعوا اللهَ تعالى ونحنُ واثقونَ بأنَّهُ لن يَرُدَّ أيدينا صِفراً ليسَ فيها شيءٌ، وذلك لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً» رواه أبو داود عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

لندعوا اللهَ تعالى ولا نعجَل، لأنَّ اللهَ تعالى وَعَدَ بالاستجابةِ في الوقتِ الذي يريدُ لا في الوقتِ الذي نريدُ، لأنَّهُ العليمُ الخبيرُ بأحوالِنا وبما يُصلِحُنا، وذلك لقول النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا ربِّ نسأَلُكَ ونتوسَّلُ إليك بأسمائِكَ الحُسنى وصِفاتِكَ العُلى، وبحبيبِكَ الأعظمِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وبأمَّهاتِنا أمَّهاتِ المؤمنين، وبأصحابِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وبأهلِ بدرٍ الكرامِ، وبالأبدالِ والأولياءِ والصَّالحينَ، وبالشُّعثِ الغبرِ، أن تُفرِّجَ عنَّا عاجلاً غيرَ آجلٍ، وأن تحقنَ الدِّماءَ، وتسترَ الأعراضَ، وتؤمِّنَ الرَّوعاتِ. آمين آمين آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

292ـ كلمة الأسبوع: إلى الشرذمة الأقزام الحقيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ من أُصولِ الإيمانِ وشُروطِهِ حتّى يكونَ مقبولاً عندَ الله عزّ وجلّ حُبّ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أكثرَ من النّفسِ والولدِ والأهلِ والمالِ والناسِ أجمعين، وذلك لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وإلا كانَ العبدُ من الفاسقينَ ولو ادّعى الإيمانَ، وذلك لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ

بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين﴾.

<u>الدِّفاعُ عن سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هوَ الجِهادُ الحقيقيُّ:</u>

يا عباد الله، إنّ الدِّفاعَ عن الجنابِ المحمَّدِيِّ هوَ الجِهادُ الحقيقيُّ، لأنّ حَضْرَةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أولى بنا من أنفُسِنا، وذلك لقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾. فهوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أعزُّ علينا من أنفُسِنا وآبائنا وأمَّهاتِنا وأزواجِنا ومن كلِّ ما نملِكُ، لأنّنا به عَرَفنا الله تعالى، وبه سَعِدْنا، وبه صِرنا خيرَ الأُمَمِ، وبه دانتِ الدُّنيا من أقصاها إلى أقصاها لأتباعِهِ الكرامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

يا عباد الله، وإنّ الدِّفاعَ عنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يجبُ أن يكونَ مُنضبطاً بضوابطَ شرعيَّةٍ، ومَبنيّاً على أساسٍ من العلمِ الصَّحيحِ والطَّريقةِ الرَّشيدةِ السَّديدةِ، لأنّنا دُعاةٌ إلى الله تعالى، دُعاةٌ إلى مَنهجِ هذا الحبيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وقد تعلّمنا هذا من كتابِ ربِّنا عزَّ وجلَّ، ومن هَدْيِ حبيبِنا المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، تعلّمنا ذلك من قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِين﴾. ومن قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم﴾. ومن قوله تعالى: ﴿قُل لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُون﴾. ومن الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: (اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ».

يا عباد الله، الدِّفاعُ عن مَقامِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هوَ فرضٌ على كلِّ مُسلمٍ ومُسلمةٍ، كلٌّ حَسْبَ استطاعتِهِ وقُدرتِهِ، وأعظمُ من يتحمَّلُ هذا الواجبَ هم أولياءُ الأمورِ من المسلمين، وخاصَّةً مِمَّن يزعُمُ أنَّهُ يُطبِّقُ شرعَ الله عزَّ وجلَّ، ويُدافعُ عن دِينِ الله وعن المسلمين، ويدعو الناسَ للجهادِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ.

إلى الشِّرذمةِ الأقزامِ الحقيرةِ:

يا عباد الله، لقد تطاولَت فِئةٌ من الشَّراذمةِ الأقزامِ الحقيرةِ ــ الذين ضُرِبَت عليهِمُ الذِّلَّةُ والمَسكنةُ ــ على مَقامِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وذلك بِعَرضِ فيلمٍ مُسيءٍ لسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهوَ أمرٌ طبيعيٌّ إذ يصدُرُ عنهم، لأنَّ الإناءَ ينضحُ بالذي فيه، وصدق اللهُ تعالى القائلُ: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.

يا عباد الله، ماذا تتوقَّعونَ من صُدورٍ حاقدةٍ بغيضةٍ؟ ماذا تتوقَّعونَ من حُثالةٍ حقيرةٍ قَذِرَةٍ؟ ماذا تتوقَّعونَ مِمَّن لُعِنوا بقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾؟

ماذا تتوقّعونَ من شرِّ البريّةِ الذين قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾؟ ماذا تتوقّعونَ مِمّن لا يرضَونَ عن سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فضلاً عن أمّتِهِ حتى يتهوّدوا أو يتنصّروا؟ وهذا ما صرّحَ به كتابُ ربّنا عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾.

يا عباد الله، إنّي أتوجّهُ إلى هذهِ الشّرذمةِ القزمةِ الحقيرةِ والحُثالةِ من الناسِ لأقولَ لهم:

أولاً: موتوا بغيظكم، فإنّ ربّنا عزّ وجلّ قالَ لِحبيبِهِ الأعظمِ سيّدِنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾. فهوَ الذي تولّى الدِّفاعَ عنهُ، ولو تخلّى عن ذلك أولياءُ أمورِ المسلمين، قال تعالى: ﴿إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾. فاللهُ تعالى لكم بالمرصادِ، وهوَ القائل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

ثانياً: موتوا بغيظكم، فإنّ اللهَ تعالى رَفَعَ ذِكرَهُ رَغمَ أنوفِكُم وأنوفِ من لم يؤمن به، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾. ومن رَفَعَ اللهُ تعالى له ذِكرَهُ فمن الذي يستطيعُ أن يتطاولَ عليه؟

وأذكّرُكُم يا هؤلاءِ بقول هولاكو عندما سألَ أتباعَهُ وجُندَهُ من هوَ العظيم؟ فقالوا له: أنت الذي دوَّخت البلاد، وملكت الأرض، وطاعتك الملوك، وكان المؤذن إذ ذاك يؤذن. فقال: لا، الملك هذا الذي له أزيد من ستمائة سنة قد

مات، وهو يذكر على المآذن في كل يوم وليلة خمس مرات، يريد سيدَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: موتوا بغيظكم، فهوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سيّدُ وَلَدِ آدم، ومَن دونَهُ تحتَ لوائِهِ يومَ القيامةِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلا لَهُ دَعْوَةٌ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي».

رابعاً :موتوا بغيظكم، فإنّ نورَ رسالتِهِ سوفَ تبلغُ ما بَلَغَ اللّيلُ والنّهارُ، شِئتم أم أَبيتم، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ» رواه الإمام أحمد عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى

أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، ــ أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا ــ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً» رواه الإمام مسلم عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

خامساً: موتوا بغيظكم، فدِينُهُ ظاهرٌ على الأديانِ كلِّها، ومهما حاولتُم إطفاءَ النُّورِ الذي جاءَ به فأنتم أعجزُ من ذلك بكثيرٍ وأحقرُ، وصدق الله القائل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون ﴾. والقائل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون ﴾. والقائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون﴾.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، الأمرُ ليسَ بغريبٍ أن يصدُرَ من هؤلاءِ ما صَدَرَ، كيف لا وقد وَصَفَهُمُ اللهُ تعالى بالإجرامِ والشَّيطنةِ؟ فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون﴾.

يا عباد الله، عليكم بنُصْرَةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَّمَ، وذلك بتبليغِ دَعوتِهِ، لقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾. ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وكونوا مُطمئنّينَ بأنّ اللهَ تعالى إذا أرادَ نشرَ فضيلةِ طُوِيَت أتاحَ لها لِسانَ حَسودٍ، ورحم الله من قال:

لو انقلبَ الناسُ جميعاً إلى كَنَّاسينَ، وأرادوا أن يُثيرُوا الغُبارَ على السَّماءِ، لأَثَارُوا الغُبارَ على أنفُسِهِم، وَلَظَلَّتِ السَّماءُ هي السَّماءُ.

ورحم الله من قال:

كناطِحٍ صَخْرةٍ يوماً ليُوهنُها *** فلَمْ يُضِرْها وأَوْهَى رَأْسَه الوَعِلُ

اللّهمَّ زِدنا ثباتاً على النَّهجِ الذي جاءَ به سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

293ـ كلمة الأسبوع: قدروا نعمة اللّه عليكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ نِعَمَ الله عزّ وجلّ علينا عظيمةٌ وكبيرةٌ وكثيرةٌ، وصدق اللهُ تعالى القائل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾. ولكنّ أعظمَ هذهِ النِّعَمِ على الإطلاقِ، والتي يجبُ على الإنسانِ المؤمنِ أن يُحافظَ عليها، وأن يَعَضّ عليها بالنّواجذِ نعمةُ الإسلامِ والإيمانِ بسيّدِنا محمّدٍ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حيثُ مَنَّ اللهُ علينا بها، حيثُ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

قدِّروا نعمةَ الله تعالى عليكم:

يا عباد الله، إنّ اللهَ تباركَ وتعالى اصطفانا من سائرِ خلقِهِ وجعَلَنا من وَرَثَةِ هذا القرآنِ العظيمِ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِير * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير﴾. ومنَّ علينا ربُّنا عزَّ وجلَّ ببَرَكةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَنا خيرَ أمَّةٍ أُخرجَت للناسِ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. وتفضَّلَ علينا فَجَعَلَنا من أمَّةِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي تفرَّدَ بصفاتٍ لم تكن لنبيٍّ من الأنبياءِ، من جملة ذلك:

أولاً: أنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رحمةٌ للعالمينَ جميعاً، وبالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ، وأولى بهم من أنفُسِهِم، ولا يُعذِّبُنا اللهُ تعالى ما دامَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فينا، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين﴾. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم﴾. وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون﴾.

ثانياً: أنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يستغفرُ لنا وهوَ في قبرِهِ الشَّريفِ، كما جاء في الحديث الذي رواه البزار عن بكرِ بنِ عبدِ اللهِ المزنيِّ رَضِيَ

اللهُ عَنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «حياتي خيرٌ لكم، تُحدِثُون ويُحدَثُ لكم، ووَفَاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكُم، فما رأيتُ من خيرٍ حَمَدتُ اللهَ عليه، وما رأيتُ من شَرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم».

ثالثاً: أنّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ينتظِرُ أمّتَهُ يومَ القيامةِ في أرضِ المحشرِ، وفي مَواطنِ الشِّدَّةِ، وخاصَّةً عندَ الصِّراطِ والميزانِ والحَوضِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: (سَأَلْتُ نَبيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: قَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ بِهِمْ» قَالَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ» قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»).

رابعاً: أنّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حبيبُ الله تعالى، وحاملُ لواءِ الحمدِ، وأوّلُ شافعٍ ومُشفّعٍ، وأكرمُ الأوّلينَ والآخرينَ، وأوّلُ من يُحرّكُ حِلَقَ أبوابِ الجنّةِ، وأوّلُ من يدخُلُها ومعهُ فقراءُ المسلمين، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: (جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُونَهُ، قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَباً! إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خلِيلاً، اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى؟ كَلَّمَهُ تَكْلِيماً! وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ! وَقَالَ آخَرُ:

آدَمُ اصْطَفَاهُ اللّٰهُ! فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللّٰه وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللّٰه وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ اللّٰه وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللّٰهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللّٰه وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللّٰهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ»).

خامساً: أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أُعطِيَ سبعينَ ألفاً من أمَّتِهِ يدخلونَ الجنَّةَ بلا حسابٍ، مع كلِّ واحدٍ منهم سبعونَ ألفاً، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ سَبْعِينَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزَدْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفاً». وفي رواية الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ رَبِّي أَعْطَانِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّٰه، فَهَلا اسْتَزَدْتَهُ؟ قَالَ: «قَدْ اسْتَزَدْتُهُ فَأَعْطَانِي مَعَ كُلِّ رَجُلٍ سَبْعِينَ أَلْفاً» قَالَ عُمَرُ: فَهَلا اسْتَزَدْتَهُ؟ قَالَ: «قَدْ اسْتَزَدْتُهُ فَأَعْطَانِي هَكَذَا».

سادساً: أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سوفَ يُعطيهِ ربُّهُ عزَّ وجلّ حتّى يُرضيَهِ، وحاشاهُ أن يرضى وواحدٌ من أمَّتِهِ في النارِ، كما جاء في الحديث

الذي رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾. الْآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ).

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، هل عَرَفتُم قَدْرَ هذهِ النِّعمةِ التي تتقلّبونَ بها وأنتم تشعرونَ أو لا تشعرونَ؟ هل عَرَفتُم قَدْرَ نبيِّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ؟ هل حافظتُم على هذهِ النِّعمةِ حتّى لا تضيعَ منكم ــ لا قدَّرَ الله تعالى ــ؟ هل عَرَفتُم أنّ ألدَّ أعدائِهِ سوفَ يتمنّى أن يكونَ اتَّخذَ مع رسولِ الله سبيلاً، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾؟ هل عَرَفتُم أنّ من عَصاهُ وخالَفَ أمرَهُ سوفَ يتمنّى أن تُسوّى به الأرضُ يومَ القيامةِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾؟

يا عباد الله، أُناشِدُكُمُ اللهَ أن تحفظوا قولَ الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وأن تحفظوا قولَ الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾. وقولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

يا عباد الله، واللهِ الذي لا إلهَ غيرُهُ لو سُلِبنا النِّعَمَ المادِّيَّةَ كلَّها، وبقِيَت لنا نِعمةُ الإيمانِ بسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ونِعمةُ طاعتِهِ ومُوافَقَتِهِ، فنحنُ من أسعدِ الناسِ في الدُّنيا والآخرةِ، أمَّا إذا سُلِبت منَّا هذهِ النِّعمةُ ــ لا قدَّرَ الله تعالى ــ واللهِ لكنَّا من أشقى خلقِ الله تعالى، ولو تقلَّبنا في النِّعَمِ المادِّيَّةِ كلِّها ما علمنا منها وما لم نعلم.

يا عباد الله، حافظوا على نِعمةِ الإيمانِ بسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وذلك من خلالِ اتِّباعِهِ في أقوالِكُم وأفعالِكُم وأحوالِكُم ومَنشَطِكُم ومَكرَهِكُم وفي سائِرِ شُؤونِكُم.

اللّهمَّ وفِّقنا لذلك، ولا تسلُب منَّا هذهِ النِّعمةَ العظيمةَ، اللّهمَّ أكرمْتنا بنِعمةِ الإيمانِ فحبَّبْتَهُ إلى قُلوبنا، وشَرحتَ صُدورنا للإسلامِ فضلاً منك وكَرَماً، فلا تحرِمْنا هذهِ النِّعمةَ حتَّى نلقاكَ وأنت راضٍ عنَّا، وعن أُصولِنا وفُروعِنا وأزواجِنا وأحبابِنا، والمسلمينَ عامَّةً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرح

294ـ كلمة الأسبوع: إلى كلِّ غيور على سيدنا محمد صلى اللّه عليه وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ الإيمانَ بالله تعالى لا يكمُلُ إلا بالإيمانِ بسيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وإنّ الإيمانَ بالله تعالى والإيمانَ بسيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لا يكمُلُ إلا بالغِيرَةِ على سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، والغيورُ بحقٍّ على سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هوَ الذي لا يكونُ سُلوكُهُ سبباً في الطّعنِ في دِينِ الله عزّ وجلّ، وفي هَدْيِ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في الحديث الذي رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: (كلُّ رجلٍ منَ المسلمينَ على ثَغرٍ مِن ثُغُورِ الإسلامِ، اللّهَ اللّهَ أن يُؤتَى الإسلامُ من قِبَلِكَ).

يا أيُّها الغيورُ على سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا عباد الله، لقد سَمِعنا وشاهَدْنا كيفَ تَحرّكتِ الغِيرةُ في قُلوبِ المؤمنينَ في مَشارِقِ الأرضِ ومَغارِبِها على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بما فَعَلَتْهُ هذهِ الشّرذمةُ القَذِرَةُ الحقيرةُ التّافهةُ من الأقباطِ التي عَبَّرَت عن حِقدِها على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، رسولِ البشريَّةِ جمعاءَ، رسولِ الرَّحمةِ والهِدايةِ، رسولِ الدِّينِ والقِيَمِ والأخلاقِ الإنسانيِّةِ قاطبةً، وهذهِ الغِيرةُ ما جاءت من فراغٍ، إنّما جاءت من قُلوبٍ صادقةٍ آمَنَت بسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ونِعْمَتْ هذهِ الغِيرةُ التي أسألُ اللهَ تعالى أن يُنمِّيَها في قُلوبِنا جميعاً.

يا عباد الله، إنّ هذهِ الغِيرةَ مطلوبةٌ من الأمَّةِ شرعاً من قَضِّها إلى قَضيضِها بدونِ استثناءٍ، وإنّ من تمامِ الغِيرةِ أن يكونَ هذا الحَدَثُ سبباً لمزيدٍ من الالتزامِ بدِينِ الله عزَّ وجلَّ، وأن يكونَ سبباً لمزيدِ المعرفةِ بشخصيَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وأن يكونَ سبباً للتّآلُفِ والتّكاتُفِ بينَ المسلمينَ جميعاً، وإلا فستكونُ هذهِ الغِيرةُ حُجّةً علينا يومَ القيامةِ لا لنا ــ لا قدَّرَ اللهُ تعالى ــ.

يا عباد الله، إنّي أتوجّهُ إلى نفسي أولاً، ثمّ إلى كلِّ غيورٍ على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لأقول:

أولاً: أيُّها المؤمنونَ أنتم إخوةٌ في الله:

تذكّروا يا عباد الله قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. فحقِّقُوا هذهِ الأخُوَّةَ بينكم، وأصلحوا فيما بينكم حتَّى تكونوا كالجَسَدِ الواحدِ، كما قال سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه الإمام مسلم عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وكما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا عباد الله، إنَّهُ لمنَ العجيبِ أن ترى من بعضِ المؤمنينَ من يُؤجِّجُ نارَ العداوةِ والبغضاءِ في صُفوفِ المؤمنينَ، حتَّى يجعلَهُم مُتحاسِدِينَ مُتباغِضِينَ مُتدابِرينَ، فهل سمعتَ هذا يا أيُّها الغيورُ على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

ثانياً: أيُّها المؤمنونَ لا يضرب بعضُكُم رِقابَ بعضٍ:

تذكّروا يا عباد الله قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. وتذكّروا قول سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وتذكّروا

قول سيّدِنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه الإمام البخاري عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا عباد الله، ضَرْبُ رِقابِ المؤمنينَ بعضِهِم بعضاً واللهِ يُسخِطُ اللهَ تعالى، ويُرضي شياطينَ الإنسِ والجنِّ، ويشفي صُدورَ الحاقدينَ على دِينِ الله عزَّ وجلَّ، حيثُ يستغلُّوا ذلك لِيَعرِضُوا صُوَرَ هذا القتالِ على أُمَمِهِم، ويقولوا لهم: هذا هوَ الإسلامُ الذي يدعونَكُم إليه المسلمونَ، فهل سمعتَ هذا يا أيُّها الغيورُ على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

ثالثاً: أيُّها المؤمنونَ لا يُكفِّر بعضُكُم بعضاً:

تذكَّروا يا عباد الله حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا». وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

يا عباد الله، لا يجوزُ للمؤمنِ أن يتعجَّلَ في تكفيرِ أهلِ القبلةِ الذين يصلُّونَ ويصومونَ ويحجُّونَ بسببِ خلافٍ في مسألةٍ من مسائِلِ الفُروعِ، روى الإمام البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا،

فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ». لأنَّ هذا التّكفيرَ يُدخِلُ الفرحةَ والسُّرورَ إلى قُلوبِ أعداءِ هذهِ الأمَّةِ، فهل سمعتَ هذا يا أيُّها الغيورُ على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

رابعاً: أيُّها المؤمنونَ لا تتَّخِذوا أعداءَ الله تعالى أولياءَ لكم:

تذكّروا يا عباد الله قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾.واللهِ إنَّهُ لمنَ العجيبِ أن يتَّخِذَ المؤمنُ عدوَّ الله وليّاً لهُ، ويَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ ضِدَّ أخيهِ المؤمنِ، تذكّروا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِين﴾. وتذكّروا قول الله تعالى: ﴿لَتجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

واحذَروا من الاعتقادِ بأنّ هناكَ أحداً أشدَّ عداوةً للذين آمنوا من اليهودِ ومن الذين أشركوا، لأنّ اللهَ تعالى قرَّرَ في كتابه العظيم بأنّ اليهودَ والذين أشركوا هم أشدُّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا.

فهل سمعتَ هذا يا أيُّها الغيورُ على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، من كان غيوراً بحقٍّ على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فلا يَسَعُهُ إلا الاتِّباعُ لأخلاقِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وليتذكَّرْ قول سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لسيِّدِنا عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عندما أرادَ أن يقتلَ رأسَ النِّفاقِ والمنافقينَ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» رواه الإمام البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يرُدَّنا إلى دِينهِ ردّاً جميلاً، وأن يجعَلَنا كالجَسَدِ الواحدِ، إذا اشتكى منه عُضوٌ تداعى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** **
:

295ـ كلمة الأسبوع: أيها المؤمن لا تكن ممن يعبد اللّه على حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ العبدَ المؤمنَ هوَ الذي عَرَفَ الغايةَ من خلقِهِ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا، وذلك من خلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُون * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين﴾.

العبدُ المؤمنُ يُمارسُ عبادَتَهُ لله عزّ وجلّ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، في المنشَطِ والمكرَهِ، لأَنَّهُ عَرَفَ ذلكَ من سيرةِ أصحابِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وذلك عندما بايعَ الصَّحابةُ الكرامُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم سيِّدَنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في الحديث الذي رواه

الإمام أحمد عَنْ جابرِ بن عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ في بيعة العقبة الكبرى: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ».

يا عباد الله، المؤمنُ الحقُّ الذي لا يُبارِحُ بابَ مولاهُ وخالِقِهِ في كلِّ أحوالِهِ، وفي سائِرِ تقلُّباتِهِ، ويَظَلُّ مُلتصقاً ببابِهِ مُترامياً على أعتابِهِ، لأَنَّهُ عبدُهُ، ولأَنَّهُ راجعٌ إليه.

المؤمنُ الحقُّ لا يعبدُ اللهَ على حرفٍ:

يا عباد الله، العبدُ المؤمنُ لا يعبدُ اللهَ تعالى على حالةٍ دونَ حالةٍ، ولا يعبدُ اللهَ تعالى على شرطٍ، ولا يتوجَّهُ إلى الله تعالى في حالةٍ دونَ أخرى، بل هوَ عبدٌ متمسِّكٌ ببَابِ مولاهُ العزيزِ إنْ أعطاهُ أو مَنَعَهُ، إنْ قَبِلَهُ أو طَرَدَهُ، إنْ استجابَ دُعاءَهُ أو لم يَستَجِب، إنْ أَعزَّهُ أو أذلَّهُ، إنْ آتاهُ النِّعَمَ أو حَرَمَهُ إيَّاها.

أمَّا العَبدُ الذي يُقبِلُ على الله تعالى عندما يَرى النِّعَمَ تَتْرَى عليهِ وتَهوي عليهِ من كلِّ جانبٍ، وعندما يَرى الخيرَ موفوراً بينَ يدَيهِ، وإذا ما تحوَّلت هذهِ النِّعَمُ عنهُ، وابتلاهُ اللهُ تعالى بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثَّمراتِ تبرَّمَ وأعرضَ واعترَضَ وتناسى عُبوديَّتَهُ للهِ تعالى فهوَ عبدُ سوءٍ، وهوَ في الحقيقةِ عَبْدُ نفسِهِ وهواهُ ومصلحتِهِ، وهذا ينطبقُ عليه قولُ الله تعالى: ﴿وَمِنَ

النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين﴾. نعوذُ باللهِ تعالى أن نكونَ من ذلكَ الصِّنفِ.

المؤمنُ الحقُّ شاكرٌ صابرٌ:

يا عباد الله، إنَّ العبدَ المؤمنَ الحقَّ هوَ الذي يكونُ شاكراً لمولاهُ في الرَّخاءِ، ويكونُ مُتأسِّياً بسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، جاء في صحيح الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ الله، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»).

العبدُ المؤمنُ في الرَّخاءِ يكونُ شاكراً لِنعَمِ الله تعالى عليه، فلا يَصرِفُ هذهِ النِّعَمَ إلا وفقَ طاعةِ الله عزَّ وجلَّ، إن أعطاهُ اللهُ تعالى نِعمةَ الجاهِ والسُّلطانِ، وإن أعطاهُ نِعمةَ الصِّحَّةِ والقُوَّةِ، وإن أعطاهُ نِعمةَ المالِ وسائِرَ النِّعَمِ فهوَ لا يطغى بها، لأنَّهُ يعرفُ مصدرها بأنَّها من الله تعالى، وأنَّ اللهَ تعالى ما أعطاهُ إيَّاها إلا للاختبارِ والابتلاءِ، قال تعالى حكايةً عن سيِّدِنا سليمانَ عليه السَّلامُ عندما قالَ لقومِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِين * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِين * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾. فالمؤمنُ يكونُ شاكراً

عندَ العطاءِ، ويكونُ على حَذَرٍ من الغرورِ والاستكبارِ والظُّلمِ وكُفرانِ النِّعَمِ.

أمَّا فِي الشِّدائدِ والمِحَنِ والابتلاءاتِ فيكونُ صابراً، لأنَّهُ يطمعُ بعطاءِ الله تعالى بعدَ المِحَنِ، ولأنَّهُ على يقينٍ بأنَّهُ ما من مِحنةٍ إلا وتحملُ في طَيَّاتِها مِنَحاً، كيف لا يكونُ هذا اعتقادُهُ وهوَ يقرأ قولَ الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾. وهوَ يقرأ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب﴾؟.

كيفَ لا يكونُ صابراً وهوَ يعلمُ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إذ يقولُ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ويعلمُ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما. ويعلمُ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنْ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ»؟ رواه الإمام أحمد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، يجبُ علينا أن لا ننسى الغايةَ من خلقِنا في هذهِ الحياةِ الدُّنيا، فما خُلِقنا إلا للعبادةِ، ومن العبادةِ: الشُّكرُ في الرَّخاءِ، والصَّبرُ في البلاءِ، فمن شَكَرَ في الرَّخاءِ كانَ نِعمَ العبدُ، ومن صَبَرَ في البلاءِ كانَ نِعمَ العبدُ.

تذكّروا مَدْحَ الله تعالى لسيِّدِنا سليمانَ الشّاكرِ حيثُ قالَ عنهُ مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب﴾. وتذكّروا مَدْحَ الله تعالى لسيِّدِنا أيوبَ الصَّابِرَ حيثُ قالَ عنهُ مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب﴾.

يا عباد الله، بئسَ العبدُ الذي يطغى عندَ العطاءِ، ويضجرُ عندَ البلاءِ، بئسَ العبدُ الذي: ﴿يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين﴾.

اللّهمَّ اجعلنا من الشّاكرينَ عندَ الرَّخاءِ، ومن الصّابرينَ عندَ البلاءِ، ومن الرَّاضينَ بمرِّ القضاءِ، ونسألُكَ يا ربَّنا أن لا تُحمِّلَنا ما لا طاقةَ لنا به، يا ربِّ عافيَتُكَ أوسعُ لنا. آمين.

** ** **

296ـ كلمة الأسبوع: تعس عبد الدينار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

الإنسانُ العاقلُ هوَ الذي يستفيدُ من كلِّ ما يجري عليه، وما يجري من حولِهِ، الإنسانُ العاقلُ هوَ الذي يكونُ مُنصفاً صادقاً مع نفسِهِ، الإنسانُ العاقلُ هوَ الذي لا يُبرِّرُ تقصيرَهُ وأخطاءَهُ، الإنسانُ العاقلُ هوَ الذي لا يكونُ عنيداً مُستكبراً، الإنسانُ العاقلُ هوَ الذي يبحثُ عن الحُلولِ لِمُشكلاتِهِ.

من جملةِ مشاكِلِنا:

يا عباد الله، مشاكِلُنا كثيرةٌ وتحتاجُ إلى حُلولٍ، فمن جملةِ مشاكِلِنا:

أولاً: التَّربيةُ الفاشلةُ:

أيُّها الإخوة الكرام: الحقيقةُ مُرَّةٌ، ولكن يُحبُّها العقلاءُ المنصفون، إنّ من مشاكِلِنا التَّربيةَ الفاشلةَ، سواءٌ كانَ المربِّي أباً أو معلِّماً أو مسؤولاً من المسؤولينَ الذين شَمِلَهُم قولُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متَّفقٌ عليه عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

لو سألتَ المربِّي أيّاً كانَ، كيفَ تُربِّي؟ وما الغايةُ والهدفُ اللّذانِ تربِّي عليهما من استرعاكَ اللهُ تعالى عليه؟

أيُّها الإخوة الكرام: أكثرُ الناسِ يُربِّي من استرعاهُ اللهُ تعالى عليه من أجلِ مُستقبلٍ مَوهومٍ، يُربِّي من أجلِ المادَّةِ، من أجلِ أن يحصُلَ على بيتٍ فارهٍ، أو على سيّارةٍ فارِهةٍ، أو على مزرعةٍ فارِهةٍ، من أجلِ أن يحصُلَ على منصبٍ أو جاهٍ ولو على حسابِ دِينِهِ، ولو صارَ عبداً ذليلاً لِمَا يَطلُبُ، وهذا هوَ الذي ينطبقُ عليه قولُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ

عَنهُ.

أكثرُ الناسِ يُرِبّي من تحتِ يَدِهِ على حُبِّ هذهِ الدُّنيا الفانيةِ، أكثرُ الناسِ جَعَلوها هدفاً وغايةً يُرَبُّونَ عليها الآخرينَ ولو على حسابِ دِينِهِم وعلى حسابِ آخِرَتِهِم، يُربُّونَ الآخرينَ على ذلكَ مهما كَلَّفَ ذلكَ من ثَمَنٍ.

أمَّا من يُرَبِّي من استرعاهُ اللهُ تعالى عليه على أن تكونَ الدُّنيا وسيلةً للآخرةِ، وأنّ الآخرةَ هيَ الغايةُ فقليلٌ هم، وأن يُرِبّي على أنّ كلَّ شيءٍ في الدُّنيا يهونُ في سبيلِ هذا الدِّينِ فقليلٌ هم، وما أروعَ قِصَّةَ سيِّدِنا عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يومَ قالت له أمُّهُ أسماءُ بنتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: (يا بُنَيَّ، إيَّاكَ أن تعطي خَصلةً من دِينِكَ مَخافَةَ القتلِ)، ثمَّ خاطبَ أمَّهُ بقولِهِ:

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ *** ولا مُرتَقٍ من خَشيَةِ المَوتِ سُلَّما

أُنافسُ فيهِ أنَّه غيرُ نازحٍ *** ملاقِ المنايا أيَّ صَرفٍ تَيَمَّمَا

رواه الحاكم.

أمَّا من يُرِبّي من استرعاهُ اللهُ تعالى عليه على حُبِّ الآخرةِ، وعلى أنّ الدُّنيا مطيَّةٌ للآخرةِ، فإنَّهُ لا يُفتنُ بِعَرَضٍ من أعراضِ الدُّنيا، وما أروعَ مواقفَ الرِّجالِ الذينَ ارتبطوا بالآخرةِ، وجعلوا الدُّنيا مطيَّةً ووسيلةً للوصولِ إلى الآخرةِ بسلامٍ.

أيُّها الإخوة الكرام: ذلكم الشيخ سعيد الحلبي عالم الشام في عصره، كان في درس من دروسه مادًّاً رجله في مسجدٍ من مساجدِ الشَّامِ، فدخَل إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مِصرَ آنذاك، فقامَ النَّاسُ كلُّهُم إلَّا هذا الشيخ، بقيَ مادًّاً

رِجلَهُ فِي حلقتِهِ يُلقِي قالَ اللهُ، وقالَ رسولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فتَأَثَّرَ ذلك الطَّاغِيَةُ، وأثَّر ذلكَ فِي نَفسِهِ إِذ لم يَقُم لَه هذا الشَّيخُ، فقال في نفسه هذا: لآتِيَنَّه من باب لطالما أُوتِيَ طَلَبَةُ العلمِ من هذا البابِ، فذهبَ وأَضمَرَ له ما أَضمَرَ، وأَحضَرَ أَلفَ لَيرةٍ ذهبيةٍ ــ في وقتٍ الشيخُ قَد لا يَجدُ ليرةً واحدةً ــ وقال لأحدِ جنودِهِ: اذهب إلي الشيخِ وأعطِهِ هذِهِ، فأخَذَ هذا الجنديُّ ذلك المبلَغَ، وذهب به إلى الشيخِ ولا زالَ مادًّاً رِجلَهُ في حلقَتِهِ يُدَرِّسُ قالَ اللهُ، وقالَ رسولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ويَكتَسِبُ العِزَّةَ من خلالِ قالَ اللهُ وقالَ رسولُهُ، جاءَ إليهِ وقالَ: إنَّ إبراهيم باشا يقولُ: خُذ هذِهِ الألفَ ليرةٍ ذهبيةٍ، فما كانَ مِنه إلا أن نَظَرَ إليه بِعِزَّةِ المؤمِنِ، وتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغضَبِ، وقال: رُدَّهَا له، وقُل له: إنَّ الذي يَمُدُّ رِجلَهُ لا يَمُدُّ يَدَهُ، إنَّ الذي يَمُدُّ رِجليهِ لا يَمُدُّ يَدَيهِ.

ثانياً ضعفُ الإيمانِ:

أيُّها الإخوة الكرام: الحقيقةُ مُرَّةٌ، ولكن يُحبُّها العقلاءُ المنصفون، إنّ من مشاكِلِنا ضعفَ الإيمانِ بالقَدَرِ، وضعفَ الإيمانِ بالله تعالى الذي قدَّرَ الأقدارَ قبلَ وُجودِها.

أيُّها الإخوة الكرام: ما أجملَ أن نجعلَ حديثَ الصَّادقِ المصدوقِ أمامَ أبصارِنا وبصائرِنا عندما كانَ يُوجِّهُ الأمَّةَ من خلالِ سيِّدِنا عبدِ الله ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما حيثُ قالَ له: «يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

ما أجملَ أن نجعلَ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أمامَ أبصارِنا وبصائِرِنا عندما يقولُ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْراً مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ» رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ونتذكَّرَ قولَ الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

يا عباد الله، من قَوِيَ إيمانُهُ بالقَدَرِ، وباللهِ تعالى الذي قَدَّرَ الأقدارَ قبلَ وُجودِها يكونُ رجلاً مُستقيماً مُلتزماً دِينَ الله تعالى، آمراً بالمعروفِ ناهياً عن المنكرِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وبدونِ فظاظةٍ ولا غلاظةٍ ولا شماتةٍ مع الإخلاصِ للهِ تعالى، و خُذوا هذا المثالَ:

سيِّدُنا العزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ لَقِيَ حاكمَ مِصرَ الصَّالحَ أيُّوب، فقال له: يا أيوب ماذا ستقولُ لربكَ إذا سألكَ ألمأبوئكَ مصرَ فلماذا تبيحُ الخمورَ؟ قال: وهل كلامكَ صحيحٌ يَا عِز؟ !قال: نَعَم حانَةُ كَذا وحانَةُ كَذا. قال: ولكنها لم تكن

في عهدي وإنَّما كانت في عهدِ أبي واستَمَرَّت. فقال له العِزُّ بنُ عبدِ السَّلام : يعني أنتَ من أولئكَ الذينَ قال اللهُ عنهم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾. قيلَ للعِزِّ بعد هذا الفصلِ كيفَ استطعتَ أن تقولَ هذا للصَّالِحِ أيوب؟! فقال العِزُّ لهم : لَمَّا كلمتُهُ استحضرتُ هَيبةَ اللهِ فصارَ أمَامِي كالهِرِّ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيُّها الإخوة الكرام: مشكلةُ المشاكِلِ حبُّ الدُّنيا، في سبيلِها اقتتلَ الناسُ، في سبيلِها سُفِكَتِ الدِّماءُ، في سبيلِها هُدِّمَتِ البيوتُ، في سبيلِها رُمِّلَتِ النِّساءُ، في سبيلِها يُتِّمَ الأطفالُ، في سبيلِها بيعَ الدِّينُ بها، وبذلكَ خَسِرَ العبدُ الدُّنيا والآخرةَ.

يا عباد الله، متى تأتي السَّاعةُ لنقولَ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾؟ متى تأتي السَّاعةُ لنقولَ: (لو وضعُوا الشمس في يميني والقمَرَ في يساري على أن أترُكَ هذا الأمرَ ما تركتُهُ حتى يُظهِرَهُ اللهُ أو أهلِكَ دونَهُ)؟متى تأتي السَّاعةُ لنلتزمَ دِينَ الله تعالى الذي بحاجةٍ له البشريَّةُ جمعاء؟.

يا عباد الله، كلُّ رجلٍ منَ المسلمينَ على ثَغرٍ من ثَغرِ الإسلامِ، اللهَ اللهَ أن يُؤتَى الإسلامُ من قِبَلِهِ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

297ـ كلمة الأسبوع: كيف يحافظ العبد على نعمة الإسلام والإيمان؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ما مِن شكٍّ في أنّ الإنسانَ مَجبولٌ على صِفةِ الحِرصِ، ولكن الناسَ مُتفاوتونَ في ذلك، فمنهم من يكونُ حريصاً على المالِ من الزّوالِ، وهوَ في الحقيقةِ إلى زوالٍ، ومنهم من يكونُ حريصاً على الجاهِ من الزّوالِ، وهوَ في الحقيقةِ إلى زوالٍ، ومنهم من يكونُ حريصاً على السّيادةِ من الزّوالِ، وهيَ في الحقيقةِ إلى زوالٍ، ومنهم من يكونُ حريصاً على الصِّحّةِ والعافيةِ من الزّوالِ، وهما في الحقيقةِ إلى زوالٍ.

يا عباد الله، ما مِن نعمةٍ أسبَغَها ربُّنا عزّ وجلّ على العبادِ إلا وهم حريصونَ عليها من الزّوالِ، أسبَغَ اللهُ تعالى عليهم نِعمةَ الإيجادِ ونعمةَ الإمدادِ، فهم حريصونَ على بقاءِ نعمةِ الإيجادِ والإمدادِ، والحقيقةُ أنّ نِعمةَ الإيجادِ في الدُّنيا لن تدومَ، ومِن الطّبيعيّ أنّ نِعمةَ الإمدادِ لن تدومَ، وصدقَ اللهُ تعالى القائلُ: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾. وهذا ما أُوكِدَ في الحديثِ الشّريفِ الذي رواه الحاكم والطبراني في الأوسط عن سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: جاءَ جبريلُ عليه السّلامُ إلى النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فقالَ: (يا مُحمَّدُ، عِشْ ما شِئْتَ فإنّكَ مَيّتٌ، وأحبِبْ من أحبَبْتَ فإنّكَ مُفارِقُهُ، واعمَلْ ما شِئْتَ فإنّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ).

نعمةُ الإسلامِ والإيمانِ أعظمُ النِّعَمِ:

أيُّها الإخوة الكرام: أعظمُ النِّعَمِ على الإطلاقِ هيَ نِعمةُ الإسلامِ والإيمانِ، لأنّ جميعَ النِّعَمِ من دونِها لا قيمةَ لها إذا حُرِمَ الإنسانُ نِعمةَ الإسلامِ والإيمانِ، بل جميعُ النِّعَمِ من دونِها تنقلِبُ إلى نِقَمٍ يومَ القيامةِ، ومِصداقُ هذا قولُ الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وقولُهُ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ باللهِ الْعَظِيمِ﴾. وقولُهُ تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيه

* وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيه* كَلا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾.

أيُّها الإخوة الكرام: من رُزِقَ جميعَ النِّعَمِ الحِسِّيَّةِ المادِّيَّةِ ثمّ حُرِمَ نِعمةَ الإسلامِ والإيمانِ فهوَ الخاسرُ النَّادِمُ المتحسِّرُ عندَ سَكَراتِ الموتِ وما بعدَها، وهوَ الذي سَيَسألُ الرَّجعةَ عندَ سَكَراتِ الموتِ، كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾.وهوَ الذي سَيَسألُ الرَّجعةَ في أرضِ المحشرِ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُون﴾.

أمّا من أُكرِمَ بنعمةِ الإسلامِ والإيمانِ فهوَ الرَّابحُ دُنيا وأخرى بإذنِ اللهِ تعالى، ولو سُلِبَ جميعَ النِّعَمِ المادِّيَّةِ والحِسِّيَّةِ ــ لا قدَّرَ اللهُ تعالى ــ كيفَ لا يكونُ هوَ الرَّابحَ وقد ضَمِنَ اللهُ تعالى له الحياةَ الطَّيِّبةَ في الدُّنيا والآخرةِ، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾؟

كيفَ يُحافظُ العبدُ على نِعمةِ الإسلامِ والإيمانِ؟

أيُّها الإخوة الكرام: لعلّ سائلاً يسألُ، كيف يُحافظُ العبدُ على نِعمةِ الإسلامِ والإيمانِ؟ وهذا سؤالٌ طبيعيٌّ ومَنطقيٌّ لمن عَرَفَ أنّ الإسلامَ والإيمانَ نِعمةٌ، لأنّنا نرى العبدَ إذا حُرِمَ الولدَ سألَ اللهَ تعالى أن يُكرِمَهُ بِنعمةِ الولدِ، فإذا أعطاهُ الولدَ سألَ اللهَ تعالى أن يحفظَ له الولدَ، وقِس على ذلكَ سائرَ النِّعَمِ.

ومن عَرَفَ الإسلامَ والإيمانَ أَنَّهُ نعمةٌ، بل من أعظمِ نِعَمِ اللهِ تعالى، لا شكَّ أَنَّهُ يسألُ اللهَ تعالى أن يُثبِّتَهُ على ذلكَ، وهذا ما كانَ يفعلُهُ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حيثُ كانَ من دُعائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ومن دُعائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يا وَلِيَّ الإسلامِ وأهلِهِ، ثَبِّتْني بِهِ حتَّى ألقاكَ» رواه الطبراني في الأوسط عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أَيُّها الإخوة الكرام: إنَّ من أهمِّ الوسائِلِ التي تُثبِّتُ العبدَ على الإسلامِ والإيمانِ هيَ:

أولاً: سماعُ القرآنِ العظيمِ، وذلكَ لقولِهِ تعالى في وَصْفِ العبادِ المؤمنينَ حقّاً: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾. فسماعُ القرآنِ العظيمِ، وتلاوةُ آياتِ اللهِ تعالى تزيدُ في إيمانِ المؤمنِ، بل من استمعَ إليه من غيرِ أهلِ الإيمانِ بإنصافٍ أكرَمَهُ اللهُ تعالى بنعمةِ الإيمانِ، وهذا ما حَصَلَ للصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنهُم، ومن جملتِهِم سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنهُ، عندما قَرَأَ سورةَ: ﴿طه﴾. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيمِ * طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى * تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

لذلكَ كانَ المشركونَ حريصينَ على أن لا يسمعَ أحدٌ منهُمُ القرآنَ العظيمَ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

بل دَعَوا على أنفُسِهِم بالهلاكِ إن كانَ هذا القرآنُ من عندِ الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـــذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

فالقرآنُ العظيمُ تلاوةً وسماعاً يزيدُ في إيمانِ المؤمنِ، فمن كانَ حريصاً على دوامِ نعمةِ الإسلامِ والإيمانِ فعليه بِسماعِ وتلاوةِ القرآنِ بِتدَبُّرٍ، وليحذر من هَجْرِ القرآنِ العظيمِ.

ثانياً: الحِرصُ على مُصاحبةِ الصّادقينَ المُخلِصينَ المُخلَصينَ، وذلكَ لقولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. وهذا ما أكّدَهُ سيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندما قيل له: يا رسولَ الله: أيُّ جُلَسائِنَا خيرٌ؟ قال: «مَن ذَكّرَكُمُ اللهَ رُؤيَتُهُ، وزادَ في عِلْمِكُمْ مَنطِقُهُ، وَذَكّرَكُمْ بالآخرةِ عَمَلُهُ» رواه أبو يعلى الموصلي عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

أيُّها الإخوة الكرام: إنّ مُجالسةَ الصّالحينَ الأخيارِ تزيدُ في إيمانِ العبدِ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: (لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ الله! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيراً، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فوالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا ذَاكَ»؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيراً، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

ثالثاً: الحِرصُ على طَلَبِ العلمِ، وخاصَّةً العلمُ الشَّرعيُّ، لأنّ طَلَبَ العلمِ وخاصّةً الشَّرعيّ يُوصِلُ إلى الجنّةِ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ».

كيفَ لا يكونُ العلمُ الشّرعيُّ سبباً لزيادةِ الإيمانِ والثّباتِ عليه، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾؟ كيفَ لا يكونُ سبباً لزيادةِ الإيمانِ والثّباتِ عليه، واللهُ تعالى يأمُرُ سيِّدَنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقولِهِ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾؟.

لذلك علينا بِطَلَبِ العلمِ، لأنّ النّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «بابٌ مِنَ العِلمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيرٌ لهُ منَ الدُّنيا وما فِيهَا» أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء. ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لأبي ذرٍّ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ الله خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلَأَنْ

تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنْ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ» رواه ابن ماجه عَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ولكن اعرِفْ عمَّن تأخُذُ دِينَكَ، واسمع إلى وصيَّةِ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما إذا يقولُ: «يا بنَ عُمر، دِينَكَ دِينَكَ، إنَّمَا هوَ لحمُكَ ودَمُكَ، فَانظُر عَمَّن تَأخُذ، خُذ عَنِ الذينَ استَقَامُوا ولا تَأخُذ عنِ الذينَ مَالُوا» رواه ابنُ عُدي عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، لا تحزنوا على نِعمةٍ مادِّيّةٍ إذا فاتَتْكُم، بل عليكم أن تعلموا بأنّ هذهِ النّعمَةَ المادِّيّةَ إذا فاتَتْكُم وصبَرْتُم على فَقْدِها فلكم بذلكَ أجرٌ عظيمٌ، ألم يقُلْ مولانا عزّ وجلّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾؟.

يا عباد الله، كونوا حريصينَ كلّ الحِرصِ على نِعمةِ الإيمانِ والإسلامِ واحذروا أن تفوتَكُم هذهِ النّعمةُ، واحزنوا إذا فاتَتْكُم تلاوةُ القرآنِ العظيمِ،أو فاتَتْكُم صُحبَةُ الأولياءِ والصَّالحينَ وعبادِ الله الأتقياءِ الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ تعالى، أو فاتَتْكُم مجالسُ العِلمِ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يُثَبِّتَنا بالقولِ الثّابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ، إنَّهُ على ما

يشاءُ قديرٌ وبالإجابةِ جديرٌ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

298ـ كلمة العيد: ما هي مهمتك أيها المسلم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يسألَ نفسَهُ، ما هي مُهمَّتُهُ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا؟ لا شكَّ بأنَّ الجوابَ يأتي مباشرةً: مُهِمَّتِيَ العبادةُ، لأنَّ اللهَ تعالى يقولُ في كتابِهِ العظيمِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾. والكثيرُ من النَّاسِ مَن حَصَرَ وقَصَرَ العبادةَ على أركانِ الإسلامِ الخمسةِ، على الشَّهادتينِ ثمَّ الصلاةِ ثمَّ الصِّيامِ ثمَّ الزَّكاةِ ثمَّ الحجِّ.

يا عباد الله، إنَّ هذهِ الأمورَ الخمسَةَ هي أركانُ الإسلامِ وليست هي الإسلامُ، الإسلامُ بُنِيَ على هذهِ الأركانِ الخمسةِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواهُ الإمام البخاري عَن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

مُهِمَّةُ المسلمِ الإصلاحُ:

يا عباد الله، إنَّ مُهِمَّةَ العبدِ المؤمنِ العبادةُ، ومن هذهِ العبادةِ الإصلاحُ، قال تعالى حكايةً على لسانِ سيِّدِنا شعيبٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾.

سَلْ نفسَكَ يا عبدَ الله، هل أنت مُصلِحٌ؟ هل ينطبقُ عليكَ اسمُ الإصلاحِ؟ هل أنتَ من عِدادِ المُصلحينَ؟ هل سيَذْكُرُكَ التاريخُ أنَّكَ كنتَ مُصلِحاً؟ هل أنتَ مكتوبٌ عندَ الله تعالى من المُصلِحينَ؟ هل أنتَ مُصلِحٌ وِفقَ المنهجِ الذي جاءَ بهِ سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ كم وكم من أُناسٍ يظنُّ الواحِدُ منهم أنَّهُ مُصلِحٌ وهوَ في الحقيقةِ مُفسدٌ؟ لأنَّهُ ضلَّ عن نَهْجِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لا يَشْعُرُون﴾ .

يا عباد الله، يجبُ على كُلِّ واحدٍ منَّا أن يتأكَّدَ من أنَّهُ في قولِهِ مُصلِحٌ، وأن يتأكَّدَ

من أَنَّهُ فِي فِعلِهِ مُصلِحٌ، وأن يتأَكَّدَ من أَنَّهُ فِي نِيَّتِهِ مُصلِحٌ، وذلك بعرضِ قولِهِ وفِعلِهِ ونِيَّتِهِ على كتابِ الله عزَّ وجلَّ، وعلى سُنَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وباستِحضارِ وُقوفِهِ بين يَدَي الله عزَّ وجلَّ، وباستِحضارِ قولِهِ تعالى: ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين﴾.

مَحَلُّ الإصلاحِ:

يا عبادَ الله، سَلُوا أنفسَكُم ما هوَ محلُّ الإصلاحِ؟ وأينَ يكونُ الإصلاحُ؟ وحتى لا نُتعِبَ أنفُسَنَا بالبَحثِ عنِ الجوابِ، وحتى لا نَضِلَّ الطَّرِيقَ، علينا أن نَرجِعَ إلى سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حيثُ يُبيِّنُ لنا مَحَلَّ الإصلاحِ، روى الإمامُ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي».

أولاً: إصلاحُ الدِّينِ:

يا عباد الله، يجبُ علينا أن نُصلِحَ دينَنَا الذي هو عِصمةُ أمرِنا، وذلك بأمرَينِ اثنَينِ:

الأوَّلُ: التَّوثيقُ، لا تُطلِقوا أحكامَ الحلالِ والحرامِ بدونِ عِلمٍ وبدونِ توثيقٍ، وتذكَّروا قولَ الله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلَالٌ

وَهَـــذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُون﴾. إذا كنتم لا تعلمونَ فاسألوا أهلَ الذِّكرِ من أهلِ التَّوثيقِ، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾.

وتذكَّروا قبلَ إطلاقِ الأحكامِ الشرعيَّةِ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ» رواه الإمام البخاري عَنْ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الثّاني: التَّطبيقُ، لأنَّ العِلمَ الموثَّقَ بدونِ تطبيقٍ يكونُ حُجَّةً على العبدِ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون﴾. عِلمٌ مُوثَّقٌ بلا عَمَلٍ جنونٌ، وسَبَبٌ للطَّردِ واللَّعنِ ــ والعياذُ بالله تعالى ــ ، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾.
وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين﴾.

يا عباد الله، صلاحُ الدِّينِ يكونُ بالتَّوثيقِ والتَّطبيقِ، فَتَوثيقٌ بلا تطبيقٍ حُجَّةٌ على العبدِ، وتطبيقٌ بلا توثيقٍ ضياعٌ ودمارٌ وفسادٌ، والنِّيَّةُ الصَّالحةُ لمن طبَّقَ بدونِ توثيقٍ لا تَشفعُ له عندَ الله تعالى، لأنَّ الحَقَّ لا يُنصَّف، ولا يَنفصِم، فلا بدَّ من التَّوثيقِ والتَّطبيقِ حتى يَصلُحَ دينُنا.

ثانياً: إصلاحُ الدُّنيا :

يا عباد الله، يجبُ علينا أن نُصلِحَ دُنيانا التي فيها معاشُنا، ولن يكونُ صلاحُ الدُّنيا إلا بزرعِ الأمانِ والسَّلامِ، وكيفَ يكونُ صلاحُ الدُّنيا التي فيها معاشُنا من دونِ أمنٍ وسلامٍ؟

يا عبادَ الله، لقد أَرشَدَنَا سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى صلاحِ دُنيَانا التي فيها معاشُنا، وذلكَ بزرعِ الأمنِ والسَّلامِ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ : «واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ»، قِيلَ: منْ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الَّذي لا يأْمنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ» رواه الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وليس شرطاً أن يكونَ الجارُ مسلماً، لأنَّ الجارَ المسلمَ له حقَّانِ، والجارُ المسلمُ القريبُ له ثلاثةُ حقوقٍ، والجارُ غيرُ المسلم له حقٌّ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البيهقي في الشعب عن عبدِ الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «الجِيرَانُ ثَلاثَةٌ: جَارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ، وَجَارٌ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ. فَأَمَّا الجَارُ الَّذِي لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ فَالجَارُ القَرِيبُ المُسْلِمُ، فَلَهُ حَقُّ الجِوَارِ، وَحَقُّ القَرَابَةِ، وَحَقُّ الإِسْلامِ. وَالجَارُ الَّذِي لَهُ حَقَّانِ: وَهُوَ الجَارُ المُسْلِمُ، فَلَهُ حَقُّ الإِسلامِ، وَحَقُّ الجِوَارِ. وَالجَارُ الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ هُوَ الجَارُ الكَافِرُ لَهُ حَقُّ الجِوَارِ».

كيفَ يكونُ صلاحُ الدُّنيا إذا كانَ الجارُ المسلمُ لا يأمَنُ جارَهُ المسلمَ، وإذا كان المصلِّي لا يأمَنُ جارَهُ المصلِّي؟

كيفَ يكونُ صلاحُ الدُّنيا التي فيها معاشُنا والكلُّ يُروِّعُ الكُلَّ، والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «لا تُرَوِّعوا المسلمَ، فإنَّ رَوعَةَ المسلمِ ظُلمٌ عظيمٌ» رواه البزار والطبراني عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه. ويقولُ أيضاً: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً» رواه الإمام أحمد وأبو داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبي لَيْلَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ. و عَنْ عَبْدِ الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَخَافَ مُؤْمِناً بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ عَلَى الله أَنْ لا يُؤَمِّنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه الطبراني. وروي عن عبدِ الله بنِ عمرو رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «من نَظَرَ إلى مُسلِمٍ نَظرَةً يُخيفُهُ فيها بِغَيرِ حَقٍّ أَخافَهُ اللهُ يومَ القِيامَةِ» رواه الطبراني وأبو الشيخ كما في الترغيب والترهيب.

يا عباد الله، سَلوا أنفُسَكُم، هل أنتم تريدونَ إصلاحَ الدُّنيا؟ فإذا كانَ الجوابُ بالإيجابِ، فإنّي أقولُ: لا يكونُ إصلاحُ الدُّنيا إلا بالأمنِ والسَّلامِ، واعلَموا بأنّ الإسلامَ هوَ دينُ الأمانِ والسَّلامِ.

ثالثاً: صلاحُ الآخرةِ:

يا عباد الله، يجبُ علينا أن نُصلِحَ آخِرَتَنا التي إليها مَعادُنا، وصلاحُ آخِرَتِنا لا يكونُ إلا بالنَّظرِ الجادِّ لأن نكونَ من أهلِ الجَنَّةِ، وإنَّ السَّبيلَ للوصولِ إليها هو طاعةُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائلِ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» رواه الإمام البخاري عن أبي هريرةَ رَضِيَ

اللهُ عَنهُ. وإلا فليحذرِ المُخالفُ لأمرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قولَ الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومن جملةِ أوامرِهِ التّحذيرُ من الحَسدِ والبغضاءِ، حيثُ يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه الإمام الترمذي عن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا عبادَ الله، لقد رَغَّبَنَا سيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بسلامَةِ الصَّدرِ من أجلِ صلاحِ آخرَتِنا، فقالَ لسيِّدِنا أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ» رواه الترمذي عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، مُهِمَّتُنا العبادةُ، ومن العبادةِ بل من أجلِّ العباداتِ وأقدسِها الإصلاحُ، والإصلاحُ لا يكونُ إلا بِعرْضِ أقوالِنا وأفعالِنا ونِيَّاتِنا على كتابِ الله وسنَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ، فإذا وافَقَتْ نِيَّاتُنا وأقوالُنا وأفعالُنا كتابَ الله تعالى وسنَّةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فنحنُ صالِحونَ مُصلِحونَ بإذنِ الله تعالى، وإلا فنحنُ فاسِدونَ مُفسِدونَ من حيثُ نشعُرُ أولا نشعُرُ. اللّهُمَّ اجعلنا صالحين مُصلِحينَ كما تُحبُّ وترضى. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

299ـ كلمة الأسبوع: ما السر في تداعي الأمم علينا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لو نَظَرنا إلى سَلَفِنا الصّالِحِ فإنّنا نَجِدُهُم كانوا كالبُنيانِ المرصوصِ، إذا اشتكى منهُ عُضوٌ تداعى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمّى، وإذا نَظَرنا إليهم فإنّنا نَجِدُهُم قد

تحقّقَت فيهم بِشارَةُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندما دعا قومَهُ إلى الإيمانِ الحقيقيِّ روى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قَالَ: (لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ ابْنُ أَخِيكَ يَشْتِمُ آلِهَتَنَا، يَقُولُ وَيَقُولُ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ فَانْهَهُ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ وَكَانَ قُرْبَ أَبِي طَالِبٍ مَوْضِعُ رَجُلٍ، فَخَشِيَ إِنْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَمِّهِ أَنْ يَكُونَ أَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ فَوَثَبَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَجِدْ مَجْلِساً إِلَّا عِنْدَ الْبَابِ فَجَلَسَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ قَوْمَكَ يَشْكُونَكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ، وَتَقُولُ وَتَقُولُ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: يَا عَمِّ، إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ نَعَمْ وَأَبِيكَ عَشْراً، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: فَقَامُوا وَهُمْ يَنْفُضُونَ ثِيَابَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾).

ولو نَظَرنا إلى حالِنا اليومَ فإنَّنا نَجدُ قدِ انطَبَقَ علينا ما تَوَعَّدَنا به رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ المعروفِ المشهورِ الصَّحيحِ الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ،

وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ» فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

ما هوَ السِّرُّ في تداعي الأُمَمِ علينا؟

يا عباد الله، إنَّهُ لمنَ الجديرِ أن نتساءَلَ فيما بينَ بعضِنا البعضِ، لماذا تداعت علينا الأمَمُ؟ ما هوَ السِّرُّ في تكالُبِ الشَّرقِ والغربِ علينا ونحنُ مُسلمونَ مُؤمنونَ بالله تعالى؟ لماذا أصبحنا غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ مع وُجودِ القاسمِ المشتركِ بيننا وبينَ أصحابِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ والسَّلَفِ الصَّالِحِ؟

السِّرُّ في ذلكَ هوَ ما وَضَّحَهُ لنا سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في نفسِ الحديثِ الشَّريفِ، عندما قالَ له عن الوَهْنِ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

السِّرُّ في ذلكَ هوَ ما بَيَّنَهُ لنا ربُّنا عزَّ وجلَّ في كتابِهِ العظيمِ، حيثُ حَذَّرنا من حُبِّ الدُّنيا بكلِّ صُوَرِها وأشكالِها أكثرَ من حُبِّ الله تعالى، وحُبِّ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

السِّرُّ في تداعي الأمَمِ علينا من كلِّ حَدْبٍ وصَوْبٍ ونحنُ كثيرٌ هوَ حُبُّ الدُّنيا

أكثرَ من حُبِّ الله تعالى، ومن حُبِّ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وبذلك أصبحنا نكرَهُ الموتَ.

نعم، سَلَفُنا الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم دانت لهمُ الدُّنيا من أقصاها إلى أقصاها، ودَفَعت لهمُ الجزيةَ الأعاجمُ، لأنَّهُم ما كانوا مُسلمينَ فقط، بل كانونا مُؤمنينَ حقّاً، وكانت قُلوبُهُم أوعيةً لمحبَّةِ الله تعالى ومحبَّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أكثرَ من محبَّتِهِم لأصولِهِم وفُروعِهِم وحواشيهِم، ومن المالِ بكلِّ صُوَرِهِ وأشكالِهِ، ومن كلِّ الدُّنيا، بل كانَ حُبُّ الله تعالى وحُبُّ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أكثرَ من حُبِّهِم لِذواتِهِم.

يا عباد الله، إنَّ محبَّةَ الله تعالى، ومحبَّةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يجبُ أن تكونَ هيَ المتمكِّنَةُ من القلبِ أكثرَ من محبَّةِ الدُّنيا، وانظُروا إلى قولِ الله عزَّ وجلَّ وتدبَّروهُ حيثُ يقولُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبَّاً للهِ﴾. ويقولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

فالسِّرُّ في تداعي الأمَمِ علينا، والسِّرُّ في أنَّنا أصبحنا غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ هوَ استِعمارُ الأهواءِ والشَّهَواتِ والملذَّاتِ المختلفةِ لقُلوبِنا، حتَّى إذا ما تعارَضَ حكمٌ شرعيٌّ مع الأهواءِ والشَّهَواتِ والملذَّاتِ طَرَحَ الكثيرُ من الناسِ الحكمَ الشَّرعيَّ، ورَجَّحوا الأهواءَ والشَّهَواتِ والملذَّاتِ، مع أنَّ العقلَ يُناديهم لا يا عباد الله.

ما هوَ السَّبيلُ لمحبَّةِ الله تعالى؟

يا عباد الله، إنّ من عظيمِ لُطفِ الله تعالى، وبالِغِ كَرَمِهِ وإحسانِهِ أن حقّقَ لنا كلّ أسبابِ محبّتِهِ، حتّى لا يحتاجَ الواحدُ منّا إلى تَعَبٍ في سبيلِ غَرْسِ محبَّةِ الله تعالى في قلبِهِ.

يا عباد الله، إنّكم تعلمونَ المَثَلَ الذي يقولُ: جُبِلَتِ النُّفوسُ على حُبِّ من يُحسِنُ إليها.فإذا كانتِ النُّفوسُ مجبولةً على ذلكَ فيجبُ علينا أن نعلمَ بأنّ المحسنَ الأوّلَ والآخرَ للإنسانِ هوَ اللهُ تعالى، وصدق اللهُ تعالى القائلُ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾. وصدق اللهُ تعالى القائلُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. فهل يَستَحِقُّ أحدٌ المَحَبَّةَ غيرَ اللهِ تعالى.

فاللهُ تعالى هوَ المنعمُ المتفضِّلُ الوحيدُ على العبدِ، حيثُ تفضّلَ عليه بِنعمةِ الإيجادِ ثمّ بِنعمةِ الإمدادِ، وإذا ما لُوِّحَ للعبدِ بزوالِ نِعمةِ الإيجادِ والإمدادِ مُباشرةً يجأرُ إلى الله تعالى.

لذلكَ من الغريبِ أن يحبَّ العبدُ النِّعمةَ أكثرَ من المنعمِ، ومن الغريبِ أن لا يتوجَّهَ العبدُ بقلبِهِ إلى الله تعالى ويحبَّهُ أكثرَ من جميعِ النِّعَمِ الظّاهرةِ والباطنةِ.

ما هوَ السَّبيلُ لمحبَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

يا عباد الله، من مظاهرِ رحمةِ الله تعالى بعبادِهِ أنْ حقّقَ لهم سبيلَ محبّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حيثُ صاغَ حبيبَهُ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على أعلى الرُّتَبِ خَلقاً وخُلُقاً، وما ذاكَ إلا ليكونَ سبيلُ محبَّتِهِ ميسوراً لا يحتاجُ إلى تكلُّفٍ، ولا يحتاجُ إلى جِهادِ نفسٍ للوصولِ إلى ذلكَ، تدبَّروا هذهِ الآياتِ الكريمةِ وهيَ تَصِفُ هذا الحبيبَ الأعظمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾. وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

لقد جَبَلَهُ اللهُ تعالى على أسمى الأخلاقِ، وأفضلِ الطِّبائِعِ، فكانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أكثرَ الناسِ تواضُعاً، وألْيَنَهُم عريكةً، وأَبطأَ الناسِ غَضَباً، وأسرعَ الناسِ رِضاً، ولا يغضبُ لنفسِهِ قطُّ بشكلٍ من الأشكالِ، وكانَ أنفعَ الناسِ للناسِ.

ما رآهُ أحدٌ من الأعرابِ أصحابِ القلوبِ الغليظةِ الفظّةِ، فنَظَرَ إليهِ نظرةً مُنصفةً مُتحرِّرةً عن العصبيِّةِ والأهواءِ إلا وعَشِقَهُ من النَّظرةِ الأولى.

<u>خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:</u>

يا عباد الله، حتّى يرجعَ إلينا عِزُّنا السَّامي يجبُ علينا أن نُعظِّمَ في قُلوبِنا حُبَّ اللهِ تعالى وحُبِّ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حتّى يكونَ أعظمَ

من حُبِّ الدُّنيا بكلِّ صُوَرِها وأشكالِها.

وهذا لا يكونُ إلا إذا أرجَعنا كلَّ نِعمةٍ إلى مَصدرِها، وليسَ هناكَ مصدرٌ للنِّعَمِ إلا اللهُ تعالى، ولا يكونُ إلا إذا رَجَعنا إلى سِيرةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وإلى شَمائِلِهِ حتَّى يَنْغَرِسَ في قُلوبِنا حُبُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أكثرَ من أنفُسِنا.

نعم، لقد تداعت علينا الأمَمُ بسبَبِ حُبِّنا للدُّنيا الذي دَفَعنا إلى كراهيةِ الموتِ، أمَّا سَلَفُنا الصَّالِحُ فقد أحبُّوا المنعمَ أكثرَ من النِّعمةِ حتَّى اشتاقوا إلى لِقاءِ الله تعالى، وأحبوا سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أكثَرَ من أنفُسِهِم حتى صاروا كإيَّاهُ من حيثُ الاتباعَ والاقتداءَ، وبذلكَ كانوا كالبُنيانِ المرصوصِ، فهابَهُم عدوُّهُم، وانهَزَمَ أمامَهُم، ودَفَعَ لهمُ الجزيةَ.

اللّهُمَّ إنَّا نسألُكَ حُبَّكَ وحُبَّ حَبيبِكَ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أكثرَ من أنفُسِنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

300- كلمة الأسبوع: يقيننا وعقيدتنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقينُنا بأنّا ما خُلِقنا إلا للاختِبارِ وللابتِلاءِ، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾. وقد أقسمَ ربُّنا عزَّ وجلّ وأكّدَ على هذا بقولِهِ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾. وقال تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين﴾.

ويُبتلى الرِّجلُ على قَدْرِ دِينِهِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنْ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

وفي روايةٍ أخرى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

عقيدتُنا:

يا عباد الله، نحنُ على يقينٍ بأنّا ما خُلِقنا إلا للابتِلاءِ، وأمّا عقيدتُنا فهيَ أنّ ما

أصابَنا لم يكُن لِيُخطِئنا، وأنّ ما أخطأنا لم يكُن لِيُصيبنا، وهذا ما أوضَحَهُ لنا ربُّنا عزّ وجلّ في كتابِهِ العظيمِ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَـــذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَـــذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ فَمَا لِهَـــؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾.

وهذا ما وجَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أمَّتَهُ إليه، من خلالِ سيِّدِنا عبدِ الله بنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، فقد أخرج الترمذي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».

ثمّ أكّدَ ذلك بقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ».

وفي رواية الترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ،

حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ».

اليقينُ باللهِ تعالى أعظمُ زادٍ عندَ الشّدائِدِ:

يا عباد الله، لقد سارَ الأولياءُ والصّالِحونَ من عِبادِ الله تعالى على نَهْجِ الأنبياءِ عليهمُ الصّلاةُ والسّلامُ، فما نَزَلت بهمُ الخُطوبُ، ولا أطاحت بهمُ الكُروبُ، إلا عاذوا بالله تعالى علامِ الغُيوبِ، فهذا سيِّدُنا موسى عليه الصّلاةُ والسّلامُ يقولُ له أصحابُهُ عندما وَصَلوا البحرَ وفرعونُ من ورائِهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُون * قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين﴾.

وهذا سيِّدُنا إبراهيمُ عليه الصّلاةُ والسّلامُ عندما وَضَعَهُ نمروذُ في المنجنيقِ وقَذَفَهُ في النارِ، وهوَ في الهواءِ جاءَهُ جبريلُ عليه الصّلاةُ والسّلامُ، فقال: أَلَكَ حاجةٌ؟ قال: أمَّا إليكَ فلا، حَسْبي من سُؤالي عِلْمُهُ بِحالي. اهـ. فيض القدير.

وفي رواية: رَفَعَ إبراهيمُ عليه الصّلاةُ والسّلامُ طَرفَهُ إلى السّماءِ ودَعَا اللهَ تعالى وقال: حَسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، فَنَزَلَ إليه جبريلُ عليه الصّلاةُ والسّلامُ، وقالَ: يا إبراهيمُ، أَلَكَ حاجةٌ؟ قالَ: أمَّا إليكَ فلا، فقالَ جبريلُ: سَلْ ربَّكَ، فقال: حَسْبي من سُؤالي عِلْمُهُ بِحالي، فقالَ اللهُ تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيم﴾.

فالذي يقينُهُ باللهِ تعالى بأنَّهُ مَصدرُ الأشياءِ لا يعتمدُ على مخلوقٍ مثلِهِ، لأنَّ جميعَ المخلوقاتِ فقراءُ إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ واللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد﴾. ومن كانَ هذا يقينُهُ، فإنَّ اللهَ تعالى لا يتخلّى عنهُ، وهذا

هوَ أعظمُ زادٍ للمؤمنِ في الشّدائِدِ.

يا عباد الله، اليقينُ بالله تعالى بأنّ اللهَ لا يتخلّى عن عبدِهِ المؤمنِ الصّادقِ في الشّدائِدِ هوَ أعظمُ زادٍ للإنسانِ المؤمنِ.

مهما ضاقت الأسباب لا تيأس:

يا عباد الله، إذا كانَ هذا هوَ يقينُنا وهذا هوَ اعتِقادُنا فلا يجوزُ أن نيأسَ من الفَرَجِ مهما ضاقت الأسبابُ، بل على العكسِ من ذلكَ تماماً، كلّما ضاقت الأسبابُ قَرُبَ الفَرَجُ بالنِّسبةِ للمؤمنينَ الصّادقينَ، وانظُروا إلى هؤلاءِ الثلاثةِ من أصحابِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذين تخلّفوا عن غزوةِ تبوك، حيثُ ضاقت عليهمُ الدُّنيا بما رَحُبَت وضاقت عليهم أنفُسُهُم وظنُّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، يقولُ اللهُ تعالى فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

لقد ضاقت عليهمُ الأرضُ بما رَحُبَت، وضاقت عليهم أنفُسُهُم، فلاذوا بالله تعالى الذي لا يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ، فأخرَجَهَمُ اللهُ تعالى من هذا الضِّيقِ الذي لا يُتَصَوَّرُ، وجَعَلَهُم نموذجاً في الصِّدقِ بكلِّ صُوَرِهِ لما جاءَ من بعدِهِم من المؤمنينَ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

يا عباد الله، هل وَصَلنا إلى هذا الضِّيقِ الذي وَصَلَ إليه هؤلاءِ الكرامُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم؟

نعم، قد تضيقُ النَّفسُ على الإنسانِ، ولكن قد يَجِدُ مُتنَفَّساً في أرضِ الله الواسعةِ، فيُهاجرُ فيها، وقد تضيقُ عليه الأرضُ بما رَحُبَت، ولكن قد يَجِدُ نفساً مُطمئِنَّةً مُنشرِحةً فيستريحُ إليها.

أمَّا أن تضيقَ عليه الأرضُ بما رَحُبَت وتضيقَ عليه نفسُهُ فهذا شيءٌ عظيمٌ، ومع ذلكَ فربُّنا عزَّ وجلَّ أخرجَ هؤلاءِ من الضِّيقَينِ اللذينِ وَقَعَا عليهم، وذلكَ من خلالِ يقينِهِم بالله تعالى الذي هوَ خيرُ زادٍ عندَ الشَّدائِدِ. ﴿وَظَنُّواْ أَن لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ﴾.

مهما انقطعت الأسباب لا تيأس:

يا عباد الله، إذا كانَ هذا هوَ يقينُنا وهذا هوَ اعتِقادُنا فلا يجوزُ أن نيأسَ من الفَرَجِ ولو انقَطَعت جميعُ الأسبابِ، فهذا سيِّدُنا إبراهيمُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أمَرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يجعلَ زوجتَهُ وطفلَهُ الصَّغيرَ في وادٍ غيرِ ذي زرعٍ عندَ بيتِهِ المحرَّمِ، حيثُ لا أنيسَ ولا جليسَ ولا زرعَ ولا ضرعَ ولا ماءَ، وعندما حَطَّ سيِّدُنا إبراهيمُ عليه السَّلامُ رَحْلَ زوجتِهِ وتَرَكَها وصبيَّها، قالت له المرأةُ الضَّعيفةُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ ــ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَاراً ــ وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا. رواه الإمام البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ

عَنهُما.

يا عباد الله، وها نحنُ نشربُ من ماءِ زمزمَ الذي هوَ من بَرَكاتِ هذهِ المرأةِ المؤمنةِ الموقنةِ بالله تعالى عندَ الشَّدائِدِ والمِحَنِ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، عندما تضيقُ الصُّدورُ وتبلُغُ القلوبُ الحناجِرَ ويأتي البلاءُ من كلِّ جانبٍ، هناكَ تظهَرُ معادنُ الناسِ، فمنهمُ المؤمنُ الموقنُ بربِّهِ، وهذا الذي يعيشُ بالأملِ الموعودِ به من ربِّهِ عزَّ وجلَّ، ومنهم ضعيفُ الإيمانِ أو عديمُهُ الذي لا يرى إلا ما تراهُ عينُهُ، ولا يُصدِّقُ إلا ما تُحِسُّهُ حواسُهُ، فتسودُّ الدُّنيا في عَينَيهِ.

يا عباد الله، لِنُصَنِّفَ أنفُسَنا في هذهِ الشَّدائِدِ، هل الواحدُ منَّا في أيَّامِ الشَّدائِدِ وهوَ يتطلَّعُ إلى الفَرَجِ يقولُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾؟ أم يقولُ العبدُ ما قالَهُ المنافقونَ: ﴿ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً﴾؟

يا عباد الله، لا تكرهوا الفِتَنَ، لأنَّ فيها حَصادَ المنافقينَ كما وَرَدَ في الأثرِ، وسلوا اللهَ تعالى أن يحفظَكُم منها ظاهراً وباطناً، وكونوا على حَذَرٍ من طَلَبِها.

يا ربِّ نسألُكَ فَرَجاً عاجلاً غيرَ آجلٍ من حيثُ لا نحتَسِبُ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

301ـ كلمة الأسبوع: الصحبة وأثرها في الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ الصُّحبةَ الصّالِحَةَ نِعمةٌ كُبرى من نِعَمِ الله تعالى يُسبِغُها على من سَبَقَت لهم من الله الحُسنى، فهيَ سَبَبٌ لزيادةِ الإيمانِ، وسَبَبٌ لقُربِ العبدِ من ربِّهِ، وسَبَبٌ للوُصولِ إلى الخيرِ وفِعلِهِ، وسَبَبٌ لمنعِ العبدِ من الشَّرِّ والوُقوعِ فيه، وسَبَبٌ لِبُعدِ الشَّيطانِ عن العبدِ، والجليسُ يتأثَّرُ من جليسِهِ سلباً أو إيجاباً، ويُعرفُ بينَ النّاسِ بصفاتِ من يُجالِسُ.

التّرغيبُ في مُجالسةِ الصّادقينَ الصّالحينَ:

يا عباد الله، لقد أَمَرَ اللهُ تعالى عِبادَهُ الذين اتّصفوا بالتّقوى بِصُحبةِ الصّادقينَ الصّالحينَ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. والصّادِقُ هوَ الصّالِحُ، فإذا كانَ أهلُ التّقوى أُمِروا بِصُحبةِ الصّادقينَ، فغيرُهُم مشمولٌ بالأمرِ من بابِ أولى.

فمن أرادَ اللهُ تعالى به خيراً جَعَلَ له صاحباً صادِقاً صالِحاً، أخرج أبو داوود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالْأَمِيرِ خَيْراً جعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ

ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ». فالصَّديقُ الصَّادِقُ الصَّالِحُ يُعينُكَ على ما ينفعُكَ، وغيرُهُ يُعينُكَ على ما يضُرُّكَ.

يا عباد الله، مَن أرادَ سعادَةَ الدُّنيا وسعادَةَ الآخرةِ، وأرادَ زيادةَ الإيمانِ، وأن يكونَ مع الذينَ أنعمَ اللهُ عليهم من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالِحينَ لِيَسمعْ توجيهَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في الأصحابِ والأصدقاءِ:

أولاً: روى أبو يعلى عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما قال: قيل: يا رسولَ الله: أيُّ جُلَسائِنَا خَيْرٌ؟ قال: «مَن ذَكَّرَكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ، وزَادَ في عِلْمِكُم مَنطِقُهُ، وَذَكَّرَكُم بالآخِرَةِ عَمَلُهُ».

ثانياً: روى الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

ثالثاً: روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً».

رابعاً: روى البيهقي عن عمرَ بنِ الخطّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: (لا تَعرَّضْ فيما لا يَعنيكَ، واعتَزِلْ عَدُوَّكَ، واحتَفِظْ من خَليلِكَ إلا الأمينَ، وإنّ الأمينَ ليسَ من

القومِ أحدٌ يعدِلُهُ، ولا أمينَ إلا من خَشِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ، ولا تَصحَبِ الفاجرَ كي يَحمِلَكَ على الفُجورِ، ولا تُفشِ إليهِ سِرَّكَ، وشاوِرْ في أمرِكَ الذين يخشَونَ اللهَ عزَّ وجلَّ). وقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِداً﴾.

ثمراتُ مُجالسةِ الصّادقينَ الصّالِحينَ:

يا عباد الله، ما أُمِرنا بمُجالسةِ الصّادِقينَ الصّالِحينَ من قِبَلِ مولانا عزَّ وجلَّ، ومن قِبَلِ حبيبِنا الأعظمِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلا من أجلِ سعادَتِنا في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ، فمِن ثمراتِ مُجالسةِ الصّادِقينَ الصّالِحينَ من عِبادِ الله تعالى:

أولاً: زيادةٌ في إيمانِ العبدِ، روى الإمام مسلم عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيراً، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فوالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ

وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيراً، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ــ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ــ.

وروى أبو داوود عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله وَأَعْطَى لله وَمَنَعَ لله فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

ثانياً: مغفرةٌ للذُّنوبِ، كما جاءَ في الحديث المشهور الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لله مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ» ثمّ قال في آخر الحديث: «فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ــ وفي رواية الإمام مسلم: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ــ».

ثالثاً: يستحقُّ العبدُ مَحبَّةَ الله تعالى، روى الإمام أحمد عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَأْثُرُ عَنِ الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «(وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ فِيَّ، وَيَتَجَالَسُونَ فِيَّ، وَيَتَبَاذَلُونَ فِيَّ)».

رابعاً: يُحشرُ العبدُ مع الذين أنعمَ اللهُ تعالى عليهم، روى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَجُلا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: لَا، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ: فَأَنَا أُحِبُّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ لِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَعْمَلُ بِعَمَلِهِمْ.

خامساً: يغبِطُهُمُ الأنبياءُ والشُّهداءُ، روى أبو داوود عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاساً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ الله تَعَالَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فوالله إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، الصُّحبةُ لها أثرٌ عظيمٌ في إيمانِ العبدِ سلباً أو إيجاباً، فكونوا حريصينَ على الصُّحبةِ الصَّالِحةِ، واحذروا الصُّحبةَ السَّيِّئةَ، لأنَّهُ ما كانَ أفسَدَ على أبي طالبٍ من صُحبةِ السُّوءِ، روى الإمام البخاري عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ

الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ».

وصدق اللهُ تعالى القائلُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾. وهذهِ الآيةُ نَزلت في عُقبةَ بنِ أبي مُعَيط وخليلِهِ أميَّةَ بنِ خلف.

يا عباد الله، كلُّ صَداقةٍ وكلُّ خُلَّةٍ في الحياةِ الدُّنيا تنقلبُ إلى عداوةٍ يومَ القيامةِ إلا صَداقةَ وخُلَّةَ الصَّادِقينَ المتَّقينَ، قال تعالى: ﴿الأَخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾.

اللّهُمَّ وفِّقنا للصُّحبةِ الصَّالِحةِ، واحشُرنا مع الصَّالِحينَ في كلِّ العوالِمِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

302ـ كلمة الأسبوع: لقد طوي عام هجري كامل بأعمال العباد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ها نحنُ نستقبلُ عاماً هِجريّاً جديداً، ونُودِّعُ عاماً طُوِيَت صَحيفَتُهُ، إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شرّاً فشرٌّ، والكلُّ سَيُعرَضُ عليه عَمَلُهُ يومَ القيامةِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ واللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾. وقال تعالى:

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾. وقالَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ الله وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئاً قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» رواه الإمام البخاري عَنْ عَدِيٍّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وفي رواية الإمام مسلم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

فالسَّعيدُ من العبادِ من خَرَجَ من الدُّنيا وذِمَّتُهُ بريئةٌ من حُقوقِ العبادِ، وقد سَلِمَ المسلمونَ من لسانهِ ويَدِهِ، والشَّقيُّ الخاسِرُ من خَرَجَ من الدُّنيا وذِمَّتُهُ مشغولةٌ بحُقوقِ العبادِ، و لم يسلَمِ المسلمونَ من لسانِهِ ولا من يَدِهِ ــ والعياذُ باللهِ تعالى ــ.

لماذا أُخرجَ المهاجرونَ من مكّةَ المكرَّمة؟:

يا عباد الله، ها نحنُ نُوَدِّعُ عاماً ونستقبلُ عاماً، والنَّاسُ يتكلّمونَ عن حديثِ الهِجرةِ، عن هِجرةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وأصحابِهِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم من مكّةَ المكرَّمَةَ إلى المدينةِ المنوَّرةِ، وربُّنا عزَّ وجلَّ يَذكُرُ لنا قِصَّةَ المهاجرينَ في القرآنِ العظيمِ لِنَقيسَ أنفُسَنا عليهم، ولِنَرى الفارِقَ الكبيرَ بيننا وبينَهُم، قال تعالى في حقِّ المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ

الصَّادِقُون﴾. هؤلاءِ الصَّادِقونَ أُخرِجوا من دِيارِهِم وأموالِهِم بلا ذنبٍ، ذنبُهُم أنَّهُم رَضوا بالله تعالى ربّاً، وبالإسلامِ دِيناً، وبسيّدِنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نبيّاً ورسولاً، وبالقرآنِ كتاباً ودُستوراً، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلا أَن يُؤْمِنُوا باللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾.

ما أُخرِجوا من دِيارِهِم وأموالِهِم بِسَبَبِ أكلِهِمُ الرِّبا والرِّشوةَ وأموالَ النّاسِ بالباطِلِ، ولا بِسَبَبِ ارتِكابِ الموبِقاتِ، ولا بِسَبَبِ انتِشارِ الزِّنا والخمرِ، ولا بِسَبَبِ سُفورِ نسائِهِم واختِلاطِ الرِّجالِ بالنِّساءِ، ولا بِسَبَبِ تركِهِمُ الصَّلاةَ والصِّيامَ والزَّكاةَ، ولا بِسَبَبِ الكُفرِ وسبِّ الله تعالى ورسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولا بِسَبَبِ السُّخرِيَةِ والاستِهزاءِ في دِينِ الله تعالى، ولا بِسَبَبِ شِقاقِهِم ونِفاقِهِم، بل أُخرِجُوا بِسَبَبِ إيمانِهِم واستِقَامَتِهِم قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

من صفاتِ الصّادِقِينَ:

يا عبادَ الله، لِنَقِفْ مع وَصْفِ الله تعالى للمهاجِرينَ، حيثُ قال تعالى فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون﴾. فقولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون﴾. خَبَرٌ، والخَبَرُ من الله تعالى لا يقبلُ النَّسْخَ، فلقد شَهِدَ اللهُ تعالى لهم بالصِّدقِ.

بأيّ شيءٍ صَدَقوا؟

يا عبادَ اللهِ، باختصارٍ شديدٍ قال الله تعالى فيهم: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. ومن جملةِ ذلك:

أولاً: صَدَقوا في إيمانِهم بالله تعالى، وبالقرآنِ العظيمِ جُملةً وتَفصيلاً، ومن جُملةِ ذلكَ صِدْقُ إيمانِهم بقولِهِ تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين﴾. وصِدْقُ إيمانِهم بقولِهِ تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير﴾. وصِدْقُ إيمانِهم بقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وصِدْقُ إيمانِهم بقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الْأَقْلَامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ» رواه الإمام أحمد عَن بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

ثانياً: صَدَقوا في إيمانِهم بأنّ اللهَ تعالى هوَ مُسبِغُ النِّعَمِ، ومن أجَلِّ النِّعَمِ وأعظَمِها التي أسبغها اللهُ تعالى عليهِم نعمةُ الإيمانِ، حيثُ حَبَّبَ اللهُ تعالى إلى قُلوبِهِمُ الإيمانَ، وكرَّهَ إليهِمُ الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيانَ، وحُرِمَ الكثيرُ منها، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ

وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُون * فَضْلاً مِّنَ الله وَنِعْمَةً واللهُ عَلِيمٌ حَكِيم﴾.

صَدَقوا في إيمانِهم بأنّ اللهَ تعالى هوَ الذي شَرَحَ صُدورَهُم للإسلامِ، وحُرِمَ الكثيرُ من هذهِ النّعمةِ، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء﴾.

ماذا يبتغونَ من خُروجِهم؟:

يا عباد الله، تدبّروا قولَ الله تعالى في حقّ المهاجرينَ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً﴾. وهوَ شهادةٌ من الله تعالى بإخلاصِهِم في أعمالِهم، فما فَعَلوا ذلكَ إلا رَجاءَ أن يتفضّلَ عليهم ربُّنا عزّ وجلّ بِمَنّهِ ورَحمتِهِ، وأن ينظُرَ إليهم نظرةَ رِضا، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً﴾.

والعبدُ إذا امتَلأَ قلبُهُ بهذا الإحساسِ، بأنّهُ بحاجةٍ إلى الله تعالى، وبحاجةٍ إلى فضلِهِ ورِضوانِهِ، فإنّهُ بلا شكٍّ لا يرى لِنفسهِ أيَّ فضلٍ فيما قدَّمَ، بل يَستَجدِ رحمةَ الله تعالى بِفضلِهِ، ويطلُبُ الجنّةَ بِفضلِهِ، ويطلُبُ رِضا الله تعالى بِفضلِهِ، ويطلبُ معيّةَ الذين أنعمَ اللهُ عليهم بفضلِهِ، مُتأسّياً بذلكَ بقولِ النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَداً الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها.

وقد شَهِدَ اللهُ تعالى لهم بهذهِ المرتبةِ، مرتبةِ الافتقارِ إلى الله تعالى، مرتبةِ طلبِ المثوبةِ بالفضلِ بعدَ العملِ، مرتبةِ العَمَلِ مع الإخلاصِ، مرتبةِ العَمَلِ مع الاعتِمادِ

على الفضلِ لا على العَمَلِ، وذلكَ بقولِهِ تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾.

إنَّهُ لمقامٌ عالٍ وغالٍ، والسَّعيدُ من أُكرِمَ به، فمن يُضحِّي بكلِّ ما يملِكُ، ويفعلُ كلَّ ما يُؤمَرُ به، ويترُكُ كلَّ ما يُنهى عنهُ، ثمَّ لا يرى لِنفسِهِ فِعلاً يستحقُّ عليه المثوبةَ إلا بالفضلِ، فهذا شيءٌ عظيمٌ لا يُلهَمُهُ إلا من سَبَقَت لهم من اللهِ الحُسنى، اللّهُمَّ اجعلنا منهم. آمين.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا أُمَّةَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لقد طُوِيَ العامُ بأعمالِنا ــ وأنا واثقٌ بأنَّ أكثَرَنا غيرُ راضٍ عن أعمالِهِ التي طُوِيَت ورُفِعَت إلى اللهِ تعالى ــ فهل من مُجَدَّدٍ للتوبةِ للهِ عزَّ وجل في بدايةِ هذا العامِ الجديدِ، وهل من ساعٍ للتَّحقُّقِ بصفات الصادقينَ من أصحاب سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وخاصَّةً ونحنُ نعيشُ هذهِ الأزمةِ، حيثُ الشِّدَّةُ أودت بالمُهَجِ، نسألُ اللهَ تعالى أن يُعجِّلَ بالفَرَجِ.

يا عبادَ اللهِ، يجبُ علينا أن لا ننسى شَهادةَ اللهِ تعالى في المهاجِرينَ، بقولِهِ تعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. مع شِدَّةِ الابتلاءِ الذي أصابهم بسببِ إخراجِهِم من ديارِهِم وأموالِهِم، حيثُ أخرِجوا من دارٍ إلى لا دار، ومن مالٍ إلى لا مال، ومع ذلك فهم ينصرونَ اللهَ بتحليلِ الحلالِ وبتحريمِ الحرامِ وينصرونَ رسولَ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ باتِّباعِ سُنَّتِهِ.

يا عبادَ الله، فهل نحنُ ننصر اللهَ ورسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بالتزامِ الكتابِ والسُنَّة؟ في اليُسرِ والعُسرِ، والمَنشَطِ والمَكرَهِ، مع الإخلاصِ لله تعالى في ذلكَ. اللّهُمَّ وفِّقنا لذلكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

303ـ كلمة الأسبوع: هل ينطبق علينا وصف المهاجرين؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقدِ انطوى عامٌ هِجريٌّ كاملٌ من أعمارِنا، وهوَ شاهدٌ على أعمالِنا، اِنطوى هذا العامُ بالأعمالِ التي صَدَرت منّا وهيَ مَحصِيّةٌ علينا، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وما ذاكَ إلا لِعرضِها علينا يومَ القيامةِ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ﴾. ثمّ يُقالُ لكلِّ عبدٍ فينا: ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾. فبأيِّ شيءٍ سيقضي كلٌّ واحدٍ منّا على نفسِهِ؟ ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

صنِّف نفسَكَ:

يا عبادَ الله، عندما يأتي رأسُ السَّنةِ الهِجريَّةِ على الأمَّةِ المحمَّديَّةِ، الكلُّ يبدأ بذِكرِ الهِجرةِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ، وبذكرِ هِجرةِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهُم إلى المدينةِ المنوَّرةِ، وبذكرِ الأنصارِ الذين استقبلوا إخوانَهُمُ المهاجرين، ويترنَّمُ بالآياتِ الكريمةِ التي تتحدَّثُ عن المهاجرينَ والأنصارِ، وذلك من خلالِ قولِهِ تباركَ وتعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾.

ويقولُ كلُّ واحدٍ منَّا هؤلاءِ همُ المُهاجِرونَ الذينَ شَهِدَ اللهُ تعالى لهُم بالصِّدقِ، وهؤلاءِ همُ الأنصارُ الذينَ شَهِدَ اللهُ تعالى لهُم بالفلاحِ، والكثيرُ منَّا لا يُتابِعُ الآياتِ الكريمةِ التي جاءت بعدَ ذِكرِ المُهاجرينَ والأنصارِ، حيثُ يقولُ اللهُ تبارَكَ وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم﴾.

يا عبادَ الله، لِيَسألْ كلُّ واحِدٍ منَّا نفسهُ هل ينطبقُ علينا وصفُ المُهاجِرينَ؟ هل فيه وصفُ المهاجرين؟

وصفُ المهاجرين:

يا عبادَ الله، لقد أُخرِجَ المُهاجِرونَ من دِيارِهِم وأموالِهِم من غيرِ ذنبٍ إلا أنَّهُم آمنوا بربِّهِم، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ﴾. وكما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

ما أخرجوا من دِيارِهِم وأموالِهِم بسببِ المُوبِقاتِ من كُفرٍ وسبٍّ للذَّاتِ الإلهيَّةِ، وسبٍّ للمقامِ المُحمَّديِّ، ولا بسببِ الرِّبا وانتشارِ الرِّشوَةِ والزِّنا، ولا بسببِ سُفورِ نسائِهِم واختلاطِ الرِّجالِ بالنِّساءِ، ولا بسبَبِ تركِهِمُ الصَّلاةَ والصِّيامَ والزَّكاةَ، بل أُخرِجوا بسبَبِ إيمانِهِمُ الصَّادقِ، حيث تطابَقت أفعالُهم مع إيمانِهِم.

يا عبادَ الله، لقد وَصَفَهُمُ اللهُ تعالى:

أولاً: بقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن اللهِ وَرِضْوَاناً﴾. يبحثونَ ويطلبونَ من الله تعالى أن يُعامِلَهُم بالفضلِ لا بالعَدلِ، لأنَّهُم عَرَفوا بأنَّ الإيمانَ نعمةٌ من الله تعالى عليهِم، وعَرَفوا بأنَّ الإسلامَ نِعمةٌ من الله تعالى عليهم، فما كانَ إيمانُهُم وشرحُ صُدورِهِم للإسلامِ إلا بفضلٍ من الله تعالى، ألم يقل الله تعال لهم: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾؟ ألم يقل الله تعال لهم: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾؟ فأيُّ مَثوبةٍ يطلُبونَها من الله تعالى على عَمَلِهِمُ الصَّالحِ الذي هوَ نِعمةٌ من الله تعالى عليهم يستحقُّ الشُّكرَ عليها؟

لقد عَرَفوا من سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وُجوبَ الطَّاعةِ، ووُجوبَ امتِثالِ الأمرِ، بفعلِ المأموراتِ وبتركِ المحظوراتِ، ثمَّ السُّؤالَ لله

تعالى أن يُعامِلَهُم بالفضلِ، وذلكَ من خلالِ بيانِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لهم بقوله: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَداً الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها.

يا عبادَ الله، المهاجرونَ التَزموا دِينَ الله تعالى، وأُخرِجوا من دِيارِهِم وأموالِهِم بغيرِ حقٍّ فَصَبروا وطَلَبوا من الله تعالى أن يُعامِلَهُم بالفضلِ، وأن ينالوا منه الرِّضا، أن ينالوا منه نظرةَ رِضا، وكأنّ لسانَ حالِهِم يقولُ:

فَلَيتَكَ تحـــــلو والحياةُ مَـــــريرةٌ *** وَلَيتَكَ تَرضى والأنامُ غِضابُ

وَلَيتَ الذي بيني وبينَكَ عامِرٌ *** وبيني وبينَ الـــعالمينَ خَـــــرابُ

ثانياً: وَصَفَهُمُ اللهُ تعالى بقوله: ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. مع الشِّدَّةِ التي مرَّت عليهم، مع الظُّلمِ الذي وَقَعَ عليهم، مع إخراجِهِم من دِيارِهِم وأموالِهِم، مع التَّفريقِ بينَهُم وبينَ أُصولِهِم وفُروعِهِم وأزواجِهِم، ونُصرةُ الله تعالى لهم كانت بالتِزامِ القرآنِ العظيمِ بتحليلِ حلالِهِ وبتحريمِ حرامِهِ، ونُصرةُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بتطبيقِ سُنَّتِهِ مع هذهِ الشِّدَّةِ والابتِلاءاتِ.

يا عبادَ الله، هكذا كانَ وصفُهُم فاستحقُّوا شهادةَ الله تعالى لهم بقوله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. وهذا خَبَرٌ من الله تعالى لا يقبلُ النَّسخَ.

خاتمةٌ نسألُ اللهَ تعالى حسنها:

يا عبادَ الله، أينَ نحنُ من هؤلاءِ الصَّادقين؟ أينَ نحنُ من الالتزامِ بكتابِ الله تعالى

وبسُنَّةِ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ أينَ نحنُ من الإخلاصِ في الأعمالِ؟ أينَ نحنُ من رجائنا لله تعالى أن يُعامِلَنا بالفضلِ بعدَ الاستقامةِ؟ أينَ نحنُ من نُصرةِ الله تعالى ورسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في الشّدائِدِ والمِحَنِ؟

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

304ـ كلمة الأسبوع: هل ينطبق علينا وصف الأنصار؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

الصّادِقُ في محبَّةِ سيِّدِنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُعطِي أجمَلَ صورَةٍ وأنقاهَا عن هذهِ المحبَّةِ، ولا أظُنُّ أنَّ أحداً كانَ أعظَمَ صِدْقاً في محبَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من الصَّحبِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنهُم.

نَعَمْ، لقد ظَهَرتْ صِفاتُ المَحبوبِ في المُحِبِّ، وظَهَرتْ صِفاتُ المَتبوعِ في التَّابِعِ، وظَهَرتْ صِفاتُ وأخلاقُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَّمَ في الصَّحابَةِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم، حتَّى شَهِدَ اللهُ تعالى لهم بذلكَ بقولِهِ تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

من صِفاتِ الأنصارِ:

يا عبادَ اللهِ، لقد شَهِدَ اللهُ تعالى للمُهاجِرينَ بالصِّدقِ في إيمانِهِم، وبالصِّدقِ في نِيَّاتِهِم، وبالصِّدقِ في التِزامِهِم بقولِهِ تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. شهادَةٌ من اللهِ تعالى لَهُم، شهادَةٌ من الخالِقِ للمَخلوقِ، فهل من شاهِدٍ لنا من الخَلْقِ في صِدقِنا؟ نحنُ بحاجَةٍ إلى الصِّدقِ الذي كانَ عندَ المُهاجِرينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

أمَّا بالنِّسبَةِ للأنصارِ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنهُم، فقد وَصَفَهُمُ اللهُ تعالى لنا بالصِّفاتِ التي تحقَّقوا فيها، ثمَّ شَهِدَ لهم بالفلاحِ، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. فَصِفاتُ الأنصارِ:

أولاً: الحُبُّ لبعضِهِمُ البعضِ، الحُبُّ لإخوانِهِمُ المهاجِرينَ، الحُبُّ الصَّادِقُ، حيثُ أحبُّوا لإخوانِهِم ما أحبُّوهُ لأنفُسِهِم، وبذلكَ كَمُلَ إيمانُهُم، لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وعندما كانوا صادِقِينَ في هذا الحُبِّ كانوا كالجَسَدِ الواحِدِ الذي أشارَ إليه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقولِهِ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه الإمام مسلم عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ثانياً: التَّجَرُّدُ من الحَسَدِ تُجاهَ إخوانِهِمُ المهاجِرينَ مهما أوتوا من شيءٍ مادِّيٍّ أو مَعنَوِيٍّ، فَصُدورُهُم صافِيَةٌ طاهِرَةٌ، لا تنطوي على غِلٍّ ولا على حساسِيَةٍ تُجاهَ إخوانِهِمُ المهاجِرينَ، كما أنَّها واسِعَةٌ لا تضيقُ بتقديمِهِم أو تقَدُّمِهِم.

وكذلكَ هُم قانِعونَ راضونَ بما آتاهُمُ اللهُ تعالى ولو كانَ قليلاً، لأنَّهُم سَمِعوا حديثَ الحبيبِ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الترمذي عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافىً فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».

فَصُدورُهُم سليمةٌ من الحِقدِ والحَسَدِ تُجاهَ إخوانِهِمُ المهاجِرينَ إذا أكرَمَهُمُ اللهُ تعالى بشيءٍ، وقُلوبُهُم راضِيَةٌ بما قَسَمَ اللهُ تعالى لهم ولو كانَ قليلاً.

ثالثاً: الإيثارُ، الذي هوَ رحمةٌ من اللهِ تعالى يُسكِنُها قُلوبَ من أحَبَّ من عِبادِهِ، والإيثارُ هوَ تقديمُ الغيرِ على النَّفسِ في حُظوظِها الدُّنيوِيَّةِ، رَغبةً في الحُظوظِ

الدِّينيِّةِ.

يا عباد الله، الأنصارُ بشهادَةِ الله تعالى تجاوزوا مرحلةَ العدْلِ إلى الفضْلِ، تجاوزوا مرحلةَ الإسلامِ إلى الإحسانِ، لم يقتَصِروا على دَفْعِ الزّكاةِ التي هيَ من صِفاتِ المسلمينَ التي أشارَ اللهُ تعالى إليها بقولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. بل ارْتَقَوا إلى العطاءِ بدونِ حُدودٍ، وهذا من صِفاتِ المحسنينَ الذينَ أشارَ اللهُ تعالى إليهم بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِين * كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

من الذي يستطيعُ الإيثارَ؟:

يا عباد الله، إنّ الإيثارَ خُلُقٌ لا يستطيعُهُ إلا من أيقَنَ بأنّ اللهَ تعالى سوفَ يُخلِفُ عليه، وأنّ اللهَ تعالى سيُكافيه عليه أضعافاً مُضاعفةً، فمن آمَنَ بالله تعالى واليومِ الآخرِ فإنّهُ يَبني حياتَهُ على العطاءِ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِين﴾. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إنّ الإيثارَ خُلُقٌ لا يستطيعُهُ إلا من عَلِمَ بأنّ الدُّنيا مزرعةٌ للآخِرَةِ، وعَلِمَ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ

وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ» رواه الإمام أحمد عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وعَلِمَ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اِغْتَنِمْ خَمْساً قَبلَ خَمسٍ: شَبابَكَ قَبلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبلَ سَقَمِكَ، وَغِناءَكَ قَبلَ فَقْرِكَ، وَفَراغَكَ قَبلَ شُغْلِكَ، وَحَياتَكَ قَبلَ مَوْتِكَ» رواه الحاكم عن ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

إنّ الإيثارَ خُلُقٌ لا يستطيعُهُ إلا منِ استَحضَرَ الجنّةَ ونعيمَها، وامتَثَلَ قولَ الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. وامتَثَلَ قولَ الله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

إنّ الإيثارَ خُلُقٌ لا يستطيعُهُ إلا منِ امتلأ قلبُهُ رحمةً على عِيالِ الله تعالى، وسَمِعَ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وفي رواية الترمذي وأبي داوود: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ». وسَمِعَ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ» رواه الطبراني في الكبير عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

خاتمةٌ نسأل الله تعالى حُسنها:

يا عباد الله، لِيسألْ كلٌّ واحدٍ منّا نفسَهُ: أينَ أنا من صِفاتِ المهاجرينَ؟ وأهمُّها الصِّدْقُ. وليسألْ كلٌّ واحدٍ منّا نفسَهُ: أينَ أنا من صِفاتِ الأنصارِ؟ وأهمُّها اللإيثارُ.

يا عباد الله، واللهِ لا خَيْرَ فينا إذا لم نَهتدِ بِهَدْيِ المهاجرينَ والأنصارِ الذينَ اهتَدَوْا بِهَدْيِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، واحفَظوا قولَ الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

** ** **

305ـ كلمة الأسبوع: خلق السلف الصالح الإيثار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

فقد ربّى الإسلامُ أتباعَهُ وخاصّةً في الصّدرِ الأوّلِ منه على خُلُقِ الإيثارِ، الذي هوَ تقديمُ الغيرِ على النّفسِ في حُظوظِها الدُّنيويّةِ رَغبةً في الحُظوظِ الدّينيّةِ، ولكنْ هذا الخُلُقُ لا يستطيعُ أن يتحقّقَ به إلا من آثَرَ رِضا الله تعالى على رِضا غيرِهِ، وإن عَظُمَت فيه المِحَنُ، وثَقُلَت فيه المُؤَنُ، وضُعُفَ عنه الطُّولُ والبَدَنُ.

خُلُقُ الإيثارِ لا يستطيعُهُ إلا من امتَثَلَ أمرَ الله تعالى، وفَعَلَ ما يُرضي اللهَ تعالى، ولو أغضَبَ الخلقَ جميعاً، و لم تأخُذْهُ في إيثارِ رِضاهُ لومةُ لائمٍ، وجَعَلَ همَّهُ وعزمَهُ كلَّهُ مَقصوراً على مَرضاةَ الله تعالى، لأنّ إرضاءَ النّاسِ غايةٌ لا تُدركُ، كما قال الإمامُ الشّافعيُّ رحمه الله تعالى: رِضا النّاسِ غايةٌ لا تُدركُ، فعليكَ بما فيه صلاحُ نفسِكَ فالزَمْهُ، ومعلومٌ أنْ لا صلاحَ للنّفسِ إلا بإيثارِ رِضا ربِّها ومولاها على غيرِها، ولقد أحسنَ من قال:

فَــليَتَكَ تحلــو والحــياةُ مَــــريرةٌ *** وَلَيتَكَ تَرضى والأنامُ غِضابُ

وَلَيتَ الذي بيني وبينَكَ عامِرٌ *** وبيني وبــينَ العــالمينَ خَــرابُ

إذا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ *** وَكُلُّ الذِي فَوْقَ التُّرابِ تُرَابُ

إيثارُ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أيُّها الإخوة الكرام: سيّدُ أهلِ الإيثارِ هوَ معلّمُ البشريّةِ الإيثارَ سيّدُنا محمّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حيثُ كانَ يُؤثِرُ غيرَهُ على نفسِهِ، ويُعلّمُ أصحابَهُ أن يُؤثِروا غيرَهُم على أنفُسِهِم، أخرج الإمام البخاري عن مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كَانَ يَقُولُ: أَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ

لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنْ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْماً عَلَى طَرِيقِهِم الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «الْحَقْ» وَمَضَى، فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَناً فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ ـــ أَوْ فُلَانَةُ ـــ قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئاً، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ الله وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ الْبَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ

فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً، قَالَ: »فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ الله وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ.

إيثارُ سعدِ بنِ الرَّبيعِ:

أيُّها الإخوة الكرام: لقد تربَّى الصَّحبُ الكرامُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم على هذا الخُلُقِ من سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حتَّى وَصَلوا إلى درجةٍ من الإيثارِ تكادُ أن تفوقَ الخيالَ، ولولا النَّقلُ الصَّحيحُ لما استطاعَ أحدٌ أن يتصوَّرَ هذا الإيثارَ، قد يتصوَّرُ الإنسانُ خُلُقَ الإيثارِ في الطَّعامِ والشَّرابِ والمالِ، أمَّا أن يكونَ الإيثارُ في الزَّوجة، فهذا شيءٌ ما استطاعَ عليه أحدٌ إلا من تربَّى على خُلُقِ الإيثارِ من كتابِ الله تعالى ومن سُنَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أخرج الإمام البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ، فَآخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئاً مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ،

قَالَ: «فَمَا سُقْتَ فِيهَا؟» فَقَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ».

وفي روايةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ.

ومعنى وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ: أي أثرٌ من زعفران، ومعنى مَهْيَمْ: أي ما حالُكَ وما شأنُكَ؟ كلمةٌ يستفهِمُ بها.

إيثارُ الأشعريّينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم:

أيُّها الإخوة الكرام: المِحَنُ والابتِلاءاتُ تكشِفُ مَعادنَ النّاسِ، وتكشِفُ أصحابَ الدّعاوى مِمّن يتكلّمُ بالأخلاقِ والرّحمةِ والإنسانيّةِ، أخرج الشيخان عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ». ومعنى أَرْمَلُوا: أي فَنِيَ طعامُهُم.

إيثارُ أنصاريٍّ من الأنصارِ:

أيُّها الإخوة الكرام: سِيرةُ سَلَفِنا الصّالِحِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم إمّا أن تكونَ حُجّةً لنا أو علينا، اِسمعوا حديثَ سيّدِنا أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، الذي رواه الإمام البخاري:

أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَضُمُّ ـــ أَوْ يُضِيفُ ـــ هَذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ ـــ أَوْ عَجِبَ ـــ مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ومعنى نَوِّمِي صِبْيَانَكِ: أي كلِّليهم بشيءٍ.

إيثارُ السِّيِّدةِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنها:

أيُّها الإخوة الكرام: من أعظمِ أنواعِ الإيثارِ إيثارُ أمِّنا الطّاهرةِ الصِّدِّيقةِ بنتِ الصِّدِّيقِ زوجِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وحبيبتِهِ المُبرَّأةِ من فوقِ سبعِ سماوات، حيثُ آثَرَت أن يُدفَنَ سيِّدُنا عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ بجانبِ الصِّدِّيقِ الذي هوَ بجوارِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أخرج الإمام البخاري عن عُمَرَ بنِ الخطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقُلْ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلَامَ، ثُمَّ سَلْهَا أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ

لِنَفْسِي، فَلَأُوثِرَنَّهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي ،فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَهُ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمُوا، ثُمَّ قُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَداً أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَمَن اسْتَخْلَفُوا بَعْدِي فَهُوَ الْخَلِيفَةُ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، فَسَمَّى: عُثْمَانَ وَعَلِيَّاً وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَوَلَجَ عَلَيْهِ شَابٌّ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللهِ كَانَ لَكَ مِنْ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ الشَّهَادَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ، فَقَالَ: لَيْتَنِي يَا ابْنَ أَخِي وَذَلِكَ كَفَافاً لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْراً أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ وَأُوصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْراً.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، إنّ خُلُقَ الإيثارِ دليلٌ على كمالِ الإيمانِ وحُسنِ الإسلامِ، وسببٌ لِحُصولِ الأُلفةِ والمحبَّةِ بينَ النّاسِ، ودليلٌ على سخاءِ النّفسِ وارتِقائِها، ودليلٌ على الرِّحمةِ التي جُبلَ عليها قلبُ صاحِبِهِ، وهوَ طريقٌ للوُصولِ إلى الفلاحِ في الدُّنيا والآخرةِ، لأنّ صاحِبَ خُلُقِ الإيثارِ لا يَقَعُ، وإذا وَقَعَ وَجَدَ مُتّكَأً، هذا في الحياةِ الدُّنيا، وأمّا في الآخرةِ فهوَ: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾.

اللّهُمّ وفِّقنا إلى هذا المُستوى برحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

306ـ كلمة الأسبوع: سمة مجتمعنا الأثرة لا الإيثار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد كانَ خُلُقُ سَلَفِنا الصَّالِحِ الإيثارُ، حيثُ تجاوزوا مَرحلةَ العدلِ إلى مَرحلةِ الفضلِ، فكانوا يتعامَلونَ فيما بينَ بعضِهِمُ البعضِ بالفضلِ وبالإيثارِ، كما شَهِدَ اللهُ تعالى لهم بذلكَ بقولِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. وبذلكَ كانوا كالجَسَدِ الواحِدِ إذا اشتكى منه عُضوٌ تداعى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى.

أمَّا خُلُقُ مُجتَمِعِنا اليومَ بشكلٍ عامٍّ ــ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى ــ هوَ الأَثَرَةُ التي هيَ ضِدُّ الإيثارِ، ونعوذُ باللهِ أن نتَّصِفَ بهذهِ الصِّفَةِ الذَّميمةِ التي هيَ ضدُّ ما كانَ عليه سَلَفُنا الصَّالِحُ، وخاصَّةً من المهاجِرينَ والأنصارِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

الأَثَرةُ ظُلمٌ وأيُّ ظُلمٍ:

أيُّها الإخوة الكرام: الأَثَرةُ ظُلمٌ وأيُّ ظُلمٍ يَقَعُ فيها العبدُ الغافلُ عن الله تعالى، فهيَ خُلُقٌ ذميمٌ يتَّصفُ به مَن آثَرَ الحياةَ الدُّنيا على الآخرةِ، وطغى طُغيانَ الجبابرَةِ ــ والعياذُ باللهِ تعالى ــ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

أيُّها الإخوة الكرام: إنَّ الأَثَرَةَ إذا تفشَّت في المجتَمَعِ وانتَشَرت وعمَّت وطمَّت تكونُ سبباً في عُزلةِ الصَّالِحينَ والأولياءِ والعارِفينَ والعُلماءِ العامِلينَ عن المجتَمَعِ، لأنَّ مُخالَطَةَ المجتَمَعِ الذي يتَّصِفُ بِصِفةِ الأَثَرَةِ تحتاجُ إلى صبرٍ عظيمٍ، أخرج الترمذي عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيراً، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «بَل ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحَّاً مُطَاعاً وَهَوىً مُتَّبَعاً وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعِ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّاماً الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ» قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»).

توجيهُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أيُّها الإخوة الكرام: لقد حدَّثَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أصحابَهُ الكرامَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم عن الأَثَرَةِ التي ما كانت في عصرِهِ، وأنَّها سوفَ تكونُ لاحِقاً.

أخرج الشيخان عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

وأخرج الإمام البخاري عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُوراً تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ».

وهذانِ الحديثانِ من مُعجزاتِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَّمَ.

يا صاحِبَ الأَثَرَةِ لن يُبارَكَ لكَ:

يا عباد الله، لقد أرشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الأمَّةَ لِنبذِ خُلُقِ الأَثَرَةِ الذَّميمِ، وبيَّنَ لِصاحِبَ الأَثَرَةِ بأنَّهُ لن يُبارَكَ له فيما يأخُذُ من حُقوقِ الآخَرينَ.

أخرج الشيخان عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى».

وقد بيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بأنَّ العبدَ يَشيبُ ويَشيبُ معهُ الحِرصُ إذا شابَ الحِرصُ وطُولُ الأمَلِ.

روى الإمام أحمد عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ لَابْتَغَى الثَّالِثَ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

هل من مُعتَبِرٍ؟:

أيُّها الإخوة الكرام: روى البيهقي عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: أنَّ مَلِكاً مِنَ الملوكِ خَرَجَ يَسيرُ في مَمْلَكَتِهِ وهوَ مُسْتَخْفٍ مِنَ النَّاسِ حتَّى نَزَلَ على رَجُلٍ له

بَقَرَةٌ، فَراحَت عليه تلك البَقَرَةُ فإذا حِلابُهَا مقدارُ حِلابِ ثلاثينَ بَقَرَةٍ، فَحَدَّثَ المِلِكُ نَفسَهُ أنْ يأخُذَها، فلمَّا كانَ الغَدُ غَدَا بالبَقَرَةِ إلى مَرعَاها، ثمَّ راحَت فَحُلِبَت يَنقُصُ لَبَنُها على النِّصفِ، وجاءَ مقدارُ حِلابِ خَمسَ عشرةَ بَقَرَةٍ، فَدَعَا المِلِكُ صاحِبَ مَنزِلِهِ، فقال: أخبرني مِمَّن بَقَرَتُكَ هذهِ؟ أَرَعَتِ اليومَ في غيرِ مَرعاها بالأمسِ؟ أو شَرِبَت في غيرِ مَشرَبِها بالأمسِ؟ فقال: لا ما رَعَتْ في غيرِ مَرعاها بالأمسِ، ولا شَرِبَتْ في غيرِ مَشرَبِها بالأمسِ، قال: فقال: ما بالُ لَبَنِها نَقُصَ على النِّصفِ؟ قال: رأى المِلِكُ هوَ أنْ يأخُذَها فَنَقَصَ لَبَنُها، فإنَّ المِلِكَ إذا ظَلَمَ أو هَمَّ بالظُّلمِ ذَهَبَتِ البَرَكَةُ، قال: وأنتَ مِن أينَ تَعرِفُ المِلِكَ؟ قال: هوَ ذاكَ كما قلتُ لكَ، قال: فَعاهَدَ المِلِكُ رَبَّهُ في نفسِهِ أنْ لا يأخُذَها ولا يَملِكَها، ولا تكونَ له في مُلكٍ أبداً، قال: فَغَدَتِ البَقَرَةُ فَرَعَتْ، ثمَّ راحَت ثمَّ حُلِبَتْ فإذا لَبَنُها قد عادَ على مقدارِ ثلاثينَ بَقَرَةٍ ، قال: فقال المِلِكُ بينَهُ وبينَ نفسِهِ: فاعتَبِرْ، فقال: إنَّ المِلِكَ إذا ظَلَمَ أو هَمَّ بالظُّلمِ ذَهَبَتِ البَرَكَةُ، لا جَرَمَ، لأعْدِلَنَّ أو لأكُونَنَّ على أفضَلِ أو نحوِ من ذلكَ.

فهل من مُعتَبِرٍ من كلِّ راعٍ استَرعاهُ اللهُ تعالى على رَعِيَّتِهِ بحديثِ سيِّدِنا عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما عن هذا المِلِكِ؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أَيُّها الإخوة الكرام: بالأَثَرَةِ تَحِلُّ النِّقَمُ وتذهبُ النِّعَمُ، وهيَ مِعولٌ هدَّامٌ وشرٌّ مُستطيرٌ، وبها يضيعُ العدلُ وينتفي خُلُقُ الكَرَمِ، وبها يَحِلُّ العَداءِ والكراهِيَةُ محلَّ المحبَّةِ والمودَّةِ في القُلوبِ، وهيَ سببٌ لانتِفاءِ كمالِ الإيمانِ، وقد تذهبُ بالإسلامِ

ـــ والعياذُ بالله تعالى ـــ وهيَ سببٌ لانحِلالِ عِقدةِ المجتَمعِ وانفِصامِ عُراهُ، وهيَ ظُلمٌ شديدٌ وأيُّ ظُلمٍ، بل إنّ ظُلمَها ينعَكِسُ على أصحابِها، بحيثُ تجعَلُهُم مَغرورينَ بأنفُسِهِم، حتّى يظُنُّوا أنّهُ لا تبديلَ ولا تغييرَ ولا مُداولةَ، ونسوا قولَ الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

جاء في الزّواجِر عن اقتِرافِ الكبائِرِ: أنّ يحيى بنَ خالدَ بنَ بَرمَك لَمَّا حُبِسَ وَوَلَدُهُ، قَالَ له وَلَدُهُ: يَا أَبَتِ، بَعْدَ الْعِزِّ صِرْنَا فِي الْقَيْدِ وَالْحَبْسِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيْلٍ غَفَلْنَا عَنْهَا، وَلَمْ يَغْفُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

307ـ كلمة الأسبوع: هل ينطبق علينا وصف الذين جاؤوا من بعدهم؟ (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد صَنَّفَ ربُّنا عزَّ وجلَّ المجتَمَعَ الإيمانِيَّ ثلاثَةَ أصنافٍ، الصِّنفُ الأوَّلُ هُمُ المهاجرونَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم، وقد شَهِدَ اللهُ تعالى لهم بالصِّدقِ فيما عاهَدوا اللهَ تعالى عليه، والصِّنفُ الثَّاني هُمُ الأنصارُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم، وقد شَهِدَ اللهُ تعالى لهم بالفلاحِ بِبَرَكَةِ سَلامةِ صُدورِهِم، والصِّنفُ الثَّالثُ هُمُ الذينَ جاؤوا من بعدِ المهاجرينَ والأنصارِ، وهؤلاءِ ضَمِنَ اللهُ تعالى لهم الفلاحَ والنَّجاحَ والرِّضا عنهُم بشرطِ الاتِّباعِ للمهاجرينَ والأنصارِ، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

صِفةُ الذينَ جاؤوا من بعدِهِم:

أيُّها الإخوة الكرام: لقد ذَكَرَ اللهُ تعالى الصِّنفَ الثَّالثَ من المجتَمَعِ الإيمانِيِّ وَوَصَفَهُم بالاتِّباعِ لا بالابتِداعِ، وَصَفَهُم بالأدَبِ الظَّاهِرِ والباطِنِ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فالوصفُ الأوَّلُ لهم: هوَ أدَبُهُم مع السَّلَفِ الصَّالِحِ، ومن مَظاهِرِ هذا الأدَبِ الدُّعاءُ لهم.

أمّا الوصفُ الثّاني: فهوَ أدَبُهُم مع المؤمنينَ حيثُ صُدورُهُم خاويةٌ من الغِلّ تُجاهَ من يقولُ: لا إله إلا اللهُ، مُحمَّدٌ رسولُ الله.

الأدَبُ عُنوانُ السّعادةِ:

أيُّها الإخوة الكرام: أدَبُ المرءِ عُنوانُ سعادَتِهِ وفلاحِهِ في الدُّنيا والآخرةِ، وقِلّةُ أدَبِهِ عُنوانُ شقائِهِ وبَوارِهِ في الدُّنيا والآخرةِ، فما استُجلِبَ خيرُ الدُّنيا والآخرةِ بِمِثلِ الأدَبِ، وما استُجلِبَ حِرمانُها بِمِثلِ قِلّةِ الأدَبِ.

أحقُّ من نَتَأدَّبُ معَهُم:

يا عباد الله، إنّ أحقَّ من نَتَأدَّبُ معَهُم بعدَ الأدَبِ مع الله تعالى، ومع سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، هُم أصحابُ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من المهاجرينَ والأنصارِ، من الذينَ آمَنوا قبلَ الفتحِ وبعدَ الفتحِ.

كيفَ لا نلتَزِمُ الأدَبَ معَهُم، واللهُ تعالى يقولُ في حقّهم: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير﴾؟

كيفَ لا نلتَزِمُ الأدَبَ معَهُم، واللهُ تعالى يقولُ في حقّهم: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾؟

كيفَ لا نلتَزِمُ الأدَبَ معَهُم، واللهُ تعالى يقولُ في حقّهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؟

كيفَ لا نلتَزِمُ الأَدَبَ معَهُم، وسيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ في حقِّهِم: «اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»؟ رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

كيفَ لا نلتَزِمُ الأَدَبَ معَهُم، وسيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ في حقِّهِم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»؟ رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

كيفَ لا نلتَزِمُ الأَدَبَ معَهُم، وسيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ في حقِّهِم: «دَعُوا لِي أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ أَوْ مِثْلَ الْجِبَالِ ذَهَباً مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا عباد الله، فَوَصفُ الذينَ جاؤوا من بعدِ المهاجرينَ والأنصارِ هوَ الأَدَبُ مع مَن سَبَقَهُم بالإيمانِ، ومع مَن شَهِدَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهم بالفلاحِ والنَّجاحِ، وإنَّ سُوءَ الأَدَبِ معَهُم عُنوانُ شقاءِ هذا العبدِ وخُسرانِهِ وبَوارِهِ في الدُّنيا والآخرةِ.

يا عباد الله، ومَن كانَ من أهلِ الأدَبِ مع المهاجرينَ والأنصارِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم، فهوَ كذلكَ من أهلِ الأدَبِ مع التّابعينَ وتابِعِيهِم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وخاصّةً من الأئمّةِ الأربعةِ أصحابِ المذاهِبِ الذينَ بِبَرَكَتِهِم وَصَلَ إلينا الفِقهُ المُستمَدُّ من الكتابِ والسُّنّةِ.

الأدَبُ سَبَبٌ للنّجاةِ من الضِّيقِ والشِّدّةِ:

يا عباد الله، إنّ الأدَبَ مع السَّلَفِ الصّالِحِ سَبَبٌ للنّجاةِ من الضِّيقِ والشّدائِدِ، وكيفَ لا يكونُ الأدَبُ معَهُم سَبباً للنّجاةِ من الضِّيقِ والشّدائِدِ وقد نجّى اللهُ تبارَكَ وتعالى ذاكَ الرَّجُلَ الذي حُبِسَ في الغارِ مع صاحِبَيهِ حينَ انطَبَقَت عليهِمُ الصَّخرةُ بِبَرَكَةِ أدَبِهِ مع والِدَيهِ؟ روى الإمام البخاري عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْماً فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً».

فيا عباد الله، إذا أرَدنا النّجاةَ مِمّا نحنُ فيه من شِدّةٍ وضِيقٍ، فعلينا بالتِزامِ الأدَبِ

مع سَلَفِنا الصَّالِحِ من المهاجرينَ والأنصارِ والتَّابِعينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم جميعاً، وخاصَّةً مع أصحابِ المذاهِبِ الأربعةِ التي تَلقَّتْها الأمَّةُ بالقَبول.

سُوءُ الأدَبِ سَببٌ للمِحنةِ والابتِلاءِ:

يا عباد الله، إنّ سُوءَ الأدَبِ مع السَّلَفِ الصَّالِحِ والتَّابعينَ سَببٌ للمِحنةِ والابتِلاءِ، وكيفَ لا يكونُ سَبباً للمِحنةِ والابتِلاءِ وقدِ ابتلى اللهُ عزّ وجلّ ذاكَ الرَّاهِبَ الذي طَرَقَت عليه أمُّهُ بابَهُ فتأوَّلَ عَدَمَ الرَّدِّ عليها بإقبالِهِ على الصَّلاةِ، فما ماتَ حتَّى ابتُلِيَ؟ روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، يُصَلِّي، فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهَا، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي؟ ثُمَّ أَتَتْهُ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجاً، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِياً فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَاماً، فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ». فإذا تأوَّلَ هذا الرَّجُلُ عَدَمَ الرَّدِّ بإقبالِهِ على الله عزّ وجلّ بالصَّلاةِ، فكيفَ بمَن يجترئُ على سُوءِ الأدَبِ مع الصَّحبِ الكِرامِ من المهاجرينَ والأنصارِ، ويجترِئُ على سُوءِ الأدَبِ مع التَّابِعينَ، وخاصَّةً من الأئمَّةِ الأربعةِ؟

من صُوَرِ الأدَبِ:

يا عباد الله، إنّ من صُوَرِ الأدَبِ مع السَّلَفِ الصَّالِحِ، وخاصَّةً من المهاجرينَ والأنصارِ والتَّابعينَ وأصحابِ المذاهِبِ الأربعةِ

أولاً: عَدَمُ البحثِ عن هَفَواتِهِم.

ثانياً: التَّرَحُّمُ والتَّرضِّي عنهُم كُلّما ذُكِروا.

ثالثاً: الدِّفاعُ عنهُم إذا أُسيءَ إليهم.

رابعاً: كَثرَةُ الدُّعاءِ لهم، وخاصَّةً كما ذَكَرَ ربُّنا عزَّ وجلَّ في القرآن العظيم عن لِسانِ الذين جاؤوا من بعدهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم﴾.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيُّها الإخوة الكرام: لو نَظَرنا إلى كلِّ شَقِيٍّ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا، فإنّا نَجدُ أنّ الذي ساقَهُ إلى هذا الشّقاءِ هوَ قِلّةُ الأدَبِ مع السَّلَفِ الصَّالِحِ من المهاجرينَ والأنصارِ والتَّابعينَ، فقليلُ الأدَبِ مع مَن لم يوَقِّرِ الكبيرَ هوَ ليسَ من هَدْيِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ألم يقلِ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرِ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمِ الصَّغِيرَ، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ»؟ رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

فإذا كانَ هذا جزاءُ من تَرَكَ الأدَبَ مع الكبيرِ، فكيفَ إذا كانَت قِلّةُ الأدَبِ مع

مَن شَهِدَ اللهُ تعالى لهم بالصِّدقِ والفلاحِ ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ القيامةِ؟

اللّهُمَّ لا تَحرِمْنا الأدَبَ مع المهاجرينَ والأنصارِ والتّابِعينَ، ولا تَحرِمْنا الأدَبَ مع عِبادِكَ المؤمنينَ خاصّةً ومع النّاسِ عامّةً.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

308ـ كلمة الأسبوع: هل ينطبق علينا وصف الذين جاؤوا من بعدهم؟ (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ من أجَلِّ وأعظمِ نِعَمِ الله تعالى على عبدِهِ أن يجعَلَ قلبَهُ طاهِراً من الغِلِّ والحِقدِ، سليماً من الأمراضِ الباطِنةِ الخطيرةِ، فمن رَزَقَهُ اللهُ تعالى طهارةَ القلبِ من الغِلِّ، وسلامةَ الصَّدرِ من الحَسَدِ فقد أعظمَ اللهُ تعالى عليه الفضلَ والمِنَّةَ، ولا يَسَعُ العبدَ إلا أن يشكُرَ اللهَ تعالى على هذهِ النِّعمةِ، لأنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يقولُ: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُون * إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم﴾.

من مُهِمَّاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا عباد الله، لقد أرسَلَ اللهُ تعالى سيِّدَنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلينا بوظيفةٍ ومُهِمَّةٍ، فمن جملةِ مُهِمَّاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تزكِيَةُ نُفوسِنا وتطهيرُ قُلوبِنا، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِين﴾.

لذلكَ جاءَ توجيهُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لأمَّتِهِ بأن يهتمُّوا بقُلوبِهِم قبلَ اهتِمامِهِم بظَواهِرِهِم، لأنَّ القلبَ هوَ سُلطانُ الأعضاءِ

كلِّها وقائدُها، وصلاحُ الأعضاءِ لا يكونُ إلا بصلاحِ القلبِ، روى الشيخان عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

يا عباد الله، لقد استهانَ النَّاسُ بأمرِ الباطِنِ، واهتمُّوا بالظَّاهِرِ، معَ أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لا ينظُرُ إلى الأجسادِ والصُّوَرِ، ولكن ينظُرُ إلى القُلوبِ والأعمالِ، وهل تتطابَقُ الأعمالُ الظَّاهِرَةُ معَ نِيَّةِ القلبِ؟ روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

وَصْفُ الذينَ جاؤوا من بعدِ المهاجرينَ والأنصارِ:

يا عباد الله، لقد وَصَفَ اللهُ تعالى المؤمنينَ الذينَ جاؤوا من بعدِ المهاجرينَ والأنصارِ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فالوَصْفُ الأوَّلُ لهُم هوَ أدَبُهُم مع السَّلَفِ الصَّالِحِ، ومن صُوَرِ الأدَبِ الدُّعاءُ لهُم.

أمَّا الوَصْفُ الثَّاني لهُم هوَ سلامةُ صُدورِهِم تُجاهَ إخوانِهِم ــ وخاصَّةً المعاصِرينَ منهُم ــ من الغِلِّ والحِقدِ والحَسَدِ، فهُم يُلِحُّونَ على الله تعالى بالدُّعاءِ بقولِهِم: ﴿وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثَمَراتُ سلامةِ الصَّدرِ من الغِلِّ:

يا عباد الله، لِيُفكِّرْ كلٌّ واحدٍ منَّا في نفسِهِ، كيفَ يَجدُ قلبَهُ تُجاهَ من يقولُ: لا إله إلا اللهُ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ؟ كيفَ يَجِدُ قلبَهُ تُجاهَ المؤمنينَ، وخاصَّةً بعدَ معرفتِهِ قولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»؟ رواه الحاكم عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا عباد الله، سَلَفُنا الصَّالِحُ عاشوا مع بعضِهِمُ البعضِ من مُنطَلَقِ سلامةِ الصُّدورِ تُجاهَ بعضِهِمُ البعضِ، فكانوا يُجَسِّدونَ قولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» رواه الإمام أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وهذا لا يستطيعُهُ إلا من كانَ صدرُهُ سليماً من الغِلِّ والحِقدِ والحَسَدِ، لا يستطيعُهُ إلا من عَرَفَ ثِمارَ سلامةِ الصَّدرِ من الغِلِّ، فمن جملةِ ثِمارِ سلامةِ الصَّدرِ من الغِلِّ والحَسَدِ:

أولاً: إحياءُ سُنَّةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما وَضَّحَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ للأمَّةِ من خلالِ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لأنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ» ثُمَّ قَالَ: «يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ» رواه الترمذي.

يا عباد الله، اِقرؤوا سِيرةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وابحَثوا هل تَجِدونَ في سِيرَتِهِ العَطِرَةِ أنَّهُ كانَ يحمِلُ غِلّاً أو حِقداً أو حَسَداً على أحدٍ من خلقِ الله تعالى على الإطلاقِ؟ ـــ حاشاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ـــ.

ثانياً: سلامةُ الصّدرِ طريقٌ مُوصِلَةٌ إلى الجنّةِ، والدّليلُ على ذلكَ ما رواه الإمام أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضاً، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثاً، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ الله يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ الله: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْراً، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ الله، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ، ثَمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ؟ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَداً عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ.

فهل عَرَفتُم هذا يا أيُّها المسلمونَ؟

المعينُ على سلامةِ الصَّدرِ من الغِلِّ:

يا عباد الله، سلامةُ الصَّدرِ من الغِلِّ هوَ وَصْفُ أهلِ الجنَّةِ، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾. ولا يقدِرُ على ذلكَ إلا الأشِدَّاءَ من الرِّجالِ، إلا الذينَ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهَ تعالى عليه، إلا الذينَ سَبَقَت لهُم من الله تعالى الحُسنى.

يا عباد الله، من أرادَ سلامةَ الصَّدرِ من الغِلِّ فعليه بما يلي:

أولاً: كَثرَةُ الدُّعاءِ، الذي هوَ من أعظمِ الأسبابِ لسلامةِ الصَّدرِ، وهذا هوَ وَصْفُ الرِّجالِ الذينَ جاؤوا من بعدِ المهاجرينَ والأنصارِ، فيا من هوَ حريصٌ على طهارةِ قلبِهِ، أكثِر من الدُّعاءِ واجعَل لِنفسكَ منهُ ورداً، وقل: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثانياً: حُسنُ الظّنّ بالنّاسِ، لأنّ مُحسِنَ الظّنّ لا يندَمُ أبداً، وقد كانَ سيّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يقولُ: (لَا تَظُنَّ كَلِمَةً خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدَ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلاً).

يا عباد الله، حُسنُ الظّنِ بالنّاسِ من خُلُقِ المسلمِ صاحِبِ الصّدرِ السّليمِ، عادَ الرّبيعُ الشّافِعِيّ في مَرَضِهِ، فَدَخَلَ عليهِ فقال: يا أبا عبدِ الله، قَوّى اللهُ ضَعفَكَ، فقال: يا أبا مُحَمّد، لو قَوّى اللهُ ضَعفِي على قُوّتِي أهلَكَني، فقال: يا أبا عبدِ الله، ما أردتُ إلا الخيرَ، فقال: لو دَعَوتَ اللهَ عَلَيَّ لَعَلِمتُ أنّكَ لم تُرِدْ إلا الخيرَ.

ثالثاً: البُعدُ عن مُجالَسَةِ النّمّامينَ والمُغتابينَ، لأنّ سماعَ كلامِ النّمّامِ يُؤثّرُ في القلبِ، روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئاً، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ».

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، السّعيدُ من اتّصَفَ بصفاتِ الرّجالِ الذينَ جاؤوا من بعدِ المهاجرينَ والأنصارِ، السّعيدُ من اتّصَفَ بصفاتِ المهاجرينَ والأنصارِ، من حيثُ الصّدقُ والإيثارُ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائلُ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

309ـ كلمة الأسبوع: الأسباب المعينة على سلامة الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ أغلى شيءٍ على المؤمنِ قلبُهُ، لأَنَّهُ مَحطّةُ الإيمانِ، ولأنّ سلامَتَهُ سلامَةُ الآخرةِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُون * إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

ومن فضلِ الله تعالى على عبادِهِ أَنَّهُ ما جَعَلَ لأحدٍ من الخلقِ سُلطاناً على قلبِ أحدٍ، فقد يَتَسلّطُ العبدُ على جَسَدِ عبدٍ، أو على مالِهِ، أو على بيتِهِ، أو على مُمتَلكاتِهِ، أمّا أن يَتَسلّطَ على قلبِهِ فهذا بعيدُ المنالِ، ومن هذا المنطلقِ يكونُ الإنسانُ حريصاً كلّ الحرصِ على سلامَةِ قلبِهِ ونظافَتِهِ من كلِّ وَصْفٍ يُبعِدُ العبدَ عن ربِّهِ عزّ وجلّ، وهذا هوَ وَصْفُ الذين جاؤوا من بعدِ المهاجرينَ والأنصارِ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّك رَؤُوفٌ رَّحِيم﴾.

تَحقّقَ هؤلاءِ الرِّجالُ بالأدَبِ مع السّلَفِ الصّالِحِ، ومن مَظاهِرِ الأدَبِ الدُّعاءُ

للسَّلَفِ الصَّالِحِ، وتَحقَّقُوا بسلامَةِ القلبِ تُجاهَ المؤمنينَ جميعاً، لأنَّهُم على يقينٍ بأنَّ الطَّاعاتِ لا تنفعُ صاحِبَها إذا كانَ قلبُهُ مَحشُوّاً بالبغضاءِ والغلِّ نحوَ من يقولُ: لا إله إلا اللهُ، مُحَمَّدٌ رسولُ الله، لأنَّ البغضاءَ إذا حَلَّت في القلبِ حَلَقَتِ الدِّينَ ــ والعياذ بالله تعالى ــ كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ».

من هوَ أفضلُ المؤمنين:

يا عباد الله: إنَّ سلامَةَ القلبِ من الغلِّ والحقدِ والحَسَدِ لا يُطيقُهُ كلُّ أحدٍ، لا يُطيقُهُ إلا الرِّجالُ الذينَ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهَ تعالى عليه، إلا الرِّجالُ الذينَ عَرَفوا قِيمةَ المعيَّةِ مع الذينَ أنعَمَ اللهُ عليهم من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، إلا الرِّجالُ الذينَ عَرَفوا وَصْفَ أهلِ الجنَّةِ من خلالَ قولِهِ تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

يا عباد الله، سلامَةُ القلوبِ من الغلِّ والإثمِ والبَغيِ هوَ وَصْفُ المؤمنينَ الكُمَّلِ، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ» قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ،

فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ».

ومن هذا المنطلقِ نعلمُ بأنّ أفضلَ القلوبِ وأنقاها وأطهَرَها هوَ قلبُ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما تجلّى من خلالِ تعامُلِهِ مع ابنِ رأسِ النّفاقِ عبدِ الله بنِ أُبيّ بنِ سلول ــ عامَلَهُ اللهُ تعالى بعدلِهِ ــ روى الإمام البخاري عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ، فَقَالَ: «آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ» فَآذَنَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ اللهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ: «أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ» قَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾. فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.

وهنا أقولُ: لِيسمعْ كلُّ مُنافقٍ وكلُّ مُجرمٍ وكلُّ من يتظاهرُ بالإسلامِ وهوَ يُؤذي المسلمينَ بأنَّهُ لا بدَّ من الموتِ والنّهايةِ في هذهِ الدّارِ، وأقولُ لكلِّ مَظلومٍ من قِبَلِ المنافقينَ وغيرِهِم: ﴿اصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا باللهِ﴾. فالموتُ يعُمُّنا، والقبرُ يضُمُّنا، والقيامةُ تجمعُنا، واللهُ يفصلُ بيننا، وصدق اللهُ تعالى القائل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُون﴾.

فائدةٌ مُهِمَّةٌ: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾:

أيُّها الإخوة الكرام: من خلالِ هذا الحَدَثِ نتعلّمُ كيفَ يجبُ على المسلمِ أن يُعامِلَ الآخرينَ من خلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. فلا يجوزُ أن يُؤخَذَ الولدُ بجريمةِ والِدِهِ، ولا الزّوجةُ بجريمةِ زوجِها، ولا الأبُ بجريمةِ ابنِهِ، وكلُّ هذا يتجلّى من خلالِ قولِ الله تعالى عن السَّيِّدةِ آسيا التي دَعَت ربَّها بقولِها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. ومن خلالِ قولِ الله تعالى عن سيِّدِنا نوحٍ عليه السَّلامُ حينَ قالَ: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾. ومن خلالِ مُعامَلَةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مع عبدِ الله الرَّجلِ التَّقيِّ النَّقيِّ الصَّالِحِ ابنِ الرَّجُلِ الْمُنافِقِ عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ بنِ سَلولٍ ـــ عامَلَهُ اللهُ تعالى بعدلِهِ ـــ.

يا عباد الله، كمِ الأمَّةُ بحاجَةٍ إلى الالتزامِ بقولِهِ تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

الأسبابُ المعينةُ على سلامَةِ القلبِ من الغِلِّ:

أيُّها الإخوة الكرام: قد يسألُ أحدُنا ويقولُ: ما هيَ الأسبابُ المعينةُ على سلامةِ القلبِ من الغِلِّ والحِقدِ والحَسَدِ؟ والجوابُ على ذلكَ نقولُ: سلامَةُ القلبِ بأمورٍ، أهمُّها:

أولاً: الدُّعاءُ، وهذا ما تَعلّمناهُ من القرآنِ العظيمِ، عندما وَصَفَ اللهُ تعالى الذينَ

جاؤوا من بعدِ المهاجرينَ والأنصارِ، حيثُ كانَ دُعاؤُهُم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. ولكن يجبُ علينا أن نعلمَ بأنَّ دُعاءَهُم كانَ مُتَحقِّقَاً بالشُّروطِ المطلوبةِ منهُم، ومن أهمِّها:

١ـــ دُعاؤُهُم كانَ دُعاءَ العبدِ المُضطرِّ، لأنَّ دُعاءَ المُضطرِّ مُستجابٌ، أَمَا رأينا المريضَ الذي يشكو من داءٍ عُضالٍ كيفَ يكونُ دُعاؤُهُ؟ وكيفَ يسألُ إخوانَهُ الصَّالِحينَ الدُّعاءَ لنفسِهِ؟ وهل رأيتم من يدعو لنفسِهِ أن يُذهِبَ اللهُ تعالى من قلبِهِ الغِلَّ؟ وهل رأيتم من يطلبُ من إخوانِهِ مثلَ هذا الدُّعاءِ؟

٢ـــ أن يُحقِّقَ شُروطَ الدُّعاءِ، والتي من أهمِّها: المَطعَمُ الحلالُ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواهُ الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

وكان يقولُ سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: : (إِنِّي لا أَحمِلُ هَمَّ الإجابَةِ، ولكن أَحمِلُ هَمَّ الدُّعاءِ، فَإِن أُلهِمتُ الدُّعاءَ، فإنَّ الإِجَابَةَ مَعَهُ).

ثانياً: حُسنُ الظَّنِّ بالنَّاسِ، وهذا مَطلبٌ شرعيٌّ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾. ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً». رواه الإمام مسلم عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ» رواه الطبراني عن حارثةَ بنِ النُّعمانِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ويقولُ سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: (لَا تَظُنَّ كَلِمَةً خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ شَرّاً وَأَنْتَ تَجِدَ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلاً).

وقد زارَ الرَّبيعُ الشَّافعيَّ في مَرَضِهِ فدَخَلَ عليهِ فقال: يا أبا عبدِ اللهِ! قَوَّى اللهُ ضَعفَكَ، فقال: يا أبا محمَّد، لو قَوَّى اللهُ ضَعفِي على قُوَّتِي أَهلَكَنِي، قلتُ: يا أبا عبدِ اللهِ، ما أردتُ إلَّا الخيرَ، فقال: لَو دَعوتَ اللهَ عليَّ لعلمتُ أَنَّكَ لم تُرِد إلَّا الخيرَ.

ثالثاً: البُعدُ عن مُجالسةِ النَّمَّامِينَ والمُغتابينَ، لأنَ استِماعَ العبدِ للغِيبةِ قد يجعلُ في قلبِهِ غلَّاً للمُغتابِ، والغيبةُ كما عرَّفها سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ

كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَد اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

أمَّا النَّميمةُ فشرُّها أعظمُ من الغيبةِ، لأنَّ النَّمَّامَ ينقُلُ إليكَ كلامَ من أساءَ إليكَ، واعلم بأنَّ من نمَّ لكَ نمَّ عليكَ، كما جاءَ في الأثر الذي ورد في الزواجر عن اقتراف الكبائر عن الحسن رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: (مَنْ نَمَّ لَك نَمَّ عَلَيْك). والنَّمَّامُ لا يدخلُ الجنَّةَ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ». وهو من أبغضِ الخلقِ عندَ اللهِ تعالى، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني في الكبير عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ».

ومن هذا المنطلقِ، كانَ صاحبُ القلبِ السليمِ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ لأصحابِهِ الكِرامِ: «لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئاً، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

خاتمة نسألُ الله تعالى حسنها:

أيُّها الإخوة الكرام: الرَّجلُ هوَ من كانَ طاهِرَ القلبِ سليمَ القلبِ الذي لا يعرفُ الغِلَّ ولا الحِقدَ ولا البغضاءَ ولا الإثمَ، فهل نسعى للتَّحَقُّقِ بأوصافِ هؤلاءِ

الرِّجالِ الذينَ جاؤوا من بعدِ الْمُهاجرينَ والأنصارِ؟ وإنَّ السَّبيلَ للوُصولِ إلى هذا لَيَسيرٌ على من يَسَّرَهُ اللهُ تعالى عليهِ، اللّهُمَّ اجعلنا منهم. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

310ـ كلمة الأسبوع: أقصى أماني العبد رضا اللّه تعالى عنه (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ أَقصَى أماني العبدِ رِضا اللهِ تعالى عنهُ، قالَ تعالى حكايةً عن سيِّدنا مُوسى عليه السَّلامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾. وقال سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لكَ العُتبى حتَّى ترضى».

فَرِضَا اللهِ تَعالى هُوَ أَسمَى ما يَتمنَّاهُ العبدُ في الحياةِ الدُّنيا، وأَسمى ما يَتمنَّاهُ أهلُ الجَنَّةِ، أخرج البزَّار عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إنّ اللهَ يَتَجَلّى للمؤمنينَ، فيقولُ: سلوني، فيقولونَ: رِضاكَ». وفي رواية للطبراني في الأوسط عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أنّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَتَجَلَّى اللهُ للمؤمنينَ فيقولُ: أَنا الذي صَدَقْتُكُم وَعدِي، وَأَتممتُ عَليكُم نعمَتِي، وهذا مَحَلُّ كَرامَتِي، فَسَلونِي، فَيسأَلُونَهُ الرِّضَا، فيقولُ: رِضَايَ أَحَلَّكُم دَارِي، وأَنالَكُم كَرامَتِي، فَسَلونِي، فَيسأَلُونَهُ الرِّضا، فَيَشهَدُ عَلَيهِم عَلى الرِّضَا».

وصدق اللهُ تعالى القائلُ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ أي: إنّ رِضا الله تعالى أكبرُ من النَّعيمِ الذي هُم فيه.

رِضا الله تعالى هوَ ثَمَرَةُ رِضا العبدِ عن الله تعالى:

يا عباد الله، العبدُ المؤمنُ عندما يجعلُ همَّهُ رِضا الله تعالى عنه، لا شكَّ أنَّهُ يكونُ راضِياً عن الله تعالى في قضائِهِ وقَدَرِهِ، وصدق اللهُ تعالى القائلُ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ﴾. وقال تعالى: ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾. فمن رَضِيَ عنِ اللهِ تعالى في قَضائِهِ وقَدَرِهِ، رَضِيَ اللهُ تعالى عنهُ، ومن سَخِطَ على الله تعالى في قَضائِهِ وقَدَرِهِ، سَخِطَ اللهُ تعالى عليه، كما جاء في الأمالي لابن بشران عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال : «مَن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، ومَن سَخِطَ فَلَهُ السُّخطُ».

الرِّضا عن الله تعالى علامةُ صدقِ الإيمانِ:

يا عباد الله، الإيمانُ بالله تعالى من جملةِ معانيهِ الرِّضا بالقضاءِ والقَدَرِ ولو كانَ مُرّاً، لأنّ الإيمانَ ليسَ بالتّمنّي ولا بالتّحلّي، كما قال الحسنُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: (لَيْسَ الْإِيمَان بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْب وَصَدَّقَهُ الْعَمَل) تَهْذِيْبُ سُنَنِ أَبي دَاودَ.

فالرِّضا عنِ اللهِ تعالى فيما قَضَى وقَدَّرَ علامةٌ على صِدقِ إيمانِ العبدِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني في الأوسط عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: (دَخَلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الأنصارِ فَقال: «أمؤمنونَ أَنتُم؟» فَسَكَتُوا، فقال عمرُ: نَعَم يا رسولَ اللهِ، قال: «ومَا عَلامَةُ إيمانِكُم؟» قالوا: نَشكُرُ على الرَّخاءِ ونَصبرُ على البَلاءِ ونَرضَى بالقَضاءِ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مؤمنون وربِّ الكَعبةِ»). وفي رواية لأبي نعيم يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ».

يا عباد الله، من أرادَ أن يعرفَ منزلَتَهُ عندَ الله تعالى فلينظُر إلى منزلَةِ الله تعالى عندَهُ، فمن كانَ راضياً عنِ الله تعالى كانَ اللهُ تعالى راضياً عنه، والعكسُ بالعكسِ. أخرج الحاكم عن جابر بنِ عبد اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن أَحَبَّ أَن يَعلَمَ مَا لَهُ عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ فَليَنظُر مَا للهِ عزَّ وجلَّ عِندَهُ، فإنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعالى يُنزِلُ العَبدَ مِنهُ حيثُ أَنزَلَهُ مِن نَفسهِ».

عِظَمُ الجزاءِ معَ عِظَمِ البلاءِ:

يا عباد الله، من عَرَفَ أنَّ رِضا الله تعالى في رِضا العبدِ عنهُ في قضائِهِ وقَدَرِه، عَرَفَ بأنَّ عِظَمَ الجزاءِ معَ عِظَمِ البلاءِ، ومن هذا المُنطلقِ كانَ الأنبياءُ والمرسلونَ عليهم الصلاةُ والسَّلامُ والصَّالحونَ من بعدِهِم من أعظمِ النَّاسِ بلاءً، وهم في نتيجةِ الأمرِ أعظمُ النَّاسِ جزاءً يومَ القيامةِ.

جاء في الأمالي لابن بشران عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال : «إنَّ عِظَمَ الجَزاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إذا أَحَبَّ قَوماً ابتَلاهُم، مَن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، ومَن سَخِطَ فَلَهُ السُّخطُ».

قارن بلاءَكَ ببلاءِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا عباد الله، من ابتلاهُ اللهُ تعالى بشيءٍ مِمَّا قالَ عنهُ ربُّنا عزَّ وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾. ليُقارِنِ ابتلاءَهُ بِابتِلاءِ اللهِ تعالى لرسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

هذا سيِّدنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ابتلاهُ اللهُ تعالى بالمشركينَ فآذَوهُ في مكةَ المُكرَّمة، وحاصروهُ في شُعبٍ من شِعابِ مكَّةَ، واضطرُّوهُ للخروجِ إلى الطَّائفِ، وفيها لَاقَى ما لَاقَى، وأُخرِجَ من مكَّةَ المُكرَّمة، وكُسرت رَباعيَّتُهُ، وأُدمِيَت قدماهُ، وشُجَّ وجهُهُ الشَّريفُ، وفَقَدَ أولادَهُ الكِرامَ، عندها قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ والقَلْب يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إِلا ما يُرضي رَبَّنا، وَإِنَّا لفِرَاقِكَ يا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) رواه الإمام البخاري عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

مَثَلٌ رائعٌ في الرِّضا عن الله تعالى:

يا عباد الله، الرِّضا عن اللهِ تعالى نِعمةٌ عظيمةٌ من نِعَمِ الله تعالى يُسبغُها على عبدِهِ، وبها يَعلمُ بأنَّ العاقِبَةَ لهُ، قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. وبها يعلمُ أن ما قَضَى اللهُ تعالى آتيهِ لا مَحالةَ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» رواه الإمام أحمد عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما. ومن عرفَ هذا كان راضياً عنِ اللهِ تعالى في قضائِهِ وقَدَرِهِ ولو كَان في ظاهرِ الأمرِ مُرّاً.

هذا سيِّدُنا سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللهُ عَنهُ، الذي ابتلاه اللهُ تعالى بفقدِ بَصَرِهِ آخرَ عُمُرِهِ، ولما قَدِمَ مكّة المكرّمة جاءَهُ النّاسُ يُهرَعُونَ إليه، كلٌّ واحدٍ يسألُهُ أن يدعوَ له، فيدعو لهذا ولهذا – وكانَ مُجابَ الدَّعوةِ – قال عبد الله بن السائب: فأتيتُهُ وأنا غلامٌ، فَتَعَرَّفتُ عليه، فَعَرَفَني وقال: أنت قارِئُ أهلِ مكّةَ؟ قلتُ: نعم، فَذَكَرَ قِصَّةً قال في آخرها: فقلت له: يا عَم، أنت تدعو للنّاسِ، فلو دَعَوتَ

لنفسكَ فَرَدَّ اللهُ عليك بَصَرَكَ! فَتَبَسَّمَ وقال: يا بُنَيِّ، قضاءُ الله سبحانَهُ عِندي أحسنُ من بَصَري.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، الرِّضا عنِ اللهِ تعالى ثَمَرَتُهُ رِضا اللهِ تعالى عنِ العبدِ، وإذا رَضِيَ اللهُ تعالى عنِ العبدِ سَعِدَ في الدُّنيا وسَعِدَ في الآخرةِ، فالرِّضا عن الله تعالى هوَ جَنَّةُ العارفِينَ ومُستراحُ العابدينَ، وهو أعظمُ عباداتِ القلبِ، وفي الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الحاكم عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: أُهْدِيَ لِلنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةٌ أَهْدَاهَا لَهُ كِسْرَى، فَرَكِبَهَا بِحَبْلٍ مِنْ شَعْرٍ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي خَلْفَهُ ثُمَّ سَارَ بِي مَلِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ إليَّ وقال: «يا غُلامُ» فَقُلتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، فقال: «احْفَظِ اللهَ يَحْفظْكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى الله فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وإذا سَأَلْتَ فَأَسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله فقد مَضَى القَلَمُ بما هوَ كائِنٌ، فلو جَهَدَ الخلائِقُ أن يَنفَعوكَ بما لم يَقْضِهِ اللهُ سبحانه لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، ولوْ جَهَدُوا أنْ يَضُرُّوكَ بما لَمْ يَكْتُب اللهُ عَلَيْكَ ما قَدَرُوا عَلَيْهِ، فإن اسْتَطَعْتَ أنْ تَعْمَلَ بالصَّبْرِ مَعَ اليَقيْنِ فافْعَلْ، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فاصْبِرْ، فإنَّ في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً، واعْلَمْ أنَّ النَّصْر مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ مَعَ الكَرْبِ فَرَجَاً، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً».

يا عباد الله، الرِّضا عنِ اللهِ تعالى دَعوى سَهلةٌ باللِّسانِ، وهو أصعبُ الأمورِ عندَ حقيقةِ الامتحانِ.

يا عباد الله، ليسأل العبدُ نفسهُ هو من أي الفريقينِ في المِحنِ؟ هل هو من الراضينَ عنِ اللهِ تعالى؟ فهذا لهُ الرِضا، أم هو من السَّاخِطِينَ لا قدَّرَ اللهُ تعالى؟ فهذا عليه السُّخطُ؟

يا عباد الله، لنستقبلِ القضاءَ والقَدَرَ بالرِّضا عن الله تعالى ولو كان القضاءُ مرًّا، وتذكروا الأثرَ: (لَوِ اطَّلَعتُم عَلى الغَيبِ لاختَرتُمُ الوَاقِعَ).

نسألُ الله تعالى أن يجعلنا من الشاكرينَ عندَ الرَّخاءِ ومن الصَّابرين عند البلاءِ ومن الراضينَ بمرِّ القضاءِ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

311ـ كلمة الأسبوع: أقصى أماني العبد رضا اللّه تعالى عنه (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ أَقصَى أمنيةِ العبدِ الذي أسبغَ اللهُ تعالى عليه النِّعَمَ الظَّاهرةَ والباطنةَ، ثمّ توّجَ تلكَ النِّعَمِ بنعمةِ الإسلامِ والإيمانِ، أن يكونَ اللهُ تعالى راضياً عنهُ، لأنّ اللهَ تعالى المنعِمَ إذا رَضِيَ عن العبدِ المنعَمِ عليه فإنّهُ تباركَ وتعالى يجعلُ هذا العبدَ يتقلّبُ بنعَمٍ لا يعلمُ قَدْرَها إلا اللهُ تعالى، وذلكَ في عالمِ البرزخِ حيثُ يجعلُ ربُّنا عزّ وجلّ قبرَهُ روضةً من رياضِ الجنّةِ، ويجعلُهُ في أرضِ المحشرِ تحتَ ظِلِّ عرشِهِ يومَ لا ظِلّ

إلا ظِلُّهُ، ويجعلُهُ من الآمنينَ يومَ الفَزَعِ الأكبرِ، ثمّ يُدخِلُهُ جنّتَهُ مع الذينَ أنعمَ عليهم من النّبيّينَ والصِّدّيقينَ والشُّهداءِ والصّالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً.

علامةُ رِضاهُ عنكَ:

يا عباد الله، قد يسألُ أحدُنا: ما علامةُ رِضا اللهِ تعالى عن العبدِ؟

الجوابُ على ذلك:

من علامةِ رِضاهُ عنكَ أن تكونَ أنتَ راضِياً عنهُ في قضائِهِ وقَدَرِهِ وإن كانَ مُرّاً، لأنّهُ جاءَ في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي وابن ماجه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».

يا عباد الله، من عَرَفَ اللهَ تعالى حقَّ معرِفَتِهِ تأدَّبَ معَهُ، ومن أحبَّهُ تعلّقَ به، ومن عَرَفَهُ وأحبَّهُ عَلِمَ أنّهُ ما من قضاءٍ يقضيهِ اللهُ تعالى على عبدِهِ وإن كانَ ظاهِرُهُ مُرّاً إلا كانَ لمصلَحَةِ العبدِ المحبوبِ، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾. وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ

صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

إن رضيتَ عنهُ أرضاكَ:

يا عباد الله، حاشا لربّنا عزّ وجلّ أن لا يُرضي عبدَهُ إذا رآهُ راضِياً عنهُ، وكيفَ لا يُرضيهِ ربُّنا عزّ وجلّ وهوَ القائلُ في كتابِهِ العظيمِ: ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَان﴾.

روى الترمذي عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ». هذا في الآخرةِ مُحقّقٌ.

وإذا شاءَ أن يُرضِيَهُ في الدُّنيا أرضاهُ، روى الإمام مسلم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْراً مِنْهَا» قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟. ﴿واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾. بعد انقِضاءِ عِدَّتِها تزوَّجَها سيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهوَ لا شكّ خيرٌ من أبي سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

هذا الذي أبكى سيّدَنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أيُّها الإخوة الكرام: الرِّضا عن الله تعالى من الإيمانِ، كما أنّ السُّخطَ من كُفرانِ النِّعمةِ، والرِّضا يجعلُ العبدَ في نعيمٍ دائمٍ في الدُّنيا وفي الآخرةِ، والمؤمنُ الحقُّ هوَ من كانَ راضِياً عن الله تعالى في سائِرِ أحوالِهِ، ولو كانت صعبةً.

هذا سيِّدُنا عمران بن حُصين رَضِيَ اللهُ عَنهُ، الرَّجلُ التَّقيُّ النَّقيُّ، الذي عَشِقَ ربَّهُ عزَّ وجلَّ بقلبِهِ، وما كانَ وُدٌّ في قلبِهِ تُجاهَ العبدِ الكافرِ ولو كانَ من أصولِهِ، هذا الرَّجلُ العظيمُ هوَ الذي أبكى سيِّدَنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أخرج بن خُزَيْمةَ في حياة الصَّحابةِ عن عِمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أنّ قُريشاً جاءت إلى الحُصَين وكانت تعظِّمه فقالوا له: كلِّم لنا هذا الرجلَ فإنَّهُ يذكُرُ آلهتَنا ويسبُّهُم، فجاؤوا معه حتّى جلسوا قريباً من بابِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فقال: «أوسِعُوا للشَّيخِ» وعمران وأصحابُهُ مُتوافِرُونَ، فقال حُصين: ما هذا الذي بَلَغَنَا عنكَ أنّكَ تشتُمُ آلهتَنا وتذكُرُهُم، وقد كانَ أبوكَ حصينة وخيراً؟ فقال: «يا حُصَين، إنَّ أبي وأباكَ في النَّارِ؛ يا حصين، كم تعبد من إله؟» قال: سبعاً في الأرضِ وواحداً في السَّماءِ، قال: «فإذا أصابك الضُّرُّ مَن تدعو؟» قال: الذي في السَّماء، قال: «فيستجيبُ لكَ وحدَهُ وتُشرِكُهُم معهُ، أَرضيتَهُ في الشُّكرِ أم تخافُ أن يغلبَ عليكَ؟» قال: ولا واحدةً من هاتَين؛ قال: وعلمتُ أنّي لم أكلِّم مثلَهُ، قال: «يا حُصَين، أسلِم تسلَم» قال: إنَّ لي قوماً وعشيرةً، فماذا أقولُ؟ قال: «قل: اللَّهمَّ، أستهديك لأرشدَ أمري، وزدني علماً ينفَعُني» فقالها حصين، فلم يقم حتى أسلمَ، فقامَ إليه عِمْران فقبَّل رأسَهُ ويَدَيهِ

ورِجلَيهِ، فلمّا رأى ذلك النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بكى، وقال: «بَكَيتُ من صَنيعِ عِمرانَ، دَخَلَ حصينُ وهو كافرٌ فلم يَقُم إليه عِمرانُ و لم يلتفت ناحِيَتَهُ، فلمَّا أسلَمَ قضَى حقَّهُ فَدَخَلَني من ذلك الرِّقَّةُ».

وهذا سيِّدُنا عِمران بن حُصين رَضِيَ اللهُ عَنهُ، ابتلاهُ اللهُ تعالى بمرضٍ في بطنِهِ، وبقي عليه ثلاثينَ عاماً، روى الطبراني في الكبير عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عِمْرَانَ بن حُصَيْن فِي وَجَعِهِ الشَّدِيدِ الَّذِي أَصَابَهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنِّي لأَرْثِي لَكَ مِمَّا أَرَى، فَقَالَ: يَا أَخِي، لا تَفْعَلْ، فَوَاللهِ إِنَّ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبُّهُ إِلَى اللهِ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيُّها الإخوة الكرام: الحديثُ عن الرِّضا حديثٌ ذو شُجونٍ، إن كانَ حديثاً عن رِضا الله تعالى عن عبدِهِ، وإن كانَ حديثاً عن رِضا العبدِ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ، وعلى كلِّ حالٍ ربُّنا عزَّ وجلَّ يُحِبُّ من عبدِهِ أن يكونَ راضِياً عنهُ في قضائِهِ وقَدَرِهِ، ليكونَ ربُّنا عزَّ وجلَّ راضِياً عنهُ في الدُّنيا والآخرةِ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يُكرِمَنا بنِعمةِ الرِّضا، وأن يكونَ ربُّنا عزَّ وجلَّ راضياً عنّا، وأن نكونَ راضينَ عن الله تعالى فيما قضى وقَدَّرَ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

312ـ كلمة الأسبوع: أقصى أماني العبد رضا اللّه تعالى عنه ٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ربُّنا عزِّ وجلّ يُريدُ من عبدِهِ أن يكونَ راضِياً عن الله تعالى في قضائِهِ وقَدَرِهِ، وما ذاكَ إلا لمصلحةِ العبدِ، لأنّ ربّنا عزّ وجلّ ما كَلّفَ العِبادَ ليكونَ خيرُ التّكليفِ عائداً عليهِ، بل ليكونَ على العبدِ المكلّفِ.

فربُّنا عزِّ وجلّ عندما يطلُبُ من العبدِ الرِّضا يطلُبُهُ منهُ حتّى يَرضى عنهُ ربُّنا عزّ وجلّ، ومَن يُرضِيهِ ربُّنا عزّ وجلّ أسعَدَهُ اللهُ تعالى دُنيا وأُخرى.

والمعينُ للعبدِ على رِضاهُ عنِ اللهِ عزّ وجلّ في قضائِهِ وقَدَرِهِ كلِّهِ هوَ: أن يُفكِّرَ العبدُ في نفسِهِ وينظُرَ إلى رحمةِ اللهِ تعالى فيه منذُ أن كانَ جنيناً في بطنِ أمِّهِ إلى السّاعةِ التي يُفكِّرُ فيها، واللهِ ما عَوَّدَنا ربُّنا عزّ وجلّ إلا خيراً، حتّى في المِحَنِ، لأنّ المِحَنَ تحملُ في طَيّاتِها مِنَحاً، ولكنّ الأمرَ يحتاجُ إلى تأنٍّ حتّى إذا عَرفتَ السّببَ يزولُ عنكَ العَجَبُ. ولا أدلّ على ذلكَ من قِصّةِ سيّدِنا الخَضِرِ مع سيّدِنا موسى عليهما السّلامُ التي ذَكَرها ربُّنا عزّ وجلّ في القرآنِ الكريمِ، وفي خِتامِ القِصّةِ قالَ سيّدُنا الخَضِرُ لسيّدِنا موسى عليهما السّلامُ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. ففي ظاهِرِ الأمرِ خَرْقُ السّفينةِ أمرٌ صعبٌ، والأصعبُ منهُ قتلُ الغلامِ، وكذلكَ بناءُ الجدارِ في القريةِ التي انتشرَ فيها الشُّحُّ، ولكن عندما عُرِفَ السّببُ بَطَلَ العَجَبُ.

سِيرةُ الأنبياءِ والمرسلينَ عليهم الصّلاةُ والسّلامُ:

أيُّها الإخوة الكرام: يقولُ أبو سُليمانَ الدّارانيُّ رحمَهُ اللهُ تعالى: الرِّضا عن اللهِ تعالى، والرّحمةُ للخلقِ دَرَجَةُ المرسلينَ. اهــ.

فَمَن قرأ سِيرةَ الأنبياءِ والمرسلينَ عليهم الصّلاةُ والسّلامُ عَرَفَ أنّ من سِيرَتِهِمُ الرِّضا عنِ اللهِ تعالى في قضائِهِ وقَدَرِهِ، وهذا ما ظَهَرَ جَلِيّاً في حياةِ سيّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يومَ الطّائِفِ عندما بكى وضَجَّ في الدُّعاءِ للهِ عزّ وجلّ قائلاً: «إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتُك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَك الْعُتْبَى حَتَّى

تَرْضَى».

سل نفسَكَ: هل أنتَ مُتَحَقِّقٌ بهذا؟

أَيُّها الإخوة الكرام: سيِّدُنا موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ سألَ ربَّهُ عزَّ وجلَّ عن ستِّ خِصالٍ:

الأولى: قال: يا رَبِّ أيُّ عبادِكَ أَتقى؟ قال: الذي يَذكُرُ ولا يَنسى.

سل نفسَكَ: ولأسألْ نَفسِي: هل نحنُ نذكُرُ اللهَ تعالى ولا نَنسَاهُ؟ هل نلتزِمُ قولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾؟

الثانية: قال: فأيُّ عبادِكَ أَهدَى؟ قال: الذي يَتَّبِعُ الهُدى.

سل نفسَكَ: ولأسألْ نفسي: هل نحنُ مِنَ الذين اتَّبعوا الهُدى الذي جاءَنا من الله تعالى، والذي أمَرَنا ربُّنا عزَّ وجلَّ بالتِزامِهِ؟ قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون﴾.

الثالثة: قال: فأيُّ عبادِكَ أَحكَمُ؟ قال: الذي يَحكُمُ للنَّاسِ كما يَحكُمُ لِنَفسِهِ.

سل نفسَكَ: ولأسألْ نفسي: هل نحنُ ممَّن يُنصِفُ الآخرينَ من أنفُسنا؟ هل نحنُ ممَّن يلتزمُ قولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيَّاً أَوْ فَقَيراً فاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾؟.

الرابعة: قال: فأيُّ عبادِكَ أعلَمُ؟ قال: عالمٌ لا يَشبَعُ من العِلمِ، يجمعُ عِلمَ النَّاسِ إلى

عِلمِهِ.

سل نفسَكَ: ولأسألْ نفسي: هل نحنُ ممَّن كانَ حريصاً على زِيادةِ العلمِ النَّافِعِ؟ هل نحنُ ممَّن يبحثُ عن زِيادةِ العلمِ؟ هل ندعو بالدُّعاءِ الذي علّمنا إيّاهُ ربُّنا عزَّ وجلّ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾؟

الخامسة: قال: فأيُّ عبادِكَ أعزُّ؟ قال: الذي إذا قَدَرَ غَفَرَ.

سل نفسَكَ: ولأسألْ نفسي: هل نحنُ من الصَّابرينَ على الأذى إذا لم نقدر على الرَّدِّ؟ وهل نحنُ ممَّن يعفو ويغفرُ إن قَدَرنا على من آذانا؟ هل نحنُ ممَّن سَمِعَ قولَ الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَّحِيم﴾؟

السادسة: قال: فأيُّ عبادِكَ أَغنَى؟ قال: الذي يَرضَى بِمَا يُؤتَى.

سل نفسَكَ: ولأسألْ نفسي: هل نحنُ ممَّن إذا جاءَ القضاءُ والقَدَرُ خِلافَ ما نُريدُهُ ونهواهُ ونتمنَّاهُ نرضى به؟ وهل نحنُ نرضى بما قَسَمَ اللهُ تعالى لنا من عطاءٍ ومنعٍ، وخفضٍ ورفعٍ، وعزٍ وذلٍّ؟

مَثَلٌ رائعٌ في الرِّضا عن الله تعالى:

أيُّها الإخوة الكرام: الرِّضا عن الله تعالى في العطاءِ والرِّخاءِ أمرٌ طبيعيٌّ، ولا يُستبعدُ عن المؤمنِ ولكن ليسَ هذا المعوَّلَ عليه، بل المعوَّلُ عليه هوَ الرِّضا عن الله تعالى في الأخذِ والمنعِ كما هوَ الرِّضا في العطاءِ والرِّخاءِ.

ذَكرَ الذهبيُّ وابنُ كثيرٍ أنَّ عروةَ بن الزبيرِ أَحَدَ عُلَماءِ المدينةِ والذي كانَ يقطعُ

يومهُ صائماً غالباً ويقطعُ ليلهُ قائماً ويَختِمُ القُرآنَ في كلِّ أربعِ ليالٍ، مرَّةً أخذَ ابنهُ وسافرَ في يومٍ من الأيامِ وأصابتهُ الآكلةُ في رجلِ قدمِهِ، فجاؤوا بهِ إلى الأطباءِ فقالوا: نقطعها من القدمِ، قال: لكنِّي أنتظرُ وأصبرُ وأحتَسِبُ، فَصَعَدَتِ الآكلةُ إلى السَّاقِ، فقالوا: نقطعُهَا من الرُّكبَةِ، قال: لكنِّي أنتظرُ وأصبرُ وأحتَسِبُ، فَدَخَلت إلى الفَخِذِ، فقالوا: يُخشى عليكَ، قال: اللهُ المستعانُ، سلَّمتُ أمري للهِ، فافعلوا ما شئتم، فجاءَ الأطباءُ وتجمَّعُوا بمناشيرهِم وجاءوا له بكأسِ خمرٍ قالوا له: اشرب هذا عَلَّه أن يذهبَ عقلُكَ فلا تحسَّ بألمِ القطعِ فَصَاحَ وقالَ: عقلٌ منحنيه ربِّي أذهبُهُ بكأسٍ من الخمرِ، لا واللهِ، لكن إذا أنا توضأتُ ووقفتُ بين يديِ اللهِ وقمتُ لأصلي، وسَبَحتُ مع آياتِ اللهِ البيِّناتِ فافعلوا برجلي ما شئتم، توضأَ وَوَقَفَ بين يديِ اللهِ وجَمَعُوا مناشيرهم وسَبَحَ مع آياتِ اللهِ البيِّناتِ وقاموا يقطعونَ في رِجلِهِ بالمناشِيرِ والدماءُ تنزفُ وإذ به يَخِرُّ مَغشيًّا عليه وفي تلكَ اللَّحظةِ كانَ ابنهُ محمدٌ وراءَ ناقةٍ من النوقِ يطارِدُهَا فَرَفَسَتهُ، فأماتَتهُ مصيبتانِ في آنٍ واحدٍ، أفاقَ من غيبوبته فقالوا له: أحسنَ اللهُ عزاءك في ابنك محمد، وأحسنَ اللهُ عزاءك في رِجلِك، فقال: الحمدُ للهِ ربِّ العالمين أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون، اللهم يا رب إن كنتَ أخذتَ فقد أعطيتَ، أعطيتني أربعةً من الولدِ وأخذتَ واحداً فلكَ الحمدُ أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وأعطيتني أربعةً من الأطرافِ فأخذتَ واحداً فلك الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، فطلب الوليدُ أن يأتي إليه فذهب إليه في قصره ودخل على الوليد وجلسَ عندهُ وبه من الهَمِّ ما بهِ لكنَّه فوَّضَ أمرهُ إلى اللهِ جلَّ وعَلَا ، فجاءَ طفلٌ صغيرٌ من أطفالِ الوليدِ

وقال: ما أصابَ عروةَ ما أصابَهُ إلا بذنبٍ أصابَهُ فقال: لا واللهِ

ما مَـــــدَدتُ كَـــــفـــي لــــــريبةٍ ولا *** حملتـــني نـــحوَ فـــاحـــشةٍ رجـــلي

ولا دلَّني سمعي ولا بصري لها *** ولا قادني فِكرِي إليها ولا عَقلي

وأعلم أني لم تـــصبني مـــصـــيـــبةٌ *** من الله إلا قد أصابت فتىً قبلي

وصادَفَ أن نَزَلَ بدارِ الخِلافَةِ جماعةٌ مِن بَنِي عَبسٍ فيهِم رجلٌ ضريرٌ، فسأَلَهُ الوَليدُ عن سبَبِ كفِّ بَصَرِهِ، فقال: يَا أميرَ المؤمنينَ بتُّ ليلةً في بَطنِ وادٍ، ولا أَعلَمُ عَبسِيَّاً يزيدُ مالُهُ على مالي، فَطَرَقَنَا سَيلٌ فَذَهَبَ بما كَانَ لي من أَهلٍ وَوَلَدٍ، ومالٍ غيرَ بعيرٍ، وصبيٍّ مولودٍ، وكانَ البعيرُ صعباً فَنَدَّ، فَوَضعتُ الصَّبِيَّ واتَّبَعتُ البَعيرَ، فَلَم أُجاوِز قَليلاً حتى سَمِعتُ صَيحَةَ ابني ورأسُهُ في فَمِ الذِّئبِ وهوَ يأكُلُهُ، فَلَحِقتُ البَعيرَ لأَحبِسَهُ فَنَفَحَنِي بِرِجلِهِ على وَجهِي فَحَطَّمَهُ وذَهَبَ بِعَينَيَّ، فَأَصبَحتُ لا مالَ لي، ولا أهلَ، ولا وَلَدَ، ولا بَصَرَ، فقال الوليدُ: انطَلِقُوا بِهِ إلى عروة، ليَعلَمَ أنَّ في النَّاسِ مَن هُو أَعظَمُ مِنهُ بلاءً.

وكانَ أحسنَ مَن عَزَّاهُ إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ طَلحَةَ وقالَ له: واللهِ ما بِكَ حاجَةٌ إلى الَمشيِ، ولا أَرَبٌ في السَّعيِ، وقد تَقَدَّمَكَ عُضوٌ مِن أَعضائِكَ وابنٌ من أَبنائِكَ إلى الجَنَّةِ، والكُلُّ تَبَعٌ للبَعضِ، إن شاءَ اللهُ تعالى، وقد أَبقى اللهُ لَنا مِنكَ مَا كُنَّا إليهِ فُقراءَ، وعَنهُ غيرُ أَغنياءَ، ومِن عِلمِكَ ورأيِكَ، نَفَعَكَ اللهُ وإيَّانَا به، واللهُ وليُّ ثَوابِكَ، والضَّمِينُ بِحِسابِكَ.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

لِنَكُن راضينَ عنِ اللهِ تعالى في قضائِهِ وقَدَرِهِ، لأَنَّهُ حاشا لربِّنا عزَّ وجلَّ القائلِ في كتابِهِ العظيمِ: ﴿جَزَاء وِفَاقاً﴾. والقائلِ: ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَان﴾. أن يرانا راضينَ عنهُ و لم يرضَ عنّا.

نسألُ اللهَ تعالى أن يُعيننا على ذلكَ، وأن لا يُحمِّلَنا ما لا طاقةَ لنا به، وأن يُعامِلَنا بفضلِهِ لا بعدلِهِ، وأن يكشفَ هذهِ الغُمَّةَ عن هذهِ الأمَّةِ عاجلاً غيرَ آجلٍ، ونسأُلُهُ تعالى كما سألَهُ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتُك هِيَ أَوْسَعُ لِي».أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

313ـ كلمة الأسبوع: سبب الإعراض نسيان يوم العرض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ونحنُ نعيشُ هذا الواقعَ المريرَ المؤلَم، الذي أدمى القلبَ بعدَ العينِ، والكلُّ ينظُرُ لعلاجِ هذا الواقعِ، والكلُّ يطرحُ حلّاً من خلالِ مِنظارِهِ، والإنسانُ المؤمنُ هوَ الذي يطرحُ الحلّ لحلِّ هذهِ الأزمةِ، وذلك من خلالِ نَظَرِهِ في كتابِ الله عزَّ وجلّ، حيثُ من خلالِهِ يَعرِفُ السَّبَبَ، ثمّ يَعرِفُ العِلاجَ.

سَبَبُ هذا الواقع المرير:

أيُّها الإخوة الكرام: سَبَبُ هذا الواقعِ المريرِ الذي تمُرُّ به هذهِ الأمَّةُ في هذهِ البلدةِ المباركةِ هوَ الإعراضُ عن ذِكرِ الله تعالى، والمقصودُ بذِكرِ الله تعالى هوَ القرآنُ العظيمُ، لأنَّ اللهَ تبارك وتعالى يقولُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَرَكَنا على المَحَجَّةِ البيضاءِ، لا يَزيغُ عنها إلا هالِكٌ، فمن جملةِ ما قالَهُ لنا سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قولُ الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾. هذا في الحياةِ الدُّنيا، فإن أقبَلَ بعدَ إعراضٍ جَعَلَ اللهُ تعالى حياتَهُ طَيِّبَةً، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. وهذا في الحياةِ الدُّنيا، فإن ماتَ على الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ يُكمِلُ اللهُ تعالى له الجزاءَ في الآخرةِ، قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

أمَّا إذا أصرَّ العبدُ على الإعراضِ عن ذِكرِ الله تعالى، فإنَّ اللهَ تعالى يحشُرُهُ أعمى يومَ القيامةِ بعدَ حياةِ الضَّنكِ في الدُّنيا، فإن سَألَ لماذا حُشِرَ أعمى، يأتيهِ الجوابُ: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾.

أيُّها الإخوة الكرام: الجزاءُ من جِنسِ العَمَلِ، من شَكَرَ نِعَمَ الله تعالى زادَهُ اللهُ منها، ومن كَفَرَ بِنعَمِ الله تعالى عَرَّضَها للزَّوالِ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

أيُّها الإخوة الكرام: إنّ المأساةَ التي يعيشُها المسلمونَ اليومَ في هذهِ البلدةِ هيَ بسببِ إعراضِها عن الله تعالى، وبسببِ كُفرانِ النّعمَةِ، وهذا هوَ قَرارُ الله تعالى في كتابِهِ العظيمِ، وإذا عَرَفَ الإنسانُ سَبَبَ الدّاءِ قَطَعَ نِصفَ الطّريقِ في العِلاجِ.

ما هوَ سَبَبُ الإعراضِ عن ذِكرِ الله تعالى؟

أيُّها الإخوة الكرام: لو سَألَ الإنسانُ نفسَهُ، ما هوَ سَبَبُ إعراضِهِ عن ذِكرِ الله تعالى؟ وكانَ مُنصِفاً، لكانَ جوابُهُ: هوَ نِسيانُهُ يومَ العَرضِ، فمن نَسِيَ يومَ العَرضِ أعرَضَ عن ذِكرِ الله تعالى، ومن استَحضَرَ يومَ العَرضِ على الله تعالى فلن يُعرِضَ عن ذِكرِ الله تعالى، ومن أيقنَ العَرضَ أعرَضَ عن الإعراضِ.

أيُّها الإخوة الكرام: لقد ذكَّرَنا اللهُ تعالى بيومِ العَرضِ في كثيرٍ من الآياتِ الكريماتِ، من جملةِ ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾. لا في الدُّنيا ولا في الآخرةِ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائلُ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وذكَّرَنا اللهُ تبارك وتعالى بيومِ العَرضِ، ونتيجةِ هذا العَرضِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَة * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة *

قُطُوفُهَا دَانِيَة * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه﴾.

ومِمَّا لا شكَّ فيه بأنَّ الإنسانَ يعلمُ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا قبلَ الآخرةِ بأنَّهُ من أيِّ الفَريقَينِ سَيكونُ يومَ القيامةِ، فمن كانَ يستطيعُ في الحياةِ الدُّنيا أن يُعلِنَ سَريرَتَهُ أمامَ النَّاسِ حيثُ إنَّها مُوافِقَةٌ لكتابِ الله تعالى وسُنَّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وكانَ سُلوكُهُ مُوافِقاً للشَّرعِ الذي جاءَ به سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فهذا العبدُ سيقولُ إن شاءَ اللهُ تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه﴾. وأمَّا إذا كانَ على العكسِ من ذلكَ فأمرُهُ إلى الله تعالى، إن شاءَ سَتَرَهُ وعفا عنهُ، وإن شاءَ فَضَحَهُ وعذَّبَهُ ـــ والعياذُ باللهِ تعالى ـــ.

من أيقنَ العَرضَ صَعُبَ عليه الإعراضُ:

أيُّها الإخوة الكرام: من أيقنَ العَرضَ صَعُبَ عليه الإعراضُ، ومن نَسِيَ العَرضَ هانَ عليه الإعراضُ، هؤلاءِ أصحابُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أيقَنوا بيومِ العَرضِ على الله تعالى، لذلكَ صَعُبَ عليهِمُ الإعراضُ، فإن وَقَعَ أحدٌ في مُخالفةٍ شرعيَّةٍ أسرعَ إلى سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وقالَ: يا رسولَ الله، طَهِّرني، وتقولُ المرأةُ: يا رسولَ الله، طَهِّرني، ولا ترُدَّني كما رددتَّ ماعِزاً.

أمّا اليومَ فقد نَسِيَ الكثيرُ يومَ العَرضِ على الله تعالى، فهانَ عليهِمُ الإعراضُ عن الله تعالى، اللهُ عزّ وجلّ يُناديهِم بقولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. فَيُصِرُّونَ على أكلِ الرِّبا، يُناديهم بقولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾. فَيُصِرُّونَ على أكلِ الأموالِ بالباطِلِ، يُناديهِم بقولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾. فَيُصِرُّونَ على مُخالفةِ هذا الأمرِ، يُناديهِم بقولِهِ تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾. وقد بيّنَ لهم جزاءَ قَتْلِ العَمْدِ بغيرِ حقٍّ بقولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. فَيُصِرُّونَ على القَتْلِ.

أيُّها الإخوة الكرام: إنّ نِسيانَ يومِ العَرضِ جريمةٌ كُبرى تدفعُ العبدَ لارتِكابِ الجرائِمِ، فالسَّعيدُ من استَحضَرَ يومَ العَرضِ على الله تعالى.

من أيقنَ الموتَ خَشِيَ الفوتَ:

يا عباد الله، من أيقنَ الموتَ كانَ حريصاً على عَدَمِ فَواتِ الطّاعاتِ، وكانَ حريصاً على عَدَمِ الوُقوعِ في المخالفاتِ، وهذا ما ذكّرت به امرأةٌ سيِّدَنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، جاء في الشفاء لابن الجوزي: خَرَجَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يوماً إلى السُّوقِ ومَعَهُ الجارودُ، فإذا امرأةٌ عَجوزٌ فَسَلَّمَ عليها عُمَرُ، فَرَدَّت عليه، وقالت هيه يا عُمَير: عَهِدتُكَ وأنت تُسَمَّى عُمَيراً في سُوقِ عُكاظ، تُصارِعُ الصِّبيانَ فلم تَذهبِ الأيَّامُ حتَّى سَمِعتُ عُمَرَ، ثمَّ قليلٍ سَمِعتُ أميرَ المؤمنينَ، فاتَّقِ اللهَ في الرَّعِيَّةِ، واعلم أنَّهُ من خافَ الموتَ خَشِيَ الفوتَ، فَبَكَى عُمَرُ، فقالَ الجارودُ: لقدِ

اجتَرَأتِ على أميرِ المؤمنينَ وأبكَيتِهِ، فأشارَ إليه عُمَرُ أنْ دَعْهَا، فلمَّا فَرَغَ قال: أمَا تعرِفُ هذهِ؟ قال: لا، قال: هذهِ خولةُ ابنةُ حكيم، التي سَمِعَ اللهُ قولَها، فَعُمَرُ أحرى أن يَسمَعَ كَلامَهَا، أشارَ إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها﴾.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيُّها الإخوة الكرام: واقِعُنا المريرُ سَبَبُهُ الإعراضُ عن ذِكرِ الله تعالى، وسَبَبُ الإعراضِ نِسيانُ يومِ العَرضِ، وإذا كُنَّا صادِقينَ في طَلَبِ كَشْفِ هذهِ الغُمَّةِ وهذا الكربِ فعلينا باستِحضارِ يومِ العَرضِ عسى أن يدفَعَنا لِنَبذِ هذا الإعراضِ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائلُ: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

اللّهُمَّ رُدَّنا إليكَ ردّاً جميلاً يا أرحمَ الرّاحمينَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٣١٤ـ كلمة الأسبوع: من سعادة العبد حفظ لسانه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكلمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾. ويقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

وأخرجَ الإمامان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ».

وأخرجا كذلكَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خيرٌ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

يا عبادَ اللهِ، نحنُ مُكلَّفونَ ومسؤولونَ يومَ القِيامةِ، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾. ويقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون﴾. ومن جُملَةِ ذلكَ السُّؤالُ عن كلِّ كلمةٍ تصدُرُ مِنَّا ولو كانت صِدقَاً، قال تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾.

الكلمةُ لها أثرٌ:

يا عبادَ اللهِ، لقدِ اهتمَّ الإسلامُ بالكلمةِ ورَعَاها حَقَّ الرِّعايةِ وذلكَ للأثرِ الذي تُحدِثُهُ الكَلِمَةُ، فَبِكَلِمَةٍ واحِدةٍ لا يَخلُدُ صاحِبُهَا في النَّارِ، وبِكَلِمَةٍ واحدةٍ لا يَدخُلُ صاحِبُها الجَنَّةَ، وبِكَلِمَةٍ واحدةٍ يُرفَعُ العبدُ أعلى الدَّرجاتِ في الآخرةِ، وبِكَلِمَةٍ واحدةٍ يَهوي بها العبدُ سبعينَ خريفاً في نارِ جَهَنَّم، وبِكَلِمَةٍ واحدةٍ يُطفِئُ العبدُ نارَ فتنَةٍ، وبِكَلِمَةٍ واحدةٍ يُشعِلُ نارَ فتنَةٍ، وبِكَلِمَةٍ واحدةٍ تُعَمَّرُ بُيوتٌ، وبِكَلِمَةٍ واحدةٍ تُهَدَّمُ بُيوتٌ، بِكَلِمَةٍ واحدةٍ تُسفَكُ الدِّماءُ، وبِكَلِمَةٍ واحدةٍ تُحقَنُ الدِّماءُ.

يا عبادَ اللهِ، إنَّ الأمَّةَ تعيشُ أَيَّاماً قاسِيَةً وصعبَةً وأحداثاً مُؤلِمَةً ولا تَسمَعُ فيها من يُذَكِّرُكَ باللهِ تعالى ـــ إلا من رَحِمَ ربُّك ـــ .

ما أَحوَجَنا في هذِهِ الأَيَّامِ إلى من يُذَكِّرُنا باللهِ تعالى، إلى من يُذَكِّرُنا بسيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، إلى من يُذَكِّرُنا بما يُطَمئِنُ قُلُوبَنَا، إلى من يُحاوِلُ إطفاءَ نارِ الفِتنَةِ التي حَرَقَتِ الأخضرَ واليابِسَ، وذهبَ ضَحِيَّتَها الأبرياءُ.

تَثَبَّت قبلَ الكلامِ:

يا عبادَ اللهِ، لُزومُ الصَّمتِ خيرٌ من كَلامٍ يزيدُ النَّارَ ناراً، ويزيدُ القتلَ قتلاً، ويزيدُ الدَّمارَ دَماراً، إطلاقُ اللسانِ بالحديثِ بدونِ تَثَبُّتٍ قد يُؤذي المُسلمينَ ويزيدُ الطِّينَ بِلَّةً كما يُقالُ في المَثَلِ، ولا تشفعُ لك صلاتُكَ ولا صِيامُكَ ولا صَدَقَتُكَ إذا أطلقتَ لِسانَكَ بالحديثِ الذي تكونُ نتيجتُهُ إيذاءً للمُسلمينَ، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ».

اِسمع يا مَن يُلقِي الكلامَ جُزافاً، واسمع يا مَن يُحَدِّثُ النَّاس بِكُلِّ ما سَمِعَ ـــ وهذا ينطبِقُ على أجهزَةِ الإعلامِ بِجَمِيعِ صُوَرِهَا ـــ واسمع يا من اتَّخَذَ كَلِمَةَ زعموا مَطِيَّةً لحديثِهِ.

أولاً: يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كفى بالمَرءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ» رواه الإمامُ مسلم عنْ أبي هُرَيْرة رضي اللهُ عنْهُ. إن لم يَكُنِ المرءُ كذَّاباً إلا أنَّهُ يُحَدِّثُ بِكُلِّ ما سمِع فيكفيهِ هذا بأن يكونَ كذَّاباً.

ثانياً: يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا» رواه الإمام أحمد عن أبي قُلابَةَ رضيَ اللهُ عنهُ. بئسَ قولُ الرَّجُلِ ــ الذي يُلقي القولَ جُزافاً ولا يدري ما هوَ أثَرُهُ في نُفوسِ الأُمَّةِ ــ زعموا، بِئست تلكَ الكَلِمَةُ التي جَعَلَها العبدُ مَطِيَّةً لإلقاءِ الكلامِ جُزافاً ظَنّاً منهُ بأنَّ ذِمَّتَهُ بِذلِكَ تكونُ بريئةً.

ثالثاً: يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» رواهُ الإمامُ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ.

رابعاً: يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه الإمام أحمد عَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ.

يا عبادَ الله، قَبلَ الكلامِ استشعِروا بوُجودِ مَلَكٍ عن يمينِكُم يكتُبُ الحَسَناتِ، ومَلَكٍ عن شِمالِكُم يكتُبُ السَّيِّئاتِ وبعدَ ذلكَ أَقِلّوا من الكلامِ أو أكثِروا، تذكَّروا وأنتم تَتَحدَّثونَ بأنَّ كلامَكُم مَحصِيٌّ عليكُم، ولا يَضيعُ منهُ فَتيلٌ ولا قِطميرٌ، وأنَّكم سَتَجِدونَ ذلِكَ في صَحيفَةِ أعمالِكُم، وهُناكَ من يقولُ: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

يا عبادَ الله، قولوا خيراً تَغنَموا، وإلا فَسوفَ تندَمونَ ـــ لا قدَّرَ اللهُ تعالى ـــ واعلَموا أنَّ ما قَبلَ اللِّسانِ شَفَتانِ وأسنانِ، فهل يَحجِزاكُم عنِ الكلامِ.

خاتمة نسألُ اللهَ تعالى حُسنَها:

يا عبادَ الله، تذكَّروا حديثَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يقولُ لسيِّدِنا معاذٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ: «كُفَّ علَيْكَ هذا» قُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ، وإنَّا لَمُؤَاخَذون بمَا نَتَكلَّمُ بهِ؟ فقَال: «ثَكِلتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وَجُوهِهِم إلا حصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟» رواه الإمام أحمد والترمذي عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عنهُ. وفي روايةٍ للطبراني زاد فيها: «إنَّكَ لن تَزالَ سَالِمَاً ما سَكَتَّ، فإذا تَكَلَّمتَ كُتِبَ لَكَ أَو عَليكَ».

وتذكَّروا حديثَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضيَ الله عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ اللهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي».

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

315ـ خطبة الجمعة: اسمعي يا أمة سيدنا محمد صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد أَعظَمَ اللهُ تعالى منَّتَهُ على عبدِهِ فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. ومن مظاهِرِ هذا التَّكريمِ أَنَّهُ خلَقَ أبَ البشرِ بِيَدِهِ، ونَفَخَ فيهِ من روحِهِ، وأَسجَدَ لهُ ملائِكَتَهُ، وعلَّمَهُ الأسماءَ كُلَّها، وأسكَنَهُ جنَّتَهُ، ولا شكَّ أنّ تكريمَ الأصلِ تكريمٌ للفرعِ.

ومن مظاهِرِ هذا التَّكريمِ أن سخَّرَ لهُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ، وأسبَغَ عليهِ نعمَهُ ظاهِرَةً وباطنةً، وتوَّجَ ذلكَ كُلَّهُ بالهدى الذي أكرمَهُ اللهُ تعالى بهِ، والذي قالَ عنه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون﴾. وقال عنه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾.

وبعدَ التَّكريمِ كُلِّهِ قالَ للمؤمنِ الذي يقولُ صباحاً ومساءً: «رَضِيتُ بِاللهِ تعالى رَبَّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّاً ورسولَاً» قالَ له: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾.

اسمعي يا أُمَّةَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا أُمَّةَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: اِسمَعي إلى ما قضَى اللهُ تعالى، اِسمَعي إلى ما أمَرَ اللهُ تعالى، اِسمَعي إلى تربيةِ اللهِ تعالى لعبادِهِ المؤمنينَ، يا من يقولُ: رَضِيتُ بِاللهِ تعالى رَبَّاً، اِسمَع إلى تربيةِ اللهِ تعالى، واسمَع إلى أوامِرِهِ:

أولاً: يُخاطِبُ اللهُ تعالى الذينَ آمنوا باللهِ تعالى ربَّاً، فيقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا

تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾.

هل سَمِعَ قاتِلُ الأبرياءِ قولهُ تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾؟ أينَ عُقولُ قَتَلَةِ الأبرياءِ؟ أينَ عُقولُ من يقرأُ قولَهُ تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِير﴾؟

ثانياً: اِسمَعي يا أُمَّةَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تأكيدَ حُرمَةِ قَتلِ الأبرياءِ، يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾. وربِّ الكعبةِ قاتِلُ للأبرياءِ هوَ الخاسِرُ، والمَقتولُ هوَ المَنصورُ، قالَ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِين * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِين * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِين * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِين﴾.

ثالثاً: اِسمَعي يا أُمَّةَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى ما قَضَى اللهُ تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُون﴾.

يقولُ سيِّدُنا سعيد بن جبيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ: مَن استَحَلَّ دَمَ مُسْلِمٍ فَكَأَنَّمَا استَحَلَّ دِمَاءَ النَّاسِ جميعاً، ومَن حَرَّمَ دَمَ مُسلِمٍ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ دِمَاءَ النَّاسِ جَميعاً.

رابعاً: اِسْمَعي يا أُمَّةَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَصْفَ العبادِ الذينَ أضافَهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى حَضرَتِهِ، فقالَ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾. ذَكَرَ أوصافَهُم والتي من جُملَتِها: ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ﴾ فَمَن قَتَلَ الأبرياءَ فليسَ هوَ من عبادِ الرَّحْمَنِ، بل هوَ عبدُ هواهُ وشيطانِهِ.

جزاءُ قاتِلِ الأبرياءِ:

اِسمَعي يا أُمَّةَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى قرارِ اللهِ تعالى وقضائِهِ في حقِّ الرَّجُلِ العنيدِ المُستَكبِرِ الذي صَمَّ أُذُنيهِ عن أوامِرِ اللهِ تعالى، قال جلَّت قُدرتُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

يا قاتِلَ الأبرياءِ، يا مَن استَحَلَّ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى، تدبَّر هذهِ الآيَةَ جيِّداً: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم﴾ سوفَ تراها وستَتَحسَّرُ: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾ سوفَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. جهنَّمُ مع الخلودِ: ﴿خَالِداً فِيهَا﴾. وسوفَ ينادي هذا المُجرِمُ مع من ينادي: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾.

جهَنَّمُ وخلودٌ وغَضَبٌ من الجبَّارِ المُنتَقِمِ، جاء في الحديثِ القُدسيِّ الذي رواه

الطبراني في الأوسط عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يقولُ اللهُ تعالى: اشتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَن ظَلَمَ مَن لَا يَجِدُ لهُ ناصراً غَيرِي».

جهَنَّمُ وخلودٌ وغَضَبٌ ولعنَةٌ، وأَعَدَّ اللهُ لهُ عذابَاً عظيماً مُضاعَفَاً، قال تعالى: ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾.

عذابٌ عظيمٌ ﴿لا يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى﴾ ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾. ومَعَ عِظَمِهِ أَنَّهُ مُضاعَفٌ ــ والعياذُ باللهِ تعالى ــ معَ العِلمِ بأَنَّهُ أدنى أهلِ النَّارِ عذاباً، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضيَ الله عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ». وفي روايةٍ للإمام البخاري عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقُمْقُمُ».

خاتمة نسألُ الله تعالى حُسنَها:

يا عبادَ الله، قُولوا لقاتِلِ الأبرياءِ: قرارُ اللهِ عز وجل وقضاؤهُ: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ﴾ وقرارُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ

وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾. فإن صَمَّ أُذُنَهُ فاعلَموا أنَّهُ انطَبَقَ عليهِ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

316ـ خطبة الجمعة: اسمعي يا أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد أعظمَ اللهُ تعالى المِنّةَ، وأتمّ النّعمةَ على هذهِ الأمّةِ ببعثةِ سيّدِنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي أرسَلَهُ اللهُ تعالى رحمةً للعالمينَ.

بالحبيبِ الأعظمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أخرَجَهُم من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، بالحبيبِ الأعظمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَقَلَهُم من الضّلالِ إلى الهُدى، بالحبيبِ الأعظمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

جَمَعَهُم بعدَ شَتَاتٍ، بالحبيبِ الأعظمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أغناهُم بعدَ فَقرٍ، بالحبيبِ الأعظمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ جعَلَهُم على بصيرةٍ من أمرهِم، بالحبيبِ الأعظمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أبدَلَهُم بعدَ خوفِهِم أمناً، بالحبيبِ الأعظمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَتَحَ أعيُناً عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقُلوباً غُلفاً.

مكانَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ:

أيُّها الإخوة الكرام: من مَكانةِ الحبيبِ الأعظمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ، أنْ جَعَلَ مَحبَّتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَقرونةً بِمَحبَّتِهِ تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آباؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وجَعَلَ طاعَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَنوطةً بطاعَتِهِ تعالى، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾.

وجَعَلَ ذِكرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَقروناً بِذِكرِهِ تعالى، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

وَجَعَلَ بَيعَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَقرونةً بِبيعَتِهِ تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾.

أيُّها الإخوة الكرام: بل بلَغَت منزلةُ الحبيبِ الأعظمِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندَ ربِّهِ أنْ حذَّرَ الأمَّةَ من عِصيانِهِ ومُخالفةِ أمرِهِ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾. وقال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

دَعوةٌ من الله تعالى لِطاعَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أيُّها الإخوة الكرام: لقد دَعا اللهُ تعالى الأمَّةَ إلى طاعَتِهِ إذا كانت حريصةً أن تَحيا حياةً طَيِّبَةً كريمةً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. فهل بِوُسعِ هذهِ الأمَّةِ من قَضِّها إلى قَضيضِها أن تقِفَ موقفَ الإنسانِ المنصِفِ مع نفسِهِ، وتجعلَ أهواءَها تحتَ أقدامِها، وتقولُ لأمرِ الله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ﴾. لبَّيكَ اللَّهُمَّ وسَعدَيكَ؟

هل بإمكانِ هذهِ الأمَّةِ التي تعيشُ هذهِ الأزمةَ التي أبكت القلبَ دَماً بعدَ أن أبكت العينَ دَمعاً، وأفرَحَتِ العدوَّ وأحزنتِ المحبَّ الصَّادِقَ، أن تقولَ لأمرِ الله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ﴾. سَمِعنا وأطَعنا؟ أم ستقولُ ـــ لا قدَّرَ اللهُ تعالى ـــ

سَمِعنا وعَصَينا؟

اِسمعي يا أمّةَ سيّدِنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، اِسمعي كلامَ الصّادِقِ المصدوقِ وأنتِ تعيشينَ هذهِ الأزمةَ، اِسمعي كلامَ سيّدِنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي لا يَشُكُّ فيه مُؤمنٌ، ولا يستطيعُ أن يتّهِمَهُ أحَدٌ، لأنّ من شكَّ أو اتّهَمَ فإنّهُ يخرُجُ من دائرةِ الإيمانِ.

اِسمعي يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فهوَ ليسَ بكلامِ عالمٍ من العلماءِ، وليسَ بكلامِ فقيهٍ من الفقهاءِ، بل هوَ كلامُ الذي لا ينطِقُ عن الهوى إنْ هوَ إلا وحيٌ يُوحى:

أولاً: روى الإمام البخاري عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً». إنْ كانَ البعضُ يتّهِمُ بعضَ العُلماءِ والفقهاءِ، فهل يُتّهَمُ سيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

ثانياً: اِسمعي يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى ما رواهُ ابنُ ماجه عَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ».

ثالثاً: اِسمعي يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يا

من تقولينَ صباحَاً ومساءً: رضيتُ بالله تعالى ربّاً، وبالإسلامِ دِيناً، وبسيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نبيّاً ورسولاً، اِسمعي ما يقولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، روى ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ».

رابعاً: اِسمعي يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ماذا يقولُ نبيُّكُم، روى الترمذي عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمْ اللهُ فِي النَّارِ».

خامساً: اِسمعي يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما يقولُ حبيبُكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: روى الإمام أحمد عن مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلَ يَمُوتُ كَافِراً، أَو الرَّجُلَ يَقْتُلُ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً».

سادساً: اِسمعي يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى ما رواهُ الطبراني في الكبير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، أَنَّهُ سَأَلَهُ سَائِلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، هَلْ لِلْقَاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَالْمُتَعَجِّبِ مِنْ شَأْنِهِ: مَاذَا تَقُولُ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ؟ ــــ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً ــــ ثُمَّ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَأْتِي الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقاً رَأْسَهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، مُتَلَبِّباً قَاتِلَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى يَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَماً، حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ الْعَرْشَ، فَيَقُولُ الْمَقْتُولُ لله: رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ، وُيَذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ».

واللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

يا أيُّها الإخوة الكرام: أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى أن تجعَلوا أهواءَكُم تحتَ أقدامِكُم، وأن تجعَلوا حُظوظَكُمُ الدُّنيويَّةَ تحتَ أقدامِكُم،وتذكّروا بأنّ الموتَ يعُمُّنا، وأنّ القبرَ يضُمُّنا، وأنّ القيامةَ تجمعُنا، واللهُ تعالى يفصِلُ بيننا.

سابعاً: اِسمعي يا أمّةَ سيّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى ما رواهُ الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنْ نَبيِّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: وُكِّلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ، وَبِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ، فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ».

يا أيُّها الجبّارُ العنيدُ، يا قاتلَ الأبرياءِ، يا سافكَ الدِّماءِ، هل تُطيقُ غَمَراتِ جهنّم؟ هل تُطيقُ ناراً وَقودُها النّاسُ والحجارةُ؟ هل تُطيقُ ناراً لا يموتُ فيها داخِلُها ولا يحيا؟ هل تُطيقُ ناراً كلّما نَضِجَت جُلودُ أصحابِها بُدِّلوا جُلوداً غيرَها؟

ثامناً: اِسمع يا من يقولُ: أشهدُ أن لاإله إلا الله، وأنّ محمَّداً رسولُ الله، إلى ما

رواهُ الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عاماً».

تاسعاً: اِسمع يا من آمَنَ بأنّ اللهَ تعالى حقٌّ، وأنّ سيّدَنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حقٌّ، وأنّ الجنَّةَ والنّارَ حقٌّ، وأنّ الحسابَ حقٌّ، إلى ما رواهُ الإمام البخاري عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ، فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذاً، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وهل تدرونَ من هوَ أسامةُ؟ إنَّهُ الحِبُّ بنُ الحِبِّ، إنّهُ أسامةُ بنُ زَيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

خاتمةٌ نسألُ اللهَ تعالى حُسنها:

يا أمَّةَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ماذا سنقولُ لِربِّنا عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ؟ الذي يقولُ: لا إله إلا اللهُ، يقتُلُ الذي يقولُ: لا إله إلا الله!.

أيُّها الإخوة الكرام: أعمالُنا تُعرَضُ على سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فهل هذا القتلُ، وسفكُ الدِّماءِ، وترميلُ النِّساءِ، وتيتيمُ الأطفالِ، وهدِيمُ البُيوتِ، يُرضي رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

يا عباد الله، أليسَ في الأمَّةِ رجلٌ رشيدٌ؟ طُوبى لعبدٍ كانَ مِفتاحاً للخيرِ مِغلاقاً للشَّرِّ، وبئسَ العبدُ عبدٌ كانَ مِفتاحاً لارتِكابِ أعظمِ الموبقاتِ بعدَ الشِّركِ، كانَ مِفتاحاً لقتلِ الأبرياءِ.

اللَّهُمَّ إنَّا نُشهِدُكَ ونُشهِدُ ملائكَتَكَ، ومن حَضَرَ من المسلمينَ، وجميعَ خلقِكَ، أنَّا لا نرضى بما يجري على أرضِ بلدِنا الحبيبِ، ونبرأُ إليكَ من سفكِ الدِّماءِ البريئةِ، ومن هذهِ الفِتنةِ العَمياءِ التي أكَلَتِ الأخضرَ واليابسَ.

يا ربَّنا، نتوسَّلُ إليكَ ونحنُ في شهرِ الرَّبيعِ الذي أكرمتَ الأمَّةَ بهذا الحبيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أن تُخرِجَها من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، وأن ترُدَّنا إلى دِينِنا ردَّاً جميلاً، وأن تَلِدَ الأمَّةُ مِيلاداً جديداً لِنَصطلِحَ مع الله تعالى.

اللَّهُمَّ لا تُشَمِّت أعداءَنا بدائنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

317ـ خطبة الجمعة: كفوا عن أهل لا إله إلا اللّه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

المتأمِّلُ في هذا العالَمِ المَشهودِ يرى أنّ جميعَ المخلوقاتِ من ملائِكةٍ وجَمادٍ ونباتٍ وحَيَوانٍ لم تَحظَ بالعِنايةِ والرِّعايةِ التي حَظِيَ بها الإنسانُ، فلقد سَخَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهذا الإنسانِ ما في السّماواتِ والأرضِ، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾. بل لقد سَخَّرَ اللهُ تعالى بعضَ الملائِكَةِ

الكِرامِ الذين لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ لِخِدمةِ هذا الإنسانِ، فَجَعَلَ منهُمُ الحافِظِينَ لهُ من بينِ يَدَيهِ ومن خَلفِهِ، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾. وجَعَلَ منهُم مُسَخَّرِينَ لإرسالِ والرِّياحِ والأمطارِ، ومنهُم لِنَفخِ الرُّوحِ فيهِ عندَ خَلقِهِ، ومنهُم لِقَبضِ روحِهِ عندَ مَوتِهِ. ومنهُمُ الكَتَبَةَ والحَفَظَةَ الذينَ يحفظونَ عن الإنسانِ ما يصدُرُ منهُ، وجَعَلَ من وظائِفِ حَمَلَةَ العرشِ ومَن حولَهُ أن يستغفِروا للذينَ آمَنوا ويدعونَ اللهَ تعالى لهُم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيم * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾.

يا عَجَباً من مُضغةِ لحمٍ أقسى من الحجَرِ:

أيُّها الإخوة الكرام: العَجَبُ كلُّ العَجَبِ من مُضغةِ لحمٍ تكونُ أقسى من الحجَرِ، تسمعُ آياتِ اللهِ تُتلى، وتسمعُ حديثَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُتلى، ثمّ تُصِرُّ مُستكبِرَةً كَأَن لَّمْ تسمَعْهَا، كَأَنَّ فِي أُذُنَيْها وَقْراً، فهيَ لا تَلينُ ولا تخشعُ، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّون﴾.

ونَسِيَ هذا العبدُ المستكبِرُ بأنّ اللهَ تعالى أودَعَ في جميعِ المخلوقاتِ ـــ ما عدا الفَسَقَةِ من عالَمَيِ الجِنّ والإنسِ ـــ الغَيرةَ على دِينِهِ وعلى حُدودِ شَريعَتِهِ، قال تعالى عن هذهِ العوالِمِ مُوضِحاً غَيرَتَها على دِينِهِ تباركَ وتعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾.

وقالَ تعالى في حقِّ سيِّدِنا سُلَيمانَ عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التَّسليمِ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِين * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِين * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُون * أَلا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُون * اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

نعم، ونَسِيَ هذا العبدُ المستكبِرُ أنّ بِمَوتِهِ يستريحُ منهُ الكونُ من جمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الشيخان عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا

الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ».

كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ:

أَيُّها الإخوة الكرام: لا نملِكُ في هذهِ الآونَةِ والأمَّةُ تمُرُّ بأزمةٍ عظيمةٍ، حيثُ سُفِكَتِ الدِّماءُ، وهُدِّمَتِ البيوتُ، وسُلِبَتِ الأموالُ، ودُمِّرَتِ البِلَادُ، وفُقِدَ الأمنُ والأمانُ، لا نملِكُ إلا الكلمةَ الطَّيِّبَةَ التي خرَجَت من فَمِ سيِّدِ الكائناتِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى، الذي من أطاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، ومن عصاهُ دَخَلَ النَّارَ، الذي طاعَتُهُ هيَ عينُ طاعةِ الله تعالى.

ومن الكَلِمِ الطَّيِّبِ الذي نَملكهُ ما خرَجَ من فَمِهِ الشَّريفِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حيثُ قالَ: «كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، لا تُكَفِّرُوهُمْ بِذَنْبٍ، فَمَنْ أَكْفَرَ أَهْلَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ فَهُوَ إِلَى الْكُفْرِ أَقْرَبُ» رواه الطبراني في الكبير عَنْ سَعِيدِ بن الْمُسَيِّبِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يا عباد الله، الرَّؤوفُ الرَّحيمُ، رسولُ ربِّ العالمينَ، سيِّدُ الأنبياءِ والمرسلينَ، المبعوثُ رحمةً للعالمينَ، يُخاطِبُكُم، فهل أنتم سامِعونَ؟

أولاً: كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، فلا يُكَفِّر بعضُكُم بعضاً بِذَنبٍ، ومن بابِ أولى وأولى أن لا يُكَفِّرَ بعضُكُم بعضاً بمسألةٍ خِلافِيَّةٍ، يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ قَذَفَ ـــ وفي رواية: من رمى ـــ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ

كَقَتْلِهِ» رواه الإمام البخاري عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ثانياً: كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إلا اللهُ، ولا تجعَلوا من أنفُسِكُم أرباباً على العِبادِ، تعامِلونَهُم وكأنّكُم تعلَمونَ السِّرَّ وأخفى، ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، هل نسيتُم قولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَكَ؟» رواه الطبراني في الكبير عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. والقاعدةَ التي تقولُ: لنا الظَّاهِرُ واللهُ يَتولَّى السَّرائِرَ.

ثالثاً: كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وإيَّاكُم وسِبابَ المسلم وقِتالهُ ولعنَهُ، أنسيتم قول النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»؟ رواه الشيخان عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وهل نسيتُم قولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِناً فَهُوَ كَقَتْلِهِ»؟ رواه الإمام البخاري عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

رابعاً: كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إلا اللهُ، لا تُحَرِّشوا بينَهُم، فإنّ التَّحريشَ بينَ المؤمنينَ صِفَةٌ شَيطانيَّةٌ، كما روى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ». وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾.

يا أصحابَ القَنَواتِ الفضائِيَّةِ: كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إلا اللهُ، لا تُحَرِّشوا بينَهُم،

كونوا سَبباً في الصّلاحِ والإصلاحِ، لا في الفسادِ وإثارَةِ الفِتَنِ، وتذكّروا قولَ الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

رابعاً: كُفُّوا عَنْ أَهْلِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، لا تَبُثّوا فيهِمُ اليأسَ والقُنوطَ، لا تُرَوِّعوهُم بِسلاحٍ وغيرِ سلاحٍ، وبِبَثّ صُوَرٍ مُرَوِّعَةٍ من قَتْلٍ وتهديمٍ للبُيوتِ، تُخيفونَ بها الأطفالَ والنِّساءَ، واعلَموا بأنّ رَوعةَ المسلمِ ظُلمٌ عظيمٌ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه البزار والطبراني وابن حبان في كتاب التوبيخ، عن عامرِ بنِ ربيعةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لا تُرَوِّعُوا المسلمَ، فإنّ رَوعَةَ المسلمِ ظُلمٌ عظيمٌ».

خاتمةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسن الخاتمة ــــ:

يا عباد الله، لقد كَرَّمَكُمُ اللهُ تعالى فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. فلا تُدَنّسوا هذا التّكريمَ بِشُؤمِ الذّنوبِ والمعاصي، حتّى لا تَنزِلوا إلى الدَّرَكاتِ بعدَ أن رَفَعَكُمُ اللهُ تعالى دَرَجاتٍ.

يا عباد الله، مَرَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ وُقُوفٌ عَلَى دَوَابَّ لَهُمْ وَرَوَاحِلَ، فَقَالَ لَهُمْ: «ارْكَبُوهَا سَالِمَةً، وَدَعُوهَا سَالِمَةً، وَلَا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ لِأَحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ وَالْأَسْوَاقِ، فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا، وَأَكْثَرُ ذِكْراً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ» رواه الإمام أحمد عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنه

يا عباد الله، كُلُّنا على يقينٍ بأنّ حُقوقَ الله تعالى مَبنِيَّةٌ على المسامَحَةِ، أمّ حُقوقُ العبادَ فَمَبنِيَّةٌ على المشاحَّةِ، فما أنتم قائلونَ لله عزّ وجلّ يومَ القيامةِ وقد دُمِّرَتِ البلادُ والعِبادُ؟ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ؟!

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

338ـ خطبة الجمعة: خير الفريقين من بدأ بوقف القتال

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

كُلُّنا يَعلمُ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وإنّي أتَوَجَّهُ إلى

المتقاتِلينَ في هذا البلدِ الحبيبِ حيثُ كَثُرَ فيه القتلُ، وسَفْكُ الدِّماءِ، وتَهديمُ البُيوتِ، وضَياعُ الأموالِ، لأقولَ لهُم:

خَيرُكُم من بَدَأَ بِوَقفِ القِتالِ، خَيرُكُم من رَحِمَ هذهِ الأمَّةَ التي تَضَرَّرَت بهذا القِتالِ أيِّما ضَرَرٍ، خَيرُكُم من كَفَّ عن القِتالِ وفوَّضَ أمرَهُ إلى الله تعالى، خَيرُكُم من سارَعَ إلى امتِثالِ أمْرِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائلِ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، اِرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ من في السَّمَاءِ» رواه أبو داوود والترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أيُّها المتقاتِلونَ: أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، كُفُّوا عن القِتالِ، وسَفْكِ الدِّماءِ، وتَهديمِ البُيوتِ، كُلُّنا راجِعٌ إلى الله تعالى، فما أنتُم قائِلونَ لله عزَّ وجلَّ؟

القَدَرُ مَمزوجٌ بالرَّحمةِ:

يا عباد الله، إنِّي أتَوَجَّهُ بعدَ ذلكَ إلى الأمَّةِ المَنكوبَةِ المَجروحَةِ في هذا البلدِ الحبيبِ من بلادِ الشَّامِ، وأرجو اللهَ تعالى أن تَكونَ أنظارُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ علينا، وأن تكونَ الأمَّةُ مَشمولةً بالرَّحمةِ المهداةِ رحمةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أيُّها الإخوة الكرام: اِحفَظوا قولَ العارفِ بالله ابنِ عطاءِ الله السَّكَندَريِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى حيثُ يقول: مَن ظَنَّ انفِكاكَ لُطفِ الله عن قَدَرِهِ، فذلِكَ لِقُصورِ نَظَرِهِ.

اِعلَمي يا أمَّةَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ المجروحةَ بأنَّ ما يَنزِلُ بنا واللهِ مَمزوجٌ بالرَّحمةِ، وإلا كانَ الأمرُ أعظَمَ من ذلكَ بكثيرٍ، فالحمدُ لله

على هذه الحالِ وعلى كُلِّ حالٍ، ونعوذُ باللهِ تعالى من حالِ أهلِ النّارِ.

أليسَ هذا هَدَفَكِ؟:

يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أليسَ هَدَفَكِ رِضا الله تعالى وتقولينَ: إلهي أنتَ مَقصودي ورِضاكَ مَطلوبي؟ أليسَ هَدَفَكِ الوُصولُ إلى الجنَّةِ؟ أليسَ هَدَفَكِ حُسنُ الخاتِمَةِ، والنُّطقُ بالشّهادَتَينِ عندَ الموتِ؟

فإذا كانَ هذا هوَ الهَدَفَ، فاعلَمِي بأنّ الطّريقَ الموصِلَةَ إلى الجنَّةِ ليسَ مَفروشاً بالوُرودِ والرّياحينِ والزُّهورِ، بل إنَّهُ مَحفوفٌ بالمَكارِهِ والشّدائِدِ والمِحَنِ والمصائِبِ، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَجاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا وَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: وَعِزَّتِكَ قَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَرَجَعَ، قَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَسْمَعَ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

يا مُريدَ الجنَّةِ: اِعلَم بأنّ سِلعَةَ الله غالِيَةٌ، اِعلَم بأنّ سِلعَةَ الله الجنَّةُ، حيثُ فيها

النَّظَرُ إلى وَجهِهِ الكريمِ، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.
وفيها مُرافقةُ خِيرَةِ البَشَرِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾.

هلّا سَمِعَ الفريقانِ المتقاتِلانِ بهذا؟ هلّا سَمِعَ الفريقانِ المتقاتِلانِ قولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»؟ رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فَخَيرُ الفريقَينِ من سَبَقَ صاحِبَهُ بالسَّلامِ، وتَرَكَ القِتالَ رحمةً بالأمَّةِ.

يا من جَعَلتَ هَدَفَكَ رِضا الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللّهِ﴾ وإيَّاكَ أن تسلُكَ طريقَ أهلِ النَّارِ التي جَعَلَ اللهُ تعالى وَقودَها النَّاسُ والحِجارَةُ، والتي قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فيها عندما سألَ جبريلَ عنها: «يا جبريلُ، ما لي أراكَ مُتَغَيِّرَ اللَّونِ؟» فقال: ما جِئتُكَ حتَّى أمَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بِمَفاتيحِ النَّارِ، فقالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يا جبريلُ، صِف لِيَ النَّارَ، وانعَت لي جَهَنَّمَ» فقالَ جبريلُ: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى أمَرَ بِجَهَنَّمَ فأوقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى ابيَضَّت، ثمَّ أمَرَ فأوقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى احمَرَّت، ثمَّ أمَرَ فأوقِدَ عليها ألفَ عامٍ حتَّى اسوَدَّت، فهيَ سوداءُ مُظلِمَةٌ لا يُضيءُ شَرَرُها، ولا يُطفَأُ لَهَبُها، والذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لو أنَّ قَدْرَ ثُقْبِ إبرَةٍ فُتِحَ من جَهَنَّمَ لماتَ مَن في الأرضِ كُلُّهُم جميعاً مِن حَرِّهِ». رواه الطبراني في الأوسط عن عُمَرَ بن

الخطّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

سوفَ تَنسى بُؤسَكَ في الدُّنيا إن شاءَ اللهُ تعالى:

يا أمَّةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، اِصبري ما دامَ الهَدَفُ وُصولٌ إلى جنَّةٍ عَرضُها السَّماواتُ والأرضُ، ومهما أصابَكِ من بُؤسٍ وشِدَّةٍ ومِحنَةٍ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا الفانِيَةِ فهوَ أمرٌ طبيعيٌّ، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين﴾.

فيا أيَّتُها الأمَّةُ الصَّابِرَةُ المحتَسِبَةُ المُنضَبِطَةُ بِضَوابِطِ الشَّريعةِ في الرَّخاءِ والشِّدَّةِ، في الأمنِ والخَوفِ، في الصِّحَّةِ والمَرَضِ، في الغِنى والفقرِ، سوفَ تنسَينَ هذا البُؤسَ وهذهِ الشَّدائِدَ عندما تُصبَغِينَ بِصَبغةٍ في الجنَّةِ إن شاءَ اللهُ تعالى، أخرج الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا واللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا واللهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

يا عباد اللهِ، تَصَوَّروا رَجُلاً أسبَغَ اللهُ تعالى عليه نِعَماً لا تُعَدُّ ولا تُحصى، فكانَ من أنعَمِ النَّاسِ في الدُّنيا، ولكن حَرَمَهُ اللهُ تعالى نِعمَةَ الإيمانِ، كيفَ حالُهُ عندما

يُغمَسُ في النَّارِ غَمسةً واحِدَةً فينسى جميعَ النِّعَمِ ــ والعياذُ باللهِ تعالى ــ؟ وتَصوَّروا العبدَ المؤمنَ الملتَزِمَ الذي عاشَ في الحياةِ الدُّنيا عِيشَةَ البائِسينَ مِلؤها الشَّدائِدُ والمِحَنُ والمصائِبُ، ولكنَّهُ مُنضَبِطٌ بِضَوابِطِ الشَّريعةِ، كيفَ حالُهُ عندما يُغمَسُ في نعيمِ الجنَّةِ غَمسةً واحِدَةً فَيَنسى بُؤسَهُ وشَقاءَهُ في الحياةِ الدُّنيا؟.

خاتمةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسن الخاتمة ــ:

أَيُّها الإخوة الكرام: اِعلَموا بأنّ الأمورَ بِخَواتيمِها، واحفَظوا قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُون * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِين * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّون * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِين * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون﴾. وقولَ الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين﴾.

لا تَحزَني يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما دُمتِ راضِيَةً بِقضاءِ الله تعالى وقَدَرِهِ، لا تَحزَني ما دُمتِ مُنضَبِطَةً بِضَوابِطِ الشَّريعةِ، واجعَلي هَمَّكِ واهتِمامَكِ أن تكوني من الفائِزينَ يومَ القيامةِ بِرِضا الله تعالى مع السَّابِقينَ الأوَّلينَ من المهاجِرينَ والأنصارِ، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾.

لا تَحزَني يا أمّةَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على قَضاءٍ مُرٍّ وَقَعَ عليكِ لأنَّكِ تَعلمينَ حديثَ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْراً مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ» رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ولكن اجعَلي حُزنَكِ وبُكاءَكِ على إخوةٍ لنا يقتَتِلونَ، وبسببِ قِتالِهم سُفِكَتِ الدِّماءُ البريئةُ، وهُدِّمَتِ البُيوتُ، وخُرِّبَتِ البلادُ، فَوِّضي أمرَكِ إلى الله تعالى، وسَليهِ أن يُميتَنا على الإيمانِ الكامِلِ، وقبلَ مَوتِنا أن يُوَفِّقَنا لأنْ نَعرِضَ إسلامَنا على الخلقِ جميعاً عَرضاً صحيحاً يُرضي اللهَ تعالى ورسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أنْ نَعرِضَ عَرضاً صادِقاً كما جاءَ به الذي قالَ عنهُ ربُّنا عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

وفي الخِتامِ: عَودٌ على بَدءٍ، أيُّها الفريقانِ المتقاتِلانِ تَخلَّقوا بالأخلاقِ المُرضِيَةِ، فَخَيرُكُما من بَدَأَ بِوَقفِ القِتالِ رحمةً بأمّةِ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**	**	**

319ـ خطبة الجمعة: كفانا قول: هذا مؤيد، وهذا معارض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله

وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ العبدَ المجاهِرَ بالمعصِيَةِ عبدٌ آثِمٌ يُغضِبُ اللهَ تعالى، ويَحرِمُ نفسَهُ من عَفوِ الله تعالى ومن رحمَتِهِ،وعمَلُهُ مُحتقَرٌ عندَ الصّالِحينَ.

العبدُ المجاهِرُ بالمعصِيَةِ يُحِلُّ عِرضَهُ بحديثِ النّاسِ عنهُ وعن جرائِمِهِ، فلا يلومَنَّ إلا نفسَهُ إذا وَجَدَ النّاسَ يَتَحَدَّثونَ عنهُ.

العبدُ المجاهِرُ بالمعصِيَةِ عبدٌ مَفضوحٌ بينَ الخلائِقِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرَةِ ـــ والعياذُ بالله تعالى ـــ.

العبدُ المجاهِرُ بالمعصِيَةِ يكونُ سَبَباً في نُزولِ البلاءِ على الأمَّةِ، عَرَفَ هذا من عَرَفَهُ، وجَهِلَهُ من جَهِلَهُ.

المجاهِرونَ لا يَتَمَتَّعونَ بمُعافاةِ الله تعالى:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: من طَبيعةِ الإنسانِ الخَطَأُ، وكُلُّ بني آدمَ خَطّاءٌ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الحاكم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

فالمشكلةُ ليست في المعصِيَةِ أو في الخَطَأ، ولكنَّ المشكلةَ في الاجتِراءِ عليها جِهاراً نهاراً، المشكلةُ في الإصرارِ عليها، المشكلةُ في استِحلالِها، المشكلةُ في تبريرِها، ومن هذا المنطَلَقِ حَذَّرَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الأمَّةَ من المجاهَرَةِ بالمعصِيَةِ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ

أُمَّتِي مُعَافى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ».

فإذا كانَ مُرتَكِبُ المعصِيَةِ الذي باتَ وقد سَتَرَهُ اللهُ تعالى، أصبَحَ يُحَدِّثُ النّاسَ بما فَعَلَ، ويكشِفُ سِترَ اللهِ تعالى عنهُ، مَحروماً من عَفوِ اللهِ تعالى، فكيفَ بمن ارتَكَبَ المعصِيَةَ جِهاراً نهاراً بدونِ حَياءٍ من اللهِ تعالى؟

هذا على العكسِ من العبدِ الذي اقتَرَفَ المعصِيَةَ سِرّاً، وهوَ خائِفٌ من اللهِ تعالى، وخائِفٌ من الفضيحَةِ في الدُّنيا قبلَ الآخِرَةِ، هذا العبدُ الذي ما هَتَكَ سِترَ اللهِ تعالى عنهُ، هوَ المبَشَّرُ بِسَترِ اللهِ تعالى عليه في الآخِرَةِ مع مَغفِرَةِ ذَنبِهِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عن صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ».

لماذا حلّ العذابُ والعِقابُ بالأمّةِ؟

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لقد حَذّرَنا سيّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من أن نَحِلّ بأنفُسِنا عذابَ اللهِ وعِقابَهُ، فاللهُ تعالى ما خَلَقَنا

لِيُعَذِّبَنا، وما خَلَقَنا لِيَصُبَّ علينا البلاءَ صَبّاً، فإذا ما رأتِ الأمَّةُ عذابَ الله وعِقابَهُ قد حلّ بها، فلتنظُر في سَبَبِ هذا العَذابِ والعِقابِ، لأنّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

من جملةِ الأسبابِ التي تُحِلُّ عَذابَ الله وعِقابَهُ ظُهورُ الزّنا والرِّبا في القومِ، روى الإمام الحاكم بسندٍ صحيحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذابَ الله».

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدَهُ وَكَاتِبَهُ» وقال: «مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ الله عَزَّ وَجَلَّ».

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إذا كُنَّا نَشُكُّ في كلامِ أحَدٍ من الخلقِ وهوَ يُحَدِّثُنا عن سَبَبِ البلاءِ الذي يُصَبُّ اليومَ على الأمَّةِ، حيثُ دُمِّرَتِ البلادُ والعِبادُ، فهل يَشُكُّ مُؤمِنٌ في كلامِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهو يحدِّث الأمةَ عَن سَبَبِ نُزُولِ العِقَابِ والعذابِ عليها؟

لماذا البأسُ شديدٌ بينَنا؟

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: البأسُ بينَنا صارَ شديداً، لماذا؟ لقد أصبَحَ القومُ يُعامِلُ بعضُهُم بعضاً مُعامَلَةَ العدُوِّ اللّدودِ للعدُوِّ اللّدودِ، لماذا؟ الجواب على ذلك من كلام الذي مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى، مِن كلامِ الذي لا يَشُكُّ في كلامِهِ

مَن كانَ في قلبِهِ ذَرَّةُ إيمانٍ.

وأنا أريدُ أن تسمعَ الأمَّةُ كُلُّها من حاكِمِها إلى مَحكومِها كلامَ نَبِيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى ابن ماجه بسندٍ صحيحٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ باللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ.

لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ».

وأنا أسألُ الأمَّةَ كُلَّها الأسئِلَةَ التَّالِيَةَ:

أولاً: هل ظَهَرَتِ الفاحِشَةُ في القومِ أم لا؟ فإذا ظَهَرَتِ الفاحِشَةُ، فلماذا

الاستِغرابُ من ظُهورِ الطّاعونِ والأوجاعِ التي لم تَكُن في أسلافِ الأمّةِ؟

ثانياً: هل أُنقِصَ المِكيالُ والميزانُ أم لا؟ سَلوا التُّجّارَ هذا السُّؤالَ، فإذا أُنقِصَ المِكيالُ والميزانُ، فلماذا الاستِغرابُ من شِدّةِ القَحطِ، وشِدّةِ المؤونَةِ، وجَورِ الحُكّامِ؟

ثالثاً: هل مُنِعَتِ الزّكاةُ أم لا؟ كم هُمُ الذينَ يُؤدّونَ زكاةَ أموالِهِم؟ فإذا مُنِعَتِ الزّكاةُ، فلماذا الاستِغرابُ من مَنعِ قَطْرِ السّماءِ؟

رابعاً: هل نَقَضَتِ الأمّةُ العهدَ بينَها وبينَ الله تعالى ورسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أم لا؟ فإذا كانتِ العُهودُ قد نُقِضَت، فلماذا الاستِغرابُ من عدُوّنا إذا سَلَبَ خَيراتِنا؟ أينَ أموالُ الأمّةِ اليومَ؟

خامساً: هل حَكَمَ الأئمّةِ بكتابِ الله تعالى وبِسُنّةِ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ أم استَعاضُوا عن ذلكَ بِتَشريعاتٍ وَضعِيّةٍ؟ أينَ حُدودُ الله تعالى في الأمّةِ؟ فإذا لم يَحكُمِ الأئِمّةُ بِكتابِ الله تعالى وبِسُنّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فلماذا الاستِغرابُ من أن يكونَ البأسُ بينَ النّاسِ شديداً؟

خاتمةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسن الخاتمة ـــ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: ظُهورُ الفاحِشَةِ من أعظَمِ المُنكَراتِ، ونَقصُ المِكيالِ والميزانِ من أعظَمِ المُنكَراتِ، ومَنعُ الزّكاةِ من أعظَمِ المُنكَراتِ، ونَقضُ العُهودِ من أعظَمِ المُنكَراتِ، وعَدَمُ الحُكمِ بِكتابِ الله تعالى وبِسُنّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من أعظَمِ المُنكَراتِ، لا شكَّ في ذلكَ ولا رَيبَ، فإذا ظَهَرَت هذهِ الأمورُ في الأمَّةِ استَحَقَّتِ العِقابَ والعذابَ من الله تعالى.

يقولُ سيِّدُنا عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَضِيَ اللهُ عنهُ: كَانَ يُقَالُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَاراً اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلُّهُمْ. اهـ. رواه الإمام مالك في الموطَّأ عَنْ إسماعيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: كفانا خَلطٌ للأوراقِ، كفانا ابتِعادٌ عن الحقيقةِ، كفانا تَبرِئَةٌ لأنفُسِنا واتِهامٌ لِغَيرِنا، كفانا قولُ: هذا مُؤَيِّدٌ، وهذا مُعارِضٌ، هذا يَستَحِلُّ دَمَ هذا، وهذا يَستَحِلُّ دَمَ هذا.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: ما حلّ العذابُ والعِقابُ بالأمَّةِ إلا بِسَبَبِ ظُهورِ الفاحِشَةِ والرِّبا، إلا بِسَبَبِ نَقصِ الكَيلِ والميزانِ، إلا بِسَبَبِ مَنعِ الزَّكاةِ، إلا بِسَبَبِ نَقضِ العُهودِ، إلا بِسَبَبِ عَدَمِ الحُكمِ والاحتِكامِ لِكِتابِ الله تعالى ولِسُنَّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. فهل من تائِبٍ إلى الله تعالى، من حاكمٍ ومَحكومٍ؟

فيا أيُّها الحاكمُ ويا أيُّها المحكومُ: اِعرِض أقوالَكَ وأفعالَكَ على الكِتابِ والسُّنَّةِ، هل تَجِدُ فيهِما مُوافقةً لما تقولُ وتفعلُ؟

وكذلكَ أنتَ يا أيُّها المُؤَيِّدُ ويا أيُّها المُعارِضُ: اِعرِض أقوالَكَ وأفعالَكَ على الكِتابِ والسُّنَّةِ، هل تَجِدُ فيهِما مُوافقةً لما تقولُ وتفعلُ؟

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

**   **   **

320ـ خطبة الجمعة: امتحان قاس لقلوب المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

عَقيدَةُ المؤمنِ التي لا تَتَزَعزَعُ هيَ يَقينُهُ بأنّ شَرعَ الله تعالى لا يَأتي إلا بالخيرِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرَةِ، وإذا ما تَعارَضَ أمرٌ من أوامرِ الله تعالى أو أمرٌ من أوامرِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مع عاطِفَةِ الإنسانِ المسلِمِ أو عقلِهِ في ظاهِرِ الأمرِ سارَعَ فَقَدَّمَ أمرَ الله تعالى وأمرَ رسولِهِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وذلكَ استِناداً منهُ على قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾. وعلى قولِهِ تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. هذا بشكلٍ عامٍّ.

ولكن قد تعتَري الإنسانَ بعضُ الأحوالِ فَيَتَسَرَّعُ ويَتَعَجَّلُ، وهذا أمرٌ ليسَ بِغَريبٍ عن الإنسانِ، لأنَّهُ من طَبيعَتِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾.

الفتحُ هوَ صُلحُ الحُدَيبِيَةِ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لِتَقريرِ هذهِ المقدِّمةِ، لِنَسمعْ كلامَ البراءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ حيثُ يقولُ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحاً، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ

بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ. رواه الإمام البخاري.

ولو نَظَرنا إلى صُلحِ الحُدَيبِيَةِ فإنَّنا نَجِدُهُ امتِحاناً قاسِياً للقُلوبِ المؤمِنَةِ المفعَمَةِ بِمَحَبَّةِ الله تعالى وبِمَحَبَّةِ سَيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، والزَّاهِدَةِ في الدُّنيا الفانِيَةِ، والطَّامِعَةِ في الآخِرَةِ الباقِيَةِ.

صُلحُ الحُدَيبِيَةِ كانَ امتِحاناً قاسِياً للقُلوبِ الجَيَّاشَةِ بالحَمِيَّةِ الإيمانِيَّةِ، والغَيرَةِ لله تعالى ولِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولِدِينِهِ.

صُلحُ الحُدَيبِيَةِ كانَ امتِحاناً قاسِياً للقُلوبِ التي استَقَرَّ في أعماقِها صِدقُ الله تعالى، وصِدقُ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وصِدقُ وَعدِ الله تعالى لِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وإن كانَ الوَعدُ رُؤيا في المنامِ ، لأنَّ رُؤياهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حقٌّ.

صلحُ الحديبية كان امتحانا قاسياً لقلوب عامرة بالإيمان وقد ظهر أثر الإيمان منها على الجوارحِ، لقلوبٍ تأبى الضَّيمَ من عَدُوِّ الله تعالى، وتأبى الضُّغوطَ من أيِّ مَيدانٍ من مَيادينِ الحياةِ.

صلحُ الحُدَيبِيَةِ كانَ يوماً قاسِياً، فيه الأهوالُ والكُروبُ، لا يَصمُدُ أمامَها إلا قلبٌ بَلَغَ الغايَةَ القُصوى في الانقِيادِ والتَّسليمِ لله تعالى ولسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. إلا قلبٌ مُجَرَّدٌ مِمَّا يُخالِفُ ذلكَ، حتَّى ولو كانَ دافِعَهُ الغَضَبَ للهِ تعالى، والحَمِيَّةَ لِدِينِهِ، والاعتِزازَ بالإيمانِ به.

امتِحانٌ قاسٍ لِقُلوبِ الصَّحابَةِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عنهُم:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: صُلحُ الحُدَيبيَةِ عَدَّهُ سيِّدُنا البراءُ رَضِيَ اللهُ عنهُ فَتحاً، وهوَ فَتحٌ بِحَقٍّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾. ولكنَّ هذا الفَتحَ جاءَ بِثَوبِ مُصيبةٍ ومِحنَةٍ قاسِيَةٍ.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: جاء سُهَيلُ بنُ عَمروٍ لِيُفاوِضَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» رواه الإمام البخاري عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ رَضِيَ اللهُ عنهُما. هذا كلامُ الذي مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى، كلامُ المَعصومِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. لِنَنظُرْ أَيُّها الإخوةُ كيفَ سَهُلَ الأمرُ، نعم، سَهُلَ الأمرُ في الباطِنِ، وإن كانَ ظاهِرُهُ على العكسِ من ذلكِ تماماً.

تَعلمونَ هذا الصُّلحَ من كِتابَةِ شُروطِهِ القاسِيَةِ إلى رُؤيَةِ الصَّحابَةِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عنهُم أبا جَندَلَ عندما جاءَ إلى سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يرسُفُ في قُيودِ الحديدِ، فَرَدَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فنادى أبو جَندَل: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَأُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا جَنْدَل، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَك وَلِمَنْ مَعَك مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً، إنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحاً، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ الله، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ» رواه البيهقي.

أمَّا أبو بَصير الذي وَصَلَ إلى المدينةِ مُؤمِناً، فأرسَلَت قُرَيشٌ تُطالِبُ به، فأمَرَهُ

رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن يرجعَ إلى مكّةَ، فقال أبو بَصير: يَا رَسُولَ الله، أَتَرُدُّنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي فِي دِينِي؟ فقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَصَيْر، إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِي دِينِنَا الْغَدْرُ، وَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَك وَلِمَنْ مَعَك مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرْجاً وَمَخْرَجاً، فَانْطَلِقْ إِلَى قَوْمِك». رواه الأصبهاني عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم رَضِيَ اللهُ عنهُما.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: أينَ يكمُنُ قولُ النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»؟ مع هذهِ الشُّروطِ القاسِيَةِ التي تَعرِفونَها، وردِّ أبي جَندَلَ وأبي بَصير.

نعم، سَهُلَ الأمرُ في باطِنِه، وما سَهُلَ في ظاهِرِهِ للبَشَرِ، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلّ يقولُ: ﴿واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾.

أينَ مَظاهِرُ هذا الفَتحِ؟

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: هل هذا الصُّلحُ فَتحٌ؟ نعم، إنَّهُ فَتحٌ، جاءَ في ثَوبِ مُصيبةٍ قاسِيَةٍ، وإن سألَ البعضُ: أينَ مَظاهِرُ هذا الفَتحِ؟ نقولُ: بعضُ مَظاهِرِ هذا الفَتحِ ما يلي:

أولاً: زادَ عددُ المسلمينَ أضعافاً خلالَ عامَينِ من الصُّلحِ، حيثُ كانَ عددُ الذينَ كانوا مع سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في صُلحُ الحُدَيبِيَةِ ألفٌ وأربعُ مِئَةِ رجلٍ، هؤلاءِ الذينَ أسلَموا منذُ بِدءِ الدَّعوةِ إلى العامِ

السَّادِسِ من الهِجرةِ، وعندما ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى فَتحِ مكّةَ كانَ عددُ الرِّجالِ الذينَ معَهُ عَشرةُ آلافٍ من الصَّحبِ الكِرام رَضِيَ اللهُ عنهُم.

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: خلالَ عامَينِ بعدَ صُلحُ الحُدَيبِيَةِ أسلَمَ أكثرُ من ثَمانيَةِ آلافِ رجلٍ، من جُملَتِهِم: عَمرو بنُ العاصِ، وخالدُ بنُ الوليدِ، وعُثمانُ بنُ طَلحةَ، وغيرُهُم رَضِيَ اللهُ عنهُم جميعاً، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندما جاؤوا مُسلمينَ: «هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا». رواه البيهقي عن يزيدٍ بنِ رُومَان. أليسَ هذا فَتحاً مُبيناً؟

ثانياً: بِصُلحِ الحُدَيبِيَةِ انحَلّت أزمَةُ المستضعَفينَ، حيثُ صارَ المستضعَفونَ يَتَوَجَّهونَ من مكّةَ إلى سِيفِ البحرِ، و لم يذهَبوا إلى المدينةِ لِعندِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حتّى اجتَمَعَت منهُم طائِفةٌ كانوا لا يسمَعونَ أنّ بعيراً خرَجَت لِقُريشٍ إلى الشّامِ إلا اعترَضوا لها، فأرسَلَت قُرَيشٌ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تُناشِدُهُ اللهَ والرَّحِمَ أن لا يَرُدَّ المؤمنينَ الذينَ يأتونَ من مكّةَ إلى المدينةِ. أليسَ هذا فَتحاً مُبيناً؟

ثالثاً: بِصُلحِ الحُدَيبِيَةِ أرسَلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الرِّسائِلَ والكُتُبَ إلى الُملوكِ والأُمَراءِ يدعوهُم بها إلى الإسلامِ، فأرسَلَ إلى النَّجاشِيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ، وإلى كِسرى عَظيمِ فارس، وإلى هِرَقلَ عَظيمِ الرُّومِ، وإلى المنذِرِ بنِ ساوى حاكِمِ البحرَينِ. أليسَ هذا فَتحاً مُبيناً؟

خاتمةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسن الخاتمة ـــ:

أيُّهَا الإخوةُ الكرام: يَجِبُ على المسلِمِ أن يَضبِطَ النَّفسَ والعَواطِفَ والمَشاعِرَ بِضَوابِطِ الشَّريعةِ، وخاصَّةً في أيَّامِ الشَّدائِدِ.

يقولُ سيِّدُنا سهيلُ بنُ حُنيفٍ يومَ صِفِّينَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَل وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ لَرَدَدْتُهُ. اهـــ.

ويقولُ سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّهِمُوا الرَّأْيَ عَلَى الدِّينِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِرَأْيِي اجْتِهَاداً، فوالله مَا آلُو عَنِ الْحَقِّ، وَذَلِكَ يَوْمَ أَبِي جَنْدَل، وَالْكِتَابُ بَيْنَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ: اكْتُبُوا بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالُوا: تَرَانَا قَدْ صَدَّقْنَاكَ بِمَا تَقُولُ؟ وَلَكِنَّكَ تَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَرَضِيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَأَبَيْتُ، حَتَّى قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «تَرَانِي أَرْضَى وَتَأبَى أَنْتَ؟» فَرَضِيتُ. رواه الطبراني في المعجم الكبير.

ثمَّ يقولُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: فَعَمِلتُ لذلكَ أعمالاً، ما زِلتُ أتَصَدَّقُ وأصومُ وأصَلِّي وأعتِقُ من الذي صَنَعتُ يومَئِذٍ، مَخافَةَ كلامي الذي تَكَلَّمتُ به، حتَّى رَجَوتُ أن يكونَ خَيراً. اهـــ.

وفي الخِتامِ: يقولُ سيِّدُنا عَمرو بنُ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُ: ليسَتِ الحِكمَةُ أن تُدرِكَ

الفَرقَ بينَ الخَيرِ والشَّرِّ، أو الفَرقَ بينَ الحلالِ والحرامِ، ولكنَّ الحِكمَةَ أن تُدرِكَ أيَّ المنفَعَتَينِ أعلى، وأيَّ الضَّرَرَينِ أكبر. اهـــ.

أسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يَجعَلَنا مِمَّن سَمِعَ واتَّعَظَ قولَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يُحَدِّثُ عن الأَثَرَةِ فيقولُ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يَجعَلَنا من الصَّابرينَ عندَ البلاءِ، ومن الشَّاكِرينَ عندَ الرَّخاءِ، ومن الرَّاضينَ بِمُرِّ القَضاءِ، وأن نَلقى سيِّدَنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحَوضِ وهوَ عنَّا راضٍ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

321ـ خطبة الجمعة: من أسعد الناس بالحكمة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

لَيستِ الحِكمَةُ في أَن يُميِّزَ الإنسانُ بينَ الخَيرِ والشَّرِّ، ولَيستِ الحِكمَةُ في أَن يُميِّزَ الإنسانُ بينَ الضَّلالِ والهُدى، ولَيستِ الحِكمَةُ في أَن يُميِّزَ الإنسانُ بينَ المَعروفِ والمُنكَرِ.

الحِكمَةُ هيَ أَن يَعرِفَ الإنسانُ أيَّ المَنفَعَتينِ أَعظَمُ فيأتِيها، وأيَّ الضَّرَرَينِ أَشَدُّ فَيَدرَأُ الأَشَدَّ بِالأَضعَفِ.

والطَّبيبُ مَا سُمِّيَ حَكِيماً إلَّا لأنَّهُ يَعرِفُ كيفَ يُعالِجُ الدَّاءُ، لأنَّ الطَّبيبَ الذي يَعرِفُ الدَّاءَ بدُونِ مَعرِفَةِ العِلاجِ لا يُسمَّى حَكِيماً، فَالحَكيمُ هو الذي يَضَعُ الأُمُورَ في مَحَلِّها.

مَن هوَ أسعَدُ النَّاسِ بِالحِكمَةِ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إنَّ أَسعَدَ النَّاسِ بالحِكمَةِ هوَ أَكمَلُهُم إِيمَانَاً بِسَيِّدِنَا رسولِ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي أَرسَلَهُ اللهُ تعالى للنَّاسِ: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

إنَّ أَسعَدَ النَّاسِ بِالحِكمَةِ هوَ أعظَمُهُم وأَكمَلُهُم مَعرِفَةً بِسَيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَمَن عَرَفَهُ حقَّ المَعرفَةِ، وآمَنَ بهِ حقَّ الإيمانِ، وانقادَ لهُ ظَاهِراً وباطِنَاً حقَّ الانقيَادِ، وأَطاعَهُ فيمَا أَمَرَ، واجتَنبَ عمَّا نَهَى عنهُ وزَجَرَ، وجَانَبَ الأهواءَ والعَواطِفَ، فقد لَبِسَ الحِكمَةَ، وتَدَرَّعَ بأعظَمِ دُرُوعِ العِصمَةِ، وبِذلِكَ يَكونُ أَهلاً للصَّلاحِ والإِصلاحِ، ويَكُونُ بِذلِكَ أهلاً لأَنْ يكونَ خَليفَةَ اللهِ تعالى في الأَرضِ.

سيِّدُنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القُدوَةُ الحَسنَةُ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إنَّ سَيِّدَنَا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هوَ القُدوَةُ الحَسَنَةُ للدُّعاةِ الحُكَماءِ، فقد جاءَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الحِكمَةَ بِقولِهِ وفِعلِهِ، وقد كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُلازِمُ الحِكمَةَ في جميعِ أُمُورِهِ، وخَاصَّةً في الدَّعوَةِ إلى اللهِ تعالى، وهذا مِن فَضلِ اللهِ عزَّ وجلَّ عليهِ، وعلى أُمَّتِهِ وأتباعِهِ خَاصَّةً.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: مِن فَضلِ اللهِ تعالى على سيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَن أرسَلَ إليهِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ فَشَقَّ صَدرَهُ الشَّريفَ وأَخرَجَ قَلبَهُ الطَّاهِرَ فَغَسَلَهُ بِمَاءِ زَمزَمَ، ثمَّ أَفرَغَ فيهِ طِستاً من ذَهَبٍ مُمتَلئاً إيمانَاً وحِكمَةً.

فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إمامٌ لِمَن أَرادَ الحِكمَةَ مِنَ المُؤمِنينَ وغَيرِهِم، وإِن كانَ إِمَامَاً لِلأَنبِيَاءِ والمُرسَلينَ عليهِمِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

صُوَرٌ مِن حِكمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في الدَّعوَةِ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: ونحنُ نَعيشُ في هذِهِ الأزمَةِ القاسِيَةِ يَجِبُ عَلينَا أن نَتَعَرَّفَ على حِكمَةِ سَيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في الدَّعوَةِ إلى اللهِ تعالى، لأنَّ الحِكمَةَ لَيسَت مَقصُورَةً في قولِ القَائِلِ: هذا مَعرُوفٌ، وهذا مُنكَرٌ، ولكنَّ الحِكمَةَ والرُّجُولَةَ والقُوَّةَ في تَخليصِ صَاحِبِ المُنكرِ مِن مُنكَرِهِ، لِأَنَّا أُمَّةٌ أُخرِجنَا للنَّاسِ كافَّةً، قالَ تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إذا كُنتُم آمِرِينَ بِالَمعرُوفِ، ونَاهِينَ عنِ المُنكَرِ، فَتَعلَّمُوا لِذلِكَ الحِكمَةَ من سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وإليكُم نَموذَجَينِ من حِكمَتِهِ في الدَّعوةِ:

النَّموذَجُ الأوَّل: «لَا تُزْرِمُوهُ»:

روى الإمام مسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضيَ الله عنهُما قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ.

فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: مَهْ، مَهْ.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَّمَ دَعَاهُ.

فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ».

هذا الأعرابيُّ فَعَلَ الذي فَعَلَ في حَضرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وفي حَضرَةِ أصحابِهِ الكِرامِ رضيَ اللهُ عنهُم، وعندما زَجَرَهُ الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عنهُم نَهاهُم سَيِّدُنَا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وأَمَرَهُم أن لا يَقطَعُوا عليهِ بَولَهُ، لأنَّ ذلِكَ قَد يَضُرُّهُ، والأمرُ قد وَقَعَ، ثمَّ عَلَّمَهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حُرمَةَ المَسجِدِ.

ما هيَ النَّتيجَةُ؟

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: كانَ مِن نَتيجَةِ هذِهِ الحِكمَةِ، أَن ضَمَّ الأَعرابيُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى صَدرِهِ، وقال: اللهُمَّ ارحَمني، وارحَم مُحَمَّدَاً، وَلَا تَرحَم مَعَنَا أَحَداً، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعاً». رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

نَعَم، لَقد أَخرَجَ الصَّحبَ الكِرامَ من دُعائِهِ، لِمَا وَجَدَ منهُم مِنَ الشِّدَّةِ والقَسوَةِ، وكَادُوا أَن يُنَفِّروهُ.

النَّموذَجُ الثّاني: ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لقَد فَقَدنَا الحِكمَةَ في الدَّعوَةِ إلى اللهِ تعالى، لقَد نَسينا أَنَّا

أُخرجنَا لِلنَّاسِ كافَّةً مِن أجلِ دَعوتِهِم إلى اللهِ تعالى، لَقَد ظَنَنَّا أنَّ الرُّجولَةَ والبُطُولَةَ أن نقولَ: هذا مَعرُوفٌ، وهذا مُنكَرٌ، مَعَ أَنَّنَا نَعلَمُ بأنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، والحَرامَ بَيِّنٌ، حتَّى قالَ بَعضُهُم: القِطُّ يَعرِفُ الحَلالَ منَ الحَرامِ.

النَّاسُ يَعرِفُونَ الحَلالَ حلالاً، والبعضُ لا يأتِيهِ، ويَعرِفُونَ الحَرامَ حَرامًا، والبعضُ يأتِيهِ، يَعرِفونَ المُنكَرَ مُنكَرًا، والبعضُ يأتِيهِ، ويَعرِفُونَ المعرُوفَ مَعرُوفًا، والبعضُ لا يأتِيهِ.

النَّاسُ اليَومَ يَحتَاجُونَ إلى أُسلُوبٍ لِتَخلِيصِهِم مِنَ المُنكَرِ الذي أَلِفُوهُ، ويَحتَاجُونَ إلى أُسلُوبٍ لِتَحبِيبِ المَعرُوفِ إلى قُلُوبِهِم الذي هَجَرُوهُ.

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: إِنَّ فَتَىً شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائذَنْ لِي بِالزِّنَا.

فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ، مَهْ.

فَقَالَ: «ادْنُهْ».

فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً، قَالَ: فَجَلَسَ.

قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ»؟

قَالَ: لَا واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ».

قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ»؟

قَالَ: لَا واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ».

قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ»؟

قَالَ: لَا واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ».

قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ»؟

قَالَ: لَا واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ».

قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ»؟

قَالَ: لَا واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ».

قَالَ: فَوَضَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ». فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: انظُرُوا إلى كَلِمَةِ سَيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ النَّابِعَةِ مِن قَلبٍ شَفُوقٍ رَحِيمٍ، مِن قَلبٍ يُرِيدُ الخَيرَ والفَلاحَ لِلنَّاسِ

جَميعاً، يُرِيدُ تَخليصَ العَاصِينَ مِن عِصيَانِهِم، يُرِيدُ أن يُحَبِّبَ إلى القُلُوبِ الطَّاعَاتِ، ويُكَرِّهَ إليهَا المَعاصِي والمُنكَراتِ، فقالَ لهذا الشَّابِّ: «ادْنُهْ» لِيُخَلِّصَهُ منَ المُنكَرِ.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: أَنا واثِقٌ واللهِ بأنَّ هذا الشَّابَّ دَنَا قَلبُهُ مِن سيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قبلَ أن يَدنُوَ جَسَدُهُ عندما قال لهُ: «ادْنُهْ». ولَمَّا دَنَا من سيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَم يقُل لهُ سَيِّدُنَا رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هذِهِ كَبيرَةٌ منَ الكَبائِرِ، وما تَلَا عليهِ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾. و لم يَقُل لهُ إن زَنَيتَ رَجَمنَاكَ إَن كُنتَ مُحصَنَاً، وإلَّا جَلَدنَاكَ.

بل حَرَّرَ لهُ عَقلَهُ مِن قُيودِ الشَّهوَةِ عندما ذكَّرَهُ بِمَحَارِمِهِ، ثمَّ دَعَا لهُ سَيِّدُنَا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِتِلكَ الدَّعواتِ، لِذلِكَ جاءَتِ النَّتيجَةُ كما ورد في كتاب الشفَا: كَمَا قالَ هذا الشَّابُّ: دَخَلتُ على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ومَا شَيءٌ على وَجهِ الأَرضِ أَحَبَّ إليَّ مِنَ الزِّنَا، وَخرَجتُ مِن عِندِهِ، وَلَا شَيءَ أَبغَضُ إِلَيَّ مِنَ الزِّنَا.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: الحِكمَةَ الحِكمَةَ، كُلُّ واحِدٍ فيكُم داعٍ إلى اللهِ تعالى، كُلُّ واحِدٍ فيكُم مُمَثِّلٌ عن سيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ،

أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى أن تُعطُوا الصُّورَةَ الحَسَنَةَ عن إيمَانكُم بهذَا الحَبيبِ الأَعظَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي جاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الحِكمَةَ، أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى أن لا تُنَفِّرُوا النَّاسَ عن دِينِ اللهِ تعالى بِسَبَبِ أُسلُوبٍ فَظٍّ غَلِيظٍ، أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى أن تَتَعَلَّمُوا للأمرِ بِالمَعرُوفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ حِكمَةَ سيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في ذَلِكَ.

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: واللهِ إنَّ أصحَابَ سَيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما سَادُوا في الدُّنيَا إلَّا بالحِكمَةِ التي تَعَلَّمُوهَا مِن سَيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَهَل نسألُ اللهَ تعالى أن يَرزُقَنَا الحِكمَةَ في كُلِّ أُمُورِنَا، وخاصَّةً في الدَّعوَةِ إلى اللهِ تعالى؟ اللَّهُمَّ أكرِمنَا بِذلِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

322ـ خطبة الجمعة: سألت ربي ثلاثًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أمَّةَ سَيِّدِنَا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، إنَّ الأزمَةَ التي نَعيشُهَا فِي بَلَدِنَا الحَبيبِ هذا، واللهِ الذي لا إلهَ غَيرُهُ ما تَزيدُنا إلا إيماناً باللهِ تعالى، وإيماناً بسيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ما تَزيدُنا إلا إيماناً بِصِدقِ كلامِ ربِّنَا عزَّ وجلّ، وبكَلامِ سيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ما تَزيدُنَا إلا اطمِئنَاناً بكلامِ الصَّادِقِ المَصدُوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي ما جرَّبَت عليهِ البَشَرِيَّةُ إلا صِدقاً.

يا عِبادَ الله، كلّما اشتَدَّ الأمرُ فِي هَذا الواقِعِ المَريرِ الذِي تَعيشُهُ أمَّتُنا، نقولُ:

يا ربَّنا لكَ الحمدُ على كُلِّ حالٍ، لكَ الحمدُ أن أكرَمتَنا بِنعمةِ الإيمانِ بسيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي تَرَكَنا على المَحَجَّةِ البيضاءِ،

الذي ما تَرَكَ أمراً مُهِمّاً يَحدُثُ بالأمَّةِ إلا حَدَّثَ عنهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

سألتُ ربّي ثلاثاً:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لقد بَلَغَنا عن سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قال: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثاً، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا» رواه الإمام مسلم عن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

نعم، لقد سَألَ نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ربَّنا أن لا يجعَلَ بَأسَنا بَينَنا فَلَم يُعطِهِ إيَّاهَا، وذلكَ لحِكمةٍ يُريدُها اللهُ تعالى.

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لقد وَقَعَ البأسُ بينَ النّاسِ، وَوَقَعَتِ الشِّدَّةُ والغِلظَةُ والقَسوَةُ بينَهُم، لقد وَقَعَتِ البَغضاءُ التي مَزَّقَتهُم، بعدَ أن كانوا كما قالَ اللهُ تعالى في حقِّ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وفي حقِّ أصحابِهِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عنهُم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

لَقَد كَانُوا كالجَسَدِ الوَاحِدِ مُتَراحِمينَ، مُتَكاتِفِينَ، كَانُوا أشِدَّاءَ على الكُفَّارِ، رُحَماءَ بَينَهُم، أمَّا اليَومَ فَقَد انقَلَبَتِ الصُّورةُ، فَصَارَ المُسلِمُونَ أشِدَّاءَ على بعضِهِمُ

البعضِ، رُحَماءَ أُدَباءَ مُخلِصينَ لِغَيرِ المسلمينَ ـــ إلا مَن رَحِمَ اللهُ تعالى ـــ.

لقد تَمزَّقَتِ الأمَّةُ المَمزَّقَةُ، وزادَ البأسُ بينَها، حتَّى صَارَ البعضُ يَتَمَنَّى أَن يُعامِلَهُ المُسلمونَ مُعامَلَةَ الرَّجُلِ الذِّمِّيِّ المُعَاهَدِ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ.

البأسُ بينَ النَّاسِ ما جاءَ من فَراغٍ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: البأسُ إذا وَقَعَ على الأمَّةِ كَانَ مُصيبةً وأيَّ مُصِيبَةٍ، ومَا مِن مُصيبَةٍ بِشَكلٍ عَامٍّ تَقَعُ إلا بِسبَبٍ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾.

وإنَّ البأسَ قَد وَقَعَ على الأمَّةِ، وهذا البَأسُ مَا جاءَ من فَراغٍ، بل بما كَسَبَت أَيدِي النَّاسِ، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ولعلَّ سائلاً يَسأَلُ: ما هوَ سَبَبُ هذا البأسِ الذي نَزَلَ بالأمَّةِ؟

ولعلَّ أفضَلَ جَوابٍ على هذا السُّؤالِ يُؤخَذُ من حَدِيثٍ لسيِّدِنا رسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي رواه ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ باللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ـــ وعدَّ منها ـــ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ».

نَعَم، ما حُكِمنَا بكتابِ اللهِ تعالى، ومَا احتَكَمَ الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ لِكِتابِ اللهِ تعالى،

والعَجيبُ مِنَ النَّاسِ في هذهِ الشِّدَّةِ والأزمَةِ التي تَمُرُّ عليهِم، أن تَرَى بعضَهُم إذا دُعِيَ للاحتِكامِ لِشَرعِ الله تعالى رَفَضَ وأَبَى إلَّا الاحتِكامِ للتَّشريعاتِ الوَضعِيَّةِ.

واللهِ إنَّ أمرَنا لَعَجيبٌ، لقد آمَنَّا بالله تعالى الذي هوَ نورُ السَّماواتِ والأرضِ، وآمَنَّا بسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي هوَ نُورٌ، وآمَنَّا بالقُرآنِ العظيمِ الذي هوَ نُورٌ، ثمَّ بعدَ ذلكَ يَتَطَلَّعُ البَعضُ إلى الظُّلُماتِ، وكأنَّهُ يُريدُ أن يَخرُجَ من النُّورِ إلى الظُّلُماتِ.

عَجيبٌ أمرُ هذهِ الأمَّةِ اليومَ، ربُّها نورٌ، ونبيُّها نورٌ، وكِتابُها نورٌ، وهيَ تَعيشُ في دَياجيرِ الظَّلامِ، وتُرَجِّحُ الظَّلامَ على النُّورِ، وما ذاكَ إلا لِتَحَكُّمِ الشَّيطانِ ببَعضِ أفرادِها، قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾.

اِطمَئِنَّ أيُّها المستَقيمُ المُلتَزِمُ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكِرام: عارٌ على الأمَّةِ التي ربُّها واحِدٌ، ونبيُّها واحِدٌ، وكِتابُها واحِدٌ، وتُصلِّي لِقِبلةٍ واحِدَةٍ، أن يكونَ بأسُها شديداً بينَها، ولكن الحمدُ لله أنَّهُ لا تَزالُ طائِفَةٌ من هذهِ الأمَّةِ ظاهِرَةً على الحقِّ لا تُغَيِّرُ ولا تُبَدِّلُ، وتَصبِرُ وتُصابِرُ حتَّى تَلقَى نبِيَّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحَوضِ إن شَاءَ اللهُ تَعالى.

وإنِّي أقولُ للمُستَقيمِ المُلتَزِمِ في هذهِ الأزمَةِ التي ما أخرَجَتْهُ عن دائِرَةِ الشَّرعِ، وما

تلَطّخَت يَدُهُ ولا لِسانُهُ في دِماءِ المسلمينَ: اِطمَئِنّ، فإنّ النّاقِدَ بصيرٌ، وإنّ عينَ الله لا تنامُ، وإنّ الظّالِمَ مهما طَغَى فَلَن يَفلِتَ من قَبضَةِ اللهِ تعالى، وإنّ اللهَ تعالى يَعلَمُ السِّرّ وأَخفى، ويَعلَمُ خائِنَةَ الأعيُنِ وما تُخفي الصُّدورُ، ويَعلَمُ المُفسِدَ من المُصلِحِ، اِطمَئِنّ بأنّ دَعَواتِكَ مُستَجابَةٌ، وأنّ اللهَ تعالى ناصِرُكَ ولو بعدَ حينٍ.

سوفَ تَعلَمُ يا غُدَرُ:

أمّا أنتَ أيُّها الظّالِمُ الغادِرُ، من أيّ جِهَةٍ كُنتَ، وبأيّ صُورةٍ من صُوَرِ الظُّلمِ التي أوقَعتَ، اِسمع إلى حديثٍ من أحاديثِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

روى ابن ماجه عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ قَالَ: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟»

قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتىً مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَداً.

قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَتْ،

صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ».

أيُّها الظَّالِمُ الغادِرُ، سوفَ تَعلَمُ إذا وَضَعَ اللهُ الكُرسِيَّ، وجَمَعَ الأوَّلين والآخِرينَ، وتَكَلَّمَتِ الأيدي ونَطَقَتِ الأرجُلُ بما كانوا يكسِبونَ، ما حالُكَ وحالُ المقتولينَ الأبرِياءِ، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ من هَدَّمتَ بُيوتَهُم، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ الأطفالِ اليتامى، وحالُ الأرامِلِ من النِّساءِ، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ الذينَ رُوِّعوا، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ الذينَ خُطِفوا وسُلِبَت أموالُهُم، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ هذهِ الأمَّةِ التي أوقَعتَ عليها الظُّلمَ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: البأسُ صارَ شديداً بينَنا، والكُلُّ يَتطَلَّعُ إلى الخَلاصِ من هذا البأسِ، فإن كُنَّا صادِقِينَ في هذا التَّطَلُّعِ فَعَلينا أن نَعلَمَ بأنَّهُ ما من بلاءٍ وَقَعَ ـــ والبأسُ من أشَدِّ أنواعِ البلاءِ ـــ إلا بِذَنبٍ، ولا يُرفَعُ إلا بِتوبةٍ، والبأسُ وَقَعَ لأنَّنا ما حُكِمنا بِكِتابِ الله تعالى، ولا احتَكَمنا إليه، فهل من تَوبةٍ من هذا الذَّنبِ؟ وهل نُحكَمُ بِكِتابِ الله تعالى، ونَحتَكِمُ إليه؟

فإن أبَتِ الأمَّةُ إلا الحُكمَ بالتَّشريعَاتِ الوَضعِيَّةِ، والاحتِكَامَ إِلَيهَا، إلا الإعراضَ عَن قولِ الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. فَلَا تَلومَنَّ إلا نفسَها.

اللّهُمَّ إنّا نَبرَأُ إليكَ من سَفكِ الدِّماءِ البَريئةِ، ومن تَهديمِ البُيوتِ، ومن تَيتيمِ الأطفالِ، وتَرميلِ النِّساءِ، وسَلبِ الأموالِ، ومن الحُكمِ والاحتِكامِ لِغَيرِ كِتابِكَ، اللّهُمَّ إنّا لا نَرضى بهذهِ المنكَراتِ، ولا نَقدِرُ على رَدِّها، اللّهُمَّ رُدَّنا إليكَ ردّاً جميلاً يا أرحمَ الرّاحمينَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

323ـ خطبة الجمعة: صفة الغدر ميزة الجبناء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: أصبَحنا نَعيشُ في زَمَنٍ تَطَبَّعَ فيه أناسٌ كثيرونَ على الخُلُقِ الذّميمِ خُلُقِ الغَدرِ.

مَع أنَّنَا جَمِيعَاً نَعلَمُ بِأنَّ سَيِّدَنَا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي آمنَّا بِهِ أَنَّهُ نَبِيُّنَا مَا عُرِفَ عنهُ الغَدرُ حتَّى مَعَ أعدَائِهِ، وبِذَلِكَ شَهِدَ أبو سُفيان أَمامَ هِرَقل عندَما سَأَلَهُ: هَل يَغدِرُ؟ فقَالَ: لا.

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: الغَدرُ مِيزَةُ الجُبَناءِ.

مِيزَةُ المَغرورينَ.

مِيزَةُ الذينَ غابَت عنهُمُ الآخِرَةُ.

مِيزَةُ الذينَ نَسوا يومَ الحسابِ.

مِيزَةُ الذينَ نَسوا اليومَ الذي تَتَكَلَّمُ فيه الأيدي والأرجُلُ والجَوارِحُ.

مِيزَةُ الذينَ آثَروا الحياةَ الدُّنيا على الآخِرَةِ.

مِيزَةُ الذينَ طَغَوا في البِلادِ فأكثَروا فيها الفَسادَ.

مِيزَةُ الذينَ يَحسَبونَ أنَّهُم يُحسِنونَ صُنعاً

مِيزَةُ الذينَ يُخادِعونَ اللهَ والذينَ آمنوا.

مِيزَةُ الذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ.

مِيزَةُ الذينَ إذا قيلَ لهم لا تُفسِدوا في الأرضِ قالوا إنَّما نحنُ مُصلِحونَ.

مِيزَةُ الذينَ اشتَرَوُا الضَّلالَةَ بالهُدى.

مِيزَةُ الذينَ يُشهِدونَ اللهَ على ما في قُلوبِهِم وهُم ألدُّ الخِصامِ.

مِيزَةُ الذينَ إذا تَوَلّوا سَعَوا في الأرضِ لِيُفسِدوا فيها ويُهلِكوا الحَرثَ والنّسلَ.

مِيزَةُ الذينَ إذا رَأيتَهُم تُعجِبُكَ أجسامُهُم، وإن يَقولوا تَسمَع لِقَولِهِم.

صِفَةُ الغَدرِ الصِّفَةُ المَشينَةُ، التي يَنغَمِسُ فيها الإنسانُ تَدريجيًّا، غَدرَةٌ صَغيرةٌ، فَغَدرَةٌ كبيرةٌ، فَغَدرَةٌ أَكبرُ مِنهَا، غَدرَةٌ يَعلَمُ فِيهَا الغَادِرُ بِأَنَّهُ غَدَرَ مَن كانَ سَبَباً في نِعمَتِهِ.

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» رواه الإمامُ أحمد عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ودِينُنا النَّصِيحة، مِن خِلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. ومن مُنطَلَقِ قولِ الله عزّ وجلّ لسيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِر * إِلا مَن تَوَلَّى وَكَفَر * فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَر * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾. أقولُ لكلِّ غَادِرٍ غَدَرَ بهذا الوَطَنِ فَدَمَّرَهُ، وغَدَرَ بالأبرياءِ فَسَفَكَ دِماءَهُم، وغَدَرَ بالنّاسِ فَسَلَبَ أموالَهُم، وغَدَرَ بالآمنينَ فَروَّعَهُم، أقولُ لَهُ:

أولاً: أنفاسُكَ مَعدودةٌ:

اِعلَم أيُّها الغادِرُ: بأنّ أيّامَكَ مَعدودةٌ، وأنفاسَكَ مَحصِيَّةٌ عَليكَ، ومَا من نَفَسٍ تُبديهِ إلا وهوَ يُقَرِّبُكَ من النِّهايَةِ حتّى تَصِلَ إلى النَّفَسِ الأخيرِ، فَتَخرُجَ من هذهِ

الدُّنيا رَغماً عن أنفِكَ، أيُّهَا الغَادِرُ أنتَ مُغَادِرٌ الحياةَ الدُّنيَا، أَلَم تَسمَع قولَ اللهِ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. وقولَ اللهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾. وقولَ اللهِ تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾. وقولَ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾. والحديثَ الشَّرِيفَ الذي رواهُ الحاكم: «عِشْ ما شِئتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٍ». وما ذَهَبَ من عُمُرِكَ أكثرُ مِمَّا بَقِيَ.

أيُّها الغادِرُ أنتَ مُغادِرٌ هذهِ الحياةَ الدُّنيا طَالَ الزَّمَنُ أم قَصُرَ، أيُّها الغادِرُ أَنتَ راحِلٌ من دار الفَناءِ إلى دارِ البَقاءِ بِدُونِ اختِيَارٍ مِنكَ، ولا تَدرِي بأيِّ زَمَنٍ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير﴾. فاستَعِدَّ لهذهِ المُغادَرَةِ بالزَّادِ الذي تُريدُ.

ثانياً: لا تَغتَرَّ بما آتاكَ اللهُ تعالى:

أيُّها الغادِرُ: لا تَغتَرَّ بما آتاكَ اللهُ تعالى، فما أنتَ فيه هوَ امتِحانٌ لكَ ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾. فَغَدرُكَ كُفرٌ بِنعمَةِ اللهِ تعالى، لا تَغتَرَّ بما آتاكَ اللهُ تعالى، فأنتَ مُبتَلى ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن * كَلاَّ﴾. ليسَ هذا بِصَادِقٍ، ولا ذَاكَ، فإن أَعطَاكَ فَأنتَ في ابتِلاءٍ، وإن مَنَعَكَ فَأنتَ في ابتِلاءٍ، تَنَبَّه لِهَذا، وكُن على حَذَرٍ في الحَالَتَينِ.

لا تَغتَرَّ بما آتاكَ اللهُ تعالى في هذهِ الحياةِ الدُّنيا واذكُر قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن

يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُون * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُون * وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾. واذكُرِ الحَديثَ الشَّرِيفَ الذي رواه الحاكم والترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»

ثالثاً: أنتَ في خُسرانٍ مُبينٍ:

أيُّها الغادِرُ: واللهِ أنتَ في خُسرانٍ مُبينٍ، بِقَسَمِ اللهِ تعالى في القُرآنِ العظيمِ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبْرِ﴾. فَغَدرُكَ دليلٌ على قِلّةِ إيمانِكَ، وغَدرُكَ ليسَ من العَمَلِ الصَّالِحِ، ومن الذي أوصاكَ وأفتاكَ بالغَدرِ؟! ومن الذي أوصاكَ وأفتاكَ بالصَّبرِ على الغَدرِ؟!

الوَصِيَّةُ بالحَقِّ هيَ وَصِيَّةٌ بِالوَفَاءِ لِمَن أحسَنَ إليكَ، وبِعَدَمِ الغَدرِ في حقِّ مَن غَدَرَ بِكَ، كَمَا أنَّ الوَصِيَّةَ بِالصَبرِ، هيَ وَصِيَّةُ الصَّبرِ على الطَّاعَةِ التي مِن جُملتِهَا الوَفاءُ، وَوَصِيَّةُ الصبرِ عن المَعصِيَةِ التي من جُملَتِهَا الغَدرُ.

الإيمانُ يُحَذِّرُ من الغَدرِ، والعَمَلُ الصَّالِحُ يُجانِبُ الغَدرَ، والوصِيَّةُ بالحقّ تُنَفِّرُ من الغَدرِ، والوصِيَّةُ بالصَّبرِ هيَ وصِيَّةُ الصَّبرِ على الوَفاءِ، والصَّبرِ عَنِ الغَدرِ.

فيا من غَدَرتَ: لقد تَرجَمْتَ عن قِلّةِ إيمانِكَ، وتَرجَمْتَ عن بُعدِكَ عن العَمَلِ

الصَّالِحِ، وتَرجَمْتَ عن بُعدِكَ عن مُصاحَبَةِ العُلَماءِ الرَّبَّانِيِّينَ العارِفينَ باللهِ تعالى، فأنتَ في خُسرانٍ مُبينٍ إن مِتَّ على ذلكَ، لأنَّكَ ما رَكِبتَ سَفينَةَ النَّجاةِ، التي أركانُها أربعةٌ، كما يقولُ الإمامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: أركانُ النَّجاةِ أربَعَةٌ، أن تُؤمِنَ باللهِ، وأن تَعمَلَ صالِحاً، وأن تَتَواصى بالحقِّ، وأنت تَتَواصى بالصَّبرِ.

يا أَيُّهَا الغَادِرُ، لَقَد رَكِبتَ سَفِينَةَ الهَلاكِ، وسَوفَ تَندَمُ ولا يَنفَعُكَ النَّدَمُ.

رابعاً: عاقِبَتُكَ وَخيمةٌ:

أيُّها الغادِرُ: عاقِبَتُكَ وَخيمةٌ، لأنَّ الغَدرَ ظُلمٌ، والظُّلمُ ظُلُماتٌ، واللهُ تعالى يَقُول: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾.

أيُّها الغادِرُ: سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ الأمَّةِ التي غَدَرتَ بها، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ الأبرِياءِ الذينَ سَفَكتَ دِماءَهُم، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ النِّساءِ اللواتي رَمَّلتَهُنَّ، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ الأطفالِ الذينَ يَتَّمتَهُم، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ المشرَّدينَ الذينَ شَرَّدتَهُم، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ الذينَ سَلَبتَ أموالَهُم، سوفَ تَعلَمُ كَيفَ حَالُكَ وحالُ الذينَ رَوَّعتَهُم، إذا وَضَعَ اللهُ تعالى الكرسِيَّ، وجَمَعَ الأوَّلِينَ والآخِرينَ، ونَطَقَتِ الأيدي والأرجُلُ، وناداكَ على رُؤوسِ الأشهادِ: يا غُدَرُ لم غَدَرتَ بكلِّ صُوَرِ الغَدرِ؟

أيُّها الغَادِرُ: اِعلَم بأنَّ رَبَّنا عزَّ وجلَّ يُمهِلُ ولا يُهمِلُ، يُمهِلُكَ لَعَلَّكَ تَتُوبُ لَعَلَّكَ تَرجِعُ، لَعَلَّكَ تَصطَلِحُ مَعَ اللهِ تعالى، فإذا ما مِتَّ على غَدرِكَ وأنتَ مُستَحِلٌ لهُ،

فاسمَع قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيم * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيم * وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِين * لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِؤُون﴾؟

أيُّها الغَادِرُ: سوفَ يَتمزَّقُ قلبُكَ يومَ القيامةِ حيثُ يَفُوتُكَ النَّعِيمُ الذِي أعَدَّهُ اللهُ تعالى للمتَّقينَ الذينَ أخَذوا صَحائِفَهُم بأيمانِهِم، ونادَوا على رُؤوسِ الأشهادِ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة﴾. وحيثُ ترى ما أعَدَّ اللهُ لكَ من العَذابِ المقيمِ.

أيُّها الغَادِرُ: الرُجولَةُ أَن تَضحَكَ آخِراً لا أَوَّلاً، الرُجولَةُ أَن تَضحَكَ يومَ القِيامَةِ في دارِ البَقاءِ، ولَيستِ الرُجولَةُ أَن تَضحَكَ في الدُّنيا الفَانيَةِ، وإِن ضَحِكتَ فِيهَا وأنتَ غَادِرٌ، فَسَوفَ يَضحَكُ مِنكَ مَن ظَلَمتَهُ يومَ القِيامَةِ، تَذَكَّر قولَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون﴾. وقَولَهُ تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون﴾.

<u>خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:</u>

يا غُدَرُ: اِسمعْ مِنّي كلامَ ربِّكَ عزَّ وجلَّ لعلّكَ تَتَّعِظُ: ﴿الْقَارِعَة * مَا الْقَارِعَة *

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَة * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوث * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوش * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه * فَأُمُّهُ هَاوِيَة * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه * نَارٌ حَامِيَة﴾ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُر﴾.

لقد ألهاكَ التّكاثُرُ بالنِّعَمِ عن هذهِ الحَقيقَةِ التي تَنتَظِرُكَ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه * فَأُمُّهُ هَاوِيَة * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه * نَارٌ حَامِيَة﴾.

يا غُدَرُ: أنتَ راجعٌ إلى ربِّكَ رَغماً عن أنفِكَ، فقد سَبَقَكَ إلى الله تعالى من قَتَلتَهُ، وأنتَ لاحِقٌ به، وسوفَ يَلحَقُكَ من غَدَرتَ به دونَ القَتلِ، فَمَظلومٌ أمامَكَ يَنتَظِرُكَ، ومَظلومٌ وراءَكَ يَلحَقُكَ، وستَلقى اللهَ تعالى بينَ مَظلومَينِ، فما أنتَ قائِلٌ لِرَبِّكَ؟!

يَا غُدَرُ يا غَادِرُ: الدِّينُ النَّصيحَة، ولَا نَملِكُ لَكَ سِوَاهَا، فإِن بَقِيَت في قَلبِكَ بَقِيَّةُ إيمانٍ تُبْ إلى اللهِ مِن غَدرِكَ، لَقَد هَلَكَ الحَرثُ والنَّسلُ، فَهَل أنتَ تَائِبٌ قَبلَ مَوتِكَ؟

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

٣٢٤ـ خطبة الجمعة: قل دائماً: فأين اللّه؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أمَّةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، إنّ أمّتَكُم هَذهِ التِي ابتَعَثَ إليها ربُّنا عزّ وجلّ سيِّدَنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ربَّاهَا على مُراقَبَةِ اللهِ تعالى، حتّى تَتَحَقّقَ بالعُبودِيَّةِ لَهُ تَعالى، وحتّى تَتَحَرَّرَ

من عُبودِيَّةِ الدُّنيا والمَالِ والجَاهِ والسِّيادَةِ والرِّيادَةِ والأهوَاءِ.

جاءَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِيُرَبِّيَ هذهِ الأمَّةَ على مُراقَبَةِ اللهِ تَعالى، الذِي يَرى ولا يُرى، على مُراقَبَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ الذِي هُوَ أقربُ إلى العَبدِ من حَبلِ الوَريدِ.

الجزاءُ من جنسِ العَمَلِ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لِحِكمَةٍ أَرادَهَا اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّهُ في هذهِ الحياةِ الدُّنيا لا يَراهُ العبدُ، ولكن إذا كانَ العبدُ من أهلِ الجَنَّةِ فَسَوفَ يَرى اللهَ تعالى، لأنَّهُ عَبَدَ ربَّهُ مِن خِلالِ قَولِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندما سُئِلَ عن الإحسانِ، فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» رواه الشيخان عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

عَبَدَ المؤمنُ ربَّهُ عزَّ وجلَّ من خلالِ مُراقَبَتِهِ لِرَبِّهِ بِقَلبِهِ.

ومن خلالِ استِشعارِهِ قَولَهُ تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

ومن خلالِ استِشعارِهِ قَولَهُ تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.

ومن خلالِ استِشعارِهِ قَولَهُ تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

ومن خلالِ استِشعارِهِ قَولَهُ تعالى حكايةً عن سيِّدِنا لُقمانَ لِوَلَدِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

عَبَدَ المؤمنُ ربَّهُ عزَّ وجلّ وهوَ ضابطٌ نفسَهُ ومَشاعِرَهُ وأهواءَهُ وعَواطِفَهُ وأعصابَهُ وعَقلَهُ بِضَوابِطِ الشَّريعَةِ، بِكِتابِ اللهِ عزَّ وجلّ، وبِسُنَّةِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لذلكَ كانَ جزاؤُهُ يومَ القيامَةِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

أمَّا غيرُ المؤمنِ الذي غَفَلَ عَنِ اللهِ تَعالى ونَسِيَ ربَّهُ، فَقَد أَنسَاهُ اللهُ تَعالى نفسَهُ، وحُجِبَ بالنِّعمَةِ عن المُنعِمِ، فإذا بِهِ يَعُيثُ في الأَرضِ فَسَاداً، وكأنَّهُ لا رَبَّ له ـــ والعياذُ باللهِ تعالى ـــ لِذَلكَ كَانَ جَزاؤُهُ يومَ القيامَةِ: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

سَلَفُنا الصَّالِحُ كانَ يُراقِبُ اللهَ تعالى:

يا عِبادَ اللهِ، لقد كانَ سَلَفُنا الصَّالِحُ يُراقِبُ اللهَ تعالى، فَيفعَلُ الطَّاعَةَ طَمَعاً بما عندَ اللهِ تَعالى،ويَنزَجِرُ عن مَعصِيَةِ اللهِ تَعالى خَوفاً مِنَ اللهِ تَعالى، فَمَا كَانَ الوَاحِدُ مِنهُم يُراقِبُ البَشَرَ، وما كَانَ الواحِدُ منهم يُراقِبُ الحاكمَ ولا المَسؤُولَ، وما كَانَ الواحِدُ منهم يُراقِبُ قانونَ البَشَرِ، لأَنَّهُم كانوا على يَقينٍ بأَنَّهُم آيبونَ إلى اللهِ تَعالى، وبأنَّ حِسابَهُم على اللهِ تعالى.

كانَ الواحِدُ منهُم إذا وَقَعَ في مُخالَفَةٍ شرعِيَّةٍ تَستوجِبُ إقامَةَ الحدِّ عليه يأتي إلى سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ويقولُ: طَهِّرني يا رسولَ اللهِ.

أخرج الإمام أحمد عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي.

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ارْجِعِي»

فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْهُ أَيْضاً، فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي.

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ارْجِعِي».

فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْهُ أَيْضاً، فَاعْتَرَفَتْ عِنْدَهُ بِالزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، طَهِّرْنِي، فَلَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَى.

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ارْجِعِي حَتَّى تَلِدِي».

فَلَمَّا وَلَدَتْ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ تَحْمِلُهُ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هَذَا قَدْ وَلَدْتُ.

قَالَ: «فَاذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ».

فَلَمَّا فَطَمَتْهُ جَاءَتْ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هَذَا قَدْ فَطَمْتُهُ.

فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّبِيِّ، فَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا حُفْرَةٌ، فَجُعِلَتْ فِيهَا إِلَى صَدْرِهَا، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ

يَرْجُمُوهَا.

فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا، فَنَضَحَ الدَّمُ عَلَى وَجْنَةِ خَالِدٍ، فَسَبَّهَا.

فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: «مَهْلاً يَا خَالِدُ بْنَ الْوَلِيدِ، لَا تَسُبَّهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ».

فَأَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: ما الذي دَفَعَ هذهِ المرأةَ لأن تَطلُبَ إقامَةَ الحَدِّ عليها، مع أنَّه ما رَآها أحَدٌ من الخَلقِ؟ إنَّهُ خَوفُها من الله تعالى، لأنَّها على يَقينٍ بأنَّها راجِعَةٌ إلى الله تعالى، وحِسابُها على الله تعالى

ما كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: مُنذُ أربعينَ عاماً وأكثرُ كانَ النّاسُ يَظُنُّ بعضُهُم بِبَعضٍ أنَّهُم من الأولياءِ والصّالِحينَ والأتقِياءِ، وأنَّ النّاسَ يَخافونَ اللهَ تعالى ربَّ العالمينَ، ولكنَّ اللهَ تعالى هوَ القائِلُ في كِتابِهِ العظيمِ: ﴿ما كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

نعم، أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: جاءَت هذهِ الفِتنَةُ، وهذهِ المِحنَةُ لِتُظهِرَ مَعادِنَ النّاسِ،

لِتُظهِرَ من يخافُ اللهَ تعالى مِمَّن يَخافُ العِبادَ، لِتُظهِرَ مَن كانَ يُراقِبُ اللهَ تعالى ويَخشاهُ مِمَّن كانَ يُراقِبُ العِبادَ ويَخشاهُم.

وتَبَيَّنَ أنَّ أكثَرَ النَّاسِ كانوا يَخافونَ الخَلقَ ولا يَخافونَ الخَالِقَ، كانوا يَخافونَ البَشَرَ ولا يَخافونَ من ربِّ البَشَرِ، كانوا يَظُنُّونَ أنَّ عذابَ البَشَرِ كَعَذابِ الله.

جاءت هذهِ المِحنَةُ وأظهَرَت طبائِعَ الكَثيرِ من النَّاسِ الذينَ كانوا يُخادِعونَ اللهَ وهوَ خادِعُهُم، فإذا بالدِّماءِ تُسفَكُ بدونِ حِسابٍ، وإذا بالأَعراضِ تُنتَهَكُ بِدونِ حِسابٍ، وإذا بالأَموالِ تُسلَبُ بِدونِ حِسابٍ، وإذا بِتَرويعِ النَّاسِ يَقَعُ بدونِ حِسابٍ، وإذا بِغلاءِ الأَسعارِ مِن قِبَلِ التُّجَّارِ بِدونِ حِسابٍ، وهكذا عَدِّد أصنافَ العِبادِ الذينَ ظَهَرَت مَعادِنُهُم في هذهِ الآونَةِ، أظهَرَت من يخافُ اللهَ تعالى ويُراقِبُهُ من الذينَ لا يخافونَ اللهَ تعالى ولا يُراقِبونَهُ.

فأينَ اللهُ؟

يا عِبادَ الله، إنَّ مُراقَبَةَ الله تعالى تدفَعُ العبدَ للاستِقامَةِ، إنَّ مُراقَبَةَ الله تعالى سَبَبٌ لِحَقنِ دِماءِ المسلمينَ، ولِسَترِ أعراضِهِم، وللمُحافَظَةِ على أموالِهِم، إنَّ مُراقَبَةَ اللهِ تعالى تَجعَلُ العبدَ يقولُ دائماً وأبداً: فأينَ اللهُ إذا غَابَت عَينُ البَشَرِ؟

هذا سيِّدُنا ابنُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُما مَرَّ بِرَاعِي غَنَمٍ، فَقَالَ: يَا رَاعِيَ الْغَنَمِ، هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟

قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَا هُنَا رَبُّهَا.

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ.

فَرَفَعُ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ؟

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَنَا واللهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: فَأَيْنَ اللهُ؟

فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ. رواه الطبراني في الكبير عن زَيْدِ بن أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

نعم، يا عِبادَ الله، من كانَ حريصاً على نَجاتِهِ يومَ القيامَةِ من عذابِ الله عزَّ وجلَّ يقولُ دائماً بينَهُ وبينَ نفسهِ إذا غابَ عنهُ الخَلقُ: فأينَ اللهُ؟

فهل بإمكانِ الأمَّةِ من قَضِّها إلى قَضيضِها أن تقولَ دائماً وأبداً: فأينَ اللهُ؟ أينَ من يقولُ في هذهِ الآونَةِ: فأينَ اللهُ؟

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إذا كُنَّا على يَقينٍ من قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾. وإذا كُنَّا على يَقينٍ من قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. فلننطَلِق من هذا اليقينِ لإصلاحِنا وإصلاحِ مُجتَمَعِنا، ولو انطَلَقنا جميعاً من هذا المنطَلَقِ لأصلحَ اللهُ حالَنا وشأننا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

لو انطَلَقنا جميعاً من هذا المنطَلَقِ لَكَفَّ كُلٌّ واحِدٍ منَّا جَوارِحَهُ الظَّاهِرَةَ والباطِنَةَ عن مُخالَفَةِ أمرِ الله تعالى، ولكن كلمةُ: (فأينَ اللهُ؟) غَابت عن الكثيرِ من العِبادِ،

وحُرِمَها الكَثيرُ من الخَلقِ.

يا عِبادَ الله، كُلُّنا راجِعٌ إلى الله تعالى، وكُلُّنا مُحاسَبٌ بينَ يَدَيهِ، فالسَّعيدُ من خَرَجَ من الدُّنيا وذِمَّتُهُ بَريئةٌ من حُقوقِ العِبادِ، والشَّقِيُّ من خَرَجَ منها وذِمَّتُهُ مَشغولَةٌ بحُقوقِ العِبادِ.

يا من غَفَلَ عن الله تعالى، إن كُنتَ تَعتَقِدُ بأنَّ اللهَ تعالى يَراكَ فلا تَجعَلهُ أهونَ النَّاظِرينَ إليكَ، وإن كُنتَ تَعتَقِدُ أنَّهُ لا يَراكَ فَجَدِّد إيمانَكَ.

أسألُ اللهَ تعالى أن لا يَجعَلَنا من الغافِلينَ، وأسأَلُهُ أن يَجعَلَنا مِمَّن يقولُ بلسانِ الحالِ والمَقالِ إذا غابَ الخَلقُ عنَّا: (فأينَ اللهُ؟) آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيم

** ** **

٣٢٥ـ خطبة الجمعة: لا تقربوا الفتنة إذا حميت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: الإنسانُ في الحياةِ الدُّنيا إمَّا أن يَتَقلَّبَ في نِعمةٍ ــ وهذا هوَ الغالِبُ الأعَمُّ ــ وإمَّا أن يَتَقلَّبَ في نِقمةٍ وابتِلاءٍ ــ وهذا هوَ العارِضُ ــ فإن كانَ في نِعمةٍ وَجَبَ عليه الشُّكرُ، وإن كانَ في نِقمةٍ وَجَبَ عليه الصَّبرُ، والشُّكرُ والصَّبرُ من العِباداتِ التي كُلِّفَ بها العبدُ، وما خُلِقَ العبدُ إلا للعِبادةِ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾. فإن تَحَقَّقَ بالشُّكرِ والصَّبرِ تَحَقَّقَ بالعُبُودِيَّةِ لله عزَّ وجلَّ.

اِصبِر امتِثالاً لأمرِ ربِّكَ وأمرِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ، يا مَن يَعيشُ هذهِ الأيَّامَ العَصيبَةَ، أيَّامَ التَّمييزِ، ﴿ما كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: اِصبِر حتّى يَظهَرَ صِدقُ إيمانِكَ باللهِ تعالى، ولا تَنسَ قولَهُ تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين﴾.

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ الصَّابِرُ: اِصبِر، واجعَل صَبرَكَ امتِثالاً لأمرِ ربِّكَ عزَّ وجلَّ القائِلِ الآمِرِ في كِتابِهِ العظيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾. والقائِلِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾. والقائِلِ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِالله﴾.

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ الصَّابِرُ: اِصبِر، واجعَل صَبرَكَ امتِثالاً لأمرِ رسولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائِلِ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

اِصبِر لأنَّ سَيِّدَنَا رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقولُ لسيِّدِنا عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي اخْتِلَافٌ أَوْ أَمْرٌ، فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ السِّلْمَ فَافْعَلْ» يعني: الصَّابرَ المسالِمَ. رواه الإمام أحمد.

يا أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر امتِثالاً لأمرِ نَبيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَائِلِ: «لا تَقرَبوا الفِتنَةَ إذا حَمِيَت، ولا تَعَرَّضُوا لها إذا عُرِضَت، واصبِروا

لها ــــ وفي رواية: واضرِبوا أَهلَهَا ــــ إذا أقبَلَت» رواه الطبراني عن أبي الدّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وفي رواية للمروزي عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إنّ الفِتنَةَ إذا أقبَلَت شَبَّهَت، وإذا أدبَرَت أسفَرَت، وإنّ الفِتنَةَ تُلقَحُ بالنّجوى، وتُنتَجُ بالشّكوى، فلا تُثيروا الفِتنَةَ إذا حَمِيَت، ولا تَعَرَّضُوا لها إذا عُرِضَت، إنّ الفِتنَةَ راتِعَةٌ في بلادِ اللهِ تَطَأُ في خِطامِها، لا يَحِلُّ لأحَدٍ من البَرِيَّةِ أن يُوقِظَها حتّى يَأذَنَ اللهُ تعالى، لها الويلُ لمن أخَذَ بخِطامِها، ثمّ الويلُ له».

يا أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر امتِثالاً لأمرِ رسولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» رواه الإمام البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر امتِثالاً لأمرِ رسولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائِلِ لسيِّدِنا عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ عندما سألَهُ عن الإيمان: قَالَ: «الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ» رواه الإمام أحمد.

ويقولُ سيِّدُنا عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: (واعلَمُوا أنّ مَنزِلَةَ الصّبرِ من الإيمانِ كَمَنزِلَةِ الرّأسِ من الجَسَدِ، فإذا ذَهَبَ الرّأسُ ذَهَبَ الجَسَدُ، وإذا ذَهَبَ الصّبرُ ذَهَبَ الإيمانُ) رواه ابن أبي شيبة.

يا أمّةَ سيّدِنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يا أمّةَ الصّبرِ والمُصابَرَةِ، كونوا حَريصينَ على إيمانِكُم في المِحنَةِ من أن تَتزَعزَعَ، ولا تَنسَوا قولَ

الله تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين﴾.

اِجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأَمَلِ:

يا أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: قد تسألُ كيفَ أستطيعُ الصَّبرَ؟ وعلى أيِّ أساسٍ يكونُ هذا الصَّبرُ؟

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر على ما أصابَكَ، فإنَّ ذلكَ من عَزمِ الأمورِ، اِصبِر واجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأَمَلِ الذي وُعِدتَ به من قِبَلِ مَولاكَ الذي لا يُخلِفُ المِيعادَ، لا بأملٍ وَعَدَكَ به شرقٌ أو غربٌ، لا بأملٍ وَعَدَكَ به زَيدٌ أو عمرو من النَّاسِ الخطَّائينَ، اِجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأَمَلِ الذي وَعَدَكَ اللهُ إيَّاهُ وهوَ لا يُخلِفُ الميعادَ.

أولاً: العاقِبَةُ لك:

اِجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأَمَلِ من خلالِ قولِهِ تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين﴾. فالعاقِبَةُ لكَ أيُّها الصَّابِرُ إن كُنتَ تَقِيّاً، أما يُرضيكَ أن تكونَ العاقِبَةُ لك؟

ثانياً: اللهُ تعالى معكَ:

اِجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأَمَلِ الذي وَعَدَ به عِبادَهُ الصَّابرينَ بقولِهِ تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾. أما يُرضيكَ أيُّها الصَّابِرُ أن يكونَ اللهُ معَكَ؟

ومن كانَ اللهُ معَهُ فلن يُغلَبَ، ولن يُقهَرَ، لأنَّ اللهَ تعالى غالِبٌ وليسَ بِمَغلوبٍ، ولأنَّ اللهَ تعالى قاهِرٌ وليسَ بِمَقهورٍ، اِصبِر وعِشْ بهذا الأملِ الذي وَعَدَكَ اللهُ إيَّاهُ.

ثالثاً: الحُكمُ لكَ:

اِجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأمَلِ الذي وَعَدَكَ اللهُ إيَّاهُ من خلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. إن صَبَرتَ وضَبَطتَ نفسَكَ وعواطِفَكَ ومَشاعِرَكَ وعَقلَكَ بِضَوابِطِ الشَّريعةِ، وانقلَبتَ إلى اللهِ تعالى يومَ القيامةِ لِيَحكُمَ بينَكَ وبينَ خَصمِكَ فأنتَ الفائزُ وربِّ الكعبَةِ إن كُنتَ مُؤمِناً صابِراً، وخَصمُكَ هوَ الخاسِرُ، أما يُرضيكَ أن يَحكُمَ اللهُ لك، وتكونَ في نتيجةِ الحُكمِ مع الذين أنعمَ اللهُ عليهِم؟

رابعاً: لك عُقبى الدَّار:

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر واجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأمَلِ من خلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار﴾. أما يُرضيكَ أن تكونَ لك عُقبى الدَّار حيثُ يجمَعُ اللهُ بينَكَ وبينَ أصولِكَ وفُروعِكَ وزوجِكَ فيها، وملائكَةُ الرَّحمَةِ يُسَلِّمونَ عليكُم.

خامساً: عليكَ مِن اللهِ الصَّلوات:

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر واجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأمَلِ من خلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾. أما يُرضيكَ أن تُصَبَّ عليكَ الصَّلَواتُ والرَّحمَةُ والهِدايَةُ؟

أنتَ على وَعدٍ من سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر على ما أصابَكَ، فإنَّ ذلكَ من عَزمِ الأمورِ، اِصبِر، واجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأمَلِ الذي وُعِدتَ بِهِ من قِبَلِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى.

أولاً: سَيلقاكَ على الحَوضِ:

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر واجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأمَلِ من خلالِ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» رواه الشيخان عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ. أما يُرضيكَ أن تلقى رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحَوضِ، وغيرُكَ يُذَادُ عن الحَوضِ؟ عِشْ بهذا الأملِ الذي وَعَدَكَ به الصَّادِقُ المَصدوقُ، الذي ما جَرَّبَت عليه البَشَرِيَّةُ إلا صِدقاً.

ثانياً: صَبرُكَ فيه خَيرٌ كثيرٌ:

أيُّها الإنسانُ المؤمنُ: اِصبِر واجعَل صَبرَكَ مَمزوجاً بالأمَلِ من خلالِ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما. وصَدَقَ اللهُ تعالى القائِلُ: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾.

ومن خلالِ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنْ الصَّبْرِ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عِبادَ الله، وَطِّنوا أنفُسَكُم على أنَّ كلَّ مُصيبَةٍ تأتي إنَّما هيَ بإذنِ الله تعالى وقَضائِهِ وقَدَرِهِ، لأنَّ الأمرَ له، وهوَ الذي كَتَبَ مَقادِيرَ الخلائِقِ قَبلَ أن يَخلُقَ السَّماواتِ والأراضينَ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: كونوا على حَذَرٍ من أن تَظُنُّوا بأنَّ مَشيئَةَ زَيدٍ أو عمرو هي النَّافِذَةُ، إنَّ المَشيئَةَ النَّافِذَةَ هي المَشيئَةُ العُليا، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

كونوا صابرينَ على ما أصابَكُم، وكونوا مُمتَثِلينَ أمرَ اللهِ عزَّ وجلَّ وأمرَ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لكم بالصَّبرِ، ولا تَنسَوا قولَ الله تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾.

اِصبروا يا أمَّةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، واجعَلوا صَبرَكُم مَمزوجاً بالأمَلِ الذي وُعِدتُم به من قِبَلِ الله تعالى الذي لا يُخلِفُ الميعادَ، ومن قِبَلِ الصَّادِقِ المَصدوقِ الذي مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

واحذَروا من أن تكونوا فاشِلينَ في هذهِ المِحنَةِ بحيثُ لا يَصبرُ أحَدُكُم على قَضاءِ الله وقَدَرِهِ، أو أن يكونَ ساخِطاً والعياذُ بالله تعالى.

أما يُرضيكَ يا أيُّها المُبتَلى أن تَصبِرَ كما صَبَرَ سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي هوَ سيِّدُ وَلَدِ آدمَ؟

اللّهُمَّ اجعَلنا من الشَّاكرينَ عندَ الرَّخاءِ، ومن الصَّابرينَ عندَ البلاءِ، ومن الرَّاضينَ بِمُرِّ القَضاءِ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

326ـ خطبة الجمعة: الصبر مكابدة ومعاناة مع الرضا والطمأنينة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، الحياةُ الدُّنيا لا تَخلو من مَصائِبَ ومِحَنٍ ورزَايَا، فَالصَّحيحُ من العِبادِ يَنتَظِرُ السَّقَمَ، والكَبيرُ مِنهُم يَنتَظِرُ الهَرَمَ، والمَوجُودُ يَنتَظِرُ العَدَمَ، والحَيُّ يَنتَظِرُ المَوتَ، والقَويُّ يَنتَظِرُ الضَّعفَ، والغَنيُّ يَنتَظِرُ الفَقرَ، والمَلِكُ يَنتَظِرُ النَّزعَ، ومِن المُحالِ دوامُ الحَالِ، والسَّعيدُ مِن العِبادِ مَن ارتَبَطَ بِمُحَوِّلِ الأَحوالِ، وبِمُقَدِّرِ المَقاديرِ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. وقال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

الإيمانُ بالقَدَرِ سِرُّ السَّعادَةِ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: مِن فَضلِ الله تعالى على عِبادِهِ أَنَّهُ جَعَلَهُم على بَصيرَةٍ من أمرِهِم في هذهِ الحياةِ الدُّنيا، فَمَن آمَنَ سَعِدَ، وَمَن كَفَرَ شَقِيَ، وَمَن أَهَمِّ أَركانِ

الإيمانِ، الإيمانُ بالقَضاءِ والقَدَرِ.

فيا أيُّها المؤمنُ الذي يَعيشُ هذهِ الأيَّامَ القاسِيَةَ الصَّعبَةَ، أيَّامَ البأساءِ والضَّرَّاءِ، أيَّامَ الهَرجِ والمَرجِ، أيَّامَ المِحَنِ، أيَّامَ التَّمييزِ، لا تَنسَ بأنَّكَ مؤمنٌ بالقَضاءِ والقَدَرِ، لا تَنسَ بأنَّ اللهَ تعالى قَدَّرَ مَقاديرَ العِبادِ قبلَ خلقِهِم، لا تَنسَ بأنَّ ما يَجرِي على الأرضِ نَازِلٌ مِن السَّماءِ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

فمن آمَنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ مِنَ اللهِ تعالى حَقَّقَ لِنَفسهِ السَّعادةَ، لأنَّ سِرَّ السَّعادَةِ بالإيمانِ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

الصَّبرُ مُكابَدَةٌ ومُعاناةٌ مع الرِّضا والطُّمأنينةِ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: الإنسانُ المُؤمنُ هوَ الإنسانُ الصَّابرُ على ما يَكرَهُ، لأنَّهُ مَزَجَ صَبرَهُ بالأمَلِ الذي وَعَدَهُ إيَّاهُ ربُّنا عزَّ وجلَّ في كتابِهِ العَظيمِ، وبالأمَلِ الذي وَعَدَهُ إيَّاهُ الصَّادِقُ المَصدُوقُ الأَمينُ في أَحادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ.

نَعَم، صَبرُ المُؤمنِ مُكابَدَةٌ ومُعانَاةٌ، إلَّا أنَّهُ مَعَ الرِّضا والطُّمأنينَةِ، لأنَّ اللهَ تعالى يقولُ في كتابِهِ العظيمِ: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾. ويقولُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

كيفَ يَأتي الرِّضا والطُّمأنينة مع الصَّبرِ على ما يَكرَهُ؟

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: قد يسألُ البعضُ كيفَ يأتي الرِّضا والطُّمأنينَةُ مع الصَّبرِ على ما يَكرَهُ الإنسانُ؟

الجوابُ على ذلكَ:

إنَّ الرِّضا والطُّمأنينَةَ تأتي مع الصَّبرِ على ما يَكرَهُ الإنسانُ مِنَ الإيمانِ المُستَقِرِّ في قَلبِ صَاحِبِهِ، وكُلَّما عَظُمَ الإيمانُ عَظُمَ الرِّضا والطُّمأنِينَةُ، لأنَّ المؤمنَ على يَقِينٍ:

أولاً: ما يَقَعُ أَمرٌ إلا بِناءً على المَشِيئَةِ العُليَا المُطلَقَةِ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾.

فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وما لم يَشأ لَم يَكُن، فالمُؤمِنُ يَعتَقِدُ اعتِقَاداً جَازِماً بِذَلِكَ، فَكَيفَ لا يَكُونُ رَاضِياً مُطمَئِنّاً؟

ثانياً: ما يُصِيبُ المُؤمنَ مِن مَكروهٍ هوَ مَكتُوبٌ عليهِ قَبلَ خَلقِهِ، ولا رَادَّ لقَضاءِ الله تعالى المُبرَمِ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَباً فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَدَخَلْتَ النَّارَ» رواه الإمام أحمد عَن أبيٍّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى

أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» رواه الترمذي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ. والمؤمنُ يَعتَقِدُ بذلكَ اعتِقاداً جازِماً، فكيفَ لا يكونُ راضِياً مُطمَئِنّاً؟

ثالثاً: لا يَشُكُّ المؤمنُ بأنّ اللهَ تعالى عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وأَنَّهُ يَضَعُ الأُمُورَ فِي مَحَلِّها، وهوَ تبارَكَ وتعالى يُؤَدِّبُ عِبادَهُ ويُرَبِّيهِم بِمَا شاءَ وكَيفَ شَاءَ، فَتَارَةً يُرَبِّيهِم بالعَطاءِ وتَارَةً بالمَنعِ، وتَارةً بالخَفضِ وتَارةً بالرَّفعِ ﴿واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾. فَمَا مِن أَمرٍ يَقَعُ إلا بِمَشيئَةِ الله تعالى، وبِعِلمِهِ، وبِحِكمَتِهِ. فإذا كانَ هذا هوَ اعتِقادَ المؤمنِ، فكيفَ لا يكونُ راضِياً مُطمَئِنّاً؟

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: من هذا المنطَلَقِ قَبُحَ بالمرءِ المؤمنِ أن يَتَبَرَّمَ من الأحداثِ المقَدَّرَةِ عليهِ، لأَنّها في الحَقِيقَةِ كُلّها له، وذلك لقولِهِ تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾.

الإيمانُ بالقَضاءِ والقَدَرِ جَنَّةُ العَارِفِينَ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكِرَام: المُؤمِنُ عندما يَمزِجُ صَبرَهُ بالأمَلِ المَوعُودِ به، ويَرضَى بِقَضاءِ الله تعالى وقَدَرِهِ فإنَّهُ يدخُلُ جَنَّةَ العَارِفِينَ في هذهِ الحياةِ الدُّنيَا، الذينَ قابَلوا القَدَرَ بالرِّضا لِيَقينِهِم بِحِكمَةِ الله تعالى.

فَهَذا سَيِّدُنَا سَعدُ بنُ أبي وقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، يَدخُلُ مَكّةَ المُكرَّمَةَ، وقَد كُفَّ بَصَرُهُ، وكَانَ مُجابَ الدَّعوَةِ، فأسرَعَ إليهِ النّاسُ يَسأَلُونَهُ الدُّعاءَ، وكَانَ يَدعُو

لهم، فجاءَهُ عبدُ الله بنُ السَّائِبِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى، فقالَ له: يَا عَم، لَو دَعَوتَ اللهَ أن يَرُدَّ عليكَ بَصَرَكَ، فَقَال: قَضَاءُ اللهِ أَحَبُّ إِليَّ مِن بَصَرِي. جامِع العُلُوم والحِكَم.

نَعَم، أَيُّهَا الإخوَةُ الكِرام، صَارَت أَقدارُ الله تعالى عِندَ العَارِفينَ بالله تعالى أحَبَّ إليهِم مِن هَوَى أَنفُسِهِم، فَهذا سيِّدُنا عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَضِيَ اللهُ عنهُ يقولُ: مَالِي هَوىً فِي شيءٍ سِوَى ما قَضَى اللهُ عزَّ وجلَّ.

كيفَ لا يكونُ هذا حالَهُم، وهُمُ الذينَ يقولونَ كُلّما خرَجوا من بُيوتِهِم الدُّعاءَ الذي تَعَلّموهُ من سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: بِسمِ الله عَلى نَفسِي، بِسمِ الله عَلى أَهلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ رَضِنِي بِمَا قَضَيتَ لِي، وعَافِنِي فِيمَا أَبقيتَ، حَتَّى لَا أُحِبَّ تَعجِيلَ مَا أَخَّرتَ ، ولَا تَأخِيرَ مَا عَجَّلتَ» رواه أبو نعيمٍ عن بدرِ بنِ عبدِ الله المزنيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

لذلكَ رَأَينَا سَلَفَ هَذهِ الأمَّةِ يُوصِي بَعضُهُم بَعضاً بذلكَ، فهذا سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ يكتُبُ لسيِّدِنا أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: أمَّا بعد: فَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّضَا، فَإِنْ اسْتَطَعْت أَنْ تَرْضَى وَإِلَّا فَاصْبِرْ. اهـــ. هلّا جعَلتَها أيُّهَا المُؤمِنُ وَصِيَّةً تكتُبُها لمن تُحِبُّ على هاتِفِكَ النَّقّالِ؟

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: قَابِلُوا هذهِ الأحدَاثَ، وهذِهِ الأزمَةَ بِأُمُورٍ:

أولاً: قَابِلُوهَا بِالصَّبرِ المَمزُوجِ بالأمَلِ الذي وُعِدتُم بِهِ مِن قِبَلِ مَولَاكُم الذي لا

يُخلِفَ المِيعَادَ، ومِن قِبَلِ نَبِيِّكُم سَيِّدِنَا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي مَا يَنطِقُ عنِ الهَوَى، إن هُوَ إلَّا وَحيٌ يُوحَى.

ثانياً: قَابِلُوهَا بالرِضَا والطُمَأنينَةِ، ولو وَجدتُم مُكَابَدَةً ومُعانَاةً، لا تَحزَنُوا على ما مَضى، ولا تَغتَمُّوا لِحَاضِرٍ، ولا يؤلِمْكُم هَمُّ المُستَقبَلِ، ولا تَتَبَرَّمُوا، ولا تَضِيقُوا ذَرعَاً، وتَذَكَّرُوا قولَ الله تعالى: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

ثالثاً: قَابِلُوهَا بِاليَقِينِ بِأَنَّ مَنْعَ اللهِ تعالى هُوَ عَينُ العَطاءِ، لأَنَّهُ مَا مَنَعَ عَن بُخلٍ، ولا عَن عَدَمٍ ولا عَن عَجزٍ، وإِنَّمَا نَظَرَ في خَيرِ عبدِهِ المُؤمِنِ، فَمَنعُهُ عَطَاءٌ وإن كَانَ فِي ظَاهِرِهِ مَنعاً، وبَلاؤُهُ عَافِيَةٌ وإن كَانَ فِي ظَاهِرِهِ بَلِيَّةً.

رابعاً: قَابِلُوهَا بالحَذَرِ مِن شَيَاطِينِ الإنسِ والجِنِّ مِن أَن يُلقُوا بِخَلَدِكُمْ كَلِمَةَ (لو) التي تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ، ولا تَقُولوا: لَو فَعَلنَا كَذَا لَكَانَ كَذَا، يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُوصِيَاً الأُمَّةَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللهِ وَلاَ تَعْجزْ. وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلاَ تقلْ: لَوْ أَنِّي فَعلْتُ كانَ كَذَا وَكذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قدَّرَ اللهُ، ومَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رواهُ الإمامُ مسلم عن أَبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

خامساً: قَابِلُوهَا بالحَذَرِ مِن اجتِمَاعِ مُصِيبَتَينِ عليكُم، مُصيبَةَ فَقْدِ النِّعمَةِ ومُصِيبَةَ فَقْدِ الصَّبرِ التي تُفْقِدُ الأَجرَ، فَالمُصَابُ حَقَّاً مَن اِجتَمَعَ عليهِ أَمرَانِ: فَقْدُ النِّعمَةَ بأيِّ صورَةٍ مِن صُوَرِهَا ــــ مِن نِعمَةِ الأَمنِ، ومِن نِعمَةِ الشِّبَعِ، ومِنَ الأنفُسِ والثَّمَراتِ

ـــ وذَهَابُ الأجرِ والثَّوابِ بعَدَمِ الصَّبرِ والرِضَا.

نَسأَلُكَ رَبَّنَا الرِضَا بِقَضائِكَ، وبَارِك لَنَا فيهِ، حتَّى لا نُحِبَّ تَعجِيلَ ما أَخَّرتَ ولا تَأخيرَ مَا عَجَّلتَ، بِرَحمَتِكَ يَا أرحَمَ الرَّاحِمِينَ، ولكِن عافِيَتُكَ أَوسعُ لَنَا.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

327ـ خطبة الجمعة: بشائر للصابرين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، الابتِلاءُ في الحياةِ الدُّنيا لا بُدَّ منهُ، وما ذَاكَ إلا لِيُظهِرَ اللهُ تعالى الصَّادِقَ من الكَاذِبِ، والصَّابرَ من الجازِعِ، وهذهِ هيَ سُنَّةُ الله تعالى في خَلقِهِ، ولن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تحويلاً.

لأنَّهُ لو دَامَتِ المِنَحُ لأهلِ الإيمانِ، ولم تَحصُل مَعَهَا المِحَنُ، لَحَصَلَ الاختِلاطُ والفَسادُ، ولما عَرَفتَ الصَّادِقَ في إيمانِهِ من الكَاذِبِ.

وليسَ المَقصُودُ من المِحَنِ زَعزَعَةَ إيمانِ المؤمنينَ ــ مَعاذَ الله تعالى ــ يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾. بل المقصودُ منها التَّمييز، قال تعالى: ﴿ما كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾. وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾:

أَيُّهَا الإخوةُ الكرام: من خلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. وحتّى لا نكونَ من الخاسرينَ، يَجبُ علينا أن نَتَواصى بالصّبرِ، ومن هذا المنطَلَقِ أقولُ لِنَفسي ولكلِّ واحِدٍ فيكُم:

أبشِروا إن صَبَرتُم على المصائِبِ، وخاصّةً إذا لم تكونوا سبباً في نُزولِها، ولم يَكُن لكم فيها اختيَارٌ، لأنَّ هُناكَ بعضَ المَصائِبِ تَقَعُ على العَبدِ بسَبَبِهِ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾. فلا يَستَغرِبِ المُرابي إذا نَزَلَت به المُصِيبَةُ، ولا يَستغرِبِ المرتَشِي إذا نَزَلَت به المُصيبَةُ، ولا يَستَغرِب من يَكفُرُ بالله تعالى إذا نَزَلَت به المُصِيبَةُ.

فيا من وَقَعَت عليكَ مُصيبَةٌ بدونِ سَبَبٍ منكَ، وبدونِ اختِيارٍ، أبشِر:

أولاً: بالصّلَواتِ والرّحمَةِ والهِدايَةِ:

قال تبارَكَ وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾. ويقولُ سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: نِعْمَ الْعِدْلَانِ وَنِعْمَ الْعِلَاوَةُ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ رواه الإمام البخاري.

العِدلُ الأوّلُ: صَلَواتٌ من الله تعالى، والعِدلُ الثّاني: الرَّحمَةُ من الله تعالى، والعِلاوَةُ هيَ الهِدايَةُ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائِلُ: ﴿وَمَن يُؤْمِن بالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾. أما يَسُرُّكَ هذا أيُّها الصّابِرُ؟

ثانياً: أجرُكَ بغَيرِ حِسابٍ إن شاءَ اللهُ تعالى:

أيُّها المؤمنُ: أجرُكَ يومَ القِيامَةِ على صَبرِكَ بِغَيرِ حِسابٍ، فإن كانت كلُّ طَاعةٍ وقُربَةٍ وحَسَنَةٍ أجرُها بِتَقديرٍ وحِسابٍ، والحَسَنَةُ بِعَشرِ أمثالِها إلى سبعِمِائةِ ضِعفٍ، فإنّ الأجرَ على المصيبَةِ إن صَبَرتَ عليها بِغَيرِ حِسابٍ، ومن المعلومِ أنّ العَطاءَ على قَدْرِ المُعطِي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. ويقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً» رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما. أما يَسُرُّكَ هذا أيُّها الصّابِرُ؟

ثالثاً: لا يَضُرُّكَ كَيدُ من كادَكَ إن شاءَ اللهُ تعالى:

أيُّها المؤمنُ: إن صَبَرتَ على ما أصابَكَ، واتَّقَيتَ ربَّكَ، و لم تُخرِجْكَ المصيبَةُ عن دائِرَةِ الشَّرعِ، وضَبَطتَ يَدَكَ ولِسانَكَ عندَ الشِّدَّةِ بامتِثالِ أمرِ الله تعالى، وأمرِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فاعلَم بأنّ كَيدَ الكائِدينَ يكونُ مَمنوعاً ومَدفُوعاً عَنكَ بإذنِ الله تعالى، وإن كانَ مَكرُهُم لِتَزولَ منهُ الجبالُ، قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. أما يَسُرُّكَ هذا أيُّها

الصَّابِرُ؟

رابعاً: أنتَ من أهلِ العَزيمَةِ إن شاءَ اللهُ تعالى:

أيُّها المؤمنُ: إن صَبَرتَ على ما أصابَكَ، وفَوَّضتَ أمرَكَ إلى الله تعالى، اندَرَجتَ تحتَ قولِهِ تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾. وتحتَ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾. وتحتَ قولِهِ تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾. وأبشِر إن كُنتَ كذلكَ بأنَّكَ على قَدَمِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي أمَرَهُ ربُّنا عزَّ وجلَّ بالاقتِداءِ والاهتِداءِ بالأنبياءِ والمرسَلينَ من قَبلِهِ، قال تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾. وقال آمِراً له: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾. أما يَسُرُّكَ أيُّها الصَّابِرُ أن تكونَ على قَدَمِ الأنبياءِ والمرسَلينَ، وخاصَّةً على قَدَمِ سيِّدِ أولي العَزمِ من الرُّسُلِ؟

خامساً: أنتَ من أهلِ الجنَّةِ إن شاءَ اللهُ تعالى:

أيُّها المؤمنُ: إن صَبَرتَ على ما أصابَكَ، وعَلِمتَ أنَّ ما أصابَكَ في كتابٍ قَبلَ نُزولِ المصيبَةِ، فأنتَ إن شاءَ اللهُ تعالى من أهلِ الجنَّةِ، الذينَ قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾. ومن الذينَ قال فيهم: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً﴾. ومن الذينَ قال فيهم: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ

عُقْبَى الدَّارِ﴾.

إن صَبَرتَ بإخلاصٍ وصِدقٍ فأنتَ من أهلِ الجَنَّةِ تَمشي على الأرضِ إن شاءَ اللهُ تعالى، روى الشيخان عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما قال لعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: ألا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟

قال: بَلَى.

قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ.

أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي.

قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ».

فَقَالَتْ: أَصْبِرُ.

فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا.

أما يَسُرُّكَ هذا أيُّها الصَّابِرُ؟

سادساً: مأجورٌ على مُصيبَتِكَ وسَيُخلِفُكَ اللهُ خيراً منها إن شاءَ اللهُ تعالى:

أيُّها المؤمنُ: إن صَبَرتَ واحتَسَبتَ، وقُلتَ ما عَلَّمَكَ إيَّاهُ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فأنتَ مأجورٌ على مُصيبَتِكَ، وسَيُخلِفُكَ اللهُ تعالى خَيراً منها، روى الإمام مسلم عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ

مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا».

قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْراً مِنْهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما يَسُرُّكَ هذا أيُّها الصَّابِرُ، إن قُلتَ عندَ المصيبَةِ: ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا؟

<u>سابعاً: قد تكونُ لكَ مَنزِلَةٌ عندَ الله تعالى لا يَعلَمُ قَدْرَها إلا هو:</u>

أيُّها المؤمنُ: ربُّما أن تَكونَ لكَ مَنزِلَةٌ عندَ الله تعالى، ولكن لم تَبلُغْها بِعَمَلِكَ، وأرادَ اللهُ تعالى لكَ تلكَ المَنزِلَةَ، فابتلاكَ لِتَكونَ أهلاً لِتلكَ المَنزِلَةِ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنْ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ». أما يَسُرُّكَ هذا أيُّها الصَّابِرُ؟

<u>ثامناً: المصيبَةُ تكفيرٌ لِخَطاياكَ إن شاءَ اللهُ تعالى:</u>

أيُّها المؤمنُ: إنّ المصائِبَ تكفيرٌ للخَطايا، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ

نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذىً وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». أما يَسُرُّكَ هذا أَيُّها الصَّابِرُ؟

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: الجَزَعُ من المصيبَةِ لا يَرُدُّها، بل يُضاعِفُها، فمن جَزِعَ فَجَزَعُهُ مُصيبَةٌ، وقد تكونُ سَبباً لِسَخَطِ الله تعالى ولِغَضَبِهِ، وتُحبِطُ الأجرَ الذي وَعَدَ اللهُ تعالى به عِبادَهُ الصَّابرينَ، فهل هذا يُرضي صاحِبَ المصيبَةِ؟

روى الإمام البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِ اللهَ وَاصْبِرِي».

قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي. ــ وَلَمْ تَعْرِفْهُ ــ

فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ.

فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ.

فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى».

اللَّهُمَّ اجعَلنا من الشَّاكرينَ عندَ الرَّخاءِ، ومن الصَّابرينَ عندَ البلاءِ، ومن الرَّاضينَ بِمُرِّ القضاءِ، ولا تُحَمِّلنا ما لا طاقةَ لنا به يا أرحَمَ الرَّاحمينَ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

**   **   **

328ـ خطبة الجمعة: يا تجار الأزمة (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، يا أيَّتُها الأمَّةُ المَكلومَةُ الكَئيبَةُ الحَزينَةُ، أسألُكُم: لِمَ هذهِ الكَآبَةُ؟ ولِمَ هذا الحُزنُ؟ وأنتُم تَعلَمونَ بأنَّكُم ما خُلِقتُم في هذهِ الحياةِ الدُّنيا إلا للاختِبارِ والابتِلاءِ.

إنْ ضَاقت عليكُمُ الأرضُ بما رَحُبَت فاعلَموا بأنَّ اللهَ تعالى وَاسِعٌ عَليمٌ، وإنْ ضَاقت عليكُم أنفُسُكُم فاعلَموا بأنَّ اللهَ تعالى هوَ الْمُدَبِّرُ الحكيمُ، فلا تَضِيقُوا ذَرعاً ما دَامَ اللهُ تعالى واسِعاً عَليماً، مُدَبِّراً حَكِيماً.

أسئلةٌ لِتُجَّارِ الأزمَةِ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: من خِلالِ قَولِ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» رواه الشيخان عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ. أَتَوَجَّهُ إلى الإخوةِ الذينَ يُقالُ عنهُم تُجّارُ الأزمَةِ، هؤلاءِ الذينَ يَستَغِلُّونَ الأزَماتِ لِزيادَةِ أموالِهِم، أَتَوَجَّهُ إلى هؤلاءِ الإخوةِ بأسئِلَةٍ لِيَطرَحُوها على أنفُسِهِم:

السُّؤالُ الأوَّلُ: هل نُزِعَتِ الرَّحمَةُ من قُلوبِكُم ـــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ؟ فإنْ قُلتُم: نعم، فأقولُ لكم ـــ وأنا ناصِحٌ أمينٌ إن شاءَ اللهُ تعالى ـــ: اعلَموا بأنّ الجزاءَ من جِنسِ العَمَلِ، كما تَدينُ تُدانُ، ومن لا يَرحَم لا يُرحَم، فإذا حُرِمتَ الرَّحمَةَ في الدُّنيا والآخِرَةِ فلا تَلومَنَّ إلا نَفسَكَ.

السُّؤالُ الثّاني: هل صارَ الدِّينارُ والدِّرهَمُ مَعبوداً لكم من دونِ الله تعالى ـــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ؟ وهل أصبَحتُم عَبيداً للدِّينارِ والدِّرهَمِ ـــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ؟ فإنْ قُلتُم: نعم، فَأقولُ لكم: بِئسَ العَابِدُ والمَعبُودُ، وأُذَكِّرُكُم بقولِ الله تعالى في حقِّ مَن كَانَ هذا حالَهُ، عندما يقولُ هذا العبدُ في أرضِ المحشَرِ: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه﴾.

السُّؤالُ الثّالِثُ: هل أصبَحتُم خدَماً للدِّينارِ والدِّرهَمِ، الذي خَلَقَهُ اللهُ تعالى خادِماً لكُم، وسَخَّرَهُ لكُم، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾. ـــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ؟ فإنْ قُلتُم: نعم، فَأقولُ لكم: بِئسَ الخَادِمُ والمَخدُومُ، لقد تَعِبتُم في جَمْعِهِ، وتَعِبتُم في حِفْظِهِ، والحَسرَةُ العُظمى عندما تَقَعونَ في سِياقِ الموتِ، وأنتُم تَنظُرونَ إلى ما جَمَعتُم وسَتُخَوَّلونَهُ وَرَاءَ ظُهورِكُم، وسَتُقبِلونَ إلى عَالَمِ البَرزَخِ، وأنتُم صِفْرُ اليَدَينِ، وسَيَقولُ أحَدُكُم ـــ واللهُ تعالى

أعلمُ ـــ :﴿رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين﴾.

هل تَحفَظونَ هذهِ الأحاديثَ الشَّريفَةَ يا تُجّارَ الأزمَةِ؟:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إنِّي أتوَجَّهُ إلى تُجّارِ الأزمَةِ وأقولُ لهُم: أنتُم ما زِلتُم إخوَةً لنا، وكُلُّنا بحاجَةٍ إلى نُصحٍ وتَذكيرٍ، فهل تَحفَظونَ هذهِ الأحاديثَ الشَّريفَة؟ وأظُنُّ أنَّكُم تَحفَظونَها، ولكِنِّي سَأُذَكِّرُكُم بِهَا:

الحديثُ الأوَّلُ: روى الإمام مسلم عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي» قَالَ: «وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ».

باللهِ عليكُم يا تُجّارَ الأزمَةِ، هل تَستَطيعونَ أن تأكُلوا أكثرَ مِمَّا يَأكُلُ الفُقَراءُ؟ وهل تَستَطيعونَ أن تَلبَسوا أكثرَ مِمَّا يَلبَسُ الفُقَراءُ؟ الطَّعامُ واحِدٌ وإنِ اختَلَفَتِ الأَصنافُ، واللِّباسُ واحِدٌ وإنِ اختَلَفَتِ الأصنافُ، والزّائِدُ عن الطَّعامِ والشَّرابِ واللِّباسِ سَتُسألونَ عنهُ، فحلالُ المالِ حِسابٌ، وحَرامُهُ عذابٌ.

الحديثُ الثّاني: روى الشيخان عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ».

يا تُجّارَ الأزمَةِ، إذا انتهى الأجَلُ سوفَ يُوَدِّعُكُمُ الأهلُ والمالُ عندَ شَفيرِ القَبرِ ويَرجِعونَ، ويَنزِلُ معَكُم عَمَلُكُم.

الحديثُ الثّالِثُ: روى الإمام أحمد عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ».

يا تُجّارَ الأزمَةِ، سوفَ تُسألونَ يومَ القيامَةِ عن المالِ من أينَ جاءَكُم؟ وفيمَ أنفَقتُموهُ؟

اللهُ تعالى قادِرٌ على مَحقِ ما في أيديكُم:

يا تُجّارَ الأزمَةِ، لا تَغتَرُّوا بما آتاكُمُ اللهُ تعالى، واعلَموا بأنّ اللهَ تعالى قادِرٌ على مَحقِ ما في أيديكُم، فلا تَكُونوا كالذي قَصَّ اللهُ تعالى علينا نَبَأَهُ في القُرآنِ العظيمِ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً *

وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً﴾. فلا تَقُلْ إن رأيتَ المَالَ الكَثيرَ الوَفيرَ بينَ يَدَيكَ كما قالَ هذا الرَّجُلُ: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً﴾.

يا تُجَّارَ الأزمَةِ، لا تَغتَرُّوا بما آتاكُمُ اللهُ تعالى، ولا تَكُونوا كأصحابِ الجَنَّةِ التي ذَكَرَها اللهُ تعالى في كتابِهِ العظيمِ بقولِهِ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِين * وَلا يَسْتَثْنُون * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُون * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيم﴾. فلا تخافوا من المساكينِ، فإنَّهُم لن يأخُذوا من أرزاقِكُم شيئاً، لأنَّ رِزقَ الجَميعِ على اللهِ تعالى.

يا تُجَّارَ الأزمَةِ، لا تَغتَرُّوا بما آتاكُمُ اللهُ تعالى، ولا تَكُونوا كقَارونَ الذي خَسَفَ اللهُ به وبِدَارِهِ الأرضَ، عندما خَرَجَ على قَومِهِ في زِيَنتِهِ وهوَ مَغرُورٌ مُعجَبٌ بالكُنوزِ التي آتاهُ اللهُ تعالى إيَّاها، قال تعالى في حقِّهِ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾.

يا تُجَّارَ الأزمَةِ، أنتُم في اختِبارٍ وابتِلاءٍ، فلا تَغتَرُّوا بما آتاكُمُ اللهُ تعالى، وإنْ شَعَرتُم بأنَّ بعضَ خَلقِ اللهِ بحاجَةٍ إليكُم فإيَّاكُم والاستِكبارَ عليهِم، فاللهُ تعالى هوَ مُحَوِّلُ الأحوالِ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِين﴾.

اِسمَعوا يا تُجَّارَ الأزمَةِ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إنِّي أتَوَجَّهُ إلى تُجَّارِ الأزمةِ وأقولُ لهُم: اِسمَعوا يا تُجَّارَ الأزمَةِ، وأنا أتكَلَّمُ على لسانِ الأمَّةِ المَنكُوبَةِ المَكلُومَةِ، على لِسَانِ الضُّعَفاءِ

المُحتَاجينَ، على لِسَانِ المرضى والأرامِلِ واليَتَامى الجائِعينَ، على لِسَانِ أصحابِ الحاجَةِ من النّازِحينَ، يا هؤلاءِ، اِعلَموا:

أولاً: الرَّزّاقُ هوَ اللهُ تعالى: والعبدُ مَرزوقٌ وليسَ برَزّاقٍ، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُون﴾. وقال تعالى: ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُون * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين﴾. فالرَّزّاقُ هوَ اللهُ تعالى لا أنتُم، فَاعمَلُوا ما شِئتُم، وارفَعوا الأَسعارَ كما شِئتُم، وحَوِّلوا العُملَةَ السُّورِيَّةَ إلى عُملَةٍ أجنَبِيَّةٍ متى شِئتُم، فَرِزقُ العِبادِ على الله تعالى.

ثانياً: رِزقُنا على الله تعالى: فما دَامَ اللهُ تعالى هوَ الرَّزّاقَ فَرِزقُنا عليهِ تعالى، وليسَ رِزقُ العِبادِ عليكُم، ولا على الحُكّامِ، ولا على الأغنياءِ، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِين﴾. وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُون﴾.

ثالثاً: رِزقُنا مَقسومٌ ومَحتومٌ: فَرِزقُنا مُقَدَّرٌ لن يَزيدَ بِحِرصٍ، ولن يَنقُصَ بِزُهدٍ ـــ مع الأَخذِ بالأَسبابِ، لأنّا أمّةٌ مُتوَكِّلَةٌ، وليست مُتواكِلَةً ـــ قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرَّوحَ، وَيُؤْمَرُ

بِأَرْبَعِ كَلِماتٍ: بِكَتْبِ رِزقِهِ، وَأَجلِهِ، وَعمَلِهِ، وَشَقيٌّ أَوْ سعِيدٌ» مُتَّفَقٌ عليه عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا تُجّارَ الأزمَةِ، اِطمَئِنُّوا بأَنَّهُ لن يَموتَ أحَدٌ حتّى يَستَكمِلَ رِزقَهُ وأجَلَهُ، وأنّ مَا كَانَ للعَبدِ سَيَأتيهِ على ضَعفِهِ، وما كانَ لِغَيرِهِ فلن يَنالَهُ بِقُوَّتِهِ، لأنّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رُوْعِي أَنَّ نفساً لَنْ تَخرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يَحْمِلَنَّكُم اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ الله، فَإِنَّ اللهَ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إلا بِطَاعَتِهِ» رواه الطبراني في الكبير عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أقولُ لكُم على لِسَانِ الأمَّةِ التي تَشكُو أَمرَها إلى الله تعالى: نحنُ آمِنونَ مُطمَئِنُّونَ على رِزقِنا، نحنُ صابِرونَ على ما قَدَّرَ اللهُ تعالى عَلينَا، ولن نَرفَعَ أمرَنا إلَّا إلى الله تعالى، ولكن ما أَنتُم قَائِلونَ لله تعالى غَداً يَومَ القِيامَةِ؟

اللّهُمَّ قَنّعنا بما رَزَقتَنا، وبَارِك لنا فيه، واخلُف علينا كلَّ غائِبَةٍ لنا بِخَيرٍ، نَسأَلُكَ رِزقاً حَلالاً واسِعاً طَيِّباً مُبارَكاً من غَيرِ فِتنَةٍ ولا مِحنَةٍ يا ربَّ العالمينَ.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيم

329ـ خطبة الجمعة: يا تجار الأزمة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، من المُقرَّر في دِيننا الحَنيفِ الذي أكرَمَنا اللهُ عزَّ وجلّ به، أنَّهُ إذا تعارَضَتِ المصلَحَةُ العامَّةُ مع المصلَحَةِ الخاصّةِ، قُدِّمَتِ المصلَحَةُ العامَّةُ على المصلَحَةِ الخاصّةِ، لأنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ جاءَ لِيَبنيَ مُجتَمَعاً مُتماسِكاً، ولِيَكونَ كالبُنيانِ المرصوصِ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه الإمام مسلم عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وبهذا الإسناد قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ».

أَيُّها الإخوَةُ الكرام: إنّ تَحويلَ العُملَةِ السُّوريِّةِ إلى عُملَةٍ أجنَبيَّةٍ فيها مَصلَحَةٌ للفردِ، بحيثُ يُحافِظُ بذلكَ على قِيمَتِها الشِّرائيَّةِ، وهذا التَّحويلُ يُضِرُّ بِسَوادِ الأمَّةِ، لأنَّهُ

صارَ سَبَباً في ارتِفاعِ الأسعارِ، فهل تَعتَقِدونَ بأنّ شَرعَ الله تعالى يُجيزُ هذا؟

يا تُجّارَ الأزمَةِ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: قولوا لِتُجّارِ الأزمَةِ: لقد رَجّحتُمُ المصلَحَةَ الخاصّةَ على المصلَحَةِ العامّةِ، بِتَحويلِ العُملَةِ المَحَلِّيَّةِ إلى عُملَةٍ أجنَبِيَّةٍ، لقد جَعَلتُمُ المالَ مُقَدَّماً على الأُخُوَّةِ الإيمانِيَّةِ، وهذا لا يَستَقيمُ مع المؤمنِ الذي يُحِبُّ الخَيرَ للآخَرينَ كما يُحِبُّهُ لِنَفسِهِ، كيفَ يَستَقيمُ هذا، والنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»؟ رواه الشيخان عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا تُجّارَ الأزمَةِ: من خلالِ قولِهِ تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أُذَكِّرُكُم بِبَعضِ أحاديثِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أولاً: روى البزار بِسَنَدٍ حَسَنٍ عن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إنّ بينَ أيديكُم عَقَبَةً كَؤوداً، لا يَنجو منها إلا كُلُّ مُخِفٍّ».

ثانياً: روى الطبراني وابن عساكر بِسَنَدٍ حَسَنٍ عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً، لَا يَقطَعُهَا إِلَّا كُلُّ مُخِفٍّ»

قَال: يَا رَسُولَ الله، أَمِنهُم أَنَا؟

قَال: «إِن لَم يَكُن عِندَكَ قُوتُ ثَلاثَةٍ فَأَنتَ مِنهُم».

ثالثاً: روى الطبراني بإسنَادٍ صَحِيحٍ عَن أُمِّ الدَردَاءِ، عَن أَبي الدَّردَاءِ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا، قالت: قلت لأبي الدِّرداءِ: ألا تبتَغِي لِأَضيَافِكَ كَمَا يبتَغِي فُلانٌ لِأَضيَافِهِ؟

قال: إِنِّي سَمِعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم يقولُ: «إِنَّ أَمَامَكُم عَقَبَةً كَؤُوداً، لَا يَجُوزُهَا الْمُثقِلُونَ» فَأَنَا أُحِبُّ أَن أَتَخَفَّفَ لِتلكَ العَقَبَةِ.

رابعاً: روى الإمام أحمد بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ».

خامساً: روى الطبراني في الأوسطِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَن ثَوبَانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِن أُمَّتِي مَنْ لَو جَاءَ أَحدَكُم يَسأَلُهُ دِينَاراً لَم يُعطِهِ، وَلَو سَأَلَهُ دِرهَمَاً لَم يُعطِهِ، وَلَو سَأَلَهُ فَلْسَاً لَم يُعطِهِ، وَلَو سَأَلَ اللهَ الجَنَّة لَأعطَاهُ إِيَّاهَا، ذُو طِمرَينِ لا يُؤبَهُ لَهُ، لَو أَقسَمَ عَلى الله لأَبَرَّهُ».

يا تُجَّارَ الأزمَةِ: ألا تَعلَمونَ أنّ في المجتَمَعِ هذا الصِّنفَ مَوجودٌ، بحيثُ لو سألَ أحدُهُمُ اللهَ تعالى وأقسَمَ عليه أبَرَّ اللهُ تعالى قَسَمَهُ؟ هل يُرضيكُم إيذاءُ هؤلاءِ الأولياءِ الأخفِياءِ؟

وكونوا مُطمَئِنّينَ بأنّ أمثالَ هؤلاءِ لا يَدعونَ اللهَ تعالى عليكُم، لأنّ قُلوبَهُم جُبلَت

على الشَّفَقَةِ والرَّحمَةِ بِخَلقِ الله تعالى جميعاً، وأرجو اللهَ تعالى أن لا تكونَ قُلوبُكُم نُزِعَت منها الرَّحمَةُ.

يا تُجَّارَ الأزمَةِ: حِملُكُم ثَقِيلٌ إن كانَ مالُكُم حَلالاً، والعَقَبَةُ الصَّعبَةُ أمَامَكُم، ولكِنِ الأَسوأُ حَالاً أن تكونوا سَبَباً في غَلاءِ الأسعَارِ، ومَن كانَ سبَبَاً في غَلاءِ الأسعارِ فَلَيَسمَعْ حَدِيثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواهُ الإمامُ الحاكِمُ عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِن النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ» أي: بِمَكانٍ عَظِيمٍ في نَارِ جَهَنَّمَ.

يا تُجَّارَ الأزمَةِ: ألا تَعلَمونَ أنَّ بَلَدَنا مُحاصَرٌ من العالَمِ، وهذا الحِصارُ أدَّى إلى غلاءِ الأسعارِ؟ ألا تَعلَمونَ بأنَّكُم زِدتُمُ الطِّينَ بَلَّةً بِتَحويلِ عُملَتِكُمُ المحَلِّيَّةِ إلى أجنَبِيَّةٍ؟ فهل أصبَحتُم أنتُم كذلكَ ضِدَّ سوادِ المسلمينَ في هذا البَلَدِ؟

لن تَضجَرَ هذهِ الأُمَّةُ إن شاءَ اللهُ تعالى:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: أتَوَجَّهُ إلى تُجَّارِ الأزمَةِ وأقولُ لهُم بِلِسانِ سَوادِ هذهِ الأمَّةِ، بِلِسانِ الفُقَراءِ والمساكين، بِلِسانِ الجائِعينَ، بِلِسانِ المرضى، بِلِسانِ الأرامِلِ واليتامى، بِلِسانِ الضُّعَفاءِ، بِلِسانِ النَّازِحينَ، بِلِسانِ الذينَ سالَت دُموعُهُم على خُدودِهِم لأنَّهُم لا يَجِدونَ المالَ لِسَدِّ حوائِجِهِم:

كُونُوا على يَقِينٍ بأنَّ الأُمَّةَ التي تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

لَن تَضجَرَ مَهمَا ارتَفَعتِ الأسعَارُ وغَلَت، كيفَ يَضجَرُ المُؤمِنُ وهوَ يَقرأُ قولَ الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؟

سُلوانُ الأُمَّةِ فِي الأَزَمَاتِ هوَ سَيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فإذا غَلَتِ الأسعَارُ وارتَفَعت، وضَاقَتِ اليَدُ، وقَتَّرَ اللهُ تعالى فِي الرِّزقِ، فالمُؤمِنُ مُطمَئِنٌّ لأَنَّهُ يَعلَمُ:

أولاً: بأنَّ المُشرِكِينَ حَاصَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي شِعبِ أَبِي طَالِبٍ، وقَطَعُوا عَنهُ وعن أصحابِهِ المِيرةَ والمَادَّةَ والطَّعامَ حتى بَلَغَهُمُ الجُهدُ، والتَجَؤُوا إلى أَكلِ الأوراقِ والجُلُودِ، حتى كانُوا يَسمَعُونَ مِن وراءِ الشِّعبِ أصواتَ نِسائِهِم وفِتيانِهِم يَتَضَاغَونَ مِنَ الجُوعِ، وكَانَ لا يَصِلُ إليهم شيءٌ إلَّا سِرًّاً، ودَامَ الحِصارُ ثلاثَةَ أَعوامٍ.

نَعَم، إن حُوصِرَ هذا البَلَدُ مِنَ الخَارِجِ فَلَن يَضجَرَ أهلُهُ بِإذنِ اللهِ تعالى، وإن أَعانَ تُجَّارُ الأزمَةِ العَالَمَ على مَحاصَرَةِ هذا البَلَدِ فلا حَرَجَ، وحِسابُنَا وحِسابُهُم على الله تعالى.

أُمَّةٌ عَرَفَت نَبِيَّهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ حُوصِرَ ثَلاثَةَ أعوامٍ، فَلَن تَضجَرَ بإذنِ الله تعالى إن حُوصِرتْ وضُيِّقَ عليهَا.

ثانياً: وأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما شَبِعَ مِن خُبزِ حِنطَةٍ ثلاثَةَ أيامٍ تِباعاً، روى الإمام مسلم عن أَبِي حَازِمٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ مِرَاراً يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، مَا شَبِعَ نَبِيُّ الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِباعاً مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.

ثالثاً: وأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كانَ إذا جاعَ تَضَرَّعَ إلى اللهِ تعالى وذَكَرَهُ، وإذا شَبِع شَكَرَهُ وحَمِدَهُ، روى الترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، قُلْتُ لَا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ».

رابعاً: وأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كانَ أكثَرَ طَعامِهِ الأسودَينِ، التَّمرَ والماءَ، روى الإمام البخاري عَنْ عُرْوَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَارٌ.

فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟

قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ، التَّمْرُ وَالْمَاءُ.

خامساً: وأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كانَ يَربطُ الأحجارَ على بَطنِهِ منَ الجوعِ، روى الترمذي عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الْجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَنْ

حَجَرَيْنِ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

وفي الخِتَامِ أُذَكِّرُ تُجّارَ الأزمَةِ بحديثٍ عن سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لَعَلَّهُ أن يُباشِرَ شِغافَ قُلوبِهِم.

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «هُمْ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ».

فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ، فَلَمْ أَتَقَارَّ ـــ أي: لم أتَمَكَّن من الاستِقرارِ ـــ أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مَنْ هُمْ؟

قَالَ: «هُمْ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً إِلَّا مَنْ ـــ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ـــ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ».

يا تُجَّارَ الأزمَةِ: كونوا على يَقينٍ بأنّ هُناكَ من التُّجّارِ الذينَ استثناهُم سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقولِهِ: «إِلَّا مَنْ ـــ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا». نعم، هُناكَ هذا الصِّنفُ الذينَ بَلَغوا دَرَجَةَ الإحسانِ، وانطَبَقَ عليهِم قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِين * كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم﴾.

هؤلاءِ يَعرِفونَ أنّ للفُقَراءِ حَقّاً في أموالِهم سوى الزّكاةِ، فهُم يُعطونَ عطاءَ من لا

يَخشى الفَقرَ.

وكذلكَ أُذَكِّرُ الأمَّةَ المَكلومَةَ المَجروحَةَ التي رُفِعَتِ الأسعارُ عليها بِسَبَبِ قِلَّةِ البضائِعِ وبِسَبَبِ تَحويلِ العُملَةِ المَحَلِّيَّةِ إلى عُملَةٍ أجنَبِيَّةٍ، بحديثِ سيِّدِنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام أحمد عَن أَبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى».

آثِري يا أيَّتُها الأمَّةُ الآخِرَةَ الباقِيَةَ على الدُّنيا الفانِيَةِ، واحذَري الحرامَ لأنَّهُ وَقودٌ لنارِ جَهَنَّمَ والعِياذُ باللهِ تعالى.

اللَّهُمَّ أغنِنا بِحَلالِكَ عن حَرامِكَ، وبِطَاعَتِكَ عن مَعصِيَتِكَ، وبِفَضلِكَ عمَّن سِواكَ، ولا تَنزَعِ الرَّحمَةَ من قُلوبِنا، واجعَلنا ممَّن آثَرَ ما يَبقى على ما يَفنى. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

330ـ خطبة الجمعة: محنة الطائف محنة كاشف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبادَ الله، أَساسُ التَّفاؤُلِ الثِّقَةُ بالله تعالى والرِّضا بِقَضائِهِ، وغِذاءُ التَّفاؤُلِ عِلمُ المُؤمنِ بأَنَّهُ لن يُصيبَهُ إلا ما كَتَبَ اللهُ تعالى له، لِذلكَ هوَ لا يَتَعَلَّقُ بالأَحوالِ ــ معَ الأَخْذِ بالأسبابِ ــ بل يَتعَلَّقُ بِمُحَوِّلِ الأَحوالِ.

المُؤمنُ مُتفائِلٌ حتَّى ولو نَزَلَت به الشَّدائِدُ والمِحَنُ والمصائِبُ، مُتفائِلٌ معَ العَمَلِ على دَفْعِ ما يَستَطيعُ دَفْعَهُ من ابتلاءاتٍ ومَصائِبَ وشَدائِدَ، مُتفائِلٌ لأَنَّهُ على يقينٍ بأنَّ كُلَّ مِحنَةٍ وراءَها مِنحَةٌ، وأَنَّهُ لا تَخلو مُصيبَةٌ من غَنيمَةٍ.

لذلكَ نَهى سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عن سَبِّ

الحُمَّى، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام مسلم عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ ــ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ ــ فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ ــ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ ــ تُزَفْزِفِينَ؟». أي: تَتَحَرَّكِينَ حَرَكَةً شَدِيدَةً، أو تَرتَعِدين.

قَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا.

فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».أي: يُخَلِّصُ رَديئَهُ من جَيِّدِهِ.

المِحنَةُ كاشِفَةٌ لما يَنطَوي عليهِ الإنسانُ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لا تَتَشاءَموا من المِحَنِ، ولا يَضِقْ صَدرُكُم منها، لأنَّ المِحنَ كاشِفَةٌ لما يَنطَوي عليهِ الإنسانُ، فإنَّها تُظهِرُ مَعدِنَهُ، إنْ خيراً فَخَيرٌ، وإنْ شرَّاً فَشَرٌّ، وكُلُّنا يَعلَمُ بأنَّ سيِّدَنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قد انطَوى وجُبِلَ على خُلُقِ الرَّحمَةِ والأخلاقِ الحَميدَةِ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين﴾.

فكيفَ تَظهَرُ هذهِ الرَّحمَةُ وتِلكَ الأَخلاقُ لَولا المِحَنُ!؟

مِحنَةُ الطَّائِفِ كَشَفَت ما انطَوى عليهِ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: نحنُ نَعيشُ في شَهرِ رَجَب المُبارك، الذي كَانَ يَدعُو النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندَ غُرَّتِهِ بقولِهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي

رَجَبَ وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغنَا رَمَضَانَ» رواه الطبراني في الأوسط عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

هذا الشَّهرُ العَظيمُ المبارَكُ الذي يُذَكِّرُنا بِلَيلَةِ الإسراءِ والمِعرَاجِ، يُذَكِّرُنا بهذهِ المِنحَةِ العَظيمَةِ التي أكرَمَ اللهُ تعالى بها سيِّدَنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ونَحنُ نَعلَمُ بأنَّ المِنَحَ في الغَالِبِ لا تَكونُ إلا بَعدَ المِحَنِ، فما هيَ المِحنَةُ التي سَبَقَت هذهِ المِنحَةَ؟

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: هذهِ المِنحَةُ العَظيمَةُ جاءَت بَعدَ مِحَنٍ عَظيمَةٍ، وكانَت بِدايَةُ هذهِ المِحَنِ بعدَ قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾. فأنذَرَ عَشيرَتَهُ، فإذا بعمِّهِ أبي لهبٍ يقولُ له: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا. رواه الإمام البخاري.

ثمَّ بَدأَتِ المِحَنُ تَشتَدُّ وتَشتَدُّ حتَّى حُوصِرَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في شِعبِ أبي طَالبٍ ثَلاثَ سَنواتٍ.

وبعدَ أن خَرَجَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من الشِّعبِ تُوُفِّيَ عَمُّهُ أبو طالبٍ الذي كانَ حِصناً مَنيعاً يَحتَمي به رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من كُبَراءِ وسُفَهاءِ قُرَيشٍ، وبَعدَ وَفاتِهِ بِشَهرَينِ أو ثَلاثَةٍ تُوُفِّيَت أمُّنا السَّيِّدَةُ الجَليلَةُ خَديجَةُ الكُبرى رَضِيَ اللهُ عنها، التي كانَت وَزيرَةَ صِدقٍ لسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، والتي كانَت تَحِنُّ عليهِ وتُؤازِرُهُ في أَحرَجِ الأوقاتِ، وتُعينُهُ على إبلاغِ رِسالَتِهِ، وتُواسيهِ بِنَفسِها ومَالِها، والتي قالَ في حَقِّها سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا

أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْراً مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها.

في وَسَطِ هذا الحُزنِ، فَقْدِ العَمِّ والزَّوجَةِ، توالَتِ المَصائِبُ على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من قَومِهِ، فازدادَ غَمّاً على غَمٍّ حتَّى يَئِسَ منهُم،

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: عندَها فَكَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن يَخرُجَ من مكَّةَ المكَرَّمَةَ إلى الطَّائِفِ لِيَدعُوَ النَّاسَ إلى الله تعالى، وقد اختارَها سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لأَنَّهُ كانَت له مكانَةً في نُفوسِ العَرَبِ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. والمَقصودُ بالقَريَتَينِ، مَكَّة أو الطَّائف، وهيَ تَبعُدُ عن مَكَّةَ المكَرَّمَةَ مئة كِيلو متر.

خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ماشِياً على قَدَمَيهِ بدونِ رَاحِلَةٍ، وبِدُونِ صُحبَةٍ لَه من كِبارِ الصَّحابَةِ كسيِّدِنا أبي بكرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما، ومعَهُ مولاهُ زيدُ بنُ حارِثَةَ ــ الذي كانَ يَبلُغُ من العُمُرِ أربعينَ عاماً ــ.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: وَصَلَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الطَّائِفَ بعدَ أنْ قَطَعَ مَسافَةَ مئة كيلو متر على قَدَمَيهِ الشَّريفَتَينِ بينَ الجِبالِ والوِديانِ، وعَمَدَ إلى ثلاثَةِ إخوَةٍ من رُؤَساءِ ثقيفٍ، عبدِ ياليلَ، ومسعودٍ،

وحبيبٍ، أبناءِ عَمرو بنِ عُمَيرِ الثّقفيّ، فَجَلَسَ إليهِم ودَعاهُم إلى الله تعالى.

فقالَ لهُ عبد ياليل: أنّهُ سَيَمْرُطُ ــ سَيُمَزّقُ ــ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إنْ كَانَ اللهُ أرسَلَهُ.

وقالَ لهُ مسعودٌ: أَمَا وَجَدَ اللهُ أَحَداً يُرْسِلُهُ غَيْرَك.

وقالَ لهُ حبيبٌ: والله لَا أُكَلّمُك أَبَداً، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولاً مِنْ الله كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَراً مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْك الْكَلَامَ، وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى الله مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلّمَكَ.

فقالَ لَهُمُ النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي».

فقالوا لهُ: اُخرُج من بلادِنا، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ.

فلمّا أرادَ الخُروجَ تَبِعَهُ السُّفَهاءُ والعَبيدُ يَسُبُّونَهُ ويَرمونَهُ بالحِجارَةِ، حَتَّى سالَ الدَّمُ من قَدَمَيهِ الشّريفَتَينِ، وخُضِبَ نعلاهُ الشّريفانِ بالدّماءِ الطّاهِرَةِ، وزَيدٌ رَضِيَ اللهُ عنهُ يَقيهِ بنَفسِهِ، حتّى دَخَلَ إلى بُستانِ ابني رَبيعَةَ، وهُنا انكَشَفَ ما طُوِيَ بِسَيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: مِحنَةُ الطّائِفِ كَشَفَت لنا الحقيقَةَ التي طُوِيَت عليها شَخصِيَّةُ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أولاً: حِرصُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على رِضا الله تعالى:

نعم أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام، لقد كانَ سيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَرِيصاً كُلَّ الحِرصِ على رِضا الله تعالى، وكانَ لا يَعبأُ بالشّدائِدِ ما دامَ ربُّنا عزّ وجلّ راضياً عنهُ، وتَجلّى هذا في دُعائِهِ الشّريفِ الذي رواه الطبراني في الدعاء عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أن يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

لقد أوضَحَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بقولِهِ: «لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى» بأنّ المهمّ هوَ رِضا الله تعالى، فإن لَمْ تَكُنْ هذهِ الشّدائِدُ مَظهَراً من مَظاهِرِ الغَضَبِ الإلهيّ، فلا إشكالَ ولا حَرَجَ، ولكنّ العافِيَةَ هيَ الأوسَعُ له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ثانياً: رَحمَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بمن آذاهُ، حيثُ صَدَقَ فيهِ قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. والرّحمَةُ لا تُنزَعُ إلا من شَقِيٍّ.

هذهِ الرّحمَةُ ظَهَرَت، عندما جاءَهُ مَلَكُ الجِبالِ لِيُطبِقَ عليهِمُ الجَبَلَين، كما جاء في الحديثِ الشّريفِ الذي رواه الإمام البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ

مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ، فِمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ».

فأَبَى سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أشَدَّ الإِباءِ، وما هَذا إلا من رَحمَتِهِ التي جَبَلَهُ اللهُ تعالى عليها.

فلئن يَئِسَ من إيمانِ الآباءِ فلن ييأسَ من إيمانِ الأبناءِ، وتَجَلّى هذا من خِلالِ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً».

ثالثاً: تَفاؤُلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بأولادِ هؤلاءِ المشركينَ:

نعم أيُّهَا الإخوَةُ الكرام، المِحَنُ والشَّدائِدُ ما زادَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلا تَفاؤُلاً، وتَجَلّى هذا عندما قالَ لهُ زيدُ بنُ حارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَخْرَجُوك؟ ــ يَعْنِي قُرَيْشاً ــ

فَقَالَ: «يَا زَيْدُ، إِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرْجاً وَمَخْرَجاً، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ،

وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ». الطبقات الكبرى لابن سعد.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لا تَيأسوا ولا تَقنَطوا من رحمَةِ الله تعالى، وانظُروا إلى هذهِ الأزمَةِ بأنَّها لَهَبٌ تُظهِرُ معادِنَ النَّاسِ، فهل نحنُ نُفَكِّرُ ونُسرِعُ إلى رَضا الله تعالى، ونقولُ كما قال سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى»؟ أم البعضُ سَخِطَ على الله تعالى والعِياذُ بالله تعالى؟

وهل نحنُ مُتَراحِمونَ فيما بينَ بعضِنا البعضِ؟ أم نُزِعَتِ الرَّحمَةُ من قُلوبِنا على بعضِنا البعضِ؟

وهل نحنُ مُتَفائِلونَ بأنَّ اللهَ تعالى سَيَكشِفُ هذهِ الغُمَّةَ؟ أم مُتَشائِمونَ يائِسونَ قانِطونَ من رحمَةِ الله تعالى، لا قَدَّرَ اللهُ تعالى؟ وصِفَةُ اليأسِ والقُنوطِ ليسَت من صِفَةِ المؤمنِ.

أرجو اللهَ تعالى كَشْفَ هذهِ الغُمَّةِ عاجِلاً غيرَ آجِلٍ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

331ـ خطبة الجمعة: المنح بعد محنة الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، كُلّما عَظُمَ الإيمانُ في قَلبِ العَبدِ، واستَقامَت جَوارِحُهُ على طَاعَةِ الله تعالى كُلّما اشتَدّ ابتِلاؤُهُ، ومِن هذا المُنطَلَقِ كَانَ الأنبياءُ عليهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ أشَدّ النّاسِ بَلاءً، ثمّ الصّالِحونَ ثمّ الأمثَلُ فالأمثَلُ.

وكُلّما عَظُمَتِ الشّدائِدُ والمِحَنُ على العَبدِ المُؤمنِ كُلّما عَظُمَتِ الشّدّةُ إلى الله تعالى، وعَظُمَتِ المِنَحُ من الله تعالى، فالمِنَحُ على مِقدَارِ المِحَنِ، بَل هِيَ أَعظَمُ.

المِنَحُ بعدَ مِحنَةِ الطّائِفِ:

أيُّها الإخوة الكرام: لقد مَرَّ على سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من المِحَنِ مَا لا يَعلَمُها إلا اللهُ تعالى، وكانَ ابتِداءُ ذلكَ من قولِ أبي لَهَبٍ: تَبًّاً لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا. رواه الشيخان عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما. إلى قولِ أهلِ ثَقيفٍ في العامِ العاشِرِ من البِعثَةِ.

حيثُ قالَ لهُ عبد ياليل: أَنَّهُ سَيَمْرُطُ ـــ سَيُمَزِّقُ ـــ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إنْ كَانَ اللهُ أرسَلَهُ.

وقالَ لهُ مسعودٌ: أَمَا وَجَدَ اللهُ أَحَداً يُرْسِلُهُ غَيْرَك.

وقالَ لهُ حبيبٌ: واللهِ لَا أُكَلِّمُك أَبَداً، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولاً مِنْ اللهِ كَمَا تَقُولُ لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَراً مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْك الْكَلَامَ، وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلِّمَكَ.

ولكن بعدَ هذهِ المِحَنِ القاسِيَةِ التي دامَت عشرَ سَنَواتٍ، جاءَتِ المِنَحُ من اللهِ تعالى لسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فمن هذهِ المِنَحِ بعدَ مِحنَةِ الطَّائِفِ:

أولاً: الشِّدَّةُ إلى الله تعالى:

أيُّها الإخوة الكرام: الشَّدائِدُ تَشُدُّ العَبدَ إلى الله تعالى حتَّى تُوقِفَهُ على بَابِهِ، ويَتَحَقَّقَ بِذُلِّ العُبودِيَّةِ للهِ سُبحانَهُ وتعالى، وحتَّى لا يَكونَ هَمُّهُ إلا رِضا اللهِ تعالى.

وهذا ما كانَ بعدَ مِحنَةِ الطَّائِفِ، لَقَد وَقَفَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على بَابِ مولاهُ، وتَحَقَّقَ بالعُبودِيَّةِ المُطلَقَةِ، وأظهَرَ أنَّ

هَمِّهُ رِضَا الله تعالى لا غيرَ، فقالَ كَلِماتٍ نَبَعَت من قَلبٍ صَادِقٍ يَتَأَثَّرُ بها كُلُّ إنسَانٍ مُؤمنٍ عندما يَسمَعُها: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أن يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» رواه الطبراني في الدعاء عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أيُّها الإخوة الكرام: إن لم يَكُن في الشَّدائِدِ مِنَحٌ إلَّا هَذِهِ الشِّدَّةَ إلى الله تعالى، فإنَّها تَكفي العَبدَ المُؤمنَ، ولنَتَسَاءَلْ معَ أنفُسِنا هل هذهِ الشِّدَّةُ التي تَمُرُّ علينا شَدَّتنا إلى الله تعالى، وجعَلَتنا نَقُولُ كَمَا قالَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى»؟

فإنْ أوقَفَتنا هذهِ الشَّدائِدُ على بَابِ مَولَانَا سَائِلينَ رِضاهُ، فَوَالله لإنَّها من جُملةِ نِعَمِ الله تعالى الكُبرى علينا.

ثانياً: اِطمِئنانُ قَلبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بأنَّ اللهَ تعالى رَاضٍ عنهُ:

أيُّها الإخوة الكرام: من المِنَحِ بعدَ مِحنَةِ الطَّائِفِ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ازدادَ اطمِئناناً بأنَّ اللهَ تعالى رَاضٍ عنهُ، وذلكَ من خِلالِ ما قَالَهُ

جبريلُ عليه السَّلامُ لسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ»

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» رواه الشيخان عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

أَيُّها الإخوة الكرام: إِرسَالُ سيِّدِنا جبريلَ عليه السَّلامُ معَ مَلَكِ الجِبالِ جَعَلَ في قَلبِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ اطمِئناناً بِرِضا الله تعالى عنهُ، ولئن سَألتَ: إن كانَ ربُّنا عزَّ وجلَّ رَاضِياً عنهُ، فَلِمَاذا المِحَنُ؟

الجوابُ على ذلكَ: لِحِكمَةٍ يُريدُها اللهُ تعالى، ولأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هوَ القُدوَةُ للنَّاسِ جَمِيعَاً، ولأنَّ اللهَ تعالى لا يُسألُ عمَّا يَفعَلُ وهُم يُسأَلُونَ، فالعَبدُ عَبدٌ، والرَّبُّ رَبٌّ، ولا يَسَعُ العَبدَ المؤمنَ إلا الرِّضَا عَنِ الله تعالى فيما قَضى وقَدَّرَ.

ثالثاً: قُبِّلَتِ القَدَمانِ الشَّرِيفَتانِ:

أيُّها الإخوة الكرام: من المِنَحِ بعدَ مِحنَةِ الطّائِفِ، أنّ القَدَمَينِ الشّرِيفَتَينِ اللّتَينِ أُدْمِيَتَا فِي سَبيلِ اللهِ، وما عَرَفَ قَدْرَهُما أَهلُ الطّائِفِ، أَرسَلَ اللهُ تعالى من يُقَبِّلُ هَاتَينِ القَدَمَينِ الشّرِيفَتَينِ.

عندما خرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من الطّائِفِ، دَخَلَ بُستانَ ابنَي ربيعَةَ، وهنا أرسلا غُلاماً لهُما يُقالُ له: عَدّاس، بِقِطفٍ من عِنَبٍ، قَالَا لَهُ: خُذْ قِطْفاً مِنْ هَذَا الْعِنَبِ فَضَعْهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ، ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرّجُلِ فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ.

فَفَعَلَ عَدَّاسٌ، ثُمّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ثُمّ قَالَ لَهُ: كُلْ.

فَلَمّا وَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَهُ قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ» ثُمَّ أَكَلَ.

فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ، ثُمّ قَالَ: واللهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟ وَمَا دِينُك؟».

قَالَ:: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ قَرْيَةِ الرّجُلِ الصّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيك مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ».

فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ. رواه الحافظ ابن عساكر عَنْ عَبْدِ الله بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

رابعاً: استِماعُ نَفَرٍ من الجِنِّ للقُرآنِ العَظيم:

أَيُّها الإخوة الكرام: من المِنَحِ بعدَ مِحنَةِ الطَّائِفِ، أن أرسَلَ اللهُ تعالى إلى سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَفَراً من الجِنِّ يَستَمِعونَ القُرآنَ العَظيمَ، فَلَئِن كانَ أهلُ مكَّةَ وأهلُ الطَّائِفِ أبَوا أن يَسمَعوا القُرآنَ العَظيمَ، وأن يُؤمِنوا به، فإنَّ لله جُنوداً لا يَعلَمُها إلا هُو، فَأرسَلَ نَفَراً من الجِنِّ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

أَيُّها الإخوة الكرام: تَنَبَّهوا إلى قولِ الجِنِّ لِبَعضِهِمُ البعضِ عندما يَسمَعونَ القُرآنَ العَظيمَ: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾. فهل عالَمُ الإنسِ الذينَ أمَرَهُمُ اللهُ تعالى

بِقَولِهِ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. يَسمَعونَ ويُنصِتونَ عِندَ تِلاوَةِ القُرآنِ العَظيم؟

وتَنَبَّهوا كذلكَ إلى قَولِ الجِنِّ لِقَومِهِم: ﴿وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. فهل عَرَفَ المُعرِضونَ عن كِتابِ الله تعالى بأنَّهُم غيرُ مُعجِزينَ لله تعالى؟ على المُعرِضِ أن لا يَغترَّ بإمهالِ الله تعالى له، فَإذا أَرَادَ اللهُ تعالى أخذَهُ، أخذَهُ أَخْذَ عَزيزٍ مُقتَدِرٍ.

نَعَم، لَقَد اطمَأنَّ قَلبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى هذا النَّصرِ الغَيبِيِّ من الله تعالى له، كما قال تعالى في سورةِ الجِنِّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطاً * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً * وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً * وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً﴾.

فيا أَيَّتُها الأُمَّةُ المَظلومَةُ المَقهورَةُ ما دُمتِ مُلتَزِمَةً كِتابَ الله تعالى فلا تَخافِي ولا تَحزَني، فإنَّ الظَّالِمَ لن يُعجِزَ اللهَ تعالى في الأرضِ، ولن يَستَطيعَ الهَرَبَ من بينِ

يَدي اللهِ تعالى.

خامساً: الإسراءُ والمِعراجُ:

أيُّها الإخوة الكرام: من المِنَحِ بعدَ مِحنَةِ الطّائِفِ، أن أكرَمَ اللهُ تعالى رسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِمُعجِزَةِ الإسراءِ والمِعراجِ، وقبلَ هذهِ المُعجِزَةِ شُقَّ صَدْرُهُ الشَّريفُ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عَنْ مَالِكِ بن صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ــ وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلاً بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ــ فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَاناً».

بعدَ شَقِّ صَدْرِهِ الشَّريفِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أسْرِيَ به إلى المسجدِ الأقصى، وهُناكَ قُدِّمَ للصَّلاةِ بالأنبياءِ والمرسَلينَ جميعاً، فَصَلّى بِهِم رَكعَتَينِ، وفي ذلكَ إشارَةٌ بأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هوَ الوارِثُ الوَحيدُ لِجَميعِ الأنبياءِ والمرسَلينَ، وأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ خاتَمُ الأنبياءِ والمرسَلينَ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

ثمَّ عُرِجَ به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى السَّماواتِ العُلا، فَرَأى في السَّماءِ الأولى سيِّدَنا آدمَ عليه السَّلامُ، وفي الثّانيَةِ رَأى ابنَي الخَالَةِ سيِّدَنا يَحيَى بنَ زكريّا وعِيسَى عليهم السَّلامُ، وفي الثّالِثَةِ رَأى سيِّدَنا يُوسُفَ عليه السَّلامُ، وفي الرَّابعَةِ رأى سيِّدَنا إدريسَ عليهِ السَّلامُ، وفي الخامِسَةِ رأى سيِّدَنا هَارونَ عليه

السَّلامُ، وفي السَّادِسَةِ رأى سيِّدَنا مُوسَى عليهِ السَّلامُ.

وفي السَّماءِ السَّابعَةِ رَأى خَليلَ الرَّحمنِ سيِّدَنا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ، فَتَقَدَّمَ منهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وسَلَّمَ عليهِ، فَرَدَّ عليهِ السَّلامَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. رواه الإمام البخاري عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ. رواه الترمذي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أيُّها الإخوة الكرام: على سيِّدِنا إبراهيمَ السَّلامُ، وعلى نَبِيِّنا أفضَلُ الصَّلاةِ وأتَمُّ التَّسليمِ، وجَزى اللهُ تعالى سيِّدَنا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ خيرَ الجَزاءِ على هذا السَّلامِ المُبارَكِ، وهذهِ الوصِيَّةِ، التي أسألُ اللهَ تعالى أن يُوَفِّقَنا للعَمَلِ بها، ألا وهيَ كَثرَةُ التَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبيرِ للهِ تعالى. آمين.

ثمَّ بعدَ أن التقى بِسيِّدِنا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ، عُرِجَ به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حتَّى وَصَلَ إلى سِدرَةِ المنتهى، ثمَّ عُرِجَ به إلى مكانٍ سَمِعَ به صَريفَ الأقلامِ، ثمَّ عُرِجَ به حتَّى دَنَى فَتَدَلَّى فَكانَ قَابَ قَوسَينِ أو أدنَى.

نعم أيُّها الإخوة الكرام، كُلَّما عَظُمَتِ المِحنَةُ عَظُمَتِ المِنحَةُ، ولكن بِشَرطِ التَّحَقُّقِ بالعُبودِيَّةِ للهِ عزَّ وجلَّ، وهذا ما أشارَ إليهِ ربُّنا عزَّ وجلَّ بقولِهِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾. فأثبَتَ لهُ العُبودِيَّةَ في هذهِ المِنحَةِ العَظيمَةِ التي سَبَقَتْها مِحَنٌ

شديدَةٌ وصَعبَةٌ وقاسِيَةٌ، والتي ما أخرَجَتِ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عن دائِرَةِ التَّحَقُّقِ بالعُبودِيَّةِ لله تعالى.

نعم أيُّها الإخوة الكرام، لقد تَحَقَّقَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بالعُبودِيَّةِ في حالَةِ الرَّخاءِ كما في حالَةِ الشِّدَّةِ، لذلكَ أكرَمَهُ اللهُ تعالى بهذهِ المِنحَةِ العَظيمَةِ، بعدَ المِحَنِ القاسِيَةِ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عِبادَ الله، نحنُ نَعيشُ أزمَةً صَعبَةً وقاسِيَةً، ونَتَقَلَّبُ في الشَّدائِدِ، ونَتَطَلَّعُ إلى المِنحَةِ العَظيمَةِ منَ الله تعالى بعدَ هذهِ المِحنَةِ، فإذا كانت هذهِ المِحنَةُ والشِّدَّةُ شَدَّتنَا إلى الله تعالى، وحَقَّقَتنا بالعُبوديَّةِ له، وشعرنَا بأنَّ الله تعالى راضٍ عنَّا، فلا تأسَفُوا على شيءٍ فاتَ من الدُّنيا، ولنَتَمَثَّل قولَ من قالَ:

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ *** وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الْذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ *** وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ.

إذا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ *** وَكُلُّ الذِي فَوْقَ التُّرابِ تُرَابُ

هذا أولاً.

ثانياً: لا ننسى الحَقيقَةَ التي نَعيشُهَا في هذهِ الحياةِ الدُّنيا روى الإمام مسلم عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

ذَكَرَ المَنَاوِي في شَرحِ الجَامِعِ الصَّغِير أنَّ الحَافِظَ بنَ حَجَر لَمَّا كَانَ قَاضِي القُضَاةِ مَرَّ يوماً بِالسُّوقِ فِي مَوكِبٍ عَظِيمٍ وهَيَئة جَمِيلَةٍ، فَهَجَمَ عليهِ يَهُودِيٌّ يَبِيعُ الزَّيتَ الحَارَّ، وأَثوابُهُ مُتَلَطِّخَةٌ بالزَّيتِ، وهُو فِي غَايَةٍ منَ الرَّثَاثَةِ والشَّنَاعَةِ، فَقَبَضَ عَلى لِجَامِ بَغلَتِهِ، وقال: يا شَيخَ الإِسلَامِ تَزعُمُ أنَّ نَبِيَّكُم قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ». فَأَيُّ سِجنٍ أَنتَ فِيه؟ وأيُّ جَنَّةٍ أَنَا فِيهَا؟

فقَال: أَنَا بالنِّسبَةِ لِمَا أَعَدَّ اللهُ لِي فِي الآخِرَةِ مِنَ النَّعِيمِ كَأَنِّي الآن فِي السِّجنِ، وَأَنتَ بالنِّسبَةِ لِمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ في الآخرَةِ مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ كَأَنَّكَ فِي جَنَّةٍ، فَأَسلَمَ اليَهُودِيُّ.

ثالثاً: كونوا على يقينٍ ــ إذا لم تُخرِجكُم الشِّدَّةُ عن دائِرَةِ الشَّرعِ ــ بأَنَّهُ سَتَكُونُ مِنحَةٌ عَظِيمَةٌ إن شاءَ اللهُ تعالى تمسَحُ لكُم جِراحَ المَاضِي، كما مَسَحَت مُعجِزَةُ الإسراءِ والمِعراجِ الشَّدائِدَ والمَصَاعِبَ والمِحَنَ عن سَيِّدِنَا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

اللهمَّ يا وَلِيَّ نِعمَتِنَا، ويا ملاذَنَا عندَ كُربَتِنَا، فَرِّج عنَّا ما أهَمَّنَا وأغَمَّنَا عاجِلاً غيرَ آجِلٍ يا أرحمَ الرَّاحِمِينَ.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

332ـ خطبة الجمعة: المؤمن له شأن، وللناس شأن آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، أَخسرُ النّاسِ صَفْقَةً، رَجُلٌ أخلَقَ ــ أبلى ــ يَدَيهِ في أمانيهِ، و لم تُساعِدْهُ الدُّنيا في تَحقيقِ أُمنيَّتِهِ، فَخَرَجَ من الدُّنيا صِفْرَ اليَدَينِ، خَرَجَ من الدُّنيا بِغَيرِ زَادٍ، وقَدِمَ على الله تعالى بِغَيرِ حُجَّةٍ.

أمّا من آمَنَ بالله تعالى واليومِ الآخِرِ، فَهوَ في الدُّنيا كَرَجُلٍ غَريبٍ، لا يَجزَعُ مِن ذُلِّها، ولا يُنافِسُ في عِزِّها، لهُ شَأنٌ وللنّاسِ شأنٌ آخَرُ.

شأنُ المؤمنِ الاهتِمامُ بالعَمَلِ الصّالِحِ:

أيُّها الإخوة الكرام: شَأنُ المُؤمنِ الذي آمَنَ بالله تعالى وباليومِ الآخِرِ، الاهتِمامُ بالعَمَلِ الصّالِحِ الذي يُرضِي به ربَّهُ عزّ وجلّ، لأنّ المُؤمنَ على يَقِينٍ:

أولاً: بأنّهُ سَيَتبَعُ عَمَلَهُ:

أيُّها الإخوة الكرام: المُؤمنُ على يَقينٍ بأنّ عَمَلَهُ يُرفَعُ إلى الله تعالى، وأنّهُ سَيَتبَعُ عَمَلَهُ، إنْ كانَ خيراً فَسَيَراهُ، وإنْ كانَ شرّاً فَسَيَراهُ، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ واللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَاد﴾. فعندما أَيقَنَ العَبدُ المُؤمنُ أنّهُ تَابعٌ لِعَمَلِهِ وأنّهُ سَيَراهُ، جَعَلَ هَمَّهُ العَمَلَ الصّالِحِ.

ثانياً: بأنّ عَمَلَهُ سَيَراهُ اللهُ تعالى ورسولُهُ والمُؤمنونَ:

أيُّها الإخوة الكرام: المُؤمنُ على يَقِينٍ بأنّ اللهَ تعالى سَيَرى عَمَلَهُ وسَيَراهُ سيّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ والمُؤمنونَ، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾. فَعِندَما أيقَنَ بذلكَ جَعَلَ حِرصَهُ مُنصَبّاً على العَمَلِ الصّالِحِ.

ثالثاً: بأنّ عَمَلَهُ إمّا أن يُبيّضَ الوَجهَ وإمّا أن يُسوّدَهُ:

أيُّها الإخوة الكرام: المُؤمنُ على يَقينٍ بأنّ العَمَلَ في الحَياةِ الدُّنيا إمّا أن يُبيّضَ وَجهَ

العَامِلِ يومَ القِيامَةِ، وإمَّا أن يُسَوِّدَهُ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُون * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾.

فَعِندَما أيقَنَ بذلكَ جَعَلَ دَأبَهُ العَمَلَ الصَّالِحَ.

رابعاً: بأَنَّهُ من عَمِلَ صالِحاً لن يَندَمَ:

أَيُّها الإخوة الكرام: المؤمنُ على يَقينٍ بأَنَّهُ من عَمِلَ صَالِحاً لن يَندَمَ عندَ سَكَراتِ المَوتِ، ولا في قَبرِهِ، ولا في عَرَصَاتِ يومِ القِيامَةِ، وإلا فَهوَ نَادِمٌ إنْ شَاءَ وإنْ أَبَى، فمن لم يَعملْ صَالِحاً سَيَنْدَمُ عندَ سَكَراتِ المَوتِ، وسَيَسألُ الرَّجعَةَ ــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ــ قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

وسوفَ يَندَمُ في عالَمِ البَرزَخِ، روى الإمام أحمد عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ.

فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ــ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً ــ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِن الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِن الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِن السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ،

وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَام، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِن الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟

فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟

فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟

فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ.

فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِن الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِن الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ.

فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ.

فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ.

فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ.

فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِم السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِن الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِن الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِن اللهِ وَغَضَبٍ، فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى

يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟

فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ـــ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ـــ

فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟

فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟

فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي.

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ،

فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ.

فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ.

فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ.

فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

وسوفَ يَندَمُ عندَ عَرَصاتِ يومِ القِيامَةِ، قال تعالى حِكَايَةً عنهم: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُون﴾.

لا يَشغَلَنَّكَ ما يَجري عن وَظيفَةِ العُبودِيَّةِ لله تعالى:

أَيُّها الإخوة الكرام: أيَّتُها الأمَّةُ المَكلومَةُ المَجروحَةُ الحَزينَةُ، يا مَن كَثُرَ فيكِ القَتْلُ، وسَفْكُ الدِّماءِ، وتَهديمُ البُيوتِ، وسَلْبُ الأموالِ، وتَرويعُ الآمِنينَ، لا يَشغَلَنَّكِ ما يَجري عن وَظيفَةِ العُبودِيَّةِ لله تعالى، لأنَّا ما خُلِقْنا إلا للعبادَةِ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُون﴾.

يا أَيَّتُها الأمَّةُ المَكلومَةُ: يا من انكَسَرَ قَلبُكِ إلى الله تعالى، أبشِري بالخَيرِ، فإنَّ اللهَ تعالى هوَ مَولاكِ، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُم﴾. وقال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يا أَيَّتُها الأمَّةُ، اِشتَغِلي بالعَمَلِ الصَّالِحِ، ولا يَشغَلَنَّكِ الحَدَثُ عن المهمَّةِ التي

خُلقتِ من أجلِها، فَلَكِ شَأنٌ ولِغَيرِكِ شَأنٌ آخَرُ، واجعَلي سيّدَنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أسوَتَكِ وقُدوتَكِ، فما شَغَلَهُ عَطاءٌ عن العِبادَةِ، كما لم يَشغَلْهُ مَنعٌ عنها.

«فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»:

أيُّها الإخوة الكرام: اُنظُروا إلى سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ المُتَحقِّقِ بالعُبودِيَّةِ لله تعالى، كيفَ يَستَقبِلُ شهرَ شَعبانَ؟

روى الإمام أحمد عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِن الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ.

قَالَ: «ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ».

أيُّها الإخوة الكرام: بعضُ المُسلمينَ قد يَغفُلُ عن العَمَلِ الصَّالِحِ في شهرِ شعبانَ، ظَنّاً منهُ بأنّ شهرَ رجبَ هوَ شهرٌ مُحَرَّمٌ، فامتَثَلَ فيه قولَهُ تعالى: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾. فأقبَلَ على الطّاعَةِ فيه، وسَوّلَت له نفسُهُ أنَّهُ سَيَغتَنِمُ شهرَ رَمضانَ المُعَظّمَ بالعَمَلِ الصّالِحِ، فَغَفَلَ عن هذا الشّهرِ العَظيمِ الذي تُرفَعُ فيه الأعمالُ إلى الله تعالى ربِّ العالمينَ.

ما هوَ العَمَلُ الذي تَرفَعُهُ الأمّةُ في شهرِ شعبانَ؟

أيُّها الإخوة الكرام: شَهرُ شَعبانَ شهرٌ تُرفَعُ فيهِ الأعمالُ إلى الله تعالى، فما هوَ

العَمَلُ الذي تَرفَعُهُ الأمَّةُ في شَهرِ شَعبانَ هذا؟

إنّ الأمَّةَ تَرفَعُ إلى الله تعالى في هذا الشَّهرِ العَظيمِ المُبارَكِ سَفْكَ الدِّماءِ البَريئةِ، وتَهديمَ البُيوتِ، وتَرويعَ الآمِنينَ، وتَيتيمَ الأطفالِ، وتَرميلَ النِّساءِ، وسَلْبَ الأموالِ، تَرفَعُ إلى الله تعالى من المُوبِقاتِ ما لا يَعلَمُهُ إلا اللهُ تعالى.

أيُّها الإخوة الكرام: هل العَمَلُ الذي يُرفَعُ إلى الله تعالى من الأمَّةِ بِشَكلٍ عامٍّ من أَقوالٍ وأَفعالٍ يُرضِي ربَّنا تعالى، ويُرضِي نبِيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

هَل الأقوالُ والأفعالُ التي تُرفَعُ إلى الله تعالى تُبَيِّضُ وُجوهَ الأمَّةِ أم تُسَوِّدُها؟

يا عبادَ الله، تَذَكَّروا حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في أيَّامِ الهَرجِ إذ يقولُ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ» رواه الإمام مسلم عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أيُّها الإخوَةُ المسلِمونَ: تَحَقَّقوا بِحَقيقَةِ الإسلامِ، تَحَقَّقوا بِقَولِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يَصِفُ المسلِمَ الحَقَّ، حيثُ يقولُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

إيَّاكُم ثمّ إيَّاكُم وإيذاءَ المُسلِمينَ، وتَذَكَّروا قولَ الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾.

ومن صُوَرِ إيذاءِ المسلِمِ الحُكمُ عليهِ بناءً على نَبَأٍ بِدونِ تَثَبُّتٍ وتَأكُّدٍ، مع أنّ الله

تعالى يقولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾.

يا عبادَ الله، الأصلُ في الإنسانِ بَراءَتُهُ حتّى تَثبُتَ إدانَتُهُ، وليسَ الأصلُ فيهِ إدانَتُهُ حتّى تَثبُتَ بَراءَتُهُ.

أيُّها الإخوَةُ المؤمنونَ: تَحَقّقوا بِحَقيقَةِ انتِمائِكُم للإيمانِ، واسمَعوا حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «واللهِ لَا يُؤْمِنُ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ».

قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ الله؟

قَالَ: «الْجَارُ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا بَوَائِقُهُ؟

قَالَ: «شَرُّهُ».

واعلَموا يا عبادَ الله بأنّ تَحويلَ العُملَةِ السُّوريَّةِ إلى عُملَةٍ أجنَبيَّةٍ هوَ نوعٌ من أنواعِ الأَثَرَةِ، والأَثَرَةُ ظُلمٌ، واللهُ تعالى وَصَفَ سَلَفَنا الصّالِحَ بِقَولِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

الأَثَرَةُ ظُلمٌ للعامَّةِ، والظُّلمُ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ، فإذا ما تَعارَضَتِ المصلَحَةُ العامَّةُ معَ المصلَحَةِ الخاصَّةِ قُدِّمَتِ المصلَحَةُ العامَّةُ على المصلَحَةِ الخاصَّةِ، فَتراحَموا يا

عبادَ الله، واعلَموا بأنّ سوادَ الأمَّةِ اليومَ هُم من الفُقَراء، وإنّ تَحويلَ العُملَةِ السُّوريَّةِ إلى عُملَةٍ أجنَبيَّةٍ سَبَبٌ من أسبابِ ارتِفاعِ الأسعارِ الذي يَضُرُّ بِسَوادِ الأمَّةِ.

تَوِّجوا إسلامَكُم وإيمانَكُم بالصِّيام:

أيُّها الإخوة الكرام: تَحَقَّقوا بِحَقيقَةِ انتِمائِكُم للإسلامِ، وتَحَقَّقوا بِحَقيقَةِ انتِمائِكُم للإيمانِ، فَلْيَسلَمِ المسلِمونَ من ألسِنَتِكُم وأيديكُم، ولتُحِبُّوا الخَيرَ للغَيرِ كما تُحِبُّوهُ لأنفُسِكُم، معَ الإخلاصِ لله تعالى في عَمَلِكُم، وبعدَ ذلكَ تَوِّجوا هذهِ الأعمالَ بالصِّيامِ، لأنّ شهرَ شعبانَ شهرٌ تُرفَعُ فيهِ الأعمالُ إلى الله تعالى، فأحِبُّوا أن تُرفَعَ أعمالُكُم إلى الله تعالى وأنتُم صائِمونَ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

أيُّها الإخوة الكرام: أقوالُنا مَحصِيَّةٌ علينا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾.

وأفعالُنا مَحصِيَّةٌ عَلينا، قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾.

فهل أقوالُنا وأفعالُنا المَحصِيَّةُ علينا فيها مَنفَعَةٌ لخَلقِ الله تعالى؟ لأنّ الخَلقَ عِيالُ الله، وأحَبُّهُم إلى الله أنفَعُهُم لِعِيالِهِ، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الطبراني في الكبير عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ الله، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ».

يا عبادَ الله، إنْ كانَت أقوالُنا وأفعالُنا فيها نَفعٌ لِعِيالِ الله، وكانَت مُوافِقَةً للكِتابِ والسُّنَّةِ معَ الإخلاصِ فأبشِروا، وسوفَ يقولُ كُلُّ واحِدٍ فيكُم إنْ شاءَ اللهُ تعالى في أرضِ المَحشَرِ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه﴾ وسوفَ تَكونُ النَّتيجَةُ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة﴾.

وأمَّا إذا كانَتِ الأقوالُ والأفعالُ فيها ضَرَرٌ وإيذاءٌ لِعِيالِ الله تعالى، ولم تَكُن مُوافِقَةً للكِتابِ والسُّنَّةِ، فكُلُّ واحِدٍ من هذا الفريقِ سَيَقولُ في أرضِ المَحشَرِ على رُؤوسِ الأشهادِ والعِياذُ بالله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه﴾ وسوفَ تَكونُ النَّتيجَةُ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه﴾.

يا عبادَ الله، من آمَنَ بالله واليومِ الآخِرِ شأنُهُ ليسَ كَشأنِ بَقِيَّةِ النَّاسِ، شأنُهُ الاهتِمامُ بالعَمَلِ الصَّالِحِ المُوافِقِ للكِتابِ والسُّنَّةِ معَ الإخلاصِ، وهوَ الذي على يَقينٍ بأنَّ عَمَلَهُ سَيُرفَعُ إلى الله تعالى، فَتَوَّجَ عَمَلَهُ بِكَثرَةِ الصِّيامِ في شهرِ شعبانَ.

اللَّهُمَّ كما بَلَّغتَنا شهرَ شعبانَ بَلِّغنا شهرَ رمضانَ وقد كَشَفتَ عنَّا هذهِ الغُمَّةَ بِفَضلِكَ يا وَلِيَّ نِعمَتِنا ويا مَلاذَنا عندَ كُربَتِنا. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

**   **   **

333ـ خطبة الجمعة: أعظم الإصلاح إصلاح القلوب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ اللهِ، إنّ مُهِمَّةَ الأنبِياءِ عَلَيهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وخاصَّةً مُهِمَّةُ سيّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الإصلاحُ، ومن أعظَمِ الإصلاحِ إصلاحُ القُلوبِ، فَبِصَلاحِها صَلاحُ الأعضاءِ، وبِفَسادِها فَسادُ الأعضاءِ، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الشيخان عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

فإذا كانَ القَلبُ صالِحاً رَشَحَ هذا الصَّلاحُ على جَوارِحِ العبدِ، وبذلكَ يَسلَمُ المُسلِمونَ من لِسانِهِ ويَدِهِ، وأمَّا إذا كانَ فاسِداً فإنَّ فَسادَهُ يَرشَحُ على جَوارِحِ العبدِ، وبذلك لا يَسلَمُ المُسلِمونَ من لِسانِهِ ويَدِهِ، فَيَخسَرُ الدُّنيا والآخِرَةَ.

أيُّها الإخوة الكرام: المؤمنُ هوَ الذي يَهتَمُّ بِسَلامَةِ قَلبِهِ، لأنَّهُ عَلِمَ أنَّ فَلاحَهُ ونَجاحَهُ في الآخِرَةِ مُتَعَلِّقٌ بِسَلامَةِ قَلبِهِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُون * إلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم﴾. ولأنَّهُ عَلِمَ أنَّ اللهَ تعالى ناظِرٌ إلى قَلبِهِ، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

من أسبابِ فَسادِ القَلبِ الحِقدُ:

أيُّها الإخوة الكرام: إنّ من أسبابِ فَسادِ القَلبِ الحِقدَ، الذي إنْ تَمَكَّنَ من القَلبِ

صارَ صاحِبُهُ فاسِداً ومُفسِداً، وحَقيقَةُ هذا الدّاءِ أَنّهُ دَبَّ إلينا من الأمَمِ السّابِقَةِ، هذا الدّاءُ الذي كانَ سَبَباً لِسَفْكِ الدِّماءِ، وهَتْكِ الأعراضِ، وتَرميلِ النِّساءِ، وتَيتيمِ الأطفالِ.

هذا الحِقدُ الذي فَتَّ في عَضُدِ الأمّةِ حتّى فَرّقَ شَملَها، وجَرّأَ عَدُوّها عليها، حتّى تَداعى عليها كما تَتَداعى الأكَلَةُ إلى قَصعَتِها.

أيُّها الإخوة الكرام: قولوا لِصاحِبِ الحِقدِ الذي تَمَكّنَ الحِقدُ من قَلبِهِ: ما زِلتَ في دارِ العَمَلِ، فأصلِح قَلبَكَ يُغفَر ذنبُكَ إن شاءَ اللهُ تعالى، وإلا خَسِرتَ الدُّنيا والآخِرَةَ، فبادِر بالتّوبَةِ قبلَ الموتِ، لأنّ الحِقدَ ليسَ من صِفَةِ هذهِ الأمّةِ المُحَمَّدِيّةِ. هذا أولاً.

ثانياً: اِسمَع إلى ما قالَهُ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالْحِقْدَ فِي النَّارِ، لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ» رواه الطبراني في الكبير عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

يا من يَدَّعي الإسلامَ، اُنظُر إلى قَلبِكَ هل تَجِدُهُ على قَلبِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

إنّ نَبيَّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما عَرَفَ الحِقدَ على أحَدٍ من خَلقِ الله قبلَ الرِّسالَةِ، وهوَ كذلكَ بعدَ الرِّسالَةِ من بابِ أَولى.

ثالثاً: هل تَعلَمُ أيُّها الحاقِدُ أنّكَ لستَ من أفاضِلِ النّاسِ، لأنّ النّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَ من هُم أفضَلُ النّاسِ، روى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله

بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟

قَالَ:« كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ».

قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟

قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ».

ومعنى مَخْمُومِ الْقَلْبِ: مِن خَمَمْتُ البيتَ إذا كَنَستُهُ، فهل نَغسِلُ قُلوبَنا من هذا الحِقدِ الدَّفينِ حتَّى نَكونَ من أهلِ الجَنَّةِ؟

رابعاً: هل تَعلَمُ أيُّها الحاقِدُ أنَّكَ تُؤَخَّرُ عن المَغفِرَةِ حتَّى تَدَعَ حِقدَكَ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بالله شَيْئاً، إِلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

لا يَنظُرُ اللهُ فيها إلى مُشاحِنٍ:

أيُّها الإخوة الكرام: نحنُ نَعيشُ في شَهرٍ تُرفَعُ فيهِ الأعمالُ إلى الله تعالى، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عن شَهرِ شعبانَ: «ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» رواه

الإمام أحمد عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ومن مَظاهِرِ رَحمَةِ الله تعالى أَنَّهُ يَغفِرَ لِعِبادِهِ المؤمنينَ، الذينَ اقتَرَفوا الآثامَ سِرّاً و لم يُجاهِروا بها، و لم تَتَعَلَّقْ بحُقوقِ العِبادِ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ» رواه الإمام البخاري عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أمَّا من كانَ إثمُهُ جِهاراً نهاراً، ويَتَعَلَّقُ بحُقوقِ العِبادِ، فهذا العبدُ فَتَحَ اللهُ تعالى له بابَ التَّوبَةِ، ودَعاهُ إليها، وبَسَطَ يَدَهُ في النَّهارِ لِيَتوبَ مُسيءُ اللّيلِ، وبَسَطَ يَدَهُ في اللّيلِ لِيَتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، وجَعَلَ له أزمِنَةً خاصَّةً لِيَتَقَرَّبَ فيها إليه جلّ وعلا.

ومن هذهِ الأزمِنَةِ ليلَةُ النِّصفِ من شَهرِ شَعبانَ، حيثُ يَطَّلِعُ اللهُ تعالى فيها على خَلقِهِ بالرَّحمَةِ والمَغفِرَةِ، وله فيها عُتَقَاءُ من النَّارِ ما لا يَعلَمُ عَدَدَهُم إلا اللهُ تعالى، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه البيهقي عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَتَانِي جبريلُ، فقال: هذه اللَّيلَةُ لَيلَةُ النِّصفِ من شَعبانَ، ولله فيها عُتَقاءُ من النَّارِ بِعَدَدِ شُعورِ غَنَمِ كَلب، لا يَنظُرُ اللهُ فيها إلى مُشرِكٍ، ولا إلى مُشاحِنٍ، ولا إلى قَاطِعِ رَحِمٍ، ولا إلى مُسبِلٍ، ولا إلى عَاقٍّ لِوَالِدَيهِ، ولا إلى مُدمِنِ خَمْرٍ».

أيُّها الإخوة الكرام: الحَمدُ لله تعالى أَنَّهُ لا يوجَدُ فينا مُشرِكٌ، فَكُلُّنا من أهلِ

الإيمانِ والتّوحيدِ، ربُّنا واحِدٌ، ونَبيُّنا واحِدٌ، وقُرآنُنا واحِدٌ، وقِبلَتُنا واحِدَةٌ، ولكنْ في الأمَّةِ المُشاحِنُ والقاطِعُ والمُتَكَبِّرُ والعاقُّ والمُدمِنُ، وكُلُّ هذهِ الكبائِرِ والمُوبقاتِ مُتَعَلِّقَةٌ بِحُقوقِ الآخَرينَ، فَهُناكَ المُشاحِنُ لإخوانِهِ، وهُناكَ القاطِعُ لِرَحِمِهِ، وهُناكَ المُتَكَبِّرُ على خَلقِ الله تعالى، وهُناكَ العاقُّ لِوالِدَيهِ، وهُناكَ المُدمِنُ على الخَمرِ التي هيَ أمُّ الخَبائِثِ.

أيُّها الإخوة الكرام: لو نَظَرنا إلى سَبَبِ المُشاحَنَةِ، وقَطْعِ الرَّحِمِ، والتَّكَبُّرِ، والعُقوقِ، لَوَجدناهُ سَبباً واحِداً، ألا وهوَ فَسادُ القَلبِ بِسَبَبِ الحِقدِ الذي يُظهِرُ عُيوبَ الإنسانِ، ويَكشِفُ عن الدّاءِ الدَّفينِ فيه.

يَدَعُ أهلَ الحِقدِ بِحِقدِهِم حتّى يَدعوهُ:

أيُّها الإخوة الكرام: بعدَ يَومَينِ تأتينا لَيلَةُ النّصفِ من شَعبانَ ــ إن شاءَ اللهُ تعالى ــ في هذهِ اللّيلَةِ يَغفِرُ اللهُ تعالى للمؤمنينَ، ويُمهِلُ الكافِرينَ، ويُؤَخِّرُ أهلَ الحِقدِ حتّى يَدَعوهُ، كما روى البيهقي والطّبراني في الكبير ــ واللّفظُ له ــ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَطْلُعُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْلِي الْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ».

وفي روايةٍ للبيهقي عن السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «هذهِ لَيلَةُ النّصفِ من شَعبانَ، إنّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَطّلِعُ على عِبادِهِ في لَيلَةِ النّصفِ من شَعبانَ فَيَغفِرُ للمُستَغفِرينَ، ويَرحَمُ

المُستَرحِمينَ، ويُؤَخِّرُ أهلَ الحِقدِ كَما هُم».

هل تُريدُ أن تَكونَ من أهلِ الجَنَّةِ؟

أيُّها الإخوة الكرام: كُلُّنا يَتَمَنَّى أن يَكونَ من أهلِ الجَنَّةِ، كُلُّنا يَتَمَنَّى أن يَكونَ معَ الذينَ أنعَمَ اللهُ عَلَيهِم من النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحينَ، وإذا كُنَّا صادِقينَ في هذهِ الأمنِيَةِ فَلنَعمَلْ، لأنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾. ومن جُملَةِ العَمَلِ، أنْ تَبيتَ وليسَ في قَلبِكَ غِشٌّ لأحَدٍ من المُسلِمينَ.

أيُّها الإخوة الكرام: أما سَمِعتُم حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضاً، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى.

فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ

الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثاً، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْراً، فَلَمَّا مَضَت الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ.

قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي.

فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّاً وَلَا أَحْسُدُ أَحَداً عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

أيُّها الإخوة الكرام: عالِجوا شؤونَ حَياتِكُم فيما بينَ بَعضِكُمُ البَعضِ بِسَلامَةِ الصَّدرِ، وأحْيوا سُنَّةَ نَبِيِّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَينَكُم، كما روى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قال لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ».

ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ».

يا من أنتَ حريصٌ على أن تكونَ معَ الذينَ أنعَمَ اللهُ عليهِم من النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحينَ، ومعَ سيِّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لا تَجعَل في قَلبِكَ غِشّاً ولا حِقداً لأحَدٍ من خَلقِ الله تعالى على الإطلاقِ، واغتَنِم لَيلَةَ النِّصفِ من شَعبانَ، فَرُبَّما أن لا تُصادِفَكَ مرَّةً أُخرى.

نَسأَلُكَ يا ربَّنا أن تُطَهِّرَ قُلوبَنا من الغِلِّ والحِقدِ والحَسَدِ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم

** ** **

334ـ خطبة الجمعة: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرِّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، إنّ اليأسَ والقُنوطَ والتّشاؤُمَ من رحمَةِ الله تعالى ورَوْحِهِ داءٌ، وإنّ التّفاؤُلَ والأمَلَ وحُسنَ الظّنِّ بالله تعالى هوَ الدّواءُ لذاكَ الدّاءِ، وكيفَ لا يكونُ التّفاؤُلُ دواءً لذاكَ الدّاءِ وربُّنا عزّ وجلّ يقولُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. ويقولُ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. ويقولُ تعالى في الحديثِ القدسيّ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»؟ وما التّفاؤُلُ والأمَلُ إلا قَطرَةً صافِيَةً من مَعينِ الرّحمَةِ.

كيفَ لا يكونُ المؤمنُ مُتَفائلاً وصاحِبَ أمَلٍ وهوَ ينتَمي إلى سيّدِ الخَلقِ وحبيبِ الحَقّ سيّدِنا محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائِلِ لِصاحِبِهِ في مَوقِفٍ استَحكَمَت فيهِ حَلَقاتُ الضّيقِ أيّما استِحكامٍ: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾؟

كيفَ يكونُ المؤمنُ مُتشائماً أو يائساً أو قانِطاً وربُّنا عزّ وجلّ يقولُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾؟

في الأزَماتِ تَعظُمُ الحاجَةُ للتّفاؤُلِ:

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إنّ أحداثَ الحياةِ، وشدائِدَ الأحداثِ، وأحوالَ الأمّةِ قد تُورّثُ عندَ العبدِ لوناً من اليأسِ والقُنوطِ والتّشاؤُمِ، الذي هوَ قاتِلٌ للرّجالِ،

ومُثَبِّطٌ للعزائِمِ، ومُحَطِّمٌ للآمالِ، ومُزَلزِلٌ للشُّعورِ.

وفي أوقاتِ الأزَماتِ تَعظُمُ الحاجَةُ لاستِحضارِ التَّفاؤُلِ والأمَلِ، ولذلكَ كانَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حريصاً كُلَّ الحِرصِ على التَّبشيرِ في وقتِ الخَوفِ، وعلى بَسْطِ الأمَلِ في وقتِ اليأسِ والقُنوطِ، وما ذاكَ إلا من أجلِ سلامَةِ الأمَّةِ، وحتَّى لا تَقَعَ في الإحباطِ.

لقد كانَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حريصاً كُلَّ الحِرصِ على زَرْعِ التَّفاؤُلِ والأمَلِ في نُفوسِ الأمَّةِ، وفي نُفوسِ الصَّحبِ الكِرامِ عندَ الشَّدائِدِ والمِحَنِ والمَصائِبِ.

حَضُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على التَّفاؤُلِ:

يا أمَّةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يا من اشتَدَّ عليكِ البلاءُ، حيثُ كَثُرَ سَفْكُ الدِّماءِ، وهَتْكُ الأعراضِ، وسَلْبُ الأموالِ، وأنتِ تَتَطَلَّعينَ إلى الأسبابِ فَتَجِدينَها قد تَقَطَّعَت، اِعلَمي بأنَّ وراءَ الأسبابِ مُسَبِّبٌ، ووراءَ الأحوالِ مُحَوِّلٌ، والأسبابُ ليسَت شريكَةً مع الله تعالى، والقَدَرُ ليسَ مَنوطاً بالأسبابِ، بل الأسبابُ مُسَيَّرَةٌ بِقَدَرِ الله تعالى.

يا أيَّتُها الأمَّةُ المجروحَةُ المَكلومَةُ الكئيبَةُ الحَزينَةُ: تعالَي وانظُري إلى سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يَزرَعُ الأمَلَ والتَّفاؤُلَ في نُفوسِ الصَّحبِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عنهُم عندَ الشَّدائِدِ والمِحَنِ والمصائِبِ.

أولاً: روى الإمام البخاري عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: سيِّدُنا خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ كانَ عبداً مَملوكاً للعاصِ بنِ وائل الذي هو صِنديدٌ من صناديدِ قُرَيشٍ، جبَّارٌ مُتَسَلِّطٌ، كانَ يُشعِلُ الجَمرَ فَيَرميهِ على ظَهرِ خبَّاب، ولا يُطفأُ إلا وقد احترقَ جِلدُ خبَّابٍ.

وبَقِيَت آثارُ هذهِ الحُروقِ إلى زَمَنِ أميرِ المؤمنينَ سيِّدِنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، حيثُ دَخَلَ على عُمَرَ فِي خِلافَتِهِ فَأَكْرَمَ مَجلِسَهُ وقال لهُ عُمَرُ: مَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْكَ إِلَّا بِلَالٌ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنَّ بِلَالاً كَانَ يُؤْذَى وَكَانَ لَهُ مَنْ يَمْنَعُهُ، وَإِنِّي كُنْتُ لَا نَاصِرَ لِي، واللهِ لَقَدْ سَلَقُونِي يَوْماً فِي نَارٍ أَجَّجُوهَا وَوَضَعَ رَجُلٌ مِنْهُمْ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي، فَمَا اتَّقَيْتُ الْأَرْضَ إِلَّا بِظَهْرِي.

ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرِصَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. رواه الشعبي.

فسيِّدُنا خبَّابُ رَضِيَ اللهُ عنهُ يسألُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟

فَيُجيبُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، ولَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى

حضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

﴿وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولا﴾:

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: صَدَقَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عندما قال: «وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» لأنَّ هذهِ طَبيعَةُ الإنسانِ، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولا﴾. وقال تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾. هذا وَصْفُ الإنسانِ بشكلٍ عامٍّ، يَضيقُ ذَرعاً بالابتِلاءاتِ، ويكونُ مَنوعاً عندَ العَطاءِ، إلا إذا كانَ مُرتَبطاً باللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلا الْمُصَلِّين﴾.

ثانياً: يا أُمَّةَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، اِجعَلوا من مَجالِسِكُمُ البشائِرَ والتَّفاؤُلَ والأمَلَ، تَعَلَّموا ذلكَ من سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حيثُ كانَ يُبَشِّرُ أثناءَ المصائِبِ والشَّدائِدِ بالفَرَجِ.

أَيُّهَا الإخوَةُ الكرام: لِنَنظُرْ إلى أصحابِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يومَ الخَندَقِ، فقد بَلَغَ الخَوفُ منهُم مَبلغاً يكادُ أن لا يُصدَّقَ، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بالله الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾.

لقد بَلَغَتِ القُلوبُ الحناجرَ من شِدَّةِ الخَوفِ، وَوَقَفَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وقال: «ألا رجُلٌ يأتيني بِخبَرِ القَومِ اللَّيلَةَ يكونُ معِيَ يومَ

القِيامَةِ» فلم يُجِبْهُ أحَدٌ. رواه البيهقي. وما ذاكَ إلا لِشِدَّةِ الخَوفِ.

حتَّى قالَ بعضُ المنافقينَ: كَانَ مُحَمّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ. سيرة ابن هشام، ورواه البيهقي على نحوه.

فلمَّا رأى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هذا من الصَّحبِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عنهُم، وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُ، ويَجعَلُ الأمَلَ والتَّفاؤُلَ في النُّفوسِ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِناً، وَأَنْ يَدْفَعَ اللهُ إِلَيَّ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ، وَلَيُهْلِكَنَّ اللهُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَلَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ» رواه البيهقي عن موسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق رَضِيَ اللهُ عنهُما.

وإنِّي أتساءَلُ معَكُم: هل طافَ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بالبيتِ أم لا؟ نعم، طافَ وربِّ الكعبَةِ، ولله الحَمدُ والمِنَّةُ.

هل دُفِعَت إليه مفاتيحُ الكعبَةِ أم لا؟ نعم، دُفِعَت إليه وربِّ الكعبَةِ، ولله الحَمدُ والمِنَّةُ.

هل أهلَكَ اللهُ كِسرى وقَيصَرَ أم لا؟ نعم، أهلَكَ اللهُ تعالى كِسرى وقَيصَرَ وربِّ الكعبَةِ، ولله الحَمدُ والمِنَّةُ.

هل أُنفِقَت كُنوزُهُما في سبيلِ اللهِ أم لا؟ نعم، لقد أُنفِقَت كُنوزُهُما في سبيلِ اللهِ

وربِّ الكعبَةِ، ولله الحَمدُ والمِنَّةُ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عِبادَ الله، بَشِّروا وأبشِروا وتَفاءَلوا، وليسَ هذا وَهْمٌ وربِّ الكعبَةِ، إنَّما هيَ حَقيقَةٌ، لأنَّ اللهَ تعالى هوَ القائِلُ: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

وإنَّا لَنَرجو اللهَ تعالى أن نكونَ مَشمولينَ معَ الصَّحبِ الكِرامِ بهذهِ البِشارَةِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ».

يا ربِّ نسألُكَ بأسمائِكَ الحُسنى وبِصِفاتِكَ العُلى، وبِحَبيبِكَ الأعظَمِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وبالصَّحبِ الكِرامِ، وبأمَّهاتِنا أمَّهاتِ المؤمنينَ، وبأهلِ بدرٍ الكرامِ، أن تَجعَلَ لنا حظّاً من هذهِ البِشارَةِ النَّبويَّةِ للصَّحبِ الكِرامِ، وعَجِّل لنا بالفَرَجِ، وأدخِل عَظيمَ جُرمِنا في عَظيمِ عَفوِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ.

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: كونوا على يقينٍ بأنَّ الفَرَجَ آتٍ إن شاءَ اللهُ تعالى، وأنَّ من وراءِ هذهِ المِحنَةِ مِنحَةً عظيمَةً، فكونوا رِجالاً حَوِّلوا بالإيمانِ الأَلَمَ إلى أمَلٍ، والتَّشاؤُمَ إلى تفاؤُلٍ، والضِّيقَ إلى سَعَةٍ، والمِحنَةَ إلى مِنحَةٍ.

اِحذِروا حديثَ التَّشاؤُمِ الذي يَفُتُّ عَضُدَ الأمَّةِ، ويُصيبُها بالحُزنِ والقُنوطِ، حتَّى لا يَقَعَ أحَدُنا تحتَ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ

عنهُ.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

335ـ خطبة الجمعة: تذكر يا مريد الصلاح والإصلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، إنّي أتَوَجَّهُ إلى أهلِ بَلَدي في هذا القُطرِ الحَبيبِ، أتَوَجَّهُ إلى إخوَتي في هذا البَلَدِ ونحنُ نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ، حيثُ ذَهَبَ ضَحِيَّتَها شَبابُنا، وأموالُنا، وهُدِّمَتِ البُيوتُ الكَثيرَةُ.

أتَوَجَّهُ إلى أهلِ هذا البَلَدِ قبلَ حُلولِ شَهرِ رَمضانَ المبارَكَ بأيّامٍ مَعدوداتٍ، وأقول: يا عبادَ الله، كُلُّنا يُريدُ الصَّلاحَ والإصلاحَ، وكُلُّنا يُريدُ تَغييرَ الحالِ الذي نحنُ عليهِ إلى حالٍ أحسَنَ.

ولكن لِنَتَساءَلْ معَ أنفُسِنا كيفَ يَكونُ هذا التَّغييرُ؟

هل هذا التَّغييرُ يكونُ بِسَفكِ الدِّماءِ، وتَهديمِ البُيوتِ؟!

هل يكونُ هذا التَّغييرُ بِتَدَخُّلِ زَيدٍ وعَمروٍ في مَشاكِلِنا؟!

هل يكونُ هذا التَّغييرُ بِمُعجِزَةٍ تَنزِلُ من السَّماءِ؟!

هل يكونُ هذا التَّغييرُ باستِيرادِ الخُطَطِ والآراءِ من شَرقٍ أو غَربٍ؟!

يا عبادَ الله، إذا كُنّا صادِقِينَ في طَلَبِ التَّغييرِ، وحَريصينَ عليهِ كُلَّ الحِرصِ، فالمِفتاحُ لهذا التَّغييرِ في أيدينا، هذا المِفتاحُ هوَ من مَفاتيحِ العَلاقَةِ بينَ العبدِ وربِّهِ، فَمَن كانَ صادِقاً في طَلَبِ التَّغييرِ ـــ وأنا أرى الأمَّةَ كُلَّها تَبحَثُ عن ذلكَ، ولكن

تَبحَثُ عن ذلكَ في طُرُقٍ مُظلِمَةٍ ـــ فالتّغييرُ هوَ أن تَلتَزِمَ الأمّةُ آيَةً واحِدَةً من كِتابِ الله عزّ وجلّ، يقولُ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

لا تَبتَعِدوا عن الحَقيقَةِ:

أيُّها الإخوة الكرام: سُنّةٌ كَونيّةٌ يُسَطِّرُها ربُّنا عزّ وجلّ في كِتابِهِ العَظيمِ ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾. فلا تَبتَعِدوا عن هذهِ الحَقيقَةِ، ولا تُغالِطوا أنفُسَكُم ما دُمتُم مُؤمنينَ باللهِ عزّ وجلّ، ومُؤمنينَ بالقُرآنِ العَظيمِ، فَلَن يُغَيِّرَ اللهُ تعالى حَالَ قَومٍ من وَضْعٍ مُرْضٍ مُريحٍ إلى وَضْعٍ ضَنْكٍ مَذمومٍ إلا بتَغييرِ ما في القَلبِ، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اله فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ولن يُغَيِّرَ اللهُ تعالى حالَ قَومٍ من وَضْعٍ ضَنْكٍ مَذمومٍ، إلى وَضْعٍ مُرْضٍ مُريحٍ، إلا أن يَتَغَيَّرَ ما في القُلوبِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾. وإذا صَدَقْنا اللهَ في أقوالِنا، صَدَقَنا اللهُ في تَحويلِ هذه الحالِ إلى حالٍ أحسَنَ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

هل نَقولُ قولاً سَديداً في أنفُسِنا؟

أيُّها الإخوة الكرام: هل نَقولُ قولاً سَديداً في حَقِّ أنفُسِنا حتَّى يُصلِحَ اللهُ تعالى أعمالَنا وأحوالَنا؟

أينَ من يَقولُ القَولَ السَّديدَ في حَقِّ نَفسِهِ، و لم يُصلِحْ ربُّنا عزَّ وجلَّ عَمَلَهُ وحالَهُ؟ إنَّ سيِّدَنا آدمَ عليه السَّلامُ قالَ قَولاً سَديداً في حَقِّ نَفسِهِ، فأصلَحَ اللهُ حالَهُ وعَمَلَهُ، بل واصطَفاهُ اللهُ سُبحانَهُ وتعالى، قالَ سيِّدُنا آدمُ عليهِ السَّلامُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. قالَ قَولاً سَديداً فأصلَحَ اللهُ تعالى حالَهُ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.

وهذا سيِّدُنا يونس عليه السَّلامُ، وعلى نبيِّنا أفضَلُ الصَّلاةِ وأتَمُّ التَّسليمِ، قالَ قَولاً سَديداً في حَقِّ نَفسِهِ، فأصلَحَ اللهُ حالَهُ وعَمَلَهُ، قالَ سيِّدُنا يونس عليهِ السَّلامُ: ﴿لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. فكانَتِ النَّتيجَةُ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أيُّها الإخوة الكرام: إنَّ مِفتاحَ الصَّلاحِ والإصلاحِ في أيدينا، إنْ صَدَقْنا معَ أنفُسِنا، ورَجَعنا إلى الله عزَّ وجلَّ، يقولُ ربُّنا عزَّ وجلَّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

هل نُقِرُّ بِفَسادِنا؟ هل نُقِرُّ بِفَسادِ جَوارِحِنا؟ هل نُقِرُّ بِجُرأتِنا على المَعاصي والمنكَراتِ؟ هل نُقِرُّ بجُرأتِنا على تَرْكِ كثيرٍ من المأموراتِ؟ هل نُقِرُّ بأنَّ الدُّنيا تَحكَّمَت من القُلوبِ ــ إلا من رَحِمَ اللهُ ــ؟ هل نُقِرُّ بأنَّ الرَّحمَةَ نُزِعَت من قُلوبِنا ــ إلا من رَحِمَ اللهُ ــ؟ هل نُقِرُّ بأنَّ الرِّبا والمُعامَلاتِ التِّجاريَّةِ الرِّبَويَّةِ قد

ارتَكَبناها؟ هل نُقِرُّ بأنّ الفاحِشَةَ قد عَمَّت وطَمَّت؟ هل نُقِرُّ بأنّ الكثيرَ أعرَضَ عن الاحتِكامِ لِكِتابِ الله تعالى، ولِسُنَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

من عَجائِبِ الزَّمانِ:

يا عبادَ الله، من عَجائِبِ الزَّمانِ أن تَرى الفاسِدَ المُفسِدَ يَلبَسُ ثِيابَ الصَّالِحِ المُصلِحِ، ويَزعُمُ أنَّهُ يُريدُ الصَّلاحَ والإصلاحَ، قال تعالى عن فِرعَونَ وهوَ يُحَدِّثُ قَومَهُ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

هذا الفاسِدُ المُفسِدُ إذا لَبِسَ ثِيابَ الصَّلاحِ والإصلاحِ لن يَكونَ صالِحاً ولا مُصلِحاً، ولو أَعجَبَكَ قَولُهُ، وأَشهَدَ اللهَ على ما في قَلبِهِ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَام * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ واللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لا يَشْعُرُون﴾.

تَذَكَّر يا مُريدَ الصَّلاحِ والإصلاحِ:

يا عبادَ الله، إِنّي أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ مُريدٍ للصَّلاحِ والإصلاحِ، لأقولَ له من قَلبٍ صَادِقٍ مُخلِصٍ مُحِبٍّ ــ واللهُ شَهيدٌ على ما أقولُ ــ:

يا مُريدَ الصَّلاحِ والإصلاحِ، إنْ كُنتَ صَادِقاً في دَعواكَ فالتَزِم قَولَ الله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيم﴾.

والتزم قَولَهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون﴾.

والتزِم قَولَهُ تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُون﴾

وتَذَكّر حديثَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الشيخان عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ.

فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ، أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ؟

قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عبادَ اللهِ، إنّ تَغييرَ حالِنا مُرتَبِطٌ بنا، ومِفتاحُ تَحسينِ الأحوالِ بأيدينا «ابْدَأْ بِنفْسِكَ» وغَيِّر داخِلَكَ، واعلَم بأنّ اللهَ تعالى مُطّلِعٌ على نَواياكَ، فإنْ خَدَعتَ النّاسَ جميعاً فلن تَستَطيعَ أن تَخدَعَ نَفسَكَ.

فَسَلْ نَفسَكَ يا مُريدَ الصَّلاحِ والإصلاحِ، هل أنتَ بِحَقٍّ صالِحٌ ومُصلِحٌ؟

يَـــا أَيُّـــــهَـــا الــرَّجُـــلُ الْمُـــعَـــلِّـــمُ غَـــيْـــرَهُ *** هَـــلَّا لِــنَفْــسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السَّقَامِ لِذِي الضَّنَى *** كَيْمَا يَــصِـــحَّ بِهِ وَأَنْــتَ سَــقِــيمُ

وَأَرَاكَ تُــلْــقِــحُ بِــالــرَّشَــادِ عُــقُــولَــنَا *** نُصْحاً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ

اِبـــــدَأ بِنَـــفــسِــكَ فانهَها عَن غَــيِّـــهـــا *** فـــإذا انـــتَهَتْ عنهُ فأنتَ حَكيمُ

فَـــهُـــنــاكَ يُـــقْبَـــلُ إن وَعَظتَ، ويُقتَدَى *** بالــقَـــولِ مِـــنكَ، ويَنفَعُ التَّعليمُ

لا تَــنْــــهَ عـــن خُـــلُــقٍ وتَــــأتــِيَ مِـثلَــهُ *** عَـــارٌ عَــلَيكَ إذا فَعَلـــتَ عَـــظيمُ

اللّهُمَّ أصلِحنا ظاهِراً وباطِناً، ورُدَّنا إليكَ رَدّاً جميلاً. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

336ـ خطبة الجمعة: اطلبوا الفضل عند الرحماء من أمتي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، ها نحنُ نعيشُ في العَشرِ الأوَّلِ من شَهرِ رَمضانَ المُبارَكِ، الذي أوَّلُهُ رَحمَةٌ، وأوسَطُهُ مَغفِرَةٌ، وآخِرُهُ عِتقٌ من النّارِ، ومن الرَّحمَةَ اشتُقَّ اسمَينِ إلهِيَّينِ عَظيمَينِ، أوَّلُهُما أعَمُّ وأشمَلُ من الآخَرِ ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ﴾.

أيُّها الإخوة الكرام: الرَّحمَةُ هيَ عَمودُ الخَيرِ، والنّاظِمُ الأخلاقِيُّ لِجُملَةِ الأخلاقِ البَشَرِيَّةِ الحَميدَةِ، والقِيمَةُ التي لم يَزَل يُوصي ويَتَواصى بها المُصلِحونَ والمُخلِصونَ من رَادَةِ الحَضاراتِ على مَرِّ التّاريخِ، وهيَ عَينُ ما حَثَّ الرَّحمنُ سُبحانَهُ وتعالى على التَّواصي بها في كلامِهِ القَديمِ مُنذُ الأزَلِ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ

أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

ولو نَظَرنا في كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ من أجلِ أن نَعرِفَ القَصدَ من إرسالِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَوَجَدنا أنَّ القَصدَ الأسمى من إرسالِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الرَّحمَةُ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. وحقّاً كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَينَ الرَّحمَةِ للعالمينَ، وهذا كانَ واضِحاً جَلِيّاً من دَعوَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَولِيَّةِ، وأحوالِهِ السُّلوكِيَّةِ.

من أحاديثِهِ الشَّريفَةِ القَولِيَّةِ:

يا عبادَ الله، من أحاديثِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَولِيَّةِ التي تُجَسِّدُ الرَّحمَةَ التي جاءَ بها، ما رواه الحاكم والإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما، عن النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ».

أيُّها الإخوة الكرام: تَنَبَّهوا إلى قَولِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ» فإنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَطلُبُ منَّا الرَّحمَةَ لأهلِ الأرضِ جميعاً، مُؤمِنِهِم وكافِرِهِم، بل حتَّى البهائِمَ والحَيوانات.

هل سَمِعتَ هذا يا أخي الكريم، يا من تَدَّعي الإسلامَ، يا من تُريدُ الاقتِداءَ

بالسَّلَفِ الصَّالِحِ، إذا أردتَ الرَّحمَةَ من السَّماءِ فارحَم أهلَ الأرضِ.

تَحذيرُ الأمَّةِ من القَسوَةِ:

أيُّها الإخوة الكرام: لقد حَذَّرَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الأمَّةَ ــ أمَّةَ الاستِجابَةِ، التي رَضِيَت بالله تعالى ربّاً، وبِسَيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نبيّاً ورسولاً، باختِيارِها ــ من القَسوَةِ، وعَدَمِ الرَّحمَةِ، بعدَ أن عَرَفَتِ الأمَّةُ قَولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. اِسمَع يا أيُّها المؤمنُ بعدَ سَماعِ هذهِ الآيَةِ الكريمَةِ قَولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يُحَذِّرُ الأمَّةَ من الظُّلمِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ».

يا من أنتَ حَريصٌ على دُخولِ الجَنَّةِ، يا من أنتَ حَريصٌ أن تَكونَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ، اِمتَثِل أمرَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وأطِعْهُ حتَّى تَدخُلَ الجَنَّةَ، روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟

قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

لمن تَكونُ الرَّحمَةُ؟

أَيُّها الإخوة الكرام: لمن تَكونُ الرَّحمَةُ؟ هل الرَّحمَةُ تَكونُ مَقصورَةً على من أحبَبْتَهُ؟ هل تَكونُ مَقصورَةً على من وافَقَكَ؟ هل تَكونُ مَقصورَةً على من وَقَفَ بِجانِبِكَ؟ هل تَكونُ مَقصورَةً على إخوانِكَ من أهلِ الإيمانِ؟ هل تَكونُ مَقصورَةً على زوجَتِكَ وأولادِكَ؟

لقد بَيَّنَ سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لمن تَكونُ الرَّحمَةُ؟

روى البيهقي عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لا يَدخُلُ الجَنَّةَ مِنكُم إلا رَحيمٌ».

قالوا: يا رسولَ الله، كُلُّنا رَحيمٌ.

قال: «لَيسَ رَحمةَ أَحَدِكُم نَفسَهُ وأهلَ بَيتِهِ، حتَّى يَرحَمَ النَّاسَ».

وفي رواية الحاكم عن أبي موسى الأشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نَفسي بِيَدِهِ، لا تَدخُلُوا الجَنَّةَ حتَّى تَراحَموا».

قالوا: يا رسولَ الله، كُلُّنا رَحيمٌ.

قال: «إِنَّهُ لَيسَ بِرَحمَةِ أَحَدِكُم، ولكن رَحمَةَ العَامَّةِ، رَحمَةَ العَامَّةِ».

اُطلُبِ الفَضلَ من أهلِ الرَّحمَةِ:

أَيُّها الإخوة الكرام: اِسمَعوا إلى تَوجيهِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ للأمَّةِ مِمَّن تَطلُبُ الفَضلَ، روى القضاعي عن أبي سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَقولُ اللهُ تعالى: اُطلُبوا الفَضلَ عِندَ الرُّحَماءِ من عِبادي تَعيشوا في أكنافِهِم، فإنّ فيهِم رَحمَتي، ولا تَطلُبوها من القَاسِيَةِ قُلوبُهُم، فإنّ فيهِم سَخَطي».

يا عبادَ الله، قولوا لقاسي القلبِ: فيكَ سَخَطُ الله وإن كُنتَ صائِماً مُصَلِّياً تالِياً للقُرآنِ العَظيمِ، حاجّاً مُعتَمِراً، ماذا تَنفَعُكَ هذهِ العِباداتِ وأنتَ لا تَرحَم؟ ومن لا يَرحَم لا يُرحَم.

إن كُنتَ مُتَّبِعاً بِحَقٍّ كُنتَ رحيماً، لأنّ المُتَّبِعَ للرَّحمَةِ المُهداةِ يَكونُ رحيماً بِعِبادِ الله جميعاً، ويَكونُ له الحَظُّ الوافِرُ من قَولِهِ تعالى لسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين﴾.

قولوا لقاسي القلبِ مِمَّن يَدَّعي الاتِّباعَ: لا نَقولُ أينَ رَحمَتُكَ بِغَيرِ المؤمنينَ، ولكن نَقولُ: أينَ رَحمَتُكَ بِمَن يَنطِقُ بالشَّهادَتَينِ؟ أينَ رَحمَتُكَ بالأطفالِ الرُّضَّعِ؟ أينَ رَحمَتُكَ بالشُّيوخِ المَرضى؟ أينَ رَحمَتُكَ بالنِّساءِ؟

من أحوالِهِ السُّلوكِيَّةِ:

يا عبادَ الله، أمّا أحوالُهُ السُّلوكِيَّةُ في خُلُقِ الرَّحمَةِ فَحَدِّث عنها ولا حَرَجَ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».

وروى البيهقي عن ابن مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: لَمَّا رَأَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ إِدْبَاراً قَالَ: «اللَّهُمَّ سَبْعاً كَسَبْعِ يُوسُفَ»

فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ، حَتَّى أَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْجُلُودَ وَالْعِظَامَ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَنَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللهَ لَهُمْ.

فَدَعَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَسُقُوا الْغَيْثَ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعاً، فَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ.

فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا».

فَانْحَدَرَتِ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ، فَسُقِيَ النَّاسُ حَوْلَهُم.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عِبادَ الله، هذا شَهرُ رَمضانَ شَهرُ الرَّحمَةِ، ورَحمَةُ الله تعالى مَنوطَةٌ بِرَحمَةِ بَعضِنا لِبَعضٍ.

فأينَ رَحمَتُنا لِبَعضِنا البَعضِ؟ هلَّا سألتَ نَفسَكَ أيُّها التَّاجِرُ هل أنتَ من الرُّحَماءِ الذينَ يَعيشُ النَّاسُ في أكنافِهِم؟ أم أنتَ من أصحابِ القُلوبِ القاسِيَةِ؟

فإن كُنتَ من الرُّحَماءِ فأنتَ المَرحومُ إن شاءَ اللهُ تعالى، وأمَّا إذا كُنتَ من أصحابِ القُلوبِ القاسِيَةِ فاعلَم بأنَّ سَخَطَ الله تعالى فيكَ.

يا أيُّها الإخوة الصَّائِمونَ: أينَ رَحمَةُ التُّجَّارِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ أينَ رَحمَةُ الأطِبَّاءِ في

سَوادِ الأمَّةِ؟ أينَ رَحمَةُ الصَّيادِلَةِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ أينَ رَحمَةُ الأغنياءِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ أينَ رَحمَةُ دُعاةِ الإصلاحِ في سَوادِ الأمَّةِ؟

لماذا أصبَحَ جُلُّ تَعامُلِكُم بالعُملَةِ الأجنَبِيَّةِ؟ هل هذا من خُلُقِ الرَّحمَةِ في سَوادِ الأمَّةِ؟ لماذا تَرفَعونَ أسعارَ أقواتِ العِبادِ بينَ السَّاعَةِ والأخرى؟ لماذا تَرفَعونَ أسعارَ حليبِ الأطفالِ بينَ السَّاعَةِ والأخرى؟ لماذا تَرفَعونَ أسعارَ الدَّواءِ بينَ السَّاعَةِ والأخرى؟

هلّا بِعتُم بَضائِعَكُمُ القَديمَةَ بِرَأسمالها القَديمِ مع الرِّبحِ اليَسيرِ حتَّى إذا اشتَريتُم بالسِّعرِ الجَديدِ بِعتُم بالسِّعرِ الجَديدِ؟

يا عبادَ الله، تَعَرَّفوا على خُلُقِ الرَّحمَةِ في شَخصِيَّةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ، وسَلوا اللهَ تعالى التَّوفيقَ للاقتِداءِ به، اللَّهُمَّ أكرِمنا بذلكَ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

337ـ خطبة الجمعة: التظاهر بالصلاح لا ينفع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، لقد اصطَفى اللهُ تعالى للرِّسالَةِ الخاتِمَةِ أفضَلَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ، وأكمَلَهُم صِفاتٍ وسُلوكاً ظاهِراً وباطِناً، فكانَ النَّموذَجَ الأمثَلَ للإنسانِ الكامِلِ، وكانَ القُدوَةَ المُثلى للمُقتَدينَ الصَّالِحينَ المُتَّقينَ والأبرارِ والمُحسِنينَ، من النَّاسِ أجمعينَ من بَعدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فاصطَفى سيِّدَنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

والأمَّةُ الإسلامِيَّةُ التي اصطَفاها اللهُ تعالى بِقَولِهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾. وَجَبَ عليها بِمُقتَضى هذا الاصطِفاءِ أن تَكونَ نَموذَجاً صالِحاً وقُدوَةً حَسَنَةً للنَّاسِ أجمعينَ، بالتِزامِها العَمَلَ بالشَّريعَةِ، وتَخَلُّقِها بأخلاقِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا عبادَ الله، إذا التَزَمَتِ الأمَّةُ شَرعَ الله ظاهِراً وباطِناً، وتَحَلَّت بالأخلاقِ المُحَمَّدِيَّةِ كانَ حالُها أبيَنَ من كُلِّ بيانٍ قَوليٍّ يَدعو إلى الدُّخولِ في الإسلامِ.

التَّظاهُرُ بالصَّلاحِ لا يَنفَعُ:

أَيُّها الإخوة الكرام: التَّظاهُرُ بالصَّلاحِ لا يَنفَعُ، ومُراءاةُ النّاسِ لا تَنفَعُ، فَثوبُ الرِّياءِ يَشِفُّ عمّا تَحتَهُ، ولا بُدَّ أن يُفتَضَحَ صاحِبُهُ يوماً ما، وتَنكَشِفَ للنّاسِ حَقيقَتُهُ، ويَظهَرَ أنّهُ كانَ يُخادِعُ النّاسَ بِمَظهَرِهِ لأغراضٍ دُنيَويَّةٍ، فمن أسَرَّ سَريرَةً ألبَسَهُ اللهُ رِداءَها، ومن أخفى عن النّاسِ مَعصِيَةً سَتَرَهُ اللهُ تعالى أولاً لِيَتوبَ، فإذا لم يَتُبْ واستَمَرَّ على تَكرارِ مَعصِيَتِهِ فَضَحَهُ اللهُ تعالى.

ومن المُؤسِفِ أن يَكونَ حالُ بَعضِ المُسلِمينَ مُنَفِّراً من الإسلامِ، ومُبعِداً عنهُ، لِعَدَمِ التِزامِهِم بالشَّرعِ الشَّريفِ، والأخلاقِ المُحَمَّدِيَّةِ، ومن المُؤسِفِ أيضاً أن يَكونَ دُعاةُ الصَّلاحِ والإصلاحِ غَيرَ مُلتَزِمينَ بما يَدعونَ النّاسَ إليهِ، فلم يَتَحَقَّقوا بِصِفاتِ المُتَّقينَ، فَضلاً أن يَكونوا أبراراً مُحسِنينَ.

الغايَةُ من بِعثَةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا عبادَ الله، لقد أخبَرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّهُ جَعَلَ نَبيَّهُ الكَريمَ رَحمَةً للعالمينَ، رؤوفاً رَحيماً، وأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ غايَةُ الخُلُقِ الرَّفيعِ، والتَّواضُعِ المُتَناهي، ولم يَكُن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَظّاً ولا غَليظاً، فَمَدَحَهُ اللهُ تعالى قَبلَ البِعثَةِ بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ومَدَحَهُ بَعدَ البِعثَةِ بِقَولِهِ تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

كيفَ لا يَكونُ هذا وَصْفَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ودِينُهُ دِينُ

اليُسرِ والرَّحمَةِ والتَّسامُحِ والعَفوِ والصَّفحِ؟

فأينَ الأمَّةُ من نَبِيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ وأينَ الأمَّةُ من دِينِها؟ وأينَ الأمَّةُ من سَلَفِها الصَّالِحِ؟

يا عبادَ الله، أمَّةٌ ربُّها رحمنٌ رحيمٌ رؤوفٌ حَليمٌ، نَبِيُّها كُلُّهُ رَحمَةٌ، شَرعُها كُلُّهُ يُسرٌ ورِفقٌ ورَحمَةٌ، وسَلَفُها رُحَماءُ فيما بينَهُم، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾. هل من المعقولِ أن تَعيشَ بهذهِ الشِّدَّةِ والقَسوَةِ والغِلظَةِ على بَعضِها البَعضِ؟

ألم يأنِ لهذهِ الأمَّةِ أن تَستَيقِظَ من رُقادِها، وأن تَرجِعَ إلى هَدْيِ نَبِيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وتُعطِيَ الصُّورَةَ الحَقيقِيَّةَ عن هذا الدِّينِ الحَنيفِ العَظيمِ، والصُّورَةَ الحَقيقِيَّةَ عن هذا النَّبِيِّ العَظيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

صُورَةٌ من صُوَرِ الرَّحمَةِ:

أيُّها الإخوة الكرام: صُورَةٌ من صُوَرِ الرَّحمَةِ التي ما عَرَفَتْها البَشَرِيَّةُ من قَبلُ ولا من بَعدُ، صُورَةٌ من صُوَرِ الرَّحمَةِ صَدَرَت عن نَبِيِّ الرَّحمَةِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الإمام البخاري عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: لَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشاً اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ»

فَأَخَذَتْهُم السَّنَةُ حَتَّى حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ وَالْجُلُودَ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ، وَجَعَلَ يَخْرُجُ مِن الْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ.

فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَيْ مُحَمَّدُ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ، فَدَعَا.

وفي روايةٍ قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ: لَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِينِ يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِن الْجَهْدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قَالَ: فَأُتِيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ فَإِنَّهَا قَدْ هَلَكَتْ.

قَالَ: «لِمُضَرَ، إِنَّكَ لَجَرِيءٌ».

فَاسْتَسْقَى لَهُمْ فَسُقُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾.

فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ حِينَ أَصَابَتْهُم الرَّفَاهِيَةُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾.

وعِندَما أسلَمَ ثُمامَةُ بنُ أثال، قَدِمَ مَكّةَ، وسَمِعَتهُ قُرَيشٌ يَتَكَلّمُ بأمرِ سيّدِنا رسولِ

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قالوا: صَبَأَ ثُمامَةُ، فَأغضَبوهُ.

فقال: إنّي واللهِ ما صَبَوتُ، ولكنّي أسلَمتُ، وصَدَّقتُ محمَّداً، وآمَنتُ به، وايمُ الذي نَفسُ ثُمامَةَ بِيَدِهِ لا يَأتيكُم حَبَّةٌ من اليَمامَةِ ــ وكانَت رِيفَ مَكّةَ ــ ما بَقيتُ، حتّى يَأذَنَ فيها محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وانصرَفَ إلى بَلَدِهِ، ومَنَعَ الحملَ إلى مَكّةَ حتّى جَهَدَت قُرَيشٌ، فَكَتَبوا إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَسألونَهُ بأرحامِهِم أن يَكتُبَ إلى ثُمامَةَ يُخَلِّي إليهم حملَ الطّعامِ، فَفَعَلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. رواه البيهقي.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عِبادَ اللهِ، إذا لم تَتَراحَموا في أيّامِ الأزَماتِ فمتى تَتَراحَمون؟ إن لم نَتَراحَم في أزَماتِ الحَياةِ الدُّنيا، قد لا نُرحَمُ ــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ــ في أزَماتِ يَومِ القِيامَةِ.

يا عبادَ اللهِ، تَذَكَّروا قَولَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أيُّها التُّجّارُ: اِرحَموا سَوادَ الأمّةِ من أصحابِ الدَّخلِ المَحدودِ، كُونوا تُجّارَ

الآخِرَةِ لا تُجَّارَ الأزَمات، بِيعوا بِرأسِ مالِكُم أو بِربحٍ قَليلٍ.

أيُّها الأطِبّاءُ: اِرحَموا سَوادَ الأمَّةِ من أصحابِ الدَّخلِ المَحدودِ، عايِنوا المَرضى، وداووا الجَرحى، واجعَلوا أجرَكُم على الله تعالى، ومن وَقَعَ أجرُهُ على الله تعالى فازَ وربِّ الكَعبَةِ.

اللَّهُمَّ ارحَمنا، وارحَم بنا، واجعَلنا رُحَماءَ فيما بَينَنا. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

338ـ خطبة الجمعة: هذا رسولكم يا أمة سيدنا محمد صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، روى الإمام مسلم عَن الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ ــ أي: خرَقوا ثِيابَهُم وقوَّرُوا وَسَطَها ــ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتمَعَّرَ ــ أي: فَتَغَيَّرَ ــ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِن الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ ــ حَتَّى قَالَ: ــ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ ــ أي: يَستَنير فَرَحاً وَسُرُوراً ــ

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

هذا رسولُكُم يا أمَّةَ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا عبادَ الله، لقد عَابَ اللهُ أَقواماً ما عَرَفوا رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾.

إذا أَعابَ اللهُ على هؤلاءِ القَومِ الذينَ ما عَرَفوا رَسولَهُم فَكَفروا به، و لم يُؤمِنوا به و لم يَتَّبعوهُ، فهل يَليقُ اليَومَ بالُمسلِمينَ أن يَجهَلوا رسولَهُمُ الُمصطَفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

أَيُّها الإخوة الكرام: أَتَوَجَّهُ إلى هذهِ الأمَّةِ في هذا البَلَدِ وأقولُ لَهُم:

تَعَرَّفوا على رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حَاوِلوا أن تَنتَهِجوا نَهجَ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وخَاصَّةً في هذهِ الأزمَةِ.

أَتَوَجَّهُ إلى أهلِ هَذا البَلَدِ لا إلى غَيرِهِ، لأقولَ لَهُم: لا تَنتَظِروا خَيراً من حُكّامِ العَرَبِ والمسلِمينَ لِحَلِّ الأزمَةِ التي يَمُرُّ بها هذا القُطرُ الحَبيبُ، لأَنَّهُ لو كانَ فِيهِم خَيرٌ لَرَأيناهُ مُنصَبّاً على إخوَتِنا في فلسطين الحَبيبَة، وما دَامَتِ الأمَّةُ لم تَرَ مِنهُم خَيراً لأهلِ فِلسطِين الذينَ قُهِروا من اليَهودِ، فلا تَتَوَقَّعوا مِنهُم خَيراً لأهلِ سُوريا.

أمَّا عن دُوَلِ الغَربِ فمن بَابِ أَولى وأَولى أن لا تَتَوَقَّعوا منهُم خَيراً في هذهِ الأزمَةِ، وخاصَّةً من قِبَلِ اليَهودِ والنَّصارى الذينَ قالَ اللهُ فيهِم: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

أَتَوَجَّهُ إلى عُقَلاءِ هذا البَلَدِ:

أَيُّها الإخوة الكرام: إنِّي أَتَوَجَّهُ إلى عُقَلاءِ الأمَّةِ في هذا البَلَدِ، إلى المؤمنينَ، إلى أصحابِ الشَّأنِ منهُم، ألا تَرَونَ إلى حالِ هذهِ الأمَّةِ، ماذا تَنتَظِرونَ؟

أَمَا تَحَرَّكَتِ العاطِفَةُ في قُلوبِكُم نحوَ أمَّتِكُم، أما آنَ لكُم أن تَتَأسَّو بسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

إنَّ سَيِّدَنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ انفَعَلَ انفِعالاً وُجدانِيّاً نحوَ أصحابِ

الحاجَةِ، تَغيَّرَ وجهُهُ الشَّريفُ رحمَةً بِهِم، دَخَلَ بيتَهُ لِمُساعَدَتِهِم فلم يَجِدْ شيئاً، فَدَعا النَّاسَ إلى الْمُواساةِ، وحَثَّهُم على ذلكَ بأسلوبٍ رائعٍ، طَلَبَ منهُمُ البَذلَ في حُدودِ اليُسرِ والاستِطاعَةِ، حتَّى لا يَعتَذِرَ أحَدٌ منهُم، وحتَّى لا يَخجَلَ منهُم مُقِلٌّ بما يُقَدِّمُ.

أتَوَجَّهُ لأهلِ هذا البَلَدِ، ولأصحابِ الشَّأنِ خاصَّةً، ولمن يَتَقاتَلونَ، وأقولُ لهُم: جاعَتِ الأمَّةُ وعَطِشَت وتَعِبَت وأُرهِقَت، ألا تَرَونَ إلى ما حَلَّ بالأمَّةِ؟

يا هؤلاءِ: إنَّ ربَّنا عزَّ وجلَّ قادِرٌ على إنهاءِ هذهِ الأزمَةِ بأقلَّ من طَرفَةِ عَينٍ، ولكن لِحِكمَةٍ يُريدُها اللهُ تعالى، ولكن: ﴿الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾. ولكن: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

ربُّنا عزَّ وجلَّ يُريدُ أن يَختَبِرَ العِبادَ، يُريدُ أن يُظهِرَ معادِنَ النَّاسِ، يُريدُ أن يُظهِرَ الْمُتَّبِعَ من الْمُبتَدِعِ.

لم يَرضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن يَجوعَ حَيوانٌ:

أيُّها الإخوة الكرام: سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَألَّمَ عِندَما رأى مُضَرَ جائعَةً عارِيَةً مُحتاجَةً، وهذا ليسَ بِغَريبٍ عن سِيرَتِهِ العَطِرَةِ، كيفَ لا يَتَألَّمُ عليهِم، وهوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لم يَرضَ من النَّاسِ أن يُجيعُوا حيواناً ويُتعِبوهُ.

روى الإمام أحمد وأبو داود عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثاً لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَداً أَبَداً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ، فَدَخَلَ يَوْماً حَائِطاً مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ فَجَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ.

قَالَ بَهْزٌ وَعَفَّانُ: فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ.

فَقَالَ: «مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟»

فَجَاءَ فَتىً مِن الْأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ الله.

فَقَالَ: «أَمَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللهُ، إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ».

يا أَصحَابَ الشَّأنِ، يا مَن مَلَّكَكُمُ اللهُ تعالى رِقابَ النَّاسِ، تَذَكَّروا قولَ الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُون﴾.

يا أصحابَ الشَّأنِ، هذا هوَ رسولُكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، تَأَلَّمَ لِجوعِ حَيوانٍ، وخاطَبَ مالِكَهُ وقالَ لهُ: «أَمَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللهُ، إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ».

يا أصحابَ الشَّأنِ، اِتَّقوا اللهَ في الأمَّةِ، إنَّكُم تَرونَ ما حَلَّ بهذهِ الأمَّةِ، لقد جاعَتِ الأمَّةُ وعَطِشَت وتَعِبَت، ونَزَحَت، يُتِّمَ الأطفالُ، ورُمِّلَتِ النِّساءُ، وجاعَ الأطفالُ، وفُقِدَ الدَّواءُ، وهُدِّمَتِ البُيوتُ.

هل نُزِعَتِ الرَّحمَةُ من القُلوبِ، والرَّحمَةُ لا تُنزَعُ إلا من الأشقِياءِ؟

تَذَكَّروا يا عبادَ الله بأنَّ مَصيرَ الجَميعِ إلى المَوتِ، وبعدَ المَوتِ حَشرٌ وعَرضٌ للأعمالِ، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾. فهل الأعمالُ التي نَقترِفُها تُبَيِّضُ الوُجوهَ، أم تُسَوِّدُها؟

رَبَّى سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تُجَّارَ الآخِرَةِ:

أَيُّها الإخوة الكرام: لقد ربَّى سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تُجّارَ آخِرَة، لا تُجّارَ أزماتٍ، ما ربَّى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تُجّاراً إذا غَلَتِ الأَسعارُ

فَرِحُوا، وإذا فُقِدَتِ البَضائِعُ فَرِحُوا، وإذا جَاعَتِ الأمَّةُ فَرِحوا، بَل رَبَّى تُجَّاراً يَتعامَلونَ معَ اللهِ بَاعوا أَنفُسَهُم وأَموالَهُم للهِ عزَّ وجلَّ.

هذا سيِّدُنا عُثمانُ رَضِيَ اللهُ عنهُ في عامِ الرَّمادَةِ زَمَنَ سيِّدِنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ النَّاسُ لسيدنا عمر رَضِيَ اللهُ عنهُ: يَـــا خـــليفَةَ رَسُولِ اللهِ، إنَّ السَّماءَ لَم تُمطر، وإنَّ الأرضَ لم تُنبت، وقَد أَشرَفَ النَّاسُ على الهَلاكِ، فَمَا نَصنَع؟ فَنَظَرَ إليهِم عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ بِوَجهٍ عَصَرَهُ الهَمُّ عَصراً وقال: اصبِرُوا واحتَسِبُوا، فإني أَرجو ألا تُمْسُوا حتَّى يُفَرِّجَ اللهُ عَنكُم.

فلمَّا كَانَ آخِرُ النَّهارِ، وَرَدَتِ الأخبارُ بأنَّ عِيرَاً لعُثمانَ بنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ جَاءَت مِنَ الشَّامِ وأَنَّهَا سَتَصِلُ المَدِينَةَ عندَ الصَّبَاحِ.

فَمَا أَن قُضِيَت صَلاةُ الفَجرِ حتَّى هَبَّ النَّاسُ يَستَقبِلُونَ العِيرَ جَمَاعَةً إِثرَ جَمَاعَة، وانطَلَق التُّجَّارُ يَتَلَقَّونَهَا، فإذا هيَ أَلفُ بَعِيرٍ قَد وَسَقَت ــ أي حَمَلَت ــ بُرَّاً وزَيتاً وزَبيباً، أناخَت العِيرُ بِبَابِ عُثمانَ بنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، وطَفِقَ الغِلمَان يُنـــزِلُونَ عَنها أَحمَالَهَا، فَدَخَلَ التُّجَّارُ على عُثمانَ وقالوا: بِعنَا مَا وَصَلَ إليكَ يا أَبَا عَمرُو.

فقال: حُبَّاً وكَرَامَةً، ولكِن كَم تُربِحُونَنِي على شِرَائِي.

فَقَالوا: نُعطِيكَ بالدِّرهَمِ دِرهَمَينِ.

فقال: أُعطِيتُ أكثرَ من هَذا.

فزادوا له، فقال: أُعطيتُ أكثرَ مِمَّا زِدتُمُوهُ.

فَزَادُوا لَهُ، فقال: أُعطيتُ أكثرَ من هَذا.

فقالوا: يا أبا عَمرو: ليسَ في المَدينة تُجَّارٌ غَيرُنا، ومَا سَبَقَنا إليكَ أَحَدٌ، فَمَن الذِي أَعطَاكَ أَكثرَ مِمَّا أَعطَينَا؟.

قال: إنَّ اللهَ أَعطَانِي بِكُلِّ دِرهَمٍ عَشَرَةً فَهَل عِندَكُم زِيَادَةً؟.

قالوا: لا يَا أَبَا عَمرُو.

فقال: إِنِّي أُشهِدُ اللهَ أَنِّي جَعَلتُ مَا حَمَلت هذِهِ العِيرُ صَدَقَةً على فُقَراءِ المُسلِمِينَ، لَا أَبتَغِي مِن أَحَدٍ دِرهَمَاً ولا دِينَاراً، وإِنَّمَا أَبتَغِي ثَوَابَالله ورِضَاهُ.

أَيُّها الإخوة الكرام: أينَ تُجَّارُ الآخِرَةِ في هذهِ الأزمَةِ؟ أينَ الذينَ يَدَّعونَ مَحَبَّةَ الله تعالى ومَحَبَّةَ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

يا تُجَّارَ الأزمَةِ، كُونوا على يَقِينٍ بأنّ هَذهِ الأزمَةَ لن تَدومَ ولو طَالَت ــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ــ وكونوا على يَقينٍ بأَنَّا جَميعاً سَنَخرُجُ من الدُّنيا، وكُونوا على يَقينٍ من قَولِهِ تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عِبادَ الله، ما جَرى يَكفينا، أينَ عُقَلاءُ هذهِ الأمَّةِ لِيَقوموا بالإصلاحِ بينَ المُتَقاتِلينَ، أينَ المُصلِحونَ، أينَ هُمُ الحَريصونَ على هذا البَلَدِ وأهلِهِ؟

وأمَّا أنتُم يا سَوادَ هذهِ الأمَّةِ، اِصبِروا وصَابِروا حتَّى تَلقَوا سيِّدَنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحَوضِ.

وأقولُ للأمَّةِ كُلِّها: هَذا هوَ رَسُولُكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَهَل عَرَفتُموهُ؟.

اللّهُمَّ رُدَّنا إليكَ رَدّاً جميلاً. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

339ـ خطبة الجمعة: لماذا تأخير عذاب الظالم إلى يوم القيامة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما

بعد:

فيا عِبادَ الله، حُقوقُ الله تعالى مَبنِيَّةٌ على المُسامَحَةِ، أمّا حُقوقُ العِبادِ فَمَبنِيّةٌ على المُشاحَّةِ، والعَجيبُ أن تَرى العَبدَ المؤمنَ الذي يُحافِظُ على حُقوقِ الله تعالى، لا يُبالي بِحُقوقِ العِبادِ، ويَقَعُ في ظُلمِهِم، فَيسفِكُ دِماءَهُمُ البريئةَ، ويَسلِبُ أموالَهُمُ المُصانَةَ، ويُيَتِّمُ أبناءَهُم، ويُرَمِّلُ نِساءَهُم، ويُرَوِّعُ آمِنيهِم.

أيُّها الإخوة الكرام: في أيّامِ الفِتَنِ وأيّامِ الأزَماتِ قد يَختَلِفُ النّاسُ في تَعيينِ الظّالِمِ، وعِندَما يَختَلِفونَ ويَشتَدُّ الخِلافُ بينَهُم قد يَصِلونَ إلى دَرَجَةِ الظُّلمِ لِبَعضِهِمُ البَعضِ، فهذا يَلعَنُ هذا، وهذا يَشْتِمُ هذا، وهذا يَهجُرُ هذا، وهذا يُسيءُ لهذا.

وهذا لا يَليقُ بالإنسانِ المُسلِمِ، لأنَّهُ في أيّامِ الفِتَنِ يَجِبُ على الإنسانِ المسلِمِ أن يَبرَأَ إلى الله تعالى من الظُّلمِ والظّالِمينَ، وأن يَقولَ: اللّهُمَّ إنّا نَبرَأُ إليكَ من هذا الظُّلمِ الذي وَقَعَ على الأبرِياءِ، ونَبرَأُ إليكَ من كُلِّ ظالِمٍ من أيِّ جِهَةٍ كانَ.

أيُّها الإخوة الكرام: عاقِبَةُ الظُّلمِ سَيِّئَةٌ، ومَرتَعُهُ وَخيمٌ، وجَزاءُ صاحِبِهِ إلى النّارِ، وبالظُّلمِ يَكونُ خَرابُ الدِّيارِ، وما حَرَّمَ اللهُ تعالى شيئاً كالظُّلمِ، فقال تعالى في الحديثِ القُدسِيِّ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالَمُوا» روا ه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وتَوَعَّدَ الظَّلَمَةَ بِقَولِهِ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار﴾.

لماذا تأخيرُ عَذابِ الظّالِمِ إلى يَومِ القِيامَةِ؟

أيُّها الإخوة الكرام: قد يَتساءَلُ البَعضُ لماذا تأخيرُ عَذابِ الظّالِمِ إلى يَومِ القِيامَةِ؟ أليسَ فيهِ ضَرَرٌ على المَظلومِ؟

أولاً: عَقيدَتُنا بأنّ الله تعالى لا يُسألُ عمّا يَفعَلُ وهُم يُسألونَ:

وعَقيدَتُنا أنّهُ فَعّالٌ لما يُريدُ، وعَقيدَتُنا أنّهُ يَعلَمُ ولا نَعلَمُ، وعَقيدَتُنا أنّهُ يُمهِلُ ولا يُهمِلُ، وعَقيدَتُنا أنّ أخْذَهُ أليمٌ شَديدٌ، وعَقيدَتُنا أنّهُ لا يَعجَلُ، لأنّ العَجَلَةَ شَأنُ من يَخافُ فَواتَ الفُرصَةِ، وربُّنا لا يَفوتُهُ شيءٌ، وعَقيدَتُنا أنّهُ تعالى إذا قَضَى أمراً فلا رادّ لِقَضائِهِ، وقد قَضَى ربُّنا عزّ وجلّ أجلاً للظّالمينَ، قال تعالى: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

ثانياً: من أسماءِ الله تعالى الحَليمُ:

ورَحمَتُهُ سَبَقَت غَضَبَهُ، فمن حِلمِ الله تعالى أن لا يُعَجِّلَ العَذابَ للظّالِمِ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

فلو عَجّلَ اللهُ تعالى العِقابَ لكلِّ ظالِمٍ لما كانَ هُناكَ حِلمٌ، ولكن جَعَلَ لَهُم مَوعِداً، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾.

ثالثاً: ربُّنا عزّ وجلّ يُريدُ أن يَرفَعَ دَرجاتِ المَظلومِ:

كما جاءَ في الحديثِ الشّريفِ الذي رواه الإمام أحمد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عن

رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِن اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ».

رأى أَحَدُ النّاسِ مَظلوماً مَصلوباً في زَمَنِ الحَجّاجِ، فقال: ربِّ إنّ حِلمَكَ بالظّالمينَ أضرَ بالمَظلومينَ.

فَرَأى في مَنامِهِ كأنّ القِيامَةَ قامَت، ورَأى المَظلومَ المَصلوبَ في أعلى الجَنّةِ، ثمّ سَمِعَ من يَقولُ له: إنّ حِلمي بالظّالمينَ أورَثَ المَظلومينَ أعلى عِلّيّينَ.

رابعاً: لِيَزدادَ الظّالِمُ إثماً إلى إثمِهِ:

قال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِين﴾.

فاللهُ تعالى يُملي لهُم لِيَزدادوا إثماً إلى إثمِهِم، ولِيَحمِلوا أوزاراً معَ أوزارِهِم.

خامساً: العَذابُ يومَ القِيامَةِ دائِمٌ:

ربُّنا عزَّ وجلّ عِندَما يَقولُ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار﴾. لأنّ العَذابَ في الدُّنيا أمَدُهُ قَصيرٌ، وأمّا العَذابُ في الآخِرَةِ فلهُ بِدايَةٌ وليسَ لهُ نِهايَةٌ، والعِياذُ باللهِ تعالى، فهوَ في الآخِرَةِ يَتَمَنّى المَوتَ بِسَبَبِ شِدّةِ العَذابِ فلا يَجِدُهُ.

قال تعالى: ﴿لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُون * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُون * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِين * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُون﴾.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَاد * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّار﴾.

وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِين﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّين * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُون * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُون﴾.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِير﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عِبادَ الله، الظّالِمُ لِخَلقِ الله تعالى بأيِّ نَوعٍ من أنواعِ الظُّلمِ، والمُستَحِلُّ لما حَرَّمَ اللهُ تعالى عليهِ غَيرُ عاقِلٍ، فمن ظَلَمَ واستَحَلَّ القتلَ والسَّلبَ والتَّرويعَ والتَّهديمَ ليسَ بعاقِلٍ، لأنَّ اللهَ تعالى يُملي له لِيَزدادَ إثماً إلى إثمِهِ، والعَذابُ من بينِ يَدَيهِ.

أيُّها الإخوة الكرام: ربُّنا عزَّ وجلَّ يُؤَخِّرُ عُقوبَةَ الظَّالِمِ لِيَومِ القِيامَةِ لِيَرى من العَذابِ ما لا عَينٌ رَأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ.

ربُّنا عزَّ وجلَّ يُؤَخِّرُ عُقوبَةَ الظَّالِمِ لِيَومِ القِيامَةِ لِيَرفَعَ دَرَجاتِ المَظلومِ في الجَنَّةِ، وذلكَ من خِلالِ كَظمِهِ الغَيظَ، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين﴾.

أسألُ اللهَ تعالى أن لا يُحَمِّلَنا ما لا نُطيقُ، وأن يَجعَلَنا من الشَّاكِرينَ عِندَ الرَّخاءِ، ومن الصَّابِرينَ عِندَ البَلاءِ، ومن الرَّاضِينَ بِمُرِّ القَضاءِ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

340ـ خطبة عيد الفطر ١٤٣٤: عظمت منة اللّه عليكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فيا عِبادَ الله، لقد عَظُمَت مِنَّةُ الله تعالى عليكم، إذ شَرَحَ صُدورَكُم للإسلامِ، عَظُمَت مِنَّةُ الله تعالى عليكم، أنْ هَداكُم للإيمانِ، عَظُمَت مِنَّةُ الله تعالى عليكم، أنْ كَرَّهَ إليكُمُ المعاصي والمُنكَراتِ.

عَظُمَت مِنَّةُ الله تعالى عليكم، أنْ جَعَلَكُم مِمَّن استَجابَ له تعالى ولِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حيثُ استَجَبتُم لِقَولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. ولِقَولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فَصُمتُم هذا الشَّهرَ حَقَّ الصِّيامِ، وقُمتُم حَقَّ القِيامِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

الصَّومُ شُكرٌ للنِّعَمِ السَّابِقَةِ:

أَيُّها الإخوةُ الكرام: لقد أسبَغَ اللهُ تعالى علينا نِعَماً لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وكَلَّفَنا بعدَ ذلك بالعِبادَةِ، والتي من جُملَتِها الصِّيامُ والقِيامُ، فالعابِدُ يَعبُدُ اللهَ تعالى شُكراً على نِعَمِهِ السَّابِقَةِ، وشُكراً لله تعالى على نِعمَةِ التَّكليفِ، لأنَّ اللهَ تعالى الذي كَرَّمَ العَبدَ بالنِّعَمِ زادَهُ تَشريفاً وتَكريماً بِنِعمَةِ التَّكليفِ، حيثُ جَعَلَ فيهِ سِرَّ السَّعادَةِ في الدُّنيا قَبلَ الآخِرَةِ، ففي الدُّنيا لا يَضِلُّ المُكَلَّفُ ولا يَشقى، ولا

يَخافُ ولا يَحزَنُ، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾.
وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

من ثِمارِ الصَّومِ:

أيُّها الإخوة الكرام: من تَمامِ فَضْلِ الله تعالى ونِعمَتِهِ علينا، أنْ جَعَلَ للصَّائِمِ أجراً لا يَعلَمُهُ إلا اللهُ تعالى، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

هَنيئاً لكَ أيُّها الصَّائِمُ، فقد وَقَعَ أجرُكَ على الله تعالى، وهَنيئاً لكَ تلكَ الفَرحَتانِ، عِندَ فِطرِكَ وعِندَ لِقاءِ ربِّكَ.

هَنيئاً لكَ أيُّها الصَّائِمُ، لقد ذَهَبَ تَعَبُ العِبادَةِ وبَقِيَت لَذَّتُها، وأنتَ على وَعدٍ معَ أجرِها، وأمَّا الخاسِرُ الذي خَسِرَ الصِّيامَ والقِيامَ، فقد ذَهَبَت لَذَّةُ فِطرِهِ ـــ إن كانَ يَشعُرُ بِلَذَّةِ المعصِيَةِ ـــ ولكن بَقِيَت مَرارَتُها.

هَنيئاً لكَ أيُّها الصَّائِمُ، وأنتَ مُتَوَجِّهٌ إلى صلاةِ العيدِ لِتَسمَعَ بِشارَةَ الملائِكَةِ الكِرامِ: اِرجِعوا راشِدينَ إلى رِحالِكُم.

روى الطبراني في الكبير عَنْ أبي سَعِيدِ بن أَوْسٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَقَفَتِ الْمَلائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الطُّرُقِ، فَنَادَوْا: اغْدُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ يَمُنُّ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ، فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكُمْ، فَإِذَا صَلَّوا، نَادَى مُنَادٍ: أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْيَوْمُ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْجَائِزَةِ».

كُن حَريصاً على بَراءَةِ ذِمَّتِكَ أمامَ العِبادِ:

أَيُّها الإخوة الكرام: لقد أكرَمَكُمُ اللهُ تعالى بالمَغفرَةِ إن شاءَ اللهُ تعالى، حيثُ خَرَجتُم بِبَرَكَةِ الصِّيامِ من ذُنوبِكُم كَيَومَ وَلَدَتكُم أمّهاتُكُم إن شاءَ اللهُ تعالى، فحافِظوا على هذهِ النِّعمَةِ، واحذَروا من ضَياعِها، وذلكَ بِصَرفِها إلى غَيرِكُم، وذلكَ من خِلالِ ظُلمِ الآخَرينَ.

يا من عَبَدَ اللهَ تعالى في شَهرِ رَمَضانَ فَصامَ وقامَ وتلا القُرآنَ وأمَرَ بالمعروفِ ونَهى عن المنكَرِ، ماذا يَنفَعُكَ هذا إذا كُنتَ مِمَّن أساءَ للعِبادِ؟ أمَا تَذكُرُ أيُّها العابِدُ حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ.

فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»؟

أسألُ اللهَ تعالى أن يُلهِمَ كُلَّ قاتِلٍ وسافِكٍ لِدِماءِ الأبرِياءِ، وكُلَّ مُرَوِّعٍ للنّاسِ، وكُلَّ سالِبٍ للأموالِ، وكُلَّ مُختَطِفٍ للنّاسِ، التَّوبَةَ الصّادِقَةَ النّصوحَ قَبلَ مَوتِهِ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عِبادَ الله، يا من أطَعتُم ربَّكُم، وصُمتُم وقُمتُم، حافِظوا على هذهِ النِّعمَةِ، واعلَموا بأنَّ حُقوقَ الله تعالى مَبنِيَّةٌ على المسامَحَةِ، أمَّا حُقوقُ العِبادِ فَمَبنِيَّةٌ على المشاحَّةِ.

يا عبادَ الله، صِلوا الأرحامَ، وخاصَّةً الرَّحِمَ الذي قُطِعَت من أجلِ عرَضٍ من أعراضِ الدُّنيا، لعلَّ بهذهِ الصِّلَةِ للأرحامِ أن يَصِلَ المجتَمَعُ إلى دَرَجَةِ البُنيانِ المَرصوصِ.

يا من استَجَبتُم لِقَولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. استَجِيبوا لِجَميعِ أوامِرِ الله تعالى، وخاصَّةً التي تَتَعَلَّقُ بِحُقوقِ العِبادِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقنا لذلكَ آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

341ـ خطبة الجمعة: وصايا عشر من الزائر الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، لقد وَفَدَ إلينا ضَيفٌ كريمٌ وزائِرٌ عَظيمٌ، بَلَغَت كَرامَتُهُ عِندَ الله تعالى أن صَفَّدَ الشَّياطينَ أيَّامَ زيارَتِهِ، وفَتَّحَ أبوابَ الجِنانِ، وغَلَّقَ أبوابَ النِّيرانِ، ونادى مُنادٍ من قِبَلِ الله تعالى أيَّامَ زِيارَةِ هذا الضَّيفِ الكريمِ: «يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ» رواه الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

بِبَرَكَةِ هذا الزَّائِرِ الكَريمِ ضاعَفَ اللهُ تعالى الأجرَ على العِبادَةِ، فكانَتِ النَّافِلَةُ فيه بِفَريضَةٍ فيما سِواهُ، كما كانَتِ الفَريضَةُ بِسَبعينَ فيما سِواهُ.

جاءَ هذا الزَّائِرُ الكَريمُ فاستَقبَلَهُ من رَضِيَ باللهِ تعالى ربّاً، وبالإسلامِ دِيناً، وبِسيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نبِيّاً ورسولاً حَقَّ الاستِقبالِ، استَقبَلَ هذا الزَّائِرَ الكَريمَ حَقَّ الاستِقبالِ من آمَنَ باللهِ تعالى وباليَومِ الآخِرِ وذَكَرَ اللهَ كثيراً.

لقد رأى أمراً عَجَباً:

أيُّها الإخوة الكرام: جاءَ هذا الزَّائِرُ الكَريمُ فَرَأى أمراً عَجَباً، رَأى قُلوباً حَزينَةً مُلِئَت بالهُمومِ والأسى، رَأى ظُلماً وَقَعَ على الأمَّةِ، رَأى سَفكَ دِماءٍ بَريئَةٍ، ورَأى هَتكاً للأعراضِ، ورَأى سَلباً للأموالِ، ورَأى خَطفاً للآمِنينَ، ورَأى انتِهاكاً للحُرُماتِ.

وانتَهَت أيَّامُ إقامَتِهِ وانصَرَمَ راحِلاً إلى ربِّهِ عزَّ وجلَّ، فكانَ شهيداً لمن استَقامَ، وسَيَكونُ له شَفيعاً يَومَ القِيامَةِ إن شاءَ اللهُ تعالى، وكانَ شهيداً على من انحَرَفَ، وتَألَّمَ عليهِ لأنَّهُ بَعُدَ من رَحمَةِ الله تعالى، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الطبراني عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: سَمِعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «هذا رَمَضانُ قد جاءَ، تُفَتَّحُ فيه أبوابُ الجَنَّةِ، وتُغلَقُ فيه أبوابُ النَّارِ، وتُغَلُّ فيهِ الشَّياطينُ، بُعداً لمن أدرَكَ رَمَضانَ و لم يُغفَر له، إذا لم يُغفَر له فيهِ فَمَتَى؟!».

وصايا عشر من الزَّائِرِ الكريمِ:

يا عبادَ الله، لقد ارتَحَلَ هذا الزَّائِرُ الكَريمُ ولِسانُ حالِهِ يُوصي هذهِ الأمَّةَ الإسلامِيَّةَ في مَشارِقِ الأرضِ ومَغارِبِها، وخاصَّةً لأهلِ هذا القُطرِ، أهلِ سوريَّا، وكأنَّ لِسانَ حالِهِ يَقولُ: أنا شَهرُ رَمَضانَ، أنا شَهرٌ أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ، فأوصيكُم يا عبادَ الله بَعضَ الوَصايا التي أنزَلَها اللهُ تعالى فِيَّ على قَلبِ الحَبيبِ الأعظَمِ سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الوَصِيَّةُ الأولى:

يا أهلَ سوريّا، لا تَيأسوا من رَوحِ الله إذا اشتَدَّت عليكَمُ المَصائِبُ، لا تَيأسوا من رَحمَةِ الله إذا ضاقَت عليكُمُ الأرضُ بما رَحُبَت، وضاقَت عليكُم أنفُسُكُم، لا تَيأسوا، فأنا أقولُ لكُم: قال تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ الله إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُون﴾.

كيفَ يَيأسُ المؤمنُ وربُّهُ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، ورَحِمَ اللهُ تعالى القائِلَ:

إذا اللّيالي أتــاحَــت مــن أكِنَّتِــها *** سَيفَ الخُطوبِ فلا تَجزَع لِشَنَّتِها

وإن خَــشيتَ جِراحاً من أسِنَّتِها *** دَعِ المقــاديــرَ تَجــري في أعِــنَّتِــهــا

ولا تَبيتَنَّ إلا خَالِيَ البالِ

هل شِمتَ حادِثَةً دامَت لِحالَتِها *** كلّا بل الغــوثُ مَــقرونٌ بِغــايَتِها

يا من غَدوتَ يَؤوساً من إزالَتِها *** مــا بــَينَ غَمضَةِ عَينٍ وانتِباهَتِهــا

يُغَيِّرُ اللهُ من حالٍ إلى حالِ

يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ حَوِّلْ حالَنا إلى أحسَنِ حالٍ إكراماً لسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الوَصِيَّةُ الثّانيَةُ:

يا أهلَ سوريّا، اِعتَصِموا بِحَبلِ اللهِ ولا تَفرّقوا، كَفاكُم تَحاسُدٌ وتَباغُضٌ وتَقاطُعٌ وتَدابُرٌ، فأنا أذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

اِنطَلِقوا للاعتِصامِ من الدّائِرَةِ الضَيِّقَةِ، من دائِرَةِ الأُسرَةِ، تَماسَكوا، اِعتَصِموا، صِلوا بَعضَكُمُ البَعضَ، ولا تَدابَروا، لعلَّ اللهَ أن يَجمَعَ شَملَ الجَميعِ، لأنَّ تَماسُكَ الأسرَةِ يعني تَماسُكَ المجتَمَعِ.

الوَصِيَّةُ الثّالِثَةُ:

يا أهلَ سوريّا، إن أرَدتُم تَبديلَ هذهِ الحالِ إلى حالٍ أحسَنَ، فأحسِنوا نَواياكُم، وأذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

الوَصِيَّةُ الرّابِعَةُ:

يا أهلَ سوريّا، عَظِّموا حُرُماتِ اللهِ تعالى، عَظِّموا دِماءَ النّاسِ، وأعراضَهُم، وأموالَهُم، يا أهلَ سوريّا، أتَيتُكُم زائِراً فَرَأيتُ فيكُم سَفكَ الدِّماءِ، وهَتكَ الأعراضِ، وسَلبَ الأموالِ، وأنتُم أمَّةُ القُرآنِ، فيا أمَّةَ القُرآنِ، أُذَكِّرُكُم بآيَتَينِ من كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. وقَولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.

ولا تَنسَوا حديثَ نبيِّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا » رواه الإمام البخاري عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الوَصِيَّةُ الخامِسَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، لا تَخافوا من مَكرِ الماكِرينَ، ولا من حَقدِ الحاقِدينَ، ولا من كَيدِ الكائِدينَ، وإن كانَ كَيدُهُم لِتَزولَ منهُ الجِبالُ، لا تَخافوهُم ولو اجتَمَعَ أهلُ الأرضِ جميعاً على أهلِ لا إلهَ إلا اللهُ، فاللهُ عليمٌ بِهِم، ومَكرُهُم عِندَ الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

لا تَخافوا إن صَبَرتُم واتَّقَيتُم، وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

أُذَكِّرُكُم يا أُمَّةَ القُرآنِ بِقَولِ نبيِّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» رواه الشيخان عن أنس بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

الوَصِيَّةُ السَّادِسَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، اِطمَئِنُّوا بأنّ دُعاءَكُم مُستَجابٌ، وكيفَ لا يَكونُ مُستَجاباً وقد أنزَلَ اللهُ فِيَّ قَولَهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

اِطمَئِنُّوا فإنّ دُعاءَكُم مُستَجابٌ، ولا تَنشَغِلوا بِهَمِّ استِجابَةِ الدُّعاءِ، ولكن انشَغِلوا بما كُلِّفتُم به، وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى لسيِّدِنا موسى وأخيه هارون: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

الوَصِيَّةُ السَّابِعَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، أصلِحوا ذاتَ بَينِكُم، وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾.

وبِقَولِهِ تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

وبِقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أصلِحوا ذاتَ بَينِكُم، ولا تُفسِدوا فإنّ اللهَ رَقيبٌ عليكُم.

الوَصِيَّةُ الثّامِنَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، تَذَكَّروا أنَّكُم خُلِقتُم للأمرِ بالَمعروفِ وللنَّهيِ عن المنكَرِ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

هذهِ مَهَمَّتُكُم، فيها صَلاحُ المجتَمَعِ، بها يَصلُحُ الطَّبيبُ والتَّاجِرُ والمهندِسُ والسِّياسِيُّ وجَميعُ شَرائِحِ المجتَمَعِ، ولا تُفكِّروا بمالٍ وجاهٍ ومَنصِبٍ وسِيادَةٍ، فإنّ نبيَّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رَفَضَها، لأنّ مَهَمَّتُهُ كانَتِ التَّبليغَ.

الوَصِيِّةُ التّاسِعَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، اِعلَموا أنَّهُ لا طاعَةَ لَمخلوقٍ في معصِيَةِ الخالِقِ، مهما كانَ الآمِرُ، سواءٌ كانَ حاكماً أو مَحكوماً، فأنا أُذَكِّرُكُم بِقَولِ اللهِ تعالى عن هؤلاءِ الذينَ أطاعوا مَخلوقاً في مَعصِيَةِ الخالِقِ: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾.

وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار﴾.

وبِقَولِهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَـــؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـــكِن لا تَعْلَمُون﴾.

الوَصِيِّةُ العاشِرَةُ:

يا أهلَ سوريَّا، أنا راحِلٌ إلى ربِّي بعدَ إقامَتي فيكُم شَهراً كامِلاً، وأنا لكم ناصِحٌ أمينٌ، إن اختَلَفتُم وتشاجَرتُم فَحَكِّموا كِتابَ اللهِ فيكم، وإلا عَرَّضتُم نِعمَةَ الإيمانِ للزَّوالِ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى، وأُذَكِّرُكُم بِقَولِهِ تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

فلا تُحَكِّموا الأهواءَ والعَصَبِيّاتِ، فأنا لكم ناصِحٌ أمينٌ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عِبادَ الله، هذهِ وَصايا الزّائِرِ الكَريمِ لمن استَجابَ لأمرِ الله تعالى فصامَ وقامَ، أسألُ اللهَ تعالى ن يُوَفِّقَنا للالتِزامِ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

342ـ خطبة الجمعة: الإيمان باللّه تعالى يفجر الأمل في النفوس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، في هذهِ الآونَةِ العَصيبَةِ التي تَمُرُّ بها الأمَّةُ في هذا البَلَدِ، وَصَلَ اليَأسُ والقُنوطُ والتَّشاؤُمُ إلى قُلوبِ بعضِ المسلِمينَ، وإذا ذَهَبْتَ تُحَدِّثُهُم عن الأمَلِ والتَّفاؤُلِ تَعَجَّبوا من حديثِكَ.

أيُّهَا الإخوَةُ الكرام: إنَّ اليَأسَ والقُنوطَ والتَّشاؤُمَ داءٌ، ودواؤُهُ الأمَلُ والتَّفاؤُلُ، وإنَّ من وَفاءِ الأجهزَةِ الإعلامِيَّةِ العَرَبِيَّةِ للنَّاسِ أنَّهُم يَبُثُّونَ الدَّاءَ دونَ الدَّواءِ، يَبُثُّونَ اليَأسَ والقُنوطَ والتَّشاؤُمَ، ولا يَبُثُّونَ الأمَلَ والتَّفاؤُلَ.

وإنَّ الكثيرَ من النَّاسِ أقبَلَ إلى أجهِزَةِ الإعلامِ فاتِحاً صَدرَهُ وقَلبَهُ لها، لِتَبُثَّ فيهِ

هذا اليأسَ والقُنوطَ والتّشاؤُمَ، حتّى تَمكّنَ ذلكَ من بعضِ القُلوبِ.

اليأسُ والقُنوطُ والتّشاؤُمُ من صِفَةِ العبدِ الكافِرِ:

أيُّها الإخوَةُ الكرام: لقد تَرَكَنا سيّدَنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على المَحَجَّةِ البيضاءِ، ليلُها كَنَهارِها لا يَزيغُ عنها إلا هالِكٌ، ولقد بَيَّنَ لنا ربُّنا عزَّ وجلَّ في كِتابِهِ العظيمِ بأنَّ اليَأسَ والقُنوطَ والتّشاؤُمَ من وَصْفِ العبدِ الكافِرِ الذي لا يُؤمِنُ بِقُدرَةِ الله تعالى، ولا يُؤمِنُ بأنَّ اللهَ تعالى لا يُعجزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ، ولا يُؤمِنُ بأنَّ اللهَ تعالى إذا أرادَ شيئاً قالَ له: كُن فَيكونُ.

قال تعالى في وَصْفِ العبدِ الكافِرِ: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُون﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُور﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّون﴾.

اليأسُ كبيرَةٌ من الكبائِرِ، يقولُ ابنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ: أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ. رواه الطبراني في الكبير.

ويقولُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: الْهَلَاكُ فِي اثْنَتَيْنِ، الْقُنُوطِ وَالْعُجْبِ. إحياء علوم الدين.

الإيمانُ بالله تعالى يُفَجّرُ الأمَلَ في النُّفوسِ:

يا عِبادَ الله، المؤمنُ الحَقُّ لا يَعرِفُ اليَأسَ والقُنوطَ والتّشاؤُمَ، الإنسانُ المؤمنُ الحَقُّ هوَ الذي يُفَجّرُ الأمَلَ في نفسِهِ من خِلالِ إيمانِهِ بالله تعالى صاحِبِ القُدرَةِ المطلَقَةِ،

الذي لا يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ.

أولاً: الإيمانُ يُفَجِّرُ الأمَلَ من خِلالِ مُداوَلَةِ الأيَّامِ:

يا عِبادَ الله، المؤمنُ يُفَجِّرُ الأمَلَ في نفسِهِ من خِلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. فمن المُحالِ دَوَامُ الحَالِ، فَاللهُ تعالى قَادِرٌ على أن يُبَدِّلَ خَوفَنَا أَمناً، قادِرٌ على أن يُبَدِّلَ هَمَّنا فَرَجاً، قادِرٌ على أن يُبَدِّلَ ذُلَّنا عِزّاً، قادِرٌ على أن يُبَدِّلَ تَمَزُّقَنا جَمعاً، قَادِرٌ على أن يُبَدِّلَ فَقْرَنا غِنىً، قَادِرٌ على أن يُبَدِّلَ ضِيقَنا مَخرجاً، قَادِرٌ على أن يَجعَلَ كَيدَ من كَادَنا في نَحرِهِ، وأن يَجعَلَ تَدبيرَهُم في تَدمِيرِهِم، قادِرٌ على أن يُمَزِّقَ من أرادَ الأمَّةَ بِسوءٍ شَرَّ مُمَزَّقٍ، لأنَّهُ القائِلُ: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

ثانياً: الإيمانُ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ:

يا عِبادَ الله، إنَّ الإيمانَ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ عندما بَلَغَ من العُمُرِ عِتِيّاً، فَسَأَلَ ربَّهُ عزَّ وجلَّ الوَلَدَ، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. من أينَ تكونُ الذُّرِّيَّةُ للرَّجُلِ على كِبَرٍ؟ نعم، إنَّهُ يَسألُ الذي لا يُعجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، فاستَجابَ اللهُ تعالى له، قال تعالى مُخبِراً عن سيِّدِنا إبراهيمَ عليه السَّلامُ: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

يا عِبادَ الله، عَلِّقوا آمالَكُم باللهِ تعالى، وأكثِروا من الدُّعاءِ، فاللهُ تعالى قادِرٌ على أن يُخرِجَ هذا البَلَدَ من هذا الضِّيقِ، وأكثِروا من قَولِ: حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ.

هذا سيِّدُنا إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ عندما جَعَلَهُ نُمروذُ في المنجنيقِ لِيَقذِفَهُ في النَّارِ، جاءَهُ سيِّدُنا جبريلُ عليه السَّلامُ، فقال له: أَلَكَ حَاجَةٌ ؟

فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا.

قال: سَل ربَّكَ.

فقال: حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ. رواه البيهقي في شعب الإيمان عن بِشرِ بنِ الحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عنهُ وفي رواية للترمذي في نوادر الأصول، قال: حَسبِي من سُؤَالِي عِلمُهُ بِحَالِي.

فكانَتِ النَّتيجَةُ: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

فأكثِروا من قولِ: حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ، لأنَّ اللهَ تعالى يقولُ في كِتابهِ العظيمِ عن الصَّحبِ الكِرامِ عندما جَمَّعَ النَّاسُ لهُمُ الجُموعَ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. فقال اللهُ تعالى عَقِبَ الآيَةِ: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

ثالثاً: الإيمانُ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا زكريَّا عليهِ السَّلامُ:

يا عِبادَ اللهِ، إنَّ الإيمانَ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا زكريَّا عليهِ السَّلامُ عندما وَهَنَ العظمُ منهُ واشتَعَلَ الرَّأسُ شَيباً، وكانَتِ امرأتُهُ عاقِراً، فَسَأَلَ اللهَ تعالى ولِيًّا له حتى يَرِثَهُ ويَرِثَ آلَ يَعقُوبَ مِن بَعدِهِ، قال تعالى: ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ

شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ فجاءَ الجَوابُ مِن اللهِ تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾.

يا عِبادَ اللهِ، نادوا اللهَ تعالى في جَوفِ اللَّيلِ نِداءً خَفِيّاً، ولن تَكونوا بإذنِ اللهِ تعالى بِدُعاءِ رِبِّكُم أشقِياءَ.

رابعاً: الإيمانُ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا أيُّوبَ عليهِ السَّلامُ:

يا عِبادَ اللهِ، إنَّ الإيمانَ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا أيُّوبَ عليهِ السَّلامُ الذي اشتَدَّ بلاؤُهُ، وكانَ صابِراً على البلاءِ حتَّى صارَ مَضرِبَ مَثَلٍ فيُقالُ: يا صَبرَ أيُّوبَ.

ونالَ بِبَرَكَةِ صَبْرِهِ شَهادَةَ اللهِ عزَّ وجلَّ له، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

سيِّدُنا أيُّوبُ عليهِ السَّلامُ أخبَرَ عنهُ مولانا عزَّ وجلَّ بقولِهِ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِين﴾. فهذِهِ الآيَةُ الكريمَةُ ذِكرَى لَكُم يَا مَعشَرَ العُبَّادِ، فَأكثِروا من قَولِ: إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين.

خامساً: الإيمانُ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا يونسَ عليهِ السَّلامُ:

يا عِبادَ اللهِ، إنَّ الإيمانَ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا أيُّوبَ عليهِ السَّلامُ، فلم ييأس

عندما صارَ في بطنِ الحوتِ، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾. أحذَرُ أن تَظُنَّ أنّ سيِّدَنا يونُسَ عليهِ السَّلامُ ظَنَّ بأنّ اللهَ تعالى ليسَ بقادِرٍ عليهِ، معاذَ اللهِ، هذا الاعتِقادُ لا يَعتَقِدُهُ الواحِدُ منّا، فكيفَ بسيِّدِنا يونُسَ عليهِ السَّلامُ؟

المقصودُ من قولِهِ: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ يعني: فَظَنَّ أنْ لن نُضَيِّقَ عليه، وهذا كقولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ أي ضَيَّقَ عليه رِزقَهُ.

فسيِّدُنا يونُسُ عليهِ السَّلامُ عندما ضَيَّقَ عليه ربُّنا عزَّ وجلَّ، وجَعَلَهُ في ظُلُماتٍ ثلاثٍ، ظُلمَةِ بطنِ الحوتِ، وظُلمَةِ البحرِ، وظُلمَةِ اللّيلِ ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾. وهذِهِ ليسَت من خُصوصِيّاتِهِ عليهِ السَّلامُ، بل هيَ عامَّةٌ للمؤمنينَ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِين﴾.

نَسألُ اللهَ تعالى أن يُنجِيَنا من هذا الغَمِّ والهَمِّ والكربِ العظيمِ.

اللّهُمَّ يا من إذا وَعَدَ وَفى، وإذا تَوَعَّدَ تَجاوَزَ وعَفا، أدخِل عظيمَ جُرمِنا في عظيمِ عَفوِكَ يا أرحَمَ الرّاحمينَ، يا ولِيَّ نِعمَتِنا، يا ملاذَنا عندَ كُربَتِنا، اِجعَل كَيدَ من كادَنا برداً وسلاماً علينا، كما جَعَلتَ النّارَ برداً وسلاماً على سيِّدِنا إبراهيمَ عليه السلام.

سادساً: الإيمانُ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا موسى عليهِ السَّلامُ:

يا عِبادَ اللهِ، إنَّ الإيمانَ فَجَّرَ الأمَلَ في نفسِ سيِّدِنا موسى عليهِ السَّلامُ عندما خرَجَ

بِقَومِهِ وتَبِعَهُ فِرعَونُ وقَومُهُ، وما أدراكَ ما فِرعَونُ؟ قال تعالى في حَقِّهِ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوا فِي الْبِلاد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد﴾. لن يَترُكَ ربُّنا عزَّ وجلَّ الطّاغِينَ المفسِدينَ مهما طالَ أمَدُهُم.

قال تعالى في قِصَّةِ سيِّدِنا موسى عليه السَّلامُ وقَومِهِ المستَضعَفينَ: ﴿فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون﴾. وهذا كلامٌ حَقٌّ من حيثُ الأسبابُ، ولكنَّ الإيمانَ يُفَجِّرُ الأمَلَ، فقال سيِّدُنا موسى عليهِ السَّلامُ: ﴿كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين﴾.

فماذا كانَتِ النَّتيجَةُ؟ كانَت كما قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُم * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عِبادَ الله، اِحذَروا اليَأسَ والقُنوطَ والتَّشاؤُمَ فإنَّهُ داءٌ، وعليكُم بالأمَلِ والتَّفاؤُلِ فإنَّهُ الدَّواءُ، إذا ضاقَت عليكُم أنفُسُكُم فَعَلَيكُم بِكِتابِ رَبِّكُم عزَّ وجلَّ، وقِراءَةِ سِيرَةِ نَبِيكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، واحذَروا أجهِزَةَ الإعلامِ التي تَبُثُّ الدّاءَ دونَ الدَّواءِ.

ورَضِيَ اللهُ تعالى عن سيِّدِنا عليٍّ حينَ قال:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ *** وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ

وَأَوْطَنَتِ الْمَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ *** وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا

الْخُطُوبُ

وَلَمْ تَــرَ لِانْــكِشَــافِ الضُّرِّ وَجْهاً *** وَلَا أَغْــنَى بِــحِيــلَتِهِ الْأَرِيــــبُ

أَتَــاكَ عَــلَى قُنُــوطٍ مِــنْكَ غَــوْثٌ *** يَجِيءُ بِــهِ الْــقَرِيــبُ الْمُسْتَــجِيبُ

وَكُــلُّ الْحَــادِثَــاتِ إِذَا تَــنَــاهَــتْ *** فَــمَوْصُــولٌ بِهَا الْــفَرَجُ الْقَرِيبُ

يا عِبادَ الله، لا تيأسوا، ولا تَقنَطوا، ولا تَتَشاءَموا مهما سُفِكَتِ الدِّماءُ، وسُلِبَتِ الأموالُ، وتَهَدَّمَتِ البُيوتُ، فالكُلُّ عائِدٌ إلى الله تعالى، والحِسابُ على الله تعالى، والفَرَجُ مَوصولٌ بالشَّدائِدِ.

نِسألُ الله تعالى أن يُعَجِّلَ الفَرَجَ، وأن لا يُحَمِّلَنا ما لا طاقَةَ لنا به. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** *

343ـ خطبة الجمعة: السر في الهم والغم والكرب الذي أصاب الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، إنّ الذي يَنظُرُ في حالِ الأمَّةِ وابتِلاءاتِها في أيّامِنا هذهِ يَعتَقِدُ اعتِقاداً جازِماً أنّ الذينَ يَتحَكّمونَ في مُقَدَّراتِ الأمَّةِ ومَصيرِها إنّما هُم مُفرِطونَ بِحُقوقِ الله تعالى، مُضَيِّعونَ للأمانَةِ التي بينَ أيديهِم، باعوا دِينَهُم بِعَرَضٍ من الدُّنيا قليلٍ، وباعوا أنفُسَهُم للأهواءِ ولِشَياطينِ الإنسِ والجِنِّ، هؤلاءِ حِسابُهُم على الله تعالى،

ويَجِبُ عليهِم أن يَعلَموا بأنّ اللهَ تعالى ليسَ بغافِلٍ عنهُم، فَضلاً عن أن يُعجِزوهُ، ولكن لِحِكمَةٍ يُمهِلُهُم.

حالُ أكثَرِ الأمَّةِ اليَومَ:

أيُّها الإخوة الكرام: ولو التَفَتنا إلى من حَولَنا من النّاسِ في هذا البَلَدِ الحَبيبِ، فلا نَجِدُ فيهِم إلا المَنكوبَ المَكروبَ المَهمومَ المَغمومَ، قد وَقَعَ على أكثَرِهِمُ الهَمُّ والغَمُّ والكَربُ الشّديدُ.

هذا فَقَدَ حَبيباً لهُ، وهذا خُطِفَ وَلَدُهُ، وهذا قُتِلَت زوجَتُهُ ووَلَدُهُ، وهذا تَهَدَّمَ بَيتُهُ، وهذا خُرِّبَ مَصنَعُهُ ومَنشَأتُهُ، وهذا سُلِبَ مالُهُ، وهذا لا يَستَطيعُ أن يَصِلَ إلى مَكانِ عَمَلِهِ، وهذا رُمِّلَت زوجَتُهُ ويُتِّمَ أولادُهُ، وهذا وهذا، الكُلُّ في كَربٍ وحُزنٍ، الكُلُّ مُصابٌ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى، ومن لم يُصَبْ فهوَ خائِفٌ من نُزولِ مُصيبَةٍ به.

لقد بَلَغَ النّاسُ من الهَمِّ والكَربِ والشِّدَّةِ ما لا يُطيقونَ ولا يَحتَمِلونَ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى، لماذا؟ وماذا عليهِم أن يَفعَلوهُ؟

السِّرُّ في هذا الهَمِّ والغَمِّ والكَربِ:

أيُّها الإخوة الكرام: السِّرُّ في هذا الهَمِّ والغَمِّ والكَربِ العَظيمِ الذي أصابَ الأمَّةَ اليَومَ، أنّهُم ما عَرَفوا طَبيعَةَ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، ولو عَرَفوا طَبيعَةَ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا لهانَت عليهِمُ المَصائِبُ.

أَيُّها الإخوة الكرام: هذا سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُعَرِّفُنا على طَبيعَةِ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا:

أولاً: لا تُساوي عِندَ الله جَناحَ بَعوضَةٍ، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ».

ثانياً: هذهِ الحَياةُ الدُّنيا يُعطيها اللهُ لمن أَحَبَّ ولمن لا يُحِبُّ، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»

قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا نَبِيَّ الله؟

قَالَ: «غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيث».

ثالثاً: هذهِ الحَياةُ الدُّنيا مَمَرٌّ وليسَت مَقَرّاً، لذلكَ كانَ يَقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رواه الترمذي عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ولذلكَ كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لا يَعبَأُ بها، فعِندَما دَخلَ عليه سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ وكانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُضطَجِعاً على حَصيرٍ، مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ، حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظاً مَصْبُوباً، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ.

يَقولُ سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ، فَبَكَيْتُ.

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُبْكِيكَ؟»

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ الله.

فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُم الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ».

وفي رواية الشَّيخان قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا».

رابعاً: الدُّنيا بالنِّسبَةِ للمؤمنِ سِجنٌ، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

وهل رَأَيتُم سَجيناً مُرتاحاً في سِجنِهِ؟

المؤمنُ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا في سِجنٍ لأنَّهُ مُقَيَّدٌ بقُيودِ الشَّريعَةِ، ولأنَّهُ مُكَلَّفٌ من قِبَلِ مَولانا بِفِعلِ المَأموراتِ، وتَركِ المَحظوراتِ، وهذا ثَقيلٌ على النَّفسِ الأمَّارَةِ بالسُّوءِ.

المؤمنُ في الحَياةِ الدُّنيا في سِجنٍ لأنَّهُ مُبتَلى، قال تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين﴾.

المؤمنُ في الحَياةِ الدُنيا في سِجنٍ لأنَّهُ دائِمُ الخَوفِ من الله تعالى كيفَ سَيَخرُجُ من هذا السِّجنِ، هل سَيَخرُجُ على طاعَةٍ أم على مَعصِيَةٍ؟

المؤمنُ في الحَياةِ الدُنيا في سِجنٍ لأنَّهُ عَرَفَ يقيناً بأنَّهُ لا رَاحَةَ له إلا بِلِقاءِ ربِّهِ عزَّ وجلَّ.

يا عبادَ الله، من عَرَفَ طَبيعَةَ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا هانَت عليه مَصائِبُها.

ماذا على العَبدِ أن يَفعَلَ ساعَةَ الهَمِّ والغَمِّ والكَرب:

أيُّها الإخوة الكرام: ماذا على العَبدِ أن يَفعَلَ ساعَةَ الهَمِّ والغَمِّ والكَربِ بِسَبَبِ الابتِلاءِ؟

أولاً: أن يَكونَ مُتَفائِلاً شاكِراً عِندَ الشَّدائِدِ والمِحَنِ، لأنَّ الشَّدائِدَ والمِحَنَ تَكشِفُ طَبائِعَ النَّاسِ ومَعادِنَهُم، ولولا الشَّدائِدُ لما ظَهَرَت طَبائِعُ النَّاسِ ومَعادِنُهُم، بل يَبقى حالُهُم مَستوراً.

بالشّدائِدِ والابتِلاءاتِ يَظهَرُ المُستَقيمُ من المُنحَرِفِ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائِلُ: ﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾. فالشّدائِدُ والابتِلاءاتُ تُظهِرُ طَبيعَةَ المؤمنِ الذي يَقولُ: إلهي أنت مَقصودي، ورِضاكَ مَطلوبي، فلا يُغَيِّرُ ولا يُبَدِّلُ قَيدَ أُنمُلَةٍ، كما تُظهِرُ الدَّعِيَّ غَيرَ الصّادِقِ في التِزامِهِ.

أن لا يَجزَعَ لِحَوادِثِ الدَّهرِ، يا صاحِبَ الابتِلاءِ لا تَجزَعْ، لأنَّ الجَزَعَ لا يَرُدُّ المُصيبَةَ بل يُضاعِفُها، ولا يُزيلُ الهَمَّ بل يَزيدُهُ.

لا تَجزَعْ، لأنَّ الجَزَعَ ليسَ من صِفاتِ المؤمنِ.

لا تَجزَعْ، لأنَّ الجَزَعَ لا يُرضي الرَّبَّ تبارَكَ وتعالى، بل يُرضي الشَّيطانَ.

لا تَجزَعْ، لأنَّ الجَزَعَ لا يَسُرُّ الصَّديقَ، بل يَسُرُّ العَدُوَّ.

لا تَجزَعْ، لأنَّ القَدَرَ وَقَعَ، فإن رَضيتَ كُنتَ عِندَ الله مَحموداً، وإن لم تَرضَ ـــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ كُنتَ عِندَ الله مَذموماً.

لا تَجزَعْ، لأنَّ الجَزَعَ قد يَكونُ سَبَباً في الرِّدَّةِ، والعِياذُ بالله تعالى، هل نَسيتَ أيُّها المؤمنُ قَولَ الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

لا تَجزَع ولكَ رَبٌّ، لا تَقُل: يا ربِّ إنَّ الكَربَ عَظيمٌ، ولكن قِفْ سَحَراً وقُل: يا كَربُ لِيَ ربٌّ عَظيمٌ، وهوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

ثالثاً: أن لا يَنظُرَ إلى ما أُخِذَ منهُ، يا صاحِبَ الابتِلاءِ لا تَنظُر إلى ما أُخِذَ منكَ، بل انظُر إلى ما أبقى اللهُ تعالى لكَ، هذا سيِّدُنا عُروَةُ بنُ الزّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ بُتِرَت رِجلُهُ، وفَقَدَ وَلَدَهُ، فقال: إن أخَذَ اللهُ عُضواً فقد تَرَكَ أعضاءً، وإن أخَذَ ولداً فقد تَرَكَ أولاداً.

لا تَنظُر إلى ما أخِذَ منكَ، ولكن انظُر إلى ما أبقى اللهُ لكَ، ألم يُبقِ لكَ لِساناً ذاكِراً، وقَلباً شاكِراً، وعَيناً دامِعَةً؟ ألم يُبقِ لكَ الإيمانَ الذي هوَ سِرٌّ سَعادَتِكَ؟ ألم يَشرَحْ صَدرَكَ للإسلامِ؟ ألم يُبقِ لكَ الطّاعَةَ التي هيَ سَبَبٌ لِدُخولِكَ الجَنَّةَ؟

رابعاً: أن لا يَنسَ يومَ القِيامَةِ، يا صاحِبَ الابتِلاءِ لا تَنسَ يومَ القِيامَةِ، فهوَ مِيعادُ الجَميعِ ــ جَميعِ المَخلوقاتِ ــ فالموتُ يَعُمُّ الجَميعَ، الحاكِمَ والمَحكومَ، والظّالِمَ والمَظلومَ، والقَوِيِّ والضَّعيفَ، والطّائِعَ والعاصي، الموتُ يَعُمُّنا، والقَبرُ يَضُمُّنا، والقِيامَةُ تَجمَعُنا، واللهُ تعالى يَفصِلُ بَينَنا.

الإيمانُ بِيَومِ القِيامَةِ يُذهِبُ الهُمومَ والأحزانَ والأكدارَ، وكم من القَضايا حُوِّلَت من أمامِ القَضاءِ البَشَرِيِّ إلى يومِ القَضاءِ بينَ يَدَي الله تعالى أحكَمِ الحاكمينَ.

ففي يومِ القِيامَةِ يَقولُ المَظلومُ: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

وفي يومِ القِيامَةِ سَيَذهَلُ المُجرِمُ، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

هؤلاءِ الذينَ أجرَموا في سَفكِ الدِّماءِ البَريئةِ، وارتَكَبوا الجَرائِمَ، سوفَ يَندَمونَ ولا يَنفَعُهُمُ النَّدَمُ، فإن ضَحِكوا في الحَياةِ الدُّنيا من الذينَ آمَنوا فإنَّ الجَزاءَ من جِنسِ العَمَلِ يومَ القِيامَةِ، فسوفَ يَضحَكُ منهُمُ المؤمنونَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون﴾. هذا في الحَياةِ الدُّنيا، أمَّا في الآخِرَةِ يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُون * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُون * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون﴾.

خامساً: أن لا يَنسَ قَولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾. يا صاحِبَ الابتِلاءِ لا تَنسَ هذهِ الآيَةَ الكريمَةَ، وافعَل كما فَعَلَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما عِندَما بَلَغَهُ وفاةُ ابنِهِ، وهوَ في سَفَرٍ، تَنَحَّى عن الطَّريقِ، ونَزَلَ وصَلَّى رَكعَتَينِ، ثمَّ قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعون.

ثمَّ قال: هكذا أُمِرنا.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عِبادَ الله، الهُمومُ سَيطَرَت على القُلوبِ بِسَبَبِ المَصائِبِ التي أُصيبَ بها الإنسانُ، هُمومٌ وأكدارٌ، وغُمومٌ وأحزانٌ لِفَقدِ عَرَضٍ من أعراضِ الدُّنيا، وهذا أمرٌ طَبيعِيٌّ في الإنسانِ، لأنَّهُ مَخلوقٌ ضَعيفٌ.

ولكن لِنَتَساءَل معَ أنفُسِنا: هل أصابَنا هذا الهَمُّ والغَمُّ والكَربُ عِندَما نَفقِدُ شيئاً من دِينِنا؟ هل إذا فاتَتنا رَكعَتا الفَجرِ اللَّتانِ هُما خَيرٌ من الدُّنيا بما فيها، يُصيبُنا هذا الهَمُّ والغَمُّ؟

هل إذا فاتَتنا تِلاوَةُ القُرآنِ العَظيمِ يُصيبُنا هذا الهَمُّ والغَمُّ؟

هل إذا فاتَتنا مَجالِسُ العِلمِ والذِّكرِ والصَّلاةِ على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُصيبُنا هذا الهَمُّ والغَمُّ؟

هل إذا فاتَتنا الطّاعاتُ، وَوَقَعنا في المُخالِفاتِ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى يُصيبُنا هذا الهَمُّ والغَمُّ؟

يا عبادَ الله، لِنَجعَل لهذا الدِّينِ حَظّاً في قُلوبِنا، ولا نَجعَلِ الدُّنيا هي المالِكَةُ لهذِهِ القُلوبِ، هذهِ الدُّنيا لن تَدومَ لنا، وإن دامَت لنا فلن نَدومَ لها.

يا عبادَ الله، تَذَكَّروا حديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الشيخان عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ». فاحرِصوا على العَمَلِ الباقي معَكُم.

يا عبادَ الله، تَذَكَّروا قَولَ سيِّدِنا جبريلَ عليهِ السَّلامُ لسيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: يا مُحَمَّد، عِشْ ما شِئتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ، وأحبب من أحبَبتَ فإنَّكَ مُفارِقُهُ، واعمَل ما شِئتَ فإنَّكَ مَجزِيٌّ به، يا مُحَمَّد، شَرَفُ المؤمِنِ قِيامُ اللَّيلِ، وعِزُّهُ استِغناؤُهُ عن النَّاسِ. رواه الحاكم عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا صاحِبَ الهَمِّ والغَمِّ والقَلبِ الكَسيرِ، تَذَكَّر قَولَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ عَنْ عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

وفي روايةٍ عن سعدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

فَقَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

اللَّهُمَّ فارِجَ الهَمِّ، كاشِفَ الغَمِّ، مُجيبَ دَعوَةِ المُضطَرِّينَ، فَرِّج عنَّا ما نحنُ فيه عاجِلاً غَيرَ آجِلٍ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

344ـ خطبة الجمعة: صفات من يفكر في الصلح بين الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، عِندَ جَميعِ عُقَلاءِ النَّاسِ، الشَّرُّ لا يُطفَأُ بالشَّرِّ، والنَّارُ لا تُطفَأُ بالنَّارِ، والظُّلمُ لا يُرفَعُ بالظُّلمِ، عِندَ جَميعِ العُقَلاءِ، الشَّرُّ لا يُطفَأُ إلا بالخَيرِ، والنَّارُ لا تُطفَأُ إلا بالخَيرِ، والظُّلمُ لا يُرفَعُ إلا بالخَيرِ، ولا خَيرَ إلا في الصُّلحِ، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

صِفاتُ مَن يُفكِّرُ في الصُّلحِ بَينَ النَّاسِ:

أيُّها الإخوة الكرام: مَن يُفكِّرُ في الصُّلحِ بَينَ النَّاسِ إذا اختَلَفوا؟ مَن يُفكِّرُ في الصُّلحِ بَينَ النَّاسِ إذا تَشاجَروا؟ مَن يُفكِّرُ في الصُّلحِ بَينَ النَّاسِ إذا تَقاتَلوا؟ لا يُفكِّرُ في الصُّلحِ بَينَ النَّاسِ إلا من اتَّصَفَ بِصِفاتِ الكَمالِ، والتي من جُملَتِها:

أولاً: إنَّهُم أُناسٌ صَفَت قُلوبُهُم، وسَمَت أرواحُهُم، وتَحَلّوا بالأخلاقِ السَّامِيَةِ.

ثانياً: إنَّهُم أُناسٌ أحَبُّوا الخَيرَ، وكَرِهوا الشَّرَّ والخِلافَ والتَّنابُزَ.

ثالثاً: إنَّهُم أُناسٌ عَرَفوا حُرمَةَ الدِّماءِ، وحُرمَةَ الأموالِ، وحُرمَةَ الأعراضِ.

رابعاً: إنَّهُم أُناسٌ عَرَفوا الوَفاءَ للنَّاسِ جَميعاً، وتَأَسَّوا بسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

خامساً: إنَّهُم أُناسٌ عَرَفوا الوَفاءَ للوَطَنِ ولأهلِهِ، مُتَأسِّينَ بسيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

سادساً: إنّهُم أُناسٌ عَرَفوا حُبَّ الخَيرِ للآخَرينَ.

سابعاً: إنّهُم أُناسٌ فَهِموا قَولَ الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

ثامناً: إنّهُم أُناسٌ فَهِموا قَولَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

تاسعاً: إنّهُم أُناسٌ فَهِموا حَديثَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائِلِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» رواه الشيخان عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أتَساءَلُ معَ أهلِ بَلَدي:

أيُّها الإخوة الكرام: وأنا أتَساءَلُ معَ أهلِ بَلَدي، أهلِ سوريّا، أهلِ بِلادِ الشّامِ، أسئِلَةً بِوُضوحٍ لا غُموضَ فيها:

أولاً: هل حُكّامُ العَرَبِ والمسلِمينَ صَفَت قُلوبُهُم، وسَمَت أخلاقُهُم، حتّى تَتَوَقّعوا منهُمُ الصُّلحَ بَينَ النّاسِ؟

ثانياً: هل حُكّامُ العَرَبِ والمسلِمينَ يُحِبّونَ الخَيرَ للآخَرينَ، ويَكرَهونَ الشَّرَّ، حتّى تَتَوَقّعوا منهُمُ الصُّلحَ بَينَ النّاسِ؟

ثالثاً: هل حُكّامُ العَرَبِ والمسلِمينَ عَرَفوا حُرمَةَ الدِّماءِ والأعراضِ والأموالِ، حتّى

تَتوَقَّعوا منهُمُ الصُّلحَ بَينَ النَّاسِ؟

رابعاً: هل حُكَّامُ العَرَبِ والمسلِمينَ عَرَفوا الوَفاءَ لأوطانِهم وأهلِهِم، حتَّى تَتوَقَّعوا منهُمُ الصُّلحَ بَينَ النَّاسِ؟

خامساً: هل حُكَّامُ العَرَبِ والمسلِمينَ عَرَفوا يَتَذَكَّرونَ قَولَ الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾. ويَتَذَكَّرونَ قَولَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. ويَتَذَكَّرونَ قَولَ الله تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾. ويَتَذَكَّرونَ قَولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». حتَّى تَتوَقَّعوا منهُمُ الصُّلحَ بَينَ النَّاسِ؟

أَيُّها الإخوة الكرام: إنَّ حُكَّامَ العَرَبِ والمسلِمينَ بُرَآءُ من ذلكَ، وإذا كانَ هذا حالُهُم فَحالُ الغَربِ من بابِ أَولَى وأَولَى.

<u>يا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبيب:</u>

أينَ الذينَ يَبتَغونَ رِضا الله تعالى؟ وأينَ الذينَ يَبتَغونَ الأجرَ من الله تعالى؟ وأينَ الذينَ يُفكِّرونَ في الإصلاحِ بَينَ النَّاسِ؟ وأينَ الذينَ يُصلِحونَ بَينَ النَّاسِ؟

يا عبادَ الله، ربُّنا عزَّ وجلَّ يُصلِحُ بَينَ عِبادِهِ، فهل أسرَعَ أصحابُ الحَلِّ والعُقَدِ، أصحابُ العُقولِ السَّليمَةِ للإصلاحِ بَينَ النَّاسِ؟

روى الحاكم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟

فَقَالَ: «رَجُلَانِ جَثَيَا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلِمَتِي مِنْ أَخِي.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلِمَتَهُ.

قَالَ: يَا رَبِّ، لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ؟ لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ.

قَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي»

قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ.

ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ يَحْتَاجُ فِيهِ النَّاسُ إِلَى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ.

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ، فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ.

فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ، وَقُصُوراً مَنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ، لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا؟ لِأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا؟ لِأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟

قَالَ: هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ.

قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟

قَالَ: أَنْتَ تَمْلِكُهُ.

قَالَ: بِمَاذَا يَا رَبِّ؟

قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ.

قَالَ: يَا رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

يا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ: إن فَقَدنا المُصلِحينَ من حُكّامِ العَرَبِ والمسلِمينَ، فهل فَقَدنا المُصلِحينَ من أهلِ بَلَدِنا؟ قُوموا للإصلاحِ، كفانا سَفكاً للدِّماءِ البَريئَةِ، وتَهديماً للبُيوتِ الآمِنَةِ، وقَتلاً للأبرياءِ، وتَرويعاً للآمِنينَ، وتَهجيراً للعَوائِلِ.

<u>أتَوَجَّهُ إلى المُتَقاتِلينَ في هذا البَلَدِ الحَبيبِ لأقولَ لَهُم:</u>

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

لأقولَ لَهُم: ألم يأنِ لكُم أن تَضَعوا السِّلاحَ جانِباً ثمّ تُحَكِّموا شَرعَ الله تعالى

فيكُم؟ وإن أَبَيتُم فَحَكِّموا العَقلَ.

لأقولَ لهُم: إلى أينَ تَسيرونَ بهذا البلَدِ؟ وعلى حِسابِ من هذا هذهِ الدِّماءُ البَريئَةُ التي سُفِكَت؟ وعلى حِسابِ من هذهِ الدِّماءُ التي أُريقَت؟ وعلى حِسابِ من هذهِ الأموالُ التي أُتلِفَت؟

لأقولَ لهُم: أما عَرَفتُم حُكّامَ الغَربِ والشَّرقِ؟

حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ خَدَعوا حُكّامَ العَرَبِ والمسلِمينَ بالوُعودِ والأمانِي، ثمّ في نِهايَةِ المَطافِ قَتَلوهُم.

حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ خَدَعوا المَحكومينَ من العَرَبِ والمسلِمينَ بالوُعودِ والأمانِي، ثمّ في نِهايَةِ المَطافِ سَفَكوا دِماءَهُم، وهَدَّموا بُيوتَهُم، وسَلَبوا خَيراتِهِم.

حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ ما عَرَفوا إلا الدِّينارَ والدِّرهَمَ ومَصالِحَهُمُ الخاصَّة.

حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ أرادوا أن يَتَخَلَّصوا من الشِّرذِمَةِ القَذِرَةِ من اليَهودِ، فَجَعَلوا وَطَنَهُم في فلسطينَ، ومن أجلِهِم خَدَعوا حُكّامَ العَرَبِ والمسلِمينَ ومَحكوميهِم.

هل حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ يَعشَقونَ إسلامَنا؟

هل حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ حَريصونَ على دِمائِنا وأعراضِنا وأموالِنا؟

هل حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ حَريصونَ على تَماسُكِنا وأُلفَتِنا واتِّحادِنا؟

هل حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ حَريصونَ على مَصالِحنا؟

حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ لا يَرضَونَ لنا القِيَمَ ولا الأخلاقَ، ولا يَرضَونَ لنا الإسلامَ، حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ يُريدونَ منّا أن نَميلَ مَيلاً عَظيماً.

خاتِمَةٌ ــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

أيُّها الإخوة المُتَقاتِلونَ: لِنَصحوا من غَفلَتِنا، ولنعتَبِر من دُوَلٍ مُجاوِرَةٍ وغَيرِ مُجاوِرَةٍ.

يا أيُّها الإخوة المُتَقاتِلونَ: الوَطَنُ وَطَنُنا، والأرضُ أرضُنا، والبَلَدُ بَلَدُنا.

يا أيُّها الإخوة المُتَقاتِلونَ: على حِسابِ من هذهِ الدِّماءُ التي سُفِكَت؟ وعلى حِسابِ من هذهِ الأموالُ التي أُتلِفَت؟

يا أيُّها الإخوة المُتَقاتِلونَ: كُلُّنا سَيَخرُجُ من هذهِ الدُّنيا، فما نحنُ قائِلونَ للهِ عزَّ وجلّ؟

يا أيُّها الإخوة المُتَقاتِلونَ: باللهِ عليكُم أوقِفوا هذا القِتالَ رَحمَةً بِسَوادِ الأمَّةِ.

أسأَلُ اللهَ تعالى الذي قُلوبُ العِبادِ بَينَ أُصبُعَينِ من أصابِعِهِ، أن يَجعَلَ القُلوبَ مُتَآلِفَةً مُتَعانِقَةً، وأن يُلهِمَ الجَميعَ للاحتِكامِ لِكتابِ اللهِ تعالى، وإلا فللعَقلِ.

أسأَلُ اللهَ تعالى الرُّشدَ لنا جَميعاً. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

345ـ خطبة الجمعة: أناشدكم اللّه يا أهل سوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، المؤمنُ الحَقُّ هوَ من تَطابَقَت أقوالُهُ معَ أفعالِهِ، المؤمنُ الحَقُّ هوَ من جاءَت أفعالُهُ مُصَدِّقَةً لأقوالِهِ، وقالوا: من ادَّعى ما ليسَ فيهِ كَشَفَتْهُ شَواهِدُ الامتِحانِ.

يا عبادَ الله، سيِّدُنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قالَ عن ذاتِهِ الشَّريفَةِ: «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّما أنا رَحمَةٌ مُهداةٌ» رواه الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ

لَعَّاناً، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وقالَ تَبارَكَ وتعالى عن الحَبيبِ الأعظَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

صُوَرٌ من رَحمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أَيُّها الإخوة الكرام: لِنَنْظُرْ في سِيرَةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حتّى نَتَعَرَّفَ عن رَحمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

أولاً: غَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِندَما فُرِّقَ بَينَ طائِرٍ صَغيرٍ وَوَلَدَيهِ، روى أبو داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الله عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً ـــ طَائِرٌ صَغيرٌ كالعُصفورِ ـــ مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَت الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ ـــ تَرتَفِعُ وتُظَلِّلُ بِجَناحَيها من تَحتِها ـــ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا».

ثانياً: حَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من قَتلِ عُصفورٍ عَبَثاً، روى الإمام أحمد عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّرِيدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً عَجَّ ـــ شَكا بِصَوتٍ عالٍ ـــ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلَاناً قَتَلَنِي عَبَثاً، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ».

ثالثاً: كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَتجَوَّزُ في صَلاتِهِ رَحمَةً بالمرأةِ إذا بَكى وَلَدُها الصَّغيرُ، روى الإمام البخاري عَنْ أَبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي، كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ».

أينَ الرَّحمَةُ بَينَنا؟

يا أَيَّتُها الأمَّةُ التي تَدَّعي بأنَّ نَبيَّها سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أينَ هذهِ الرَّحمَةُ بَينَنا؟

لقد غَضِبَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِندَما فُرِّقَ بَينَ طَائِرٍ صَغيرٍ وَوَلَدَيهِ، وحَذَّرَ من قَتلِ عُصفورٍ صَغيرٍ بِغَيرِ حَقٍّ، وكانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُقصِرُ صَلاتَهُ إذا سَمِعَ بُكاءَ طِفلٍ رَحمَةً بأمِّهِ.

يا عبادَ الله، لا أقولُ كم من عُصفورٍ قُتِلَ في هذهِ الأزمَةِ بِغَيرِ حَقٍّ؟ ولكن أقولُ: كم من طِفلٍ صَغيرٍ قُتِلَ بغَيرِ حَقٍّ؟ وكم فُرِّقَ بَينَ أبناءٍ وآبائِهِم بِغَيرِ حَقٍّ؟ فأينَ الرَّحمَةُ بَينَنا يا من نَقولُ صَباحَ مَساءَ: رَضينا بالله تعالى ربًّا، وبالإسلامِ دِيناً، وبالقُرآنِ إماماً، وبسيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبيًّا ورَسولاً؟

يا عبادَ الله، أينَ الشَّفَقَةُ والرَّحمَةُ بَينَنا عِندَما نَسمَعُ بُكاءَ الأطفالِ والنِّساءِ والرِّجالِ والمَرضى؟ هل قَسَتِ القُلوبُ إلى دَرَجَةٍ نُزِعَت منها الرَّحمَةُ كُلِّيًّا، والتي هيَ عُنوانُ الشَّقاءِ؟ يا أهلَ سوريًّا على كُلِّ المُستوَياتِ، أينَ خُلُقُ الرَّحمَةِ فينا؟

أيُّها المُتَقاتِلونَ، أناشِدُكُمُ اللهَ:

أيُّها المُتَقاتِلونَ في هذا البَلَدِ الحَبيبِ، أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى كُفُّوا عن القِتالِ، أناشِدُكُمُ اللهَ والرَّحِمَ كُفُّوا عن القِتالِ، أناشِدُكُمْ دِينَكُم الذي في صُدورِكُم كُفُّوا عن القِتالِ، أناشِدُكُمُ اللهَ وحُبَّكُم له كُفُّوا عن القِتالِ، أناشِدُكُمُ إخلاصَكُم كُفُّوا عن القِتالِ، أناشِدُكُمُ طاعَتَكُم لله ولِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كُفُّوا عن القِتالِ، أناشِدُكُمُ تَعظيمَكُم لأوامِرِ الله ولأوامِرِ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كُفُّوا عن القِتالِ، أناشِدُكُمُ تَصديقَكُم بِوَعدِ الله وَوَعيدِهِ كُفُّوا عن القِتالِ، أناشِدُكُمُ إيمانَكُم بأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وأنَّ النّارَ حَقٌّ كُفُّوا عن القِتالِ.

أناشِدُكُمُ اللهَ الذي رَفَعَ السَّماءَ بِغَيرِ عَمَدٍ، وبَسَطَ الأرضَ، وأسبَغَ عَلَيكُم نِعَمَهُ ظاهِرَةً وباطِنَةً كُفُّوا عن القِتالِ.

أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى القائِلَ: ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُون * لِيَوْمٍ عَظِيم * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِين﴾. كُفُّوا عن القِتالِ.

أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى القائِلَ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾. كُفُّوا عن القِتالِ.

أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى القائِلَ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ واللهُ

رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾. كُفُّوا عن القِتالِ.

أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى القائِلَ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾. كُفُّوا عن القِتالِ.

أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى القائِلَ: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون﴾. كُفُّوا عن القِتالِ.

أيُّها المُتَقاتِلونَ:

أيُّها المُتَقاتِلونَ، تَعِبَتِ الأمَّةُ، شَقِيَتِ الأمَّةُ، جاعَتِ الأمَّةُ، كادَت أن تُفتَنَ في دِينِها إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى، سُفِكَتِ الدِّماءُ البَريئَةُ، هُدِّمَتِ البُيوتُ، انتُهِكَتِ الأعراضُ، أُتلِفَتِ الأموالُ.

أيُّها المُتَقاتِلونَ، إنَّ هذهِ الدِّماءَ دِماءُ إخوانِكُم، والبُيوتَ بُيوتُ إخوانِكُم، والأعراضَ أعراضُ إخوانِكُم، والأموالَ أموالُ إخوانِكُم.

أيُّها المُتَقاتِلونَ، اِرحَموا سَوادَ الأمَّةِ، اِرحَموا الأطفالَ، اِرحَموا النِّساءَ، اِرحَموا المَرضى، اِرحَموا الشُّيوخَ العُجَّزَ، اِرحَموا العُمَّالَ والمُوَظَّفينَ أصحابَ الدَّخلِ المَحدودِ، اِرحَموا الطُّلّابَ، اِرحَموا إخوانَكُم باللهِ عَلَيكُم.

أيُّها المُتَقاتِلونَ، النّاسُ يُريدونَ لُقمَةَ الحَلالِ، لا يُريدونَ الحَرامَ، أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى كُفُّوا عن القِتالِ.

اُذكُروا نِعمَةَ اللهِ تعالى عَلَيكُم:

أيُّها المُتَقاتِلونَ، أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى كُفُّوا عن القِتالِ، وتَذَكَّروا قَولَ اللهِ تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى كُفُّوا عن القِتالِ، واقطَعوا الطَّريقَ على حُكّامِ الشَّرقِ والغَربِ الذينَ لا يَرعَونَ في المؤمنينَ ولا في العَرَبِ إلّاً ولا ذِمَّةً.

حُكّامُ الشَّرقِ والغَربِ، واللهِ لا يُريدونَ مَصلَحَتَنا، ولا يُريدونَ حَقْنَ دِمائِنا، ولا يُريدونَ سَلامَةَ مُمتَلَكاتِنا، ولا سَلامَةَ أعراضِنا، ولا سَلامَةَ أموالِنا.

حُكّامُ الشَّرقِ والغَربِ يَلعَبونَ بالأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ والإسلامِيَّةِ كما يَلعَبُ الأولادُ بالكُرَةِ، يُريدونَ أن يُطفِئوا نورَ اللهِ فينا، يُريدونَ أن نَميلَ مَيلاً عَظيماً، يُريدونَ هَدْمَ أخلاقِنا وقِيَمِنا.

أيُّها المُتَقاتِلونَ، أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، اِقطَعوا الطَّريقَ على الذينَ قال تعالى فيهِم: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

أيُّها المُتَقاتِلونَ، كُفُّوا عن القِتالِ، فإنّ حُكّامَ الشَّرقِ والغَربِ يُريدونَ الخَيراتِ التي تحتَ أقدامِنا.

أيُّها المُتَقاتِلونَ، أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، اِقطَعوا الطَّريقَ على المَلعونينَ أينَما ثُقِفوا، على المَلعونينَ على لِسانِ داودَ وعيسى ابنِ مَريَمَ، على الذينَ ضُرِبَت عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ والمَسكَنَةُ، وباؤوا بِغَضَبٍ من اللهِ.

واللهِ الذي لا إلهَ غَيرُهُ، حُكّامُ الغَربِ والشَّرقِ لا يُريدونَ الخَيرَ لِطَرَفٍ منكم، هُم حَريصونَ كُلَّ الحِرصِ على مَصالِحِهِم، ومَصالِحِ اليَهودِ.

أناشِدُكُمُ اللهَ تعالى كُفُّوا عن القِتالِ.

يا أهلَ سوريّا في خارِجِ القُطرِ:

أمّا أنتُم يا أيُّها الإخوَةُ السُّورِيُّونَ خارِجَ القُطرِ، لقد أقَمتُم خارِجَ البَلَدِ أنتُم وأزواجُكُم وأولادُكُم تُحبَرونَ، تَنعَمونَ بِنِعمَةِ الأمنِ والأمانِ، أُناشِدُكُمُ اللهَ والرَّحِمَ، اِتَّقوا اللهَ في سَوادِ الأمَّةِ في هذا البَلَدِ، أُناشِدُكُمُ اللهَ والرَّحِمَ، لا تُحَرِّضوا على سَفْكِ الدِّماءِ أكثَرَ من ذلكَ.

أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى القائِلَ في كِتابِهِ العَظيمِ: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

أُناشِدُكُمُ اللهَ والرَّحِمَ، تَذَكَّروا قَولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

أُناشِدُكُمُ اللهَ والرَّحِمَ، يا من أقَمتُم خارِجَ القُطرِ في بِلادٍ عَرَبِيَّةٍ وغَيرِ عَرَبِيَّةٍ، في بِلادِ كُفرٍ وغَيرِها، كُفُّوا عن التَّحريشِ والتَّحريضِ على القِتالِ.

كفانا سَفْكاً للدِّماءِ البَريئَةِ، وإتلافاً للأموالِ والمُمتَلَكاتِ العامَّةِ والخاصَّةِ، ماذا تُريدونَ أكثَرَ من ذلكَ؟ هل تُريدونَ أن يُصبِحَ القُطرُ رُكاماً؟ اِتَّقوا اللهَ تعالى في

أهلِكُم.

يا أهلَ سوريّا في الدّاخِلِ:

أمّا أنتُم يا أهلَ سوريّا في الدّاخِلِ يا سَوادَ الأمّةِ، يا من أقَمتُم داخِلَ هذا البَلَدِ، أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، وأُناشِدُ نَفسي أولاً، لِنَتَساءَلْ معَ أنفُسِنا هل اختَلَفَت أحوالُنا في الأزمَةِ عنها قَبلَ الأزمَةِ؟

هل تَحَوّلنا في الأزمَةِ من حَسَنٍ إلى أحسَنَ، أم من حَسَنٍ إلى سَيِّءٍ؟

أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى أيُّها الإخوَةُ، اِصطَلِحوا معَ الله تعالى، والتَزِموا الطّاعاتِ، واهجُروا المَعاصي والمُنكَراتِ، وتَذَكّروا قَولَ الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾.

أُناشِدُكُمُ اللهَ والرَّحِمَ، تَراحَموا فيما بَينَكُم، وأنتُم أيُّها الباعَةُ، أُناشِدُكُمُ اللهَ والرَّحِمَ، اِرحَموا العِبادَ، فالرّاحِمونَ يَرحَمُهُمُ الرَّحمنُ، اِرحَموا من في الأرضِ، يَرحَمكُم من في السّماءِ.

أُناشِدُ اللهَ الجَميعَ، لِنَرجِعْ إلى الله تعالى، ولنَصطَلِحْ معَ الله أولاً، ثمّ معَ بَعضِنا البَعضِ ثانياً.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عبادَ الله، ربُّنا عزّ وجلّ رحمنٌ رحيمٌ، ونَبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رَحمَةٌ مُهداةٌ، وهوَ أُسوَتُنا وقُدوَتُنا، فلنَتَراحَم فيما بَينَ بَعضِنا البَعضِ،

ولنَقطَعِ الطّريقَ على الذينَ باؤوا بِغَضَبٍ من اللهِ. ما جَرى يَكفينا.

اللّهُمّ فَرِّجْ عنّا ما نحنُ فيه عاجِلاً غَيرَ آجِلٍ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

346ـ خطبة الجمعة: الأمور بخواتيمها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ اللهِ، عَقيدَتُنا أنّ ربّنا فَعّالٌ لما يُريدُ، يَتَصرَّفُ في خَلقِهِ كيفَ يَشاءُ، لا رادَّ لأمرِهِ، ولا مُعَقّبَ لِحُكمِهِ وقَولِهِ وفِعلِهِ، لا يُسألُ عمّا يَفعَلُ وهُم يُسألونَ.

عَقيدَتُنا أنّ ما أصابَنا لم يَكُن لِيُخطِئَنا، وما أخطأنا لم يَكُن لِيُصيبَنا، وما من مُصيبَةٍ إلا بِقَضاءٍ مُبرَمٍ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾. عَقيدَتُنا أنّ الغَيبَ بِيَدِ اللهِ تعالى، ولا يَعلَمُ الغَيبَ إلا اللهُ تعالى.

يا عبادَ اللهِ، الكَثيرُ من النّاسِ في حالَةِ أرَقٍ وقَلَقٍ من الغَيبِ، فمنهُمُ الخائِفُ من المَوتِ، ومنهُمُ الخائِفُ من فِراقِ ما أحَبَّ من عاقِلٍ وغَيرِ عاقِلٍ، وكُلُّنا يَعلَمُ الحَديثَ الشّريفَ الذي رواه الحاكم عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: جَاءَ جبريلُ عَلَيهِ السّلامُ إلى النّبيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا مُحَمّدُ، عِشْ ما شَئتَ فإنّكَ مَيّتٌ، وأحبِبْ من أحبَبتَ فإنّكَ مُفارِقُهُ.

لماذا الأرَقُ والقَلَقُ على ما سَنُفارِقُهُ أو سَيُفارِقُنا؟

يا عبادَ اللهِ، لماذا الأرَقُ والقَلَقُ والخَوفُ على ما سَنُفارِقُهُ أو سَيُفارِقُنا؟

جُلُّ الأرَقِ والقَلَقِ والخَوفِ على الدُّنيا، وهل رَأَيتُم في هذهِ الأزمَةِ من يَأرَقُ

ويَقلَقُ ويَخافُ من سُوءِ الخَاتِمَةِ؟

أهَمٌّ وأعظَمُ وأخطَرُ عُمُرِ الإنسانِ آخِرُهُ، فأينَ من يَخافُ سُوءَ الخَاتِمَةِ؟ أينَ من يُفَكِّرُ ويَأرَقُ ويَقلَقُ من أجلِ حُسنِ الخَاتِمَةِ؟

أهَمٌّ عُمُرِكَ وأعظَمُهُ وأخطَرُهُ عِندَ الخَاتِمَةِ، فإن خُتِمَ للعَبدِ على خَيرٍ وصَلاحٍ فهوَ في نَعيمٍ لا يَنفَدُ، وقُرَّةِ عَينٍ لا تَنقَطِعُ، ومُرافَقَةٍ لِنَبِيِّنا سيِّدِنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وإن خُتِمَ له على غَيرِ ذلكَ خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَةَ، وانتَقَلَ إلى عَذابٍ مُقيمٍ لا يُتَصَوَّرُ.

فَكِّرْ في خَاتِمَتِكَ:

يا أيُّها الكَئيبُ الحَزينُ فَكِّرْ في خَاتِمَتِكَ، واسمَعْ ما روى الشيخان عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا».

فَكِّرْ في خَاتِمَةِ حَياتِكَ، هل خَاتِمَتُكَ إلى جَنَّةٍ أبداً، أم إلى نارٍ أبداً؟ يا ربِّ نَسأَلُكَ حُسنَ الخِتامِ، وأن تَجعَلَ خَيرَ أعمالِنا خَواتِيمَها، وخَيرَ أيَّامِنا يومَ نَلقاكَ.

روى الإمام البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ.

فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».

فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَقَالَ: بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا».

يا عبادَ الله، المَوتُ آتينا، والمُقَدَّرُ كائِنٌ لا يَنمَحي، فلا نأرَقْ ولا نَقلَقْ على هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، ولنَجعَلْ هَمَّنا واهتِمامَنا وأرَقَنا وقَلَقَنا في حُسنِ الخَاتِمَةِ، ونحنُ نَتَذَكَّرُ قَولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

ونحنُ نَتَذَكَّرُ قَولَ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يَصِفُ حالَ النّاسِ جَميعاً فَيقولُ: «وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِناً وَيَحْيَا مُؤْمِناً وَيَمُوتُ كَافِراً» رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وقَولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ، فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِن الدُّنْيَا» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

حالُ سَلَفِ الأمَّةِ:

يا عبادَ الله، سَلَفُ الأمَّةِ أرِقوا وقَلِقوا خَوفاً من سُوءِ الخَاتِمَةِ، فهذا سُفيانُ الثّوريُّ يَبكي ويَقولُ: أخافُ أن أكونَ في أمِّ الكِتابِ شَقِيّاً، أخافُ أن أُسلَبَ الإيمانَ عِندَ المَوتِ.

وهذا مالِكُ بنُ دينارَ كانَ يَقومُ طُولَ اللّيلِ قابِضاً على لِحيَتِهِ، ويَقولُ: يا ربِّ، قد عَلِمتَ ساكِنَ الجَنَّةِ من ساكِنِ النّارِ، ففي أيِّ الدّارَينِ مَنزِلُ مالِكٍ؟

وهذا الإمامُ الشّافِعِيُّ يَدخُلُ عَلَيهِ المُزَنيُّ في مَرَضِهِ الذي تُوُفِّيَ فيهِ، فقال لهُ: كيفَ أصبَحتَ يا أبا عَبدِ الله؟

فقال الشّافِعِيُّ: أصبَحتُ من الدُّنيا راحِلاً، وللإخوانِ مُفارِقاً، ولِسُوءِ عَمَلي مُلاقِياً، ولِكَأسِ المَنِيَّةِ شارِباً، وعلى الله وارِداً، ولا أدري أروحي تَصيرُ إلى الجَنَّةِ فَأُهَنِّيها، أم إلى النّارِ فَأُعَزِّيها؟

ثمّ أنشَأَ يَقولُ:

ولَمَا قَسَا قَلْبِي وضَاقَتْ مَــذَاهِبِــي *** جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لعَفْوِك سُلَّمَا

تَــعَــاظَــمَــنِي ذَنْــبِي فَــلَــمَّا قَــرَنْــتُهُ *** بعَفْوِكَ رَبِّي كَــانَ عَــفْوُكَ أَعْظَمَا

فَمَا زِلتَ ذا عَفْوٍ عن الذّنبِ لم تَزَلْ *** تَجُــودُ وتَــعْفُــو مِــنَّةً وتَــكَرُّمَــا

وهذا عَبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ، العالِمُ العابدُ الزّاهِدُ المُجاهِدُ حينما جاءَتْهُ الوَفاةُ اشتَدَّت عَلَيهِ سَكَراتُ المَوتِ ثمّ أفاقَ، ورَفَعَ الغِطاءَ عن وَجهِهِ وابتَسَمَ قائِلاً: لِمِثلِ هذا فَليَعمَلِ العامِلونَ، لا إلهَ إلا اللهُ؛ ثمّ فاضَت رُوحُهُ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عبادَ اللهِ، كُلُّ ما كانَ لهُ بِدايةً فلهُ نِهايَةٌ، الأزمَةُ كانَت لها بِدايَةٌ، فكونوا على يَقينٍ بأنّ لها نِهايَةً، الدُّنيا كانَت لها بِدايَةٌ، فكونوا على يَقينٍ بأنّ لها نِهايَةً، وكُلُّ واحِدٍ منّا كانَت لهُ بِدايَةٌ، وهوَ على يَقينٍ بأنّ لهُ نِهايَةً.

ولكن هُناكَ فارِقٌ بَينَ نِهايَةٍ ونِهايَةٍ، واحِدٌ نِهايَتُهُ إلى جَنّةٍ عَرضُها السّماواتُ والأرضُ، فيها من النّعيمِ ما لا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ؛ وواحِدٌ نِهايَتُهُ إلى جَهَنَّمَ، فيها من العَذابِ ما لا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ.

ما أكبَرَ وأشَدَّ خَسارَةَ من مَضَى من هذهِ الحَياةِ الدُّنيا بِسُوءِ الخَاتِمَةِ؟

ما أكبَرَ وأشَدَّ خَسارَةَ من مَضَى من هذهِ الحَياةِ الدُّنيا ويَدُهُ مَغموسَةٌ بِدِماءِ الأبرِياءِ، وبِحُقوقِ العِبادِ؟

ما أكبَرَ وأشَدَّ خَسارَةَ من مَضَى من هذهِ الحَياةِ الدُّنيا والنّاسُ قد استَراحوا من شَرِّهِ؟

يا عبادَ اللهِ، ربُّنا فَعّالٌ لما يُريدُ، فلنَصبِرْ ولنَحتَسِبْ ولِنُفَكِّرْ في حُسنِ الخَاتِمَةِ، أسألُها ربّي عزَّ وجلَّ لي ولكُم. ولنُفكِّرْ أن نَخرُجَ من الدُّنيا وقد سَلِمَ المُسلِمونَ

من ألسِنَتِنا وأيدينا، وأن يَكونَ مَوتُنا راحَةً لنا لا مِنّا، ولنُكثِرْ من الدُّعاءِ: اللّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلوبِ والأبصارِ ثَبِّتْ قُلوبَنا على دِينِكَ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٤٧- خطبة الجمعة: {فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ}

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، حَقيقَةٌ غَفَلَ عنها كَثيرٌ من النّاسِ، وهيَ قَولُهُ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾.

فإلى أينَ المَهرَبُ من هذهِ الحَقيقَةِ؟ وإلى أينَ المَفَرُّ منها؟ إن ذَهَبتَ إلى الأمامِ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن رَجَعتَ إلى الوَراءِ فإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن ذَهَبتَ يَميناً وشِمالاً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن صَعَدتَ إلى السَّماءِ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، إن كُنتَ سارِقاً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن كُنتَ مَسروقاً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، إن كُنتَ سافِكاً للدِّماءِ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن كُنتَ مَسفوكَ الدَّمِ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، إن كُنتَ مُرَوِّعاً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن كُنتَ مُرَوَّعاً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن نَزَلتَ إلى باطِنِ الأرضِ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن غُصتَ إلى قَعرِ البَحرِ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ.

إن كُنتَ تَقِيّاً صالِحاً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن كُنتَ عَبداً فاجِراً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، إن كُنتَ حاكِماً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن كُنتَ مَحكوماً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، إن كُنتَ ظالِماً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، وإن كُنتَ مَظلوماً فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ، إنَّهُ مُدرِكُكُم مَن كُنتُم وأينَما كُنتُم.

حَقيقَةٌ قَلّما أن تَجِدَ صَفحَةً من كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ إلا وفيها ذِكرٌ أو إشارَةٌ لها، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾:

يا عبادَ اللهِ، المَوتُ حَقيقَةٌ لا مَهرَبَ منها، وهوَ يَقينٌ عِندَ النّاسِ جَميعاً، ولكن معَ أنَّهُ يَقينٌ في نُفوسِهِم تَرى تَصَرُّفاتِهِم تَصَرُّفاتِ الشّاكِّ فيهِ، ويَقولُ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: ما رَأَيتُ يَقيناً أشبَهَ بالشّكِّ من يَقينِ النّاسِ بالمَوتِ.

المَوتُ يُخرِجُ العَبدَ من هذهِ الحَياةِ الدُّنيا إمّا إلى نَعيمٍ دائِمٍ في الجَنّةِ ـــ اللّهُمَّ اجعَلنا منهُم ـــ وإمّا إلى عَذابٍ مُقيمٍ في نارِ جَهَنَّمَ ـــ والعِياذُ باللهِ تعالى ـــ قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

فَريقٌ في الجَنّةِ معَ الخُلودِ «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» وفَريقٌ في السَّعيرِ معَ الخُلودِ «وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ورَحِمَ اللهُ من قالَ:

هُما مَحَلّانِ ما للمَرءِ غَيرُهُما *** فاختَرْ لِنَفسِكَ أيَّ الدّارِ تَختارُ

حَقيقَةٌ تَقسِمُ النّاسَ قِسمَينِ:

يا عِبادَ اللهِ، حَقيقَةٌ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ تَقسِمُ النّاسَ إلى قِسمَينِ دائِماً:

أولاً: عِندَ المَوتِ، يا عِبادَ الله، عِندَ هذهِ الحَقيقَةِ يَنقَسِمُ النّاسُ إلى قِسمَين لا ثالِثَ لَهُما: قِسمٌ مُستَريحٌ بالمَوتِ، وقِسمٌ مُستَراحٌ منهُ بالمَوتِ، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الشيخان عَنْ أَبي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجنَازَةٍ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟

قَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ الله، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ».

ثانياً: عِندَ لِقاءِ المَلائِكَةِ، يا عِبادَ الله، عِندَ هذهِ الحَقيقَةِ يَنقَسِمُ النّاسُ إلى قِسمَين، عِندَما يَلقَونَ المَلائِكَةِ الكِرامِ، فَفَريقٌ سَعيدٌ عِندَ مُلاقاتِهِم، قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُون * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيم﴾.

وفَريقٌ شَقِيٌّ عِندَ مُلاقاتِهِم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً * وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً﴾.

ثالثاً: عِندَ لِقاءِ الله تعالى، يا عبادَ الله، عِندَ هذهِ الحَقيقَةِ يَنقَسِمُ النّاسُ إلى قِسمَينِ لا ثالِثَ لَهُما: شَقِيٌّ وسَعيدٌ، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيد * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيق * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيد * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذ﴾.

كُلٌّ واحِدٍ يَقولُ: نَفسي نَفسي:

يا عبادَ الله، الكُلُّ سَيَخرُجُ من هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، وسَيَقِفُ في أرضِ المَحشَرِ للعَرضِ وللحِسابِ عِندَ الله تعالى، وكُلٌّ واحِدٍ في أرضِ المَحشَرِ يَقولُ: نَفسي نَفسي، ولا يَذكُرُ أحَدٌ أحَداً إلا نَفسَهُ، وما ذاكَ إلا لِشِدَّةِ هَولِ ذلكَ اليَومِ.

روى الحاكم وأبو داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ.

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُبْكِيكِ؟»

قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ.

وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ حَافَّتاهُ كَلاليبُ» ــ الكلوب: هوَ حَديدَةٌ مِعوَجَّةُ الرَّأسِ تُشبِهُ الخطافَ ــ.

تَصَوَّرْ نَفسَكَ في أرضِ المَحشَرِ:

يا عبادَ الله، لِيَتَصَوَّرْ كُلٌّ واحِدٍ منَّا نَفسَهُ في أرضِ المَحشَرِ، إذا وُضِعَ المِيزانُ، هل يَخِفُّ مِيزانُكَ أم يَثقُلُ؟ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه * فَأُمُّهُ هَاوِيَة * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه * نَارٌ حَامِيَة﴾.

وإذا تَطايَرَتِ الصُّحُفُ، هل أنتَ آخِذٌ كِتابَكَ بِيَمينِكَ وتَقولُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة﴾. أم أنتَ آخِذٌ كِتابَكَ بِشِمالِكَ وتَقولُ: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه﴾.

وإذا وُضِعَ الصِّراطُ على مَتنِ جَهَنَّمَ، هل سَتَجتازُهُ كالبَرقِ الخاطِفِ؟ أم تُكَردَسُ على وَجهِكَ في نارِ جَهَنَّمَ؟ كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الحاكم عن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أنَّ رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «يُجمَعُ النَّاسُ عِندَ جسرِ جَهَنَّمَ، عَلَيهِ حَسَكٌ ــ نَباتٌ تَعلَقُ ثَمَرَتُهُ بصوفِ الغَنَمِ ــ وكَلالِيبُ، ويَمُرُّ النَّاسُ، فَيَمُرُّ مِنهُم مِثلَ البَرقِ، وبَعضُهُم مِثلَ الفَرَسِ المضمَرِ، وبَعضُهُم يَسعَى، وبَعضُهُم يَمشي، وبَعضُهُم يَزحَفُ».

خاتِمَةٌ ـــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عبادَ الله، يا أهلَ سوريّا، يا أهلَ بِلادِ الشّامِ، يا من تَعيشونَ هذهِ الأزمَةَ، والله إنّ الأمرَ لَخَطيرٌ وخَطيرٌ جِدّاً، المَوتُ مُلاقينا جَميعاً، وإبليسُ أقسَمَ أن يُغوِيَنا جَميعاً، قال تعالى مُخبِراً عنهُ، أنّهُ قالَ لِربِّنا: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين * إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين﴾. وقال تعالى مُخبِراً عنهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾.

يا عبادَ الله، لقد أغوى الشّيطانُ الكَثيرَ في هذهِ الأزمَةِ، وأوقَعَ العَداوَةَ والبَغضاءَ بَينَ المؤمنينَ حتّى سَفَكوا الدِّماءَ، وخَرَّبوا البُيوتَ، وأتلَفوا الأموالَ، وسَخِرَ منهُم عَدُوُّهُم، وأعطَوا أقبَحَ صُورَةٍ عن إسلامِهِم.يا عبادَ الله، يُنادينا ربُّنا الرَّحيمُ، ويُذَكِّرُنا بَقَولِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾.

ويُذَكِّرُنا بِقَولِهِ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم﴾.

ويُنادينا بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾.
فهل من تائِبٍ إلى الله تعالى؟

يا عبادَ الله، يا أهلَ سوريّا، أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، توبوا إلى الله تعالى من سَفْكِ الدِّماءِ، توبوا إلى الله تعالى من تَهديمِ البُيوتِ، توبوا إلى الله تعالى من سَلْبِ الأموالِ، توبوا إلى الله تعالى من الظُّلمِ بِكُلِّ أشكالِهِ، واستَحضِروا دائِماً قَولَهُ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾.

اللَّهُمَّ اجعَلْ خَيرَ أعمالِنا خَواتيمَها، وخَيرَ عُمُرِنا آخِرَهُ، وخَيرَ أيّامِنا يومَ نَلقاكَ وأنتَ راضٍ عنّا. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

**   **   **

٣٤٨ـ خطبة الجمعة: {لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ}

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، من أيقَنَ بِحَقيقَةِ قَولِهِ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾. فإنَّهُ يوقِنُ بأنَّ مَصيرَ النَّاسِ لن يَكونَ واحِداً، لأنَّ سُلوكَهُم في الحَياةِ الدُّنيا ما كانَ واحِداً، فهُناكَ ظالِمٌ ومَظلومٌ، وهُناكَ قاهِرٌ من البَشَرِ ومَقهورٌ، وهُناكَ مُرَوِّعٌ ومُرَوَّعٌ.

وقد بَيَّنَ اللهُ تعالى هذهِ الحَقيقَةَ كذلكَ بِقَولِهِ: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. وبِقَولِهِ تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. وبِقَولِهِ تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾. وبِقَولِهِ تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

المَصيرُ بَعدَ المَوتِ ليسَ واحِداً، لأنّ عَمَلَ العِبادِ في الحَياةِ الدُّنيا ما كانَ واحِداً، فهُناكَ من أخضَعَ نَفسَهُ لأمرِ الله تعالى ولأمرِ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهُناكَ من أخضَعَ نَفسَهُ لأهوائِهِ وشَهَواتِهِ العاجِلَةِ المُحَرَّمَةِ.

صُوَرٌ حَيَّةٌ من أحداثِ يَومِ القِيامَةِ:

يا عِبادَ الله، من رَحمَةِ الله تعالى بِخَلقِهِ أن أعطاهُم صُوَراً حَيَّةً من أحداثِ يَومِ القِيامَةِ ومن أحوالِها وأهوالِها حتّى لَكَأنّ الإنسانَ يَنظُرُها عَياناً.

بَعضُ صُوَرِ العاصينَ يَومَ القِيامَةِ:

يا عِبادَ الله، عَلَيَّ وعَلَيكُم بِطَاعَةِ الله تعالى، وطَاعَةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لأنَّهُ والله ما وَعَدَ به حَقٌّ، وما تَوَعَّدَ به حَقٌّ، فهوَ الصَّادِقُ المُصَدَّقُ.

وإلَيَّ وإلَيكُم يا عِبادَ الله بَعضَ صُوَرِ من عَصى اللهَ تعالى ورَسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كيفَ يَكونُ حالُهُم يَومَ القِيامَةِ، كما أخبَرَ اللهُ تعالى.

أولاً: يَتَمَنَّى من عَصى اللهَ ورَسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن تُسَوَّى به الأرضُ، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً

ثانياً: يلعَنونَ أئِمّتَهُم وسادَتَهُم عِندَما تُقَلّبُ وُجوهُهُم في النّارِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾.

ثالثاً: يَتَمَنّى أنّهُ لو لم يُبعَثْ يومَ القِيامَةِ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾.

رابعاً: يَعَضُّ على يَدَيهِ نَدَماً لو أنّهُ اتّخَذَ سَبيلَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سَبيلاً لهُ، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾.

خامساً: كونوا على يَقينٍ بأنّ اللهَ تعالى لن يُخلِفَ وَعدَهُ رُسُلَهُ، فاحذَروا من مُخالَفَةِ أمرِ سيّدِنا رسَولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، واحفَظوا قَولَهُ تعالى: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام * يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَاد * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُم

النَّار * لِيَجْزِي اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَاب * هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَاب﴾.

يا عِبادَ الله، لقد أعطانا اللهُ تعالى هذهِ الصُّوَرَ الحَيَّةَ لِحِكمَتَينِ ومَصلَحَتَينِ:

الحِكمَةُ والمَصلَحَةُ الأولى تَثبيتُ الإيمانِ:

يا عِبادَ الله، عِندَما يُعطينا ربُّنا عزَّ وجلَّ صُوَراً حَيَّةً عن أحداثِ يَومِ القِيامَةِ عن طَريقِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِحِكمَةٍ ومَصلَحَةٍ ألا وهيَ تَثبيتُ الإيمانِ وتَصديقُ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إذا أنذَرَ وإذا بَشَّرَ، وإذا تَوَعَّدَ وإذا وَعَدَ، لأنَّهُ ما يَنطِقُ عن الهَوى.

جاءَ رَجُلٌ اسْمُهُ العاصُ بنُ وائِلٍ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وفي يَدِهِ عَظمَةٌ هَشَّةٌ من عِظامِ الأمواتِ، كما أخرجَ الحاكم وصَحَّحَهُ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما قال: جاءَ العاصُ بنُ وائِلٍ إلى رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِعَظمٍ حَائِلٍ فَفَتَّهُ، فقال: يا مُحَمَّدُ، أيَبعَثُ اللهُ هذا بَعدَ ما أَرِمَ؟

قال: «نَعَم، يَبعَثُ اللهُ هذا ثمَّ يُميتُكَ، ثمَّ يُحييكَ، ثمَّ يُدخِلُكَ نارَ جَهَنَّمَ». فَنَزَلَتِ الآياتُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِين﴾ إلى آخرِ السُّورَةِ.

يا عِبادَ الله، وحقّاً ماتَ هذا العَبدُ على الكُفرِ، فلو أسلَمَ ولو نِفاقاً لَكَذّبَ الوَعدَ والوَعِيدَ، إذ كيفَ يُدخِلُهُ اللهُ النّارَ وهوَ مُسلِمٌ؟

فمن الذي عَرَّفَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أنّ هذا العَبدَ سَيَموتُ كافِراً؟ إنّهُ الذي أنزلَ عَلَيهِ سُورَةَ المَسَدِ في بِدايَةِ الدّعوَةِ، عِندَما وَقَفَ أبو لَهَبٍ، وقال لسيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا. فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ رواه الإمام البخاري عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

إنّها القُوّةُ واللهِ من البِدايَةِ، وإنّها القُوّةُ واللهِ حتّى النِّهايَةِ، فإيّاكُم وزَعزَعَةَ الإيمانِ في هذهِ الأزمَةِ

الحكمَةُ والمَصلَحَةُ الثّانِيَةُ أخْذُ العِظَةِ والعِبرَةِ:

يا عِبادَ الله، أمّا الحِكمَةُ والمَصلَحَةُ الثّانِيَةُ من إعطاءِ الصُّوَرِ الحَيَّةِ عن أحداثِ يَومِ القِيامَةِ فهيَ أخْذُ العِظَةِ والعِبرَةِ، وأن نَعمَلَ صالِحاً حتّى لا يَكونَ حالُنا كحالِ المُفسِدينَ الفُجّارِ الذينَ يَندَمونَ ولا يَنفَعُهُمُ النّدَمُ، حتّى لا يَكونَ حالُنا كحالِ من قال: سَمِعنا وعَصَينا، حتّى لا يَكونَ حالُنا كحالِ من اتّخَذَ إلهَهُ هَواهُ، وأعرَضَ عن أمرِ سيّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، معَ العِلمِ بأنّ اللهَ تعالى حَذّرَنا من مُخالَفَةِ أمرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عبادَ الله، يا من آمَنتُم بِحَقيقَةِ ﴿فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾. وبِحَقيقَةِ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾. ألزِموا أنفُسَكُم طَريقَ الأبرارِ، طَريقَ الأخيارِ، طَريقَ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ، طَريقَ الذينَ قالوا سَمِعنا وأطَعنا، ألزِموا أنفُسَكُم هذهِ الطّريقَ في هذهِ الأزمَةِ خاصّةً، لأنَّهُ لا يَدري أحَدُنا متى يُلاقيهِ المَوتُ، وألزِموا أنفُسَكُم قَولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

اللّهُمَّ وَفِّقنا للعَمَلِ بما يُرضيكَ عنّا، حتّى يأتِيَنا اليَقينُ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٤٩ـ خطبة الجمعة: عظِّموا عشر ذي الحجة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ اللّه، نحنُ في هذهِ الحَياةِ في دارِ مَمَرٍّ، وليسَت دارَ مَقَرٍّ، ومازِلنا في سَفَرٍ حتّى يَكونَ إلى ربّنا المُستَقَرُّ، وتَمُرُّ بنا مَواسِمُ عَظيمَةٌ تُضاعَفُ فيها الحَسَناتُ، وتُكَفَّرُ فيها السَّيِّئاتُ، وتُقَلُ فيها العَثَراتُ، وتُستَجابُ فيها الدَّعَواتُ.

من هذهِ المَواسِمِ شَهرُ ذي الحِجَّةِ، فقد جَمَعَ اللّهُ تعالى فيهِ من الطّاعاتِ والفَضائِلِ ما لا يَخفى على المؤمِنِ، ففي أوَّلِهِ العَشرُ المُبارَكَةُ التي أقسَمَ اللّهُ عزَّ وجلَّ بها في كِتابِهِ العَظيمِ بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾. فقد أقسَمَ اللّهُ عزَّ وجلَّ بها تَعظيماً لِشَأنِها، وتَنبيهاً على فَضلِها.

أفضَلُ أيّامِ الدُّنيا:

يا عِبادَ الله، أيّامُ عَشرِ ذي الحِجّةِ هيَ أفضَلُ أيّامِ الدُّنيا، كما جاءَ في الحديثِ الشّريفِ الذي رواه ابن أبي الدُّنيا عن جابرِ بنِ عَبدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُما قال: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ما من أيّامٍ أفضَلُ عِندَ الله من أيّامِ عَشرِ ذِي الحِجّةِ».

قالوا: يا نَبيِّ الله، ولا مِثلُها في سَبيلِ الله؟

قال: «ولا مِثلُها في سَبيلِ الله، إلا مَن عَفّرَ وَجهَهُ في التُّرابِ».ولقد حَثّ سيّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فيها العِبادَ على العَمَلِ الصّالِحِ، روى الإمام أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ــ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ــ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟

قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، إِلَّا رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ».

ورَحِمَ اللهُ تعالى من قال:

لَيالي الــعَشرِ أوقَاتُ الإجَــابَه *** فَــبَادِرْ رَغــبَةً تَــلحَــقْ ثَوابَه

ألا لا وَقْـــــتٌ للـــــعُــمَّالِ فـــيـــهِ *** ثَوابُ الخَيرِ أقرَبُ للإصابَه

مِن أوقَاتِ اللّيالي العَشرِ حَقّاً *** فَشَمِّرْ واطْلُبَنْ فيهـــا الإنَابَه

خَيرُ الأعمالِ الصَّالِحَةِ هيَ التَّوبَةُ:

يا عِبادَ الله، خَيرُ ما نَستَقبِلُ بِهِ هذهِ الأيَّامُ التَّوبَةُ والإنابَةُ من جَميعِ الذُّنوبِ والآثامِ والمَظالِمِ، فإنَّها مِفتاحُ السَّعادَةِ، وعَلَيها تُشَيَّدُ الصَّالِحاتُ، ورُبَّ عَمَلٍ عَظيمٍ غَمَصَتْهُ ذُنوبٌ سالِفَةٌ لم يَتَطَهَّرْ صاحِبُها منها، فلم يُفلِحْ بِدَرْكِ بَرَكَتِها، ونَيلِ ثَوابِها، وكانَت عَلَيهِ وَبالاً وخُسراناً، ولم يُفْدِ منها غَيرَ النَّصَبِ والتَّعَبِ.

فهل يَسمَعُ أهلُ الذُّنوبِ والمُوبقاتِ الذينَ تَلَطَّخَت أيادِيهم بالدِّماءِ البَريئَةِ، وبالسَّرِقَةِ وبالاغتِصابِ وبأكلِ الحَرامِ وبِترويعِ الآمِنينَ نِداءَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾؟

وهل سَمِعَ هؤلاءِ وأمثالُهُم من الظَّلَمَةِ نِداءَ الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾؟

وهل نَعلَمُ ويَعلَمُ هؤلاءِ الحديثَ الشَّريفَ إذ يَقولُ فيهِ الحَبيبُ الأعظَمُ سيِّدُنا محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلاً وَبِهِ مَهْلَكَةٌ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً

فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ» رواه الإمام البخاري عن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

وفي روايةٍ للإمام مسلم عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

السَّلَفُ الصَّالِحُ يُعَظِّمُ ثَلاثَةَ أعشارٍ:

يا عِبادَ الله، لقد كانَ سَلَفُنا الصَّالِحُ يُعَظِّمُ ثَلاثَةَ أعشارٍ، عَشرَ ذي الحِجَّةِ، والعَشرَ الأواخِرَ من شَهرِ رَمَضانَ، والعَشرَ الأوائِلَ من شَهرِ الله المُحَرَّمِ، فَعَظِّموا عَشرَ ذي الحِجَّةِ التي عَظَّمَها اللهُ تعالى إذ أقسَمَ بها بِقَولِهِ: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.

عَظِّموا هذهِ العَشرَ بالأعمالِ الصَّالِحَةِ بَعدَ التَّوبَةِ الصَّادِقَةِ، ومن هذهِ الأعمالِ الصِّيامُ والقِيامُ والصَّدَقَةُ، ومن أعظَمِ الأعمالِ الصَّالِحَةِ السَّعيُ للإصلاحِ بَينَ المؤمِنينَ، قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

يا عِبادَ الله، إذا لم نَلحَقْ بِركبِ الحُجّاجِ والمُعتَمِرينَ في هذا العامِ فَعَزاؤُنا هوَ ما رَغَّبَنا به النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من الأعمالِ الصَّالِحاتِ، لأنَّ القاعِدَ عن عُذرٍ وقَدَرٍ شَريكٌ للسَّائِرِ في الأجرِ، ولَرُبَّما سَبَقَ السَّائِرُ بِقَلبِهِ السَّائِرينَ بأبدانِهِم.

يا رَاحِلينَ إلى البَيتِ الحَرامِ لَقَدْ *** سِرْتُم جُسُوماً وسِرْنا نَــحنُ أرواحاً

لقد أقَــمـــنـــا عـــلى عُــذْرٍ أَلَمَّ بِـــنـــا *** ومَـــنْ أقـــامَ عـــلى عُـــذْرٍ فـــقـــد رَاحَـــا

يا عِبادَ الله، أكثِروا من الصِّيامِ في هذهِ الأيَّامِ ــ ولكن كما قُلتُ بَعدَ التَّوبَةِ الصَّادِقَةِ من حُقوقِ العِبادِ ــ فَصِيامُ يَومٍ منها يُعدَلُ بصِيامِ سَنَةٍ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى الله أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، يُعْدَلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ، وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ». وإن كانَ الحَديثُ ضَعيفاً، ولكن يُعمَلُ به لأنَّهُ داخِلٌ في الأعمالِ الصَّالِحَةِ.

وأحيُوا الوَقتَ من بَعدِ صَلاةِ الفَجرِ إلى وَقتِ صَلاةِ الضُّحى بالعِباداتِ وتِلاوَةِ القُرآنِ وذِكرِ الله، ثمَّ اركَعوا رَكَعاتِ الضُّحى حتَّى يُكتَبَ لَكُم أجرُ حَجَّةٍ وعُمرَةٍ تامَّةٍ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ

اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ».

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عبادَ الله، ألا إنّ لِرَبِّكُم في أيّامِ دَهرِكُم لَنَفَحاتٍ ألا فَتَعَرَّضوا لها، ومن هذهِ الأيّامِ أيّامُ عَشرِ ذي الحِجّةِ، تَعالوا يا عِبادَ الله لِنَصطَلِحَ معَ الله تعالى، لِنَتوبَ إلى الله تعالى، لِنُصلِحَ ما أفسَدناهُ، لأنّ ما حَلّ بنا ما هوَ إلا من فَسادِ أعمالِنا، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. ربُّنا كَريمٌ، ومن كَرَمِهِ نادانا بِقَولِهِ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

اللّهُمَّ ارزُقْنا تَوبَةً صادِقَةً نَصوحاً. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٥٠ـ خطبة الجمعة: المطلوب منا في يوم عرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، يَومُ عَرَفَةَ من أفضَلِ أيّامِ الله، يَومٌ عَظيمٌ مُبارَكٌ، ومَوسِمٌ كَريمٌ، يَومٌ تُستَجابُ فيهِ الدَّعَواتُ، وتُقالُ فيهِ العَثَراتُ، يَومٌ يُباهي اللهُ بأهلِ الأرضِ أهلَ السَّماءِ.

روى أبو يَعلى عن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ما من أيَّامٍ أفضَلُ عِندَ اللهِ من أيَّامِ عَشرِ ذي الحِجَّةِ».

فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، هِيَ أفضَلُ أم عِدَّتُهُنَّ جِهاداً في سَبيلِ اللهِ؟

فقال: «هِيَ أفضَلُ من عِدَّتِهِنَّ جِهاداً في سَبيلِ اللهِ، إلا عَفيراً يُعَفِّرُ وجهَهُ في التُّرابِ، وما من يَومٍ أفضَلُ عِندَ اللهِ من يَومِ عَرَفَةَ، يَنزِلُ اللهُ إلى السَّماءِ الدُّنيا فَيُباهي بِأهلِ الأرضِ أهلَ السَّماءِ، فيَقولُ: اُنظُروا إلى عِبادي شُعثاً غُبراً ضَاحِينَ، جاؤوا من كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ، لم يَرَوا رَحمَتي، ولم يَرَوا عَذابي؛ فَلَم أرَ يَوماً أكثَرَ عَتيقاً من النَّارِ من يَومِ عَرَفَةَ». معنى ضَاحِينَ: بارِزينَ للشَّمسِ غَيرَ مُستَتِرينَ عنها.

يَومُ عَرَفَةَ يَومٌ عَظَّمَ اللهُ تعالى شَأنَهُ، فأقسَمَ به في كِتابِهِ العَظيمِ بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾. ذلكُمُ اليَومَ الذي نالَت به الأُمَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ غايَةَ عِزِّها ومَجدِها، عِندَما أكمَلَ اللهُ تعالى لها الدِّينَ، وأتَمَّ عَلَيها النِّعمَةَ، ورَضِيَ لها الإسلامَ دِيناً، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾.

المَطلوبُ مِنَّا في يَومِ عَرَفَةَ:

يا عِبادَ اللهِ، يا من أقَمتُم عن عُذرٍ وعن قَدَرٍ، فلم تَتَمَكَّنوا من الذَّهابِ لِزيارَةِ الحَرَمَينِ الشَّريفَينِ، لِتَنالوا شَرَفَ الوُقوفِ بأرضِ عَرَفَةَ، لِتَنالوا شَرَفَ المُباهاةِ من اللهِ تعالى، لِتَنالوا فَضلَ اللهِ تعالى، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه البيهقي عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

قال: «إذا كانَ يَومُ عَرَفَةَ فإنّ اللَه تباركَ وتعالى يُباهي بِهِمُ الملائِكَةَ فَيَقولُ: اُنظُروا إلى عِبادي أَتَوني شُعثاً غُبراً ضَاحينَ، من كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ، أُشهِدُكُم أَنّي قَد غَفَرتُ لَهُم.

فَتَقولُ الملائِكَةُ: إنّ فيهِم فُلاناً مُرهَقاً وفُلاناً.

قال: يَقولُ اللهُ عزّ وجلّ: قَد غَفَرتُ لَهُم».

المُرهَقُ: هوَ الذي يَغشى المحارِمَ ويَرتَكِبُ المفاسِدَ.

يا من حُرِمتُمُ الوُقوفَ بأرضِ عَرَفَةَ، وأنا واحِدٌ منكُم؛ لا تَحزَنوا، فإنّ رَحمَةَ الله قَريبٌ من المُحسنينَ، لا تَحزَنوا، إن فاتَكُمُ الوُقوفَ بأرضِ عَرَفَةَ فلن يَفوتَكُم أن تَقِفوا بِبابِ مَولاكُم وأنتُم حيثُ أنتُم، فإنّ الرَّحمَةَ تَنالُكُم إن شاءَ اللهُ تعالى بِشَرطِ حِفظِ اللِّسانِ واليَدِ.

روى الطبراني عن عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَومَ عَرَفَةَ: «أيُّها النَّاسُ، إنّ اللهَ عزّ وجلّ تَطَوّلَ عَلَيكُم في هذا اليَومِ فَغَفَرَ لكُم إلا التَّبِعاتِ فيما بَينَكُم، وَوَهَبَ مُسيئَكُم لمحسِنِكُم، وأعطى لمحسِنِكُم ما سَأَلَ، فادفَعُوا باسمِ الله، فلمَّا كانَ بِجَمعٍ قال: إنّ اللهَ عزّ وجلّ قَد غَفَرَ لِصالِحيكُم وشَفَّعَ صَالحيكُم في طَالِحِيكُم، تَنزِلُ الرَّحمَةُ فَتَعُمُّهُم، ثمّ تُفَرِّقُ المغفِرَةُ في الأرضِ، فَتَقَعُ على كُلِّ تائِبٍ مِمَّن حَفِظَ لِسانَهُ ويَدَهُ، وإبليسُ وجُنودُهُ على جِبالِ عَرَفات يَنظُرونَ ما يَصنَعُ اللهُ بِهِم، فإذا نَزَلَتِ الرَّحمَةُ دَعا

إبليسُ وجُنودُهُ بالوَيلِ والثُّبورِ». وهوَ حَديثٌ ضَعيفٌ، إلا أنَّهُ يَقوى بِطُرُقٍ كَثيرَةٍ أُخرى.

حِفظُ اللِّسانِ واليَدِ:

يا عِبادَ الله، نَحنُ في هذهِ الأزمَةِ التي تَمُرُّ بنا نَتَطَلَّعُ إلى رَحمَةِ الله تعالى، نَتَطَلَّعُ إلى الرَّحمَةِ رَجاءَ أن يَكشِفَ ربُّنا هذهِ الحَربَ عنّا، أن يَكشِفَ هذا الغَمَّ والكَربَ العَظيمَ عنّا، أن يَكشِفَ هذا البَلاءَ عنّا، أن يَكشِفَ هذا الغَلاءَ عنّا، إذا كُنّا صادِقِينَ في هذا التَّطَلُّعِ والرَّجاءِ فَعَلَينا:

أولاً: حِفظُ اللِّسانِ

يا عِبادَ الله، كُلُّنا يَرجو الرَّحمَةَ من الله تعالى، فيا من أرادَ الرَّحمَةَ من الله تعالى بِحَقٍّ، اِسمَعْ إلى هَدْيِ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في جَارِحَةِ اللِّسانِ:

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً، أَوْ لِيَصْمُتْ».

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وروى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي

لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

يا طالِبَ الرَّحمَةِ من الله تعالى: اِحفَظْ لِسانَكَ، قُلْ خَيراً، وقَبلَ القَولِ تَعَلَّمْ هل قَولُكَ الذي تَقولُهُ يُرضي اللهَ تعالى أم يُسخِطُهُ لا قَدَّرَ اللهُ؟ ولا تَنسَ قَولَهُ تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾.

ثانياً: حِفظُ اليَدِ

يا عِبادَ الله، كُلُّنا يَرجو الرَّحمَةَ من الله تعالى، فيا من أرادَ الرَّحمَةَ من الله تعالى بِحَقٍّ، اِسمَعْ إلى هَدْيِ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في جَارِحَةِ اليَدِ:

روى الشيخان عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

يا طالِبِي الرَّحمَةِ، سَلوا أنفُسَكُم هل سَلِمَ المُسلِمونَ من أيديكُم؟

هل مُدَّتِ الأيدي فَسَرَقَت أم لا؟

هل مُدَّتِ الأيدي للرِّشوَةِ أم لا؟

هل مُدَّتِ الأيدي للرِّبا أم لا؟

هل مُدَّتِ الأيدي لأكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطِلِ بِطَريقٍ غَيرِ مَشروعٍ أم لا؟

هل مُدَّتِ الأيدي بِضَربٍ مُبَرِّحٍ وغَيرِ مُبَرِّحٍ أم لا؟

هل مُدَّتِ الأيدي لِسَفكِ الدِّماءِ أم لا؟

هل مُدَّتِ الأيدي للخَطفِ أم لا؟

إذا لم يَسلَمِ المُسلِمونَ من ألسِنَتِنا وأيدينا فَكيفَ نَطلُبُ الرَّحمَةَ من الله تعالى

إذا لم يَسلَمِ المُسلِمونَ من ألسِنَتِنا وأيدينا فَكيفَ نَكونُ دُعاةً لإسلامِنا؟

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عبادَ الله، بَعدَ أيَّامٍ إن شاءَ اللهُ تعالى سَنَستَقبِلُ يومَ عَرَفَةَ، وأنا على يَقينٍ بأنَّ القُلوبَ مُنكَسِرَةٌ إلى الله تعالى، لأنَّ من مَساوِئِ هذهِ الأزمَةِ أنَّ الكَثيرَ حُرِمَ من أداءِ رُكنِ الحَجِّ.

أنا على يَقينٍ بأنَّ القُلوبَ مُنكَسِرَةٌ إلى الله تعالى تَسأَلُهُ الرَّحمَةَ والمغفِرَةَ، فإن كُنَّا صادِقِينَ في طَلَبِنا فَلنَحفَظِ اللِّسانَ واليَدَ، وبَعدَها لِنَستَبشِرْ بِرَحمَةِ الله تعالى، حيثُ تَعُمُّ الأرضَ في يَومِ عَرَفَةَ.

أسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن لا نَكونَ مِمَّن كانَ سَبَباً في عَدَمِ نُزولِ الرَّحمَةِ، وأسأَلُهُ تعالى أن يُوَفِّقَنا لأن نَحفَظَ الرَّأسَ وما وَعى، والبَطنَ وما حَوى، وأن نَذكُرَ المَوتَ والبِلى، وأن يَكشِفَ الغُمَّةَ عن هذهِ الأمَّةِ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٥١ـ خطبة عيد الأضحى ١٤٣٤: كلمات من حجة الوداع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، كُلّما جاءَ شَهرُ ذي الحِجَّةِ، وهَلّت مَواقيتُ الحَجِّ أرجَعَتْنا إلى تاريخِنا السّامي الذي ما عَرَفَتِ البَشَرِيّةُ تاريخاً مِثلَهُ.

أرجَعَتْنا إلى وِقفَةٍ من وَقَفاتِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، حيثُ أعلَنَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ المَبادِئَ البَليغَةَ التي خاطَبَ بها المُسلِمينَ إلى قِيامِ السّاعَةِ في حَجَّةِ الوَداعِ.

ما كانَت تِلكَ المَبادِئُ شِعاراتٍ يَرفَعُها، أو كَلِماتٍ يُتاجِرُ بها، لقد كانَت هيَ مَبادِئَهُ مُنذُ فَجرِ الدَّعوَةِ يومَ كانَ في ظاهِرِ الأمرِ وحيداً فَريداً ضَعيفاً مُستَضْعَفاً، لم

تَتغَيَّرْ هذهِ المَبادِئُ في القِلّةِ ولا في الكَثرَةِ، ولا في الحَربِ ولا في السِّلمِ، ولا في القُوَّةِ ولا في الضَّعفِ، ولا في إقبالِ الدُّنيا ولا في إعراضِها.

مَبادِئُ رَسَّخَها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في نُفوسِ أصحابِهِ الكِرامِ رَضِيَ اللهُ عنهُم لِيَنقُلوها إلى العالَمِ أجمَعَ لِيَسعَدَ بها، ولِصِدقِ هذهِ المَبادِئِ لم تَذبُلْ معَ الأيّامِ، ولم تَمُتْ بِمَوتِ الأجيالِ، إنّما هي راسِخَةٌ تَتَجَدَّدُ في الأقوالِ والأعمالِ.

يا عبادَ الله، لقد كانَت مَبادِئَ سُكِبَت معَ عِباراتِها دُموعُ الوَداعِ، وقالَ للأمَّةِ: «إِنِّي لا أَدْرِي لِعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا» وقال: «أَلا فَلْيُبَلِّغْ أَدْنَاكُمْ أَقْصاكُمْ» رواه الطبراني في الكبيرِ عن سَرَّاء بنت نَبْهَانَ رَضِيَ اللهُ عنها. وفي روايةٍ للشيخان عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

حُرمَةُ الدِّماءِ والأموالِ والأعراضِ:

أيُّها الإخوة الكرام: من جُملَةِ كَلِماتِ الوَداعِ، ومن جُملَةِ المَبادِئِ التي وَضَعَها للبَشَرِيَّةِ جَمعاءَ، قَولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» رواه الشيخان عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا عبادَ الله، لن يَتَحقّقَ أمنٌ ولا استِقرارٌ ولا حَياةٌ طَيِّبَةٌ إلا في ظِلِّ الشَّريعَةِ التي قالَ اللهُ تعالى فيها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾.

ولن يَتَحقّقَ هذا للبَشَرِيَّةِ إلا من خِلالِ مُتابَعَةِ من يُرَبِّي الأمَّةَ على مَعرِفَةِ قِيمَةِ الإنسانِ، وخاصَّةً المؤمنِ.

روى ابن ماجه عن عَبْد الله بْن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: «مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْراً».

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ».

وروى الشيخان عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟

قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».

قَتلُ المؤمنِ وخاصَّةً البَريءَ خَطيئَةٌ كُبرى، ومُصيبَةٌ عُظمى، فما هوَ قائِلٌ للهِ عزَّ وجلَّ قاتِلُ المؤمنينَ بغَيرِ حَقٍّ؟

لِصِيانَةِ الدِّماءِ وُضِعَ قانونُ القِصاصِ:

يا عبادَ الله، خُطبَةُ حَجَّةِ الوَداعِ كانَت فيها المَبادِئُ الخالِدَةُ لِحُقوقِ الإنسانِ، والتي لا يُجاريها تَشريعٌ وَضْعِيٌّ، ولا قانونٌ بَشَرِيٌّ، لِصِيانَةِ الدِّماءِ جَعَلَ اللهُ تعالى قانونَ القِصاصِ، فقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ولِصِيانَةِ الأموالِ جَعَلَ اللهُ تعالى حَدَّ السَّرِقَةِ، فقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سواءٌ كانَ السَّارِقُ شَريفاً أم وَضيعاً، كما جاءَ في الحديثِ الشَّريفِ الذي رواه الشيخان عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ.

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟»

ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِم الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

ولِصِيانَةِ الأعراضِ جَعَلَ اللهُ تعالى حَدَّ الزِّنى لِغَيرِ الُمحصَنِ الجَلدُ، فقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وللمُحصَنِ الرَّجمُ حتَّى المَوتِ، فلا كَرامَةَ لِباطِلٍ، ولا حَصانَةَ لِفَوضى خُلُقِيَّةٍ.

بل حَرَّمَ إيذاءَ المؤمنِ ولو كانَ عاصِياً:

يا عبادَ الله، لقد سَمَتِ الشَّريعَةُ بالإنسانِ أيَّما سُمُوٍّ، حتَّى حَرَّمَت عَلَيهِ إيذاءَ المؤمنِ بِغَيرِ حَقٍّ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾.

بل حَرَّمَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إيذاءَ المؤمنِ بِكَلِمَةٍ، ولو أُقيمَ عَلَيهِ حَدٌّ من حُدودِ الله تعالى.

روى الإمام البخاري عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَاراً، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْماً، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِن الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ.

فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فوالله مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».

وروى الإمام مسلم عن عَبْد الله بْن بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عنهُما، في حديثِ المرأةِ التي زَنَت، ثمّ جاءَت إلى النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَطلُبُ منهُ أن يُطَهِّرَها.

قال: ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فأقبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا، فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا.

فَقَالَ: «مَهْلاً يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ».

بل حَرَّمَ إيذاءَ المؤمنِ بأبيهِ ولو كانَ كافِراً:

يا عبادَ الله، والأعظَمُ من ذلكَ أنّ النّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ إيذاءَ المؤمنِ بأبيهِ ولو كانَ والِدُهُ كافِراً، روى الحاكم عن عَبدِ الله بنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لأصحابِهِ: «يَأتيكُم عِكرِمَةُ بنُ أبي جَهلٍ مُؤمِناً مُهاجِراً، فَلا تَسُبُّوا أباهُ، فإنَّ سَبَّ الميتِ يُؤذي الحَيَّ، ولا يَبلُغُ الميتَ».

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عبادَ الله، ها نحنُ نَعيشُ هذهِ الأيّامَ التي هيَ من الأشهُرِ الحُرُمِ، التي حَرّمَ اللهُ تعالى فيها القِتالَ، والتي كانَ يُعَظِّمُها المُشرِكونَ فَيُوقِفونَ القِتالَ فيها، ها نحنُ نَعيشُ يومَ عيدِ الأضحى المُبارَكِ الذي يُذَكِّرُنا بِخُطبَةِ سيِّدِنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في حَجَّةِ الوَداعِ، فهل الأمّةُ تُراجِعُ الحِساباتِ فيما بَينَها وبَينَ الله تعالى؟

وهل تَرجعُ الأمّةُ إلى جادّةِ الصّوابِ؟ وهل تَرجِعُ الأمّةُ إلى الاستِجابَةِ لِنداءِ سيِّدِ المُرسَلينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائِلِ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»؟

وهل تَحفَظُ الأمّةُ قَولَ الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؟

يا عبادَ الله، تَقَرَّبوا إلى الله تعالى بإراقَةِ دِماءِ الأضاحي، وبِصِيانَةِ دِماءِ المُسلِمينَ، تَقَرَّبوا إلى الله تعالى بِبَذلِ الأموالِ في شِراءِ الأضاحي، وبِرَفعِ الأيدي عن أموالِ المُسلِمينَ وغَيرِهِم فلا تأكُلوها بالباطِلِ.

اللّهُمَّ وَفِّقنا لذلكَ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٥٢ـ خطبة الجمعة: إذا أردت الفرج فاسترجع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ اللهِ، إنّ الشّدائِدَ والابتِلاءاتِ والمِحَنَ والرّزايا لا تَزالُ تَتَعاقَبُ على المُؤمِنِ على مَمَرِّ الأيّامِ والسِّنينَ، ولكنْ فَرَجُ اللهِ تعالى قَريبٌ، وخَيرُ شاهِدٍ على ذلكَ ما جاءَ في كِتابِ ربِّنا عزَّ وجلَّ.

هذا سيِّدُنا إبراهيمُ عَلَيهِ السَّلامُ بَعدَ أن أَحكَمَتِ الشِّدَّةُ عَلَيهِ قَبضَتَها إحكاماً، قال تعالى للنّارِ: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

وهذا سيِّدُنا يَعقوبُ وسيِّدُنا يوسُفُ عَلَيهِما السَّلامُ تَجَلَّتْ في قِصَّتِهِما حَقائِقُ الفَرَجِ بَعدَ الضِّيقِ، قال تعالى على لِسانِ سيِّدِنا يوسف عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

وهذا سيِّدُنا أيُّوبُ عَلَيهِ السَّلامُ لَمّا اشتَدَّ بِهِ الضُّرُّ جاءَهُ اللهُ تعالى بِكَشفِ هذا الضُّرِّ، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.

إذا أَرَدتَ الفَرَجَ فاستَرجِعْ:

يا عِبادَ اللهِ، من رامَ الفَرَجَ من اللهِ تعالى بَعدَ الشِّدَّةِ فَلْيَستَرجِعْ عِندَ الشَّدائِدِ والمَصائِبِ، وليَكُنْ بَعدَ ذلكَ على يَقينٍ بأنَّ الفَرَجَ قَريبٌ مهما طالَ زَمَنُهُ، قال تعالى في مُحكَمِ تَنزيلِهِ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾.

ومِصداقُ هذا الوَعدِ بأنّ الفَرَجَ بَعدَ الاستِرجاعِ، ما أخرَجَهُ الإمام مسلم في صَحيحِهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْراً مِنْهَا».

قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ.

فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتاً وَأَنَا غَيُورٌ.

فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ».

لِمَ الجَزَعُ والقَلَقُ وعِندَكَ سِتّةُ أخلاطٍ:

يا عِبادَ الله، أكثِروا من الاستِرجاعِ، من قَولِ: ﴿إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وكونوا على يَقينٍ بأنّ الفَرَجَ بعدَ الشّدّةِ.

يُحكَى أنّ أنوشروان غَضِبَ على وَزيرِهِ بُزَرجُمُهرن فَحَبَسَهُ في بَيتٍ كالقَبرِ، وصَفّدَهُ بالحَديدِ، وألبَسَهُ الخَشِنَ من الصُّوفِ، وأمَرَ ألا يُزادَ في كُلّ يومٍ على قُرصَينِ من الخُبزِ، وكَفٍّ من مِلحِ جُرشٍ، وشيءٍ من ماءٍ، وأنْ تُنقَلَ إلَيهِ ألفاظُهُ، فأقامَ شَهراً لا تُسمَعُ لهُ لَفظَةٌ.

فقالَ أنوشروان: أدخِلوا إلَيهِ أصحابَهُ، ومُروهُم أن يَسأَلوهُ، ويُفاتِحوهُ الكلامَ، وعَرِّفوني بِهِ، فَدَخَلَ إلَيهِ جَماعَةٌ من المختَصِّينَ بِهِ.

فقالوا لهُ: أيُّها الحَكيمُ نَراكَ في هذا الضِّيقِ والحَديدِ والشِّدَّةِ التي رُفِعتَ إلَيها، ومعَ هذا، فإنّ سَحنَةَ وَجهِكَ وَصِحَّةَ جِسمِكَ على حَالِهما لم تَتَغَيَّرْ، فما السَّبَبُ في ذلكَ؟!

فقال: إنّي عَمِلتُ جَوارِشاتٍ ـــ أي: أدوِيَةً ـــ من سِتَّةِ أخلاطٍ، يُؤخَذُ مِنهُ كُلّ يَومٍ شَيءٌ، فهوَ الذي أبقَاني على ما تَرَونَ.

فقالوا: صِفهُ لنا فَعَسى أن نُبتَلى بِمِثلِ بَلواكَ أو أحَدٌ من إخوانِنا فَنَستَعمِلَهُ أو نَصِفَهُ لهُ.

فقال: الخلطُ الأوّلُ: الثِّقَةُ باللهِ عزّ وجلّ.

الثّاني: عِلمي بأنّ كُلّ مَقدورٍ كَائِنٌ.

الثّالِثُ: الصَّبرُ خيرُ ما استعمَلَهُ الممتحَنُ المُتعَبُ.

الرَّابِعُ: إن لم نَصبِرْ أيَّ شَيءٍ نَعمَلُ، وما أُغني عن نَفسي بالجَزَعِ؟

الخامِسُ: قد يُمكِنُ أن يَكونَ في بَشَرٍ شَرٌّ مِمَّا أنا فيه.

السَّادِسُ: مِن سَاعَةٍ إلى سَاعَةِ فَرَجٍ.

دَعَواتٌ لِكُلِّ مَكروبٍ:

يا عِبادَ الله، يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. ويَقولُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

أُدعوا اللهَ تعالى لِكَشفِ الكَربِ العَظيمِ الذي أصابَ الأمَّةَ، وخَيرُ الدُّعاءِ ما كانَ من القُرآنِ العَظيمِ، ومن هَدْيِ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أكثِروا من الدُّعاءِ، وقولوا من جُملَةِ الدُّعاءِ: ربِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين. لا إِلَهَ إلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين.

وقولوا دُعاءَ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي كانَ يَقولُهُ عِندَ الكَربِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» رواه الشَّيخان عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

وقولوا: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، كما جاءَ في سنن الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ». وقالَ الحاكم: هذا حَديثٌ صَحيحُ الإسنادِ.

وقولوا: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عبادَ الله، كونوا على يَقينٍ بأنّ الفَرَجَ قَريبٌ مهما تَأخَّرَ، وكونوا على يَقينٍ بأنّ اليُسرَ بَعدَ العُسرِ، روى الحاكم عن أَنَسِ بن مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: كانَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وبِحِيالِهِ جُحرٌ فقال: «لو جَاءَ العُسرُ فَدَخَلَ هذا الجُحرَ لجَاءَ اليُسرُ فَدَخَلَ عَلَيهِ فَأخرَجَهُ» فأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾. وقال الحاكم: هذا حَديثٌ عَجيبٌ، غَيرَ أنّ الشَّيخَينِ لم يَحتَجّا بعائِذِ بنِ شُريحٍ. ورَحِمَ اللهُ من قال:

وَلَرُبَّ نَـــازِلَـــةٍ يَـــضيقُ بها الـــفَتى *** ذَرعـــاً وعِـــندَ اللهِ منها المَخرَجُ

ضَاقَتْ فلمّا استَحكَمَت حَلَقاتُها *** فُرِجَتْ وكُنتُ أظُنُّها لا تُفرَجُ

الـــــشِّــــدَّةُ أودَتْ بـــالمُـــهَـــجِ *** يـــا ربِّ فَـــعَـــجِّلْ بالفَرَجِ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.*

** ** **

٣٥٣ـ خطبة الجمعة: أفضل العبادة انتظار الفرج، ولكن سل نفسك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ اللهِ، إنّ شَرَّ ما مَنيَتْ به النُّفوسُ يَأسٌ يُميتُ القُلوبَ، وقُنوطٌ تُظلِمُ به الدُّنيا، تَتَحطَّمُ معَهُ الآمالُ، وإنّ الأزَماتِ إذا استَحكَمَتْ، والخُطوبَ إذا تَوالَتْ، والمِحَنَ والمَصائِبَ والشّدائِدَ والرَّزايا إذا ادلَهمَّتْ، فلا مَخرَجَ منها إلا بالإيمانِ باللهِ تعالى وَحدَهُ، وبالتَّوَكُّلِ عَلَيهِ، وبِحُسنِ الصَّبرِ والتَّصَبُّرِ، هذا هوَ الدِّرعُ الوَاقي من اليَأسِ والقُنوطِ أيّامَ الشّدائِدِ والمِحَنِ والأزَماتِ.

أينَ الرِّجالُ العَمالِقَةُ:

يا عِبادَ اللهِ، إنّ أثقالَ الحَياةِ وتَعَبَها ونَصَبَها وشِدَّتَها لا يُطيقُ على حَملِها الرِّجالُ الضِّعافُ، ولا يَذهَبُ بأعبائِها إلا الرِّجالُ العَمالِقَةُ الصّابِرونَ أولو العَزمِ من النّاسِ، إلا أصحابُ الهِمَمِ العالِيَةِ، إلا الذينَ سَمِعوا قَولَ سيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

فأينَ هؤلاءِ الرِّجالُ العَمالِقَةُ الصَّبّارونَ في هذهِ الأزمَةِ؟

كم من مِحنَةٍ حَمَلَتْ في طَيّاتِها مِنَحاً؟

يا عِبادَ الله، كم من مِحنَةٍ حَمَلَتْ في طَيِّاتِها مِنَحاً ورَحَماتٍ لهؤلاءِ العَمالِقَةِ من الرِّجالِ الصَّبَّارينَ في الشَّدائِدِ أولي العَزمِ من النَّاسِ، الذينَ كانَ إيمانُهُم بالله عزَّ وجلَّ أرسى من الرَّاسِياتِ، هؤلاءِ الرِّجالِ الذينَ كانوا

يَنتَظِرونَ الفَرَجَ مِنَ الله تعالى بَعدَ الشَّدائِدِ؟

يا عِبادَ الله، خُذوا على سَبيلِ المِثالِ سيِّدَنا يَعقوبَ عَلَيهِ السَّلامُ الذي دَخَلَ في مِحنَةٍ قاسِيَةٍ وشَديدَةٍ ذَهَبَ بها بَصَرُهُ من شِدَّتِها، كما قال تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيم﴾.

يا عِبادَ الله، سيِّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السَّلامُ كانَ معَ الألَمِ يَعيشُ بالأمَلِ الذي ما عَرَفَ اليَأسَ ولا القُنوطَ، كانَ يَشكو هَمَّهُ إلى الله تعالى، ويَبُثُّ حُزنَهُ إلَيهِ، كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى الله وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لا تَعْلَمُون﴾.

ما عَرَفَ اليَأسَ ولا القُنوطَ لأنَّهُ كانَ يَستَعينُ بالله تعالى على تِلكَ الشَّدائِدِ، فلقد قالَ في البَلاءِ الأوَّلِ عِندَما رَجَعَ أولادُهُ إلَيهِ بَعدَ إلقاءِ سيِّدِنا يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلامُ في الجُبِّ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُون﴾.

وقالَ في البَلاءِ الثَّاني عِندَما رَجَعَ أولادُهُ من مِصرَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم﴾. لقد كانَ في الابتِلاءِ الثَّاني أعظَمَ أمَلاً منهُ لأنَّ يَقينَهُ بالله تعالى أرسى من الجِبالِ، وعِلمَهُ بالله تعالى لا يَرقى إلَيهِ شَيءٌ من الشَّكِّ بأنَّ بَعدَ المِحنَةِ مِنحَةً.

نَعَم، يا عِبادَ الله، بَعدَ الضِّيقِ جاءَهُ الفَرَجُ، وبَعدَ المِحنَةِ جاءَتِ المِنحَةُ، وجَمَعَ اللهُ تعالى شَمَلَ العائِلَةِ، وتَحَقَّقَ لسيِّدِنا يوسُفَ عَلَيهِ السَّلامُ ما رَأى في المَنامِ، كما قال تعالى حِكايَةً عنهُ: ﴿يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾. وقال: ﴿يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

الأزمَةُ لا تُذهِبُ نورَ الإيمانِ من القَلبِ:

يا عِبادَ الله، المُؤمِنُ الواثِقُ بِرَبِّهِ عزَّ وجلَّ لا تُفقِدُهُ الأزمَةُ ولا الشَّدائِدُ والمِحَنُ والمَصائِبُ نورَ الإيمانِ من قَلبِهِ، لأنَّهُ على يَقينٍ بأنَّهُ لا يَستَطيعُ أحَدٌ مهما أوتِيَ من قُوَّةٍ وجَبَروتٍ ومَنزِلَةٍ وعِلمٍ وقُدرَةٍ، ومهما بَلَغَتْ مَنزِلَتُهُ أن يَقطَعَ عنهُ رِزقَهُ، أو يَنتَقِصَ من أجَلِهِ شيئاً، لأنَّهُ على يَقينٍ من قَولِهِ تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. ومن قَولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾.

هوَ على يَقينٍ بأنَّ رِزقَهُ لا يَجُرُّهُ حِرصُ حَريصٍ، ولا يَرُدُّهُ كَراهِيَةُ كارِهٍ، وهوَ على يَقينٍ بأنَّ أجَلَهُ بِيَدِ الله عزَّ وجلَّ لا يَستَطيعُ أحَدٌ من المَخلوقاتِ أن يُقَدِّمَهُ لَحظَةً أو يُؤَخِّرَهُ لَحظَةً.

يا عِبادَ الله، لذا نَرى العَبدَ المؤمِنَ في أيّامِ الأزَماتِ يَدخُلُ أفضَلَ العِبادَةِ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «سَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللهَ

عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ». فهوَ يَلِجُ العِبادَةَ ــــ عِبادَةَ انتِظارِ الفَرَجِ ــــ أيّامَ الأزَماتِ.

نَسألُ اللهَ تعالى أن يُعَجِّلَ بالفَرَجِ عن هذهِ الأمَّةِ.

إذا اشتَدَّ الحَبلُ انقَطَعَ:

يا عِبادَ الله، المُؤمِنُ الواثِقُ بِرَبِّهِ عزَّ وجلَّ يَنتَظِرُ الفَرَجَ أيّامَ الشِّدَّةِ، فهوَ يُكثِرُ من الاستِرجاعِ: ﴿إنَّا لله وَإنَّـــا إلَيْهِ رَاجِعون﴾. ويُكثِرُ من قَولِ: (اللهُ المُستَعانُ) ويَحمَدُ اللهَ تعالى على كُلِّ حالٍ مُتَأسِّياً بسيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لله الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ» وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ».

يا عِبادَ الله، لقد كانَ العَرَبُ يَقولونَ: إذا اشتَدَّ الحَبلُ انقَطَعَ؛ كِنايَةً عن الشَّدائِدِ بأنَّها لن تَدومَ، ولأنَّهُ من المُحالِ دَوامُ الحالِ.

يا عِبادَ الله، إذا اشتَدَّتِ الأزمَةُ فُرِجَتْ بِإذنِ الله تعالى، فانتَظِروا فَرَجَاً ومَخرَجاً، ونَحنُ على يَقينٍ بذلكَ إن شَاءَ اللهُ تعالى، وهذا اليَقينُ ما جاءَ من مَواقِفَ شَرقِيَّةٍ أو غَربيَّةٍ، ما جاءَ من مَواقِفِ حُكّامٍ ولا مَحكومينَ، بل جَاءَ من خِلالِ القُرآنِ العَظيمِ، والحَديثِ الشَّريفِ:

قال تعالى: ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وروى الحاكم عَنِ الحَسَنِ فِي قَولِ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾. قال: خرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يوماً مَسروراً فَرِحاً وهوَ يَضحَكُ وهوَ يَقولُ: «لَن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾»

وروى الحاكم أيضاً عن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وبِحِيالِهِ جُحرٌ فقال: «لو جاءَ العُسرُ فَدَخَلَ هذا الجُحرَ لَجاءَ اليُسرُ فَدَخَلَ عَلَيهِ فَأخرَجَهُ». قال: فَأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾.

أفضَلُ العِبادَةِ انتِظارُ الفَرَجِ، ولكن سَلْ نَفسَكَ:

يا عِبادَ اللهِ، أفضَلُ العِبادَةِ انتِظارُ الفَرَجِ، وأنا على يَقينٍ بأنّ الأمَّةَ في هذا البَلَدِ تَنتَظِرُ الفَرَجَ من اللهِ تعالى، ويَتَساءَلونَ فيما بَينَ بَعضِهِمُ البَعضِ: متى الفَرَجُ؟

وإذا رأى النّاسُ رَجُلاً صالِحاً يَسألونَهُ هذا السُّؤالَ ظَنّاً منهُم أنّ عِندَهُ بِشارَةً، والحَقيقَةُ لا يَعلَمُ الغَيبَ إلا اللهُ تعالى، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾.

نعم، يا عِبادَ الله، نَنتَظِرُ الفَرَجَ، ولكن لِيَسألْ كُلٌّ واحِدٍ منّا نَفسَهُ هذا السُّؤالَ: ماذا نَوَيتَ أن تَقولَ أو تَعمَلَ لو جاءَ الفَرَجُ؟

يا من يُكثِرُ الدُّعاءَ بِتَعجيلِ الفَرَجِ، ويَقولُ في السَّحَرِ، وفي أوقاتِ استِجابَةِ الدُّعاءِ:

الشِّدَّةُ أودَتْ بالمُهَجِ *** يا ربِّ فَعَجِّلْ بالفَرَجِ

ماذا تُريدُ أن تَفعَلَ بَعدَ الفَرَجِ؟ لأيِّ شَيءٍ تَستَعِدُّ لو جاءَكَ الفَرَجُ اليَومَ، واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ؟ سَلْ نَفسَكَ هذهِ الأسئِلَةَ:

أولاً: هل أنتَ عازِمٌ على التَّحَقُّقِ بالعُبودِيَّةِ لله تعالى بَعدَ هذهِ الأزمَةِ؟

ثانياً: هل أنتَ سَتَلتَزِمُ العِبادَةَ التي خُلِقتَ من أجلِها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾؟

ثالثاً: هل إذا رَخُصَتِ الأسعارُ، وأطعَمَكَ اللهُ من جُوعٍ، وأمَّنَكَ من خَوفٍ، سَتَلتَزِمُ قَولَ الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

رابعاً: هل سَتَعزِمُ على أن لا تَعودَ إلى ما كُنتَ عَلَيهِ من مُخالَفاتٍ شَرعِيَّةٍ سُلوكِيَّةٍ كانَت أو أخلاقِيَّةٍ؟

خامساً: هل سَتَصطَلِحُ معَ الله تعالى؟ هل المرابي سَيَترُكُ الرِّبا؟ هل المُرتَشي سَيَترُكُ الرِّشوَةَ؟ هل الظَّالِمُ سَيَترُكُ ظُلمَهُ؟ هل العَاقُّ لِوالِدَيهِ سَيَترُكُ عُقوقَهُ؟ هل قَاطِعُ الرَّحِمِ سَيَترُكُ قَطيعَةَ الرَّحِمِ؟ هل..هل..هل.. ؟

يا عِبادَ الله، ما نَزَلَ بَلاءٌ إلا بِذَنبٍ، وما رُفِعَ إلا بِتَوبَةٍ، وهذهِ الأزمَةُ فَضَحَتِ العِبادَ وكَشَفَتْهُم على حَقيقَتِهِم، فهل من عَودَةٍ إلى الله تعالى؟

يا عِبادَ الله، مُصِيبَةُ المَصَائِبِ إذا كانَتِ الأُمَّةُ تَنتَظِرُ الفَرَجَ لِتَرجِعَ إلى ما كانَتْ عَلَيهِ، من سُفورِ النِّساءِ، وطُغيانِ الشَّبابِ، وأكلِ الأموالِ بالبَاطِلِ، والجَورِ والظُّلمِ والحِقدِ والحَسَدِ وعَدَمِ الاحتِكامِ إلى كتابِ الله عزَّ وجلَّ؛ مُصيبَةُ المَصائِبِ إذا لم تُؤَدِّبْنا هَذهِ الأزمَةُ.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عباد الله، أرَأيتُم مَريضاً دَخَلَ المَشفَى لإجراءِ عَمَلِيَّةٍ جراحِيَّةٍ لهُ، يَنتَظِرُ الشِّفاءَ والتَّخَلُّصَ من ألَمِ العَمَلِيَّةِ لِيَرجِعَ إلى السَّبَبِ الذي كانَ مُوجِباً لِذاكَ المَرَضِ؟!

إنَّ العَبدَ المَريضَ الذي أُجرِيَتْ لهُ العَمَلِيَّةُ الجِراحِيَّةُ لِتَخليصِهِ من الدَّاءِ الذي حَلَّ به، إذا كانَ يَعيشُ بأمَلِ الشِّفاءِ من خِلالِ الألَمِ الذي ألَمَّ به لِيَرجِعَ إلى ما كانَ سَبَباً لِنُزولِ المَرَضِ به، واللهِ ما هوَ إلا رَجُلٌ أخرَقُ لا عَقلَ لهُ.

ونَحنُ يا عِبادَ الله، ما جَعَلَ اللهُ تعالى بَأسَنا بَينَنا شَديداً إلا لإعراضِنا عن كِتابِ الله عزَّ وجلَّ، وعن هَدْيِ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ» رواه الحاكم وابن ماجه عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

نَسألُ اللهَ تعالى أن يَرُدَّنا إلى دِينِهِ رَدّاً جَميلاً، وأن يَكشِفَ الغُمَّةَ عن هذهِ الأمَّةِ، وأن يُخرِجَنا من الهَمِّ والغَمِّ والكَربِ العَظيمِ عاجِلاً غَيرَ آجِلٍ. آمين.

٣٥٤ـ خطبة الجمعة: ماذا ادَّخرنا؟ وماذا أعددنا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، بَعدَ أيّامٍ سَنَستَقبِلُ عاماً هِجرِيّاً جَديداً بَعدَ أن نُوَدِّعَ هذا العامَ الذي بَقِيَ منهُ أيّامٌ مَعدودةٌ، نُوَدِّعُ عاماً كامِلاً مَضى من عُمُرِنا، وكُلُّ واحِدٍ منّا استَودَعَ في هذا العامِ عَمَلاً لهُ، فهُناكَ من أودَعَ في هذا العامِ فِعلَ الخَيراتِ والمَبَرّاتِ والقُرُباتِ، والأمرَ بالمَعروفِ والنَّهيَ عن المُنكَرِ، والإصلاحَ بَينَ النّاسِ، وهُناكَ من أودَعَ في هذا العَامِ الشُّرورَ والآثامَ وارتِكابَ المُوبِقاتِ، من سَفكِ دِمَاءٍ، وسَلْبِ أموالٍ، وتَرويعٍ للآمِنينَ.

يا عِبادَ الله، نُوَدِّعُ عَاماً كَامِلاً وقد نَزَلَ بالأمَّةِ فيهِ نَوازِلُ أَقَضَّتْ مَضاجِعَها، وأَقَضَّتْ مَضاجِعَ أولي الألبابِ والنُّهى، وهَزَّتْ أفئِدَتَهُم، وأدمَعَتْ قُلوبَهُم دَماً بَعدَ عُيونِهِم دَمعاً.

ماذا ادَّخَرْنا؟ وماذا أعدَدْنا؟

يا عِبادَ الله، ها نَحنُ نُوَدِّعُ عاماً هِجرِيّاً ونَستَقبِلُ آخَرَ، فماذا ادَّخَرْنا فيما مَضى؟ وماذا أعدَدْنا لما نَستَقبِلُ؟ هل ادَّخَرْنا في صَحائِفِنا ما يَسُرُّنا غداً عِندَما نَراهُ، ويَقولُ كُلُّ واحِدٍ منّا: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيه﴾؟

وماذا أعدَدْنا للعَامِ الجَديدِ، وخاصَّةً ونَحنُ نَنتَظِرُ الفَرَجَ من الله تعالى؟ هل أعدَدْنا العَزمَ على التَّوبَةِ والإنابَةِ والرُّجوعِ إلى الله تعالى، والاصطِلاحِ معَ الله تعالى،

وإصلاحِ ما أفسَدْنا؟ أم عَزَمْنا على أن نَبقى على ما كُنّا عَلَيهِ من إعراضٍ عن ذِكرِ الله تعالى، وعِنادٍ لآياتِ الله تعالى؟

هل أعدَدْنا أنفُسَنا لأن نَقولَ لِنداءِ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ؟

هل أعدَدْنا أنفُسَنا لِضَبطِ أهوائِنا بما جاءَ به سيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القائِلُ: «لا يُؤمِنُ أحَدُكُم حتَّى يَكونَ هَواهُ تَبَعاً لما جِئتُ به»؟ رواه الحكيمُ وأبو نَصرٍ في الإبانةِ؛ وقال: حَسَنٌ غَريبٌ. والخَطيب عن ابن عَمرو رَضِيَ اللهُ عنهُما.

أم عَزَمْنا على أن نَبقَى على ما كُنّا عَلَيهِ من اتِّباعِ الهَوى الذي أَهوَى بالأمَّةِ إلى ما نَراهُ اليَومَ؟

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيه﴾:

يا عِبادَ الله، ونَحنُ نُوَدِّعُ عاماً كامِلاً من أعمارِنا، ونَستَقبِلُ عاماً جَديداً يَجِبُ عَلَينا أن نَعلَمَ عِلمَ اليَقينِ بأنّ الأَيَّامَ دُوَلٌ، يَومٌ لَكَ ويَومٌ عَلَيكَ، وأنّ الأعمارَ بيَدِ الله تعالى، وأنّ الإنسانَ لا يَعلَمُ ما في القَدَرِ، ولا على أيِّ حالٍ سَتَكونُ نِهايَتُهُ، هل على طاعَةٍ يُختَمُ لهُ؟ أم على مُوبِقَةٍ من المُوبِقاتِ؟

يا عِبادَ الله، لَئِن كانَ العَبدُ الكافِرُ يَعيشُ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا هَمَجاً، يَحيا لِدُنياهُ ويَموتُ لها، ولا يَرجو جَنَّةً ولا يَخافُ نَاراً، ولا يَرجُو جَزاءً ولا شُكوراً، هَمُّهُ الطَّعامُ والشَّرابُ والنِّساءُ وزِينَةُ الدُّنيا من حُبِّ الشَّهَواتِ من النِّساءِ والبَنِينَ

والقَناطِيرِ المُقَنطَرَةِ من الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخَيلِ المُسَوَّمَةِ والأنعامِ والحَرثِ، فإنّ العَبدَ المُؤمِنَ التَّقِيَّ الصَّالحَ يَحيا لآخِرَتِهِ، ودُنياهُ تَبَعٌ لآخِرَتِهِ، وأمَلُهُ مُتَعَلِّقٌ بقَولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿من كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهو مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾.

يا عِبادَ اللهِ، لِيَعلَمْ العَاقِلُ أنّ الدُّنيا دَارُ عَمَلٍ، وأنّ الآخِرَةَ دَارُ جَزاءٍ، والعُمُرُ قَصيرٌ والأيّامُ تُطوى، وعَمَلُهُ سَيُلاقِيهِ عِندَ لِقاءَ ربِّهِ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيه﴾. أي: إنّكَ ساعٍ إلى رَبِّكَ سَعياً، وعامِلٌ عَمَلاً فَمُلاقِيهِ، إنْ خَيراً فَخَيرٌ، وإنْ شَرّاً فَشَرٌّ، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَو أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ واللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَاد﴾.

يا عِبادَ اللهِ، لِيَعلَمْ العاقِلُ الحَديثَ الشَّرِيفَ الذي رواه الحاكم عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: جَاءَ جبريلُ عَلَيهِ السَّلامُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فقال: «يا مُحَمَّدُ، عِشْ ما شِئتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ، وأحبِبْ من شِئتَ فإنّكَ مُفارِقُهُ، واعمَلْ ما شِئتَ فإنَّكَ مَجزِيٌّ بِهِ». إذا كانَ هذا في حَقِّ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فكيفَ في حَقِّنا؟

السَّعيدُ من حَاسَبَ نَفسَهُ:

يا عِبادَ الله، إنّ السَّعيدَ من حَاسَبَ نَفسَهُ قَبلَ المَوتِ على أعمالِهِ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، وسَلَكَ طَريقَ أهلِ الجَنَّةِ، واتَّصَفَ بِصِفاتِ المتَّقينَ، وضَبَطَ نَفسَهُ بِضَوابِطِ الشَّريعَةِ في الرِّضا والغَضَبِ، في العُسرِ واليُسرِ، في أيّامِ الأمنِ والأمانِ، وفي أيّامِ الخَوفِ والفَزَعِ.

يَقولُ أميرُ المُؤمِنينَ سيّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وزِنوا أعمالَكُم قَبلَ أن تُوزَنَ لكُم، فإنَّهُ أهوَنُ لِحِسابِكُم، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا.

قِفْ معَ نَفسِكَ هذهِ الوَقَفاتِ:

يا عِبادَ الله، ونَحنُ نُوَدِّعُ عاماً هِجرِيّاً ونَستَقبِلُ آخَرَ لِنَقِفْ معَ أنفُسِنا هذهِ الوَقَفاتِ:

أولاً: اللهُ ناظِرٌ إلى ما في قَلبِكَ:

اِعلَمْ بأنَّ اللهَ تعالى ناظِرٌ إلى ما في قَلبِكَ، لأنّ القَلبَ مَحَلُّ نَظَرِ الرَّبِّ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

ماذا يَوجَدُ في قَلبِكَ؟ ماذا يَوجَدُ من نَوايا؟ وماذا تَحمِلُ فيهِ تُجاهَ إخوانِكَ المُسلِمينَ؟ وهل تَنظُرُ بِقَلبِكَ إلى رَبِّكَ لِتُرضِيَهُ، أم للعِبادِ لِتُرضِيَهُم؟

ثانياً: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾:

اِعلَمْ بأنّ لكَ نِهايَةٌ مهما طالَتْ حَياتُكَ، لأنّ ما كانَ لهُ بِدايَةٌ فلهُ نِهايَةٌ، والأزمَةُ لها بِدايَةٌ ولها نِهايَةٌ، وأرجو اللهَ تعالى أن تَكونَ أقرَبَ إلَينا من لَمحِ البَصَرِ، اُنظُرْ إلى من خَطفَتْهُ المَنِيَّةِ من حاكِمٍ ومَحكومٍ، ومن ظالِمٍ ومَظلومٍ، ومن باغٍ ومَبغِيٍّ عَلَيهِ، ومن قاتِلٍ ومَقتولٍ، ومن سارِقٍ ومَسروقٍ، ومن خاطِفٍ ومَخطوفٍ، ومن مُرَوِّعٍ ومُرَوَّعٍ.

كُنْ على يَقينٍ بأنّ نِهايَتَكَ قَريبَةٌ، لأنّ كُلّ آتٍ قَريبٌ، وكُنْ على يَقينٍ بأنّكَ لن تَخلُدَ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، لأنّهُ لو جُعِلَ الخُلدُ لأحَدٍ لكانَ لسيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُون * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

نعم، لا بُدَّ لكَ من نِهايَةٍ، ولكنْ فارِقٌ كبيرٌ بَينَ نِهايَةٍ ونِهايَةٍ، فَهُناكَ نِهايَةٌ لِعَبدٍ يَستَريحُ بِنِهايَتِهِ، وهُناكَ عَبدٌ يُستَراحُ منهُ بِنِهايَتِهِ، فأيُّ العَبدَينِ أنتَ؟

ثالثاً: عُمُرُكَ رأسُ مالِكَ:

اِعلَمْ بأنّ عُمُرَكَ رأسُ مالِكَ، وهوَ مَيدانُ العَمَلِ، ومَرتَعُ الطّاعَةِ والمَعصِيَةِ، فحافِظْ على عُمُرِكَ، واملأهُ بالإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ والتّواصي بالحَقِّ والصّبرِ، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبْرِ﴾.

يَقولُ الإمامُ الشّافِعِيٌّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: لو لم يُنزلِ اللهُ تعالى على خَلقِهِ إلا هذهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُم.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عبادَ الله، في نِهايَةِ عامٍ هِجرِيٍّ، واستِقبالِ آخَرَ أُذَكِّرُ نَفسي وإيّاكُم بِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» رواه الحاكم والإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ومن العَمَلِ لما بَعدَ المَوتِ الإصلاحُ بَينَ النّاسِ، قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

ومن العَمَلِ لما بَعدَ المَوتِ الإكثارُ من الصِّيامِ في شَهرِ الله المُحَرَّمِ، فقد جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ الله الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ».

يا عِبادَ الله، لِنُوَدِّعْ هذا العامَ بالتَّوبَةِ الصّادِقَةِ، ولنستَقبِلِ العامَ الجَديدَ بالصِّيامِ، وخاصَّةً بصِيامِ الجَوارِحِ عن إيذاءِ المُسلِمينَ. فالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

اللّهُمَّ وَفِّقنا للعَمَلِ الذي يُرضيكَ عنّا. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

٣٥٥ـ خطبة الجمعة: لماذا فقدان الثقة والأمل بالله تعالى؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، إنّ الثِّقَةَ بالله تعالى هيَ خُلاصَةُ التَّوَكُّلِ عَلَيهِ، وهيَ قِمَّةُ التَّفويضِ لله تعالى.

إنّ الثِّقَةَ بالله تعالى تَعني اطمِئنانَ القَلبِ الذي لا يُخالِطُهُ الشَّكُّ بأنّ اللهَ تعالى لا يُريدُ لِعَبدٍ مُؤمِنٍ إلا الخَيرَ.

إنّ الثِّقَةَ بالله تعالى تَعني التَّسليمَ المُطلَقَ لله عزَّ وجلّ، لأنّ اللهَ تعالى هوَ الأعلَمُ بما يُصلِحُنا وبما يَنفَعُنا وبما يَضُرُّنا، قال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

ثِقَةُ أُمِّ سيِّدِنا موسى عَلَيهِ السَّلامُ بالله تعالى:

يا عِبادَ الله، إنّ الثِّقَةَ بالله تعالى هيَ التي دَفَعَتْ أُمَّ سيِّدِنا موسى عَلَيهِ السَّلامُ لأنْ تُلقِيَ وَلَدَها وفَلْذَةَ كَبِدِها في البَحرِ، لأنَّها على يَقينٍ بأنّ الآمِرَ ضامِنٌ للنَّتائِجِ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

نَعَم، يا عِبادَ الله، ما من شَيءٍ في الوُجودِ إلا وهوَ جُندِيٌّ من جُنودِ الله تعالى القائِلِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ﴾. فالبَحرُ جُندِيٌّ من جُنودِ الله تعالى، لذلكَ تَوَجَّهَ إِلَيهِ أمرُ الله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾. وحتَّى فِرعَونُ سَوفَ يَأخُذُ سيِّدَنا موسى عَلَيهِ السَّلامُ رَغمَ أَنفِهِ بأمرٍ من الله تعالى من حَيثُ لا يَشعُرُ، قال تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾. يَأخُذُهُ رَغماً عن أَنفِهِ بدونِ اختِيارٍ منهُ.

نَعَم، يا عِبادَ الله، إنَّ الثِّقَةَ بالله تعالى هيَ التي دَفَعَتْ أُمَّ سيِّدِنا موسى عَلَيهِ السَّلامُ لإلقاءِ وَلَدِها في البَحرِ عِندَما خافَتْ عَلَيهِ، قال تعالى آمِراً لها: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

عِندَما ألقَتْ وَلَدَها في اليَمِّ ثِقَةً منها بِوَعْدِ ربِّها عزَّ وجلَّ كانَ الجَزاءُ أنْ رَدَّهُ اللهُ تعالى إِلَيها، قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

ثِقَةُ سيِّدِنا موسى عَلَيهِ السَّلامُ بالله تعالى:

يا عِبادَ الله، لقد رُبِّيَ سيِّدُنا موسى عَلَيهِ السَّلامُ بهذهِ الثِّقَةِ بالله تعالى، حَيثُ تَجَلَّتْ هذهِ التَّربِيَةُ واضِحَةً عِندَما انطَلَقَ سيِّدُنا موسى عَلَيهِ السَّلامُ معَ قَومِهِ فارّاً من فِرعَونَ وقَومِهِ حتَّى وَصَلوا البَحرَ، فقالَ أصحابُ سيِّدِنا موسى عَلَيهِ السَّلامُ

لِنَبِيِّهِم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُون﴾. فأجابَهُم إجابَةَ الواثِقِ بِرَبِّهِ: ﴿كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين﴾.

فماذا كانَت نَتيجَةُ هذهِ الثِّقَةِ باللهِ الآمِرِ الضَّامِنِ؟ لقد كانَتِ النَّتيجَةُ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُم * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾.

يا عِبادَ الله، نَحنُ بأَمَسِّ الحاجَةِ في هذهِ الأزمَةِ إلى هذهِ الثِّقَةِ بالله تعالى، وأن نَكونَ على يَقينٍ بأنَّ الأمرَ بِيَدِ الله تعالى، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الترمذي عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الْأَقْلَامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ».

ثِقَةُ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بالله تعالى:

يا عِبادَ الله، إذا كانَت كُلُّ أُمَّةٍ تَفتَخِرُ بِعُظَمائِها، وتَحتَفي بِسيرَةِ نُبَلائِها، يَذكُرونَ مَآثِرَهُم، ويُسَطِّرونَ مَفاخِرَهُم، ويَجعَلونَ أقوالَهُم وأفعالَهُم مناراً يَهتَدونَ بها، ومِنهاجاً يَسيرونَ عَلَيهِ، فإنَّ أُمَّةَ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هيَ أَولَى بذلكَ منهُم، ومن حَقِّها أن تَفتَخِرَ وتَحتَفِيَ بِسيرَةِ نَبِيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا أُمَّةَ سيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ، يا أهلَ سورِيّا، يا من تَعيشونَ هذهِ الأزمَةَ التي أبكَتِ القُلوبَ قَبلَ العُيونِ، بِسَبَبِ سَفْكِ الدِّماءِ البَريئَةِ، وتَهديمِ البُيوتِ الآمِنَة، وسَلْبِ الأموالِ المُصانَةِ، وتَيتيمِ الأطفالِ الأبرِياءِ، وتَرميلِ النِّساءِ الضَّعيفاتِ، وتَرويعِ الآمِنينَ: لقد شاءَ ربُّنا عزَّ وجلَّ أن يَجعَلَ لنا في طَريقِنا الذي نَسيرُ فيهِ إلى آخِرَتِنا مَحَطّاتٍ لِتَقوِيَةِ الإيمانِ.

من هذهِ المَحَطّاتِ ذِكرى الهِجرَةِ النَّبَوِيَّةِ التي عَلَّمَتِ الأُمَّةَ كيفَ تَكونُ الثِّقَةُ باللهِ تعالى، وكيفَ تَكونُ العِزَّةُ باللهِ تعالى، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿إلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾.

﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ كَلِمَةٌ تَجعَلُ في القَلبِ الطُّمَأنينَةَ والرَّاحَةَ والثِّقَةَ باللهِ تعالى، لأنَّ من كانَ اللهُ تعالى معَهُ فهوَ الغالِبُ وليسَ بالمَغلوبِ، وهوَ المَنصورُ وليسَ بالمَهزومِ، وهوَ العَزيزُ وليسَ بالذَّليلِ.

يا عِبادَ اللهِ، لقد خَرَجَ سَيِّدُنا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ وَحيداً فَريداً طَريداً مُلاحَقاً ومعَهُ صاحِبُهُ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عنهُ،

لقد لاحَقَتْهُ أُمُّ القُرى عاصِمَةُ بِلادِ الحِجازِ بَعدَ أن ضَيَّقَتْ عَلَيهِ ــ بأبي وأُمِّي أنتَ يا سيِّدي يا رَسولَ الله ــ حتَّى وَصَلوا إلى الغارِ الذي ضَمَّ الحَبيبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وصَاحِبَهُ رَضِيَ اللهُ عنهُ.\

فقالَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ.

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا» رواه الشيخان عن أبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ثِقَةٌ بالله تعالى لا تَتَزَعزَعُ، واعتِزازٌ بالله تعالى لا مَثيلَ لهُ، ومن اعتَزَّ بالله تعالى وَوَثِقَ بهِ فَليَكُنْ بَعدَ ذلكَ عَدُوُّهُ من كانَ ومهما كانَ، في شِدَّتِهِ وبَطشِهِ، وقُوَّةِ سِلاحِهِ، وكَثرَةِ جُندِهِ، لأنَّ اللهَ تعالى هوَ الأقوى، ولأنَّ المُؤمِنَ بِرَبِّهِ عزَّ وجلَّ هوَ الأعَزُّ، ولن يُغلَبَ العَبدُ ما دامَ اللهُ تعالى معَهُ ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾.

فماذا كانَتِ النَّتيجَةُ؟ لقد كانَتِ النَّتيجَةُ كما قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا واللهُ عَزِيزٌ حَكِيم﴾.

لماذا اليَأسُ والقُنوطُ والإحباطُ؟

يا عِبادَ اللهِ، يا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ، لماذا اليَأسُ والقُنوطُ والإحباطُ؟ لماذا فِقدانُ الأمَلِ والثِّقَةِ باللهِ تعالى؟

أَلَيسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿لِلهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾؟

ألَيسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾؟

ألَيسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾؟

ألَيسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور﴾؟

ألَيسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾؟

أَليسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾؟ أمَا كانَ خَرْقُ السَّفينَةِ لِصَالِحِ أهلِها؟ أمَا كانَ قَتْلُ الغُلامِ لِصَالِحِ أبَوَيهِ؟ أمَا كانَ بِناءُ الجِدارِ لِصَالِحِ اليَتيمَينِ؟

أَليسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾؟

أَليسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُون * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين﴾؟

أَليسَ اللهُ تعالى هوَ القائِلَ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد * كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾؟

يا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ، لماذا اليَأسُ والقُنوطُ والإحباطُ وفِقدانُ الأمَلِ والثِّقَةِ باللهِ تعالى واللهُ تعالى يَقولُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُم﴾. ويَقولُ: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عبادَ الله، ربُّنا عزَّ وجلّ لن يَتَخَلّى عن أُمَّةٍ التَزَمَت قَولَ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ» رواه الترمذي عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

يا عِبادَ الله، لِنُفَتّشْ قُلوبَنا أَيّامَ الأزمَةِ والشّدَّةِ هل فيها الثِّقَةُ بالله تعالى أم لا؟ هل نَقولُ في الشِّدَّةِ والضِّيقِ لِبَعضِنا البَعضِ: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾. هل يُذَكِّرُ بَعضُنا بَعضاً بالله تعالى؟

يا صَاحِبَ الهَمِّ إنّ الهَمَّ مُنفَرِجٌ *** أبشِرْ بِخَيرٍ فإنّ الفارِجَ اللهُ

إذا بُليتَ فَثِقْ بالله وارضَ به *** إنَّ الذي يَكشِفُ البَلوى هوَ اللهُ

نَسألُ اللهَ تعالى أن يَرزُقَنا حُسنَ الظَّنِّ به تعالى، وأن يَجعَلَ ثِقَتَنا به وتَوَكُّلَنا عَلَيهِ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٥٦ـ خطبة الجمعة: من أجل كشف الغمة (١) علينا بالإيمان والعمل الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، إنّ النّاظِرَ في مُجرَياتِ الأحداثِ، والمُطّلِعَ على وَقائِعِ الأُمورِ، والمُتابعَ لما يَدورُ في السّاحَةِ اليومَ، يَجدُ أنّ الأمرَ جَلَلٌ، والخَطبَ عَظيمٌ، وقد أدّى إلى واقِعٍ أليمٍ ومَريرٍ.

والكُلُّ يَتَساءَلُ ماذا أفعَلُ في ظِلّ هذهِ الظّروفِ الصّعبَةِ القاسِيَةِ، والمَواقِفِ الحَرِجَةِ؟ وماذا أَصنَعُ؟ وهل بِمَقدوري أن أَدفَعَ هذا البَلاءَ الذي يُصَبُّ على الأُمّةِ صَبّاً والعِياذُ بالله تعالى؟

يا عِبادَ الله، إذا أرَدْنا أن نَتَخَلّصَ من هذهِ المِحَنِ القاسِيَةِ، ومن هذا البَلاءِ الشّديدِ، ومن هذا الكَربِ العَظيمِ، وإذا أرَدْنا أن يَكشِفَ اللهُ تعالى عنّا هذهِ الغُمّةَ، فلا يَسَعُنا إلا أن نَرجِعَ إلى كِتابِ ربِّنا عزّ وجلّ، الذي جَعَلَهُ البَعضُ خَلفَ ظَهرِهِ معَ وُجودِ الإيمانِ به، اِكتَفى بالإيمانِ به، واكتَفى بالتّجَمُّلِ فيهِ، وأن يَجعَلَهُ شِعاراً لهُ يَتَحَلّى به.

إنْ سَأَلْتَهُ عن إيمانهِ قال: أنا مُؤمِنٌ، أنا من أهلِ القُرآنِ، أنا من أتباعِ الحَبيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

مُؤمِنٌ ومن أهلِ القُرآنِ ومن أتباعِ الحَبيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَعيشُ عِيشَةَ الأشقِياءِ، ويَعيشُ حَياةَ الشَّقاءِ والضَّنكِ ويُصَبُّ عَلَيهِ البَلاءُ صَبّاً، إنَّ هذا لَأمرٌ عَجيبٌ، لأنَّهُ لو رَجَعنا إلى كِتابِ ربِّنا عزَّ وجلَّ فإنَّا نَجدُ ربَّنا عزَّ وجلَّ رتَّبَ على الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ أُموراً وثَمَراتٍ، فأينَ ثَمَراتُ هذا الإيمانِ في الأُمَّةِ المُؤمِنَةِ؟

يا عباد الله ، لو نَظَرنَا وبَحَثنا عن ثَمَراتِ هذا الإيمانِ في الأُمَّةِ نَجِدُ جُلَّها غائِبٌ، فهل الشَّكُّ في وَعْدِ الله تعالى، أم الشَّكُّ في الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ؟

لا شَكَّ أيُّها الإخوة الكرام بأنَّ وَعْدَ الله تعالى لا يُخلَفُ، فالمُشكِلَةُ ليسَت في الوَعْدِ من الله تعالى، بل الشَّكُّ في إيمانِنا وعَمَلِنا الصَّالِحِ.

نَتائِجُ وثَمَراتُ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ:

أيُّها الإخوة الكرام: تَعالَوا لِنَنْظُرْ في كِتابِ الله عزَّ وجلَّ، ولنَبحَثْ عن نَتائِجِ وثَمَراتِ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ.

أولاً: اللهُ تعالى وَلِيُّ المُؤمِنينَ:

ربُّنا عزَّ وجلَّ رَتَّبَ على الإيمانِ وِلايَتَهُ على العَبدِ المُؤمِنِ، قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ

يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾.
وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُم﴾.

فالمُؤمِنُ مُندَرِجٌ تَحتَ وِلايَةِ الله تعالى ومَعونَتِهِ ونُصرَتِهِ ورِعايَتِهِ وهِدايَتِهِ.فهل تَشعُرُ الأُمَّةُ اليَومَ بِولايَةِ الله تعالى لها، وبِعِنايَتِهِ لها، ورِعايَتِهِ وهِدايَتِهِ ونُصرَتِهِ ما دامَت تَدَّعي الإيمانَ والعَمَلَ الصَّالِحَ؟

يا عِبادَ الله، جاءَ في الأَثَرِ عن وَهبِ بن مُنَبِّه قال: أوحَى اللهُ إلى دَاودَ عَلَيهِ السَّلامُ: يا دَاودُ، أما وَعِزَّتي وجَلالي وعَظَمَتي لا يَنتَصِرُ بي عَبدٌ من عِبادِي دُونَ خَلقِي، أعلَمُ ذلكَ من نِيَّتِهِ فَتَكيدُهُ السَّماواتُ السَّبعُ ومَن فيهِنَّ، والأرضونَ السَّبعُ ومَن فيهِنَّ، إلا جَعَلتُ له مِنهُنَّ فَرَجاً ومَخرَجاً، أما وَعِزَّتي وجَلالي لا يَعتَصِمُ عَبدٌ من عِبادِي بِمَخلوقٍ دُونِي، أعلَمُ ذلكَ من نِيَّتِهِ إلا قَطَعتُ أسبابَ السَّماواتِ من يَدِهِ، وأسخَطْتُّ الأرضَ من تَحتِهِ، ولا أُبالِي في أيِّ وَادٍ هَلَكَ.

يا أَيَّتُها الأُمَّةُ التي تَعيشُ هذهِ الأزمَةَ والتي يُكادُ لها ليلاً في الظُّلُماتِ في أماكِنَ لا يَعلَمُها إلا اللهُ تعالى، هل سَمِعتِ هذا الأَثَرَ القُدسِيَّ؟

ثانياً: المُؤمِنُ هوَ الأَعلى:

ربُّنا عزَّ وجلَّ جَعَلَ المُؤمِنَ هوَ الأَعلى والقُدوَةَ الصَّالِحَةَ وصاحِبَ الخَيريَّةِ بِبَرَكَةِ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، قال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين﴾. وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله﴾.

هذهِ الآياتُ تَغرِسُ في قَلبِ المُؤمِنِ مَعانِيَ العِزَّةِ والكَرامَةِ والخَيريَّةِ، فهل تَشعُرُ الأُمَّةُ المُؤمِنَةُ بهذا؟

ثالثاً: اللهُ تعالى يُدافِعُ عن المُؤمِنينَ:

ربُّنا عزَّ وجلَّ يُدافِعُ عن الذينَ آمَنوا، ولن يَجعَلَ للكافِرينَ عَلَيهِم سَبيلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.

فهل تَشعُرُ الأُمَّةُ بِدِفاعِ الله تعالى عنها، وأنّ اللهَ تعالى لن يجعَلَ للكافِرينَ عَلَيها سَبيلاً؟

رابعاً: حَياةُ المُؤمِنِ في الدُّنيا حَياةٌ

ربُّنا عزَّ وجلَّ رَتَّبَ على الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ للمُؤمِنِ في الحَياةِ الدُّنيا الحَياةَ الطَّيِّبَةَ، والجَزاءَ عَلَيهِ يومَ القِيامَةِ، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾.

فهل تَعيشُ الأُمَّةُ حَياةً طَيِّبَةً اليَومَ ما دَامَت تَدَّعي الإيمانَ والعَمَلَ الصَّالِحَ؟

خامساً: المُؤمِنُ قَلبُهُ مُطمَئِنٌّ:

ربُّنا عزَّ وجلَّ رَتَّبَ على الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ طَمَأنينَةَ القَلبِ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾.

فهل قَلبُ الأُمَّةِ اليَومَ مُطمَئِنٌّ بأنَّ اللهَ تعالى يُدافِعُ عنها، وأنَّها هيَ الأَعلى، وأنَّ اللهَ تعالى وَلِيُّها ما دَامَت أُمَّةً مُؤمِنَةً وتَعمَلُ صَالِحاً؟

سادساً: المُؤمِنُ مُستَخلَفٌ في الأرضِ بِوَعْدِ اللهِ تعالى:

ربُّنا عزَّ وجلَّ وَعَدَ الذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ بالاستِخلافِ والتَّمكينِ في الأرضِ، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾.

فهل الأُمَّةُ اليَومَ مُستَخلَفَةٌ ومُمَكَّنَةٌ في الأرضِ، وهيَ تَدَّعي الإيمانَ والعَمَلَ الصَّالِحَ؟

أم أنَّها تَطلُبُ الاستِخلافَ والتَّمكينَ في الأرضِ حتَّى تُقَوِّيَ إيمانَها وتَعمَلَ صَالِحاً؟

أيُّ إيمانٍ لهُ هذهِ الثَّمَراتِ؟

يا عِبادَ اللهِ، ربُّنا عزَّ وجلَّ رَتَّبَ هذهِ الثَّمَراتِ على الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، فأيُّ إيمانٍ يُعطي هذهِ الثَّمَراتِ هل هوَ الإيمانُ القَولِيُّ أم الإيمانُ الذي وَقَرَ في القَلبِ وصَدَّقَهُ العَمَلُ؟

ربُّنا عزَّ وجلَّ نَفى الإيمانَ عن قَومٍ آمَنوا بالقَولِ دونَ العَمَلِ، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بالله وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾. لأنَّ أفعالَهُم كانَت مُناقِضَةً لأقوالِهِم.

ربُّنا عزَّ وجلَّ رَتَّبَ تِلكَ الثَّمَراتِ على الإيمانِ المُستَقِرِّ في القَلبِ، والذي تُصَدِّقُهُ الجَوارِحُ، كما جاءَ في مصنف ابن أبي شيبة عَن الْحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: إنَّما الْإِيمَانُ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، إنَّما الْإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ.

اِستَحضِرِ الإيمانَ بالله تعالى وباليَومِ الآخِرِ عِندَ كُلِّ قَولٍ وعَمَلٍ:

يا عِبادَ الله، كُلُّنا يَدَّعي الإيمانَ بالله تعالى وباليَومِ الآخِرِ، فهل نَستَحضِرُ هذا الإيمانَ عِندَ كُلِّ قَولٍ وعَمَلٍ، وهل قَبلَ القَولِ والعَمَلِ نَستَحضِرُ قَولَ الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون﴾؟

هل القاتِلُ للأبرياءِ، والسَّافِكُ للدِماءِ، والمُرَوِّعُ للآخَرينَ، يَستَحضِرُ قَولَ الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُون﴾؟

وهل الذي يَنفُخُ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ يَستَحضِرُ وُقوفَهُ بَينَ يَدَي الله تعالى، وأنَّ اللهَ تعالى سائِلُهُ عن ذلكَ، وهوَ يَرى دِماءَ المُسلِمينَ تُسفَكُ بِغَيرِ حِسابٍ، وبُيوتَ المُسلِمينَ تُهَدَّمُ بِغَيرِ حِسابٍ، وأموالَ المُسلِمينَ تُتلَفُ بِغَيرِ حِسابٍ؟

هل النَّفخُ في النَّارِ لإيقادِها بَينَ المُسلِمينَ من عَلاماتِ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، واللهُ تعالى يَقولُ: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ

أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾؟

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عبادَ الله، إذا أَرَدْنا كَشْفَ الغُمَّةِ فَعَلَينا أن نُحَقِّقَ في أنفُسِنا الإيمانَ الذي رَتَّبَ اللهُ عزَّ وجلَّ عَلَيهِ تِلكَ الثَّمَراتِ، من وِلايَةٍ، وعُلُوٍّ، ودِفاعٍ، وحَياةٍ طَيِّبَةٍ، واطمِئنانِ قَلبٍ، واستِخلافٍ وتَمكينٍ في الأرضِ، عَلَينا أن نُحَقِّقَ الإيمانَ الذي نُتَرجِمُ عنهُ بِسُلوكِنا وأحوالِنا، عَلَينا بالإيمانِ الذي بِبَرَكَتِهِ وبِسَبَبِهِ تُكشَفُ الغُمَّةُ عن المُؤمِنينَ، كما قال تعالى: ﴿إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾.

يا من يُريدُ كَشْفَ الغُمَّةِ عَلَيكَ بهذا الإيمانِ، إيمانٍ راسِخٍ في القَلبِ صَدَّقَتْهُ الجَوارِحُ.

اللَّهُمَّ رُدَّنا إِلَيكَ رَدًّا جَميلاً. آمين.

أَقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٥٧ـ خطبة الجمعة: من أجل كشف الغمة (٢) علينا بالتوبة والاستغفار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، إنّ من حِكمَةِ الله تعالى في الابتِلاءاتِ والمَصائِبِ التي تُصيبُ الأُمَّةَ أن تَستَيقِظَ النُّفوسُ التي ابتَعَدَت عن الله تعالى، وتَرِقَّ هذهِ القُلوبُ بَعدَ طُولِ غَفلَةٍ عنهُ تَبارَكَ وتعالى، فَيَتَوَجَّهَ الخَلائِقُ إلى رَبِّهِم ويَتَضَرَّعونَ إلَيهِ، ويَطلُبونَ رَحمَتَهُ وعَفوَهُ، ويَرجونَ تَأييدَهُ ونَصرَهُ، إعلانٌ بالعُبودِيَّةِ لله تعالى وتَسليمٌ كامِلٌ لَهُ، وإنابَةٌ واستِكانَةٌ وإصلاحٌ للحَالِ، ونَبْذٌ للمُنكَرِ وتَحريرٌ من الشَّهَواتِ والأهواءِ، فإذا فَعَلوا ذلكَ وَجَدوا بإذنِ الله تعالى الرَّاحَةَ والأمَلَ والفَرَجَ والنَّصرَ.

قال تعالى: ﴿إلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾. يقولُ قَتادَةُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: لم يَكُن هذا في الأُمَمِ قَبلَهُم لم يَنفَعْ قَريَةً كَفَرَت ثمَّ آمَنَت حِينَ حَضَرَهَا العَذابُ، فَتُرِكَت، إلا قَومَ يُونُسَ، لَمّا فَقَدوا نَبِيَّهُم وَظَنّوا أنّ العَذابَ قَد دَنا منهُم، قَذَفَ اللهُ في قُلوبِهِمُ التَّوبَةَ، ولَبِسُوا المُسوحَ، وَفَرَّقوا بَينَ كُلِّ بَهيمَةٍ وَوَلَدِها، ثمّ عَجُّوا إلى الله أربَعينَ لَيلَةً؛ فَلَمَّا عَرَفَ

اللهُ الصِّدقَ من قُلوبِهِم، والتَّوبَةَ والنَّدَامَةَ على مَا مَضَى مِنهُم، كَشَفَ اللهُ عنهُمُ العَذَابَ بَعدَ أن تَدَلَّى عَلَيهِم. التَّوبةِ والاستغفارِ:

يا عِبادَ الله، إذا أَرَدْنا كَشْفَ الغُمَّةِ عنَّا لِنَتُبْ إلى الله تعالى من الُموبِقاتِ، والتي من جُملَتِها الرِّبا، والرِّشوَةُ، والسَّلبُ، والنَّهبُ، والسَّرِقَةُ، والزِّنا، وعُقوقُ الوالِدَينِ، وظُلمُ النِّساءِ، وأكلُ المَواريثِ بغَيرِ حَقٍّ، وقَبلَ ذلكَ كُلِّهِ يَجِبُ أن يَتوبَ النَّاسُ من كَلِماتِ الكُفرِ والسَّبِّ والشَّتمِ واللَّعنِ والعِياذُ بالله تعالى.

يا عِبادَ الله، التَّوبَةُ والاستِغفارُ لَهما ثِمَارٌ، فمن ثِمارِهَا:

أولاً: سَبَبٌ لِكَشْفِ الغُمَّةِ، ورَفْعِ المَصائِبِ والُملِمَّاتِ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

ثانياً: ربُّنا عزَّ وجلَّ لا يُعَذِّبُ أهلَ الاستِغفارِ، لأنَّ الاستِغفارَ أمانٌ من الله تعالى للخَلقِ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. بالاستِغفارِ تَنزِلُ رَحمَةُ الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ثالثاً: مُلازَمَةُ الاستِغفارِ فَرَجٌ من كُلِّ هَمٍّ، ومَخرَجٌ من كُلِّ ضِيقٍ، ورِزقٌ للعَبدِ من حَيثُ لا يَحتَسِبُ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه أبو داود وابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».

رابعاً: بالاستِغفارِ تَكونُ الخَيراتُ والبَرَكاتُ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾. وقال تعالى حِكايَةً عن سيِّدِنا نوحٍ عَلَيهِ السَّلامُ إذ قالَ لِقَومِهِ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً * مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لله وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾. ويَقولُ تعالى حِكايَةً عن سيِّدِنا هودٍ عَلَيهِ السَّلامُ إذ قالَ لِقَومِهِ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾.

خامساً: بالاستِغفارِ يَكونُ المَتاعُ الحَسَنُ، قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

دَعوَةُ الله تعالى عِبادَهُ للتَّوبَةِ والاستِغفارِ:

يا عِبادَ الله، من رَحمَةِ الله تعالى بِعبادِهِ الفُقَراءِ إلَيهِ أنَّهُ دَعاهُم للتَّوبَةِ والاستِغفارِ، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى الله وَيَسْتَغْفِرُونَهُ واللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ

جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَل سُوءاً أَوْ يَظْلِم نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

يا عِبادَ الله، هل سَمِعتُم نِداءَ اللهِ تعالى حَيثُ يُنادينا جَميعاً بِقَولِهِ في الحَديثِ القُدسِيِّ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»؟

يا عِبادَ الله، هل تَعلَمونَ بأنّ اللهَ تعالى يَبسُطُ يَدَهُ باللّيلِ لِيَتوبَ مُسيءُ النّهارِ، ويَبسُطُ يَدَهُ بالنّهارِ لِيَتوبَ مُسيءُ اللّيلِ؟ كما جاءَ في الحَديثِ الشّريفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

يا عِبادَ الله، وهل تَعلَمونَ بأنّ اللهَ تعالى لا يَقبَلُ تَوبَةَ العَبدِ إذا وَقَعَتْ رُوحُهُ في الغَرغَرَةِ؟ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

وروى الإمام أحمد والترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ».

من صِفاتِ الرَّحمنِ جلَّ جَلالُهُ:

يا عِبادَ الله، من صِفاتِ الرَّحمنِ جلَّ جَلالُهُ قَبولُ التَّوبَةِ والمَغفِرَةِ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُون﴾. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم﴾. وقال تعالى: ﴿حم* تنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ الله الْعَزِيزِ الْعَلِيم * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِير﴾.

يا عِبادَ الله، إذا كانَت هذهِ صِفَةَ ربِّنا عزَّ وجلَّ، فهل نَتَّصِفُ نَحنُ بصِفاتِ المُتَّقينَ الذينَ قالَ عنهُم مَولانا عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَم يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُم يَعْلَمُون * أُوْلَـئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عبادَ الله، كُلُّنا يَشكو إلى الله تعالى ما نُعانيهِ من هذهِ الأزمَةِ، وكُلُّنا يَرجوهُ تعالى أن يَكشِفَها عنَّا، فإذا كُنَّا صادِقينَ في طَلَبِ كَشْفِ الغُمَّةِ فعَلَينا بالتَّوبَةِ والاستِغفارِ من جَميعِ الذُّنوبِ والآثامِ، وخاصَّةً من المُوبِقاتِ التي ذَكَرناها في صَدْرِ هذهِ الخُطبَةِ.

يا عِبادَ الله، إلى متى التَّفريطُ والبُعدُ عن الله تعالى؟ إلى متى الإصرارُ على الذُّنوبِ، والُمخالَفاتِ الشَّرعِيَّةِ؟ إلى متى العِنادُ لآياتِ الله تعالى وأحكامِهِ؟ إلى متى الاحتِكامُ لِغَيرِ شَرْعِ الله تعالى؟ إلى متى الإعراضُ عن هَدْيِ وسِيرَةِ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

يا عِبادَ الله، ماذا نَنتَظِرُ؟ اِسمَعوا وَصِيَّةَ سيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إذ يَقولُ فيها: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعاً، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً؟ أَوْ غِنىً مُطْغِياً؟ أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً؟ أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً؟ أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً؟ أَوْ الدَّجَّالَ؟ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ؟ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ» رواه الترمذي عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ؛ وقال: حَديثٌ حَسَنٌ.

اللَّهُمَّ رُدَّنا إلَيكَ رَدّاً جَميلاً. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٥٨ـ خطبة الجمعة: من أجل كشف الغمة (٣) علينا بصنائع المعروف

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، الكَثِيرُ مِن شَبَابِنَا ورِجَالِنَا يَتَساءَلُ فِي وَسَطِ هذِهِ الأزمَةِ، وفِي وَسَطِ هذا الابتِلاءِ الذِي يُصَبُّ على الأمَّةِ صَبَّاً، وفِي وَسَطِ هذا الظَّرفِ العَصِيبِ الذي يَمُرُّ بِهِ قُطرُنَا الحَبيبُ، حَيثُ دُمِّرَ البَلَدُ، وشُرِّدَ النَّاسُ، وسُفِكَتِ الدِّمَاءُ، وسُلِبَتِ الأموَالُ، يَتَساءَلُ:

مَا هوَ الوَاجِبُ عليَّ تُجَاهَ هذا البَلَدِ وأهلِهِ، فالبَلَدُ بَلَدِي، والأهلُ أهلِي، كَبيرُهُم بِمَنزِلَةِ الوَالِدِ، وصَغيرُهُم بِمَنزِلَةِ الوَلَدِ، والبَاقِي بمَنزِلَةِ الإخوَةِ، والعِرضُ عِرضِي، فَمَا هوَ الوَاجِبُ عليَّ تُجاهَ بَلَدِي وأهلِ بَلَدِي؟

والبَعضُ الآخَرُ يُلقِي العِبءَ والَمسؤوليَّةَ على غَيرِهِ، ويَتَنَصَّلُ مِنهَا مُحتَجَّاً بأنَّ ما يَجري إنَّمَا هوَ بِسَبَبِ مُقَارَفَةِ الأُمَّةِ الذُّنُوبَ، وهذا صَحِيحٌ لأنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. ولكن هذا لا يُخَلِّصُهُ منَ الَمسؤوليَّةِ ولا يُعفيهِ، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

يا عِبادَ اللهِ، البَلاءُ صارَ عامَّاً شَمِلَ الصَّالِحَ والطَّالِحَ، والقَويَّ والضَّعيفَ، والُمؤَيِّدَ والُمعارِضَ، الكُلُّ يَحتَرِقُ، والكُلُّ يَتَطَلَّعُ إلى الفَرَجِ وإلى كَشفِ الغُمَّةِ.

«صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصارِعَ السُّوءِ»:

يا عِبادَ اللهِ، إذا كُنَّا صَادِقِينَ في طَلَبِ كَشفِ الغُمَّةِ ورَفعِ البَلاءِ عن هذا البَلَدِ وأهلِهِ، عَلينَا أن نَعلَمَ بأنَّ صَنَائِعَ الَمعرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وأنَّ الإحسانَ والبرَّ إلى خَلقِ اللهِ تعالى يَكُونُ سَبَبَاً لِكَشفِ البَلاءِ والغُمَّةِ ولِقَضَاءِ الحَوائِجِ، وهذا ما أَكَّدَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بأحادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ.

يا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ الَمجرُوحَةُ، يَا مَن تَتَطَلَّعُ لِكَشفِ الغُمَّةِ ارجِعِي إلى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لأنَّ العِلاجَ لِدَائِنَا من عِندِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وفِي شَرعِهِ الشَّرِيفِ، لَن نَجدَ حَلَّاً لأَزمَتِنَا عندَ

شَرقٍ ولا غَربٍ لا وربِّ الكَعبَةِ، بَل عِندَ الحبيبِ الأعظَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا عِبادَ اللهِ، فَهَل تَسمَعُ الأُمَّةُ من كَبيرِهَا إلى صَغِيرِهَا، ومِن مُؤَيِّدِهَا إلى مُعارِضِهَا حَدِيثَ سَيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِن أجلِ كَشفِ الغُمَّةِ وهيَ تَتَذَكَّرُ قولَ اللهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

روى الإمام الحاكم عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «صَنَائِعُ المعروفِ إلى النَّاسِ تَقِي صَاحِبَها مَصَارِعَ السُّوءِ، والآفاتِ، والهَلَكَاتِ، وأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا، هُم أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ» وفي رواية ثانية للطبراني في الأوسَطِ عن أمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالَت: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خُفيَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ، وأَهْلُ الْمُنكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنكَرِ فِي الآخِرَةِ ، وأوَّلُ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ أهلُ المَعروفِ».

يا عِبادَ اللهِ، صَنَائِعُ المعروفِ سَبَبٌ لِكَشفِ الغُمَّةِ، وَأهلُ المَعرُوفِ في الدُّنيا هُم أهلُ المَعرُوفِ في الآخرَةِ، وسَتَكُونُ لَهُم شَفَاعاتٌ يومَ القِيامَةِ، لأنَّ مَن كانَ سَبَباً

لِكَشفِ الغُمَّةِ عن الأُمَّةِ في الحياةِ الدُّنيا، يَجعَلُ اللهُ تعالى لَهُ نَصِيبَاً يومَ القِيامَةِ لِكَشفِ الكُرَبِ والغُمَّةِ عنِ الأُمَّةِ في أرضِ المَحشَرِ.

«فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً»

يا عِبادَ الله، قَد يَتَساءَلُ البَعضُ: هل صَنَائِعُ المَعرُوفِ تطفِئُ نارَ هذهِ الحَربِ؟ وهَل تُوقِفُ سَفكَ الدِّمَاءِ وتَهدِيمَ البُيُوتِ؟

يا عِبادَ الله، كُونُوا على يَقِينٍ بأنَّ صَنَائِعَ المَعرُوفِ تطفِئُ نارَ هذهِ الفِتنَةِ، لأنَّ الأُمُورَ كُلَّها بيَدِ اللهِ عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

يا عِبادَ الله، إذا أردنَا أن نَعرِفَ أنّ صَنَائِعَ المَعرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُوءِ، فلنَرجِع إلى سِيرَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، عندَما رَجَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من غارِ حِراءٍ، تَرتَعِدُ فَرائِصُهُ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لأُمِّنا السَّيِّدَةِ خَديجَةَ الكُبرى رَضِيَ اللهُ عنها: «قَد خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي».

فماذا قالَت لهُ السَّيِّدَةُ الجَليلَةُ رَضِيَ اللهُ عنها؟

قالَت لهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. رواه الشيخان عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها.

لقد استدَلّت على ذلكَ رَضِيَ اللهُ عنهَا بِمَحاسِنِ أفعالِهِ، وصَنائِعِ مَعروفِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على ما قَالت لهُ، لأنّها تَعلَمُ بأنّ مَحاسِنَ الأفعالِ دَليلٌ على حُسنِ العَواقِبِ، وكَرَمَ البِدايَةِ دَليلٌ على جَلالَةِ النّهايَةِ، والبِدَاياتُ تَدُلُّ على النِّهَايَاتِ

يا عِبادَ الله، صِلَةُ الرَّحمِ من صَنَائِعِ المَعرُوفِ، وقِرَى الضَّيفِ من المَعرُوفِ، والعَونُ على نَوائِبِ الحَقِّ من صَنَائِعِ المَعرُوفِ.

يا عِبادَ الله، إذا لَم نَكُن صَنَعنَا المَعرُوفَ سَابِقَاً، فَهَل بِوُسعِنَا أن نصنَعَ المَعرُوفَ اليَومَ، رَجَاءَ أن يَكشِفَ اللهُ تعالى عنَّا هَذِهِ الغُمَّةَ؟

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾:

يا عِبادَ الله، إذا أردنَا أن نَعرِفَ بأنَّ صَنَائِعَ المَعرُوفِ تَقي مَصارِعَ السُّوءِ فَلنَرجِعْ إلى سُورَةِ الأنبياءِ في كِتَابِ رَبِّنَا عزَّ وجل، حيثُ ذَكَرَ اللهُ تعالى كَثِيراً من الأنبياءِ في هذهِ السورةِ العَظِيمَةِ المُبَارَكَةِ، وخاصَّةً سَيِّدِنا أيُّوبَ ويُونُسَ و زَكَرِيَّا عَلَيهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، كيفَ أَنجَاهُم اللهُ تعالى من الكَربِ والبَلاءِ،و ذلكَ بِبَرَكَةِ صَنائِعِ المَعرُوفِ، فقال تعالى في خِتَامِ قِصَصِهِم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

فهَل يا عِبادَ الله نُسَارِعُ في الخَيراتِ، ونَدعُو اللهَ تعالى رَغَبَاً ورَهَبَاً، ونَخشَعُ لهُ، رَجَاءَ أن يَكشِفَ اللهُ تعالى عنَّا هذِهِ الغُمَّةَ؟

أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَيهِ:

يا عِبادَ الله، قد يَتساءَلُ البَعضُ مَا هيَ صَنَائِعُ المَعرُوفِ حتَّى نَأتِيهَا؟

يا عِبادَ الله، لِنَرجعْ إلى سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حتّى نَتَعَرَّفَ منه على بعضِ صُوَرِ صَنَائِعِ المَعرُوفِ.

روى الطَّبَرانِيُّ في الكَبيرِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما، أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْناً، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعاً، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ــ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ ــ شَهْراً، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ».

يا عِبادَ الله، هل الذي يَكُونُ مَحبُوبَاً عِندَ اللهِ تعالى، ويأتي الأعمالَ التي يُحِبُّهَا اللهُ تعالى تكُونُ حَياتُهُ شَقَاءً وضَنكاً؟ لا وربِّ الكعبَةِ.

والسُّؤالُ الذي يَجِبُ أن نَطرَحَهُ على أنفُسِنَا: هل النَّفخُ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ يَنفَعُ النَّاسَ، حتى يكونَ النَّافِخُ مَحبُوبَاً عندَ اللهِ تعالى؟

وهل النَّفخُ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ يُدخِلُ السُّرُورَ إلى قُلوبِ المُسلِمينَ؟

وهل النَّفخُ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ يَكشِفُ الكَربَ عن هذهِ الأمَّةِ؟

وهل النَّفخُ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ يَقضِي الدَّينَ عن المَدينينَ؟

وهل النَّفخُ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ يَطرُدُ الجُوعَ عن الأُمَّةِ؟

يا عِبادَ الله، إنَّ النَّفخَ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ أَضرَّ النَّاسَ وما نَفَعَهُم، إنَّ النَّفخَ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ أدخَلَ الهَمَّ والغَمَّ والحُزنَ على قُلوبِ النَّاسِ، إنَّ النَّفخَ في نارِ هذهِ الفِتنَةِ جَلَبَ الكَربَ على الأُمَّةِ، وأغرَقَهَا في الدُّيُونِ، وجَلَبَ لها الجُوعَ والعَطَشَ.

يا عِبادَ الله، هل اتَّقَى اللهَ في هذه الأُمَّةِ مَن خَرَجَ مِن هذا البَلَدِ وبَدَأَ يَنفُخُ فِي نارِ هذِهِ الفِتنَةِ؟ وهَل فَكَّرَ أنَّ نَفخَهُ فِي نارِ هذِهِ الفِتنَةِ أتى بالنَّفعِ للنَّاسِ وإدخالِ السُّرُورِ إلى قُلُوبِهِم، أم أتى بالضُّرِّ والكَرب والهَمِّ والغَمِّ؟ هل كانَ بِفِعلِهِ مَحبُوبَاً عندَ اللهِ تعالى أو أنَّهُ أَسخَطَ اللهَ تعالى؟

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عبادَ الله، مَن كانَ حَرِيصاً على كَشفِ الغُمَّةِ فَليَصنَعِ المَعرُوفَ، ومِن صُنعِ المَعرُوفِ السَّعيُ لإطفاءِ نَارِ هذِهِ الفِتنَةِ، لأنَّ بإطفائِهَا نَفعاً للنَّاسِ، وسُرُوراً يَدخُلُ قُلوبَهُم، والسَّعيدُ مَن صَنَعَ مَعرُوفَاً، والمَعروفُ لا يحتَاجُ إلى دَليلٍ، والشَّقِيُّ مَن صَنَعَ المُنكَرَ، والمُنكَرُ مُنكَرٌ لا يحتَاجُ إلى دَليلٍ.

اللّهُمِّ وَفِّقنا لِصَنائِعِ المَعروفِ التي تُرضيكَ عنّا. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٥٩ـ خطبة الجمعة: من أجل كشف الغمة (٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، المُؤمِنُ الحَقُّ هو الذي أكرَمَهُ اللهُ تعالى بِتَذَوُّقِ حَلاوَةِ الإيمانِ، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً» رواه الإمام مسلم عَنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عنهُ. هذا المُؤمِنُ الحَقُّ إذا أصابَتْهُ سَرَّاءُ ما زادَتْهُ إلا شُكراً لله عزَّ وجلَّ، وإذا أصابَتْهُ ضَرَّاءُ ما زادَتْهُ إلا صَبْراً وتَجَلُّداً وتَحَمُّلاً ابتِغاءَ مَرضاةِ الله عزَّ وجلَّ.

المُؤمِنُ الحَقُّ هوَ على يَقينٍ من قَولِهِ تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. هذهِ الدُّنيا يَومٌ لكَ، ويَومٌ عَلَيكَ، إنْ أبكَتْكَ يَوماً، أضحَكَتْكَ يَوماً، تُبكي من

أضحَكَتْهُ، وتُضحِكُ من أبكَتْهُ، ولا يَنجو من خِداعِها وغُرورِها ومَكرِها إلا المُؤمِنُ الحَقُّ.

«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا»:

يا عِبادَ الله، نَحنُ نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ القاسِيَةَ ــ وأسألُ اللهَ تعالى أن يُعَجِّلَ الفَرَجَ ــ في هذا البَلَدِ الحَبيبِ، في هذهِ البلادِ المُبارَكَةِ، هل تَعلَمونَ يا عِبادَ الله بأنَّ سَيِّدَنا رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَعا لأهلِ هذا البَلَدِ؟

يا أهلَ سورِيَّا، يا أهلَ بِلادِ الشَّامِ، يا أهلَ هذا البَلَدِ، لقد دَعا سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِبلادِ الشَّامِ، فقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» رواه الإمام البخاري عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

واستَجابَ اللهُ تعالى دُعاءَ حَبيبِهِ ومُصطَفاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهذا أمرٌ مُلاحَظٌ، فالبَرَكَةُ في بِلادِ الشَّامِ واضِحَةٌ جَلِيَّةٌ، وما ذاكَ إلا بِبَرَكَةِ دُعاءِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا عِبادَ الله، نَعيشُ في بِلادٍ مُبارَكَةٍ، ولكن وبِكُلِّ أسَفٍ فَرَّطنا في حَقِّ هذا البَلَدِ، فَرَّطنا كَثيراً في حَقِّ هذهِ النِّعمَةِ، نِعمَةِ دُعاءِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَرَّطنا في حَقِّ هذهِ البَرَكَةِ التي شَمِلَتنَا وعَمَّتنا.

يا عِبادَ الله، الكَثيرُ من النَّاسِ في هذا البَلَدِ قَابَلوا النِّعمَةَ بِمَعصِيَةِ الله تعالى، فَعاثَ الكَثيرُ منهُم في بِلادِ الشَّامِ فَساداً وإفساداً، مَلَأها الكَثيرُ من النَّاسِ بالمَعاصي والمُنكَراتِ والمُوبِقاتِ، لذلكَ لا غَرابَةَ إذا رَأيتَ الدَّمارَ قد حَلَّ في هذهِ البِلادِ، لا

غَرابَةَ أن يُدَمَّرَ هذا البَلَدُ، وأيُّ غَرابَةٍ تَكونُ، ورَبُّنا عزَّ وجلَّ يَقولُ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾؟

بِلادٌ سَوفَ نُسأَلُ عنها يَومَ القِيامَةِ:

يا عِبادَ الله، هذهِ البِلادُ سَوفَ نُسأَلُ عنها يَومَ القِيامَةِ، وسَوفَ نُسأَلُ عن تِلكَ البَرَكاتِ التي عَمَّتِ البِلادَ بِبَرَكَةِ دُعاءِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، سَوفَ نُسأَلُ عن هذهِ البِلادِ التي أَحَبَّها سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أَنَسينا قَولَ الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾؟

سَوفَ نُسأَلُ عن هذا البَلَدِ الذي دُمِّرَ بِسَبَبِ الجُرأةِ على مُخالَفَةِ أمرِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي دَعا لهذهِ البِلادِ، هل نَسيَ أهلُ بِلادِ الشَّامِ قَولَ الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؟

يا عِبادَ الله، لقد أُصيبَتِ الأُمَّةُ بالفِتنَةِ، وأصابَها العَذابُ الأليمُ، وما ذاكَ إلا بِسَبَبِ الجُرأةِ على مُخالَفَةِ أمرِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

كُونوا صَالِحينَ مُصلِحينَ:

يا عِبادَ الله، يا خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ، إذا أَرَدْنا كَشفَ الغُمَّةِ عن هذا البَلَدِ الحَبيبِ إلى سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ الحَبيبِ إلى قُلوبِنا، فَعَلَينا أن نَكونَ صَالِحينَ مُصلِحينَ، لا أن نَكونَ صَالِحينَ فَقَط.

يا عِبادَ الله، من قَصَرَ الصّلاحَ عل نَفسهِ و لم يُصلِحْ غَيرَهُ فإنّهُ لن يَنجوَ من شَرِّ الفاسِدِ، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. رَبُّنا عزَّ وجلّ قد يُهلِكُ قَريَةً إذا كانَ فيها صَالِحونَ و لم يَكونوا مُصلِحينَ، ولكن حاشا لِرَبِّنا عزَّ وجلّ أن يُهلِكَ قَريَةً وأهلُها صَالِحونَ مُصلِحونَ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

يا عِبادَ الله، قد يُهلِكُ اللهُ تعالى قَريَةً إذا كانَ فيها عَبدٌ صَالِحٌ و لم يَكُن مُصلِحاً، كما جاءَ فِي الأثَرِ عن مسعر، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَوْحَى إِلَى مَلَكٍ مِن الْمَلَائِكَةِ أَن اخْسِفْ بِقَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ وَفِيهِمْ فُلَانُ الْعَابِدُ؟

فَقَالَ: بِهِ فَابْدَأْ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ وَجْهُهُ فِي يَوْماً قَطُّ.

لماذا به فابدَأ؟ لأنّهُ عاشَ لِنَفسهِ، لأنّهُ لم يأمُرْ بالمَعروفِ، و لم يَنهَ عن المُنكَرِ، لأنّهُ لم يَغضَبْ لله تعالى مَرّةً.

«ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»:

يا عِبادَ الله، إنّ هذهِ الأُمّةَ المُحمّدِيّةَ ما نالَت خَيرَ وشَرَفَ الخَيريّةِ التي أثنى اللهُ تعالى بها عَليها إلا بالأمرِ بالمَعروفِ، والنّهيِ عن المُنكَرِ، بَعدَ الإيمانِ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

يا عِبادَ الله، الأمرُ بالَمعروفِ، والنَّهيُ عن الُمنكَرِ يَعني صَلاحاً للفَردِ وإصلاحاً للمُجتَمَعِ، وليَسأَلْ كُلٌّ واحِدٍ منَّا نَفسَهُ، هل أنا صَالِحٌ ومُصلِحٌ في أُسرَتي أوَّلاً، ثمَّ في عائِلَتي؟ أم أنَّ الصَّالِحَ قَصرَ صَلاحَهُ على نَفسِهِ؟

يا عِبادَ الله، إنَّ تَرْكَ الآخَرينَ بِدونِ إصلاحٍ، وبِدونِ أمرٍ بالَمعروفِ، ونَهيٍ عن الُمنكَرِ، يَستَوجِبُ عَدَمَ استِجابَةِ الدُّعاءِ، روى الإمام أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ».

لقد تَرَكَ الكَثيرُ الأمرَ بالَمعروفِ، والنَّهيَ عن الُمنكَرِ، بل وَصَلَ الحالُ بالبَعضِ أن يأمُرَ بالُمنكَرِ ويَنهى عن الَمعروفِ والعِياذُ بالله تعالى.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُون﴾:

يا عِبادَ الله، يا أهلَ بِلادِ الشَّامِ، يا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ، هل تَعلَمونَ بأنَّ اللهَ تعالى صَبَّ جامَ غَضَبِهِ على بَني إسرائيلَ ولَعَنَهُم لأنَّهُم كانوا لا يَتَناهَونَ عن مُنكَرٍ فَعَلوهُ؟ قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُون﴾.

تَحَلَّ بالرِّفقِ والعِلمِ والحِلمِ والحِكمَةِ:

يا عِبادَ الله، إنّ قَضِيِّةَ الأمرِ بالمَعروفِ، والنّهيِ عن المُنكَرِ هيَ صَمَّامُ أمانٍ للمُجتَمَعِ من عَذابِ الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُون﴾.

ويَجِبُ على من يُصلِحُ الآخَرينَ من خِلالِ الأمرِ بالمَعروفِ، والنّهيِ عن المُنكَرِ أن يَتَحَلّى بالرِّفقِ والعِلمِ والحِلمِ والحِكمَةِ لِيَكونَ لِفِعلِهِ أثَرٌ إيجابيٌّ في الأُمّةِ، وإلا كانَ العَكسُ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

إذا كُنتَ آمِراً بالمَعروفِ وناهِياً عن المُنكَرِ، فَلْيَكُن صَدْرُكَ واسِعاً، ولتَكُن حَليماً، ولتأمُرْ بالمَعروفِ بالمَعروفِ، ولتَنهَ عن المُنكَرِ بالمَعروفِ.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عبادَ الله، إنّ الأمرَ بالمَعروفِ، والنّهيَ عن المُنكَرِ سَفينَةُ نَجاةٍ للأُمّةِ، سَفينَةُ نَجاةٍ للمُجتَمَعِ ولهذا البَلَدِ، وهوَ سَبَبٌ لِكَشفِ الغُمّةِ عن هذهِ الأُمّةِ، وسَبَبٌ لإنقاذِها من الدّمارِ والهَلاكِ الذي حَلّ بها.

يا أيّتُها الأُمّةُ المَنكوبَةُ المَكلومَةُ المَجروحَةُ، اُذكُروا حَديثَ سَيّدِنا مُحَمّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ

أَخذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً» رواه الإمام البخاري عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

يا عِبادَ الله، ما نَزَلَ بَلاءٌ إلا بِذَنب، وما رُفِعَ إلا بِتَوبَةٍ، فكونوا آمِرينَ بالمَعروفِ وناهينَ عن المُنكَرِ، راجينَ المَولى أن يَكشِفَ هذا الغَمِّ والكَربَ العَظيمَ عن هذهِ الأُمَّةِ.

اللّهُمِّ عامِلنا بِفَضْلِكَ لا بِعَدْلِكَ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

٣٦٠ـ خطبة الجمعة: من أجل كشف الغمة (٥) الكف عن الظلم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، إنّ الغُمّةَ التي أطبَقَت عَلَينا ، والهَمّ والغَمّ والكَربَ العَظيمَ الذي سَيطَرَ على القُلوبِ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى هوَ بِكَسبِ أيدينا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾. فمن أنفُسِنا أُصِبنا، وصَدَقَ اللهُ القائِلُ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون﴾.

الظُّلمُ من أكبَرِ الُموبِقاتِ:

يا عِبادَ الله، مِمَّا كَسَبَت أيدي النَّاسِ فيما خَلا من أعوامٍ وما زالَ هوَ الظُّلمُ، الذي هوَ ظُلُماتٌ في الدُّنيا والآخِرَةِ، هوَ الظُّلمُ الذي حَرَّمَهُ اللهُ تعالى على نَفسِهِ قَبلَ أن يُحَرِّمَهُ على العِبادِ، هوَ الظُّلمُ الُمنافي للحَقِّ والعَدْلِ.

رَبُّنا عزَّ وجلّ الذي لا يُسألُ عمَّا يَفعَلُ حَرَّمَ الظُّلمَ على نَفسِهِ، وألزَمَ ذاتَهُ العَلِيَّةَ بالحَقِّ والعَدْلِ، فقال تعالى في الحَديثِ القُدسِيِّ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالَمُوا». وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِّلْعَبِيد﴾.

رَبُّنا عزَّ وجلّ حَرَّمَ الظُّلمَ على نَفسِهِ وحَرَّمَهُ على عِبادِهِ، ومعَ هذا اجتَرأَ البَعضُ فَأَحَلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ تعالى عَلَيهِم فَظَلَموا؛ جُرأَةٌ عَظيمَةٌ والله لا تَصدُرُ إلا من قَلبٍ غافِلٍ عن الله تعالى، ناسٍ وُقوفَهُ بَينَ يَدَيِ الله تعالى، يَومَ يَقومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمينَ.

يا عِبادَ الله، لَّما كانَ الظُّلمُ مُنافِيَاً للعَدْلِ والحَقِّ، ومُنافِيَاً للميزانِ الذي قامَت به السَّماواتُ والأرضُ، كانَ من أكبَرِ الُموبِقاتِ ومن أكبَرِ الكَبائِرِ.

عَواقِبُ الظُّلمِ وَخيمَةٌ:

يا عِبادَ الله، إنَّ الظُّلمَ سَبَبٌ عَظيمٌ من أسبابِ نُزولِ البَلاءِ والغُمَّةِ والكَربِ العَظيمِ، بل هوَ سَبَبٌ عَظيمٌ من أسبابِ هَلاكِ الأُمَّةِ، روى الإمام البخاري عَنْ أَبي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

هل من مُعتَبِرٍ؟

يا عِبادَ الله، هل عَلِمَ الظّالِمونَ والطّاغونَ أنَّ كُلَّ من في السَّماواتِ والأرضِ يَلعَنُهُم؟ بل تَلعَنُهُم جَميعُ المَخلوقاتِ، حتَّى الحِيتانُ في البِحارِ، والطُّيورُ في أوكارِها، والنَّملُ فَوقَ ظُهورِ الأحجارِ.

أولاً: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعاد؟﴾:

يا عِبادَ الله، هل عَمِيَت أبصارُ الطُّغاةِ المُجرِمينَ الظّالِمينَ، وهل طُمِسَت بَصائِرُهُم عن رُؤيَةِ ما فَعَلَ اللهُ تعالى بالأُمَمِ السّالِفَةِ؟ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَاد * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاد * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

الصَّخْرَ بالْوَاد * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَاد * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاد * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَاد * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَاب * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد﴾.

ثانياً: ﴿فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾:

يا عِبادَ الله، هل صُمَّت آذانُ الطُّغاةِ الُمجرِمينَ الظَّالِمينَ الذينَ عاثوا في الأرضِ فَساداً عن مَعرِفَةِ مَصيرِ الطُّغاةِ الوَخيمِ، ومُنقَلَبِ العُتاةِ الذَّميمِ، الذي أخبَرَ عنهُ مَولانا عزَّ وجلَّ في كِتابِهِ العَظيمِ فقال: ﴿فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾.

ثالثاً: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُون؟﴾:

يا عِبادَ الله، هل سَألَ هؤلاءِ الطُّغاةُ الُمجرِمونَ الظَّالِمونَ البَاغونَ أينَ آثارُ أسلافِهِمُ الذينَ سَبَقوهُم إلى الآخِرَةِ؟ هل رَجَعَ هؤلاءِ إلى كِتابِ رَبِّهِم ـــ وهوَ رَبُّهُم رَغمَ أُنوفِهِم إنْ شاؤوا وإنْ أبَوا ـــ الذي سَطَّرَ في القُرآنِ العَظيمِ العِبَرَ لمن أرادَ أن يَعتَبِرَ؟ هل قَرَأَ هؤلاءِ قَولَ الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُون * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيم * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِين * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِين * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين﴾؟

رابعاً: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؟

يا عِبادَ الله، هل عَلِمَ العَبيدُ جَميعاً أَنّهُ لَيسَ بَينَهُم وبَينَ الله تعالى الحَميدِ المَجيدِ الفَعّالِ لما يُريدُ حَسَبٌ ولا نَسَبٌ، إلا ما كانَ من صَالِحِ العَمَلِ والسّبَبِ؟ ألم يَسمَعوا قَولَ الله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾؟

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عبادَ الله، عَودٌ على بِدءٍ،

ما حَلّ بنا إنّما هوَ من كَسبِ أيدينا، فهل سَمِعَتِ الأُمّةُ بِقَضِّها وقَضِيضِها، من حاكِمِها ومَحكومِها، بأنّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ.

يا عِبادَ الله، إذا أرَدْنا كَشفَ الغُمّةِ عن هذا البَلَدِ، وإذا أرَدْنا أن يَكشِفَ اللهُ تعالى عنّا هذا الكَربَ العَظيمَ فَعَلَينا جَميعاً تَرْكُ الظُّلمِ، عَلَينا جَميعاً بِدونِ استِثناءٍ أن لا نَسلُكَ سَبيلَ الظّلَمَةِ الفُجّارِ، لأنّ لَذّاتِهِم ذَهَبَت وبَقِيَ عَلَيهِمُ العَارُ، هذا في حَياتِهِمُ الدُّنيا.

أمّا إذا قامَتِ القِيامَةُ وبَرَزوا لله الواحِدِ القَهّارِ، صارَت سَرابيلُهُم من قَطِرانٍ، وتَغشى وُجوهَهُمُ النّارَ.

يا عِبادَ الله، عَزاؤُنا إنْ كُنَّا مَظلومينَ قولُهُ تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار﴾.

أسألُ اللهَ تعالى أن يَرُدَّنا إلى دِينِهِ رَدًّا جَميلاً. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٦١ـ خطبة الجمعة: من أجل كشف الغمة (٦) تقوى الله عز وجل

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، مَا أحوَجَ الأمَّةَ اليومَ إلى الأَمَلِ الغَامِرِ المُتَدَفِّق، ومَا أحوَجَنَا إلى أَمَلٍ مُنبَثِقٍ مِن قَلبِ الأَلَمِ، حيثُ تَعيشُ الأمَّةُ في هذا البَلَدِ الحَبيبِ لَحَظَاتٍ إنسانِيَّةً صَعبَةً جِدًّا، حَنيناً إلى مَفقُودِينَ، وإشفَاقاً على مَأسُورِينَ، وحُزنَاً وكَمدَاً على دِمَاءٍ بَريئَةٍ تُسفَكُ، من نِساءٍ وأطفَالٍ ورِجَالٍ، وبُيُوتٍ تُهدَّمُ، وأُسَرٍ تُشَرَّدُ في جَوٍّ مِنَ

الشِتَاءِ البَارِدِ القَارِصِ، وأموالٍ تُسلَبُ، وظُلمٍ لا يُتَصَوَّرُ، لَقَد بَعُدَتِ الشُّقَّةُ، وطَالَ العَهدُ، ولكِنَّ شُعَاعَ الأمَلِ والثِّقَةِ باللهِ العَظِيمِ يَجِبُ أن يَظَلَّ ساطِعَاً يُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ اليَأسِ والقُنُوطِ.

علينا بِتَقوَى اللهِ يَا أهلَ الشَّامِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يا أهلَ بِلادِ الشَّامِ، يا أَهلَ سوريا، يَا مَن ضَاقَت صُدُورُكُم، يَا مَن بَكَت قُلُوبُكُم بَعدَ عُيُونِكُم، يَا مَن كِدْتُم أن تَمُوتُوا حُزناً وكَمداً على ما يَجرِي فِي بَلَدِنَا ــ ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العَليِّ العَظِيمِ ــ عَلينَا جَمِيعَاً بِتَقوَى اللهِ عزَّ وجَل، وتَقوَى اللهِ عزَّ وجَل تَعنِي فِعلَ المَأمُورَاتِ وتَركَ المَحظُوراتِ، تَعنِي الاصطِلاحَ مَعَ اللهِ تعالى، تَعنِي أن لا يَرَانَا اللهُ تعالى حَيثُ نَهَانَا، وأن لا يَفقِدَنَا حَيثُ أَمَرَنَا، تَعنِي حُسنَ العَلاقَةِ مَعَ اللهِ تعالى، وحُسنَ العَلاقَةِ مَعَ العِبَادِ، تَعنِي اتِّبَاعَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي الأقوَالِ والأفعَالِ والأحوَالِ.

ثِمَارُ التَّقوَى:

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا أَردنَا بِصِدقٍ أن يَكشِفَ اللهُ عزَّ وَجَل عنَّا هَذِهِ الغُمَّةَ والكَربَ العَظِيمَ فعَلينَا بِتَقوَى اللهِ عزَّ وجَلّ، لأنَّ مَولَانَا جَلَّت قُدرَتُهُ رتَّبَ على هذِهِ التَّقوَى ثِمَاراً، مِن ثِمَارِ التَّقوَى:

أولاً: سَبَبٌ لِتَفرِيجِ الكُرُوبِ:

من ثِمَارِ التَّقوَى أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَفريجِ الكُرُوبِ، وإيجَادِ المَخَارِجِ والحُلُولِ عِندَ نُزُولِ الخُطُوبِ، وسَبِيلٌ لِفَتحِ سُبُلِ الرِّزقِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾.

ثانياً: سَبَبٌ لِتَيسِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ:

من ثِمَارِ التَّقوَى أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَيسِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾.

ثالثاً: سَبَبٌ لِنَجَاةِ العَبدِ من الهَلاكِ:

من ثِمَارِ التَّقوَى أَنَّهَا سَبَبٌ لِنَجَاةِ العَبدِ من الهَلاكِ والعَذابِ والسُّوءِ في الحَياةِ الدُّنيَا، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُون﴾.

رابعاً: سَبَبٌ لِعَدَمِ الخَوفِ مِن كَيدِ الكَائدِينَ:

من ثِمَارِ التَّقوَى أَنَّهَا سَبَبٌ لِعَدَمِ الخَوفِ مِن كَيدِ الكَائدِينَ، مَهمَا كانَ كَيدُهُم عَظِيمَاً، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ الله مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَال﴾. مَهمَا كانَ كَيدُ الكَائِدِينَ فإنَّهُ لا يَضُرُّ أهلَ التَّقوى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط﴾.

خامساً: سَبَبٌ للبَرَكَةِ في الرِّزق:

من ثِمَارِ التَّقوَى أنَّهَا سَبَبٌ لِلعِزِّ في الدُّنيَا والدِّين، وسَبَبٌ لِلبَرَكَةِ فِي الرِّزقِ والوَقتِ، وهيَ مِن أعظَمِ الأسبَابِ في استِنزَالِ الخَيراتِ، ودَفعِ المَكرُوهَاتِ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾. ويقولُ تَعالى حِكَايَةً عن سيِّدِنَا نُوحٍ عليهِ السَّلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً * مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً﴾. لأنَّ الاستِغفَارَ مِن علائِمِ التَّقوَى.

سادِسَاً: لِلفَرقِ بينَ الحَقِّ والبَاطِلِ

من ثِمَارِ التَّقوَى أنَّهَا سَبَبٌ لِتَوفِيقِ العَبدِ لِلفَصلِ بينَ الحَقِّ والبَاطِلِ، ومَعرِفَةِ كُلٍّ مِنهُمَا، قَال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيم﴾.

سابعاً: سَبَبٌ لِنَيلِ الرَّحمَةِ في الدُّنيَا والآخِرَةِ:

من ثِمَارِ التَّقوَى أَنَّهَا سَبَبٌ لِنَيلِ الرَّحمَةِ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـــاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون﴾.

ثامناً: سبَبٌ لِلفَوزِ والفَلَاحِ:

من ثِمَارِ التَّقوَى أَنَّهَا سَبَبٌ لِلفَوزِ والفَلَاحِ في الدُّنيَا والآخرَةِ، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُون﴾.

تاسعاً: سَبَبٌ للنَّجَاةِ مِن عَذَابِ اللهِ يومَ القِيامَةِ

من ثِمَارِ التَّقوَى أَنَّهَا سَبَبٌ للنَّجَاةِ مِن عَذَابِ الله يومَ القِيامَةِ عِندَمَا يَرِدُ الناسُ جَمِيعَاً إلى نَارِ جَهَنَّمَ، قالَ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيَّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾.

عاشراً: سَبَبٌ لقَبُولِ العَمَلِ عندَ الله تعالى:

من ثِمَارِ التَّقوَى أَنَّهَا سَبَبٌ لقَبُولِ العَمَلِ عندَ الله عزَّ وجلَّ، الذي هو سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ مَعَ الفَائِزِينَ إن شاءَ اللهُ تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِين﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ الله، تَقوى الله عزَّ وجلّ خَيرُ زَادٍ، وخَيرُ لِبَاسٍ، وأفضَلُ وَسِيلَةٍ إلى رِضَا رَبِّ العِبَادِ، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

يَا عِبَادَ الله، تَقوى الله تعالى هيَ أكرَمُ ما أسررنَا، وأعظَمُ مَا ادَّخرنَا، وأزيَنُ مَا أظهَرنَا، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

يَا عِبَادَ الله، تَقوى الله عزَّ وجلّ هيَ سَبَبٌ لِكَشفِ الغُمَّةِ، وتَفريجِ الكَربِ العَظِيمِ، ولِرَفعِ البَلاءِ.

اللهُمَّ ارزُقنَا التَّقوَى. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

٣٦٢ـ خطبة الجمعة: «السَّعِيدُ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ»

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، لقد عِشنا بُرهَةً من الزَّمَنِ نَتَنَعَّمُ بألوانٍ من النِّعَمِ، والنّاسُ مُعرِضونَ عن أقوالِ عُلَمائِهِم وَوُرَّاثِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، إِذْ كَانُوا يُحَذِّرُونَ النَّاسَ مِن استِغلَالِ النِّعَمِ فِي مَعصِيَةِ اللهِ عزَّ وَجَل، وَيُحَرِّضُونَهُم عَلَى الشُّكرِ لله تَعالى إِذَا أَرَادُوا دَوَامَ النِّعَمِ وَذَلِكَ لِقَولِهِ تَعَالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد﴾.

ثمّ ما لَبِثَ النّاسُ حتّى وَقَعَت في الأُمَّةِ حَوادِثُ عِظامٌ، ودَخَلوا في هذهِ الأزمَةِ والفِتنَةِ التي جَعَلَتِ الحَليمَ حَيرانَ.

واشتَدَّتِ الأزمَةُ، وازدادَ الكَربُ، وعَظُمَ الخَطبُ، وطَمِعَ في الأُمَّةِ كُلُّ كافِرٍ ومُنافِقٍ، وشَمِتَتِ الأعداءُ بالأُمَّةِ، واختَلَطَتِ الآراءُ، وبَرَزَتِ الأهواءُ، وظَهَرَ الكَذِبُ والنِّفاقُ.

وصارَتِ الأُمَّةُ في سَفينَةٍ ماتَ رُبّانُها من عُلَمائِها الكِبارِ مِن وُرّاثِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَقَدَتِ الأُمَّةُ جَهابِذَةَ العِلمِ والعُلَماءِ الرَّبّانِيّينَ، ثمّ شَمَّرَ كُلُّ واحِدٍ من النّاسِ عن ذِراعَيهِ وحَسَرَ عنها، ونادَى الأُمَّةَ: أنا أقودُكُم إلى بَرِّ الأمنِ والأمانِ، أنا أقودُكُم إلى الاستِقرارِ، أنا أقودُكُم إلى جادَّةِ

الصَّوابِ؛ فَصَارَ من يَعلَمُ ومن لا يَعلَمُ، ومن يَفقَهُ ومن لا يَفقَهُ، ومن لهُ دِينٌ راسِخٌ ومن لهُ نِفاقٌ ظاهِرٌ فاضِحٌ، كُلُّهُم يَتَكَلَّمُ في مَصالِحِ الأُمَّةِ، وكُلُّهُم يَقولُ: الطَّريقُ السَّليمَةُ والصَّحيحَةُ ها هُنا، ويَقولُ: إلَيَّ إلَيَّ يا عباد الله.

يا عباد الله، لقد صَدَقَ قَولُ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَيثُ قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِنِينَ خَوَادِعاً، يُتَّهَمُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ النَّاسِ الرُّوَيْبِضَةُ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟

قَالَ: «السَّفِيهُ يَنْطِقُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» رواه الطَّبَرانِيُّ في الكَبيرِ عَنْ عَوْفِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

حَقيقَةُ الفِتَنِ:

يا عباد الله، لقد اختَلَطَتِ الأُمورُ على كَثيرٍ من النَّاسِ في هذهِ الأزمَةِ، حتَّى صَارَ الكَثيرُ منهُم لا يُمَيِّزونَ المُحِقَّ من المُبطِلِ، لا يُمَيِّزونَ بَينَ الضَّلالِ والهُدى، لا يُمَيِّزونَ بَينَ الحَلالِ والحَرامِ، لا يُمَيِّزونَ بَينَ الاتِّباعِ والابتِداعِ، والتَبَسَ الحَقُّ فيها بالباطِلِ، وهذهِ هيَ حَقيقَةُ الفِتَنِ، والسَّعيدُ من النَّاسِ من وَقاهُ اللهُ تعالى وحَفِظَهُ

من الفِتَنِ، روى البَزَّارُ عَن عبدِ الرَّحمنِ بن جُبَيرٍ عن أَبيهِ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا قال: جَاءَ المِقدَادُ بنَ الأَسوَدِ فِي حَاجَةٍ.

فَقُلنَا: اِجلِس حَتَّى نَطلُبَ لَكَ حَاجَتَكَ، فَجَلَسَ.

فَقَالَ: عَجِبْتُ لِقَومٍ مَرَرْتُ بِهِم يَتَمَنَّونَ الفِتَنَ يَزعُمُونَ لِيَبْلِيَنَّهُم اللهُ تعالى فِيهَا مَا أَبلَى رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَأَصحَابَهُ رَضِيَ اللهُ عنهُم، وَلَقَد سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ ــ يُرَدِّدُهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ ــ إِلَّا مَن ابتُلِيَ فَصَبَرَ».

وايمُ اللهِ لا أَشهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ مِن أَهلِ الجَنَّةِ حتَّى أَعلَمَ مَا يَمُوتُ عَليهِ بَعدَ حَدِيثٍ سَمِعتُهُ مِن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَقَلبُ ابنِ آدَمَ أَشَدُّ انقِلَابَاً مِنَ القِدرِ إِذَا غُلِيَت».

المَخرَجُ من الفِتنَةِ:

يا عباد اللهِ، إِنَخرَجَ من الفِتنَةِ التِي وَقَعَت، والتِي جَعَلَتِ الحَليمَ حَيرانَ، لا يَدري القَاتِلُ فيها لماذا يَقتُلُ، ولا يَدري المَقتولُ فيها لماذا قُتِلَ، المَخرَجُ منها هو التِزامُ الكِتابِ والسُّنَّةِ، لأنَّ الإنسانَ يُؤتى بِسَبَبِ جَهلِهِ وقُصورِ عِلمِهِ، أو يُؤتى بِسَبَبِ غَلَبَةِ الهَوى على قَلبهِ فَيَضِلُّ ذلكَ.

يا عباد الله، من هَدْيِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في هذا:

أولاً: ما رواه الإمام مُسلِم عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَن الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَن الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: «نَعَمْ».

قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ».

قُلْتُ: وَمَا دَخَنُه

قَالَ: «قَوْمٌ يَستَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ».

فَقُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، صِفْهُمْ لَنَا؟

قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ».

فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟

قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

ثانياً: ما رواه الطَبَراني عَنْ عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ أَخِي بَنِي مَازِنِ بن صَعْصَعَةَ، وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ».

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَ مِنْهُمْ؟

قَالَ:«بَلْ مِنْكُمْ».

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَ مِنْهُمْ؟

قَالَ: «لا، بَلْ مِنْكُمْ». ثَلاثَ مَرَّاتٍ أَوْ أَرْبَعاً.

ثالثاً: ما رواه أبو داود عن عَبْد اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذَكَرَ

الْفِتْنَة، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ ــ اِخْتَلَطَتْ وَفَسَدَتْ ــ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ ــ قَلَّتْ ــ وَكَانُوا هَكَذَا ــ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ــ».

قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ؟

قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ ــ أَمْسِكْ ــ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللّهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ الله، اِختاروا ما اختارَهُ لَكُم سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أيَّامَ الفِتَنِ التي تَكونُ بَينَ يَدَيِ السَّاعَةِ، والتي يُصبِحُ فيها الرَّجُلُ مُؤمِناً ويُمسي كافِراً، ويُمسي مُؤمِناً ويُصبِحُ كافِراً، اِختَاروا ما اختارَهُ لَكُم سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أيَّامَ الفِتَنِ التي تَجعَلُ الحَليمَ حَيرانَ، اِعتَزِلوا الفِرَقَ كُلَّها، وعَلَيكُم أنفُسَكُم، وعَلَيكُم بالصَّبرِ حتَّى تَلقَوا سَيِّدَنا رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الحَوضِ، ولْيَسَعْكُم بَيْتُكُم، واملِكوا عَلَيكُم ألسِنَتَكُم، ولا تَقولوا إلا خَيراً، وإلا فاصمُتوا.

اللّهُمَّ رُدَّنا إلَيكَ رَدّاً جَميلاً. آمين.

٣٦٣ـ خطبة الجمعة: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرْجاً»

مقدمة الخطبة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، في خِضَمّ ما نَعيشُهُ من أحداثٍ، وما يَمُرُّ بنا من فَواجِعَ، وما أُصيبَت به الأُمّةُ من وَيلاتٍ، وما نُلاحِظُهُ من تَغَيُّرِ الأحوالِ، أفراحٌ تَتْلوها أتراحٌ، ونِعَمٌ تعقِبُها نِقَمٌ، وأمنٌ يَعقِبُهُ خَوفٌ، وفِتَنٌ تَجعَلُ الحَليمَ حَيرانَ، يَبقى الإنسانُ المُؤمِنُ التَّقِيُّ الصّالِحُ مُتَدَرِّعاً بالحِصنِ الحَصينِ والسِّياجِ الواقي، الذي أرشَدَنا إلَيه سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إذا ادلَهَمَّتِ الخُطوبُ، واشتَدَّتِ الكُروبُ، وكَثُرَ القَتلُ، وعَظُمَتِ الفِتَنُ، ألا وهوَ العِبادَةُ لله عزَّ وجلَّ.

حِصنُ الله الأعظَمُ:

يا عباد الله، إنّ العِبادَةَ لله عزَّ وجلّ هيَ حِصنُ الله الأعظَمُ، من دَخَلَهُ كانَ من الآمِنينَ المُطمَئِنّينَ الرّاجينَ فَضْلَ الله تعالى، ومن خَرَجَ منهُ أحاطَت به المَخاوِفُ من كُلِّ جانِبٍ.

من أطاعَ اللهَ عزَّ وجلّ انقَلَبَتِ المَخاوِفُ في حَقِّهِ أماناً، ومن عَصاهُ انقَلَبَت مَآمِنُهُ مَخاوِفَ، فلا تَجِدُ العاصي إلا وكأنّ قَلبَهُ بَينَ جَناحَيْ طَائِرٍ، إن حَرَّكَتِ الرِّيحُ البابَ قال: جاءَ الطَّلَبُ، وإن سَمِعَ وَقْعَ قَدَمٍ خافَ أن يَكونَ نذيراً بالعَطَبِ، ويَنطَبِقُ عَلَيهِ قَولُهُ تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

روى الإمام مسلم عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ». وفي رِوايَةِ الإمام أحمد عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَالْهِجْرَةِ إِلَيَّ».

«إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرْجاً»:

يا عباد الله، عِندَما حَدَّثَ سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الأُمَّةَ عن الهَرجِ، وأنَّ العِبادَةَ في الهَرجِ كَهِجرَةٍ إلَيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، بَيَّنَ للأُمَّةِ أنَّ بينَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرجاً.

روى ابنُ ماجه عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرْجاً».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْهَرْجُ؟

قَالَ: «الْقَتْلُ».

فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِن الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ».

فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ الله، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا، تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِن النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ». هَبَاءٌ مِن النَّاسِ: حُثالَةٌ من النّاسِ.

من العِبادَةِ الصّلاةُ:

يا عباد الله، أكثَرُ النّاسِ يَغفُلونَ عن العِبادَةِ أيّامَ الهَرجِ، ويَشتَغِلونَ بالقِيلِ والقالِ، وهذا خِلافُ ما أرشَدَنا إلَيهِ سَيّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

عَلَينا يا عباد الله، بِكَثرَةِ العِبادَةِ في هذهِ الأيّامِ، وخاصّةً بعِبادَةِ الصّلاةِ، روى الإمام البخاري عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فزِعاً يَقُولُ: «سُبْحَانَ الله! مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِن الْخزَائِنِ؟ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِن الْفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ؟ ــ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ ــ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ».

هل نَحنُ من الذينَ يَستَيقِظونَ في اللّيلِ للصّلاةِ؟ وهل نَحنُ من الذينَ يُوقِظونَ أهلَهُم للصّلاةِ في اللّيلِ، وخاصّةً في أيّامِ الهَرجِ؟

يا عباد الله، فِرّوا من الفِتَنِ إلى عِبادَةِ الله تعالى، وخاصّةً إلى عِبادَةِ الصّلاةِ، لأنّ الصّلاةَ تَدفَعُ الفِتَنَ، وبَعدَ الصّلاةِ استَعيذوا بالله تعالى من الفِتَنِ، كما أرشَدَنا إلى ذلكَ سَيّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقولِهِ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بالله مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ

عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

من العِبادَةِ الصَّبْرُ:

يا عباد الله، من العِبادَةِ وخاصَّةً في أيَّامِ الهَرجِ والفِتَنِ الصَّبْرُ، وذلكَ لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهاً» رواه أبو داود عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عنهُ. يَعني: ما أحسَنَ وما أطيَبَ من ابتُلِيَ بالفِتَنِ فَصَبَرَ على البَلاءِ

واسمَعوا إلى هَدْيِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أيَّامَ المَوتِ الشَّديدِ حَيثُ يَكثُرُ القَتلُ حتَّى لا يَجِدَ النَّاسُ قَبْراً لِدَفنِ مَوتاهُم، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: رَكِبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حِمَاراً وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ وَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ كَيْفَ تَصْنَعُ؟».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «تَعَفَّفْ».

ثمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ شَدِيدٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْعَبْدِ ــ يَعْنِي الْقَبْرَ ــ كَيْفَ تَصْنَعُ؟».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «اصْبِرْ».

ثمّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ـــ يَعْنِي حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ ـــ اسمُ مَوضَعٍ بالمدينَةِ ـــ مِن الدِّمَاءِ ـــ كَيْفَ تَصْنَعُ؟

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ».

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أُتْرَكْ.

قَالَ: «فَأْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ، فَكُنْ فِيهِمْ».

قَالَ: فَآخُذُ سِلَاحِي؟

قَالَ: إِذَنْ تُشَارِكَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ».

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عباد الله، المَفَرُّ من الفِتَنِ إلى العِبادَةِ، وهذا من هَدْيِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فهل سَمِعنا وامتَثَلْنا أمْرَ الحَبيبِ الأعظَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

هل حَرَّضْنا الأُمَّةَ على الصَّلاةِ والصَّبْرِ؟ فإن فَعَلنا ذلكَ فأبشِروا بِتَغييرِ الأحوالِ من الشِّدَّةِ إلى الرَّخاءِ، ومن الخَوفِ إلى الأمنِ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القائِلُ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾.

اللّهُمّ وَفِّقنا لما يُرضيكَ عنّا. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٦٤ـ خطبة الجمعة: اعرفوا قدر هذه النعم الثلاث

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، هذا شَهرُ رَبيعٍ الأنوَر، قد أطَلَّ على أُمَّةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يَحمِلُ في طَيَّاتِهِ ذِكرى مَولِدِ الحَبيبِ الأعظَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي بِمَولِدِهِ وُلِدَتِ الإنسانِيَّةُ من جَديدٍ، وأكرَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ الأُمَّةَ بأن نَقَلَها مِنَ الضَّلالِ إلى الهُدى، ومِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، ومن التَّشَرذُمِ إلى جَمْعِ الكَلِمَةِ، ورَفَعَ هذِهِ الأُمَّةَ بعدَ أن كانَت آخِرَ شَعرَةٍ في ذَنَبِ الأُمَمِ، فَصارَت خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنّاسِ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾.

يا عبادَ الله، لَقَد أَطَلَّ هذا الشَّهرُ العَظِيمُ المُبارَكُ على الأُمَّةِ وهيَ مَجروحَةٌ مَكلومَةٌ مَنكوبَةٌ تَشكُو أَمرَها إلى الله عزَّ وجلَّ، تَشكُو إلى الله تعالى البَلاءَ والضِّيقَ والكَربَ العَظِيمَ الذي أَلَمَّ بها جَمِيعاً، حَيثُ شَمِلَ رِجالَها ونِساءَها، وصَالِحِيها وطَالِحيها، وكِبارَها وصِغارَها، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العَلِيِّ العَظِيمِ.

لا يَضِقْ صَدْرُكُم في هذهِ الأزمَةِ:

يا عبادَ الله، أطَلَّ هذا الشَّهرُ العَظيمُ المُبارَكُ، وهُناكَ من الأُمَّةِ من ضَاقَ صَدْرُهُ في هذهِ الأزمَةِ، وكَادَت خُيوطُ الفِتنَةِ في وَسَطِ هذهِ الأزمَةِ تَصِلُ إلى قَلبِهِ لِتُفسِدَ عَلَيه دِينَهُ وإيمانَهُ.

يا عبادَ اللهِ، إنّي أتَوَجَّهُ إلى كُلِّ مَجروحِ الفُؤادِ والقَلبِ في هذا البَلَدِ الحَبيبِ، وأقولُ لهُم: لا يَضِقْ صَدْرُكُم في هذهِ الأزمَةِ مهما اشتَدَّت وتَعاظَمَ أمرُها، قابِلوها بالرِّضَا عن اللهِ عزَّ وجلَّ ما دُمتُم تَشعُرونَ بالنِّعَمِ التّالِيَةِ:

أولاً: بِنعمَةِ ارتِباطِكُم بالقُرآنِ العَظيمِ:

يا عبادَ اللهِ، لا يَضِقْ صَدْرُكُم في هذهِ الأزمَةِ ما دُمتُم تَشعُرونَ بارتِباطِكُم بِنعمَةِ القُرآنِ العَظيمِ، فإذا كانَ الواحِدُ منّا لهُ ارتِباطٌ بالقُرآنِ العَظيمِ تِلاوَةً وتَدَبُّراً وعَمَلاً، وهوَ يُحِلُّ حَلالَهُ، ويُحَرِّمُ حَرامَهُ، ويَقِفُ عِندَ حُدودِهِ، فلا يَضِقْ صَدْرُهُ في هذهِ الأزمَةِ، لأَنَّ فَضْلَ اللهِ عزَّ وجلَّ عَلَيهِ كَبيرٌ، وتَدَبَّروا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِير * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير﴾.

كَيفَ يَضيقُ صَدْرُكُم وأنتُم تَشعُرونَ بهذهِ النِّعمَةِ التي قالَ اللهُ تعالى فيها: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِير﴾؟ كيفَ يَضيقُ صَدْرُكُم وأنتُم تَتَقَلَّبونَ في هذهِ النِّعمَةِ، وغَيرُكُم قد هَجَرَ القُرآنَ تِلاوَةً وتَدَبُّراً وسُلوكاً وعَمَلاً، وحُرِمَ هذهِ النِّعمَةَ؟

ثانياً: بِنعمَةِ ارتِباطِكُم بالإيمانِ:

يا عبادَ اللهِ، لا يَضِقْ صَدْرُكُم في هذهِ الأزمَةِ ما دُمتُم تَشعُرونَ بارتِباطِكُم بِنعمَةِ الإيمانِ باللهِ وبِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، التي هيَ أعظَمُ النِّعَمِ

على الإطلاقِ، والتي مَنَّ اللهُ تعالى بها عَلَيكُم، قال تعالى: ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾.

يا عباد الله، لقد كُنَّا نَتَقَلَّبُ فِي نِعَمٍ عَظيمَةٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ثمَّ ابتَلانا اللهُ تعالى ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ فلا يَسَعُنا إلا الصَّبرُ والرِّضا عنِ الله تعالى ما دَامَت نِعمَةُ الإيمانِ في قُلوبِنا، هذهِ النِّعمَةُ التي لا تُوازِيها نِعمَةٌ سابِقَةٌ ولا لاحِقَةٌ.

يا عبادَ الله، جَميعُ النِّعَمِ المادِّيَّةِ قد تَتَحَوَّلُ عنَّا ـــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ ونَحنُ على قَيدِ الحَياةِ، وإذا لم تَتَحَوَّلْ عنَّا بِفَضْلِ الله تعالى عَلَينا فَسَوفَ نَتَحَوَّلُ عنها بِمُفارَقَتِها، إلا نِعمَةَ الإيمانِ التي تَبقى معَ المُؤمِنِ إلى عالَمِ البَرزَخِ، ومن عالَمِ البَرزَخِ إلى عالَمِ يَومِ القِيامَةِ، ثمَّ إلى عالَمِ الجَنَّةِ حتَّى يَسمَعَ النِّداءَ: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وحتَّى يُتَوِّجَ بأعظَمِ نِعمَةٍ يُسبِغُها اللهُ تعالى على أهلِ الجَنَّةِ، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

يا عباد الله، لِنُقَدِّرْ نعمَةَ الإيمانِ ولنَعرِفْ قَدْرَها ولو ابتُلينا بِشَيءٍ من الابتِلاءاتِ، لِنَعرِفْ قَدْرَ هذهِ النِّعمَةِ التي قالَ اللهُ تعالى عنها: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

ألا تَكفِيكُم هذهِ النِّعمَةُ وأنتُم تَعيشونَ هذهِ الأزمَةَ، وأنتُم تَرَونَ غَيرَكُم قد حُرِمَ هذهِ النِّعمَةَ؟ فلا يَضِقْ صَدْرُكُم ما دُمتُم تَشعُرونَ بهذهِ النِّعمَةِ.

ثالثاً: بِنعمَةِ ارتِباطِكُم بالإسلامِ:

يا عباد الله، لا يَضِقْ صَدْرُكُم في هذهِ الأزمَةِ ما دُمتُم تَشعُرونَ بارتِباطِكُم بِنعمَةِ الإسلامِ سُلوكاً وعَمَلاً، وتَذَكّروا قَولَ الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

هل تَشعُرونَ بهذهِ النِّعمَةِ العُظمى ــ نِعمَةِ شَرْحِ الصَّدْرِ للإسلامِ ــ؟ فمن شَعَرَ بارتِباطِهِ بهذهِ النِّعمَةِ فَليَعلَمْ بأنّ اللهَ تعالى أرادَ أن يَهدِيَهُ.

أما تَرى نِعمَةَ الله عَلَيكَ عَظيمَةً بِشَرْحِ صَدْرِكَ للإسلامِ، وغَيرُكَ قد حُرِمَ هذهِ النِّعمَةَ، بل ضَاقَ صَدْرُهُ إذا سَمِعَ بهذهِ النِّعمَةِ، وما ذاكَ إلا لأنَّهُ حَكَمَ على الإسلامِ من خِلالِ تَصَرُّفاتِ بَعضِ المُسلِمينَ التي جَانَبَت كِتابَ الله تعالى وسُنَّةَ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

اِعرِفوا قَدْرَ هذهِ النِّعَمِ الثّلاثِ:

يا عبادَ الله، كَيفَ تَضيقُ صُدورُكُم ما دُمتُم تَشعُرونَ بارتِباطِكُم بهذهِ النِّعَمِ الثّلاثِ، نِعمَةِ الارتِباطِ بالقُرآنِ، ونِعمَةِ الإيمانِ، ونِعمَةِ الإسلامِ؟

يا عباد الله، نَحنُ في نِعمَةٍ ونَأَلُ اللهَ تعالى أن لا يَسلُبَها منّا وخاصّةً عِندَ النّزعِ، سَوفَ يَتَمَنّاها العَبدُ الكافِرُ يومَ القِيامَةِ ــ ورَبِّ الكَعبَةِ ــ سَوفَ يَتَمَنّاها العَبدُ الذي أُعطِيَ جَميعَ النِّعَمِ في الحَياةِ الدُّنيا وحُرِمَ منها، أَلَا وَهِيَ نِعمَةُ الإيمانِ.

اِسمَعوا قَولَ الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾

اُنظُروا إلى فِرعَونَ وقَومِهِ، لقد آتاهُ اللهُ المُلكَ والجَاهَ والسِّيادَةَ والرِّيادَةَ، وجَعَلَ الأَنهارَ تَجري من تَحتِهِ، وآتى قَومَهُ ما لا يَخطُرُ بِبَالٍ من نِعَمٍ، قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُون * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيم * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِين﴾. ولكِنَّهُم حُرِموا نِعمَةَ الإيمانِ، وعِندَما أدرَكَ الغَرَقُ فِرعَونَ وقَومَهُ، ماذا قالَ فِرعَونُ؟ قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِين﴾.

ولكن هل نَفَعَهُ ذلكَ؟ قال تعالى رَدّاً عَلَيهِ: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِين * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾.

وكأنَّ لِسانَ حَالِهِ يَقولُ: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه * خُذُوهُ فَغُلُّوه * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِالله الْعَظِيم﴾.

وهذا ما قالَهُ اللهُ تعالى في حَقِّ فِرعَونَ وقَومِهِ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب﴾.

يا عبادَ الله، هَوِّنوا عل أنفُسكُم باستِحضارِكُم يَومَ القِيامَةِ، تَصَوَّروا يَومَ البَعْثِ، وتَصوَّروا مَن تَقلَّبَ في جَميعِ النِّعَمِ وحُرِمَ نعمَةَ الإيمانِ، وتَصوَّروا من أكرَمَهُ اللهُ تعالى بِنعمَةِ الإيمانِ ولو حُرِمَ بَعضَ النِّعَمِ الأُخرى، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾. ومن خِلالِ قَولِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُ.

تَصَوَّروا يا عباد الله هذينِ الفَريقَينِ، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

فَريقٌ انشَغَلَ بالنِّعَمِ عن المُنعِمِ، وحُرِمَ نِعمَةَ الإيمانِ، ونَسِيَ الآخِرَةَ، فَيَتَمَنَّى لو كانَ من المُسلِمينَ، قال تعالى: ﴿الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِين * رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِين﴾. ويَقولُ الواحِدُ منهُم: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾. ولكنَّ النَّتيجَةَ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَد﴾.

وفَريقٌ قَدَّمَ لآخِرَتِهِ، حافَظَ على نِعمَةِ الإسلامِ والإيمانِ، وعَبَدَ اللهَ تعالى في الشَّدائِدِ كما كانَ يَعبُدُهُ في الرَّخاءِ، عَبَدَهُ في الخَوفِ كما كانَ يَعبُدُهُ في الأمنِ، عَبَدَهُ في الخَفضِ كما كانَ يَعبُدُهُ في الرَّفعِ، هذا الفَريقُ من العِبادِ سَوفَ يَندَرِجُ إن شاءَ اللهُ تعالى تَحتَ قَولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ

رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. أرجو اللهَ تعالى أن نَكونَ مِمَّن اندَرَجَ تَحتَ هذهِ الآيَةِ الكَريمَةِ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عباد الله، لا يَضِقْ صَدْرُكُم في هذهِ الأزَمَةِ ما دُمتُم تَشعُرونَ بارتِباطِكُم بِنِعمَةِ القُرآنِ العَظيمِ، وبِنِعمَةِ الإيمانِ، وبِنِعمَةِ الإسلامِ، لأنَّ هذهِ النِّعَمَ تُغني عن سائِرِ النِّعَمِ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

يا عباد الله، أكثِروا من هذا الدُّعاءِ: اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلوبِ والأبصارِ ثَبِّتْ قُلوبَنا على دِينِكَ، وعَجِّلْ بالفَرَجِ يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ، وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين. آمين.

** ** **

٣٦٥ـ خطبة الجمعة: كيف تعدم الأمة خيراً والله تعالى يناديها؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، طَبيعَةُ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا أنَّها مُتَقَلِّبَةٌ، وأنَّ حَالَها لا يَدومُ على حَالٍ وَاحِدٍ، يَتَقَلَّبُ فيها العَبدُ بَينَ أمنٍ وخَوفٍ، وشِبَعٍ وجُوعٍ، وفَرَحٍ وحُزنٍ، وأمَلٍ وألَمٍ، وصِحَّةٍ ومَرَضٍ، وعِزٍّ وذُلٍّ، ومن المُحالِ دَوامُ الحَالِ.

والإنسانُ المُؤمِنُ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا يَكونُ قَلبُهُ مُطمَئِنّاً في سَائِرِ الأحوالِ، وكَيفَ لا يَكونُ قَلبُهُ مُطمَئِنّاً واللهُ تعالى يَقولُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾؟

المُؤمِنُ يَكونُ مُطمَئِنّاً ولو مَرَّت عَلَيهِ ظُروفٌ كهذهِ الظُّروفِ التي تَمُرُّ بِها الأُمَّةُ اليَومَ، من كَثرَةِ سَفْكِ الدِّماءِ، وسَلْبِ الأموالِ، وتَهديمِ البُيوتِ، وتَرويعِ الآمِنينَ.

المُؤمِنُ يَكونُ سَعيداً في سَائِرِ الأحوالِ، وذلكَ من خِلالِ مَعرِفَتِهِ باللهِ تعالى من خِلالِ القُرآنِ والسُّنَّةِ، فهوَ لا يَعرِفُ اليَأسَ ولا القُنوطَ ولا التَّشاؤُمَ بِسِرِّ مَعرِفَةِ اللهِ تعالى

ومن كانَ سَعيداً في حَياتِهِ الدُّنيا التي فيها المُنَغِّصَاتُ بِسِرِّ مَعرِفَةِ الله تعالى فهوَ سَعيدٌ في الآخِرَةِ حَيثُ لا مُنَغِصَّاتَ فيها من بابِ أَولى وأَولى.

«للهُ أرحَمُ بِعِبادِهِ من هذهِ بوَلَدِها»:

يا عباد الله، يَجِبُ على الأُمَّةِ أن تَتَعَرَّفَ على الله تعالى إذا أرادَت السَّعادَةَ في الدُّنيا والآخِرَةِ، يَجِبُ على الأُمَّةِ وهيَ تَعيشُ هذهِ الأزمَةَ القَاسِيَةَ أن تَعلَمَ بأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ رَحيمٌ بَخَلْقِهِ رَحيمٌ بِعبادِهِ.

روى الشَّيخان عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِن السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟».

قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ.

فَقَالَ: «للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

يا عباد الله، نَحنُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إلى تَصديقِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى: «للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

وإن تَساءَلَ البَعضُ: أينَ هذهِ الرَّحمَةُ مَعَ سَفْكِ هذهِ الدِّماءِ البَريئَةِ؟ أينَ هذهِ الرَّحمَةُ مَعَ هذا التَّهديمِ للبُيوتِ ونُزوحِ النَّاسِ؟ أينَ هذهِ الرَّحمَةُ مَعَ هذا الخَوفِ الذي كادَ أن يُوصِلَ القُلوبَ إلى الحَناجِرِ؟ أينَ هذهِ الرَّحمَةُ مَعَ هذا وهذا وهذا..........؟

أقولُ يا عباد الله: إذا كُنَّا لا نَرَى هذهِ الرَّحمَةَ في هذهِ الأزمَةِ القَاسِيَةِ فإنِّي أقول: صَدَقَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وكَذَبَت عُيونُنا.

والله الذي لا إلهَ غَيرُهُ «للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

ومن يُؤويكَ سِوايَ؟

يا عباد الله، رُوِيَ أنَّ بَعضَ الصَّالِحينَ كانَ يَسيرُ في إحدى الطُّرُقاتِ، فَرَأى باباً قد فُتِحَ، وخَرَجَ منهُ صَبِيٌّ يَستَغيثُ ويَبكي، وأُمُّهُ خَلفَهُ تَطرُدُهُ حتَّى خَرَجَ، فأغلَقَتِ البابَ في وَجهِهِ، ودَخَلَت.

فَذَهَبَ الصَّبِيُّ غَيرَ بَعيدٍ، ثمَّ وَقَفَ مُفَكِّراً، فلم يَجِدْ مَأوى غَيرَ البَيتِ الذي خَرَجَ منهُ، ولا مَن يُؤويهِ غَيرَ والِدَتِهِ.

فَرَجَعَ مَكسورَ القَلبِ حَزيناً، فَوَجَدَ البابَ مُغلَقاً، فَتَوَسَّدَهُ، وَوَضَعَ خَدَّهُ على عَتَبَةِ البابِ، ونامَ ودُموعُهُ على خَدَّيهِ.

فَخَرَجَت أُمُّهُ بَعدَ حِينٍ، فَلَمَّا رَأَتْهُ على تِلكَ الحَالِ لم تَملِكْ أن رَمَتْ نَفسَهَا عَلَيهِ والتَزَمَتْهُ تُقَبِّلُهُ وتَبكِي، وتقول:

يا وَلَدِي أينَ ذَهَبتَ عَنِّي؟ ومَن يُؤويكَ سِوايَ؟ ألم أَقُلْ لكَ لا تُخالِفْني ولا تَحمِلْني على عُقُوبَتِكَ بِخِلافِ ما جَبَلَني اللهُ عَلَيهِ من الرَّحمَةِ بكَ والشَّفَقَةِ عَلَيكَ؟

ثمّ أَخَذَتْهُ ودَخَلَت به البَيتَ واصطَلَحا.

يا عباد الله، هذهِ رَحمَةُ الأُمِّ بوَلَدِها، وهذهِ الرَّحمَةُ هيَ جُزءٌ من الرَّحمَةِ الوَاحِدَةِ التي أنزَلَها اللهُ تعالى على خَلْقِهِ، فاللهُ تعالى أرحَمُ بِعِبادِهِ من الآباءِ والأُمَّهاتِ بأبنائِهِم.

الأُمَّةُ بِحَاجَةٍ إلى الرُّجوعِ إلى الله تعالى:

يا عباد الله، في وَسَطِ هذهِ الأزمَةِ الكُلُّ يَتَكَلَّمُ عن السَّبيلِ للخُروجِ منها، فالسِّياسِيُّ يَتَكَلَّمُ من خِلالِ عِلمِهِ بالسِّياسَةِ، والاقتِصادِيُّ يَتَكَلَّمُ من خِلالِ عِلمِهِ بالاقتِصادِ، والمُفَكِّرُ يَتَكَلَّمُ من خِلالِ فِكرِهِ، وهكذا جَميعُ شَرائِحِ المُجتَمَعِ، ومن حَقِّ كُلِّ وَاحِدٍ أن يَتَكَلَّمَ.

أمَّا طَلَبَةُ العِلمِ والعُلَماءُ وَوُرَّاثُ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَيَتَكَلَّمونَ من خِلالِ كَلامِ رَبِّ البَشَرِ، من خِلالِ كَلامِ سَيِّدِ البَشَرِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَهُم يَحُضُّونَ الأُمَّةَ على العَودَةِ إلى الله تعالى، كَعَودَةِ هذا الصَّبِيِّ على بابِ أُمِّهِ ــ ولله المَثَلُ الأعلى ــ وأن يَقِفوا على بابِ مَولاهُم كَوُقوفِ هذا الصَّبِيِّ إلى بابِ أُمِّهِ، حتَّى يَعلَموا أنَّ اللهَ تعالى أرحَمُ بِعِبادِهِ من الأُمِّ بِوَلَدِها.

لن نُعدَمَ خَيراً من رَبٍّ يَفرَحُ بِتَوبَةِ عَبدِهِ:

يا عباد الله، الأُمَّةُ بِحَاجَةٍ إلى أن تَرجِعَ إلى رَبِّها وأن تَصطَلِحَ مَعَهُ، بِحَاجَةٍ إلى أن تَقِفَ على بابِهِ لا على أبوابِ النَّاسِ الفُقَراءِ، الأُمَّةُ بِحَاجَةٍ إلى أن تُعلِنَ تَوبَتَها لله

تعالى، فإذا تابَتْ وأنابَتْ واصطَلَحَتْ مَعَ الله تعالى فلن تُعدَمَ خَيراً من رَبٍّ رَحيمٍ جَلّتْ قُدرَتُهُ، وكَيفَ تُعدَمُ الأُمّةُ خَيراً وسَيّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ».\

يَقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

فإذا كانَ اللهُ تعالى يَفرَحُ بتَوبَةِ عَبدِهِ أكثَرَ من هذا العَبدِ بِعَودَةِ رَاحِلَتِهِ إليهِ وهوَ بأرضِ فَلاةٍ، فهل يُعدَمُ العَبدُ خَيراً من هذا الرَّبِّ الرَّحيمِ؟

كَيفَ تُعدَمُ الأُمّةُ خَيراً واللهُ تعالى يُنادِيها؟

يا عباد الله، كَيفَ تُعدَمُ الأُمّةُ خَيراً وفَرَجاً ونَصراً وتَفريجاً للكُروبِ واللهُ تعالى يُنادِيها: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾؟

كَيفَ تُعدَمُ الأُمّةُ خَيراً وفَرَجاً واللهُ تعالى يُنادِيها بِقَولِهِ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ﴾؟

كَيفَ تُعدَمُ الأُمّةُ خَيراً وفَرَجاً واللهُ تعالى يُنادِيها بِقَولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلا مَن تَابَ

وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾؟

كَيفَ تُعدَمُ الأُمّةُ خَيراً وفَرَجاً واللهُ تعالى يُنادِيها بِقَولِهِ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم﴾؟

كَيفَ تُعدَمُ الأُمّةُ خَيراً وفَرَجاً واللهُ تعالى يُنادِيها بِقَولِهِ فِي الحَديثِ القُدسِيِّ الذي رواه الإمام مسلم عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»؟

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عباد الله، رَبُّنا عزّ وجلّ أرحَمُ بالعَبدِ من الأُمِّ على وَلَدِها، فهل يَرجِعُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنّا إلى رَبِّهِ عزّ وجلّ مُصطَلِحاً مَعَهُ؟ أم إنّ حَالَنا صارَ كَحَالِ الوَلَدِ العَاقِّ

الذي قَسَتْ عَلَيهِ أُمُّهُ من أجلِ تَربِيَتِهِ، من أجلِ مَصلَحَتِهِ، فأعرَضَ عنها، وبَدَأَ بِسَبِّها وشَتْمِها؟

لقد أعرَضَ البَعضُ عن مَولاهُم في هذهِ الأزمَةِ، وأطلَقوا ألسِنَتَهُم في الاعتِراضِ على الله تعالى، والتَّلَفُّظِ بِكَلِماتِ الكُفرِ والسَّبِّ والشَّتْمِ والعِياذُ بالله تعالى، فأَيُّ خَيرٍ هؤلاءِ يَتَوَقَّعونَ؟

يا عباد الله، لن نُعدَمَ خَيراً وفَرَجاً إذا تُبنا إلى الله عزَّ وجلَّ، فهل من تائِبٍ قَبلَ خُروجِ الرُّوحِ من الجَسَدِ؟ هل من تائِبٍ قَبلَ وُقوعِ الرُّوحِ في الغَرغَرَةِ؟ هل من سامِعٍ لِقَولِ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه الشَّيخان عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

يا عباد الله، من خَرَجَ من الدُّنيا بِدونِ تَوبَةٍ وهوَ مُصِرٌّ على الذَّنبِ ومُستَحِلٌّ لهُ فقد خَسرَ الدُّنيا والآخِرَةَ. اللَّهُمَّ رُدَّنا إلَيكَ رَدَّاً جَميلاً. آمين.

** ** **

٣٦٦ـ خطبة الجمعة: كيف كنا؟ وكيف أصبحنا؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، كَيفَ كُنَّا بالأمسِ، وكَيفَ أصبَحَ حَالُنا اليَومَ؟

لقد كُنَّا بالأمسِ ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. دَانَت لنا العَرَبُ، ودَفَعَت لنا الجَزيَةَ الأعاجِمُ، وتَغَيَّرَ الحَالُ، ودَارَ الزَّمانُ حتَّى هَوَتِ الأُمَّةُ من العَلياءِ لِتَستَقِرَّ في الغَبراءِ، وصِرنا غُثاءً كَغُثاءِ السَّيلِ، وأصبَحَ زِمامُ أمرِ الأُمَّةِ بيَدِ أعدائِها، وتَسَلَّطَ عَلَيها من كَفَرَ بِرَبِّها ونَبِيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وكِتابِها، تَسَلَّطَ عَلَيها من ضُرِبَتِ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ والمَسكَنَةُ وباؤوا بِغَضَبٍ من الله، تَسَلَّطَ عَلَيها من لُعِنوا على لِسانِ أنبيائِهِم.

يا عباد الله، لقد كانَ سَلَفُنا الصَّالِحُ كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾. وصَارَ الخَلَفُ بَأسُهُم بَينَهُم شَديدٌ!!

كانَ السَّلَفُ كما قال تعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾. وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾. وصَارَ الخَلَفُ كما قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ !!!

رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُشَخِّصُ الدَّاءَ:

يا عباد الله، لقد تَغَيَّرَ حَالُ الأُمَّةِ، وتَغَيَّرَ حَالُ الخَلَفِ عن حَالِ السَّلَفِ حتَّى هَوَتِ الأُمَّةُ من العَلياءِ إلى الغَبراءِ.

لذلكَ كانَ لِزاماً على عُقَلاءِ الأُمَّةِ أن يَعرِفوا الدَّاءَ الذي أضَرَّ بالأُمَّةِ حتَّى أوصلَها إلى هذه الحَالِ الذي لا تُحسَدُ عَلَيهِ أبداً، وإذا حَارَ العُقَلاءُ في تَشخيصِ الدَّاءِ فإنِّي أقولُ: لقد شَخَّصَ لنا سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَاءَ هذهِ الأُمَّةِ، وأجابَ عن السَّبَبِ الذي أوصَلَ الأُمَّةَ إلى ما وَصَلَت إلَيهِ اليَومَ بِبَيانٍ شافٍ ووافٍ.

روى الحاكم وابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَر الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِم الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِم الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِن السَّمَاءِ

وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ».

أولاً: ظُهورُ الفَاحِشَةِ جِهاراً نَهاراً:

يَقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ تَظْهَر الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِم الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِم الَّذِينَ مَضَوْا».يا شَبابَ هذهِ الأُمَّةِ، ويا رِجالَها، ويا فَتَياتِها، ويا نِساءَها، هل انتَشَرَتِ الفَاحِشَةُ أم لا؟

أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، لا تَكونوا سَبَباً في عَواقِبِ هذهِ الفَاحِشَةِ، لأَنَّهُ وَرَبِّ الكَعبَةِ لَتُسأَلُنَّ عن هذا يَومِ القِيامَةِ.

ثانياً: تَطفيفُ الكَيلِ والمِيزانِ:

يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ».

يا تُجّارَ الأُمَّةِ، يا أَيُّها البَاعَةُ، لماذا التَّطفيفُ في الكَيلِ والمِيزانِ؟ أَمِنْ أجلِ عَرَضٍ من الدُّنيا تَكونوا سَبَباً للقَحطِ، وشِدَّةِ المَؤونَةِ، وجَورِ السُّلطانِ؟ فَوَرَبِّ الكَعبَةِ لَتُسأَلُنَّ عن هذا يَومِ القِيامَةِ.

ثالثاً: مَنْعُ الزَّكاةِ:

يَقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِن السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا».

يا أغنياءَ الأُمَّةِ، يا من مَلَكتُمُ النِّصابَ ــ نِصابَ الزَّكاةِ ــ لماذا لا تُؤَدُّونَ زَكاةَ أموالِكُم، لماذا تَكونونَ سَبَباً في مَنْعِ القَطرِ من السَّماءِ؟ وإذا رَأَيتُم قَطْرَ السَّماءِ مَعَ مَنْعِ الزَّكاةِ فاعلَموا أنَّ هذا القَطْرَ بِبَرَكَةِ البَهائِمِ الرُّتَّعِ.

كُونوا على يَقينٍ وَرَبِّ الكَعبَةِ بَأَنَّكُم سَتُسألونَ عن هذا يَومَ القِيامَةِ، وتَذَكَّروا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَــذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُون﴾.

رابعاً: نَقْضُ العَهْدِ:

يَقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ».

يا من يُعطونَ العَهْدَ والمِيثاقَ للهِ عزَّ وجلَّ ولِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وللمُؤمِنينَ، لماذا نَقْضُ العَهْدِ؟ لماذا تَكونُونَ سَبَباً في تَسليطِ العَدُوِّ على الأُمَّةِ حتَّى يَأخُذَ بَعضَ ما في أيديهِم؟ أمَا تَعلَمونَ بأنَّ نَقْضَ العَهْدِ والمِيثاقِ من صِفاتِ المُنافِقينَ

يا من نَقَضتُمُ العَهْدَ والمِيثاقَ وكُنتُم سَبَباً في نَتائِجِ هذا النّقْضِ فَوَرَبِّ الكَعبَةِ لَتُسأَلُنَّ عن هذا يَومِ القِيامَةِ.

خامساً: الحُكمُ بِغَيرِ ما أنزَلَ اللّهُ:

يَقولُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللّهُ إِلَّا جَعَلَ اللّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ».

يا حُكّامَ العَرَبِ والمُسلِمينَ، لماذا لم تَحكُموا بكِتابِ اللهِ عزَّ وجلّ، وبسُنَّةِ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ هل رَأَيتُمْ تَشريعاً وَضْعِيّاً خَيراً من تَشريعِ اللهِ تعالى؟ لماذا كُنتُم سَبَباً في جَعلْ البَأسِ بَينَنا شَديداً؟

يا من لم يَحكُم بما أنزَلَ اللّهُ، وكانَ سَبَباً في هذا البَأسِ الشّديدِ الحَاصِلِ بَينَنا فَوَرَبِّ الكَعبَةِ لَتُسأَلُنَّ عن هذا يَومِ القِيامَةِ.

الكَثيرُ لا يَحمِلونَ من الإسلامِ إلا اسْمَهُ:

يا عبادَ اللهِ، هل عَرَفنا السَّبَبَ في سُقوطِ الأُمَّةِ من العَلياءِ إلى الغَبراءِ؟

هل عَرَفنا بأنّ أعداءَ الأُمّةِ لا يَألونَ جُهداً في تَطويعِ وتَطبيعِ العالَمِ الإسلامِيِّ بِتَبَعِيَّةِ الحَياةِ الغَربِيّةِ؟

يا عباد الله، لقد أضحى الكَثيرُ من المُسلِمينَ لا يَحمِلونَ من الإسلامِ إلا اسْمَهُ، يَدّعونَ الإسلامَ والإيمانَ، ولكنّهُم لا يَعرَفونَهُ سُلوكاً وعَمَلاً يُوافِقُ تَعاليمَ الإسلامِ الحَنيفِ الذي أكرَمَنا اللهُ عزّ وجلّ به.

البَعضُ يَدّعونَ الإسلامَ ويَرتَكِبونَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ.

البَعضُ يَدّعونَ الإسلامَ ويُطَفِّفونَ الكَيلَ والمِيزانَ ويَأكُلونَ أموالَ النّاسِ بالباطِلِ.

البَعضُ يَدّعونَ الإسلامَ ويَمنَعونَ الزّكاةَ، ولا يَعرَفونَ لله في أموالِهِم حَقّاً.

البَعضُ يَدّعونَ الإسلامَ ويَنقُضونَ العَهْدَ والمِيثاقَ ولا يَرعَونَ إلّاً ولا ذِمّةً.

البَعضُ يَدّعونَ الإسلامَ ولا يَحكُمونَ بِكِتابِ الله تعالى ولا بِسُنّةِ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

البَعضُ يَدّعونَ الإسلامَ ولا يَحتَكِمونَ لِكِتابِ الله تعالى ولا لِسُنّةِ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا عباد الله، بهذهِ الأسبابِ هَوَتِ الأُمّةُ إلى الغَبراءِ من عَليائِها، واجتَرَأَ عَلَيها عَدُوُّها، ونُزِعَت هَيبَتُها من قُلوبِ أعدائِها.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عباد الله، سَلَفُ الأُمّةِ عِندَما التَزَمَ كَلِمَةَ التّوحيدِ التي قالَ عنها سَيّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمِّ، أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمْ الْجِزْيَةَ» رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما. لقد التَزَمَ سَلَفُ الأُمَّةِ هذهِ الكَلِمَةَ سُلوكاً وعَمَلاً بَعدَ الاعتِقادِ، فكانوا بَعدَ ذلكَ بِفَضْلِ الله تعالى: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

وأمَّا خَلَفُ السَّلَفِ عِندَما فَرَّغوا كَلِمَةَ التَّوحيدِ من مَعناها ــ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى ــ بِسَبَبِهِم هَوَتِ الأُمَّةُ إلى الغَبراءِ، وصَارَ بَأسُهُم بَينَهُم

يا عباد الله، إذا أَرَدْنا أن يُعيدَ اللهُ عزَّ وجلَّ لنا عِزَّنا السَّامي الذي ذَهَبَ، لا يَسَعُنا إلا الاتِّباعُ والانقِيادُ لِسَلَفِ هذهِ الأُمَّةِ الذينَ كانوا على قَدَمِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا عباد الله، كونوا على يَقينٍ بأنَّ الشَّرقَ والغَربَ لا يُريدونَ خَيراً لهذهِ الأُمَّةِ، كَيفَ يُريدونَ الخَيرَ لها واللهُ تعالى يَقولُ في حَقِّهِم: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾؟! كَيفَ يُريدونَ الخَيرَ لها واللهُ تعالى يَقولُ لنا: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾؟!

يا عباد الله، هل تَرجِعُ الأُمَّةُ إلى رُشدِها وصَوابِها؟

هل تَرجِعُ الأُمَّةُ لِتَصطَلِحَ مَعَ رَبِّها عزَّ وجلَّ؟

هل تَرجِعُ الأُمَّةُ للالتِزام بِكِتابِ الله تعالى وبِسُنَّةِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

هل تَرجِعُ الأُمَّةُ لِتَحتَكِمَ إلى كَتابِ الله تعالى القائِلِ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

أسألُ اللهَ تعالى أن يَرُدَّنا إليهِ رَدّاً جَميلاً، وأن يَلطُفَ بهذهِ الأُمَّةِ. آمين.

**   **   **

٣٦٧ـ خطبة الجمعة: واللّه لَوْ كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْباً

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، إنّ هذهِ الحَياةَ الدُّنيا تُشبِهُ السَّرابَ الذي يَحسَبُهُ الظَّمآنُ ماءً، فَيَركُضُ خَلفَهُ ويَسعى في طَلَبِهِ حتَّى يَموتَ عَطَشاً، وهوَ سَرابٌ، وهكذا هيَ هذهِ الدُّنيا.

الحَياةُ الدُّنيا ما هيَ إلا مَحطَّةٌ في طَريقٍ، ومَمَرٌّ إلى مُستَقَرٍّ، إمَّا إلى جَنَّةٍ، وإمَّا إلى نارٍ، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

يا عباد الله، شَأنُ العُقَلاءِ من النّاسِ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا أن يَنظُروا في أكمَلِ شَخصيِّةٍ خَلَقَها اللهُ تعالى، أن يَنظُروا في شَخصيِّةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ التي أقَرَّ بِفَضْلِها وكَمالِ عَقلِها الأعداءُ قَبلَ الأصدِقاءِ، كَيفَ كانَ يَنظُرُ إلى هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، وكَيفَ كانَ يَتعامَلُ مَعَها التي هيَ في الحَقيقَةِ مَمَرٌّ ولَيسَتَ مُستَقَرّاً.

«مَا لِي وَلِلدُّنْيَا»:

يا عباد الله، لِيَسمَعْ عُقَلاءُ النّاسِ وخاصَّةً من آمَنَ منهُم إلى كَلامِ سَيِّدِ النّاسِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: نَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ.

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَو اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً؟

فَقَالَ: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

هل سَمِعتَ يا مَجروحَ الفُؤادِ هذا الحَديثَ الشَّريفَ؟ يا من يَتَألَّمُ من هذهِ الحَياةِ الدُّنيا هل سَمِعتَ هذا الحَديثَ الشَّريفَ؟ ألا تَجِدُ في سِيرَتِهِ العَطِرَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سُلواناً لِمَصائِبِكَ التي وَقَعَت عَلَيكَ؟ لقد نامَ سَيِّدُ الخَلْقِ على الحَصيرِ، وهوَ القائِلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ

الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي وَلَا فَخْرَ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي نَضْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا عباد الله، من فَضْلِ الله تعالى على الأُمَّةِ أن أَلهَمَ نَبِيَّهُ سَيِّدَنا مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن يَختارَ العُبودِيَّةَ مَعَ النُبُوَّةِ، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ.

فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ: أَفَمَلِكاً نَبِيَّاً يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْداً رَسُولاً

قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ.

قَالَ: «بَلْ عَبْداً رَسُولاً»

جَهِلْنا حَقيقَةَ الحَياةِ الدُّنيا:

يا عباد الله، الكَثيرُ من النّاسِ جَهِلَ حَقيقَةَ الحَياةِ الدُّنيا، حتّى تَعَلّقَ بها، وشُغِفَ بِحُبِّها، وصَارَت عِندَهُ كَلَّ شَيءٍ، وهيَ في الحَقيقَةِ لا تُساوي شَيئاً.

يا عباد الله، لَعَلَّ هؤلاءِ الذينَ يَتَقاتَلونَ على الحَياةِ الدُّنيا أن يَسمَعوا حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهوَ يُعطيهِم صُورَةً حَيَّةً عن حَقيقَةِ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا التي تَحاسَدوا وتَدابَروا وتَقَاتَلوا فيما بَينَهُم بِسَبَبِها، وهُم يَعلَمونَ حَديثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا

أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما.

اِسمَعوا يا عباد الله، وأسمِعوا من جَهِلَ حَقيقَةَ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا الحَديثَ الشَّريفَ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهُما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ ــ بِجَانِبِهِ ــ فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ ــ صَغيرِ الأُذُنَينِ ــ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟».

فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ.

قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟».

قَالُوا: واللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْباً فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟

فَقَالَ: «فواللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ».

يا عباد الله، لقد أَعطَينا الدُّنيا أكبَرَ من قَدْرِها، وتَعَلَّقنا بها حتَّى نَسِيَ الكَثيرُ منَّا الدَّارَ الآخِرَةَ، ونَسِيَ أنَّ الحَياةَ الدُّنيا مَمَرٌّ إلى مَقَرٍّ.

فَكِّرْ في مُستَقْبَلِكَ في الآخِرَةِ:

يا عباد الله، حَياتُنا في هذهِ الدَّارِ مُؤَقَّتَةٌ، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾. والقَرارُ والحَياةُ الحَقيقِيَّةُ لَيسَت هُنا، بل هَناكَ، قال تعالى:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون﴾.

يا عباد الله، العَاقِلُ من كانَ حَريصاً على مُستَقْبَلِهِ في الآخِرَةِ، ولْنَسمَعْ جَميعاً الحَديثَ الصَّحيحَ الذي رواه لنا الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ تعالى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:
«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ:

يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟

فَيَقُولُ: لَا واللهِ يَا رَبِّ.

وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ:

يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟

فَيَقُولُ: لَا واللهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

يا عباد الله، لا تَتَأَلَّموا على الدُّنيا وإن فَاتَتْكُم، وكونوا على يَقينٍ بأَنَّها ما فاتَت إلا لِحِكمَةٍ يُريدُها اللهُ تعالى، ولكن تَأَلَّموا إذا كانَ مَصيرُ العَبدِ إلى نارِ جَهَنَّمَ والعِياذُ باللهِ تعالى، وقولوا لِكُلِّ مَغرورٍ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا: اِسمَعْ إلى قَولِ اللهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون﴾.

قولوا لهُ: يا أيُّها المَغرورُ، واللهِ إنّ لَصَبْغَةً في النّارِ يَومَ القِيامَةِ سَوفَ تُنسيكَ نَعيمَ الدُّنيا الذي كانَ على حِسابِ دِينِكَ ـــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ.

يا عباد الله، لا تَتَألّموا على هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، فالكُلُّ رَاحِلٌ منها، إن كُنّا في أمنٍ أو خَوفٍ فَسَوفَ نَرحَلُ منها، وإن كُنّا في شِبَعٍ أو جُوعٍ فَسَوفَ نَرحَلُ منها، وإن كُنّا أغنِياءَ أو فُقَراءَ فَسَوفَ نَرحَلُ منها، وإن كُنّا أصِحّاءَ أو مَرضى فَسَوفَ نَرحَلُ منها، وإن كُنّا حُكّاماً أو مَحكومينَ فَسَوفَ نَرحَلُ منها.

يا عباد الله، الحَاكِمُ والمَحكومُ، والقَوِيُّ والضَّعيفُ، والظّالِمُ والمَظلومُ، والفَاسِقُ والطّائِعُ، الكُلُّ رَاحِلٌ، والسَّعيدُ من اندَرَجَ تَحتَ قَولِهِ تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

أخَفُّ النّاسِ عَذاباً:

يا عباد الله، الشَّقِيُّ من النّاسِ من نسيَ الآخِرَةَ، وعَرَّضَ نَفسَهُ لِسَخَطِ الله تعالى حتّى وَقَعَ في عَذابِهِ يومَ القِيامَةِ، ولْيَسْمَعْ من جعَلَ الدُّنيا غَايَتَهُ وهَدَفَهُ، فأَكَلَ أموالَ النّاسِ بِغَيرِ حَقٍّ، وهَضَمَ حُقوقَ العِبادِ فَظَلَمَ وبَغى وتَجَبَّرَ، لِيَسمَع الحَديثَ الصَّحيحَ الذي رواه الإمام البخاري عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقُمْقُمُ».

ولْيَسْمَعْ الحَديثَ الذي رواه الإمام مسلم عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّمِنْهُ عَذَاباً، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً».

يا عباد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾. ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.

إذا كانَ أخَفُّ النّاسِ عَذاباً هكذا، فَكَيفَ إذا ضُوعِفَ عَلَيهِ العَذابُ بِسَبَبِ كُفرِهِ وفِسقِهِ وفُجورِهِ وفَسادِهِ في الأرضِ؟

أمَا سَمِعَ العِبادُ قَولَ الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾؟ بِسَبَبِ شَهوَةٍ عَاجِلَةٍ خَرَّبَ مُستَقْبَلَهُ في الآخِرَةِ.

بابُ التَّوبَةِ مَفتوحٌ:

يا عباد الله، من رَحمَةِ الله تعالى بِعِبادِهِ وخاصَّةً الفَسَقَةِ منهُم أَنَّهُ فَتَحَ لَهُم بابَ التَّوبَةِ، فقال: ﴿إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً﴾.

فهل يَرجِعُ النّاسُ إلى رُشدِهِم وعُقولِهِم فَيَكُفُّوا أيدِيَهُم عن سَفْكِ الدِّماءِ، وسَلْبِ الأموالِ، وتَرويعِ الآمِنينَ، أم لا؟

واللهِ إن لم يَكُفُّوا عن ذلكَ فَسَوفَ يَقولونَ يومَ القِيامَةِ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عباد الله، قولوا لِكُلِّ مَجروحٍ في هذهِ الأزمَةِ: لا تَحزَنْ على الدُّنيا وإن فَاتَتْكَ، إذا كُنتَ على قَدَمِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَقيدَةً وسُلوكاً، ماذا يَضُرُّكَ إذا قُلتَ عِندَ سَكَراتِ المَوتِ: واطَرَباهُ، غَداً ألقى الأحِبَّةَ سَيِّدَنا مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وصَحبَهُ رَضِيَ اللهُ عنهُم؟

أمَّا من لم يَكُنْ على قَدَمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَقيدَةً وسُلوكاً فَسَوفَ يَقولُ عِندَ سَكَراتِ المَوتِ: ﴿رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾.

يا ربِّ فَرِّج الكَربَ عن هذهِ الأُمَّةِ، ولا تُحَمِّلْنا ما لا طَاقَةَ لنابه. آمين.

** ** *_

٣٦٨ـ خطبة الجمعة: «فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لقد أكرَمَنا رَبُّنا عزَّ وجلَّ بِدِينٍ أكمَلَهُ وأتَمَّهُ، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾.

لقد أكرَمَنا اللهُ عزَّ وجلَّ بِدِينٍ جَعَلَ المُلتَزِمينَ به كَرَجُلٍ واحِدٍ، وكالجَسَدِ الوَاحِدِ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُونَ ـــ وفي روايةٍ: المُسلِمونَ ـــ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِن اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ» رواه الإمام مسلم عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

وفي روايةٍ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِالواحد، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

لقد أكرَمَنا اللهُ عزَّ وجلَّ بِدِينٍ نَشْرُفُ بأنْ نَدْعُوَ إلَيهِ البَشَرِيَّةَ جَمعاءَ، نَشْرُفُ بأنْ نَدْعُوَ النَّاسَ إلى دِينٍ صَانَ الدِّماءَ والأموالَ والأعراضَ، نَشْرُفُ بأن نَدْعُوَ النَّاسَ إلى دِينٍ كامِلٍ، إلى دِينٍ كُلُّهُ رَحمَةٌ، إلى دِينٍ يُعطِي الإنسانَ حَقَّهُ، إلى دِينٍ كُلُّهُ شَفَقَةٌ ورَحمَةٌ، إلى دِينِ المُواساةِ.

المُواساةُ شِفاءُ المُؤمِنِ:

يا عباد الله، المُواساةُ شِفاءُ المُؤمِنِ، وهيَ مُلتَزِمَةٌ مَعَ الإيمانِ، فَكُلّما عَظُمَ الإيمانُ عَظُمَتِ المُواساةُ، وكُلّما ضَعُفَ الإيمانُ ضَعُفَتِ المُواساةُ، فَعَلى قَدْرِ الإيمانِ تَكونُ المُواساةُ.

ومن هذا المُنطَلَقِ كانَ سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هوَ أعظَمَ النّاسِ مُواساةً لأصحابِ الحَاجَةِ، لأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أكمَلُ المُؤمِنينَ إيماناً.

وعلى هذا رَبَّى سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أصحابَهُ الكِرامَ، حتّى شَهِدَ اللهُ تعالى لَهُم بِقَولِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

«فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»:

يا عباد الله، ونَحنُ نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ القَاسِيَةَ أُريدُ أن أُسمِعَ أصحابَ النِّعمَةِ المَيسورينَ، أُريدُ أن أُسمِعَ أصحابَ البُيوتِ الفَارِغَةِ المُقفَلَةِ، أُريدُ أن أُسمِعَ التُّجّارَ، وأن أُسمِعَ أصحابَ سَيّاراتِ النَّقْلِ، وأُريدُ أن أُسمِعَ دَلّالي العَقاراتِ حَديثاً من أحاديثِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أُريدُ أن أُسمِعَهُم ما روى الشيخان عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

يا عباد الله، وأنتُم تَعيشونَ هذهِ الأزمَةَ القَاسِيَةَ، وتَرَونَ إخوانَكُم قد نَزَحوا من بُيوتِهِم ومَحَلّاتِهِم خَوفاً على أنفُسِهِم وأعراضِهِم وأطفالِهِم من القَتْلِ، تَرَكوا بُيوتَهُم وأموالَهُم يَنشُدونَ السَّلامَةَ، فهلّا نُواسِيهِم بالنِّعمَةِ التي أسبَغَها اللهُ تعالى عَلَينا؟ هلّا نَتَشَبَّهُ بالأشعَرِيِّينَ الذينَ قالَ عنهُم سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»

هل فَكَّرَ أصحابُ النِّعمَةِ بهذا الشَّرَفِ العَظيمِ، وحَاوَلوا أن يَندَرِجوا تَحتَ هذا الشَّرَفِ العَظيمِ؟

الأشعَرِيُّونَ إذا أصابَتْهُم أزمَةٌ من الأزَماتِ كانوا كالجَسَدِ الوَاحِدِ، لم يَظهَرْ فيهِم تُجّارُ الأزَماتِ، لم يَظهَرْ فيهِم أصحابُ الجَشَعِ في جَمْعِ المالِ.

هل سَمِعتَ هذا الحَديثَ الشَّريفَ يا صَاحِبَ البُيوتِ الفَارِغَةِ المُقفَلَةِ؟ وهل سَمِعَ هذا الحَديثَ الشَّريفَ أصحابُ النِّعمَةِ؟

«وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»:

يا عباد الله، إنَّكُم تَرَونَ الأزمَةَ تَشتَدُّ، والأمَلُ بالله تعالى كَبيرٌ وعَظيمٌ أن تَنتَهِيَ هذهِ الأزمَةُ عاجلاً، والأمَلُ بالله تعالى كَبيرٌ، لأنَّهُ إذا اشتَدَّ الحَبلُ انقطَعَ، أسألُ اللهَ تعالى أن يُعَجِّلَ بالفَرَجِ.

يا عباد الله، تَرَونَ الأزمَةَ، وتَرَونَ إخوانَنا من أهلِ هذا البَلَدِ يَترُكونَ بُيوتَهُم في هذا الشِّتاءِ البَارِدِ، تَرَونَ الأطفالَ الرُّضَّعَ، والشُّيوخَ الرُّكَّعَ، وتَرَونَ النِّساءَ المَرضى، وتَرَونَ الرِّجالَ والنِّساءَ كُلُّهُم قد نَزَحوا من بُيوتِهِم يَنشُدونَ السَّلامَةَ

والهُدوءَ والأمانَ، فهل بإمكانِ أصحابِ النِّعمَةِ أن يَسمَعوا حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

هل بإمكانِهِم أن يَسمَعوا حَديثَ الذي آمَنوا بأنَّهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

هل بإمكانِ الذي آمَنَ بأنَّ سَيِّدَنا رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هوَ شَفيعُ الأُمَّةِ أن يَسمَعَ حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

هل بإمكانِ الذي آمَنَ بِيومِ القِيامَةِ، وآمَنَ بأنَّ النَّاسَ سَيَقِفونَ في أرضِ المَحشَرِ يَوماً كانَ مِقدارُهُ خَمسينَ ألفَ سَنَةٍ، حُفاةً عُراةً غُرلاً، أن يَسمَعَ حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

لِنَسمَعْ جَميعاً الحَديثَ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِيناً وَشِمَالاً.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ».

قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ.

المُؤمِنُ فَطِنٌ لَبيبٌ:

يا عباد الله، المُؤمِنُ فَطِنٌ لَبيبٌ صَاحِبُ فِراسَةٍ يَنظُرُ بِنُورِ الله، عِندَما رَأى سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هذا الرَّجُلَ على رَاحِلَتِهِ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَميناً وَشِمَالاً عَلِمَ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ، وأَنَّهُ يَستَحْيي أن يَطلُبَ بِلِسانِهِ، وكأَنَّهُ قد انطَبَقَ عَلَيهِ قَولُ الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾.

يا عباد الله، هلّا تَدَبَّرْنا قَولَ سَيِّدِنا أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ.

هل سَمِعَ المُؤَجِّرونَ لِبُيوتِهِم ومَحَلّاتِهِم هذا الحَديثَ الشَّريفَ؟ وأنا لا أقولُ لَهُم: لا تأخُذوا أُجرَةً، ولكن كونوا رَحيمينَ بِطَلَبِ الأُجرَةِ، واتَّقوا اللهَ تعالى في النّازِحينَ، وما أدراكَ، لَعَلَّكَ أن تَكونَ أنتَ من النّازِحينَ في يَومٍ (ما) لا قَدَّرَ اللهُ تعالى، عامِلوا النّازِحينَ من مُنطَلَقِ: عامِلِ النّاسَ كما تُحِبُّ أن يُعامِلوكَ.

وهل سَمِعَ التُّجّارُ البَاعَةُ هذا الحَديثَ الشَّريفَ، أينَ رَحمَتُكُم أيُّها التُّجّارُ؟ لماذا تَرفَعونَ الأسعارَ في الأزمَةِ؟ تَقولونَ: ارتَفَعَ الدُّولارُ فَتَزيدونَ في الأسعارِ، وإذا انخَفَضَت قِيمَتُهُ تَبقى أسعارُكُم مُرتَفِعَةً! لماذا؟

وهل سَمِعَ السَّائِقونَ أصحابُ سَيّاراتِ النَّقْلِ هذا الحَديثَ الشَّريفَ؟

وهل سَمِعَ دَلّالوا العَقاراتِ هذا الحَديثَ الشَّريفَ؟

يا عباد الله، ألا يَرى أصحابُ النِّعمَةِ بأنَّ هذهِ الأزمَةَ هيَ مَوسِمٌ لَهُم من أجلِ الادِّخارِ لِيَومِ القِيامَةِ؟ لِيَومٍ يَقومُ فيهِ النّاسُ لِرَبِّ العالَمينَ خَمسينَ ألفَ سَنَةٍ؟ ألا يَرى أصحابُ النِّعمَةِ بأنَّ هذهِ الأزمَةَ هيَ مَوسِمٌ لَهُم من أجلِ التَّقَرُّبِ إلى الله تعالى في الإحسانِ للنّازِحينَ وأصحابِ الحاجَةِ؟

الجَزاءُ من جِنسِ العَمَلِ:

يا عباد الله، لِتَكُنْ عِندَنا المُواساةُ والشَّفَقَةُ والرَّحمَةُ بِعِبادِ الله، ونَحنُ نَستَحْضِرُ بأنَّ الجَزاءَ من جِنسِ العَمَلِ، وذلكَ من خِلالِ حَديثِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

يا أصحابَ النِّعمَةِ، قارِنوا بَينَ كُرُباتِ الدُّنيا وكُرُباتِ الآخِرَةِ، أيُّهما أعظَمُ؟ والله الذي لا إلهَ غَيرُهُ لقد اتَّفَقَت كُرُباتُ الدُّنيا وكُرُباتُ الآخِرَةِ بالاسمِ، ولكنَّهُما اختَلَفَتا في المُسَمَّى.

يا أصحابَ النِّعمَةِ، ألا تَرَونَ النّازِحينَ؟ ألا تَرَونَ الذينَ يَنامونَ في الشّوارِعِ، ألا تَرَونَ الذينَ يَنامونَ في الحَدائِقِ مَعَ أطفالِهِم ونِسائِهِم في هذا الشِّتاءِ البَارِدِ؟

أينَ أنا وأنتُم من قَولِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «واللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عباد الله، الُمواساةُ لأصحابِ الحَاجَةِ مُرتَبِطَةٌ ارتِباطاً وَثيقاً بالإيمانِ، فَكُلّما عَظُمَ الإيمانُ عَظُمَتِ الُمواساةُ، وكُلّما ضَعُفَ الإيمانُ ضَعُفَتِ الُمواساةُ، وكونوا على يَقينٍ بأنّ الجَزاءَ من جِنسِ العَمَلِ.

يا ربِّ أسأَلُكَ بأسمائِكَ الحُسنى وصِفاتِكَ العُلى أن لا تَجعَلَ حَوائِجَنا إلا إلَيكَ، ولا تَجعَلْ حَوائِجَنا عِندَ لَئيمٍ. آمين.

** ** **

٣٦٩ـ خطبة الجمعة: أيهما أعظم مصيبة؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، إنّ الوَاقِعَ الذي تَمُرُّ به الأُمَّةُ في هذا البَلَدِ وَاقِعٌ مَريرٌ وأليمٌ، وما من إنسانٍ عاقِلٍ فَضْلاً عن المُؤمِنِ إلا وقد جُرِحَ قَلبُهُ، ودَمعَت عَينَاهُ، وبَكى قَلبُهُ لما يَجري، وهذا أمرٌ طَبيعِيٌّ في الإنسانِ إن كانَ إنساناً.

نعم يا عباد الله، الوَاقِعُ مَريرٌ ومُؤلِمٌ، لما نَرَى من سَفْكٍ للدِّماءِ البَريئَةِ، ولما نَرَى من دَمارٍ حَلّ بالأُمَّةِ، ولكن لو قَلّبنا أبصارَنا في المُتَأَلِّمينَ على هذا الوَاقِعِ المَريرِ هل نَجِدُ فيهِم من يَتَأَلَّمُ على دِينِ الأُمَّةِ، وعلى مُصابِ الأُمَّةِ في دِينِها وعِرضِها؟

أَيُّهُما أعظَمُ مُصيبَةً، مُصيبَةُ المالِ والدِّماءِ، أم مُصيبَةُ الدِّينِ والعِرضِ؟

أَيُّها المُتَأَلِّمُ على هذا الوَاقِعِ المَريرِ، هلّا تَأَلَّمتَ على مُصابِ الأُمَّةِ في دِينِها وعِرضِها، وعلى بُعدِ النّاسِ عن دِينِهِم ونَهْجِ نَبِيِّهِم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»:

يا عباد الله، أينَ المُتَأَلِّمُ على حالِ الأُمَّةِ اليَومَ، أينَ الذي يَتَأَلَّمُ على خَاتِمَةِ العَبدِ إذا كانَت على مَعصِيَةٍ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى؟ هل نَسينا قَولَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ» رواه الإمام أحمد والحاكم عَنْ جَابرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وقَولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» رواه الإمام مسلم عَنْ جَابرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا من يَتَأَلَّمُ على هذا الوَاقِعِ المَريرِ، هل تَتَأَلَّمُ على وَاقِعِ بَناتِكَ وأبنائِكَ وزَوجَتِكَ إذا رَأَيتَهُم على مَعصِيَةِ الله عزَّ وجلَّ وماتوا على تِلكَ المَعصِيَةِ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى؟

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾:

يا عباد الله، أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ رَجُلٍ مَسؤولٍ عن أبنائِهِ وبَناتِهِ، وإلى كُلِّ زَوجٍ، وإلى من قالَ اللهُ تعالى فيهِم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾. وإلى الذينَ حَمَّلَهُم سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ المَسؤوليَّةَ بِقَولِهِ: «ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» وعَدَّ منهُم: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه الشيخان عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ زَوجٍ ومَسؤولٍ عن أبنائِهِ لأُذَكِّرَهُم وأُذَكِّرَ نَفسي أولاً بِقَولِ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ زَوجٍ ومَسؤولٍ عن أبنائِهِ وبَناتِهِ وأقولُ: لا يَكُنْ أحَدُنا بَينَ أهلِهِ كالمَفقودِ، لا يَأمُرُ بالمَعروفِ ولا يَنهى عن المُنكَرِ.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ زَوجٍ ومَسؤولٍ عن رَعِيَّتِهِ وأقولُ: الكُلُّ سَوفَ يُسألُ عن رَعِيَّتِهِ التي استَرعاهُ اللهُ تعالى عَلَيها، من الإمامِ إلى الزَّوجِ، سَوفَ يُسألُ عن رَعِيَّتِهِ في يَومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسينَ ألفَ سَنَةٍ.

«نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ»:

يا عباد الله، لِتَبرِئَةِ الذِّمَّةِ أمامَ الله تعالى أَتَوَجَّهُ إلى الرِّجالِ القَوّامينَ على النِّساءِ، وإلى كُلِّ مَسؤولٍ عن رَعِيَّتِهِ، وخاصَّةً إلى الزَّوجِ المَسؤولِ عن رَعِيَّتِهِ لأُذَكِّرَهُم بِحَديثِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ،

رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

وفي روايةِ الإمام مالك في الموطّأ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ.

يا عباد الله، قولوا لمن يُعَذِّبُ النَّاسَ ويَجلِدُهُم ويَضرِبُهُم ضَرْبَ البَهائِمِ: هَنيئاً لكَ النَّارُ، بِشَهادَةِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وقولوا لمن خَرَجَت كَاسِيَةً عَارِيَةً: هَنيئاً لكِ النَّارُ، بِشَهادَةِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا عباد الله، النِّساءُ اليَومَ اللَّواتي خَرَجْنَ كَاسِياتٍ عَارِياتٍ، هل هُنَّ كافِراتٌ أم مُسلِماتٌ مُؤمِناتٌ؟

بِكُلِّ أَسَفٍ لقد خَرَجَتِ المرْأَةُ المُسلِمَةُ الصَّائِمَةُ المُصَلِّيَةُ كَاسِيَةً عَارِيَةً إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى، مُقَلِّدَةً بذلكَ الشَّرقَ أو الغَربَ الذي يَكيدُ للإسلامِ والمُسلِمينَ.

فيا من يَبكي على الوَاقِعِ المَريرِ، أيُّ المُصابَينِ أعظَمُ: مُصابُ الدُّنيا أم مُصابُ الدِّينِ والعِرضِ؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾:

يا عباد الله، لقد خَرَجَ بَعضُ نِساءِ المُسلِمينَ وبَناتِهِم كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ، حتَّى أصبَحْنَ فِتنَةً لِشَبابِ المُسلِمينَ، ونَسينَ قَولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

هلَّا أَسمَعَ كُلُّ وَاحِدٍ منَّا بَناتِهِ وزَوجَتَهُ هذهِ الآيَةَ الكَريمَةَ؟

«الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»:

يا عباد الله، اِسمَعوا حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام أحمد عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى السُّرُوجِ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُؤُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ».

يا من يَتَأَلَّمُ على هذا الوَاقِعِ المَريرِ، أَتَرضى لا قَدَّرَ اللهُ تعالى أن تَكونَ زَوجَتُكَ وبَناتُكَ مَلعوناتٍ، وأن تُدعى الأُمَّةُ إلى لَعنِهِنَّ؟

يا عباد الله، لِنَجْعَلْ جُزءاً من أَلَمِنا على وَاقِعِ بَناتِنا ونِسائِنا، لأنّ المُصابَ بِهِنّ والله أعظَمُ من المُصابِ بالدِّمارِ وسَفْكِ الدِّماءِ، لأنّ المُؤمِنَ إذا أُصيبَ بِدَمارِ بَيتِهِ أو بِسَفْكِ دِماءِ من يَلوذُ بِهِ وَصَبَرَ على ذلكَ، فقد اندَرَجَ تَحتَ قَولِهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون﴾. وأمّا المُصابُ بالعِرضِ والدِّينِ فهذا مُصابٌ لا يُعادِلُهُ مُصابٌ أبَداً.

ما أنتُم قائِلونَ لله عزّ وجلّ؟

يا عباد الله، ما أنتُم قائِلونَ لله عزّ وجلّ الذي استَرْعاكُم على هذهِ الرَّعِيَّةِ الصَّغيرَةِ؟

هل أمَرتُمُ بالمَعروفِ بأُسلوبٍ مَعروفٍ، ونَهَيتُم عن المُنكَرِ بأُسلوبٍ مَعروفٍ؟

هل تَأَلّمتُم على هذا الوَاقِعِ المَريرِ عِندَما تَرَونَ المَرأَةَ تَخرُجُ كَاسِيَةً عَارِيَةً؟

هل تَظُنُّونَ بأنّ المَرأَةَ الكَاسِيَةَ العَارِيَةَ ستُحشَرُ مَعَ أُمّهاتِ المُؤمِنينَ، ومَعَ بَناتِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولو صَلّت وصامَت؟!

أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى:

يا عباد الله، إنّي أَتَوَجَّهُ إلى صَانِعي هذهِ الألبِسَةِ الفَاضِحَةِ التي تَجعَلُ المَرأَةَ كَاسِيَةً عَارِيَةً، وأقولُ لَهُم: أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، ما أنتُم قائِلونَ لله عزّ وجلّ يومَ القِيامَةِ؟ ألا تَرَونَ أنفُسَكُم أنّكُم تَعيشونَ في الأرضِ فَساداً؟

وأقولُ لأصحابِ المَحَلّاتِ التِّجَارِيَّةِ الذينَ يَعرِضونَ تِلكَ المَلابِسَ الفَاضِحَةَ: أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، ما أنتُم قائِلونَ للهِ عزَّ وجلَّ يومَ القِيامَةِ؟ ألا تَرَونَ أنفُسَكُم أنَّكُم تَعيشونَ في الأرضِ فَساداً؟

أمَا سَمِعتُم قَولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؟

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عبادَ اللهِ، الوَاقِعُ المَريرُ الذي تَمُرُّ بِهِ الأُمَّةُ اليَومَ، من تَهديمِ البُيوتِ، وسَفْكِ الدِّماءِ، ما هوَ إلا بِسَبَبِ بُعْدِ الأُمَّةِ عن دِينِها، وعن نَهْجِ نَبِيِّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا عبادَ اللهِ، هل يَرجِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إلى بَيتِهِ ويَنظُرُ في لِباسِ زَوجَتِهِ وبَناتِهِ؟ وهلّا نَأمُرُ بالمَعروفِ ونَنهى عن المُنكَرِ؟ وهلّا نُحَذِّرُ نِساءَنا وبَناتِنا من أن يَنْدَرِجْنَ تَحتَ قَولِ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»؟

يا عبادَ اللهِ، وَاقِعُنا مَريرٌ يُدمي القَلبَ، ويُدمِعُ العَينَينِ، فهل من عَودَةٍ إلى اللهِ تعالى؟

اللَّهُمَّ يا من أنزَلتَ عَلَينا لِباساً يُواري سوءاتِنا، اُستُرْ أعراضَنا، وأَمِّنْ رَوعاتِنا، واحقِنْ دِماءَنا، ورُدَّنا إلَيكَ رَدّاً جَميلاً. آمين.

** ** **

٣٧٠ـ خطبة الجمعة: السعادة سعادتان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، السَّعَادَةُ سَعَادَتَانِ، سَعَادَةٌ دُنيوِيَّةٌ، وسَعَادَةٌ أُخرَوِيَّةٌ، فأمَّا السَّعَادَةُ الدُّنيَوِيَّةُ فَهِيَ سَعَادَةٌ مُؤَقَّتَةٌ لِعُمُرٍ قَصيرٍ مَحدودٍ، وهيَ مَمزوجَةٌ بالمُنَغِصَّاتِ.

وأمَّا السَّعَادَةُ الأُخرَوِيَّةُ فَهِيَ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ لا تَنقَطِعُ، ولا مُنَغِّصَ فيها، وأعظَمُ نَعيمٍ فيها هوَ النَّظَرُ إلى وَجْهِ الله تعالى الكَريمِ.

والإنسانُ إذا قَصرَ نَظَرَهُ إلى سَعَادَةِ الدُّنيا فَقَط دونَ سَعَادَةِ الآخِرَةِ عاشَ في وَهْمٍ كَبيرٍ، وظَنَّ أنَّهُ سَعيدٌ، ولكنَّهُ في الحَقيقَةِ إذا انقلَبَ إلى الآخِرَةِ فَسَيَنغَمِسُ ذلكَ في غَمسَةٍ واحِدَةٍ يُغمَسُها في نارِ جَهَنَّمَ.

وأمَّا إذا رَبَطَ سَعَادَةَ الدُّنيا بِسَعَادَةِ الآخِرَةِ، وطَلَبَ سَعَادَةَ الآخِرَةِ من خِلالِ التِزامِهِ بِدِينِ الله تعالى، فَسَوفَ يَنسى الألَمَ والمَصائِبَ والشَّدَائِدَ والمُنَغِّصاتِ التي

مَرَّت عَلَيهِ فِي حَياتِهِ الدُّنيا عِندَما يُغمَسُ غَمسَةً واحِدَةً فِي نَعيمِ الجَنَّةِ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه ابن ماجه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِن الْكُفَّارِ فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً، فَيُغْمَسُ فِيهَا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَيْ فُلَانُ، هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟

فَيَقُولُ: لَا، مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ.

وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلَاءً فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً، فَيُقَالُ لَهُ: أَيْ فُلَانُ، هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أَوْ بَلَاءٌ؟

فَيَقُولُ: مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ وَلَا بَلَاءٌ».

المُؤمِنُ يَجمَعُ بَينَ السَّعادَتَينِ:

يا عباد الله، الإنسانُ المُؤمِنُ هوَ الذي يَنشُدُ سَعَادَةَ الدُّنيا وسَعَادَةَ الآخِرَةِ، ولا يَقصُرُ نَظَرَهُ على سَعَادَةِ الدُّنيا فَقَط، وذلكَ من خِلالِ إيمانِهِ والتِزامِهِ العَمَلَ الصَّالِحَ، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. هذهِ هيَ سَعَادَةُ الدُّنيا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾. وهذهِ هيَ سَعَادَةُ الآخِرَةِ.

سَعَادَةُ نِسائِنا بالحِجابِ لابالسُّفورِ:

يا عباد الله، سَعَادَةُ نِسائِنا وبَناتِنا بالحِجابِ لابالسُّفورِ، وقد ظَنَّ الكَثيرُ من نِساءِ المُسلِمينَ بأنَّ سَعادَتَها في الدُّنيا بِتِلكَ الثِّيابِ الفَاضِحَةِ، تِلكَ الثِّيابِ الضَّيِّقَةِ،

فَعَاشَت في حَياةِ شَقاءٍ وضَنْكٍ، ونَسيَت أو تَنَاسَت حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا عباد الله، اُنظُروا إلى الجَامِعاتِ والحَافِلاتِ، وإلى شَوارِعِ المُسلِمينَ، وأسواقِ المُسلِمينَ، ودَوائِرِ المُسلِمينَ، فإنَّكُم تَجِدونَ المَرأَةَ قد لَبِسَتِ الثِّيابَ الفَاضِحَةَ الضَّيِّقَةَ، وظَنَّتِ المَرأَةُ أنَّها إذا خَرَجَت إلى الشَّارِعِ هكذا، وقد سَتَرَت شَعرَها، وكَشَفَت عن وَجهِهَا، بأنَّها مُتَحَجِّبَةٌ مُلتَزِمَةٌ قَولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

وبِكُلِّ أَسَفٍ ظَنَّ الرَّجُلُ كذلكَ، بأنَّهُ إذا خَرَجَت زَوجَتُهُ وابنَتُهُ هكذا فَهِيَ مُتَحَجِّبَةٌ ومُتَسَتِّرَةٌ، ونَسِيَ هوَ وبَناتُهُ وزَوجَتُهُ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا». رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ) رواه مالك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ونَسيَ الكَثيرُ من الآباءِ والأزواجِ بأنّ المَرأَةَ كُلّها عَورَةٌ من فَرْقِها إلى قَدَمِها، وذلكَ لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَت اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُ.

﴿يوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه﴾:

يا عباد الله، كُلّنا رَاعٍ، وكُلّنا مَسؤولٌ عن رَعِيّتِهِ، كُلٌ وَاحِدٍ منّا سَوفَ يُسأَلُ عن زَوجَتِهِ وبَناتِهِ يَومَ القِيامَةِ، لذلكَ يَجبُ أن نَعلَمَ ونُعَلّمَ بَناتِنا ونِساءَنا بأنّ سَعادَةَ المَرأَةِ تَكونُ بِحِجَابِها لا بِسُفورِها، سَعادَتُها بالحِجَابِ السّميكِ الوَاسِعِ، لا بالضّيّقِ ولا بالذي يَشِفُّ، هذا هوَ حِجَابُها الشّرعِيُّ، والكُلُّ سَوفَ يُسأَلُ عن حِجَابِ عِرضِهِ يَومَ القِيامَةِ.

يا عباد الله، تَذَكّروا قَولَ الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه * وَأُمِّهِ وَأَبِيه * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه﴾. والمَقصودُ بالصّاحِبَةِ الزّوجَةُ، سَوفَ تَقولُ الزّوجَةُ وهيَ آخِذَةٌ بِتَلاليبِ زَوجِها: يا ربِّ، سَلْهُ لِمَ لَم يأمُرْني بالحِجَابِ؟ وسَوفَ تَقولُ البِنتُ وهيَ آخِذَةٌ بِتَلاليبِ أبيها: يا ربِّ، سَلْهُ لِمَ لَم يأمُرْني بالحِجَابِ؟

يا عباد الله، لقد فُتِنَ شَبابُ المُسلِمينَ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى بالنِّساءِ، فلا تَكونوا سَبَباً في فِتنَتِهِم، وذلكَ بِتَقصيرِكُم نَحوَ تَوجيهِ نِسائِكُم وبَناتِكُم إلى الحِجَابِ الشّرعِيّ.

السُّفورُ لَيسَ مُبَرِّراً للنَّظَرِ:

يا شَبابَ هذهِ الأُمَّةِ، ويا رِجالَ هذهِ الأُمَّةِ، اِعلَموا بأنَّ الدُّنيا لَيسَت للطَّائِعينَ فَقَط، فهيَ للطَّائِعينَ وللعَاصينَ، فإذا رَأَيتُم مَعصِيَةَ العَاصينَ فاعلَموا بأنَّ ذلكَ لن يَكونَ مُبَرِّراً لَكُم بأن تَعصوا اللهَ تعالى.

إذا رَأَيتُمُ النِّساءَ خَرَجْنَ كاسِياتٍ عارِياتٍ بِثِيابٍ فَاضِحَةٍ، لا يَعني ذلكَ بأنَّكُم مَعذُورُونَ في النَّظَرِ إلَيهِنَّ، وكَيفَ يَظُنُّ المُؤمِنُ هذا وهوَ يَذْكُرُ قَولَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ»؟ رواه الإمام أحمد عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عنهُما.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾:

يا عباد الله، أُذَكِّرُ نَفسي وإيَّاكُم بِقَولِ الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

اِعلَموا يا عباد الله بأنَّ البَصَرَ هوَ البابُ الأكبَرُ إلى القَلبِ، وأكثَرُ السُّقوطِ من جهَتِهِ، فإذا أطلَقَ الرَّجُلُ نَظَرَهُ إلى ما حَرَّمَ اللهُ تعالى النَّظَرَ إلَيهِ تَأَذَّى قَلبُهُ، وإذا تَأَذَّى القَلبُ فَسَدَتِ الجَوارِحُ، لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» رواه الشيخان عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ

يا عباد الله، لقد دَعانا اللهُ عزّ وجلّ إلى غَضِّ البَصَرِ قَبلَ حِفْظِ الفَرْجِ، فمن غَضَّ بَصَرَهُ حَفِظَ فَرْجَهُ، ومن أطلَقَ بَصَرَهُ لم يَحفَظْ فَرْجَهُ، ومن وَقَعَ في هذهِ المُخالَفةِ ظَنّاً منهُ أنّهُ قد حَقّقَ لِنَفسهِ سَعَادَةً فإنّهُ مَوهومٌ ورَبِّ الكَعبَةِ.

يا عباد الله، سَمِعتُ كما سَمِعتُم، الكَثيرُ من الشّبابِ اليَومَ الذينَ أطلَقوا أبصارَهُم، و لم يَلتَفِتوا إلى قَولِ الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾. لقد تَمَزّقَت قُلوبُهُم، وتَشَتّتَت أفكارُهُم، وضَيّعوا أعمارَهُم وأموالَهُم، وتَخَبّطوا في الظُّلُماتِ، ورَحِمَ اللهُ تعالى من قال:

كُلُّ الْحَـــوَادِثِ مَـــبْدَاهَا مِـــنْ النَّظَرِ *** وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا *** فَـــتْـــكَ الـــسِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ

وَالْـــعَـــبْدُ مَـــا دَامَ ذَا عَـــيْنٍ يُـــقَـــلِّبُهَا *** فِي أَعْيُنِ الْغِيدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَـــطَرِ

يَـــسُـــرُّ مُـــقْـــلَتَهُ مَـــا ضَـــرَّ مُـــهْـــجَتَهُ *** لَا مَـــرْحَـــباً بِـــسُرُورٍ عَـــادَ بِـــالضَّرَرِ

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون﴾:

يا عباد الله، لقد تَوَهَّمَ الكَثيرُ من الشَّبابِ بأنّ إطلاقَ البَصَرِ يُحَقِّقُ لَهُم سَعَادَةَ الدُّنيا، ونَسِيَ أنّ من وَراءِ هذهِ السَّعَادَةِ المَوهومَةِ سَوفَ يَحصُدُ الحَسْرَةَ والنَّدَامَةَ عاجِلاً أم آجِلاً.

لقد نَسيَ الكَثيرُ من الشَّبابِ قَولَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ. وقَولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يا عَلِي، لَا تُتْبِع النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عَن ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

لقد نَسيَ الكَثيرُ من الشَّبابِ اليَومَ بأنَّ النَّظَرَ إلى ما حَرَّمَ اللهُ تعالى سَهْمٌ من سِهامِ إبليسَ يُوصِلُ العَبدَ إلى ارتِكابِ المُخالَفاتِ الشَّرعِيَّةِ التي تُوصِلُهُ إلى شَقاءِ الآخِرَةِ والعِياذُ باللهِ تعالى.

النَّظَرُ إلى النِّساءِ يُوصِلُ إلى التَّعَدِّي لِحُدودِ الله عزَّ وجلَّ، وذلكَ بارتِكابِ العَادَةِ السِّرِّيَّةِ التي وَقَعَ فيها الكَثيرُ من الشَّبابِ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون﴾. وقَضاءُ الشَّهوَةِ باليَدِ من التَّعَدِّي على حُدودِ الله تعالى.

النَّظَرُ إلى النِّساءِ قد يُوصِلُ إلى ارتِكابِ الفَاحِشَةِ والعِياذُ باللهِ تعالى، وقد كَثُرَتِ الفَاحِشَةُ اليَومَ، ونَسِيَ هؤلاءِ الرِّجالُ الذينَ ظَنُّوا أَنَّهُم حَقَّقُوا لأنفُسِهِم سَعَادَةً بارتِكابِ الفَاحِشَةِ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

يا عباد الله، من المَسؤولُ عن التَّعَدِّي لِحُدودِ الله تعالى من قِبَلِ الشَّبابِ؟ ومن المَسؤولُ عن ارتِكابِ الفَواحِشِ؟ المَسؤولُ هوَ من كانَ سَبَباً في وُقوعِ الشَّبابِ والرِّجالِ في ذلكَ، وذلكَ عِندَما يَرى زَوجَتَهُ وبَناتِهِ سَافِراتٍ، كَاسِياتٍ عَارِياتٍ، فلا يَأمُرُهُم بالمَعروفِ ولا يَنهاهُم عن المُنكَرِ.

اِحفَظِ اللهَ في جَارِحَةِ البَصَرِ:

يا شَبابَ هذهِ الأُمَّةِ، ويا رِجالَها، السَّعيدُ من أَلزَمَ نَفسَهُ غَضَّ البَصَرِ، السَّعيدُ من استَحضَرَ دائِماً وأَبداً قَولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور﴾.

إذا أَرَدْنا حِفْظَ اللهِ تعالى لنا فَلْنَحْفَظِ اللهَ تعالى في جَارِحَةِ البَصَرِ، وإذا أَرَدْنا أن يُكرِمَنا اللهُ تعالى بِسَعَادَةِ الدُّنيا ورَاحَةِ البَالِ فيها فَلْنَحْفَظِ اللهَ تعالى في جَارِحَةِ البَصَرِ، وإذا أَرَدْنا أن نَندَرِجَ تَحتَ قَولِهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة﴾ فَلْنَحْفَظِ اللهَ تعالى في جَارِحَةِ البَصَرِ.

كما تَدينُ تُدانُ:

يا عباد الله، الجَزاءُ من جنسِ العَمَلِ، وكما تَدينُ تُدانُ، فمن أطلَقَ بَصَرَهُ و لم يَعبَأْ بِتَوجيهِ الله تعالى لهُ، ولا بِتَوجيهِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فلا يَلومَنَّ إلا نَفسَهُ إذا وَقَعَ في شَقاءٍ دُنيَوِيٍّ وأُخرَوِيٍّ.

من يَرضَى أن يَنظُرَ الرِّجالُ إلى مَحارِمِهِ نَظرَةَ شَهوَةٍ، نَظرَةَ خِيانَةٍ؟ من يَرضَى أن تُرتَكَبَ الفَاحِشَةُ في مَحارِمِهِ؟ رَحِمَ اللهُ تعالى الإمامَ الشّافِعِيِّ القائِلَ:

عِفُّوا تَعِفَّ نِساؤُكُم في المَحـــرَمِ *** وَتَجَنَّبُوا مـــا لا يَـــلــيـــقُ بِـــمُسلِمِ

إنَّ الـــزِّنـــا دَيـــنٌ فإن أَقـــرَضْـــتَهُ *** كانَ الوَفَا من أهلِ بَيتِكَ فاعلَمِ

يا هَاتِكَاً حُرَمَ الرِّجالِ وقَاطِعَاً *** سُبُلَ المَوَدَّةِ عِشْتَ غَـــيرَ مُـــكَـــرَّمِ

لو كُنتَ حُرَّاً من سُلالَةِ مَاجِدٍ *** مَا كُـــنتَ هَـــتَّاكَاً لِحُرمَـــةِ مُـــسلِـــمِ

مَن يَزنِ يُزنَ بِهِ ولـــو بِـــجِدَارِهِ *** إن كُـــنتَ يـــا هـــذا لَـــبيبَاً فَـــافـــهَمِ

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عباد الله، سَعَادَةُ الدُّنيا وسَعَادَةُ الآخِرَةِ في طَاعَةِ الله عزّ وجلّ، لا في مَعصِيَتِهِ، لِنُوَجِّهْ أزواجَنا وبَناتِنا إلى الحِجابِ الشّرعِيّ، ونَزجُرْهُم عن لِبسِ الثِّيابِ الفَاضِحَةِ الضَّيِّقَةِ التي تَجعَلُ من المَرأَةِ كَاسِيَةً عَارِيَةً.

لِنُلزِمْ أنفُسَنا وأبناءَنا غَضَّ البَصَرِ، فإن عَصَتِ المَرأَةُ رَبَّها في ثِيابِها فلا نَعصِ اللهَ تعالى نَحنُ في النَّظَرِ إلَيها.

أيُّها الشَّبابُ، كونوا على يَقينٍ بأنَّ هُناكَ الكَثيرَ من الشَّبابِ قد صَانوا أبصارَهُم عن مَحارِمِ الله تعالى، وحَفِظوا جَارِحَةَ البَصرِ من المُخالَفاتِ الشَّرعِيَّةِ فَحَفِظَهُمُ اللهُ تعالى، هؤلاءِ قد حَقَّقُوا لأنفُسِهِم سَعَادَةَ الدُّنيا، وإن شاءَ اللهُ سَيَحَقِّقونَ لأنفُسِهِم سَعَادَةَ الآخِرَةِ، وذلكَ بالنَّظَرِ إلى وَجْهِ الله تعالى.

يا عباد الله، من منَّا يَرضَى أن يَندَرِجَ تَحتَ قَولِ الله تعالى: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟ ومن منَّا يَرضَى أن يُحرَمَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِ الله تعالى الكَريمِ؟ فَعَلَينا بِغَضِّ البَصَرِ وحِفْظِ الفَرْجِ.

أسألُ اللهَ تعالى بِشَبابِ الأُمَّةِ الطَّاهِرينَ، وبالنِّساءِ الطَّاهِراتِ العَفيفاتِ المُتَحَجِّباتِ، أن يَكشِفَ الغُمَّةَ عن هذهِ الأُمَّةِ عاجِلاً غَيرَ آجِلٍ. آمين.

** ** **

٣٧١ـ خطبة الجمعة: سعادة العبد باطمئنان قلبه

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لا يُمكِنُ للإنسانِ أن يَعيشَ حَياتَهُ الإنسانِيَّةَ الْمُكَرَّمَةَ، حَياةَ السَّعَادَةِ والطُّمَأنينَةِ، حَياةَ الرُّقِيِّ والأمنِ والأمانِ، إلا في ظِلِّ الإيمانِ بالله عزَّ وجلَّ، والإيمانِ بالقَضَاءِ والقَدَرِ، والإيمانِ بِيومِ القِيامَةِ.

وإذا تَجَرَّدَ العَبدُ عن الإيمانِ بالله عزَّ وجلَّ، والإيمانِ بالقَضَاءِ والقَدَرِ، والإيمانِ بِيَومِ القِيامَةِ، عاشَ عِيشَةَ الشَّقاءِ والعَذابِ والضَّنكِ في الحَياةِ الدُّنيا، وذلكَ لِقَولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾. وأمَّا في الآخِرَةِ فهوَ من أشقى

خَلْقِ اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾.

سَعَادَةُ العَبدِ باطمِئنانِ قَلبِهِ:

يا عباد الله، سَعَادَةُ العَبدِ المُؤمِنِ باطمِئنانِ قَلبِهِ، لأنّ القَلبَ هوَ السُّلطانُ على الجَوارِحِ كُلِّها، فإذا اطمَأنّ القَلبُ اطمَأَنّتِ الجَوارِحُ، وإذا اضطَرَبَ القَلبُ اضطَرَبَتِ الجَوارِحُ.

واطمِئنانُ القَلبِ لا يَكونُ إلا بأمرٍ واحِدٍ، بَيّنَهُ لنا مَولانا عزّ وجلّ في كِتابِهِ العَظيمِ بِقَولِهِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾.

اطمِئنانُ القَلبِ لن يَكونَ بِحَياةٍ مَادِّيّةٍ واسِعَةٍ.

اطمِئنانُ القَلبِ لن يَكونَ بِسيادَةٍ ولا رِيَادَةٍ.

اطمِئنانُ القَلبِ لن يَكونَ بِسَكَنٍ فَارِهٍ، ولا بِمَركوبٍ فَخْمٍ.

اطمِئنانُ القَلبِ لن يَكونَ بِنَيْلِ أعلى المَراتِبِ الدُّنيَوِيّةِ.

اطمِئنانُ القَلبِ لن يَكونَ بأيِّ عَرَضٍ من أعراضِ الدُّنيا..

يا عباد الله، اطمِئنانُ القَلبِ لا يَكونُ إلا بِذِكْرِ الله تعالى، فمن اطمَأَنَّ قَلبُهُ بِذِكْرِ الله تعالى فهوَ في أمنٍ وأمانٍ، فلا يَخافُ إذا خافَ النّاسُ، ولا يَحزَنُ إذا حَزِنَ النّاسُ.

يا صَاحِبَ الابتِلاءِ:

يا عباد الله، أقولُ لِكُلِّ صَاحِبِ ابتِلاءٍ، وخاصَّةً في هذهِ الأزمَةِ القَاسِيَةِ: اِجعَلْ قَلبَكَ مُطمَئِنّاً، وذلكَ من خِلالِ ذِكْرِكَ لله تعالى، لأنَّهُ يَقولُ: ﴿أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾.

يا صَاحِبَ الابتِلاءِ، اِرجِعْ إلى كِتابِ رَبِّكَ عزَّ وجلَّ، الذي آمَنتَ به بأنَّهُ مُنَزَّلٌ من الله عزَّ وجلَّ على قَلبِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، اِرجِعْ إلى كِتابِ رَبِّكَ عزَّ وجلَّ لِتَجِدَ فيهِ السُّلوانَ لابتِلائِكَ.

أولاً: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إلا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين﴾:

يا عباد الله، أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب، ومن ذِكْرِ الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إلا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين﴾. فيا صَاحِبَ الابتِلاءِ، لا تَظُنَّ أنَّ زَيداً وعَمرواً من النّاسِ هُما الفَاعِلانِ حَقيقَةً، بل كُنْ على يَقينٍ بأنَّ الفاعِلَ الحَقيقِيَّ إنَّما هوَ اللهُ تعالى.

فالمَشيئَةُ العُليا هيَ النّافِذَةُ، ومَشيئَةُ الله تعالى هيَ العُليا، ولا يُمكِنُ للعَبدِ أن يَفعَلَ فِعلاً إلا إذا شاءَ اللهُ تعالى لهُ أن يَفعَلَهُ.

ثانياً: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾:

يا عباد الله، أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب، ومن ذِكْرِ الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. فيا صَاحِبَ الابتِلاءِ، لو شاءَ رَبُّكَ لَشَلَّ أطرافَ الذي أساءَ إلَيكَ، لو شاءَ رَبُّكَ لَعَطَّلَ الأسلِحَةَ جَميعَها، لو شاءَ رَبُّكَ لأطفأَ النّارَ، لو شاءَ رَبُّكَ أن لا يَصِلَكَ الضُّرُّ فلن يَصِلَكَ، تَدَبَّرْ قَولَ الله تعالى في حَقِّ سَيِّدِنا إبراهيمَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِين﴾.

فمن كَيدِهِم: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِين﴾. وشاءَ رَبُّكَ أن لا يَكونَ ذلكَ، فقال: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيم﴾.

فيا صَاحِبَ الابتِلاءِ، لا تَنسَ قَولَ الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. وقَولَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ» رواه الترمذي عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

ثالثاً: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر﴾:

يا عباد الله، أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب، ومن ذِكْرِ الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر﴾. فيا صَاحِبَ الابتِلاءِ، تَذَكَّرْ هذهِ الآيَةَ الكَريمَةَ، واعلَمْ بأنَّ البَلاءَ

الذي نَزَلَ بكَ هوَ بِخَلْقِ الله تعالى وبِقَدَرِهِ تَبَارَكَ وتعالى، وهذا الخَلقُ والقَدَرُ بِحِكمَةٍ بَالِغَةٍ.

يا صَاحِبَ الابتِلاءِ، اِحمَدِ اللهَ تعالى بأَنّكَ مَظلومٌ ولَستَ ظَالِماً، وأنّكَ مَسروقٌ ولَستَ سَارِقاً، وأنّكَ مَقهورٌ بِغَيرِ حَقٍّ ولَستَ قَاهِراً بِغَيرِ حَقٍّ.

رابعاً: ﴿إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾:

يا عباد الله، أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب، ومن ذِكْرِ الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِير﴾.

يا صَاحِبَ الابتِلاءِ، اِعلَمْ أنّ ما أصابَكَ هوَ في كِتابٍ عِندَ الله عزّ وجلّ قَبلَ أن يَنزِلَ بكَ ما نَزَلَ، وتَذَكّرْ أنّ من أركانِ الإيمانِ أن تُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ من الله عزّ وجلّ، واعلَمْ بأنّ القَضَاءَ إن كانَ شَرّاً في الظّاهِرِ، فهوَ خَيرٌ في البَاطِنِ بالنّسبَةِ للعَبدِ المُؤمِنِ، قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾.

خامساً: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾:

يا عباد الله، أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب، ومن ذِكْرِ الله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد * كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾.

يا صَاحِبَ الابتِلاءِ، أمَا يُرضيكَ خِطابُ الله عزَّ وجلّ لِسَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي أمَرَهُ اللهُ تعالى بالصَّبْرِ بِقَولِهِ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُون * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُون﴾. ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد * كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾؟

أمَا يُرضيكَ أن يَكونَ اللهُ عزَّ وجلّ وَكيلاً لكَ، حيثُ يَنتَقِمُ من خَصمِكَ يَومَ القِيامَةِ إن ماتَ بِغَيرِ تَوبَةٍ، وهوَ مُستَحِلٌّ ما حَرَّمَ اللهُ عزَّ وجلّ؟

أمَا يُرضيكَ أن يَكونَ الظّالِمُ المُستَحِلُّ لما حَرَّمَ اللهُ تعالى أنَّهُ في النَّارِ، وهوَ يَسمَعُ النِّدَاءَ: «يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» رواه الشيخان عن أبي سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ. والعِياذُ باللهِ تعالى من ذلكَ؟

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ

يا عباد الله، أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب، ومن أعظَمِ أنواعِ الذِّكْرِ تِلاوَةُ القُرآنِ العَظيمِ، فَلْنَجْعَلْ لأنفُسِنا وِرْداً من القُرآنِ العَظيمِ، ولْتَكُنْ قِراءَتُنا بِتَدَبُّرٍ، لَعَلَّ هذا

القَلبَ المُضطَرِبَ أن يَطمَئِنَّ بِذِكْرِ الله تعالى، فإذا اطمَأَنّ تَحقّقَتِ السّعَادَةُ في الحَياةِ الدُّنيا إن شاءَ اللهُ تعالى.

يا عباد الله، سَعَادَتُنا لَيسَت في الأموالِ، ولا في المَسَاكِنِ، ولا في المَصَانِعِ والمَعَامِلِ، ولا في المَركوباتِ؛ سَعَادَتُنا بالإيمانِ، والإيمانُ في القَلبِ، والقَلبُ لا سُلطَانَ لأحَدٍ عَلَيهِ إلا لله تعالى.

فمن أسعَدَهُ اللهُ تعالى بِبَرَكَةِ الإيمانِ من ذا الذي يَستَطيعُ أن يُشقِيَهُ، ومن أشقاهُ اللهُ تعالى بِنَزْعِ الإيمانِ من قَلبِهِ من ذا الذي يُسعِدُهُ؟

اِطمَئِنَّ يا صَاحِبَ الابتِلاءِ بأنّ الفَاعِلَ الحَقيقِيَّ إنّما هوَ اللهُ عزّ وجلّ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يُكرِمَنا بإيمانٍ لا يَتَزعزَعُ، وبِقُرّةِ عَينٍ لا تَنقَطِعُ، وبِمُرافَقَةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في أعلى جِنانِ الخُلدِ، وأن يَكشِفَ الغُمَّةَ عن هذهِ الأُمَّةِ، وأن لا يُحَمِّلَنا ما لا طَاقَةَ لنا به. آمين.

** ** **

٣٧٢ـ خطبة الجمعة: ارْتَحَلَت الدُّنْيَا مُدْبِرَةً

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، يا أصحابَ القلوبِ المُنكَسِرَةِ، يا من دَمَعَت عُيونُهُم، وبَكَت قُلوبُهُم، يا من ابتَلاهُمُ اللهُ تعالى بالمَصَائِبِ والشّدائِدِ في هذهِ الأزمَةِ التي تَمُرُّ على هذا البَلَدِ الحَبيبِ، هَوِّنوا على أنفُسِكُم بِمَعرِفَتِكُم بأنَّكُم ما خُلِقْتُم في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا من أجلِ الخُلودِ فيها، ولا من أجلِ الرَّاحَةِ والطُّمَأنينَةِ فيها.

هَوِّنوا على أنفُسِكُم، وذلكَ بِنَظَرِكُم إلى الآخِرَةِ التي ارتَحَلَت إلَينا مُقبِلَةً، ونَحنُ ارتَحَلنا إليها مُقبِلينَ، هَوِّنوا على أنفُسِكُم بِنَظَرِكُم إلى دَارِ البَقاءِ.

ارْتَحَلَت الدُّنْيَا مُدْبِرَةً:

يا عباد الله، روى الإمام البخاري عن سَيِّدِنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: ارْتَحَلَت الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ.

يا عباد الله، كَأَنَّ سَيِّدَنا عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عنهُ يُواسِينا في هذهِ الأزمَةِ، يُواسِي أصحابَ الابتِلاءاتِ والمَصَائِبِ، وأصحابَ المِحَنِ، وأصحابَ القُلوبِ المَهمومَةِ الحَزينَةِ.

باللهِ عَلَيكُم، أمَا يَجِدُ أحَدُنا سُلواناً في هذا الكَلامِ الذي صَدَرَ من العَارِفِ باللهِ تعالى سَيِّدِنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ؟

لقد استَقَى هذهِ الحِكمَةَ من كَلامِ رَبِّنا عزَّ وجلَّ، وإنِّي على ثِقَةٍ بأنَّنا لو قَرَأنا القُرآنَ العَظيمَ بِتَدَبُّرٍ لَوَجَدْنا فيهِ الشِّفاءَ لما في صُدورِنا من هَمٍّ وغَمٍّ وكَربٍ وحُزنٍ.

لقد استَمَدَّ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ هذهِ الحِكمَةَ من قَولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم باللهِ الْغَرُور * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِير﴾.

الدُّنيا قَنطَرَةٌ:

يا عباد الله، لقد لَعِبَ الشّيطانُ بالنّاسِ، وأوقَعَ بَينَهُمُ العَداوَةَ والبَغضاءَ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا حتّى اقتَتَلوا فيما بَينَهُم، فَسَفَكوا الدِّماءَ البَريئَةَ، واستَحَلُّوا الأعراضَ والأموالَ، وما ذاكَ إلا من دَعوَةِ الشَّيطانِ لَهُم لِيَكونوا من أصحابِ السَّعيرِ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾.

يا عباد الله، كونوا على يَقينٍ بأنَّ الدُّنيا قَنطَرَةٌ تَمُرُّونَ من تَحتِها حتّى يَكونَ القَرارُ إمَّا في جَنَّةٍ وإمَّا في نارٍ والعِياذُ بالله تعالى، فهيَ مَمَرٌّ إلى مَقَرٍّ، فلا تُتعِبوا أنفُسَكُم في دارِ المَمَرِّ، فلن تَستَقِرُّوا فيها، بل القَرارُ هُناكَ.

اِجعَلْ هَمَّكَ واهتِمامَكَ بأن يَكونَ قَرارُكَ في جَنَّةٍ عَرضُها السَّماواتُ والأرضُ، ولا تَجعَلْ هَمَّكَ واهتِمامَكَ في هذهِ الدُّنيا، ولا يَنكَسِرْ قَلبُكَ من أجلِها، لأنَّ اللهَ تعالى ابتَلانا في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، فَزَيَّنَها للنّاظِرينَ إلَيها، وحَبَّبَ الخَيرَ لِقُلوبِ العِبادِ اختِباراً وابتِلاءً، فقال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾. ثمّ ابتَلاهُ واختَبَرَهُ، هل يَطمَئِنُّ إلى الفَانِيَةِ أم إلى البَاقِيَةِ؟

ماذا يَضُرُّكَ لو فَاتَتْكَ الدُّنيا؟

يا عباد الله، ماذا يَضُرُّنا لو فَاتَتْنا الدُّنيا ونَحنُ من أهلِ الجَنَّةِ في الآخِرَةِ إن شاءَ اللهُ تعالى، وماذا تُساوي الدُّنيا في الآخِرَةِ؟

روى ابن ماجه عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُسْتَوْرِدَ أَخَا بَنِي فِهْرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ».

فالدُّنيا بِجَانِبِ الآخِرَةِ لا تُساوي شَيئاً، ولا تَعدِلُ عِندَ اللهِ جَناحَ بَعوضَةٍ، ماذا يَضُرُّكَ لو فَاتَتْكَ الدُّنيا وأنتَ من أهلِ الجَنَّةِ، وأَقَلُّ وَاحِدٍ من هذهِ الأُمَّةِ لهُ في الجَنَّةِ بِقَدْرِ الدُّنيا وعَشْرِ أمثالِها.

ماذا يَضُرُّكَ إذا مَرَّتِ الأزمَةُ عَلَيكَ و لم تُصَبْ في دِينِكَ وإيمانِكَ

ماذا يَضُرُّكَ في الأزمَةِ إذا كانَ إيمانُكَ باللهِ تعالى رَاسِخاً في قَلبِكَ رُسوخَ الجِبالِ الرَّاسِياتِ؟

ماذا يَضُرُّكَ في الأزمَةِ إذا كانَت صِلَتُكَ مَعَ اللهِ تعالى جَيِّدَةً؟

ماذا يَضُرُّكَ في الأزمَةِ إذا كُنتَ تَشعُرُ بأنَّ اللهَ تعالى رَاضٍ عَنكَ؟

ماذا يَضُرُّكَ في الأزمَةِ إذا كُنتَ تَشعُرُ بأنَّكَ مَظلومٌ ولستَ بِظَالِمٍ؟

يا عباد اللهِ، صَحيحٌ نَحنُ نَتَأَلَّمُ لما يَجري، والقَلبُ حَزينٌ، والعَينُ دَامِعَةٌ، ولكن؛ لِنَكُنْ على حَذَرٍ من أن تَمَسَّ هذهِ الأزمَةُ قُلوبَنا التي هيَ مَحَطَّةُ الإيمانِ باللهِ تعالى، والإيمانِ بالقَدَرِ، والإيمانِ بِيَومِ القِيامَةِ.

«وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»:

يا عباد الله، اِصبروا وصَابروا في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، وفي هذهِ الأزمَةِ خَاصَّةً، وكونوا على حَذَرٍ من تَزَعْزُعِ الإيمانِ في قُلوبِكُم، روى الإمام البخاري عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ.

قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟

قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

فكونوا على يَقينٍ بأنّ ما يَجري اليَومَ هوَ لِصَالِحِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ، بِشَرطِ أن لا يَتزعْزَعَ الإيمانُ، وبِشَرطِ أن لا نُحِلّ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى، ولا نُحَرِّمَ ما أحَلّ اللهُ تعالى، وبِشَرطِ أن نَضبِطَ أنفُسَنا بالأخلاقِ المُحَمَّدِيَّةِ، وأن لا تُخرِجَنا هذهِ الأزمَةُ عن الأخلاقِ المَرضِيَّةِ عِندَ الله تعالى إلى الأخلاقِ المَذمومَةِ التي لا يُحِبُّها اللهُ تعالى، فلا تَستَعجِلوا.

لا تَجمَعوا على أنفُسِكُم مُصيبَتَين:

يا عباد الله، يا أصحابَ الابتِلاءاتِ والمَصائِبِ، لا تَجمَعوا على أنفُسِكُم مُصيبَتَينِ، مُصيبَةَ الأزمَةِ ونَتائِجَها مَعَ مُصيبَةِ الأخلاقِ السَّيِّئَةِ، كونوا على حَذَرٍ من سُوءِ الأخلاقِ مَعَ نِسائِكُم وأبنائِكُم ومَعَ الآخَرينَ، لِتَتَجَلّى الأخلاقُ المُحَمَّدِيَّةُ فيكُم في هذهِ الأزمَةِ مَعَ من تُعايِشوهُم، واذكُروا وَصِيَّةَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ.

فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ».

كونوا من أبناءِ الآخِرَةِ:

يا عباد الله، كونوا من أبناءِ الآخِرَةِ، كما أوصانا بذلكَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، واعمَلوا لما بَعدَ المَوتِ، ولا تَكونوا كالذينَ عَمِلوا لما قَبلَ المَوتِ، فأحَلُّو الحَرامَ ، وحَرَّموا الحَلالَ، وسَفَكوا الدِّماءَ، وسَلَبوا الأموالَ، هؤلاءِ لَيسُوا بِعُقَلَاءٍ، هؤلاءِ ما فَكَّرُوا بِمَا بعدَ المَوتِ، هؤلاءِ كأَنَّهُم ما سَمِعُوا قَولَ سَيِّدِنَا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ «الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأمانِي» رواه التِّرْمِذيُّ عن شَدَّادِ بْن أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عباد الله، هَوِّنُوا على أنفُسِكُم فَالعُمُرُ قَصِيرٌ، والَموتُ آتٍ لا مَحَالَةَ، فلا تَجعَلُوا مِنَ الأزمَةِ مُبَرِّرَاً لَكُم لاتِبَاعِ الأهواءِ والشَّهَوَاتِ، لنَضْبِطَ أنفُسَنَا بِضَوَابِطِ الشَّرِيعَةِ في الأزمَةِ كَمَا ضَبَطنَاهَا في أيامِ الرَّخَاءِ، ومَن لم يَضبِط نَفسَهُ بِضَوابِطِ الشَّرِيعَةِ في أيامِ الرَّخاءِ والشَّدائِدِ خَسِرَ الدُّنيَا والآخِرَةِ.

احتَسِبُوا الأمرَ عندَ اللهِ تعالى، وتَضرَّعُوا إلى اللهِ تعالى أن لا يُحَمِّلَنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وأن يَكشِفَ عَنَّا هَذا الكَربَ العَظِيمَ، وأن يَكشِفَ عنَّا هذَا الكَربَ العظِيمَ، وأن يُهَيئ لِهَذِهِ الأُمَّةِ أمرَاً رَشَداً.

أسألُ اللهَ تعالى أن يُهَيئ لِهَذِهِ الأُمَّةِ رِجَالاً عَاقِلِينَ، لا يَنظُرُونَ إلى شَرقٍ ولا إلى غَربٍ، وأن يُصلِحُوا بَينَ الُمتَقَاتِلِينَ، ولعَلَّهُم يَصطَلِحُونَ مَعَ اللهِ تعالى، رَجَاءَ أن يُخرِجَنَا الله تعالى مِن هذِهِ الأزمَةِ وَلَم يَمَسَّ دِينَنَا وإِيمَانَنَا بِضُرٍّ.

يا عباد الله، اصبِرُوا وصَابِرُوا وتَذَكَّرُوا قولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٧٣ـ خطبة الجمعة: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تدعُو اللّه لَنَا؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، ابتِلاءاتُ الله تعالى لِعبادِهِ ولِخَلْقِهِ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا سُنَّةٌ كَونيَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لا تَتَخَلَّفُ ولا تَتَوَقَّفُ في لَحظَةٍ من اللَّحَظاتِ، وهيَ تَجري على المُؤمِنينَ كما تَجري على الكَافِرينَ، وتَجري على الطَّائِعينَ كما تَجري على العَاصِينَ، قال تعالى: ﴿الم * أَحسبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين﴾.

والابتِلاءاتُ من الله تعالى تَارَةً تَكونُ بالخَيرِ، وتَارَةً أُخرَى تَكونُ بالشَّرِّ فيمَا يَبدُو لنا، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن * كَلا﴾. فالابتِلاءاتُ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ لا تَتَوَقَّفُ، فتَارَةً تَكونُ بالخَيرِ، وتَارَةً تَكونُ بالشَّرِّ.

أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟:

يا عباد الله، أشَدُّ النَّاسِ ابتِلاءً هُمُ الأنبياءُ والمُرسَلونَ والصِّدِّيقونَ والصَّالِحونَ من هذهِ الأُمَّةِ، ومِصداقُ هذا ما جاءَ في الأحادِيثِ الشَّريفَةِ، فَلْيَسْمَعْ أصحَابُ

الابتِلاءاتِ اليَومَ الذينَ ابتَلاهُمُ اللهُ عزَّ وجلّ بِنَوعٍ من أنواعِ الابتِلاءاتِ، لِيَسْمَعْ من تَهَدَّمَ بيتُهُ، ومن سُفِكَ دَمُهُ، ومن سُلِبَ مَالُهُ، لِيَسْمَعْ هؤلاءِ وأمثالُهُم حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَعَلَّهُم يَجِدونَ لأنفُسِهِم سُلواناً.

روى الإمام البخاري عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ.

قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟

قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

يا عباد الله، يا من ضَاقَ صَدْرُهُ في هذهِ الأزمَةِ، يا من أُصيبَ فيها، من أنا ومن أنتَ بِجَانِبِ أصحَابِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ أينَ مَقَامُنا من مَقَامِهِم، وخاصَّةً بَعدَ قَولِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»؟ رواه الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فلا يَضِقْ صَدْرُكَ في هذهِ الأزمَةِ، لقد سَألَ الصَّحبُ الكِرامُ رَضِيَ اللهُ عنهُم سَيِّدَنا رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن يَستَنصِرَ لَهُم، وأن يَدعُوَ اللهَ تعالى لَهُم من شِدَّةِ الأزمَةِ التي مَرَّت عَلَيهِم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما قالَ.

نَتيجَةُ المُؤمِنِ بَعدَ الأزمَةِ:

يا عباد الله، الأزمَةُ لا بُدَّ إلا وتَنتَهي، والأمنُ سَيَعودُ بإذنِ الله تعالى، والمِحنَةُ والأزمَةُ مهما طَالَ أمَدُها فهوَ قَصيرٌ، والفَرَحُ آتٍ لا مَحَالَةَ إن شاءَ اللهُ تعالى، والمُؤمِنُ سَيَخرُجُ من هذهِ الأزمَةِ بإذنِ الله تعالى وهوَ أَصلَبُ عُوداً، وأقوَى قَلباً، وأكثَرُ إيماناً واطمِئناناً.

نَعَم يا عباد الله، المُؤمِنُ يَعتَريهِ الخَوفُ، ويُصيبُهُ القَلَقُ والضِّيقُ، ويَشعُرُ بالأسَى والحُزنِ، فَقَلبُهُ يَحزَنُ لما يَجرِي، وعَينُهُ تَدمَعُ لما حَلَّ بالأُمَّةِ، ولكنَّهُ صَابِرٌ مُحتَسِبٌ ثَابتٌ ثُبوتَ الرَّاسِياتِ، لا يَتَزعزَعُ ولا يَتَغَيَّرُ، ولا يَتَلاعَبُ بِكِتابِ الله تعالى، ولا بِسُنَّةِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولا يَتَلاعَبُ بالأحكامِ الشَّرعِيَّةِ، فَيُحِلُّ ما حَرَّمَ اللهُ تعالى، أو يُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ تعالى، ولا يَخرُجُ عن جَادَّةِ الصَّوابِ، كُلُّهُ اتِّباعٌ وانقِيادٌ لأمرِ الله تعالى، ولأمرِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

بل ويَزدادُ حُبّاً لله عزَّ وجلَّ، وحُبّاً لِسَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَذَرَّاتُهُ تُحِبُّ وتَعشَقُ مَولاهُ الفَعَّالُ لما يُريدُ.

فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ لَتَعلَمُ أَنَّ قَلبي يُحِبُّكَ:

يا عباد الله، اُنظُروا إلى سَلَفِنا الصَّالِحِ إذا حَلَّت بِهِمُ الشَّدَائِدُ كَيفَ يَكونُ حَالُهُم، فهذا سَيِّدُنا مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ حِينَ اشتَدَّ به نَزْعُ المَوتِ، فَنُزِعَ نَزْعاً لم يُنْزَعْهُ أحَدٌ، وكانَ كُلَّما أفاقَ من غَمْرَةٍ فَتَحَ عَينَيهِ ثمَّ قالَ: رَبِّ اخنُقْني خَنقَتَكَ، فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ لَتَعلَمُ أَنَّ قَلبي يُحِبُّكَ. رواه البزار.

يا عباد الله، قالَ سَيِّدُنا مُعاذٌ رَضِيَ اللهُ عنهُ هذهِ الكَلِمَةَ وهوَ في أزمَةٍ شَديدَةٍ، وهوَ في سَكَراتِ المَوتِ التي لا يَعرِفُ حَقيقَتَها إلا اللهُ تعالى، ثمَّ الذي ذاقَها.

روى الإمام البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالَت: إِنَّ مِنْ نِعَمِ الله عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ــ أي: مَاتَ وهوَ مُستَنِدٌ لِصَدْرِهَا ما بَينَ جَوفِهَا وعُنُقِهَا ــ وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ.

فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟

فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ.

فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟

فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ.

فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ ــ أَوْ عُلْبَةٌ ــ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ.

يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ». ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى». حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمُوتُ وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، فَيُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ».

يا عباد الله، آخِرُ كَربٍ يَمُرُّ على العَبدِ المُؤمِنِ هوَ سَكَراتُ المَوتِ، هل يَقولُ الوَاحِدُ منّا ما قالَهُ سَيِّدُنا مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ في الأزَماتِ، والتي أشَدُّها عِندَ سَكَراتِ المَوتِ: رَبِّ اخنُقْني خَنقَتَكَ، فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ لَتَعلَمُ أَنَّ قَلبي يُحِبُّكَ؟

من أينَ جَاءَ هذا الحُبُّ؟

يا عباد الله، من أينَ جَاءَ هذا الحُبُّ للهِ عزَّ وجلَّ، حتَّى قالَ سَيِّدُنا مُعاذٌ ما قالَهُ وهوَ في أشَدِّ الأزَماتِ؟

لقد جَاءَهُ هذا من ماءِ اليَقينِ الذي شَرِبَهُ من سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَائِلِ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

جَاءَهُ هذا من اليَقينِ من قَولِ الله عزَّ وجلّ: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُون﴾.

يا عباد الله، لقد وَقَعَ سَلَفُنا الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عنهُم في الأزماتِ، وأصَابَهُمُ اللهُ تعالى بما أصَابَهُم من الشَّدَائِدِ والمِحَنِ التي لا يَعلَمُها إلا اللهُ تعالى، ولكن ما نَطَقَت ألسِنَتُهُم إلا بما يُرضي رَبَّنا عزَّ وجلّ.

ونَحنُ نَتَشَبَّهُ بالسَّلَفِ الصَّالِحِ ونَقولُ: إنّ القَلبَ لَيحزَنُ على ما يَجري، وإنّ العَينَ لَتَدمَعُ على ما حَلّ بالأُمَّةِ، ولا نَقولُ إلا ما يُرضي رَبَّنا: ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعون﴾.

﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ﴾:

يا عباد الله، يا أصحَابَ الابتِلاءاتِ، كونوا على يَقينٍ بأنّ هذا هوَ الخَيرُ في حَقِّنا، فَلْنَكُنْ شَاكِرينَ صَابِرينَ حَامِدِينَ قَائِلِينَ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾.

هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ بِقَولِهِ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾.

وهذا ما وَعَدَنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَولِهِ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِياءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه الإمام أحمد عن فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عنها.

يا عباد الله، لا تُغَيِّروا ولا تُبَدِّلوا في الأزَماتِ، وكونوا رِجالاً بِكُلِّ ما تَحمِلُهُ هذهِ

الكَلِمَةُ من المَعنى، رَجاءَ أن نَدخُلَ تَحتَ قَولِهِ تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾. أحِلُّوا ما أحَلَّ اللهُ، وحَرِّموا ما حَرَّمَ اللهُ، في الرَّخاءِ والشَّدَائِدِ، كونوا وَقَّافِينَ عِندَ حُدودِ الله عزَّ وجلَّ، فلا تَظلِموا إن ظُلِمتُم، ولا تُسيئُوا إن أُسيءَ إليكُم.

يا عباد الله، الأزمَةُ تَكشِفُ حَقيقَةَ المُؤمِنِ فَيَقولُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾. وتَزيدُهُ إيماناً ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾.

وأمَّا العَبدُ المُنافِقُ فالأزمَةُ تَفضَحُهُ وتَكشِفُ حَقيقَتَهُ، قال تعالى في حَقِّ المُنافِقينَ في الأزَماتِ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يا عباد الله، لقد أظهَرَتِ الأزمَةُ مَعَادِنَ النَّاسِ، وحَقيقَةَ إيمانِهِم، فَكَم هوَ الفَارِقُ كَبيرٌ بَينَ قَائِلٍ يَقولُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾. وقَائِلٍ يَقولُ: ﴿ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً﴾؟

لِنَقُلْ جَميعاً في هذهِ الأزمَةِ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾. ولنَقُلْ: يا رَبِّ، اِفعَلْ بنا ما تَشاءُ، فَوَعِزَّتِكَ وجَلالِكَ وسُلطانِكَ وكِبرِيائِكَ إنَّ قُلوبَنا تُحِبُّكَ، ولكن، لا تُحَمِّلْنا ما لا طَاقَةَ لنا به، ولكن، عَافِيَتُكَ أوسَعُ لنا، يا ربِّ، لقد آمَنَّا وصَدَّقْنا أنَّ ما أصَابَنا لم يَكُنْ لِيُخطِئَنا، وما أخطَأَنا لم يَكُن

لِيُصِيبَنا، فَلَكَ الحَمدُ على كُلِّ حَالٍ، ونَعوذُ بكَ من حَالِ أهلِ النَّارِ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللّهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧٤ـ خطبة الجمعة: "رغِمَ أَنفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ"

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، في هذا اليَومِ العَظيمِ المُبارَكِ يَومِ الجُمُعَةِ، صَادَفَنَا يَومٌ يُسَمِّيهِ النَّاسُ يَومَ عِيدِ الأُمِّ، وأنا لا أُريدُ أن أقولَ الحُكمَ الشَّرعِيَّ في الاحتِفالِ بهذا اليَومِ، ولكن أقولُ: أيُّها الأبناءُ والبَناتُ، اِبحَثُوا عن مَصدَرِ هذا العِيدِ، من أينَ جاءَ؟

وأقولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ من الأبناءِ: أتَظُنُّ يا عَبدَ الله، أنَّكَ إذا تَعَرَّفتَ على أُمِّكَ في هذا اليَومِ، وقَدَّمتَ لها هَدِيَّةً قد جَعَلتَ لِنَفسِكَ رَصيداً عِندَ الله عزَّ وجلَّ، وتَعتَبِرُ نَفسَكَ باراً بها؟

اِجعَلوا لأنفُسكُم رَصيداً عِندَ الله عزّ وجلّ:

يا عباد الله، إسلامُنا الذي أكرَمَنا اللهُ عزّ وجلّ به هوَ الذي حَرَّضَنا على بِرّ الآباءِ والأُمّهاتِ بِكُلِّ نَفَسٍ من أنفاسِ أعمارِنا، سَواءٌ كانَ الأبَوانِ على قَيْدِ الحَياةِ، أو بَعدَ المَمَاتِ.

يا عباد الله، أتَوَجَّهُ إلى الأبناءِ اليَومَ، وخاصَّةً ونَحنُ نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ التي طَالَتِ الآباءَ والأُمّهاتِ، والأبناءَ والبَناتِ، لأقولَ لِنَفسي أولاً، ولَهُم ثانياً ــ وكُلُّنا أبناءٌ ولو كُنَّا آباءً ــ: لِنَجْعَلْ لأنفُسنا رَصيداً عِندَ الله عزّ وجلّ، حتَّى إذا وَقَعنا في ضِيقٍ أو كَربٍ أو شِدَّةٍ أو أزمَةٍ، التَجَأنا إلى الله عزّ وجلّ، وسَألناهُ بِصَالِحِ أعمالِنا، والتي من جُملَتِها بِرُّ الوَالِدَينِ أن يُفَرِّجَ عنّا، أعطانا سُؤلَنا بإذنِهِ تَبارَكَ وتعالى.

أيُّها الأبناءُ والبَناتُ: يا من ضَاقَت صُدُورُكُم في هذهِ الأزمَةِ، يا من رَأى الأزمَةَ وقد أثَّرَت على مُستَقبَلِهِ، وأثَّرَت على دِرَاستِهِ، وأثَّرَت على تِجارَتِهِ، وأثَّرَت على أعمالِهِ، وأثَّرَت على زَواجِهِ، وأثَّرَت على حَرَكاتِهِ وسَكَناتِهِ، لو كانَ لنا رَصيدٌ عِندَ الله عزّ وجلّ من بِرِّنا لآبائِنا وأُمّهاتِنا لَفَرَّجَ اللهُ عنّا ما نَحنُ فيهِ بإذنِهِ تعالى.

لا تَدري ماذا خَبَّأَ لكَ القَدَرُ:

يا عَبدَ الله، لا تَغتَرَّ بِنَفسِكَ، ولا بِقُوَّتِكَ وقُدرَتِكَ، لا تَغتَرَّ وأنت تَمشي على وَجْهِ الأرضِ على قَدَمَيكَ، لا تَغتَرَّ وأنتَ في سِنِّ شَبابِكَ، فإنَّكَ لا تَدري ماذا خَبَّأَ لكَ القَدَرُ؟

والله قد تُفاجَأُ بِكَربٍ وضِيقٍ وشِدَّةٍ، ولو اجتَمَعَ أهلُ الأرضِ والسَّماءِ على إخراجِكَ من ذلكَ لَعَجَزوا إلا أن يَأذَنَ اللهُ تعالى.

يا عباد الله، لَعَلَّنا نَستَمِعُ إلى حَديثِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يُحَدِّثُنا عن رَجُلٍ جَعَلَ لِنَفسِهِ رَصيداً عِندَ الله عزَّ وجلَّ بِبِرِّ والِدَيهِ، كيفَ حَفِظَهُ اللهُ تعالى وأَنجاهُ من كَربٍ وشِدَّةٍ وضِيقٍ لا يَعلَمُهُ إلا اللهُ تعالى.

بِرُّ الوَالِدَين سَبَبٌ لِتَفريجِ الكَرب:

روى الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفرٍ يَمْشُونَ، أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِن الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فَرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ، فَرَأَوا السَّمَاءَ».

يا عباد الله، هؤلاءِ النَّفَرُ دَخلوا في كَربٍ وبَلاءٍ عَظيمٍ، انقَطَعَت صِلاتُهُم مَعَ البَشَرِ جَميعاً، ولكن ما انقَطَعَت صِلَتُهُم مَعَ الله عزَّ وجلَّ، لذلكَ ما يَئِسوا وما قَنَطوا، كَيفَ يَيأَسونَ ويَقنَطونَ ولَهُم صِلَةٌ مَعَ الله تعالى القَائِلِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؟

يا عباد الله، لو استَطاعَ البَشَرُ أن يَقطَعوا صِلاتِكُم مَعَ الخَلقِ جَميعاً، فإنَّهُم لن يَستَطيعوا أن يَقطَعوا صِلاتِكُم مَعَ الله تعالى، فهوَ مَعَكُم، يَسمَعُكُم ويَراكُم، وهوَ القَادِرُ على إخراجِكُم من كُلِّ كَربٍ وضِيقٍ، حتَّى لو دَخَلَ العَبدُ بَطنَ الحُوتِ في ظَلامِ اللَّيلِ، ونادَى مَولاهُ في ظُلمَةِ بَطنِ الحُوتِ، مَعَ ظُلمَةِ البَحرِ، مَعَ ظُلمَةِ اللَّيلِ، فإنَّهُ يَسمَعُهُ ويُجيبُهُ ويُغيثُهُ.

يا عباد الله، هل لنا رَصيدٌ عِندَ الله تعالى من بِرٍّ لوَالِدِينا كَرَصيدِ هذا الرَّجُلِ الذي أُطبِقَ عَلَيهِ بابُ الغارِ؟

وهل سَمِعَ شَبابُنا هذا الحَديثَ الشَّريفَ؟

وهل فَكَّرَ الأبناءُ والبَناتُ بِمَوقِفِ هذا الرَّجُلِ نَحوَ والِدَيهِ الشَّيخَينِ الكَبيرَينِ؟

لقد كانَ بِوُسعِ هذا الرَّجُلِ أن يَجعَلَ نَصيبَ والِدَيهِ جانِباً، ويُعطي الفَضلَةَ لأبنائِهِ وزَوجَتِهِ، ولكنَّهُ أَبَى أن يُقَدِّمَ أحَداً على وَالِدَيهِ، ابتِغاءَ مَرضَاةِ الله عزَّ وجلَّ.

سَوفَ تَندَمُ أيُّها العَاقُّ:

يا عباد الله، قولوا لمن وَقَعَ في العُقوقِ، وأنكَرَ الجَميلَ والمَعروفَ، بِسَبَبِ شَهوَةِ سَاعَةٍ في الدُّنيا، قولوا لمن وَقَعَ في العُقوقِ، وأنكَرَ الجَميلَ والمَعروفَ، بِسَبَبِ

صُحبَةِ صَديقٍ أو صَديقَةٍ أو مَخطوبَةٍ، قولوا لمن وَقَعَ في العُقوقِ، وأنكَرَ الجَميلَ والمَعروفَ، بِسَبَبِ دِراسَةٍ أو سَفَرٍ أو دُرَيهِماتٍ، قولوا لمن وَقَعَ في العُقوقِ، وأنكَرَ الجَميلَ والمَعروفَ، وأدمَعَ عَينَي أُمِّهِ وأبيهِ: واللهِ، ثمّ واللهِ، ثمّ واللهِ، سَوفَ تَندَمُ، والأيَّامُ آتِيَةٌ، وأنتَ لا تَدري ماذا خَبَّأَ اللهُ تعالى لكَ فيها؟

«رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»:

يا عباد اللهِ، العَاقُّ لِوَالِدَيهِ ما عَرَفَ مَنزِلَةَ الأبَوَينِ عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وما عَرَفَ أمرَ اللهِ تعالى القَائِلِ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

العَاقُّ لِوَالِدَيهِ لم يَتَدَبَّرْ قَولَهُ تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾. لقد أمَرَ اللهُ تعالى وفَرَضَ الإحسانَ للوَالِدَينِ بدونِ قَيْدٍ ولا شَرْطٍ، لم يَقُلْ: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، إذا كانا مُؤمِنَينِ، أو كانا طَائِعَينِ، لقد أطلَقَها اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

العَاقُّ لِوَالِدَيهِ رَغِمَ أنفُهُ مَهما كانَ، وذلكَ بِشَهادَةِ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ».

قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُل الْجَنَّةَ».

إِنَّها دُموعٌ غَالِيَةٌ عِندَ الله تعالى ورَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا عباد الله، قولوا للعَاقِّ لِوَالِدَيه: إنَّ دُموعَ الأَبوَينِ غَالِيَةٌ عِندَ الله عزَّ وجلَّ، وعِندَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قولوا لمن أدمَعَ عُيونَ أبَوَيهِ من أجلِ مَخطوبَتِهِ، أو من أجلِ صَديقٍ، أو من أجلِ أيِّ أمرٍ مُباحٍ:

هل تَظُنُّ أنَّكَ سَتَدخُلُ الجَنَّةَ مَعَ العُقوقِ؟

هل تَعلَمُ بأنَّ دُموعَهُما غَالِيَةٌ عِندَ الله عزَّ وجلَّ، وعِندَ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

روى الإمام أحمد وأبو داود عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ.

فَقَالَ: «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا».

يا عباد الله، هذا الرَّجُلُ جاءَ مُبايعاً لِسَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على الهِجرَةِ لله ورَسولِهِ، ولكنَّهُ تَرَكَ أَبَوَيهِ يَبكِيانِ، هل هَشَّ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وبَشَّ في وَجْهِهِ، وقالَ لهُ: بارَكَ اللهُ فيكَ، لأنَّكَ أتيتَني مُبايِعاً على الهِجرَةِ؟

لقد قالَ لهُ الذي قالَ اللهُ تعالى في حَقِّهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾:

«ارْجِعْ إِلَيْهِمَا، فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا».

يا عباد الله، كم وكم وَقَعَ الأبناءُ والبَناتُ في العُقوقِ، وأدمَعوا عُيونَ آبائِهم وأُمَّهاتِهِم في أُمورٍ لَيسَ فِعلُها فَرضاً، ولا تَرْكُها وَاجِباً، لقد وَقَعوا في العُقوقِ، وأدمَعوا أعيُنَ آبائِهم وأُمَّهاتِهِم في أُمورٍ مُباحَةٍ، هذا من أجلِ زَواجِهِ من فَتاةٍ رَفَضَها أبَواهُ، وهذهِ من أجلِ زَواجِها من شَابٍّ رَفَضَهُ أبَواها، وهذا من أجلِ صَديقٍ حَذَّرَهُ أبَواهُ من صُحبَتِهِ، وهذا وهذا .....

يا أيُّها الأبناءُ والبَناتُ، كونوا على يَقينٍ بأنَّهُ من تَرَكَ شَيئاً لله تعالى عَوَّضَهُ اللهُ تعالى خَيراً منهُ.

﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾:

يا عباد الله، قولوا لمن وَقَعَ في العُقوقِ، وأدمَعَ أعيُنَ وَالِدَيهِ: لقد جَعَلتَ لِنَفسِكَ رَصيداً أسوَداً عِندَ الله عزَّ وجلَّ، واعلَمْ بأنَّ الجَزاءَ من جِنسِ العَمَلِ.

قولوا لهُ: والله إنْ وَقَعتَ لن تَجِدَ مُتَّكَأً، لأنَّكَ خَالَفتَ أمرَ الله تعالى، وأمرَ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولأنَّكَ أنكَرتَ مَعروفَ أبوَيكَ أيَّامَ طُفولَتِكَ، وأنكَرتَ الإحسانَ والمَعروفَ الذي قَدَّماهُ لكَ من سَاعَةِ الوِلادَةِ، إلى سَاعَةِ الحَملِ، إلى سَاعَةِ الوَضْعِ، إلى سَاعَةِ الرِّعَايَةِ والعِنَايَةِ، حتَّى أصبَحتَ قَوِيّاً غَنِيّاً عنهُما، ولأنَّكَ نَسيتَ قَولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يا عباد الله، كونوا على يَقينٍ بأنَّهُ لا أحَدَ لهُ فَضْلٌ عَلَيكُم من البَشَرِ بَعدَ سَيِّدِنا

رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أعظَمُ من فَضْلِ الأبَوَينِ، فلا تُنكِروا هذا الفَضْلَ بِسَبَبٍ تافِهٍ.

يا عباد الله، كُلُّنا نَشكُو إلى الله تعالى هذهِ الأزمَةَ وهذا الكَربَ والضِّيقَ، وكُلُّنا على يَقينٍ بِقَولِهِ تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾. فهل نُعلِنُ تَوبَتَنا إلى الله تعالى من عُقوقِ الوَالِدَينِ؟

وهل يُسرِعُ العَاقُّ لِوَالِدَيهِ، وخاصَّةً في هذهِ الأزمَةِ، للاصطِلاحِ مَعَ وَالِدَيهِ، وهوَ يُقَبِّلُ أيدِيَهُما وأرجُلَهُما؟

يا عباد الله، ماذا يَقولُ العَاقُّ لِوَالِدَيهِ الذي أدمَعَ أعيُنَهُم لله عزَّ وجلَّ عِندَما يَلقاهُ؟

يا عباد الله، يَومُ عِيدِ الأُمِّ لَيسَ لمن رَبَّاهُ الإسلامُ، يَومُ عِيدِ الأُمِّ هوَ للعَاقِّينَ لآبائِهِم ولأُمَّهاتِهِم، هوَ لمن قَلَّدَ الشَّرقَ والغَربَ، لمن لم يَتَعَرَّفوا على أُمَّهاتِهِم إلا في يَومٍ وَاحِدٍ من أيَّامِ السَّنَةِ.

أمَّا الذي رَبَّاهُ الإسلامُ فهوَ البَارُّ بِوَالِدَيهِ في كُلِّ نَفَسٍ من أنفاسِ حَياتِهِ، سَواءٌ كانَا على قَيْدِ الحَياةِ أو بَعدَ المَمَاتِ.

اللَّهُمَّ اجعَلْنا بَرَرَةً بآبائِنا وأُمَّهاتِنا في سائِرِ أحوالِنا، وفَرِّجْ عنَّا ما نَحنُ فيهِ بِبَرَكَةِ رِضَاهُما عنَّا. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٧٥ـ خطبة الجمعة: لقد أتيت بأكبر الكبائر

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، في وَسَطِ هذهِ الأزمَةِ التي أقَضَّت مَضَاجِعَ الجَميع، وأدمَعَتِ العُيونَ، وأبكَتِ القُلوبَ، في وَسَطِ هذهِ الأزمَةِ التي كانَ من الوَاجِبِ عَلَينا فيها أن نَستَيقِظَ من غَفلَتِنا، ونَرجِعَ إلى رُشدِنا، وتَجعَلَنا من المُتَمَاسِكِينَ كالجَسَدِ الوَاحِدِ، وخاصَّةً على مُستَوَى الأُسرَةِ والبَيتِ الوَاحِدِ، ولكن وبِكُلِّ أسَفٍ أصبَحنا نَسمَعُ في وَسَطِ هذهِ الأزمَةِ شَكَاوى مُقلِقَةً، وأخبارَ مُزعِجَةً تَتَفَطَّرُ لها القُلوبُ، وتَدمَعُ لها العُيونُ، وهيَ نَذيرُ شُؤمٍ، تَتَعَلَّقُ بأعظَمِ الحُقوقِ بَعدَ حَقِّ اللهِ عزَّ وجلَّ، إنَّها أخبارُ عُقوقُ الوَالِدَين.

يا عباد الله، والله إنَّهُ لمن العَجيبِ أن تَرى الأبناءَ الذينَ يَرونَ آباءَهُم وأُمَّهاتِهِم في وَسَطِ هذهِ الأزمَةِ يَبكونَ، وهُم في حَالَةِ خَوفٍ وقَلَقٍ عَليهِم، يَقعونَ في العُقوقِ والعِصيانِ، وبِكُلِّ أسَفٍ هذهِ الظَّاهِرَةُ ظَاهِرَةُ العُقوقِ تَنتَشِرُ وتَتَوَسَّعُ بَينَ الأبناءِ.

يا عباد الله، ظَاهِرَةُ العُقوقِ وهِجرانِ الآباءِ والأُمَّهاتِ لِأَتفَهِ الأسبابِ صَارَت ظَاهِرَةً في المُجتَمَعِ، بل ظَهَرَت ظَاهِرَةُ سُوءُ الأدَبِ مَعَ الآباءِ والأُمَّهاتِ في الأقوالِ والأفعالِ، حتَّى وَصَلَت إلى الجُرأَةِ على ضَرْبِ الوَالِدَينِ، واتِّهامِهِم بالخَرَفِ، وقِلَّةِ العَقلِ، وعَدَمِ مَعرِفَتِهِم بِمَصلَحَةِ الأبناءِ.

يا عباد الله، إذا كُنَّا نَعتَبُ على من أساءَ إلى الوَطَنِ في هذهِ الأزمَةِ، ونَقولُ لهُ: أينَ وَفاؤُكَ لِبَلَدِكَ الذي عِشتَ وتَرَعرَعتَ فيهِ؟ فَعَتَبُنا على الأبناءِ من بابِ أَولَى وأَولَى.

<u>يا أيُّها العَاقُّ لن تَرَى خَيراً:</u>

يا عباد الله، قولوا لهذهِ الشَّرِيحَةِ من المُجتَمَعِ، قولوا لِكُلِّ فَردٍ عاقٍّ في هذا المُجتَمَعِ، قولوا لمن أنكَرَ المَعروفَ والإحسانَ والجَميلَ، قولوا للذينَ زادوا آباءَهُم وأُمَّهاتِهِم هَمَّاً: يا أيُّها العَاقُّ، لن تَرَى خَيراً.

قولوا لمن أدمَعَ أعيُنَ الآباءِ والأُمَّهاتِ من أجلِ خِطبَةِ فتاةٍ: لن تَرَى خَيراً.

قولوا لمن أدمَعَت أعيُنَ الآباءِ والأُمَّهاتِ من أجلِ شَابٍّ يُريدُ زَواجَها: لن تَرَيْ خَيراً.

يا عباد الله، وإنَّهُ لمن العَجيبِ أن يُوافِقَ وَلِيٌّ فَتاةٍ على زَواجِ ابنَتِهِ من شَابٍّ عاقٍّ لِوَالِدَيهِ، من شَابٍّ أنكرَ الجَميلَ والمَعروفَ والإحسانَ من وَالِدَيهِ، هل تَتَوَقَّعُ يا وَلِيِّ الفتاةِ من هذا الشَّابِّ الجَميلَ والمَعروفَ والإحسانَ لابنَتِكَ؟

وكذلكَ من العَجيبِ أن يُوافِقَ الشَّابُّ على زَواجِهِ من فَتاةٍ أنكَرَتِ الجَميلَ والمَعروفَ والإحسانَ من وَالِدَيها، هل تَتَوَقَّعُ يا أيُّها الشَّابُّ أنّ هذهِ الفَتاةِ سَتَحفَظُ لَكَ جَميلاً ومَعروفاً وإحساناً في المُستَقبَلِ؟

اِسمَعْ أيُّها العَاقُّ:

يا عباد الله، قولوا للعَاقِّ لِوَالِدَيهِ: اِسمَعْ يا أيُّها العَاقُّ إلى كَلامِ سَيِّدِ البَشَرِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

أولاً: لقد أتَيتَ بأكبَرِ الكَبائِرِ:

يا عباد الله، قولوا للعَاقِّ لِوَالِدَيهِ: والله لقد أتَيتَ بأكبَرِ الكَبائِرِ، بِشَهادَةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، روى الشيخان عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ــ ثَلَاثاً ــ الْإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ــ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ ــ».

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

يا أيُّها العَاقُّ، لقد ذَكَرَ سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ العُقوقَ بَعدَ الشِّركِ بالله تعالى، لأنَّ اللهَ تعالى قَرَنَ الإحسانَ إلى الوَالِدَينِ بَعدَ عِبادَتِهِ، فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

ثانياً: لقد حُرِمتَ من رَحمَةِ الله تعالى:

يا عباد الله، قولوا للعَاقِّ لِوَالِدَيهِ: عُقُوُقُكَ سَوفَ يُوصِلُكَ إلى نَتيجَةٍ وَخِيمَةٍ، سَوفَ تُحرَمُ من نَظَرِ الله تعالى إلَيكَ، وسَوفَ تُطرَدُ من رَحمَةِ الله عزَّ وجلَّ التي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ إن بَقِيتَ مُصِرّاً على العُقوقِ.

روى الإمام أحمد عن عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ، وَالدَّيُّوثُ؛ وَثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى».

يا عباد الله، قولوا للعَاقِّ لِوَالِدَيهِ من أجلِ مَخطوبَةٍ، من أجلِ صَديقٍ، من اجلِ هاتِفٍ نَقّالٍ، من أجلِ شَهوَةٍ من شَهَواتِ الدُّنيا: سَوفَ تُطرَدُ من رَحمَةِ الله تعالى بِسَبَبِ عُقُوقِكَ، وبِسَبَبِ نَزْعِ الرَّحمَةِ من قَلبِكَ نَحوَ وَالِدَيكَ.

يا أيُّها العَاقُّ، رَاجِعِ الحِساباتِ فيما بَينَكَ وبَنَ نَفسِكَ،وفَكِّرْ في كَلامِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وإلا فَرَاجِعْ حِسَاباتِكَ في إيمانِكَ بِسَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ثالثاً: لن يَنفَعَكَ مَعَ العُقوقِ عَمَلٌ:

يا عباد الله، قولوا لمن أدمَعَ أعيُنَ الآباءِ والأُمَّهاتِ بِسَبَبِ العُقوقِ: اِعمَلْ ما شِئتَ من الطّاعاتِ، دُمْ على صَلاتِكَ وصِيَامِكَ وزَكاتِكَ وحَجِّكَ وعُمرَتِكَ، وتِلاوَتِكَ للقُرآنِ العَظيمِ وكَثرَةِ صَلاتِكَ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، واعمَلْ ما شِئتَ من الطّاعاتِ، ولكن اسْمَعْ إلى الحَديثِ الذي رواه الطَّبَرَانِيُّ في الكَبيرِ عَنْ أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلاثَةٌ لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ، عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِقَدْرٍ».

رابعاً: لقد دَعَا عَلَيكَ سَيِّدُنا جِبريلُ عَلَيهِ السَّلامُ:

يا عباد الله، قولوا للعَاقِّ الذي أحرَقَ قَلبَ وَالِدَيهِ: هل تَعلَمُ بأنَّ سَيِّدَنا جِبريلَ عَلَيهِ السَّلامُ دَعَا عَلَيكَ؟ وهل تَعلَمُ بأنَّ سَيِّدَنا رَسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَمَّنَ على دُعائِهِ؟

روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبيرِ عن كَعْبِ بن عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْماً إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ حِينَ ارْتَقَى دَرَجَةً: «آمِينَ».

ثُمَّ ارْتَقَى الأُخْرَى، فَقَالَ: «آمِينَ».

ثُمَّ ارْتَقَى الثَّالِثَةَ فقَالَ: «آمِينَ».

فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ وَفَرَغَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ كَلاماً الْيَوْمَ مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ؟

قَالَ: «وَسَمِعْتُمُوهُ؟».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَلامُ، عَرَضَ لِي حِينَ ارْتَقَيْتُ دَرَجَةً، فَقَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبْرِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ.

قَالَ: قُلْتُ: آمِينَ.

وَقَالَ: بَعُدَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ.

فَقُلْتُ: آمِينَ.

ثُمَّ قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ.

فَقُلْتُ: آمِينَ.

هل يُرضيكَ هذا يا أيُّها العَاقُّ؟

خامساً: عُقُوبَتُك مُعَجَّلَةٌ في الدُّنيا قَبلَ الآخِرَةِ:

يا عباد الله، قُولوا للعَاقِّ لِوَالِدَيهِ بِسَبَبِ أُمورٍ تَافِهَةٍ: كُنْ على يَقينٍ بأنَّ عُقُوبَتَكَ في الدُّنيا مُعَجَّلَةٌ قَبلَ الآخِرَةِ، إلا إذا أدركتَ نَفسَكَ بالتَّوبَةِ قَبلَ مَوتِكَ؟ أو قَبلَ مَوتِ وَالِدَيكَ، ماذا ستَفعَلُ إذا مُتَّ أو ماتَ وَالِدَاكَ وأنتَ عَاقٌّ لَهُما؟

اِعلَمْ أيُّها العَاقُّ بأنَّ الجَزَاءَ من جِنسِ العَمَلِ، عُقُوقُكَ دَينٌ، ولا بُدَّ من الوَفاءِ في الدُّنيا قَبلَ الآخِرَةِ،

روى البخاري في الأدبِ المفرَدِ عن بَكارِ بنِ عَبدِ العَزيزِ، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «كُلُّ ذُنوبٍ يُؤَخِّرُ اللهُ منها ما شاءَ إلى يَومِ القِيامَةِ، إلا البَغيَ، وعُقُوقَ الوَالِدَينِ، أو قَطيعَةَ الرَّحِمِ، يُعَجِّلُ لِصَاحِبِها في الدُّنيا قَبلَ الموتِ».

يا أيُّها العَاقُّ، هَلّا أسرَعتَ إلى التَّوبَةِ، وإلى تَقبيلِ يَدَيْ وَالِدَيكَ ورِجلَيهِما من قَبلِ أن تَندَمَ ولا يَنفَعُكَ النَّدَمُ؟

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، قولوا لعَاقِّ لِوَالِدَيهِ: لا تَغتَرَّ اليَومَ بعُقُوقِكَ وشَبابِكَ وحَيَوَيَّتِكِ، ولا تَنخَدِعْ بِضَعْفِ وَالِدَيكَ، واعلَمْ بأنَّ قُوَّتَكَ وشَبَابَكَ وحَيَوَيَّتَكَ عَارِضَةٌ، الأصلُ فيكَ الضَّعْفُ، فأنتَ ضَعيفٌ في بِدَايَتِكَ ونِهَايَتِكَ، قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾.

اِغتَنِمْ فَترَةَ شَبَابِكَ بالبِرِّ والإحسانِ لِوَالِدَيكَ، وإلا فانتَظِرْ يَوماً من الأيَّامِ حَيثُ تَبحَثُ عن مُعينٍ لَكَ فلا تَجِدُهُ، بل عِوَضاً عن المَعونَةِ سَوفَ تَكونُ لَكَ الإهانَةُ ــ لا قَدَّرَ اللهُ تعالى ــ.

يا عباد الله، أُناشِدُكُمُ اللهَ تعالى، ونَحنُ نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ، اِصطَلِحوا مَعَ الله تعالى، اِصطَلِحوا مَعَ الآباءِ والأُمَّهاتِ، توبوا إلى الله تعالى من العُقوقِ والعِصيانِ، لَعَلَّ اللهَ تعالى أن يُفَرِّجَ الكَربَ عنَّا، وتَذَكَّروا حَديثَ الثَّلاثَةِ الذين آواهُمُ المَبيتُ إلى غارٍ.

يا من أبكى وَالِدَيهِ أُناشِدُكَ اللهَ تعالى اِصطَلِحْ مَعَهُما.

وأنتُم يا أيُّها الآباءُ والأُمَّهاتُ، رَحِمَ اللهُ والِداً أعانَ وَلَدَهُ على بِرِّهِ، تَعَاونوا مَعَ الأبناءِ على طَاعَةِ الله تعالى، والله ما أجمَلَ المُجتَمَعَ عِندما يَكونُ مُتَعَاوِناً على طَاعَةِ الله عزَّ وجلّ.

أسألُ اللهَ تعالى بِبِرِّ الأبناءِ البَرَرَةِ أن يُفَرِّجَ عنَّا. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

**   **   **

٣٧٦ـ خطبة الجمعة: وصية عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عنهُ لابنه

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، عِندَ نُزولِ المَصَائِبِ، وفي أيّامِ الأزَماتِ تَضطَرِبُ القُلوبُ، قُلوبُ العِبادِ، وتَهتَزُّ نُفوسُهُم، وتَزيغُ أبصَارُهُم، ويَتَسَلّلُ الجَزَعُ إلى قُلوبِهِم، وتَنطَلِقُ بالتّشَكّي ألسِنَتُهُم، إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى.

يا عباد الله، يَجِبُ على المُؤمِنِ في أيّامِ الأزَماتِ والشّدائِدِ والمِحَنِ، وفي الظُّروفِ القَاسِيَةِ، أن يُصَبِّرَ نَفسَهُ إذا استَبطَأَ الفَرَجَ مَعَ وُجودِ الدُّعاءِ.

يَجِبُ عَلَيهِ أن يَلتَجِئَ إلى الله تعالى، ويَجأَرَ إلَيهِ بالدُّعاءِ، دُعاءَ العَبدِ المُضطَرِّ.

يَجِبُ عَلَيهِ أن يَنظُرَ إلى الله تعالى نَظرَةَ الرّضا والتّسليمِ من مُنطَلَقِ: ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يَشَأ لم يَكُن.

يَجِبُ عَلَيهِ أن يَنظُرَ إلى رَبِّهِ عزّ وجلّ أنّهُ حَكيمٌ عَليمٌ خَبيرٌ قَديرٌ رَحيمٌ.

يَجِبُ عَلَيهِ أن يَعلَمَ بأنّ كُلّ شَيءٍ بِقَضاءٍ وقَدَرٍ، وما يَجري في كِتابٍ عِندَ رَبِّنا مُستَطَرٌ.

دَرِّبوا أبناءَكُم على الرِّضا عن الله تعالى:

يا عباد الله، دَرِّبوا أبناءَكُم على الرِّضا عن الله عزّ وجلّ في قَضَائِهِ وقَدَرِهِ، وإن كانَ القَضَاءُ مُرًّا، وأشعِروا أبناءَكُم ونِساءَكُم بأنّكُم راضونَ عن الله عزّ وجلّ في قَضَائِهِ وقَدَرِهِ وإن كانَ القَضَاءُ مُرًّا.

دَرِّبوهُم على أَنَّهُ من أركانِ الإيمانِ، الإيمانُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ من الله تعالى.

دَرِّبوهُم بِحَالِكُم قَبلَ قَالِكُم بأَنَّهُ ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يَشَأْ لم يَكُن.

دَرِّبوهُم بِحَالِكُم قَبلَ قَالِكُم بأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ فَعَّالٌ لما يُريدُ، وأنَّ مَشيئَتَهُ العُليا هيَ النَّافِذَةُ.

يا عباد الله، أبناؤُنا وبَناتُنا سَوفَ نُسألُ عَنهُم يَومَ القِيامَةِ، سَوفَ نُسألُ عَن دِينِهِم وعن عَقيدَتِهِم، هل رَبَّيناهُمُ التَّربِيَةَ الصَّحيحَةَ بِحَالِنا قَبلَ قَالِنا؟

إذا كانَ الآباءُ والأُمَّهاتُ في أيَّامِ الأزَمَاتِ في حَالَةِ ضَجَرٍ مُقلِقٍ واعتِراضٍ واشْمِئزازٍ، فَكيفَ سَيَكونُ حَالُ الأبناءِ والبَناتِ؟

وَصِيَّةُ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عنهُ لابنِهِ:

يا عباد الله، لقد كانَ سَلَفُنا الصَّالِحُ يُرَبُّونَ أبناءَهُم على الرِّضا عن الله تعالى في قَضَائِهِ وقَدَرِهِ، وأنَّ ما أصَابَهُم لم يَكُن لِيُخطِئَهُم، وما أخطَأَهُم لم يَكُن لِيُصِيبَهُم.

يا عباد الله، لَعَلَّنا ونَحنُ نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ القَاسِيَةَ في هذا البَلَدِ الحَبيبِ أن نَنقُلَ لأبنائِنا وبَناتِنا ونِسائِنا وَصِيَّةَ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عنهُ لابنِهِ.

روى أبو داود عَنْ أَبِي حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ.

قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟

قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

يا عباد الله، هكذا رَبَّى سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أصحَابَهُ؟ وهكذا رَبَّى الأصحَابُ أبناءَهُم، وأرجو اللهَ تعالى أن نَكونَ هكذا حتَّى نَلقَى اللهَ تعالى وهوَ عنَّا رَاضٍ، لأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هذهِ الأُمَّةِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حتَّى يَأتِيَ أمرُ الله تعالى. كما جاءَ في الحَديثِ الصَّحيحِ.

يا عباد الله، لقد رَبَّى سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ صَحبَهُ الكِرامَ على أنَّ الأُمورَ يُبدِيها رَبُّنا عزَّ وجلَّ إبداءً، ولا يَبتَديها ابتِداءً، وهكذا رَبَّى الصَّحبُ الكِرامُ أبناءَهُم، وبذلكَ كانوا سُعَداءَ، فالسَّعيدُ من كانَ رَاضِياً عن الله تعالى في قَضَائِهِ وقَدَرِهِ.

السَّعيدُ فينا من تَرَبَّى ورَبَّى أبناءَهُ ونساءَهُ على الاتِّباعِ والاقتِداءِ بسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، السَّعيدُ من عَلِمَ وعَلَّمَ بأنَّ الأُمورَ يُبدِيها رَبُّنا عزَّ وجلَّ إبداءً، ولا يَبتَديها ابتِداءً.

قولوا لِكُلِّ مُصابٍ ومَنكوبٍ:

يا عباد الله، قولوا لِكُلِّ مُصابٍ ومَنكوبٍ، ولِكُلِّ من وَقَعَ في شِدَّةٍ وضِيقٍ وكَربٍ وبَلاءٍ: اِطمَئِنَّ، فَكُلُّ شَيءٍ بِقَضَاءٍ وقَدَرٍ، وما قَضَى اللهُ تعالى وقَدَّرَ كائِنٌ لا مَحالَةَ، ولا أحَدَ يَستَطيعُ رَدَّهُ، كما قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» رواه الإمام أحمد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

قولوا لِكُلِّ مُصابٍ ومَنكوبٍ، ولِكُلِّ من وَقَعَ في شِدَّةٍ وضِيقٍ وكَربٍ وبَلاءٍ: اِطمَئِنَّ، فقد سَبَقَكَ أُناسٌ في هذهِ الطَّريقِ من أهلِ الإيمانِ والتَّقوى والصَّلاحِ، فما أُصِبتَ به يا عَبدَ الله لَستَ بالأوَّلِ ولَستَ بالآخِرِ.

لقد مَرِضَ أقوامٌ بَعدَ صِحَّةٍ.

ولقد افتَقَرَ أقوامٌ بَعدَ غِنىً.

ولقد عُذِّبَ أقوامٌ بِغَيرِ حَقٍّ.

ولقد شُرِّدَ أقوامٌ ظُلماً وعُدواناً.

ولقد خافَ أقوامٌ بَعدَ أمنٍ واطمِئنانٍ.

ولكن، بَعدَ الشِّدَّةِ جاءَ الرَّخاءُ، وبَعدَ الضِّيقِ جاءَ الفَرَجُ من الله عزَّ وجلَّ، فمن المُحالِ دَوامُ الحَالِ، ووالله لن تَدومَ هذهِ الشِّدَّةُ، ووالله ستَنتَهي، طالَ زَمَنُها أم قَصُرَ.

ولكن، لِنَعلَمْ يا عباد الله، بأنَّ هُناكَ من يَزدادُ قُرباً من الله عزَّ وجلَّ في هذهِ الأزمَةِ، حَيثُ كانَ شَاكِراً لله عِندَ الرَّخاءِ، صَابِراً لله تعالى عِندَ البَلاءِ، وكانَ رَاضِياً عن الله تعالى في مُرِّ القَضَاءِ.

وهُناكَ من ازدادَ بُعداً عن الله تعالى، وازدادَ إثماً إلى إثمِهِ، وذَنباً إلى ذَنبِهِ، والعِياذُ بالله تعالى في وَسَطِ هذهِ الأزمَةِ.

لماذا التَّسَخُّطُ يا أيُّها المُؤمِنُ؟

يا عباد الله، لماذا التَّسَخُّطُ والشَّكوى والجَزَعُ والأنينُ؟ لَعَلَّ ما حَصَلَ ويَحصُلُ هوَ خَيرٌ لَكَ، تَفاءَلْ وأبشِرْ، واعتَمِدْ وتَوَكَّلْ على الله تعالى، هل نَسينا قَولَ الله تعالى: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾؟

هل يَليقُ بنا يا عباد الله ونَحنُ الذينَ اصطَفانا اللهُ تعالى لهذا القُرآنِ العَظيمِ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾. هل يَليقُ بنا أن نَنسى قَولَهُ تعالى: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾؟

يا عباد الله، اِحفَظوا هذهِ الآيَةَ الكَريمَةَ، وبَلِّغوها لِنسائِكُم وأبنائِكُم وبَناتِكُم، وذلكَ امتِثالاً لأمرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ

آيَةً» رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما. بَلِّغوا هذهِ الآيَةَ: ﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾.

تَشَبَّهْ بأهلِ الإيمانِ:

يا أيُّها المُؤمِنُ، تَشَبَّهْ بأهلِ الإيمانِ وأهلِ التَّقوى والصَّلاحِ، تَشَبَّهْ بمن رَضِيَ عن الله تعالى في قَضَائِهِ وقَدَرِهِ، تَشَبَّهْ بِذاكَ التَّابِعِيِّ عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، الذي قالَ فيهِ عَبدُ المَلِكِ بنُ مَروانَ:

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عُروَةَ بنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

سَيِّدُنا عُروَةُ بنُ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ دَعَاهُ الخَليفَةُ الوَليدُ بنُ عَبدِ المَلِكِ لِزِيَارَتِهِ في دِمَشقَ، وهُناكَ أُصيبَ بِمُصِيبَتَينِ.

الأولى: فَقَدَ وَلَدَهُ، وذلكَ عِندَما رَمَحَتْهُ دَابَّةٌ عِندَما كانَ يَتَفَرَّجُ على الجِيادِ.

والثَّانِيَةُ: بُتِرَتْ سَاقُهُ التي أصَابَتْها الآكِلَةُ.

فماذا صَنَعَ عُروَةُ بنُ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ؟

لَمَّا صَحَا بَعدَ قَطْعِ رِجلِهِ، دَعَا بِقَدَمِهِ المَبتُورَةِ، فَنَاوَلُوهُ إيَّاها، فَجَعَلَ يُقَلِّبُها بيَدِهِ، وهوَ يَقولُ: أما والذي حَمَلَني عَلَيكِ في عَتَماتِ اللَّيلِ إلى المَسَاجِدِ، إنَّهُ لَيَعلَمُ أنِّي ما مَشَيتُ بكِ إلى حَرامٍ قَطُّ.

ولّما رَجَعَ إلى أهلِهِ، واجتَمَعَ عَلَيهِ أهلُهُ وأصحابُهُ قالَ: لا يَهُولَنَّكُم ما تَرَونَ، فلقد وَهَبَنِي الله عزّ وجلّ أربَعَةً من البَنينِ ، ثمّ أخَذَ مِنهُم وَاحِداً وأبقى لي ثَلاثَةً، فَلَهُ الحَمدُ.

وأعطاني أربَعَةً من الأطرافِ، ثمّ أخَذَ منها وَاحِداً، وأبقى لي ثَلاثَةً، فَلَهُ الحَمدُ.

وايمُ الله، لَئِن أخَذَ اللهُ منّي قَليلاً فلقد أبقى لي كَثيراً، ولَئِنِ ابتَلاني مَرّةً، فَلَطالَما عافاني مَرّاتٍ.

يا عباد الله، سَيّدُنا عُروَةُ بنُ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ ما مَشَى بِرِجلِهِ إلى حَرامٍ، وحَلّت بهذهِ المُصيبَةُ فما ضَجِرَ، وما تَأَفّفَ، بل كانَ رَاضِياً شَاكِراً حَامِداً، ونَحنُ قد كَثُرَت ذُنوبُنا، فإذا ما ابتُلينا تَأَفّفنا، لماذا التّأَفّفُ إذا كانَ الابتِلاءُ تَطهيراً لِذُنوبِنا؟ ألم يَقُلْ مَولانا عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾؟ لِنَحمَدِ الله تعالى على السَّرّاءِ والضَّرّاءِ، وأرجو اللهَ تعالى أن يَرزُقَنا هذا المَقامَ ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، لِنَكُنْ من الشّاكِرينَ عِندَ الرَّخاءِ، ومن الصّابِرينَ عِندَ البَلاءِ، ومن الرّاضِينَ بِمُرِّ القَضَاءِ، عسى أن نَقولَ عِندَ سَكَراتِ المَوتِ: واطَرَباهُ، غَداً نَلقى الأحِبّه، مُحَمّداً وصَحبَه.

اِصبِروا يا عباد الله، حتّى تَلقَوا رَسولَ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِندَ الحَوضِ، لأنّهُ هوَ الآمِرُ بالصّبرِ أيّامَ الشّدائِدِ والمِحَنِ، كما جاءَ في الحَديثِ

الشَّرِيفِ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: قَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

وأمّا ذاكَ الظّالِمُ من أيِّ جِهَةٍ كانَ، أقولُ لَهُ: يا أيُّها الظّالِمُ، إنّكَ مَيِّتٌ وَرَبِّ الكَعبَةِ عاجِلاً أم آجلاً، تُبْ إلى الله تعالى من ظُلمِكَ، وإلا فَتَذَكَّرْ قَولَهُ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾.

اللّهُمَّ ثَبِّتْنا بالقَولِ الثّابِتَ حتّى نَلقاكَ وأنتَ عنّا رَاضٍ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

377ـ خطبة الجمعة: «إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوفِ أَحَدِكُم كَمَا يَخْلَقُ الثَّوبُ»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، في وَسَطِ هذا الوَاقِعِ المَريرِ الذي تَمُرُّ به أُمَّةُ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وخاصَّةً في هذا البَلَدِ الذي أنكَرَ البَعضُ جَميلَهُ ومَعروفَهُ، وما عَرَفوا حُرمَتَهُ، وما عَرَفوا الوَفاءَ لَهُ، ونَسوا وَفاءَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِبَلَدِهِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ.

في وَسَطِ هذهِ الأزمَةِ أدعو نَفسي وأدعُوكُم، ولْيَدْعُ كُلُّ وَاحِدٍ منَّا الأُصولَ والفُروعَ والأزواجَ والإخوَةَ والأخَواتِ والأصحابَ والمَعَارِفَ إلى التَّوبَةِ لله عزَّ وجلَّ من المُوبِقاتِ والكَبائِرِ.

أدعو نَفسي وأدعو الجَميعَ للاصطِلاحِ مَعَ الله تعالى، وأن نَؤوبَ إلى رِحابِ الله عزَّ وجلَّ، وأن لا نَكونَ لآياتِ الله تعالى عَنيدينَ.

يا عباد الله، الذُّنوبُ والخَطايا، وخاصَّةً الكَبائِرُ إذا اقتَرَفَها العَبدُ وأَلِفَها واستَمرَأَها فإنَّها تُضعِفُ الإيمانَ في قَلبِهِ، وقد تُعَرِّضُهُ إلى الزَّوالِ والعِياذُ بالله تعالى.

الإيمانُ يَخْلَقُ كما يَخلَقُ الثّوبُ:

يا عباد الله، الإيمانُ في القُلوبِ يَخْلَقُ كما يَخْلَقُ الثّوبُ بِسَبَبِ الذُّنوبِ والمَعاصِي، فَلْنَسأَلِ اللَه تعالى أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِنا.

روى الحاكم عَن عَبدِ الله بنِ عَمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما قال: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إنّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوفِ أَحَدِكُم كَما يَخْلَقُ الثّوبُ الخَلِقُ، فَاسأَلوا اللهَ أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكُم».

كم وكم نَحنُ بِحَاجَةٍ إلى هذهِ اللّفتَةِ الكَريمَةِ من سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

يا من تَأَلّمتَ في هذهِ الأزمَةِ الشّديدَةِ القَاسِيَةِ، قَبلَ أن تَسألَ اللهَ تعالى كَشْفَ الغُمَّةِ عن نَفسِكَ وعن البَلَدِ، سَلِ اللهَ تعالى أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قَلبِكَ وفي قُلوبِ العِبادِ، لأنّ الذُّنوبَ والخَطَايا أخْلَقَتِ الإيمانَ في القُلوبِ، هل نَسينا قَولَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»؟ رواه الشيخان عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا عباد الله، الإيمانُ إذا ضَعُفَ في القَلبِ أضعَفَ الإيمانَ بالقَضَاءِ والقَدَرِ، وإذا ضَعُفَ الإيمانُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ كانَ صَاحِبُهُ من أشقى خَلْقِ الله عزّ وجلّ.

«كَتَبَ اللهُ مَقادِيرَ الخَلائِقِ»:

يا عباد الله، لِنَسألِ اللهَ تعالى أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِنا، حتّى يَقوَى إيمانُنا بالقَضَاءِ والقَدَرِ، وحتّى نَعلَمَ أنّهُ لن يُصيبَنا إلا ما كَتَبَ اللهُ تعالى لَنا، ونَعلَمَ عِلمَ اليَقينِ بأنّ اللهَ تعالى كَتَبَ مَقادِيرَ الخَلائِقِ قَبلَ خَلْقِ السّماواتِ والأرضِ بِخَمسينَ

أَلفِ سَنَةٍ.

روى الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

يا عباد الله، هل من عَودَةٍ إلى رِحابِ الله عزَّ وجلَّ؟ هل من هَجْرٍ للمَعاصِي والمُنكَرَاتِ؟ هل من كَثْرَةِ دُعاءٍ لله عزَّ وجلَّ في أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِنا؟

هل من تَوبَةٍ لله عزَّ وجلَّ من المُوبِقَاتِ؟ هل من تَوبَةٍ لله عزَّ وجلَّ من سَفْكِ الدِّماءِ البَريئَةِ؟ هل من تَوبَةٍ لله عزَّ وجلَّ من تَهديمِ البُيوتِ بِغَيرِ حَقٍّ؟ هل من تَوبَةٍ لله عزَّ وجلَّ من سَلْبِ الأموالِ؟

لَعَلَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُحيِيَ الإيمانَ في قُلوبِنا، حتَّى نَكونَ من الرَّاضِينَ عن الله عزَّ وجلَّ في قَضَائِهِ وقَدَرِهِ.

يا عباد الله، كُلَّما زَادَ الإيمانُ في القَلبِ بالله تعالى، زَادَ الإيمانُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ، وكُلَّما زَادَ الإيمانُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ، كُلَّما كانَ العَبدُ سَعيداً في حَياتِهِ الدُّنيا ولو كانَ القَضَاءُ والقَدَرُ مُرّاً في ظَاهِرِهِ.

«عَجِبتُ للمُؤمِنِ وَجَزَعِهِ»:

يا عباد الله، قَضَاءُ الله تعالى وقَدَرُهُ كُلُّهُ خيرٌ في حَقِّ الإنسانِ المُؤمِنِ، ولو عَلِمَ

العَبدُ المُبتَلَى ما لَهُ عِندَ الله تعالى لَأَحَبَّ الابتِلاءَ حتَّى يَلقَى اللهَ عزَّ وجلَّ.

روى البزَّار عن عَبدِ الله بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: كُنَّا عِندَ رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَتَبَسَّمَ.

فَقُلنا: يا رَسولَ الله، مِمَّ تَبَسَّمتَ؟

قال: «عَجِبتُ للمُؤمِنِ وَجَزَعِهِ من السَّقَمِ، ولو يَعلَمُ ما لَهُ في السَّقَمِ لَأَحَبَّ أن يَكونَ سَقِيماً حتَّى يَلقَى اللهَ».

هل سَمِعتَ هذا الحَديثَ الشَّريفَ يا صَاحِبَ الفُؤادِ المَجروحِ، يا من تَهَدَّمَ بَيتُهُ، يا من سُلِبَ مالُهُ، يا من سُفِكَ دَمُهُ بِغَيرِ حَقٍّ؟ لا تَتَأَلَّمْ ما دُمتَ من أهلِ الإيمانِ والتَّقوى والصَّلاحِ، ما دُمتَ من أهلِ الاتِّباعِ، ونَسألُ اللهَ تعالى العَفوَ والعَافِيَةَ.

أُكتُبْ عَنِّي:

يا عباد الله، دَخَلَ أَحَدُ العَارِفِينَ بالله عزَّ وجلَّ على بَعضِ إخوانِهِ، فَوَجَدَهُ مُستَغرِقاً في أمرٍ من الأُمورِ، حتَّى لم يَشعُرْ بِدُخولِهِ عَلَيهِ.

فَلَمَّا تَنَبَّهَ إِلَيهِ قالَ لهُ العَارِفُ بالله تعالى: أُكتُبْ عَنِّي هذهِ الكَلِماتِ:

لَمَّا رَأَيتُكَ جَالِساً مُتَفَكِّراً *** أَيقَنتُ أَنَّكَ للهُمومِ قَرينُ

مَا لاَ يُقَدَّرُ لا يَكُونُ بِحِيلَةٍ *** أَبَداً وَمَا هُوَ كائِنٌ سَيكُونُ

سَيَكُونُ ما هُـــوَ كـــائـــنٌ في وَقْـــتِـــهِ *** وَأخُو الجَهَالَةِ مُتْعَبٌ مَحْزُونُ

يَجْرِي الحَرِيصُ ولا يَنَالُ بِحرْصِهِ *** شَيْئــاً ويَسعَدُ عَاجزٌ وَمَهِينٌ

فَـــدعَ الهُمُومَ، وتَـــعَرَّ مِـــنْ أثْـــوابِهَا *** إنْ كانَ عِنْدَكَ بالْقَضَاءِ يَقِينُ

هَـــوِّنْ عَـــلَـــيْكَ وَكُـــنْ بِرَبِّكَ وَاثِقاً *** فَأخُو الحَقِيقَةِ شَأنُه التَّهْوِينُ

فَلَرُبَّ ما تَرجوهُ لَيــسَ بِــكَــائِـــنٍ *** ولَرُبَّ ما تَخشاهُ سَوفَ يَكونُ

يا عباد الله، لَعَلّنا نَجِدُ في هذهِ الكَلِماتِ سُلواناً لِقُلوبنا، وخاصَّةً في وَقتٍ يُخَوِّفُ النّاسُ بَعضَهُمُ بَعضاً من الُمستَقبَلِ، لا أدري هل أطلَعَهُمُ اللهُ تعالى على الغَيبِ؟!

يا عباد الله، لِنَتَّقِ اللهَ تعالى في الأُمَّةِ، ولْنَسْمَعْ قَولَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾:

يا عباد الله، أُناشِدُ أهلَ الجَاهِ والسِّيادَةِ والرِّيَادَةِ، أُناشِدُ أصحابَ الكَلِمَةِ المَسموعَةِ، أُناشِدُ الجَميعَ لِنَسعَ إلى إطفاءِ نَارِ هذهِ الحَربِ، نَارِ هذهِ الفِتنَةِ، وذلكَ أولاً: بِتَرْكِ الذُّنوبِ والمَعاصِي والآثامِ.

ثانياً: أن نَلتَزِمَ قَولَ الله تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً * وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.

وأقولُ لمن هوَ خارجَ هذا البَلَدِ: اِتَّقوا اللهَ تعالى فينا يا عباد الله، اِتَّقوا اللهَ تعالى فينا يا عباد الله، اِتَّقوا اللهَ تعالى فينا يا عباد الله، كَفَى تَأجيجاً لِنَارِ هذهِ الحَربِ.

ثمَّ أقولُ بَعدَ ذلكَ: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾. وَفَوَّضْنا أمرَنا إلى الله تعالى، ورَحِمَ اللهُ تعالى من قال:

عَلَى المَرءِ أن يَسعَى لما فِيهِ نَفْعُهُ *** وَلَيسَ عَلَيهِ أن يُسَاعِدَهُ الدَّهْرُ

فإنْ تَمَّ بالسَّعْيِ المُنى تَمَّ قَصْدُهُ *** وإن صَدَّهُ المَقدورُ كانَ لَهُ عُذْرُ

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، مُروا بالمَعروفِ، وانهَوا عن المُنكَرِ، ولنَكُفَّ عن الذُّنوبِ والمَعاصِي، ولنَسألِ اللهَ تعالى أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبنا، حتَّى تَطمَئِنَّ قُلوبُنا بأنَّ القَدَرَ كائِنٌ لا يَنمَحِي، وأنَّ اللهَ تَبارَكَ وتعالى قَدَّرَ المَقَادِيرَ قَبلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ بِخَمسينَ ألفَ سَنَةٍ، فما شَاءَ اللهُ كانَ، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العَظيمِ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يُعَجِّلَ بالفَرَجِ عن هذهِ الأُمَّةِ عاجِلاً غَيرَ آجِلٍ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٧٨ـ خطبة الجمعة: ﴿لَئِنْ أنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، رَبُّنا عزَّ وجلّ فَعّالٌ لما يُريدُ، ولا يُسألُ عمّا يَفعَلُ، وهُم يُسأَلونَ، رَبُّنا عزَّ وجلّ وجَلّت قُدرَتُهُ كُلّ يومٍ هوَ في شَأنٍ، رَبُّنا عزَّ وجلّ يَرفَعُ من يَشاءُ، ويَضَعُ من يَشاءُ، يُعِزُّ من يَشاءُ، ويُذِلُّ من يَشاءُ، يُؤتي مُلكَهُ من يَشاءُ، ويَنزِعُهُ عمَّن يَشاءُ.

رَبُّنا عزَّ وجلّ يُؤَمِّنُ من أرادَ، ويُخيفُ من أرادَ، رَبُّنا عزَّ وجلّ كُلّ يومٍ هوَ في شَأنٍ، يَشفي مَريضاً، ويُميتُ حَيّاً، يَنصرُ مَظلوماً، ويَقصِمُ جَبّاراً، يَغفِرُ ذَنباً، ويُفَرِّجُ كَرباً، يَفعَلُ ما يَشاءُ، وما أرادَهُ كانَ، وما لم يُرِدْهُ لم يَكُنْ.

يا عباد الله، من عَرَفَ اللهَ تعالى استَراحَ قَلبُهُ، واطمَأَنّ إلَيهِ، ونَحنُ في هذهِ الأيّامِ الصَّعبَةِ والقَاسِيَةِ بأمَسِّ الحَاجَةِ إلى العَودَةِ لله تعالى، واللُّجوءِ إلَيهِ، فمن عادَ إلى الله تعالى، ولَجَأَ إلَيهِ فقد أوَى إلى رُكنٍ شَديدٍ.

يا عباد الله، إنّ التّسليمَ لله عزّ وجلّ، وتَفويضَ الأمرِ إلَيهِ بَعدَ الأخذِ بالأسبابِ من شَأنِهِ أن يُريحَ القَلبَ، ويُطَمئِنَ النّفسَ، وبذلكَ تَجدُ القُلوبَ أثبَتَ ما تكونُ في الأزَماتِ والشّدائِدِ، لأنّ هذا العَبدَ يَأوي إلى رُكنٍ شَديدٍ.

نادِ الرَّبَّ بِدُعاءِ الكَرب:

يا عباد الله، كم وكم نَحنُ بَأَمَسِّ الحَاجَةِ لِلُّجوءِ إلى الله تعالى في هذهِ الأزمَةِ التي يَقولُ اللهُ تعالى فيها وفي أمثالِها: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ الله كَاشِفَة﴾.

كم وكم نَحنُ بَأَمَسِّ الحَاجَةِ إلى التَّضَرُّعِ رِجالاً ونِساءً، آباءَ وأبناءَ وأُمَّهاتٍ، حُكّاماً ومَحكومينَ، كم وكم نَحنُ بَأَمَسِّ الحَاجَةِ إلى صِدْقِ التَّوبَةِ لله عزَّ وجلَّ، وصِدْقِ القَولِ مَعَ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ.

يا عباد الله، إذا حَلَّ الهَمُّ، وخَيَّمَ الغَمُّ، واشتَدَّ الكَربُ، وعَظُمَ الخَطبُ، وضَاقَتِ السُّبُلُ، فَنَادِ الرَّبَّ بِدُعاءِ الكَرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، لَا تَدَعْ لِي ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمَّاً إِلَّا فَرَّجْتَهُ، وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضاً إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ» رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا عباد الله، لِنَطرُقْ بابَ مَولانا عزَّ وجلَّ في الهَمِّ والغَمِّ والكَربِ العَظيمِ، وشِدَّةِ الخَوفِ من المَخلوقاتِ، ولنَقُلْ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَبْغِيَ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» رواه الترمذي عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا عباد الله، رَحِمَ اللهُ تعالى من قالَ:

إنْ مَسَّنا الضُّرُّ أو ضَاقَت بِنَا الحِيَلُ *** فَـلَـن يَخِيـبَ لَـنَا في رَبِّنَا أَمَـلُ

اللهُ في كُلِّ خَـطْبٍ حَـسْبُنا وَكَـفَى *** إِلَيهِ نَـرفَـعُ شَـكـوَانَا وَنَـبتَهِـلُ

مَن ذا نَـلُوذُ به في كَـشْفِ كُـربَـتِنا *** ومَن عَلَيـهِ سِوَى الرَّحمنِ نَتَّكِلُ

فَافـزَعْ إلى الله واقـرَعْ بَابَ رَحمَتِـهِ *** فَهُوَ الرَّجاءُ لمن أَعيَت به السُّبُلُ

لمن تَدعو؟ قال: للذي في السَّماءِ:

يا عباد الله، يا أهلَ هذا البَلَدِ، يا من تَعيشونَ هذا الضِّيقَ والهَمِّ والكَربَ الشَّديدَ، هل دَفَعَنا هذا الوَاقِعُ المَريرُ للوُقوفِ بَينَ يَدَي الله عزَّ وجلَّ بِصِدْقٍ وإخلاصٍ على كُلِّ المُستَوَياتِ؟ هل هذا الوَاقِعُ المَريرُ دَفَعَ الأقوِياءَ والضُّعَفاءَ، الرِّجالَ والنِّساءَ، الأغنِياءَ والفُقَراءَ، الحُكّامَ والمَحكومينَ، للوُقوفِ بِبابِ مَولانا عزَّ وجلَّ، أم ما زِلنا نُفكِّرُ في أسبابٍ تَافِهَةٍ لاتُقَدِّمُ ولا تُؤَخِّرُ؟

اِسمَعْ يا من آمَنَ بالله تعالى رَبّاً، وبالإسلامِ دِيناً، وبِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبِيّاً ورَسولاً، سُؤالَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ كانَ مُشرِكاً: قالَ لَهُ: « يا حُصَينُ، كَم تَعبُدُ من إلهٍ؟»

قال: سَبعَاً في الأرضِ وَوَاحِداً في السَّماءِ.

قال: «فَإِذا أَصابَكَ الضُّرُّ، مَن تَدعُو؟»

قال: الذي في السَّماءِ.

قال: «فَيستَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ وتُشرِكُهُم مَعَهُ، أَرَضِيتَهُ في الشُّكْرِ، أم تَخافُ أن يُغلَبَ عَلَيكَ؟»

قال: وَلا وَاحِدَةً من هَاتَينِ.

قال: وَعَلِمتُ أَنِّي لم أُكَلِّمْ مِثلَهُ.

قال: «يا حُصَينُ، أَسلِمْ تَسلَمُ». من كِتابِ حَياةِ الصَّحَابَةِ.

يا عباد الله، هذا المُشرِكُ كانَ على يَقينٍ بِقَرارَةِ نَفسِهِ أنّ الأصنامَ لا تُقَدِّمُ ولا تُؤَخِّرُ، لا تَضُرُّ ولا تَنفَعُ ــ وهذهِ هيَ عَقيدَةُ المُؤمِنِ ــ كانَ هذا العَبدُ إذا وَقَعَ في أزمَةٍ وشِدَّةٍ وكَربٍ وهَمٍّ وغَمٍّ التَجأَ إلى الله تعالى مَعَ شِرْكِهِ ــ والعِياذُ باللّه تعالى ــ

يا عباد الله، ألا تَرَونَ أنّ هذا هوَ الوَاجِبُ على العَبدِ المُؤمِنِ، وهوَ أَولَى بذلكَ من العَبدِ المُشرِكِ، لأنّ المُؤمِنَ يَعتَقِدُ اعتِقاداً جَازِماً بِقَولِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الْأَقْلَامُ، وَجَفَّت الصُّحُفُ» رواه الإمام أحمد عن ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

﴿لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـــذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾:

يا عباد الله، الكَثيرُ من هذهِ الأُمَّةِ يَدعو اللهَ عزَّ وجلَّ أن يَكشِفَ هذهِ الغُمَّةَ والكَربَ العَظيمَ، ولكن أقولُ لهؤلاءِ الإخوَةِ الدَّاعِينَ، وأنا وَاحِدٌ مِنهُم: تَعَالَوا لِنَقِفَ أمامَ آيَةٍ من كِتابِ الله عزَّ وجلَّ، وِقفَةَ المُتَأَمِّلِ المُتَفكِّرِ المُتَدَبِّرِ المُعتَبِر، يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

يا عباد الله، أتَساءَلُ مَعَ نَفسي ومَعَكُم: هل قَطَعَ كُلٌّ وَاحِدٍ عَهْداً فيما بَينَهُ وبَينَ الله تعالى إن كَشَفَ اللهُ عزَّ وجلَّ عنَّا هذهِ الغُمَّةَ والكَربَ الشَّديدَ أن يَكونَ من الشَّاكِرينَ؟

وهل يُمكِنُنا أن نَنقُلَ هذهِ الآيَةِ لِنسائِنا وبَناتِنا وأبنائِنا ومن يَلوذُ بنا، وأن نَتساءَلَ مَعَهُم: هل نُعطِي لله عَهْداً إن كَشَفَ عنَّا هذهِ الغُمَّةَ والكَربَ الشَّديدَ أن نَكونَ من الشَّاكِرينَ؟ والشُّكرُ عَمَلٌ ولَيسَ قَولاً، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور﴾.

أينَ من قَطَعَ على نَفسِهِ عَهْداً أن يَكونَ شَاكِراً؟

يا عباد الله، أينَ من قَطَعَ على نَفسِهِ عَهْداً أن يَكونَ شَاكِراً لله عزَّ وجلَّ بِكُلِّ نِعمَةٍ من النِّعَمِ التي أسبَغَها اللهُ تعالى عَلَيهِ؟

هل من شُكْرِ الله تعالى على نِعمَةِ المالِ أن يَكونَ العَبدُ مُحتَكِراً؟

فِي هذهِ الأَيّامُ، أُغلِقَتِ الطُّرُقُ، وانقَطَعَتِ السُّبُلُ، فإذا بالبَضَائِعِ وَأقواتِ النّاسِ قد اختَفَت، وارتَفَعَتِ الأسعارُ مُباشَرَةً، ما هذا يا عباد الله؟

ما هذا يا مَعشَرَ التُّجّارِ؟ اِسمَعوا ما قالَ نَبِيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ التُّجّارِ بِشَكلٍ عامٍّ ــ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى ــ: «إِنَّ التُّجَّارَ هُم الْفُجَّارُ».

قَالَ رَجُلٌ: يَا نَبِيَّ الله، أَلَمْ يُحِلَّ اللهُ الْبَيْعَ؟

قَالَ: «إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فَيَكْذِبُونَ، وَيَحْلِفُونَ وَيَأْثَمُونَ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يا عباد الله، من شُكْرِ الله تعالى على نِعمَةِ المالِ أن تَرحَموا به عِبادَ الله تعالى.

هل من شُكْرِ الله تعالى على نِعمَةِ البَصَرِ أن يُطلِقَ العَبدُ بَصَرَهُ إلى ما حَرَّمَ اللهُ تعالى؟

يا عباد الله، من شُكْرِ الله تعالى على نِعمَةِ البَصَرِ غَضُّهُ عن مَحَارِمِ الله عزَّ وجلَّ.

هل من شُكْرِ الله تعالى على نِعمَةِ الثِّيابِ أن تَخرُجَ المَرأَةُ كَاسِيَةً عَارِيَةً؟

يا عباد الله، من شُكْرِ الله تعالى على نِعمَةِ الثِّيابِ أن تَلبَسَ المَرأَةُ ثِيابَ التَّقوَى، لا ثِيابَ الفُجورِ، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

يا عباد الله، لِنَقطَعْ على أنفُسنا عَهْداً إن كَشَفَ اللهُ تعالى عنّا الضُّرَّ أن نَكونَ من الشّاكِرينَ، ومن الشُّكْرِ لله عزَّ وجلَّ أن لا يَرانا حَيثُ نَهانا، وأن لا يَفقِدَنا حَيثُ أمَرَنا.

وكونوا على يَقينٍ بأنَّ اللهَ تعالى ﴿لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

اِعزِموا على الشُّكْرِ بِقُلوبِكُم قَبلَ أن تَقولَ ألسِنَتُكُم: ﴿لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

يا عباد الله، بِكُلِّ أَسَفٍ هُناكَ من يَتطَلَّعُ إذا كَشَفَ اللهُ تعالى الغُمَّةَ أن يَرجِعَ إلى ما كانَ عَلَيهِ من المَعاصِي والمُنكَراتِ؛ ونَسِيَ بأنَّ هذا البَلاءَ ما صُبَّ على الأُمَّةِ إلا بِسَبَبِ الذُّنوبِ والمَعاصِي والمُنكَراتِ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾.

<u>خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:</u>

يا عباد الله، لِنَعزِمْ على الشُّكْرِ لله تعالى إن كَشَفَ عنّا الغُمَّةَ والكَربَ العَظيمَ، ومن شُكْرِ الله تعالى أن لا نَحتَكِرَ، وأن لا نَتَعامَلَ بالرِّبا، وأن لا نَأكُلَ المَواريثَ بِغَيرِ حَقٍّ، وأن نُقَسِّمَ التَّرِكَةَ بَعدَ مَوتِ المُوَرِّثِ مُباشَرَةً، ومن الشُّكْرِ أن لا يَختَلِطَ الرِّجالُ بالنِّساءِ الأجنَبِيّاتِ، وأن يَغُضَّ كُلٌّ من الرِّجالِ والنِّساءِ أبصارَهُم، ومن الشُّكْرِ أن لا تَخرُجَ النِّساءُ كَاسِياتٍ عَارِياتٍ، ومن الشُّكْرِ أن يُعطَى كُلُّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ.

يا عباد الله، لِنَلتَجِئْ إلى الله تعالى، ولِنَقُلْ: يا رَبِّ، إن كَشَفتَ عنّا ما نَحنُ فيه لَنَكونَنَّ من الشّاكِرينَ، وأن يَكونَ هذا القَولُ قَولَ صِدْقٍ وحَقٍّ.

اللّهُمَّ رُدَّنا إلَيكَ رَدّاً جَميلاً. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِي

٣٧٩ـ خطبة الجمعة: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللّهُ المُسْتَعَانُ﴾

.

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، إنّ من آمَنَ بالله تعالى، وآمَنَ بِصِفَاتِهِ العُلا، وأسمَائِهِ الحُسنَى، وعَرَفَ طَبيعَةَ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، وَطّنَ نَفسَهَ على احتِمالِ المَكَارِهِ، وَوَاجَهَ الأعباءَ مَهما ثَقُلَت، بِصَدْرٍ وَاسِعٍ، مُستَعيناً بالله عزّ وجلّ.

من عَرَفَ اللّهَ تعالى، وعَرَفَ أسماءَهُ وصِفاتِهِ، حَسَّنَ ظَنَّهُ بالله تعالى، وأمِلَ مِنهُ حُسنَ العَواقِبِ وجَميلَها، بِقَلبٍ رَاسِخِ الإيمانِ لا تَشُوبُهُ رِيبَةٌ، وبِنَفسٍ لا تُزَعزِعُها كُربَةٌ من الكُرُباتِ، وكانَ على يَقينٍ بأنّ الفَرَجَ آتٍ، وبأنَّهُ لن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ، وبأنَّهُ مَهما طالَ اللّيلُ فلا بُدَّ من بُزوغِ الفَجرِ.

من رَسَخَ في قَلبِهِ الإيمانُ بالله تعالى، وعَرَفَ سُنَّةَ الله تعالى في خَلْقِهِ، عَلِمَ أنّ كُلّ مِحنَةٍ تَحمِلُ في طَيّاتِها مِنَحاً ورَحَماتٍ لا يَعلَمُها إلا اللهُ تعالى.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللّهُ المُسْتَعَانُ﴾:

يا عباد الله، من عَرَفَ اللهَ تعالى، وعَرَفَ طَبيعَةَ هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، وعَرَفَ تَقَلُّبَاتِها، وأنَّهُ من الُمحالِ دَوامُ الحَالِ، اِنطَلَقَ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا من الُمنطَلَقِ الذي انطَلَقَ مِنهُ سَيِّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السَّلامُ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ الُمسْتَعَانُ﴾.

يا عباد الله، ونحنُ نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ الصَّعبَةَ القَاسِيَةَ، حَيْثُ أُحكِمَت حَلْقَاتُها، لِنَنطَلِقْ من خِلالِ قَولِ سَيِّدِنا يَعقوبَ عَلَيهِ السَّلامُ الكَريمِ، ابنِ سَيِّدِنا إسحاقَ الكَريمِ، ابنِ سَيِّدِنا إبراهِيمَ الكَريمِ، عَلَيهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ جَميعاً، وعلى نَبِيِّنا أفضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسليمِ، لِنَنطَلِقْ من خِلالِ قَولِهِ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ الْمُسْتَعَانُ﴾.

لقد ضَرَبَ سَيِّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السَّلامُ لنا أروَعَ مَثَلٍ عن مَعرِفَتِهِ بالله تعالى، وعن مَعرِفَتِهِ بهذهِ الحَياةِ الدُّنيا، وعن حُسنِ ظَنِّهِ بالله تعالى، وعن أَمَلِهِ بالعَوَاقِبِ الخَيِّرَةِ التي هيَ بِيَدِ الله عزَّ وجلَّ لا بِيَدِ الأسبابِ، لقد ضَرَبَ لنا أروَعَ مَثَلٍ عن ذلكَ، وذلكَ بِقَلبٍ ثَابِتٍ لا يَتزَعزَعُ، لأنَّهُ عَرَفَ اللهَ تعالى وعَرَفَ أسماءَهُ وصِفاتِهِ.

عِندَما فَقَدَ وَلَدَهُ الأوَّلَ:

يا عباد الله، سَيِّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السَّلامُ عِندَما فَقَدَ وَلَدَهُ الأوَّلَ سَيِّدَنا يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلامُ، وعلى نَبِيِّنا أفضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسليمِ، صَبَرَ صَبْراً جَميلاً، وقالَ لأصحَابِ الُمؤَامَرَةِ، ولأصحَابِ الكَيدِ، ولمن أجرَمُوا في حَقِّهِ، وفي حَقِّ وَلَدِهِ سَيِّدِنا يُوسُفَ عَلَيهِما السَّلامُ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

فإذا بالحَقّ سُبحَانَهُ وتعالى المُستَعَانُ بهِ عِندَ الشّدَائِدِ والأزماتِ، وعِندَ الشّدَائِدِ والكُرُباتِ، يَتَوَلّى حِفْظَ سَيِّدِنا يُوسُفَ عَلَيهِ السّلامُ، ويَتَوَلّى رِعَايَتَهُ وعِنَايَتَهُ، حتّى جَعَلَهُ تَبارَكَ وتعالى عَزيزَ مِصرَ.

أمّا سَيِّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السّلامُ فقد كانَ صَابِراً مُحتَسِباً، ومُحسِنَ الظّنّ بالله تعالى، يَنتَظِرُ الفَرَجَ مِنهُ، لأنّهُ على يَقينٍ بأنّ اللهَ تعالى يَعلَمُ ونَحنُ لا نَعلَمُ، وهوَ على يَقينٍ بأنّ رَبّنا عزّ وجلّ يَعلَمُ نَتَائِجَ الابتِلاءاتِ ونَحنُ لا نَعلَمُ.

عِندَما فَقَدَ وَلَدَهُ الثّاني:

يا عباد الله، لقد فَقَدَ سَيِّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السّلامُ وَلَدَهُ سَيِّدَنا يُوسُفَ عَلَيهِ السّلامُ، فَصَبَرَ وصَابَرَ، وبَعدَ مُدّةٍ فَقَدَ وَلَدَهُ الثّاني، فهل يَئِسَ وقَنَطَ من رَحمَةِ الله تعالى بَعدَ صَبْرِهِ الطّويلِ؟

لقد ازدادَ البَلاءُ بَعدَ الصّبْرِ والمُصَابَرَةِ، واشتَدّتِ المِحنَةُ، وسَيِّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السّلامُ صَابِرٌ مُحتَسِبٌ، لقد صَبَرَ بَعدَ فَقْدِ وَلَدِهِ الثّاني صَبْراً أجمَلَ من الصّبْرِ الأوّلِ، وكانَ على يَقينٍ بأنّ بعدَ الضِّيقِ الفَرَجَ، وبَعدَ العُسرِ اليُسرَ، وبَعدَ الفِراقِ الجَمْعَ، وبَعدَ الظّلامِ الضِّياءَ، فقالَ قَولَ العَارِفِ بالله تعالى، قَولَ الوَاثِقِ برَبِّهِ عزّ وجلّ الذي هوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

يا عباد الله، ربُّنا عزّ وجلّ الذي آمنّا به إلهٌ عَليمٌ حَكيمٌ يَجعَلُ الأُمورَ في مَحلِّها، فَلتَطْمَئِنّ قُلوبُنا مَهما اشتَدّتِ الأزمَةُ، ومَهما اشتَدّ البَلاءُ، ومَهما عَظُمَ الخَطْبُ، فَرَبُّنا عزّ وجلّ عَليمٌ حَكيمٌ.

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾:

يا عباد الله، سَيّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السّلامُ صَبَرَ كما أَمَرَ اللهُ تعالى، وتَضَرَّعَ إلى الله تعالى بَعدَ صَبْرِهِ، لأنّ اللهَ تعالى يَبتَلِي عِبادَهُ لِيَتَضَرَّعوا إلَيهِ، واللهُ تعالى يُحِبُّ العَبدَ المُتَضَرِّعَ إلَيهِ الدّاعِيَ اللّحُوحَ، لقد تَضَرَّعَ سَيّدُنا يَعقوبَ عَلَيهِ السّلامَ فقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾.

يا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ، اِصبِروا وصَابِروا واحتَسِبوا الأمرَ عِندَ الله عزّ وجلّ، والتَجِئُوا إلى الله تعالى، وقولوا بَعدَ الصَّبْرِ والمُصَابَرَةِ: إِنَّمَا نَشْكُو بَثَّنا وَحُزْنَنا إِلَى الله.

﴿عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾:

يا عباد الله، سَيّدُنا يَعقوبُ عَلَيهِ السّلامُ الذي اشتَدّت به الخُطُوبُ، وتَوالَت عَلَيهِ المَصَائِبُ والمِحَنُ، كانَ مُتَفائِلاً ومُؤَمِّلاً ورَاجياً من رَبِّهِ عزّ وجلّ أن يَجمَعَ الشَّمْلَ، فقالَ قَولَ الوَاثِقِ بِرَبِّهِ عزّ وجلّ: ﴿عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾.

لذلكَ تَوَجَّهَ إلى أبنائِهِ قَائِلاً لَهُم: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

يا عباد الله، هذا الأمَلُ الذي كانَ عِندَ سَيِّدِنا يَعقوبَ عَلَيهِ السَّلامُ ما جاءَ من فَرَاغٍ، وهذا التَّفَاؤُلُ ما نَشَأَ من عَدَمٍ، ولكِنَّهُما وَلِيدَا الإيمانِ الصَّادِقِ بالله تعالى الذي هوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، والذي لا يُعجِزُهُ شَيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ.

هذا الأمَلُ والتَّفَاؤُلُ وَلِيدَا حُسنِ الظَّنِّ بالله تعالى «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

هذا الأمَلُ والتَّفَاؤُلُ وَلِيدَا التَّقوى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾.

هذا الأمَلُ والتَّفَاؤُلُ وَلِيدَا الصَّبْرِ ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

لا تَفقِدُوا ثِقَتَكُم بالله تعالى:

يا عباد الله، يا من تَعيشونَ هذهِ الأزمَةَ والشِّدَّةَ، لا تَفقِدُوا ثِقَتَكُم بالله تعالى، ولا تُفْقِدْكُمُ الابتِلاءاتُ التي أشارَ اللهُ تعالى إلَيها بِقَولِهِ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾. لا تُفْقِدْكُم ثِقَتَكُم بالله تعالى.

يا عباد الله، لا تَفقِدوا ثِقَتَكُم بالله تعالى إن نَزَلَت بِكُمُ الشَّدَائِدُ مَهما عَظُمَت.

لا تَفقِدوا ثِقَتَكُم بالله تعالى إن نَزَلَت بِكُمُ النَّوَازِلُ.

لا تَفقِدوا ثِقَتَكُم بالله تعالى إن حَلَّتْ بِكُمُ الكَوَارِثُ.

لا تَفقِدوا ثِقَتَكُم باللهِ تعالى ولو ضَاقَت عَلَيكُمُ الأرضُ بما رَحُبَت.

يا عباد الله، تَذَكّروا قَولَ الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. تَذَكّروا هذهِ الآيَةَ الكَريمَةَ إذا ضَاقَت عَلَيكُمُ الأرضُ بما رَحُبَت، وضَاقَت عَلَيكُم أنفُسُكُم.

﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾:

يا عباد الله، لا تَقولوا: هَلَكَ النّاسُ، وهَلَكَتِ الأُمّةُ، وهَلَكَ البَلَدُ، لأنّ هذا قَولُ المُتَشائِمِ الذي ما عَرَفَ اللهَ تعالى، وما عَرَفَ طَبيعَةَ الحَياةِ الدُّنيا، ولكن قولوا: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ الْمُسْتَعَانُ. قولوا: إِنَّمَا نَشْكُو بَثّنا وَحُزْنَنا إِلَى اللهِ تعالى.

يا عباد الله، المُؤمِنُ مُتَفائِلٌ ومُؤَمِّلٌ الفَرَجَ مَهما اشتَدَّتِ الكُروبُ والخُطُوبُ، كَيفَ لا يَكونُ هذا حَالُهُ، وهوَ يَقرَأُ قَولَ الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِين * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يا عباد الله، لقد وَقَعنا في شِدَّةٍ وكَربٍ وخَطْبٍ عَظيمٍ، ولكن سَنَبقى إن شاءَ اللهُ تعالى مُتَفائِلينَ مُؤَمِّلينَ من رَبِّنا الفَرَجَ، وعَلَينا أن نَقولَ كما قالَ سَيِّدُنا يُونُسُ عَلَيهِ السَّلامُ: ﴿لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

لِيُقِرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنّا بِظُلمِهِ، ولِيُعدِ الحُقُوقَ لأصحَابِها، ولنُبشِرْ بَعدَ ذلكَ بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، من عَرَفَ اللهَ تعالى اطمَأَنَّ قَلبُهُ إلَيهِ، ومن عَرَفَ طَبيعَةَ الحَياةِ الدُّنيا جَعَلَ صَدْرَهُ وَاسِعاً، وَعَلِمَ أنَّ الحَياةَ يَومٌ في الدُّنيا سَيَنقَضِي، ويَومٌ في الآخِرَةِ لا يَنقَضِي، والسَّعيدُ من قالَ يومَ القِيامَةِ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيه * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة * فِي جَنَّةٍ عَالِيَة * قُطُوفُهَا دَانِيَة * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَة﴾.

اللَّهُمَّ اختِمْ بالبَاقِياتِ الصَّالِحاتِ آجَالَنا وأعمالَنا، وفَرِّج عنَّا ما أهَمَّنا وأَغَمَّنا. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

**   **   **

380ـ خطبة الجمعة: «كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير»

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، إنّ مِمّا لا شَكّ فِيهِ أنّ الأُمّةَ تَعيشُ في شِدّةٍ وبَلاءٍ وكَربٍ عَظيمٍ، ولكن وبِكُلِّ أَسَفٍ هُناكَ من يَزيدُ هذا الحَالَ الذي تَمُرُّ به الأُمّةُ حَالَ اليَأسِ والتّقنيطِ من رَحمَةِ الله عزّ وجلّ.

فالكَثيرُ من النّاسِ يُيئّسُ الأُمّةَ ويُقَنّطُها، وحتّى إذا سَمِعوا من طُلّابِ العِلمِ أو العُلَماءِ من يَتَحَدّثُ عن التّفَاؤُلِ والأمَلِ والاستِبشارِ فإذا بِهِم يُحَاوِلونَ بَثّ اليَأسِ والقُنوطِ في نُفوسِ طُلّابِ العِلمِ والعُلَماءِ.

بَعضُهُم يَقولُ: لا فَائِدَةَ من الحَديثِ مَعَ الأُمّةِ.

وآخَرُ يَقولُ: لن تَسمَعَ مِنكَ الأُمّةُ حَديثَ الهِدَايَةِ والصّلاحِ.

وآخَرُ يَقولُ: لا تُتعِبْ نَفسَكَ فقد شَرَدَ النّاسُ.

وآخَرُ يَقولُ: إنّكَ تُؤَذّنُ في خَرَابَةٍ.

وآخَرُ يَقولُ: إنّكَ تَنفُخُ في قِربَةٍ مَخروقَةٍ.

والآخَرُ يَقولُ:

لقد أسَمعتَ لــو نَادَيتَ حَيّاً *** ولـــكن لا حَـــياةَ لمن تُنادِي

ولو ناراً نَفَخْتَ بها أضاءَت *** ولكن أنتَ تَنفُخُ في رَمادِ

والبَعضُ يَقولُ: ما بَقِيَ من خَيرٍ في شَبابِ الأُمَّةِ ولا في شَابَّاتِها، فَكَبِّروا على الأُمَّةِ أربَعَ تَكبيراتٍ، فقد ماتَتِ الأُمَّةُ، والقِيامَةُ قد قَرُبَت، فلا صَلاحَ ولا إصلاحَ.

هذا لَيسَ من هَدْيِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا عباد الله، قولوا لمن يَقولُ هذهِ الكَلِماتِ وأمثالِها، قولوا لمن يَفُتُّ في عَضُدِ الأُمَّةِ، قولوا لمن يُيَئِّسُ الأُمَّةَ ويُقَنِّطُها، قولوا للمُتَشَائِمينَ: هذا الكَلامُ الذي تَقُولونَهُ، من أينَ مَصْدَرُهُ؟!

هل وَجَدتُم مِثلَ هذهِ الكَلِماتِ في حَياةِ وسِيرَةِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ هل قَرَأتُم وسَمِعتُم عن سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي كانَ يَدعُو المُجتَمَعَ الوَثَنِيَّ المُشركَ، المُجتَمَعَ الذي أعرَضَ عن الله عزَّ وجلَّ كُلَّ الإعراضِ، المُجتَمَعَ الذي مُلِئَ ظُلماً، يَقولُ مِثلَ هذهِ الكَلِماتِ؟!

اليَأسُ والقُنوطُ لَيسَ من شَأنِ المُؤمِنِ، اليَأسُ والقُنوطُ من شَأنِ أهلِ الغَفلَةِ عن الله تعالى، الذينَ لا يَعرِفونَ إلا الأسبابَ الظَّاهِرَةَ، الذينَ يَعلَمونَ ظَاهِراً من الحَياةِ الدُّنيا.

سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ما يَئِسَ من إيمانِ المُشرِكينَ، ما يَئِسَ من شَرْحِ صُدُورِهِم للإسلامِ، على العَكسِ من ذلكَ تَماماً.

«أَرْجُو أَنْ يُخرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»

يا عباد الله، كلُّنا يَعلَمُ يَومَ الطَّائِفِ، عِندَما جاءَ سَيِّدُنا جبريلُ عَلَيهِ السَّلامُ إلى سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ومَعَهُ مَلَكُ الجِبالِ، وقالَ لَهُ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ــ فَقَالَ ذَلِكَ ــ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِم الْأَخْشَبَيْنِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» رواه الشيخان عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها.

هل سَمِعَ هذا الكَلامَ من قالَ:

لقد أسمَعتَ لــو نَادَيتَ حَيّاً *** ولــكن لا حَــياةَ لمن تُنادِي

ولو ناراً نَفَخْتَ بها أضاءَت *** ولكن أنتَ تَنفُخُ في رَمادِ

«إِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرَجاً وَمَخْرَجاً»:

يا عباد الله، قولوا لمن يُيَئِّسُ الأُمَّةَ، ويَقولُ بأنَّ شَبابَها وشَابَّاتِها قد ماتَت أخلاقُهُم وقِيَمُهُم، ويَقولُ: ماتَتِ الأُمَّةُ، ولن يَكونَ هُناكَ فَرَجٌ ومَخرَجٌ، قولوا لهؤلاءِ: هذا سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقولُ لِسَيِّدِنا زَيدِ بنِ

ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، وهوَ وَاقِفٌ على بَابِ مَكَّةَ:

«يَا زَيْدُ، إنَّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرَجاً وَمَخْرَجاً، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ، وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ». من زادِ المَعادِ.

لقد بَثَّ في نَفسِ زَيدٍ الأمَلَ والتَّفَاؤُلَ والثِّقَةَ باللهِ عزَّ وجلَّ، ولو انقَطَعَت جَميعُ الأسبابِ.

كَيفَ يَقولُ هؤلاءِ: ما بَقِيَ خَيرٌ في شَبابِ الأُمَّةِ ولا في شَابَّاتِها، وسَيِّدُنا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» رواه الإمام مسلم عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

«كُنتُ أَرَى لَكَ عَقلاً رَجَوتُ أن لا يُسلِمَكَ إلا إلى خَيرٍ»:

يا عباد الله، قولوا لِكُلِّ يَائِسٍ من صَلاحِ أفرادِ المُجتَمَعِ، وكُلِّ يَائِسٍ من صَلاحِ زَوجَتِهِ وَوَلَدِهِ وبنتِهِ، قولوا لمن قالَ: ماتَ الخَيرُ في المُجتَمَعِ، ولا طَمَعَ في صَلاحٍ ولا إصلاحٍ، قولوا لهؤلاءِ: إسمَعوا كَلامَ سَيِّدِنا خَالِدِ بنِ الوَليدِ، الذي فَعَلَ ما فَعَلَ بالمُسلِمينَ يَومَ أُحُدٍ، والذي اتَّخَذَ المَواقِفَ مَواقِفَ العِداءِ لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يَقولُ رَضِيَ اللهُ عنهُ، وهوَ يَتَحَدَّثُ عن قِصَّةِ إسلامِهِ:

فَاطَّلَعتُ عَلَيهِ، فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حتَّى وَقَفتُ عَلَيهِ، فَسَلَّمتُ عَلَيهِ بالنُّبُوَّةِ، فَرَدَّ

عَلَيَّ السَّلامَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ.

فَقُلتُ: إِنِّي أَشهَدُ أنْ لا إِلهَ إلا اللهُ، وأَنَّكَ رَسولُ اللهِ.

فقالَ: «تَعالَ».

ثمّ قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الحَمدُ للهِ الذي هَدَاكَ، قد كُنتُ أَرَى لَكَ عَقلاً رَجَوتُ أن لا يُسلِمَكَ إلا إلى خَيرٍ».

قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، قَد رَأَيتَ ما كُنتُ أَشهَدُ من تِلكَ المَواطِنِ عَلَيكَ مُعَانِدَاً عن الحَقِّ، فَادْعُ اللهَ يَغفِرْها لي.

فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الإسلامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبلَهُ».

قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، على ذلكَ.

قال: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لِخَالِدِ بنِ الوَلِيدِ كُلَّ ما أَوضَعَ فِيهِ من صَدٍّ عن سَبيلِكَ» رواه البيهقي.

يا عباد اللهِ، هكذا تَكونُ نَظرَةُ المُتَفائِلِ الذي يَرجو الخَيرَ للأُمَّةِ ولِشَبابِها ولِشَابَّاتِها، لا تَقولوا: كَبِّروا على هذهِ الأُمَّةِ أربَعَ تَكبيراتٍ؛ قولوا للأُمَّةِ كُلِّها: التَّوبَةُ تَجُبُّ ما قَبلَها، والتَّائِبُ من ذَنبِهِ كَمَن لا ذَنبَ لَهُ، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

<u>«إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»:</u>

يا عباد الله، لقد كانَ هَدْيُ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على العَكسِ تَماماً مِمَّا يَقولُهُ هؤلاءِ الذينَ يَأَّسوا الأُمَّةَ من رَحمَةِ الله تعالى، ويَأَّسوا الدُّعاةَ إلى الله تعالى في ظَنِّهِم من صَلاحِ الأُمَّةِ.

لِيَسمَعْ هؤلاءِ المُتَشَائِمونَ من صَلاحِ الأُمَّةِ، والقَائِلونَ: هَلَكَ النَّاسُ، لِيَسمَعْ هؤلاءِ حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَيثُ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

من قالَ: هَلَكَ النَّاسُ، فهوَ أهلَكُهُم، لأَنَّهُ رَجُلٌ مَغرورٌ، لأَنَّهُ رَجُلٌ مُستَعْلٍ على خَلْقِ الله تعالى، اِغترَّ بِصَلاتِهِ وصِيَامِهِ، فَأورَثَهُ ذلكَ عِزّاً واستِكباراً، حتَّى ظَنَّ نَفسَهُ أنَّهُ ناجٍ وغَيرُهُ هَالِكٌ.

لِيَسمَعْ هؤلاءِ قَولَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ» رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

إنَّها كَلِماتُ المُتَفائِلِ بِصَلاحِ الأُمَّةِ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، تَفَاءَلوا ولا تَتَشَاءَموا، تَفَاءَلوا بِصَلاحِ الأُمَّةِ، وبِصَلاحِ شَبابِها وشَابَّاتِها، ذَكِّروهُم باللهِ تعالى بالتي هيَ أحسَنُ، وكونوا على يَقينٍ بأنَّ اللهَ تعالى جَاعِلٌ لما نَرَى فَرَجاً ومَخرَجاً، كَيفَ لا ورَبُّنا عزَّ وجلَّ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ،

ورَبُّنَا يُحيي العِظامَ وهيَ رَميمٌ، ورَبُّنا يَقولُ للشّيءِ: كُن، فَيَكونُ.

يا عباد الله، لا تَقولوا لا فَائِدَةَ، ولا تَقولوا:

لقد أسمَعتَ لــو نَادَيتَ حَيّاً *** ولــكن لا حَــياةَ لمن تُنادِي

ولو نــاراً نَفَخْتَ بها أضاءَت *** ولــكن أنتَ تَنفُخُ في رَمادِ

أسألُ اللهَ تعالى أن يُلهِمَنا رُشدَنا، ويَكشِفَ كُربَتَنا، ويُصلِحَ أحوالَنا، ويَرُدَّنا إلَيهِ رَدّاً جَميلاً. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

:

381ـــ خطبة الجمعة: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَ

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٨١ـ خطبة الجمعة: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، نَحنُ نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ في هذا البَلَدِ الحَبيبِ إلى قُلوبِنا ــ وأسألُ اللهَ تعالى أن يُفَرِّجَ عنّا عَاجِلاً غَيرَ آجِلٍ ــ نَتَطَلَّعُ إلى فَرَجٍ من الله قَريبٍ، وانتِظارُ الفَرَجِ عِبادَةٌ.

نَعيشُ هذهِ الأزمَةَ ونَتطَلَّعُ إلى الأجرِ العَظيمِ الذي وَعَدَ اللهُ تعالى به عِبَادَهُ الصّابِرينَ بَعدَ الابتِلاءِ، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِين * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعون * أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. وقَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

يا عباد الله، نَتَطَلَّعُ من خِلالِ هذهِ الأزمَةِ أن يُكَفِّرَ اللهُ تعالى عنّا سَيِّئاتِنا، وأن يَرفَعَ دَرَجَاتِنا بِفَضْلِهِ، وأن يُخرِجَنا من هذهِ الدُّنيا ولا خَطيئَةَ عَلَينا إن شاءَ اللهُ تعالى.

«كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»:

يا عباد الله، يا من يَنتَظِرُ الفَرَجَ من الله تعالى، ويَحلُمُ بأجرِ الصَّابِرينَ عِندَ الله تعالى، أقولُ لِنَفسِي ولَكُم جَميعاً: كُفُّوا ألسِنَتَكُم عَمَّا يُسخِطُ اللهَ تعالى، كُفُّوا ألسِنَتَكُم ولا تَتَأَلَّوا على الله تعالى، كُفُّوا ألسِنَتكُم ولا تقولوا على الله ما لا تَعلَمونَ، واسمَعوا حَديثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟».

فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله.

قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الإِسلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟».

فَقُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ الله.

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ.

فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ ـــ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ ـــ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

يا عباد الله، كُلُّ وَاحِدٍ منَّا سَيُسألُ عن أقوالِهِ وأفعالِهِ يَومَ القِيامَةِ، فالسَّعيدُ من كَفَّ لِسانَهُ.

يا عباد الله، كُفُّوا ألسِنَتَكُم عمَّا حَذَّرَكُمُ الشَّرعُ عَنهُ، كُفُّوا ألسِنَتَكُم، فلا تُغالوا فِي حَقِّ من أحبَبْتُم، لا تقولوا: هذا فِي الجَنَّةِ، هذا من أهلِ الثَّوابِ، هذا من السُّعَداءِ يَومَ القِيامَةِ، هذا سَيُغفَرُ لَهُ.

وكُفُّوا ألسَنَتَكُم، فلا تُفرِطوا في حَقِّ من أبغَضتُم، لا تَقولوا: هذا من أهلِ النَّارِ، هذا من أهلِ العِقابِ، هذا من أهلِ الشَّقاءِ، هذا لن يَغفِرَ اللهُ تعالى لَهُ.

يا عباد الله، قَيِّدوا أنفُسَكُم وألسِنَتَكُم خاصَّةً بالكِتابِ والسُّنَّةِ، فما كُلِّفنا بالحُكمِ على من نُحِبُّ أو على من نُبغِضُ، ولنَسمَعْ إلى هَدْيِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في الحَالَتَينِ.

«والله مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ الله مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ»:

يا عباد الله، خُذُوا هذا المِثالَ في حَقِّ من أحبَبْتُم، حتَّى لا تُغالوا، روى الإمام البخاري عَنْ خارِجَةَ، أنّ أُمَّ الْعَلَاءِ وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِمْ بَايَعَتْ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَتْ: طَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي السُّكْنَى حِينَ اقْتَرَعَت الْأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ، فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فَقُلْتُ: رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ.

قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكِ؟».

قُلْتُ: لَا أَدْرِي واللهِ.

قَالَ: «أَمَّا هُوَ، فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ مِن اللهِ، واللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ».

قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فواللهِ لَا أُزَكِّي أَحَداً بَعْدَهُ.

وجَاءَ في الطَّبَقاتِ الكُبرَى لابنِ سَعدٍ قالت: هَنيئاً لَكَ أبا السَّائِبِ الجَنَّةَ.

فقال لها رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وما يُدرِيكِ؟».

فقالت: يا رَسولَ الله، أبو السَّائِبِ.

قال: «واللهِ ما نَعلَمُ إلا خَيراً».

ثمَّ قال: «بِحَسبِكِ أن تَقُولِي: كَانَ يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ».

يا عباد الله، لِنَكُفَّ ألسِنَتَنا، ولا نَتَأَلَّى على الله في حَقِّ من ماتَ، وخاصَّةً بَعدَ قَولِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «واللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ».

خَلِّني وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيباً

يا عباد الله، خُذُوا هذا المِثالَ الثّاني في حَقِّ من أبغَضتُم، حتَّى لا تُفرِطوا، روى أبو داود عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ

عَلَى الذَّنْبِ.

فَيَقُولُ: أَقْصِرْ.

فَوَجَدَهُ يَوْماً عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ.

فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيباً.

فَقَالَ: واللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ.

فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِماً، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِراً؟

وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُل الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي.

وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

كُلِّفنا بالأمرِ بالمَعروفِ والنَّهيِ عن المُنكَرِ:

يا عباد الله، لقد كَلَّفَنا رَبُّنا عزَّ وجلَّ بالأمرِ بالمَعروفِ، وبالنَّهيِ عن المُنكَرِ، وما كَلَّفَنا رَبُّنا عزَّ وجلَّ بالحُكمِ على العِبادِ في جَنَّةٍ أو نارٍ، أو أَنَّهُم سُعَداءُ أو أشقِياءُ، لأَنَّهُ هُناكَ من تَغلِبُهُ نَفسُهُ فَيَقَعُ في المَعصِيَةِ مَعَ الإقرارِ بأَنَّها مَعصِيَةٌ، وَرُبَّ مَعصِيَةٍ أورَثَت ذُلّاً وانكِساراً، خَيرٌ من طَاعَةٍ أورَثَت عِزّاً واستِكباراً.

يا عباد الله، رَبُّنا عزَّ وجلَّ لم يُطلِعْنَا على الغَيبِ، ولا يَدرِي أحَدُنا بِمَ يُختَمُ لَهُ،

فَضْلاً عن مَعرِفَةِ غَيرِنا بأيِّ شَيءٍ يُختَمُ لَهُ، فلا تَرفَعوا أنفُسَكُم إن كُنتُم من أهلِ الطَّاعَةِ، مُروا بالَمعروفِ، وانهَوا عن الُمنكَرِ، وفَوِّضوا الأمرَ لله تعالى.

يا عباد الله، هذا العَابِدُ من بَني إسرائيلَ أوبَقَ دُنياهُ وآخِرَتَهُ عِندَما تَألَّى على الله تعالى، وأقسَمَ بأنَّ اللهَ تعالى لن يَغفِرَ لِصَاحِبِهِ، ولن يُدخِلَهُ الجَنَّةَ.

«لَا تَلْعَنُوهُ، فوالله مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ»:

يا عباد الله، ونَحنُ نَتَطَلَّعُ إلى الفَرَجِ القَريبِ، ونَطمَعُ بأجرِ الصَّابِرِينَ، عَلَينا أن نَكُفَّ ألسِنتَنَا فلا نَتَألَّى على الله تعالى في حَقِّ من أحبَبنا، ولا في حَقِّ من أبغَضْنا.

وعَلَينا أن نَكُفَّ عن اللَّعنِ في حَقِّ من أبغَضْناهُ، وخُذُوا هذا الأمرَ من سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الإمام البخاري عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَاراً، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْماً، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِن الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فوالله مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».

وفي رِوايَة الإمام أحمد يَقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَكُونُوا عَوْناً لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، كُفُّوا ألسِنَتَكُم عَمَّا حَذَّرَكُمُ اللهُ تعالى مِنهُ، فلا تُغالوا في حَقِّ من أحبَبْتُم، ولا تُفرِطوا في حَقِّ من أبغَضْتُم، وكُفُّوا عن اللّعنِ، ولا تَحكُموا على أحَدٍ بِجَنَّةٍ ولا بنارٍ، ولا بِسَعَادَةٍ أو بِشَقاوَةٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. وقال: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾.

أسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخِتامِ لنا جَميعاً. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

**   **   **

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٨٢ـ خطبة الجمعة: توقع حتى لا تتوجع

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، هذهِ الحَياةُ الدُّنيا مَليئَةٌ بالحَوَادِثِ والفَوَاجِعِ، مَليئَةٌ بالأمراضِ والقَوَاصِمِ، فَبَينَما يَسْعَدُ الإنسانُ بِقُربِ عَزيزٍ أو حَبيبٍ، إذ هوَ يُفَاجَأُ ويُفجَعُ بِخَبَرِ وَفَاتِهِ وارتِحَالِهِ عن الدُّنيا.

يَسْعَدُ الإنسانُ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا في صِحَّةٍ وعَافِيَةٍ وسَلامَةٍ وسَعَةِ رِزقٍ، وإذ هوَ يُفَاجَأُ ويُفجَعُ بِمَرَضٍ يُكَدِّرُ حَياتَهُ، ويُقعِدُهُ في فِرَاشِهِ، أو بِضَياعِ مَالِهِ، فَيُفسدُ عَلَيهِ مُخَطَّطاتِهِ في حَياتِهِ الدُّنيا.

يا عباد الله، هذهِ الحَياةُ الدُّنيا مَليئَةٌ بالمِنَحِ والمِحَنِ، ومَليئَةٌ بالأفراحِ والأتراحِ، هذهِ الحَياةُ الدُّنيا آمالٌ بَعدَ آلامٍ، وآلامٌ بَعدَ آمالٍ، هذهِ الحَياةُ الدُّنيا صَفْوٌ وكَدَرٌ، هذهِ الحَياةُ الدُّنيا فَرَحٌ وتَرَحٌ.

يا عباد الله، لا تَطمَعوا بِضَحِكٍ فيها إلا بَعدَ بُكاءٍ، ولا تَنَعُّمٍ إلا بَعدَ تَنَغُّصٍ، ولا بِسَعَادَةٍ إلا بَعدَ حُزنٍ، هَيهاتَ أن يَضحَكَ فيها من لا يَبكي، أو أن يَتَنَعَّمَ فيها من لم يَتَنَغَّصْ، أو أن يَسْعَدَ فيها من لم يَحزَنْ.

لَيسَ لنا إلا الصَّبرَ:

يا عباد الله، يا من تَعيشُونَ هذهِ الأزمَةَ والشِّدَّةَ والكَربَ والبَلاءَ العَظيمَ، اِعلَموا أَنَّهُ لا يَسَعُنا إلا الصَّبرُ والمُصَابَرَةُ، فقد جَرَّبَ العَارِفونَ باللهِ تعالى، وجَرَّبَ

المُجَرِّبونَ فما وَجَدوا شَيئاً أنفعَ من الصَّبرِ والمُصَابَرَةِ، فبالصَّبرِ تُدَاوَى جَميعُ الأُمورِ، وهوَ لا يُدَاوَى بِغَيرِهِ.

يا عباد الله، لِنَسمَعْ أمرَ الله تعالى لنا في القُرآنِ العَظيمِ، لِنَسمَعْ يا من تَقولونَ: لقد اختَنَقنا، لِنَسمَعْ إلى إرشادِ الله تعالى لنا في هذهِ الأزمَةِ وهوَ يُخَاطِبُنا بِوَصْفِ الإيمانِ فَيَقولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. لقد أمَرَنا اللهُ عزَّ جلَّ بالصَبرِ وجَعَلَهُ من أسبابِ العَونِ على الشَّدَائِدِ، وبَيَّنَ للصَّابِرِينَ أنَّ لَهُم مَعِيَّةً إلهِيَّةً خَاصَّةً بِهِم.

يا عباد الله، لقد أخبَرَنا مَولانا عزَّ جلَّ في كِتابِهِ العَظيمِ مُؤَكِّداً بأنَّ الحَياةَ الدُّنيا مَليئَةٌ بالمُنَغِّصاتِ، مَليئَةٌ بالابتِلاءاتِ، وإن طَلَبتَ غَيرَ ذلكَ في الحَياةِ الدُّنيا فقد أخطَأتَ الطَّريقَ، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾. أكَّدَ ذلكَ رَبُّنا عزَّ وجلَّ بِواوِ القَسَمِ، ولامِ التَّأكيدِ، والنُّونِ المُشَدَّدَةِ، فَليسَ لكَ اختِيارٌ،ولا يَسعُكَ إلا الصَّبرُ والمُصَابَرَةُ، لأنَّكَ ما خُلِقتَ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا إلا للابتلاءِ، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾. فالعَطاءُ فيها ابتلاءٌ، والمَنعُ فيها ابتلاءٌ.

البِشَارَةُ للصَّابِرِينَ:

يا عباد الله، عِندَما نُبتَلَى بالمَصَائِبِ كما نَرَى ونَسمَعُ ونُشَاهِدُ ونُحِسُّ، لا يَسَعُنا إلا الصَّبرُ الذي أمَرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ به، وهوَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ بَعدَ أن أمَرَنا بالصَّبرِ أطلَقَ البُشرَى للصَّابِرِينَ، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم

مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الأسبابُ التي تُعينُ على الصَّبرِ:

يا عباد الله، قد يَقولُ قَائِلٌ: نَسمَعُ كَثيراً عن الصَّبرِ والمُصَابَرَةِ من طُلّابِ العِلمِ والعُلَماءِ والخُطَباءِ، ولكن هل هُناكَ أسبابٌ تُعينُ العَبدَ على الصَّبرِ والمُصَابَرَةِ؟

نَعَم، هُناكَ أسبابٌ تُعينُ العَبدَ على الصَّبرِ والمُصَابَرَةِ، حتَّى لا يَجمَعَ مَعَ مُصيبَتِهِ التي وَقَعَت عَلَيهِ بِدونِ اختِيارِهِ مُصيبَةً أُخرَى باختِيارِهِ، ألا وهيَ تَضييعُ أجرِ الصَّابِرينَ.

يا عباد الله، من الأسبابِ التي تُعينُ العَبدَ على الصَّبرِ والمُصَابَرَةِ:

أولاً: تَوَقَّعْ حتَّى لا تَتَوَجَّعْ:

يا عباد الله، طَبيعَةُ الحَياةِ الدُّنيا أنَّها مُتَقَلِّبَةٌ، ولن يَدومَ فيها حَالٌ، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. طَبيعَتُها الابتِلاءُ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾. فَتَوَقَّعْ حتَّى لا تَتَوَجَّعْ، فمن كَانَ على بَصِيرَةٍ من أمرِهِ استَرَاحَ.

يا عباد الله، هَيِّئوا أنفُسَكُم للمَصَائِبِ قَبلَ وُقُوعِها، لأنَّهُ من كَانَ مُتَوَقِّعاً فلن يَكونَ مُتَوَجِّعاً، فالحَياةُ الدُّنيا إلى زَوالٍ، لَيسَ فيها خُلودٌ، والآجالُ فيها مُنصَرِمَةٌ،

والمُدَّةُ فيها مُنقَضِيَةٌ، فَأَعِدُّوا للمَصَائِبِ قَلباً صَبوراً، فقد كَانَ سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ صَبوراً، وما رَأَتْهُ الأُمَّةُ في الأزَماتِ والشَّدَائِدِ والكُروبِ يَائِساً قَنُوطاً، حَاشاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، بل كَانَ على العَكسِ من ذلكَ تَماماً، فما زَادَتْهُ الشَّدَائِدُ والمِحَنُ إلا ثِقَةً بالله تعالى.

يا عباد الله، من كَانَ مُتَوَقِّعاً فلن يَكونَ مُتَوَجِّعاً، فَتَوَقَّعوا النِّقَمَ بَعدَ النِّعَمِ، والمِحَنَ بَعدَ المِنَحِ، والذُّلَّ بَعدَ العِزِّ، لأنَّ طَبيعَةَ الحَياةِ الدُّنيا أَنَّها مُتَقَلِّبَةٌ.

ثانياً: الإيمانُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ صَمَّامُ أمانٍ:

يا عباد الله، الإيمانُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ صَمَّامُ أمانٍ بإذنِ الله تعالى من الصَّدَماتِ والنَّكساتِ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

القَدَرُ إذا كَانَ مُبرَماً لا يُرَدُّ لا يُؤَجَّلُ، والمُؤمِنُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ هوَ أَقَلُّ النَّاسِ تَأَثُّراً في الشَّدَائِدِ والأزَماتِ، وأَقَلُّهُم جَزَعاً واضطِراباً وقَلَقاً، لأَنَّهُ على يَقينٍ بالحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام أحمد عَن ابنِ الدَّيْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَبَلَ أُحُدٍ ذَهَباً فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَدَخَلْتَ النَّارَ». لأَنَّهُ على يَقينٍ بأَنَّهُ لا يُعطِي ولا يَمنَعُ، ولا يَخفِضُ لا يَرفَعُ إلا اللهُ تعالى ﴿قُلِ

اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يا عباد الله، لِنَنظُرْ إلى تَوجيهِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لأُمِّ المُؤمِنينَ أُمِّ حَبيبَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، كما يَروي الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئاً قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئاً عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْراً وَأَفْضَلَ».

يا عباد الله، لا تَتَوَقَّعوا دَوامَ القُربِ مِمَّن تُحِبُّونَ، ولا دَوامَ النِّعَمِ في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الحاكم عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، قال: جاءَ جبريلُ عَلَيهِ السَّلامُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا مُحَمَّدُ، عِشْ ما شِئتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحبِبْ من أَحبَبتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ.

ولكن سَلُوا اللهَ تعالى أن يَجعَلَ قُبورَنا رَوضَةً من رِيَاضِ الجَنَّةِ، سَلُوا اللهَ تعالى أن يُعِيذَنا جَميعاً من عَذابٍ في القَبرِ، وعَذابٍ في النَّارِ، لأنَّ الشَّقَاءَ كُلَّ الشَّقاءِ إذا دَخلَ العَبدُ النَّارَ وسَمِعَ المُنادي يُنادي: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ.

ثالثاً: تَذَكّروا ما أعَدّ اللهُ تعالى لأصحَابِ الابتِلاءاتِ:

يا عباد الله، تَذَكّروا ما أعَدّ اللهُ تعالى لأصحَابِ الابتِلاءاتِ من أجرٍ عَظيمٍ، تَذَكّروا مَحْوَ السّيّئاتِ، ورَفعَ الدّرَجاتِ، وحُسنَ الخَلَفِ والعِوَضِ من الله تعالى، فمن عَرَفَ أجرَ الصّابِرينَ عِندَ الله تعالى عَشِقَ الصّبرَ، ورُبّما أن يُخطِئَ البَعضُ فَيسألَ اللهَ تعالى الابتِلاءاتِ.

يا عباد الله، لا تَسألُوا اللهَ تعالى البَلاءَ، ولكن سَلُوهُ العَافِيَةَ، فإذا وَقَعَ البَلاءُ فاصبِروا، وتَذَكّروا أجرَ الصّابِرينَ عِندَ الله عزّ وجلّ.

روى الشيخان عن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟

قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي.

قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ».

فَقَالَتْ: أَصْبِرُ.

فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ؛ فَدَعَا لَهَا.

يا عباد الله، اِمرَأَةٌ سَوداءُ رُبّما لا يُؤبَهُ لها، ولكن كَانَت صَاحِبَةَ قَلبٍ عَامِرٍ بالإيمانِ، مُطمَئِنٍّ رَاضٍ بِقَضَاءِ الله تعالى وَقَدَرِهِ، ومن كَانَ هكذا قَلبُهُ كَانَ

مَحبوباً عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، لأنّ اللهَ تعالى لا يَنظُرُ إلى الصُّوَرِ والأجسادِ، ولكن يَنظُرُ إلى القُلوبِ والأعمالِ.

يا عباد الله، اُنظُروا إلى فِقهِ هذهِ المَرأَةِ، عِندَما قالَ لها سَيِّدُنا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ.

لأنَّها عَلِمَت بأنَّ النِّعَمَ لو كُلِّلَ بها العَبدُ في الحَياةِ الدُّنيا فهيَ إلى زَوالٍ، وبأنَّ العُمُرَ مَهما طَالَ فلا بُدَّ من دُخولِ القَبرِ، ثمَّ الانتِقالُ من دَارِ الفَناءِ إلى دَارِ البَقاءِ حَيثُ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

لقد طَمِعَت هذهِ المَرأَةُ بِدَارِ البَقاءِ، طَمِعَت بأن تَكونَ من أهلِ الجَنَّةِ، طَمِعَت بِجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ والأرضُ أعِدَّت للمُتَّقينَ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، ألا تُريدونَ جَنَّةً عَرْضُها السَّماواتُ والأرضُ؟ ألا تُريدونَ أن تَتَلَقَّاكُمُ المَلائِكَةُ قائِلينَ لَكُم: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾؟ ألا تُريدونَ جَنَّةً أعظَمُ نَعيمٍ فيها النَّظَرُ إلى وَجْهِ الله الكَريمِ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؟

يا عباد الله، لقد شَاءَ رَبُّنا عزَّ وجلَّ أن يُضَيِّقَ عَلَينا، لقد شَاءَ اللهُ تعالى أن يُصَبَّ عَلَينا البَلاءُ صَبّاً، فَعَلَينا أن نُرَاجِعَ الحِسَاباتِ بَيننا وبَينَ أنفُسِنا، ونَحنُ نَتَذَكَّرُ قولَ الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾.

يا عباد الله، عَلَينا بالتّوبَةِ الصّادِقَةِ النّصُوحِ من جَميعِ الذُّنوبِ والخَطَايا، ثمّ بَعدَ ذلكَ لِنَصبِرْ ولنُصَابِرْ أيّامَ الشّدَائِدِ والمِحَنِ، ونَحنُ نَتَذَكّرُ بأنّ هذهِ الابتِلاءاتِ سَبَبٌ لِمَحْوِ السّيّئاتِ، ولِرَفعِ الدّرَجاتِ، فلا تَضِقْ صُدُورُنا.

ثمّ لِنُكثِرْ من الدُّعاءِ: اللّهُمّ اجعَلنا من الشّاكِرِينَ عِندَ الرّخاءِ، ومن الصّابِرِينَ عِندَ البَلاءِ، ومن الرّاضِينَ بِمُرّ القَضَاءِ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

**   **   **

383ـــ خطبة الجمعة: أنت من أبغض الخلق إلى سَيّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٨٣ـ خطبة الجمعة: أنت من أبغض الخلق إلى سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، هذهِ الأزمَةُ التي تَمُرُّ في هذا البَلَدِ ــ وإنّي أرجُو اللهَ عزَّ وجلّ أن يُعَجِّلَ بالفَرَجِ ــ قد كَانَ من نَتائِجها أنّها فَرَّقَت بَينَ الأحِبَّةِ، فَرَّقَت بَينَ الأزواجِ، فَرَّقَت بَينَ الآباءِ والأبناءِ، وفَرَّقَت بَينَ الإخوةِ والأخَواتِ، وفَرَّقَت بَينَ الأصحَابِ والخِلّانِ.

كَانَ من نَتائِجها أنّها فَرَّقَت بَينَ الأُسرَةِ الوَاحِدَةِ، وشَتَّتَت شَملَها، الزَّوجُ في مَكانٍ، والزَّوجَةُ في مَكانٍ، والأبناءُ في مَكانٍ آخرَ، ولا يَصِلُ هذا إلى هذا، ولا هذا إلى هذا.

يا عباد الله، إنّ التَّفريقَ بَينَ الأحِبَّةِ كَانَ بِسَبَبِ زَيدٍ أو عَمرو، لذا رَأَيتُ من الوَاجِبِ عَلَيَّ شَرعاً أن أتَوجَّهَ إلى كُلِّ من كَانَ سَبَباً في خَفقَةِ قَلبٍ بِسَبَبِ التَّفريقِ بَينَ الأحِبَّةِ.

وإلى من كَانَ سَبَباً في دَمعَةِ عَينِ مُحِبٍّ على مَحبُوبِه.

وإلى من كَانَ سَبَباً فِي زَفرَةٍ خَرَجَت من قَلبٍ احتَرَقَ شَوقاً لِمَحبُوبِهِ.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ من كَانَ سَبَباً في ذلكَ بِنَصِيحَةٍ وذِكرَى لَعَلَّها أن تَنفَعَهُ.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ من وَقَعَ في عِرضِ رَجُلٍ، ورُبَّما أن يَكونَ من أهلِ الجَنَّةِ، ومِمَّن سَبَقَت لَهُ من الله الحُسنَى.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ من كَانَ هَمُّهُ تَتَبُّعَ العَوراتِ والعَثَراتِ، حتَّى فَرَّقَ بَينَ الأحِبَّةِ.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ من كَانَ هَمُّهُ تَلَمُّسَ الزَّلَّاتِ والهَفَواتِ، حتَّى فَرَّقَ بَينَ الأحِبَّةِ.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ من كَانَ يَصطَادُ في المَاءِ العَكِرِ، لِيُفَرِّقَ بَينَ الأحِبَّةِ، ولِيُيَتِّمَ الأطفالَ، ولِيُرَمِّلَ النِّساءَ.

أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ من كَانَ هَمُّهُ عَرَضاً من أعراضِ الدُّنيا ولو كَانَ على حِسابِ التَّفرِيقِ بَينَ الأحِبَّةِ، ولو كَانَ على حِسابِ سَفْكِ الدِّماءِ البَريئَةِ، ولو كَانَ على حِسابِ تَروِيعِ الآمِنِينَ، أَتَوَجَّهُ إلى المُفَرِّقِينَ بَينَ الأحِبَّةِ مُذَكِّراً:

أولاً: لا تَنسَ يَومَ القِصاصِ:

يا عباد الله، لِيَسمَعِ المُفَرِّقُ بَينَ الأحِبَّةِ حَدِيثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في القِصَاصِ، لَعَلَّهُ أن يَكونَ رَادِعاً لَهُ.

جاءَ في مُسنَدِ الإمامِ أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عنهُما يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَاشْتَرَيْتُ بَعِيراً، ثُمَّ شَدَدْتُ

عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْراً حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ.

فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ.

فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ.

فَقُلْتُ: حَدِيثاً بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ــ أَوْ قَالَ الْعِبَادُ ــ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً».

قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْماً؟

قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ».

قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً؟

قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ».

يا أيُّها المُفرِّقُ بَينَ الأحِبَّةِ، هَيِّئِ الجوَابَ لله تعالى، عِندَما يَسأَلُكَ: لماذا كُنتَ سَبَباً في التَّفرِيقِ بَينَ الأحِبَّةِ؟

لماذا كُنتَ سَبَباً في لَطمَةِ أو جَلْدِ عَبدٍ؟

لماذا كُنتَ سَبَباً في إزهاقِ الأرواحِ؟

يا أيُّها المُفرِّقُ بَينَ الأحِبَّةِ، لقد فَرَّقتَ بَينَهُم بِسَبَبِ حَسَدٍ قَاطِعٍ، ولا يَدخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الشيخان عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ».

لقد فَرَّقتَ بَينَهُم بِسَبَبِ سُوءِ ظَنٍّ مِنكَ، والظَّنُّ أكذَبُ الحَدِيثِ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الشيخان عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ».

لقد فَرَّقتَ بَينَهُم عِندَما امتَطَيتَ كَلِمَةَ زَعَموا، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه أبو داود عَنْ أَبي قِلَابَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا».

يا أيُّها المُفَرِّقُ بَينَ الأحِبَّةِ بِسَبَبِ حِقْدٍ دَفينٍ، وحَسَدٍ قَاطِعٍ، لا تَغتَرَّ بِصَلاتِكَ وصِيَامِكَ وطَاعَتِكَ، فَيومُ القِصَاصِ يَنتَظِرُكَ، فإنْ كَانَت عِندَكَ حَسَناتٌ أُخِذَت مِنكَ، وإلا تَحَمَّلتَ خطَايا من فَرَّقتَ بَينَهُم، وحَمَلتَ وِزراً إلى وِزرِكَ، وخَطايا

إلى خَطَاياكَ، ورَبُّنا عزَّ وجلّ يَقولُ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾.

ثانياً: أنتَ من شِرارِ النَّاسِ:

يا عباد الله، لِيَسمَعِ المُفَرِّقُ بَينَ الأحِبَّةِ، المُتَرَبِّصُ بالمُؤمنينَ، الوَاثِبُ على الأعراضِ، الذي كَانَ سَبَباً في الحَيلولَةِ بَينَ الوَالِدِ وَوَلَدِهِ، وبَينَ الأخِ وأَخِيهِ، وبَينَ الزَّوجِ وَزَوجَتِهِ، لِيَسمَعْ حَدِيثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «خِيَارُ عِبَادِ الله الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ الله الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ». الْعَنَتَ: العَيبَ.

يا أَيُّها المُفَرِّقُ بَينَ الأحِبَّةِ، أنتَ من شِرارِ عِبادِ الله بِشَهَادَةِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ثالثاً: أنتَ من أبغَضِ الخَلْقِ إلى سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يا عباد الله، لِيَسمَعِ المُفَرِّقُ بَينَ الأحِبَّةِ حَدِيثَ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الطَّبَرَانِيُّ في المُعجَمِ الكَبيرِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً،

الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ».

يا أيُّها المُفَرّقُ بَينَ الأحِبّةِ، أنتَ من أبغَضِ الخَلْقِ إلى سَيّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِشَهَادَةِ سَيّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

سِهامُ المَظلُومِينَ تَتَقَاذَفُهُم:

يا عباد الله، أقولُ للمُفَرّقِينَ بَينَ الأحِبّةِ: يا من حَرَقتُم قُلوبَ الآباءِ والأُمّهاتِ والأبناءِ والزّوجاتِ، يا من كُنتُم سَبَباً في خَفَقانِ قُلوبِ هؤلاءِ، يا من كُنتُم سَبَباً في دُموعِ الآباءِ والأُمّهاتِ والأبناءِ والزّوجاتِ، يا من كُنتُم سَبَباً في زَفَراتٍ خَرَجَت من قُلوبٍ احتَرَقَت لِفِراقِ الأحِبّةِ، تُوبوا إلى الله عزّ وجلّ قَبلَ أن تَموتوا، وإلا فإنّ سِهامَ المَظلُومِينَ سَتَتَقَاذَفُكُم من كُلِّ جَانِبٍ، ولا بُدَّ أن تُصِيبَ مِنكُم مَقتلاً.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، ما أعظَمَ الفَرقَ بَينَ من نَامَ وأعيُنُ النّاسِ سَاهِرَةٌ تدعُو لَهُ، وبَينَ من نَامَ وأعيُنُ النّاسِ سَاهِرَةٌ تَدعُو عَلَيهِ.

يا عباد الله، لِيَسألْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنّا نَفسَهُ: من أيِّ الفَرِيقَينِ أنا؟

وماذا يَتوَقّعُ المُفَرّقُ بَينَ الأحِبّةِ؟ هل هوَ مِمّن يَدعُوا النّاسُ لَهُ أم عَلَيهِ؟

يا أيُّها المُفَرّقُ بَينَ الأحِبّةِ، وإن لم يَعرِفْكَ من فَرّقتَ بينَهُم، فأنتَ معروفٌ عِندَ الله عزّ وجلّ، وكُن على يَقِينٍ من قَولِ الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾.

أسألُ اللهَ تعالى أن يَجعَلَنا سَبَباً لِجَمْعِ الأحِبّةِ، ولِجَمْعِ الأُمّةِ على الكِتابِ والسُّنّةِ، وأن لا يَجعَلَنا سَبَباً للتّفريقِ بَينَ الأحِبّةِ، ولا سَبَباً لِنُفُورِ النّاسِ من دِينِهِم، وأسألُ اللهَ تعالى أن يَجعَلَنا سَبَباً لِحَقْنِ الدِّماءِ، لا سَبَباً لِسَفْكِ الدِّماءِ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

**   **   **

٣٨٤ـ خطبة الجمعة: علامات توفيق الله تعالى لعبده

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، المُؤمِنُ الحَقُّ الصَّادِقُ في إيمانِهِ هوَ الذي يَعِيشُ هذهِ الحَياةَ الدُّنيا وهوَ خَائِفٌ من فِتَنِها وتَقَلُّبَاتِها، هوَ الذي يَخشَى على نَفسِهِ الفِتَنَ والزَّيغَ بَعدَ الهُدَى، ويَدعُو بِقَولِهِ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب﴾.

وما دَامَ العَبدُ المُؤمِنُ يَخافُ الدُّنيا وتَقَلُّبَاتِها وفِتَنَها، فَهوَ يَخَافُ أن يَندَرِجَ تَحتَ قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِن الدُّنْيَا» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

وَحَرِيٌّ بِالمُؤمِنِ في خِضَمِّ هذهِ الفِتَنِ التي هيَ كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ مُتَعَاقِبَةً، حَرِيٌّ بهِ في وَسَطِ هذهِ المِحَنِ المُتَتَابِعَةِ، والعَقَائِدِ الخَاطِئَةِ، والأفكارِ الزَّائِغَةِ، والحُرُوبِ الطَّاحِنَةِ، أن يَتَلَمَّسَ مَرضاةَ اللهِ عزَّ وجلَّ وتَوفِيقَهُ، وأن يَتَعَرَّفَ عَلاماتِ تَوفِيقِ اللهِ تعالى لِعَبدِهِ، فإذا وَجَدَ نَفسَهُ مُوَفَّقاً لذلكَ فَليَحمَدِ اللهَ عزَّ وجلَّ، ولْيَثْبُتْ على ذلكَ، وليَطلُبْ من اللهِ تعالى الزِّيَادَةَ من ذلكَ حتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ.

وإذا وَجدَ نفسَهُ غيرَ مُتحقِّقٍ بِتلكَ العَلاماتِ تَدارَكَ نَفسَهُ بالتَّوبَةِ قَبلَ المَوتِ، وبَادَرَ إلى التَّحَلِّي بِتلكَ العَلاماتِ.

عَلاماتُ تَوفِيقِ الله تعالى لِعَبدِهِ:

يا عباد الله، قد يَتَسَاءَلُ الإنسانُ: ما عَلاماتُ تَوفِيقِ الله تعالى لِعَبدِهِ؟ عَلاماتُ تَوفِيقِ الله تعالى لِعَبدِهِ كَثِيرَةٌ، منها:

أولاً: أن يُوَفِّقَهُ اللهُ تعالى لِطَاعَةِ الله ولِطَاعَةِ رَسُولِهِ:

يا عباد الله، من أرادَ أن يَعرِفَ نَفسَهُ أَنَّهُ مُوَفَّقٌ من الله تعالى، فَلْيَنظُرْ إلى نَفسِهِ، هل هوَ مُوَفَّقٌ لِطَاعَةِ الله تعالى، ولِطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في مَنشَطِهِ ومَكرَهِهِ؟ هل هوَ مُوَفَّقٌ للطَّاعَةِ في رِضَاهُ وغَضَبِهِ؟ هل هوَ مُوَفَّقٌ للطَّاعَةِ في أَمْنِهِ وخَوفِهِ؟ هل هوَ مُوَفَّقٌ للطَّاعَةِ في الرَّخَاءِ والشِّدَّةِ ؟

إذا رَأَى نَفسَهُ أَنَّهُ مُوَفَّقٌ لَطَاعَةِ الله تعالى، ولِطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَليَحمَدِ الله عزَّ وجلَّ، وليُطَمئِنَّ قَلبُهُ، وليَسْأَلِ اللهَ تعالى الثَّباتَ على ذلكَ.

يا عبادَ الله، مِن طَاعَةِ الله تعالى، وطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أن يَسلَمَ المُسلِمونَ من لِسانِكَ ويَدِكَ، لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما.

ومن طَاعَةِ الله تعالى، وطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أن تَقُولَ خيراً أو تَصمُتَ، لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن طَاعَةِ الله تعالى، وطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أن تَسعَى للصُّلحِ بَينَ المُسلمينَ، لِقَولِهِ تَبَارَكَ وتعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

يا عباد الله، من رَأَى نَفسَهُ أنَّهُ مُوَفَّقٌ لِطَاعَةِ الله تعالى، ولِطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَسَلِمُ المُسلِمونَ من لِسَانِهِ ويَدِهِ، وقالَ خَيراً أو صَمَتَ، وسَعَى للإصلاحِ بَينَ النَّاسِ، فَليَحمَدِ اللهَ عزَّ وجلَّ على ذلكَ، وليَسأَلِ اللهَ تعالى الثَّباتَ، وهذا دَلِيلٌ على تَوفِيقِ الله تعالى لَهُ، وأنَّ اللهَ تعالى أرادَ بِهِ خَيراً.

ثانياً: أن يُوَفِّقَهُ اللهُ تعالى للأعمالِ الصَّالِحَةِ:

يا عباد الله، من أرادَ أن يَعرِفَ نَفسَهُ أنَّهُ مُوَفَّقٌ من الله تعالى، فَلْيَنظُرْ إلى نَفسِهِ، هل هوَ مُوَفَّقٌ للأعمالِ الصَّالِحَةِ، أم مَحرومٌ منها لا قَدَّرَ اللهُ تعالى؟

روى الحاكم والإمام أحمد عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ».

قَالُوا: وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟

قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ».

وفي رِوايَةٍ للإمام أحمد عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ».

قِيلَ: وَمَا اسْتَعْمَلَهُ؟

قَالَ: «يُفْتَحُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ».

يا عباد الله، لِيَنظُرْ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنّا إلى نَفسِهِ، هل فَتَحَ اللهُ تعالى لَهُ بَابَ الأعمالِ الصَّالِحَةِ، وخَاصَّةً قَبلَ مَوتِهِ، أم حُرِمَ منها؟

روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيَّانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ».

وَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟

قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

يا عباد الله، إِنَّهُ من العَجيبِ أن تَرَى في هذهِ الآوِنَةِ، وفي هذهِ الأزمَةِ والشِّدَّةِ التي تَمُرُّ بالمُسلمينَ اليَومَ، رِجالاً أطالَ اللهُ تعالى أعمارَهُم، وهُم مَعَ ذلكَ يَسعَونَ في

الأرضِ فَسَاداً، يَسعَونَ للتّفريقِ بَينَ الأَحِبَّةِ، ومن طَالَ عُمُرُهُ وسَاءَ عَمَلُهُ فهوَ من أشقَى النّاسِ العِياذُ باللهِ تعالى.

يا عباد الله، لِيَنظُرْ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنّا إلى نَفسِهِ، هل أعمالُهُ حَسَنَةٌ، وخَاصَّةً مَعَ طُولِ العُمُرِ أم لا؟ وهل ألسِنَتُنا رَطِبَةٌ بِذِكْرِ الله تعالى، وبِقَولِ الخَيرِ، أم على العَكسِ من ذلكَ تَماماً؟

المُوَفّقُ من حَسَّنَ عَمَلَهُ، وأكثَرَ من ذِكْرِ الله تعالى وقَولِ الخَيرِ، وخَاصَّةً في هذهِ الآوِنَةِ، لَعَلّ اللهَ تعالى بِبَرَكَةِ الصّالِحِينَ وأهلِ الذِّكْرِ أن يَكشِفَ الغُمَّةَ عَنّا.

ثالثاً: أن يُوَفِّقَهُ اللهُ تعالى لِسَلامَةِ الصَّدْرِ:

يا عباد الله، من أرادَ أن يَعرِفَ نَفسَهُ أنّهُ مُوَفّقٌ من الله تعالى، فَلَيَنظُرْ إلى قَلبِهِ، هل قَلبُهُ امتَلَأَ حُبّاً لله عزّ وجلّ، وحُبّاً للمُؤمِنينَ؟ أم امتَلَأَ حِقداً وحَسَداً وبُغضاً على خَلْقِ الله عزّ وجلّ عامّةً، وعلى المُؤمِنينَ خَاصَّةً؟

روى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ».

قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟

قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ».

وفي رِوايَةٍ للطّبَرَانِيّ في مُسنَدِ الشّامِيّين، قالوا: فَمَن يَلِيهِ يا رَسولَ الله؟

قال: «الذي نَسيَ الدُّنيا، ويُحِبُّ الآخِرَةَ».

قالوا: مَا نَعرِفُ هذا فِينَا إلا أبا رَافِعٍ مَولَى رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قالوا: فَمَن يَلِيهِ؟

قال: «مُؤمِنٌ في خُلُقٍ حَسَنٍ».

يا عباد الله، لِيَنظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إلى قَلبِهِ، ماذا امتَلَأَ قَلبُهُ؟ هل كَانَ قَلبُهُ على قَلبِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَائِلِ: «يَا بُنَيَّ، إِن قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ ولَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ». ثُمَّ قَالَ: «يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ»؟ رواه الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

هل هوَ يَدعُو بِدُعاءِ الذينَ جَاؤوا من بَعدِ المُهَاجِرِينَ والأنصارِ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؟

يا عبادَ الله، هل نَسينا الدُّنيا بنَعِيمِها وزَخَارِفِها، وأقبَلنا على الآخِرَةِ، وفَكَّرنا في العَرضِ على الله عزَّ وجلَّ؟

يا عبادَ الله، البَعضُ أعرَضَ عن طَاعَةِ الله تعالى، وعن طَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وأعرَضَ عن الأعمالِ الصَّالِحَةِ، وأعرَضَ عن سَلامَةِ الصَّدْرِ، لأنَّهُ نَسِيَ يومَ العَرضِ على الله تعالى القَائِلِ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى

الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

يا عباد الله، من استحضَرَ يَومَ العَرضِ رَأَيتَهُ طَائِعاً لله تعالى، وطَائِعاً لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ومُلتزِماً الأعمالَ الصَّالِحَةَ، ولَرَأَيتَهُ سَلِيمَ القَلبِ تُجاهَ خَلْقِ الله تعالى.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، آجالُنا قَرِيبَةٌ، وهيَ مَستُورَةٌ عَنّا، وهيَ لَيسَت في أيدِينا، بل هيَ في يَدِ الله عزَّ وجلّ، فَلنَحذَرِ المَوتَ في هذهِ الدّارِ قَبلَ أن نَصِيرَ إلى دَارٍ يَتَمَنّى فيها العَبيدُ المَوتَ فلا يَجِدُوهُ.

كونوا على حَذَرٍ من المَوتِ أن يَأتِيَكُم بَغتَةً وأنتُم لا قَدَّرَ اللهُ تعالى على مَعصِيَةٍ لله عزّ وجلّ، كونوا على حَذَرٍ من المَوتِ قَبلَ أن تَصِيروا إلى دَارٍ يَتَمَنّى العَبيدُ فيها المَوتَ فلا يَجِدُونَ إِلَيهِ سَبيلاً.

يا عباد الله، يا من تَعِيشُونَ هذهِ الأزمَةَ والبَلاءَ والكَربَ العَظِيمَ، أقولُ لِنَفسي ولَكُم: المُعَوَّلُ عَلَيهِ حُسنُ الخِتامِ، المُعَوَّلُ عَلَيهِ أن نَتَفَقَّدَ أنفُسَنا، هل نَحنُ لله طَائِعُونَ أم عَاصُونَ؟ وهل نَحنُ لِسَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ طَائِعُونَ أم عَاصُونَ؟ واللهُ تعالى يَقولُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾. ويَقولُ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً﴾.

المُعَوَّلُ عَلَيهِ أن نَتَفَقَّدَ أنفُسَنا، هل التَزَمنا الأعمالَ الصَّالِحَةَ، والعَمَلُ الصَّالِحُ هوَ ما جَعَلَهُ الشَّرْعُ صَالِحاً، ولو خَالَفَ أهَواءَنا؟

المُعَوَّلُ عَلَيهِ أن نَتَفَقَّدَ قُلُوبَنا، هل هيَ قُلُوبُ الأتقِياءِ والأنقِياءِ، التي لا إثمَ فِيها ولا غِلّ ولا حَسَدَ ولا بَغيَ؟

يا ربِّ، وَفِّقنا لما يُرضِيكَ عنضّا. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

385ـ خطبة الجمعة: الرجولة لا تكون في الظلم

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٨٥ـــ خطبة الجمعة: الرجولة لا تكون في الظلم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، كُلُّ عَامِلٍ فِي هذهِ الحَياةِ الدُّنيا لَهُ هَدَفٌ يُريدُ الوُصُولَ إِلَيهِ، وكُلُّ مُجتَهِدٍ فِي هذهِ الحَياةِ الدُّنيا الفَانِيَةِ لَهُ غَايَةٌ يُريدُ أن يَصِلَ إِلَيها.

وقِيمَةُ كُلِّ إنسانٍ من قِيمَةِ هَدَفِهِ وغَايَتِهِ، فَكُلَّما كَانَ الهَدَفُ والغَايَةُ سَامِياً كَانَ الإنسانُ سَامِياً، وكُلَّما كَانَ الهَدَفُ والغَايَةُ دَنيئاً كَانَ الإنسانُ دَنيئاً.

النَّاسُ على قِسمَين:

يا عباد الله، النَّاسُ فِي هذهِ الحَياةِ الدُّنيا على قِسمَين:

القِسمُ الأَوَّلُ: قِسمٌ أرادَ الحَياةَ الدُّنيا وزِينَتَها وزَخَارِفَها وبَهَارِجَها، أرادَ الحَياةَ الدُّنيا المُزَيَّنَةَ للنَّاسِ، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا واللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

هذا القِسمُ جَعَلَ الحَياةَ الدُّنيا هَدَفَهُ وغَايَتَهُ، فَكَانَت قِيمَتُهُ مُستَمَدَّةً من قِيمَةِ هَدَفِهِ وغَايَتِهِ.

القِسمُ الثّاني: وقِسمٌ أرادَ اللهَ تعالى والدّارَ الآخِرَةَ ونَعِيمَها، وسَعَى لَها سَعْيَها.

وبما أنّ الجَمِيعَ من القِسمَينِ عَبِيدٌ لله عزّ وجلّ، فَرَبُّنا عزّ وجلّ يُعطِي لِكُلِّ فَرِيقٍ ما أرادَ من خِلالِ إرَادَتِهِ تعالى ومَشِيئَتِهِ، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً * كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾.

يا عباد الله، مَآلُ القِسمِ الأوّلِ، الذينَ أرادوا العَاجِلَةَ دُونَ الآجِلَةِ، وأقبَلوا على الفَانِيَةِ دُونَ البَاقِيَةِ، إلى خُسرانٍ عَاجِلٍ في الدُّنيا قَبلَ الآخِرَةِ والعِياذُ بالله تعالى، كما ذَكَرَ اللهُ تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾.

وأمّا القِسمُ الثّاني، الذينَ أرادوا اللهَ تعالى والدّارَ الآخِرَةَ، وسَعَوا لَها سَعْيَها، فهؤلاءِ كَانَ سَعْيُهُم مَشكوراً، هذا القِسمُ أتعَبوا أنفُسَهُم في حَيَاتِهِمُ الدُّنيا، وحَمَلُوها على الالتِزامِ بِكِتابِ الله عزّ وجلّ في سَاعَةِ الجِدِّ والهَزْلِ، في سَاعَةِ العَطَاءِ والمَنْعِ، في الرَّفعِ والخَفضِ، هؤلاءِ أتعَبُوا أنفُسَهُم بِكَثْرَةِ الطّاعاتِ والقُرُباتِ.

وأنا على يَقِينٍ بأنّ الذينَ يَشهَدُونَ الجُمُعَةَ والجَمَاعاتِ، ويَصُومونَ شَهْرَ رَمَضانَ، ويُؤَدُّونَ الزّكاةَ، ويَقرَؤونَ القُرآنَ، ويُصَلُّونَ ويَصُومونَ النّافِلَةَ، ويُكثِرونَ من ذِكْرِ الله تعالى، هؤلاءِ يُريدونَ الآخِرَةِ، ويَسعَونَ لَها سَعْيَها، وأرجو اللهَ تعالى لنا ولَهُمُ القَبُولَ.

«إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا»:

يا عباد الله، هُناكَ قِسمٌ مِمَّن أرادَ الآخِرَةَ في ظَاهِرِ الأمرِ، وسَعَى لَها سَعْيَها، أكثَروا من الطّاعاتِ والقُرُباتِ، إلا أنّهُم لم يَتَورَّعوا عن المَظَالِمِ، ولم يَتَجَنّبوا المَحَارِمَ، فأكَلُوا حُقُوقَ العِبَادِ، وكَانوا سَبَباً في سَفْكِ دِماءِ الأبرياءِ، بل بَعضُهُم سَفَكَ دِماءَ الأبرياءِ، هؤلاءِ يَأتونَ يَومَ القِيامَةِ بأعمالٍ صَالِحَةٍ كالجِبالِ، فَيَجعَلُها اللهُ هَباءً مَنثوراً، مَعَ أنّهُم آمَنوا بالله تعالى رَبّاً، وبالإسلامِ دِيناً، وبِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبِيّاً رَسولاً، وما ذاكَ إلا لأنَّهُم انتهَكوا حُرَماتِ الله تعالى.

روى ابنُ ماجه عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضاً، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً».

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ.

قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِن اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا».

يا عباد الله، هُناكَ قِسمٌ من النّاسِ في ظَاهِرِ الأمرِ أرادُوا الآخِرَةَ وسَعَوا لَها سَعْيَها، إلا أنّهُم في جَوفِ اللّيلِ، وفي خَلَواتِهِم:

قَذَفوا الأعراضَ سِرّاً، وإذا شَهِدوا النّاسَ أشهَدوا اللهَ على ما في قُلُوبِهِم وهُم أَلَدُّ الخِصَامِ.

وأكَلوا أموالَ النّاسِ بالبَاطِلِ ظَنّاً مِنهُم أنّهُم ما عَرَفوا.

وسَفَكوا الدِّماءَ البَرِيئَةَ.

وضَرَبوا العِبَادَ.

هؤلاءِ إذا جَاؤوا يَومَ القِيَامَةِ بالأعمالِ الصَّالِحَةِ التي كالجِبالِ يَجعَلُها رَبُّنا عزَّ وجلَّ هَباءً مَنثوراً.

«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»:

يا عباد الله، هذا القِسمُ من العِبَادِ الذينَ أرادوا الآخِرَةَ، وسَعَوا لَها سَعْيَها في ظَاهِرِ الأمرِ هُمُ المُفلِسُونَ يَومَ القِيَامَةِ والعِياذُ بالله تعالى.

روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟».

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ.

فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

يا عباد الله، من كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ، وصَدَرَ مِنهُ الشَّتْمُ، والقَذْفُ، وأكْلُ الأموالِ بالبَاطِلِ، وسَفْكُ الدِّماءِ البَرِيئَةِ، وضَرْبُ العِبادِ، فالأمرُ لَيسَ بِغَرِيبٍ مِنهُ، لأَنَّهُ في غَالِبِ الأمرِ ما صَدَقَ وما صَلّى وما صَامَ وما زَكّى، ولكنَّ الأمرَ الغَرِيبَ أن

يَصدُرَ الشَّتْمُ، والقَذْفُ، وأكْلُ الأموالِ بالبَاطِلِ، وسَفْكُ الدِّماءِ البَرِيئَةِ، وضَرْبُ العِبَادِ، مِمَّن فِي ظَاهِرِهِ أرادَ الآخِرَةَ، وسَعَى لَها سَعْيَها وهوَ مُؤمِنٌ.

كُفَّ يَدَكَ ولِسَانَكَ:

يا عباد الله، يا أيَّتُها الأُمَّةُ المَظلُومَةُ المَقهُورَةُ، التي بَلَغَ الغَيظُ في قَلبِها مَبلَغاً لا يَعلَمُهُ إلا اللهُ تعالى: ألا تُريدُونَ الآخِرَةَ ونَعِيمَها؟ ألا تُريدُونَ جَنَّةً فيها ما لا عَينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ؟ ألا تُريدُونَ نَعِيماً مُتَوَّجاً بِقَولِهِ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؟ يا من أرادَ هذا النَّعِيمَ:

كُفَّ عَلَيكَ لِسَانَكَ ويَدَكَ فِي سَاعَةِ الغَضَبِ.

كُفَّ لِسَانَكَ ويَدَكَ عمَّن يَقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ.

كُفَّ لِسَانَكَ ويَدَكَ عن أعراضِ المُسلِمينَ، ولا تُفَرِّقْ بَينَ الأَحِبَّةِ.

كُفَّ يَدَكَ عن أموالِ العِبَادِ بِغَيرِ حَقٍّ.

الرُّجُولَةُ لا تَكُونُ فِي الظُّلمِ:

يا عباد الله، لَيسَتِ الرُّجُولَةُ فِي ظُلمِ العِبَادِ، ولَيسَتِ الرُّجُولَةُ فِي قَذْفِ الأعراضِ، ولَيسَتِ الرُّجُولَةُ فِي أكْلِ أموالِ العِبَادِ بِغَيرِ حَقٍّ، ولَيسَتِ الرُّجُولَةُ فِي سَفْكِ الدِّماءِ البَرِيئَةِ، ولَيسَتِ الرُّجُولَةُ فِي ضَرْبِ العِبَادِ.

الرُّجُولَةُ أن تُحَافِظُوا على طَاعاتِكُم وحَسَنَاتِكُم وقُرُباتِكُم.

الرُّجُولَةُ أن لا تَتَحَوَّلَ طَاعاتُكَ إلى من أبغَضْتَهُ.

الرُّجُولَةُ أن لا تُحَكِّمَ الآخَرينَ في حَسَنَاتِكَ يَومَ القِيَامَةِ.

الرُّجُولَةُ أن لا تَفعَلَ أفعالَ الذينَ يُريدُونَ العَاجِلَةَ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، يا من يَنتَظِرونَ الفَرَجَ من الله تعالى، حَافِظُوا على طَاعاتِكُم وحَسَنَاتِكُم بِضَبْطِ اللِّسانِ واليَدِ، فإيَّاكُم والشَّتمَ، إيَّاكُم والقَذْفَ، إيَّاكُم وأكلَ أموالِ النَّاسِ بالبَاطِلِ، سَواءٌ كَانَت أموالاً عامَّةً أو خَاصَّةً، إيَّاكُم وسَفْكَ الدِّماءِ البَريئَةِ، إيَّاكُم وضَرْبَ العِبَادِ.

بل إيَّاكُم ثمَّ إيَّاكُم أن تَكونوا سَبَباً للشَّتْمِ، والقَذْفِ، وأكْلِ الأموالِ بالبَاطِلِ، وسَفْكِ الدِّماءِ، وضَرْبِ العِبَادِ، ولا تَكونوا سَبَباً للتَّفرِيقِ بَينَ الأحِبَّةِ.

بل كونوا سَبَباً لِجَمْعِ شَمْلِ الأُمَّةِ على الكِتابِ والسُّنَّةِ، كونوا سَبَباً للصَّلاحِ والإصلاحِ، لأنَّ الذي يَسعَى في الأرضِ فَسَاداً وإفسَاداً لا يُريدُ الآخِرَةَ، ولا يَسعَى لَها سَعْيَها.

يا عباد الله، نَحنُ في ظَاهِرِ الأمرِ من خِلالِ صَلاةِ الجُمُعَةِ والجَماعاتِ نُريدُ اللهَ تعالى والدَّارَ الآخِرَةَ، فَلْنُحَافِظْ على طَاعاتِنا وعِبَاداتِنا، حتَّى إذا ما جَاءَت سَكَراتُ المَوتِ قُلنا بِلِسَانِ الحَالِ والمَقَالِ:وا طَرَباهُ، غَداً نَلقَى الأحِبَّةَ، سَيِّدَنا مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وصَحْبَهُ، وأرجو اللهَ تعالى أن لا

نَكون مِمَّن يَقولُ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

أسألُ اللهَ تعالى أن لا يَجعَلَ لأحَدٍ عَلَينا تَبِعَةً يومَ القِيَامَةِ، وأن لا يُحَكِّمَ أحَداً بِحَسَنَاتِنا، وأن لا نَحمِلَ من أوزارِ العِبَادِ شَيئاً. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

** ** **

٣٨٦ـ خطبة الجمعة: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، أُمَّةُ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هيَ أُمَّةٌ مَرحُومَةٌ إن شاءَ اللهُ تعالى، وهيَ أُمَّةٌ مَنصُورَةٌ بإذنِ الله تعالى، تَمرَضُ هذهِ الأُمَّةُ، ورُبَّما أن يَكونَ مَرَضُها فَادِحاً، ولكنَّها لن تَمُوتَ بإذنِ الله عزَّ وجلَّ، وتُجرَحُ هذهِ الأُمَّةُ جُرُوحاً بَلِيغَةً، ولكنَّها لن تُذبَحَ بإذنِ الله تعالى.

يَا عِبَادَ اللهِ، فِي أيَّامِ الأزماتِ والشَّدَائِدِ يَجِبُ عَلَيَّ وعَلَيكُم أن نَحرِصَ على إيمانِنا من أن يَتَخلخَلَ، وعلى ثِقَتِنا برَبِّنا من أن تَتزَعزَعَ، لأنَّ الإيمانَ إذا تَخَلخَلَ، والثِّقَةَ بالله تعالى ضَعُفَت، كَانَت مُصِيبَةَ المَصَائِبِ، والتي يَهُونُ دُونَها سَفْكُ الدِّمَاءِ، وتَهْدِيمُ البُيُوتِ، وسَلْبُ الأموالِ، فَكُلُّ مُصِيبَةٍ بِجَانِبِ مُصِيبَةِ الدِّينِ هَيِّنَةٌ وبَسِيطَةٌ ولا قِيمَةَ لَها.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، هذهِ الأُمَّةُ ــ أُمَّةُ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ــ لَيسَت كَغَيرِها من الأُمَمِ، لأنَّ اللهَ تعالى اختَارَها لِتَكُونَ آخِرَ الأُمَمِ، حَامِلَةً للقُرآنِ العَظِيمِ، هذهِ الأُمَّةُ هيَ الأُمَّةُ المَوعُودَةُ بالنَّصْرِ مِنَ اللهِ تعالى، وأن تَكونَ العَاقِبَةُ لَها بإذنِ اللهِ تعالى.

هذهِ الأُمَّةُ هيَ الأُمَّةُ المَحفُوظَةُ ــ بِسِرِّ حِفْظِ القُرآنِ العَظِيمِ ــ مِنَ الهَلاكِ العَامِّ وهيَ أُمَّةُ الاستِعلاءِ والرُّسُوخِ والثَّباتِ، رَغمَ كُلِّ الجِرَاحِ التي تُصِيبُ الأُمَّةَ، ورَغمَ

كُلِّ الشَّدَائِدِ والمِحَنِ والمَصَائِبِ والرَّزَايا، ومَهما كَثُرَ القَتْلُ، ومَهما عَظُمَ التَّآمُرُ عَلَيها.

وإذا أرَدتُم مِصدَاقَ هذا الكَلامِ، فاقرَؤُوا إنْ شِئتُم قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. هذهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ نَزَلَت على سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَعدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ التي خَلَّفَتْ سَبعِينَ شَهِيداً من خِيرَةِ أصحَابِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وعلى رَأسِهِم سَيِّدُنا حَمزَةُ بنُ عَبدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

هذهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ نَزَلَت على قَلبِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَعدَ جِرَاحٍ بَلِيغَةٍ أصَابَتِ الأُمَّةَ، وبَعدَ أن شُجَّ وَجْهُ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وبَعدَ أن كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ العِزَّةَ والرِّفعَةَ والعُلُوَّ والمَكَانَةَ لهذهِ الأُمَّةِ بإذنِ الله تعالى في سَائِرِ أحوَالِها، في انتِصَارِها وفي انكِسَارِها، في أمْنِها في خَوْفِها، في عِزِّها وفي ذُلِّها، في كَثرَتِها وفي قِلَّتِها، ما دَامَت مُؤمِنَةً مُتَحَقِّقَةً بالإيمانِ الذي يُصَدِّقُهُ العَمَلُ، رَغمَ أنفِ أعدَائِها الذينَ يَتَرَبَّصُونَ بها الدَّوَائِرَ.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِعتِقَادُنا وخَاصَّةً في الشَّدَائِدِ أنَّهُ لا يَقَعُ شَيءٌ في الكَونِ صَغِيرٌ أو كَبيرٌ إلا بِعِلمِ الله تعالى وتَقْدِيرِهِ، وتَدبِيرِ اللَّطِيفِ الخَبِيرِ، وأنَّهُ لا يَخرُجُ عن قَدَرِ الله

تعالى ولا عن قُدْرَتِهِ شَيءٌ في الأرضِ ولا في السَّمَاءِ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ في أقدَارِ الله عزّ وجلّ حِكَماً خَفِيَّةً، وأسراراً لا يَعلَمُها إلا اللهُ تعالى، وفيها من مَصَالِحِ العِبَادِ العَاجِلَةِ والآجِلَةِ ما لا يَعلَمُهُ إلا اللهُ تعالى.

وإذا عَلِمَ العِبَادُ بأنّ المَكرُوهَ قد يَأتي بالمَحبُوب، والمَحبُوبَ قد يَأتي بالمَكرُوهِ، فإنَّهُم لم يَأمَنوا أن تَأتِيَهُمُ المَضَرَّةُ من جَانِبِ المَسَرَّةِ، فَكَم من مَسَرَّةٍ أعقَبَت مَضَرَّةً، وكذلكَ لم ييأَسُوا أن تَأتِيَهُمُ المَسَرَّةُ بَعدَ المَضَرَّةِ، وكم من مَسَرَّةٍ جاءَت بَعدَ مَضَرَّةٍ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

<u>من سَعَادَةِ ابنِ آدَمَ رِضَاهُ بما قَضَى اللهُ عزّ وجلّ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، من سَعَادَةِ ابنِ آدَمَ أن يَرضَى بما قَضَاهُ اللهُ تعالى ولو كَانَ مُرّاً، ومن شَقَاوَتِهِ أن يَسخَطَ على قَدَرِ اللهِ تَعَالى، روى الإمام أحمد عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللهَ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَاهُ اللهُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

يَا عِبَادَ اللهِ، كونوا حَرِيصِينَ على إيمانِكُم وثِقَتِكُم باللهِ تعالى، فالمَصَائِبُ لا تَأتِي إلا بِخَيرٍ للإنسانِ المُؤمِنِ بِشَهَادَةِ الصَّادِقِ المَصدُوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، رَوَى الإِمَامُ مُسلِمٌ عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ».

سَلْ نَفسَكَ ثَلاثَةَ أسئِلَةٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِكُلِّ عَبدٍ مَهمُومٍ حَزِينٍ مَكرُوبٍ مَجرُوحٍ قَلِقٍ أَرِقٍ، قولوا لِكُلِّ من أتعَبَ نَفسَهُ، وأتعَبَ من حَولَهُ بِسبَبِ الأَرَقِ والقَلَقِ والهَمِّ: اِسمَعْ إلى كَلامِ إبرَاهِيمَ بنِ أدهَم رَحِمَهُ اللهُ تعالى، عِندَما مَرَّ على رَجُلٍ وَجْهُهُ يَنطُقُ بالهَمِّ والحُزنِ، فقالَ إبرَاهِيمُ: إِنِّي أَسأَلُكَ عن ثَلاثَةٍ فَأَجِبنِي.

فقالَ الرَّجُلُ: قُلْ.

قالَ إبرَاهِيمُ: أَيَجرِي في هذا الكَونِ شَيءٌ لا يُرِيدُهُ اللهُ؟

قالَ الرَّجُلُ: لا.

قالَ إبرَاهِيمُ: أَفَيُنقَصَنَّ من رِزقِكَ شَيءٌ قَدَّرَهُ اللهُ؟

قالَ الرَّجُلُ: لا.

قالَ إبرَاهِيمُ: أَفَيُنقَصُ من أَجَلِكَ لَحظَةٌ كَتَبَها اللهُ؟

قالَ الرَّجُلُ: لا.

فقالَ إبرَاهِيمُ: فَعَلَامَ الهَمُّ؟!!

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَثِقْ بِاللهِ تَعَالى، ولنَزِدْ في إيمانِنا حتَّى نَعلَمَ أنَّهُ لن يُصِيبَنا إلا ما كَتَبَهُ اللهُ تعالى لنا، ولنَكُن على يَقِينٍ بأنَّ ما يَجرِي في الكَونِ هوَ بإرَادَةِ الله تعالى ومَشِيئَتِهِ ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾.

ولنَكُنْ على يَقِينٍ بأنَّ رِزقَنا مُقَدَّرٌ، لا يَستَطِيعُ أحَدٌ أن يَنْقُصَ مِنهُ شَيئاً ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

ولنَكُنْ على يَقِينٍ بأنَّ أجَلَنا مَحتُومٌ، لا يَستَطِيعُ أحَدٌ أن يَنْقُصَ مِنهُ شَيْئَاً ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً﴾.

نَسأَلُ اللهَ تَعالى زِيَادَةَ الإيمانِ، وحُسنَ الظَّنِّ باللهِ تعالى، وحُسنَ الاعتِمادِ والتَّوَكُّلِ عَلَيهِ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٣٨٧ـ خطبة الجمعة: بالثقة بالله تحتمل الشدائد

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، إنّ أَمَلَ الإنسانِ في الأزَماتِ وفي الشّدَائِدِ وأيّامِ المِحَنِ والابتِلاءاتِ والرّزَايا لَيسَ وَهْماً، ولا مُكَابَرَةً، ولا تَعَامِياً عن الوَاقِعِ والأحدَاثِ، ولكنّهُ عَقِيدَةٌ رَاسِخَةٌ في قَلبِهِ، يَعمَلُ مِن خِلالِهَا، وبِهِ يُوَاجِهُ الصّعَابَ والشّدَائِدَ، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. ومن خِلالِ قولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

بالثّقَةِ باللهِ تعالى تُحتَمَلُ الشّدَائِدُ:

يا عبادَ الله، إنّ الشّدَائِدَ والمِحَنَ تُحتَمَلُ بالثّقَةِ باللهِ تعالى، وبِعَظِيمِ الرّجَاءِ، وكُلّما عَظُمَ البَلاءُ، واشتَدّتِ المِحَنُ والخُطُوبُ على المُؤمِنِ، كُلّما عَظُمَ رَجَاؤُهُ وثِقَتُهُ باللهِ تعالى.

المُؤمِنُ الحَقُّ لا تُزلزِلُهُ المِحَنُ والشَّدَائِدُ، ولا تَهُدُّهُ المَتاعِبُ، بل تَزيدُهُ ثَباتاً ويَقِيناً باللهِ تعالى.

المُؤمِنُ الحَقُّ لا تُذِيبُهُ المِحَنُ والشَّدَائِدُ، ولا يَذُوبُ فِيها، فَضْلاً عن أن يَذُوبَ في البَاطِلِ، وذلكَ لِثِقَتِهِ باللهِ تعالى، وثِقَتِهِ بغَلَبَةِ الحَقِّ وأهلِهِ مَهما أُصِيبَ بجُرُوحٍ في حَيَاتِهِ الدُّنيا، وذلكَ انطِلاقاً من قَولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ واللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

الثِّقَةُ باللهِ تعالى مِفتَاحُ السَّعَادَةِ:

يا عباد اللهِ، الثِّقَةُ باللهِ تعالى هيَ مِفتَاحُ السَّعَادَةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ، وبِدُونها يَعِيشُ النَّاسُ في شَقَاءٍ وضَنْكٍ وبَلاءٍ، الثِّقَةُ باللهِ تعالى أَنَّهُ الخَالِقُ الرَّازِقُ، الثِّقَةُ باللهِ تعالى أَنَّهُ المُعطِي المَانِعُ، الثِّقَةُ باللهِ تعالى أَنَّهُ الخَافِضُ الرَّافِعُ، الثِّقَةُ باللهِ تعالى أَنَّهُ المُعِزُّ المُذِلُّ، الثِّقَةُ باللهِ تعالى أَنَّهُ المُحيي المُميتُ، الثِّقَةُ باللهِ تعالى أَنَّهُ الفَعَّالُ لِما يُرِيدُ، تَجعَلُ المُؤمِنَ سَعِيداً في وَسَطِ المِحَنِ، وتَجعَلُهُ يَعِيشُ في الأمَلِ وإن كَانَ في وَسطِ الأَلَمِ.

مُشكِلَةُ النَّاسِ عَدَمُ الثِّقَةِ باللهِ تعالى:

يا عباد اللهِ، مُشكِلَةُ الكَثِيرِ من النَّاسِ اليَومَ، وخَاصَّةً في هذهِ الأزمَةِ هيَ عَدَمُ الثِّقَةِ باللهِ تعالى القَائِلِ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ

يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾.

يا عباد اللهِ، نَحنُ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ لأنْ نَرجِعَ إلى اللهِ تعالى، لأنْ نَصطَلِحَ مَعَ اللهِ تعالى، لأنْ نُقَوِّيَ إيمَانَنا وثِقَتَنا باللهِ تعالى.

«كم تَعبُدُ من إلهٍ؟»:

يا عبادَ اللهِ، لِنَسمَعْ إلى هذا الحِوَارِ بَينَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وبَينَ حُصَينِ بن عِيدٍ عَظِيمٍ من عُظَماءِ قُرَيشٍ، جَاءَ إلى سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؛

فقالَ: ما هذا الذي بَلَغَنا عَنكَ أَنَّكَ تَشتُمُ آلِهَتَنا وتَذكُرُهُم، وقد كَانَ أَبُوكَ حَصِينَةً وخَيراً؟

فقالَ: «يا حُصَينُ، إنَّ أبي وأَبَاكَ في النَّارِ؛ يا حُصَينُ، كم تَعبُدُ من إلهٍ؟».

قالَ: سَبعاً في الأرضِ وواحِدَاً في السَّماءِ.

قالَ: «فإذا أَصَابَكَ الضُّرُّ من تَدعُو؟»

قالَ: الذي في السَّماءِ.

قالَ: «فَيَستَجِيبُ لَكَ وَحدَهُ وتُشرِكُهُم مَعَهُ، أَرَضِيتَهُ في الشُّكرِ أم تَخَافُ أن يُغلَبَ عَلَيكَ؟»

قالَ: ولا وَاحِدَةً من هَاتَينِ.

قالَ: وعَلِمتُ أنِّي لم أُكَلِّمْ مِثلَهُ.

قالَ: «يا حُصَينُ، أَسلِمْ تَسلَمْ».

يا عبادَ اللهِ، لَفتَةٌ كَرِيمَةُ من سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لهذا الرَّجُلِ المُشرِكِ، الذي جَعَلَ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخرَى، هَلَّا تَنَبَّهَ إلَيها أهلُ القُرآنِ العَظِيمِ، هَلَّا تَنَبَّهَ إلَيها الذينَ قالَ اللهُ تعالى فِيهِم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

يا أيُّها العَبدُ المُصطَفَى من سَائِرِ المَخلُوقاتِ والبَشَرِ: هَلَّا رَجَعتَ إلى كِتَابِ رَبِّكَ تَائِباً ومُصطَلِحاً، وخَاصَّةً في أيَّامِ الشَّدَائِدِ؟ إذا كَانَ المُشرِكُ يَلتَجِئُ إلى اللهِ تعالى في الشَّدَائِدِ، فالمُؤمِنُ يَجِبُ عَلَيهِ ذلكَ من بَابِ أَولَى وأَولَى.

يا عباد اللهِ، لِمَ لَمْ تَرجِعِ الأُمَّةُ إلى اللهِ تعالى؟ لِمَ لَمْ يَرجِعْ حُكَّامُنا ومَحكُومُونَا إلى اللهِ تعالى، ويَصطَلِحُوا مَعَ اللهِ تعالى؟ لقد أعرَضَتِ الأُمَّةُ حُكَّاماً ومَحكُومِينَ ــ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى ــ عن اللهِ تعالى، وفَقَدُوا الثِّقَةَ باللهِ تعالى، فهل رَأَوْا خَيراً؟

واللهِ ما رَأَتِ الأُمَّةُ خَيراً عِندَما أعرَضَت عن اللهِ عزَّ وجلَّ، ما رَأَتْ خَيراً عِندَما فَقَدَت ثِقَتَها باللهِ تعالى، بل على العَكسِ من ذلكَ تَماماً.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾:

يا عبادَ اللهِ، لِنَرجِعْ إلى اللهِ تعالى، ولنصطَلِحْ مَعَ اللهِ تعالى القَائِلِ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. والقَائِلِ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ

فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾. لِنَرجِعْ ولنَصطَلِحْ مَعَ اللهِ تعالى الذي قُلُوبُ العِبَادِ بَينَ إصبعَينِ من أَصَابِعِهِ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام مسلم عن عَبْدَ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

لِنَرجِعْ ولنَصطَلِحْ مَعَ اللهِ تعالى الذي يُنَادِينا وهوَ غَنِيٌّ عَنَّا، ونَحنُ الفُقَرَاءُ إِلَيهِ، فَيَقُولُ: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، يا أهلَ بِلادِ الشَّامِ، يا مَن تَتَطَلَّعُونَ إلى كَشْفِ الغُمَّةِ، تَعالَوْا لِنَصطَلِحْ مَعَ اللهِ تعالى، وخَاصَّةً في هذهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ من شَهرِ شَعبانَ، هذا الشَّهرِ العَظِيمِ الذي غَفَلَ عَنهُ الكَثِيرُ من النَّاسِ بَينَ رَجَبَ ورَمَضَانَ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الإمام أحمد عن أُسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «ذَاكَ

شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ».

يا عبادَ اللهِ، هَلّا أوقفنا سَفْكَ الدِّمَاءِ، وتَهدِيمَ البُيُوتِ، وسَلْبَ الأموالِ؟! هَلّا نَزَعنا من صُدُورِنا الحِقدَ والغِلّ والحَسَدَ والبَغضَاءَ من بَينِنا، اِستِعدَاداً لاستِقبَالِ شَهرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ الذِي تُرمَضُ فِيهِ الذُّنُوبُ؟!

يا عباد اللهِ، من رَحمَةِ اللهِ تعالى فِينا أَنَّهُ أبقَى لنا بَقِيَّةً في أعمَارِنا، فَهَلّا استَغلَلنا أنفَاسَ أعمَارِنا المُتَبَقِّيَةَ في الاصطِلاحِ مَعَ اللهِ تعالى، وهَلّا تَابَ كُلٌّ وَحِدٍ مِنَّا من الذَّنبِ الذي هوَ وَاقِعٌ فِيهِ، وهوَ أدرَى بِنفسِهِ من غَيرِهِ، ورَبُّنا عزَّ وجلّ أدرَى بِنا من أنفُسِنا؟!

أسألُ اللهَ تعالى أن يَرُدَّنا إلَيهِ رَدّاً جَميلاً، وأن يَكشِفَ عَنَّا هذهِ الغُمَّةَ عاجِلاً غَيرَ آجِلٍ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٣٨٨ـ خطبة الجمعة: الشقي من حرم رحمة اللّه تعالى فيه

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب

العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، هذا شَهرُ شَعبَانَ قَوَّضَ خِيَامَهُ للرَّحِيلِ، وآذَنَ الأُمَّةَ بالفِرَاقِ بَعدَ الإقَامَةِ، فِي هذا الشَّهرِ العَظِيمِ رَفَعَتِ الأُمَّةُ أَعمَالَها إلى بَارِئِها جَلَّ وعَلَا.

صَفَحَاتُ شَهرِ شَعبَانَ ستُطوَى، وصَفَحَاتُ شَهرِ رَمَضَانَ سَتُفتَحُ، فهل سَتَبقَى الأُمَّةُ لآياتِ اللهِ عَنِيدَةً؟

يَا عِبَادَ اللهِ، كَم مِن حَبِيبٍ فَقَدنَاهُ فِي هذهِ الأزمَةِ؟

وَكَم مِن عَزِيزٍ دَفَنَّاهُ في هذهِ الأزمَةِ؟

وَكَم مِن رَجُلٍ وامرَأَةٍ، وصَغِيرٍ وكَبِيرٍ في اللَّحدِ أضجَعنَاهُ في هذهِ الأزمَةِ؟

وَكَم مِن بَيتٍ تَهَدَّمَ فِي هذهِ الأزمَةِ؟

وَكَم مِن امرَأَةٍ رُمِّلَت فِي هذهِ الأزمَةِ؟

وَكَم مِن طِفلٍ يُتِّمَ في هذهِ الأزمَةِ؟

وَكَم مِن طِفلٍ وامرَأَةٍ، وكَبِيرٍ وضَعِيفٍ ومَرِيضٍ رُوِّعَ في هذهِ الأزمَةِ؟

فهل سَتَبقَى الأُمَّةُ لآياتِ اللهِ عَنِيدَةً ومُكَابِرَةً ومُعرِضَةً عَن أَمرِ اللهِ تعالى؟

مَاذَا رَفَعَتِ الأُمَّةُ إلى بَارِئِها فِي شَهرِ شَعبَانَ فِي هَذا العَامِ، والذِي قَبلَهُ، والذِي قَبلَهُ؟ هَل رَفَعَت أَعمَالاً تُرضِي اللهَ عزَّ وجلّ أم تُسخِطُهُ؟

<u>يَا مَن أَلِفَ الذُّنُوبَ وأَجرَمَ:</u>

يَا مَن أَلِفَ الذُّنُوبَ وأَجرَمَ، يَا مَن أَورَدَ نَفسَهُ المَهَالِكَ، وسَلَكَ بِها طَرِيقَ البَوَارِ والخُسرَانِ.

يَا مَن أَقَامَها على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ.

يَا مَن أغرَقَ نَفسَهُ في المَعَاصِي والأوزَارِ.

يَا مَن ضَيَّعَ الفَرَائِضَ والوَاجِبَاتِ.

يَا مَن نَقَضَ العُهُودَ والمَوَاثِيقَ بَينَهُ وبَينَ اللهِ تعالى، وبَينَهُ وبَينَ العِبَادِ.

يَا مَن اقتَرَفَ الفَوَاحِشَ والآثَامَ، وأَكَلَ أَموالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ.

يَا مَن ضَيَّعَ عُمُرَهُ في إضَاعَةِ الصَّلاةِ واتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ.

يَا مَن بِضَاعَتُهُ التَّسوِيلُ والتَّسوِيفُ.

يَا مَن وَقَعَ في الظُّلمِ والظُّلُماتِ: بَادِرْ بالصُّلْحِ والإِصلَاحِ، بَادِرْ بالاصطِلَاحِ مَعَ اللهِ تَعالى، وحَاذِرِ الفَوتَ، ولا تُضَيِّعِ الفُرصَةَ، فَهَذا شَهرُ رَمَضَانَ قَد أَقبَلَ وصَفَحَاتُهُ سَتُفتَحُ بَعدَ يَومٍ أو يَومَينِ، فلا تَكُنْ مِمَّن أَبَى، أَمَا سَمِعتَ قَولَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟

قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبى»؟

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أُمَّةَ القُرآنِ العَظِيمِ، قُولُوا لِكُلِّ مُجرِمٍ، ولِكُلِّ عَاصٍ، ولِكُلِّ مَن عَاثَ فِي الأَرضِ فَسَاداً: هَذا شَهرُ رَمَضَانَ المُبَارَكَ قَد أَطَلَّ على الأُمَّةِ، فَاسْمَعْ حَدِيثَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

رَوَى التِرمِذِيُّ وابنُ مَاجَه والحَاكِم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَت أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وللهِ عُتَقَاءُ مِن النَّارِ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ».

يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، فالأعمَال في شَهرِ رَمَضَانَ تُضاعَفُ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، لأَنَّكَ فَقِيرٌ إلى اللهِ تعالى في سَائِرِ أحوَالِكَ، أنتَ فَقِيرٌ إلى اللهِ تعالى في غِنَاكَ، فَكَيفَ لا تَكُونُ فَقِيراً إِليهِ في فَقرِكَ؟

أنتَ فَقِيرٌ إلى اللهِ تعالى في قُوَّتِكَ، فَكَيفَ لا تَكُونُ فَقِيراً إِلَيهِ في ضَعْفِكَ؟

أنتَ فَقِيرٌ إلى اللهِ تعالى في سِيَادَتِكَ ورِيَادَتِكَ، فَكَيفَ لا تَكُونُ فَقِيراً إِلَيهِ وأنتَ المَسُودُ؟

يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، فَوَرَبِّ الكَعبَةِ سَوفَ تَرَى أعمَالَكَ يَومَ القِيَامَةِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ واللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

سَوفَ تَرَى الدِّمَاءَ التي سَفَكتَها يَومَ القِيَامَةِ أمَامَكَ.

سَوفَ تَرَى البُيُوتَ التي هَدَّمتَها يَومَ القِيَامَةِ أمَامَكَ.

سَوفَ تَرَى خُصُومَكَ الذينَ سَلَبْتَ أموَالَهُم، ورَوَّعتَهُم يَومَ القِيَامَةِ في أرضِ المَحشَرِ يَنتَظِرُونَكَ للقَصَاصِ والفَصلِ بَينَ يَدَي اللهِ عزَّ وجلَّ.

الشَّقِيُّ من حُرِمَ فِيهِ رَحمَةَ اللهِ عزَّ وجلَّ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِعرِفُوا قَدْرَ شَهرِ رَمضَانَ، وتَنَافَسُوا فِيهِ في فِعلِ الطَّاعاتِ والمَبَرَّاتِ، واسمَعُوا حَدِيثَ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال يَوماً وحَضَرَ رَمَضَانُ: «أتَاكُم رَمَضَانُ شَهرُ بَرَكَةٍ يَغشَاكُمُ اللهُ فِيهِ، فَيُنزِلُ الرَّحمَةَ، ويَحُطُّ الخَطَايَا، ويَستَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ، يَنظُرُ اللهُ تعالى إلى تَنَافُسِكُم فِيهِ، ويُبَاهِي بِكُمُ مَلائِكَتَهُ، فَأَرُوا اللهَ من أَنفُسِكُم خَيراً، فإنَّ الشَّقِيَّ من حُرِمَ فِيهِ رَحمَةَ اللهِ عزَّ وجلَّ».

يَا عِبَادَ اللهِ، الشَّقِيُّ من حُرِمَ رَحمَةَ اللهِ تعالى في هذا الشَّهرِ العَظِيمِ المُبَارَكِ، الشَّقِيُّ هوَ الذِي لا يَرحَمُ عِبَادَ اللهِ تعالى، فمن لا يَرحَمُ لا يُرحَمُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، تَرَاحَمُوا فِيما بَينَ بَعضِكُمُ البَعضِ تُرحَمُوا، واجعَلُوا الرَّحمَةَ تَعُمُّ الجَمِيعَ، دِينُنَا دِينُ الرَّحمَةِ، ونَبِيُّنا نَبِيُّ الرَّحمَةِ، ورَبُّنا هوَ الرَحمنُ الرَّحِيمُ، فلماذا لا نَتَرَاحَمُ؟ هل سَتَبقَى الأُمَّةُ لآيَاتِ اللهِ عَنِيدَةً؟

يا أَيُّها الشَّهرُ العَظِيمُ المُبَارَكُ:

يا أيُّها الشّهرُ العَظِيمُ المُبَارَكُ، أقُولُ أنا والمُستَضعَفِينَ من أمثَالِي في هذا البَلَدِ الحَبِيبِ الذين لا يَملِكُونَ حَوْلاً ولا قُوّةً في كَشْفِ وكَفِّ هذهِ الأزمَةِ، لا نَملِكُ نَحنُ إلا الدُّعَاءَ للهِ عزّ وجلّ، ودَعوَةَ العِبَادِ.

لا نَملِكُ إلا أن نَدعُوَ اللهَ عزّ وجلّ قَائِلِينَ: اللّهُمّ احقِنْ دِمَاءَ المُسلِمِينَ، واستُرْ أعرَاضَهُم، وأَمِّنْ رَوعَاتِهِم، وَوَلِّ عَلَيهِم خِيَارَهُم، واحفَظْهُم من جَمِيعِ الفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، بِرَحمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ولا نَملِكُ إلا دَعوَةَ العِبَادِ لأنْ يَصطَلِحُوا مَعَ اللهِ تعالى، ثمّ يَصطَلِحُوا مَعَ بَعضِهِمُ البَعضِ، وأن يَضَعُوا أسلِحَتَهُمُ التي أَهَكَتْهُم وأَهَكَتِ الأُمّةَ، لأنّ الرَّابِحَ في هذهِ الحَربِ هُم أعدَاءُ الأُمّةِ مِمَّن قالَ اللهُ تعالى فِيهِم: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. وقالَ فِيهِم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

لا نَملِكُ إلا دَعوَةَ الأُمّةِ لِتَحكِيمِ شَرعِ اللهِ تعالى فِيما شَجَرَ بَينَهُم، وأن يَتَذَكّرُوا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

فهل يا تُرَى سَتَبقَى الأُمّةُ لآيَاتِ اللهِ عَنِيدَةً؟

يا أيُّها الشَّهرُ العَظِيمُ: أُقَدِّمُ لَكَ اعتِذَاراً أنا والُمستَضعَفُونَ من هذهِ الأُمَّةِ مِمَّا يَجرِي في بَلَدِنا هذا، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

مَرحَباً بِكَ يا أيُّها الشَّهرُ العَظِيمُ الُمبَارَكُ.

مَرحَباً بِكَ يا شَهرَ الطَّاعَةِ والغُفرَانِ.

مَرحَباً بِكَ يا شَهرَ النُّورِ والبُرهَانِ.

مَرحَباً بِكَ يا شَهرَ الهِدَايَةِ والفُرقَانِ.

مَرحَباً بِكَ يا شَهرَ السَّلامِ والإِسلامِ والقُرآنِ.

مَرحَباً بِكَ يا شَهرَ العِبَادَةِ والسَّعَادَةِ والتَّوبَةِ والإنَابَةِ.

يا أيُّها الشَّهرُ العَظِيمُ الُمبَارَكُ، السَّعِيدُ من صَامَ نَهَارَكَ، وقَامَ لَيلَكَ، فَجِئتَ لَهُ شَاهِداً عَدْلاً عِندَ رَبِّكَ يومَ القِيَامَةِ، فَأكرَمَهُ اللهُ تعالى بِمَا لَا عَينٌ رَأَتْ، ولَا أُذُنٌ سَمِعَت، ولَا خَطَرَ عَلى قَلبِ بَشَرٍ.

والشَّقِيُّ مَن أَضَاعَكَ، فَأَفطَرَ نَهَارَكَ، وأسَاءَ في لَيلِكَ، فَجِئتَ شَاهِداً عَلَيهِ عَدْلاً عِندَ رَبِّكَ فَأَذَلَّهُ اللهُ تعالى وأشقَاهُ، وجَعَلَهُ من الخَاسِرِينَ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يا من تَعِيشُونَ هذهِ الأزمَةَ ما يَنبَغِي أن تَشغَلَنا هَذهِ الحَربُ عَن أدَاءِ أوَامِرِ اللهِ تَعالى، واجتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَعَلَيَّ وعَلَيكُم بالصِّيَامِ والقِيَامِ وكَثْرَةِ الدُّعَاءِ للهِ عزَّ وجلَّ أن يُفَرِّجَ الكَربَ عَن هذهِ الأُمَّةِ، وأن نَدعُوَ الأمَّةَ للاصطِلاحِ مَعَ اللهِ

تعالى، والصُّلحِ فِيما بَينَ بَعضِهِمُ البَعضِ، لأنّه من اصطَلَحَ مَعَ اللهِ تعالى، وأصلَحَ فِيما بَينَهُ وبَينَ العِبَادِ، وكَانَ صَالِحاً ومُصلِحَاً استَحَقَّ رَحمَةَ اللهِ تعالى بإذنِ اللهِ تَعالى.

أَسألُ اللهَ تعالى أن يُفَرِّجَ الكَربَ عَن هذهِ الأُمَّةِ، أن يُبَلِّغَنا شَهرَ رَمَضَانَ، وأن يُوَفِّقَنا لِصِيَامِهِ حَقَّ الصِّيَامِ، ولِقِيَامِهِ حَقَّ القِيَامِ، أن يَتَقَبَّلَهُ مِنَّا. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٣٨٩ـ خطبة الجمعة: قولوا لمن أفطر شهر رمضان

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، لقد عَظُمَت نِعمَةُ اللهِ عزَّ وجلّ عَلَينَا بأن بَلّغَنا شَهرَ رَمَضَانَ المُبَارَكَ، وقد شَرَحَ صُدُورَنَا للإسلامِ، وَحَبَّبَ إلى قُلُوبَنَا الإيمَانَ، هذهِ النِّعمَةُ العَظِيمَةُ التي حُرِمَها الكَثِيرُ من النَّاسِ اليَومَ، حَيثُ بَلّغَهُم رَبُّنَا عزَّ وجلّ شَهرَ رَمَضَانَ، ولكن كَانَت صُدُرُهُم ضَيِّقَةً حَرِجَةً، فما شُرِحَت صُدُورُهُم للصَّلاةِ والصِّيَامِ والقِيَامِ، هؤلاءِ هُم من أشقَى خَلْقِ اللهِ تعالى إذا مَاتُوا على ذلكَ بِدُونِ تَوبَةٍ للهِ عزَّ وجلّ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كم هيَ نِعمَةُ اللهِ تعالى عَظِيمَةً عَلَينا، بِحَيثُ وَفّقَنَا للصِّيَامِ والقِيَامِ مَعَ الشّدَائِدِ والمِحَنِ والحَربِ التي تَمُرُّ على بَلَدِنَا هذا، ولا حَولَ ولا قُوّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ؟

نَحنُ في نِعمَةٍ ــ واللهِ الذي لا إلهَ غَيرُهُ ــ لو سَجَدنا على جَمرَةٍ من نَارٍ حتّى تَخرُجَ أروَاحُنا من أجسَادِنا لما أدّينَا اللهَ تعالى حَقّهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، من شَقَاوَةِ العَبدِ أن يُبَلِّغَهُ اللهُ تعالى شَهرَ رَمَضَانَ، ثمّ يُعرِضَ هذا العَبدُ عن اللهِ عزّ وجلّ، من شَقَاوَةِ العَبدِ أن يَكُونَ شَهرُ رَمَضَانَ شَاهِدَاً عَلَيهِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، من رَعَى شَهرَ رَمَضَانَ رَعَاهُ اللهُ عزّ وجلّ، ومن ضَيَّعَهُ ضَيَّعَهُ اللهُ تعالى.

شَهرُ رَمَضَانَ شَهرُ مِحنَةٍ واختِبَارٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد شَاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يَجعَلَ شَهرَ رَمَضَانَ شَهراً دَورِيًّا، فَتَارَةً يَأتِي في فَصلِ الصَّيفِ، وتَارَةً في فَصلِ الشِّتَاءِ، وتَارَةً في فَصلِ الخَرِيفِ، وتَارَةً في فَصلِ الرَّبيعِ، وما ذاكَ إلا لِحِكمَةٍ بَالِغَةٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا جَاءَ شَهرُ رَمَضَانَ في فَصلِ الصَّيفِ كَانَ شَهرَ مِحنَةٍ واختِبَارٍ، يَمِيزُ اللهُ تعالى بِهِ الخَبِيثَ من الطَّيِّبِ، ويُفَرِّقُ بَينَ الصَّادِقِ والكَاذِبِ، وبَينَ المُؤمِنِ والمُنَافِقِ، قال تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، جَاءَنَا الآنَ شَهرُ رَمَضَانَ في فَصلِ الصَّيفِ، وفي هذهِ الأزمَةِ لِيَكُونَ اختِبَاراً وامتِحَاناً للأُمَّةِ، فمن رَأَى نَفسَهُ أَنَّهُ مَوَفَّقٌ بِفَضْلِ اللهِ تعالى فَلْيَحمَدِ اللهَ تعالى، وعِندَما يَأتِي شَهرُ رَمَضَانَ في الشِّتَاءِ يَكُونُ غَنيمَةً بَارِدَةً، ولكن في فَصلِ الصَّيفِ يَكُونُ الأجرُ مُضَاعَفاً إن شَاءَ اللهُ تعالى، لأنَّ الأجرَ على قَدْرِ المَشَقَّةِ.

الصِّيامُ والقُرآنُ شَافِعَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يا من وَفّقَكُمُ اللهُ تعالى للصِّيَامِ وتِلاوَةِ القُرآنِ أَبشِرُوا، وذلكَ من خِلالِ قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ.

وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ.

قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» رواه الحاكم والإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما.

هَنِيئَاً لَكَ أَيُّها الصَّائِمُ القَائِمُ التَّالِي للقُرآنِ العَظِيمِ بِشَفَاعَةِ الصِّيَامِ والقُرآنِ لَكَ يَومَ القِيَامَةِ، هَنِيئَاً لَكَ أَيُّها الصَّائِمُ القَائِمُ وأنتَ تَعِيشُ هذهِ الأزمَةَ مَعَ شِدَّةِ الكَربِ ــ ولا أَتَأَلَّى على اللهِ عزَّ وجلَّ ــ هَنِيئَاً لَكَ الجَنَّةَ.

بَابُ الرَّيَّانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَبشِرُوا بِبِشَارَةِ سَيِّدِنا رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، روى الشيخان عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ.

يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟

فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

قولوا لمن أفطَرَ شَهرَ رَمَضَانَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قولوا لمن أفطَرَ شَهرَ رَمَضَانَ، وأعرَضَ عن اللهِ عزَّ وجلَّ، وخَافَ على نَفسهِ من التَّعَبِ والنَّصَبِ وشِدَّةِ العَطَشِ في شَهرِ رَمَضَانَ: لقد أعرَضتَ عن شَرعِ اللهِ تعالى، وأعرَضتَ عن الصِّيَامِ خَوفَاً من عَطَشِ سَاعَاتٍ مَعدُودَةٍ، وتَجَرَّأتَ على عِصيَانِ أمرِ اللهِ تعالى، واللهِ إن لم تَتُبِ إلى اللهِ تعالى، ولم تُدرِكْ رَحمَةَ اللهِ تعالى، فَسَوفَ يَأتِيكَ يَومٌ تَقِفُ فِيهِ في أرضِ المَحشَرِ، وتَدنُو الشَّمسُ من الرُّؤُوسِ بِمِقدَارِ مِيلٍ، وسَوفَ تَخُوضُ في عَرَقِكَ، ويَشتَدُّ عَلَيكَ العَطَشُ، ولن

تَجدَ مَاءً يُروِي ظَمَأَكَ، وإن اقتَرَبتَ من حَوضِ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فإنّ المَلائِكَةَ سَتَطرُدُكَ شَرَّ طَردٍ ــ والعِياذُ باللهِ تعالى ــ

يَا عِبَادَ اللهِ، قولوا لمن خَسِرَ نَفسَهُ وأعرَضَ عن ذِكرِ رَبِّهِ عزَّ وجلّ، وجَاهَرَ بالإفطَارِ نَهَاراً بِدُونِ استِحيَاءٍ من اللهِ تعالى، ولا من عِبَادِ اللهِ تعالى: تَعالَ واسمَعْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قولوا: يا رَبَّنَا لَكَ الحَمدُ أن وَفَّقتَنَا للصِّيَامِ، ولَكَ الحَمدُ أن بَلَّغتَنَا بِدَايَةَ شَهرِ رَمَضَانَ، ولا نَدرِي هل نَبْلُغُ آخِرَ شَهرِ رَمَضَانَ أم لا؟

هل يا تُرَى يَنتَهِي أَجَلُنَا قَبلَ نِهَايَةِ شَهرِ رَمَضَانَ، أم يُبَلِّغُنا رَبُّنَا عزَّ جلّ آخِرَهُ؟ أَعمَارُنَا بِيَدِ اللهِ تعالى، لا نَدرِي مَتَى تَنتَهِي، وهذهِ جَنَازَةٌ بَينَ أظهُرِنَا.

أسأَلُ اللهَ تعالى أن يَجعَلَها ذِكرَى لَنا. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٣٩٠ـ خطبة الجمعة: المؤمن الحق لا يعيش بلا قيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، إنّ للأخلاقِ الفَاضِلَةِ في دِينِنَا العَظِيمِ مَكَانَةٌ سَامِيَةٌ وعَالِيَةٌ، وهيَ حَجَرُ الأَسَاسِ لِبنَاءِ الُمجتَمَعِ الُمتَماسِكِ، وهيَ الَمدَارُ العَظِيمُ لِتَزكِيَةِ النّفسِ، وهيَ دَعوَةُ الأنبِيَاءِ والُمرسَلِينَ وعِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ.

لذلكَ دَعَا إسلامُنَا إلى كُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، ونَبَذَ كُلَّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ، ورَبَّى أَتبَاعَهُ على ذلكَ، فَسَمَا بِهِم إلى الأقوَالِ والأفعَالِ الرَّشِيدَةِ والسَّدِيدَةِ، فَكَانَت هذهِ الأُمَّةُ أُمَّةَ الأخلاقِ والقِيَمِ، رَغْمَ أَنفِ كُلِّ مَن أَسَاءَ إلى دِينِنَا بأقوَالِهِ وأفعَالِهِ، لأنَّ الغَايَةَ التي بُعِثَ من أَجلِهَا سَيِّدُنا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هيَ إتمَامُ مَكَارِمِ الأخلاقِ، فقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ ــ وفي رِوَايَةِ القضاعي: لِأُتَمِمَ مَكَارِمَ الأخلاقِ ــ» رواه الحاكم والإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

من ثِمَارِ الأخلاقِ الحَسَنَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ للأخلاقِ الحَسَنَةِ ثِمَاراً يَنتَفِعُ بِها صَاحِبُهَا دُنيا وأُخرَى، من ثِمَارِ الأخلاقِ الحَسَنَةِ:

أولاً: دَلِيلُ كَمَالِ الإيمَانِ، ورُسُوخِ اليَقِينِ في الجَنَانِ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنسَائِهِمْ خُلُقاً» رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ثانياً: والمُتَحَلِّي بالأَخلاقِ الحَسَنَةِ والمُتَجَمِّلُ بِهَا جَلِيسُ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يومَ القِيَامَةِ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً» رواه الترمذي عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

ثالثاً: بالأخلاقِ الحَسَنَةِ الفَاضِلَةِ يَبلُغُ العَبدُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الذي لا يُفطِرُ أبداً، والقَائِمِ الذي لا يَفتُرُ أبَداً، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها.

رابعاً: بالأخلاقِ المَرضِيَّةِ يَثقُلُ مِيزَانُ العَبدِ يَومَ القِيَامَةِ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» رواه الترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

المُؤمِنُ الحَقُّ لا يَعِيشُ بلا قِيَمٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَجبُ على الإنسَانِ المُؤمِنِ الحَقِّ أن لا يَعِيشَ على هَامِشِ الحَيَاةِ الدُّنيا، ويَحيَا فِيهَا بلا قِيَمٍ ولا أخلاقٍ مَرضِيَّةٍ، بل يَجِبُ عَلَيهِ أن يَعلَمَ أَنَّهُ صَاحِبُ رِسَالَةٍ يُترجِمُهَا عَمَلاً وسُلُوكاً يَرَاهُ النَّاسُ على أرضِ الوَاقِعِ صِدْقاً وعَدْلاً، قَولاً وعَمَلاً ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، المؤمِنُ الحَقُّ يَتَمَثَّلُ الأخلاقَ المَرضِيَّةَ في أقوَالِهِ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾. ويَتَمَثَّلُ الأخلاقَ المَرضِيَّةَ في أفعَالِهِ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

عَوِّدْ نفسَكَ على الصَّبرِ والأنَاةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، شَهرُ رَمَضَانَ شَهرٌ لِتَقوِيَةِ النَّفسِ على الصَّبرِ والأنَاةِ وعلى التَّحَلِّي بالأخلاقِ المَرضِيَّةِ، ومن خِلالِ هذا جَاءَ هَدْيُ سَيِّدِنا رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِن امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ ــ مَرَّتَيْنِ ــ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَابِلِ العُنفَ بالرِّفْقِ، وقَابِلِ السَّبَّ بالحِلْمِ، وقَابِلِ الإسَاءَةَ بالإحسَانِ، وأَنتَ تَتَذَكَّرُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا على ثَغرٍ من ثُغُورِ الإسلامِ، اللهَ اللهَ أن يُؤتَى الإسلامُ من قِبَلِنَا، عَلَينا بِضَبْطِ الأقوَالِ والأفعَالِ، لأنَّ من ضَبَطَ أقوَالَهُ وأفعَالَهُ لن يَندَمَ، ولن يَحتَاجَ إلى اعتِذَارٍ لا في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ، وعَلَيكُم بالأخلاقِ المَرضِيَّةِ لِنَفُوزَ بِسَعَادَةِ الدَّارَينِ.

اللّهُمَّ وَفِّقنَا لذلكَ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٩١ـ خطبة الجمعة: يا أيها الغافل المفرط

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، العَبدُ المُؤمِنُ الحَقُّ هوَ الذي يَغتَنِمُ أنفَاسَ عُمُرِهِ فِي التَّوبَةِ لله عزَّ وجلّ، قَبلَ أن تَقَعَ رُوحُهُ فِي الغَرغَرَةِ، لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ» رواه الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

فالمُؤمِنُ الحَقُّ فِينَا مَن جَعَلَ المَوتَ نُصبَ عَينَيهِ، واستَعَدَّ لِلِقَاءِ اللهِ عزَّ وجلّ، وتَفَقَّدَ نَفسَهُ مِنْ قِبَلِ الصَّلاةِ هَل هوَ مُحَافِظٌ عَلَيهَا أم لا؟ ومِنْ قِبَلِ الصِّيَامِ هَل هوَ مُحَافِظٌ عَلَيهِ أم لا ؟ ومِنْ قِبَلِ الزَّكَاةِ هَل أَدَّاهَا كَامِلَةً أَم لَا؟ ومِنْ قِبَلِ حُقُوقِ

العِبَادِ هَل أَبرَأَ ذِمَّتَهُ أَم لَا؟ ومِنْ قِبَلِ أمَانَاتِهِ هَل أَدَّى الأمَانَاتِ إلى أهلِهَا أَم لَا؟

يا أَيُّهَا الغَافِلُ المُفَرِّطُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا للعَبدِ الغَافِلِ عنِ اللهِ تعالى المُفَرِّطِ في حَقِّ اللهِ تَعالى، وَحَقِّ العِبَادِ: يا أَيُّهَا الغَافِلُ المُفَرِّطُ:

أولاً: تَصَوَّرْ ظُهُورَ مَلَكِ المَوتِ أَمَامَكَ ومَعَهُ المَلائِكَةُ، إمَّا أن يُسْمِعُوكَ البُشرَى، وإمَّا أن يُسْمِعُوكَ الإِنذَارَ.

أَهلُ الاستِقَامَةِ يَسْمَعُونَ البُشرَى من المَلائِكَةِ: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾. وأمَّا أَهلُ الانحِرَافِ والضَّلالِ فَيسمَعُونَ الإنذَارَ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً * وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾.

ثانياً: تَصَوَّرِ المَلَكَينِ عِندَمَا تُوَسَّدُ في قَبرِكَ وَحِيداً فَرِيداً، ويَسأَلانِكَ مَن رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ؟ ومَن نَبِيُّكَ؟ تَصَوَّرْ حَالَكَ هل سَتَرَى هذينِ المَلَكَينِ بأجمَلِ صُورَةٍ أم بأقبَحِ صُورَةٍ؟ تَصَوَّرْ هل سَيُثَبِّتُكَ اللهُ تعالى بالقَولِ الثَّابتِ أم سَيَكِلُكَ إلى نَفسِكَ؟ تَصَوَّرْ هل سَيُقَالُ لَكَ: اُنظُرْ إلى مَقعَدِكَ من النَّارِ قد أبدَلَكَ اللهُ عِوَضَاً عَنهُ مَقعَداً في الجَنَّةِ، أم العَكسُ؟

ثالثاً: تَصَوَّرْ نَفسَكَ عِندَمَا يَنشَقُّ قَبرُكَ وتَخرُجُ مُغبَرّاً من غُبَارِ قَبرِكَ قَائِماً على

قَدَمَيكَ، شَاخِصَاً بَصرَكَ، حَافِيَاً عَارِيَاً، فلا تَسمَعُ في أرضِ المَحشَرِ إلا هَمسَاً، هل سَتُكسَى وتُقَادُ إلى ظِلِّ عَرشِ الرَّحمنِ، أم سَتَبقَى في أرضِ المَحشَرِ تَخُوضُ في عَرَقِكَ بِسَبَبِ ذُنُوبِكَ وخَطَايَاكَ؟

لِنَكُفَّ عن المَعَاصِي والمُنكَرَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَكُفَّ عن المَعَاصِي والمُنكَرَاتِ والذُّنوبِ قَبلَ أن نَمُوتَ، لأنَّ الذُنُوبَ والمَعَاصِيَ قَسَّتْ قُلُوبَنَا، وأنسَتِ الكَثِيرَ من النَّاسِ اللهَ عزَّ وجلَّ والدَّارَ الآخِرَةَ، ولأنَّهَا مَحَقَتِ البَرَكَةَ، وجَعَلَتِ الحَيَاةَ شَقَاءً وضَنكَاً، وأبعَدَتنَا عن السَّعَادَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الأُمُورُ بِخَوَاتِيمِهَا، فَلا يَغتَرَّ أَهلُ الطَّاعَةِ بِطَاعَتِهِم، ولا يَقنَطْ أَهلُ المَعَاصِي بِمَعَاصِيهِم، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» رواه الشيخان عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «المُؤمِنُ وَاهٍ ــ مُذنِبٌ ــ رَاقِعٌ ــ تَائِبٌ مُستَغفِرٌ ــ، فَسَعِيدٌ من هَلَكَ على رِقعِهِ» رواه البَزَّارُ والطَّبَرَانِيُّ في الصَّغِيرِ والأوسَطِ.

يا من سَفَكَ الدِّمَاءَ، تُبْ إلى اللهِ تعالى قَبلَ مَوتِكَ، يا من أَكَلَ أَموَالَ النَّاسِ

بالبَاطِلِ تُبْ إلى اللهِ تعالى قَبلَ مَوتِكَ، يا من حَرَّضَ على إشعَالِ نَارِ الفِتنَةِ في هذا البَلَدِ، تُبْ إلى اللهِ تعالى قَبلَ مَوتِكَ، يا من فَرَّقَ بَينَ الأَحِبَّةِ، تُبْ إلى اللهِ تعالى قَبلَ مَوتِكَ، يا أَيُّهَا الشَّبَابُ، تُوبوا إلى اللهِ تعالى من المُخَالَفَاتِ الشَّرعِيَّةِ التي وَقَعتُم فِيهَا من خِلالِ الجَوَّالاتِ والكُمبيوتَرَاتِ والمَوَاقِعِ الالكِترُونيَّةِ والشَّبَكَةِ العَنكَبُوتِيَّةِ قَبلَ أن تَمُوتُوا، يا أَيُّهَا الأزوَاجُ، تُوبُوا إلى اللهِ تعالى قَبلَ أن تَمُوتُوا، يا أَيُّهَا التُّجَّارُ، أَدُّوا زَكَاةَ أَموالِكُم قَبلَ أن تَمُوتُوا. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

اللَّهُمَّ ارزُقنَا تَوبَةً صَادِقَةً قَبلَ المَوتِ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُو392ــــ خطبة الجمعة: ماذا فاتكم يا من صمتم وقمتم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٩٢ـ خطبة الجمعة: ماذا فاتكم يا من صمتم وقمتم؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، المُتَأَمِّلُ في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيا يُدرِكُ أنّ هذهِ الحَيَاةَ حَيَاةُ تَقَلُّبَاتٍ وتَغَيُّرَاتٍ، حَيَاةُ بِدَايَاتٍ ونِهَايَاتٍ، وهكذا الأَيَّامُ واللَّيالِي، والشُّهُورُ والأَعوَامُ، سُنَّةٌ لا تَتَغَيَّرُ، ونَامُوسٌ لا يَتَبَدَّلُ ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد أَكرَمَنَا اللهُ عزَّ وجلَّ بِضَيفٍ عَزِيزٍ، حَلَّ فِي رُبُوعِنَا، ونَزَلَ بَينَ أَظهُرِنَا، وغَمَرَنَا بِفَضْلِهِ وإحسَانِهِ، ثمَّ حَانَ وَقتُ فِرَاقِهِ، وقَرُبَت لَحَظَاتُ وَدَاعِهِ، فَبِمَاذا نُوَدِّعُهُ؟ وبِأَيِّ شُعُورٍ نُفَارِقُهُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد مَضَى هذا الشَّهرُ العَظِيمُ المُبَارَكُ، وقد أَحسَنَ فِيهِ من أَحسَنَ، وأَسَاءَ فِيهِ من أَسَاءَ، مَضَى هذا الشَّهرُ العَظِيمُ المُبَارَكُ وهوَ شَاهِدٌ لِبَعضِنَا، وشَفِيعٌ لَهُ عِندَ رَبِّنَا عزَّ وجلَّ، وقَائِدٌ لَهُ إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرضُ، لقد مَضَى هذا الشَّهرُ العَظِيمُ المُبَارَكُ وهوَ شَاهِدٌ على بَعضِنَا، وقَائِدٌ لَهُ إلى جَهَنَّمَ وبِئسَ المَصِيرُ.

الأَعمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، السَّعِيدُ من العِبَادِ من وُفِّقَ لإِتمَامِ العَمَلِ والإخلاصِ، السَّعِيدُ من أتقَنَ العَمَلَ وأَتَمَّهُ، السَّعِيدُ من خَتَمَ شَهرَ رَمَضَانَ بالتَّوبَةِ والإِنَابَةِ والاستِغفَارِ، لأنَّ الأعمَالَ بِخَوَاتِيمِهَا.

لقد كَانَ سَيدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ يَقُولُ: كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهتِمَاماً مِنكُم بالعَمَلِ، أَلَمْ تَسمَعُوا إلى قَولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ من المُتَّقِينَ﴾؟

ويَقُولُ مَالِكُ بنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: الخَوفُ على العَمَلِ أن لا يُتَقَبَّلَ أَشَدُّ من العَمَلِ.

وكَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ يُنَادِي فِي آخِرِ لَيلَةٍ من شَهرِ رَمَضَانَ: يا لَيتَ شِعرِي مَن هذا المَقبُولُ فَنُهَنِّيهِ، و من هذا المَحرُومُ فَنُعَزِّيهِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَختِمْ صِيَامَ شَهرِ رَمَضانَ بالاستِغفَارِ، بل لِنَختِمْ جَمِيعَ طَاعَاتِنَا بالاستِغفَارِ، والسَّعِيدُ من وُفِّقَ لذلكَ، لأنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَختِمُ صَلاتَهُ بالاستِغفَارِ.

روى الإمام مسلم عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثاً وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَختِمْ صِيَامَنَا بالاستِغفَارِ، لأنَّ اللهَ تعالى أَمَرَنَا بالاستِغفَارِ بَعدَ تَقدِيمِ الخَيرَاتِ للهِ عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ومن أَعظَمِ الخَيرَاتِ التي نُقَدِّمُهَا الصِّيَامُ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هَنِيئَاً لَكُم صِيَامَكُم وقِيَامَكُم وتِلاوَتَكُم للقُرآنِ العَظِيمِ، هَنِيئَاً لَكُم زَكَاتَكُم وصَدَقَةَ فِطرِكُم، هَنِيئَاً لَكُم حُسنَ أَخلاقِكُم وصَبْرَكُم ومُصَابَرَتَكُم، وخَاصَّةً وأَنتُم تَعِيشُونَ هذهِ الأَزمَةَ، ماذا فَاتَكُم يا من صُمتُم وقُمتُم؟ أَسأَلُ اللهَ تعالى لِيَ ولَكُمُ القَبُولَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، وقُولُوا لمن طُرِدوا من رَحمَةِ اللهِ تعالى، ورُدُّوا في شَهرِ رَمَضَانَ: جَبَرَ اللهُ مُصَابَكُم، وماذا وَجَدتُم في إعرَاضِكُم عن اللهِ عزَّ وجلَّ في هذا الشَّهرِ العَظِيمِ المُبَارَكِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، كَم هوَ الفَارِقُ بَينَ من كَانَ حَظُّهُ القَبُولُ والغُفرَانُ، وبَينَ من كَانَ حَظُّهُ الخَيبَةُ والطَّردُ واللَّعنَةُ والخُسرَانُ؟

اللَّهُمَّ إنَّا نَسأَلُكَ أن تَجعَلَنَا من المَقبُولِينَ، وأن تُعتِقَ رِقَابَنَا من النَّارِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**	**	**

٣٩٣ـ خطبة عيد الفطر: هذا اليوم يوم وفاء وإخاء

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، هذا اليَومُ هوَ من أَشرَفِ الأَيَّامِ، أَوجَبَ اللهُ تعالى فِيهِ الفِطْرَ، وحَرَّمَ الصِّيَامَ، كما أَوجَبَ الصِّيَامَ في شَهرِ رَمَضَانَ، وحَرَّمَ الفِطْرَ.

هذا اليَومُ هوَ يَومُ شُكْرٍ لله تعالى بأن وَفَّقَنَا لِصِيَامِ شَهرِ رَمَضَانَ ولِقِيَامِهِ، ونَرجُوهُ تعالى أن نَكُونَ مِمَّن أعتَقَهُم من النِّيرَانِ، فَيومُ العِيدِ يَومُ شُكرٍ لله تعالى، لا يَومَ لَهوٍ وعِصيَانٍ لله تعالى.

فما هذا عَمَلُ الخَائِفِينَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَرَّ بَعضُ الصَّالِحِينَ على أُنَاسٍ يَلهُونَ ويَلعَبُونَ أَيَّامَ العِيدِ، فَقَالَ لَهُم: عَجَبَاً لَكُم! إنْ كَانَ اللهُ قد تَقَبَّلَ صِيَامَكُم، فما هذا عَمَلُ الشَّاكِرِينَ، وإنْ كَانَ لم يَتَقَبَّلْهُ منكُم، فما هذا عَمَلُ الخَائِفِينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الحَمدُ للهِ الذي مَنَّ عَلَينا بأن بَلَّغَنا أَوَّلَ رَمَضَانَ وآخِرَهُ، ومَنَّ عَلَينا بِصِيَامِهِ وقِيَامِهِ، فالفَضْلُ للهِ تعالى الذي شَرَحَ الصُّدُورَ للإسلامِ، وحَبَّبَ إلى القُلُوبِ الإيمَانَ، الفَضْلُ للهِ تعالى على من صَامَ وقَامَ، ورَحِمَ اللهُ تعالى من قَالَ: من تَمَامِ فَضْلِهِ عَلَيكَ، أنْ خَلَقَ فِيكَ ونَسَبَ إلَيكَ.

ثمَّ بَعدَ ذلكَ تَمَّمَ اللهُ تعالى الفَضْلَ على عِبَادِهِ الصَّائِمِينَ القَائِمِينَ بالفَوزِ بِرِضوَانِهِ، والنَّجَاةِ من نِيرَانِهِ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

هَنِيئَاً لِمن رَبِحَ رَمَضَانَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هَنِيئَاً لِمن رَبِحَ رَمَضَانَ، وخَرَجَ مِنهُ بالطَّاعَةِ والغُفرَانِ، وجَبَرَ اللهُ مُصَابَ من خَسِرَ رَمَضَانَ، روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ».

فيا من خَرَجتَ من شَهرِ رَمَضَانَ، وكَانَ شَاهِدَاً لَكَ لا عَلَيكَ، كُنْ حَرِيصَاً على أن لا تَهدِمَ صَرحَاً بَنَيتَهُ، وكُنْ حَرِيصَاً على كَنزٍ عَظِيمٍ أن تُفَرِّطَ فِيهِ، فإذا ما سَوَّلَت لَكَ نَفسُكَ التَّفرِيطَ في جَنبِ اللهِ تعالى، ودَعَتْكَ إلى مَعصِيَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قُلْ لَهَا: إنَّ رَبَّ رَمَضَانَ هوَ رَبُّ الشُّهُورِ كُلِّهَا، فَكَيفَ أُطِيعُهُ في شَهرِ رَمَضَانَ وأَعصِيهِ في غَيرِهِ؟

قُلْ لَهَا: إنّ الأُمُورَ بخوَاتِيمِهَا، فإنّي أَخَافُ إن عَصَيتُ رَبِّي عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ، إنّي أَخَافُ أن يُختَمَ لي على مَعصِيَةٍ، إنّي أَخَافُ أن يُختَمَ لي على أكْلِ أموالِ النّاسِ بالبَاطِلِ، إنّي أَخَافُ أن يُختَمَ لي على فَاحِشَةٍ من الفَوَاحِشِ، إنّي أَخَافُ أن يُختَمَ لي على كَبِيرَةٍ من الكَبَائِرِ.

قُلْ لَهَا: اِسمَعِي قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قُلْ لَهَا: اِسمَعِي قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾.

هذا اليَومُ يَومُ وَفَاءٍ وإخَاءٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ يَومَ الفِطْرِ بَعدَ أَدَاءِ رُكنٍ عَظِيمٍ من أَركَانِ هذا الدِّينِ هوَ يَومُ وَفَاءٍ، ويَومُ صِدْقٍ، ويَومُ إخَاءٍ، ويَومُ صَفَاءٍ، يَتَلاقَى النّاسُ فِيهِ بِنُفُوسٍ طَيِّبَةٍ فِيما بَينَ بَعضِهِمُ البَعضِ، ويَومُ صَلاحِ ذاتِ البَينِ، ويَومُ صِلَةِ الأرحَامِ، ويَومُ الإحسَانِ إلى الفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِسمَعُوا لِندَاءِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في هذا اليَومِ العَظِيمِ لَعَلَّكُم تَجِدُونَ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي دُنيَاكُم، ويَجزِيكُمُ اللهُ أَجرَكُم بِأَحسَنِ ما كُنتُم تَعمَلُونَ.

روى الشيخان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ».

واسمَعُوا قَولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه الشيخان عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

وقولوا بَعدَ السَّمعِ: سَمِعنَا وأَطَعنَا؛ ولا تَقُولُوا بِلِسَانِ الحَالِ: سَمِعنَا وعَصَينَا، ولا تُوصِدُوا الأَبوَابَ أَمَامَ ما قَدَّمتُمُوهُ من خَيرٍ في شَهرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً، إِلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَينَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

اللَّهُمَّ وَفِّقنَا لِمَحَابِّكَ كُلِّهَا. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٣٩٤ـ خطبة الجمعة: أين حقوق الإخوة بيننا؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، إنّ شَهرَ رَمَضَانَ غَايتُهُ التّقوَى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فاللهَ اللهَ في تَقوَاهُ، واللهَ اللهَ في مُرَاقَبَتِهِ، واللهَ اللهَ في طَاعَتِهِ، واللهَ اللهَ في اجتِنَابِ مَعصِيَتِهِ ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾.

ما أَحوَجَنَا إلى العَودَةِ الصَّحِيحَةِ لِدِينِنَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، ما أَحوَجَ الأُمَّةَ إلى العَودَةِ إلى دِينِهَا ومُرَاقَبَةِ اللهِ عزّ وجلّ في أَقوَالِهَا وأَفعَالِهَا، ما أَحوَجَ الأُمَّةَ إلى العَودَةِ إلى مَعَالِمِ هذا الدِّينِ الذي لَيسَ فِيهِ أَيُّ التِبَاسٍ، فهوَ دِينٌ كَامِلٌ، وشَرعٌ شَامِلٌ، أَتَمَّهُ اللهُ تعالى وأَكمَلَهُ، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾.

الْمُتَمَسِّكُ بهذا الدِّينِ حَازَ على سَعَادَةِ الدُّنيا والآخِرَةِ، ومن حَادَ عَنهُ فقد خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَةَ، وحَصَلَ لَهُ الشَّقَاءُ والاضطِرَابُ والضِّيقُ، لأَنَّهُ لَيسَ على وَجْهِ الأَرضِ دِينٌ حَقٌّ يُتَعَبَّدُ اللهُ بِهِ سِوَى دِينِ الإسلامِ، فهوَ خَاتَمُ الأَديَانِ، وكُلُّ من أَقبَلَ على اللهِ تعالى بِغَيرِهِ بَعدَ بِعثَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَةَ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

رَابِطَةُ الإيمَانِ أَقوَى الرَّوَابِطِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ رَابِطَةَ الإيمَانِ بَينَنَا هيَ أَقوَى الرَّوَابِطِ، فَرَبُّنَا وَاحِدٌ، وقُرآنُنَا وَاحِدٌ، ونَبِيُّنَا وَاحِدٌ، وقِبلَتُنَا وَاحِدَةٌ، هذهِ الرَّابِطَةُ تَتَحَطَّمُ تَحتَهَا شوكَةُ أَهلِ الكُفرِ والعُدوَانِ، تَدَبَّرُوا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ويَقُولُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

أَينَ حُقُوقُ الإخوَةِ بَينَنَا؟

يَا عِبَادَ اللهِ، سَوفَ نُسأَلُ يَومَ القِيَامَةِ عن حُقُوقِ هذهِ الإخوَةِ بَينَنَا، ولقد بَيَّنَ لَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حُقُوقَ هذهِ الإخوَةِ بَينَنَا، من هذهِ الحُقُوقِ:

أولاً: مَا روى الحاكم والإمام أحمد عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ــ شَرِيفُهُم يُقتَلُ بِوَضِيعِهِم ــ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ــ إِذَا أعطَى أحَدُهُم أمَانَاً لأحَدٍ جَازَ ــ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» ــ يَعنِي: ــ هُم يَدٌ وَاحِدة على الكُفَّار ــ.

والالتِزَامُ بهذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ من التَّقوَى.

ثانياً: مَا روى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ــ يمنَعُ تَلفَ مَعَاشِهِ ــ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ» يَعنِي: ــ يَحفَظُهُ ويَصونُهُ ويَذُبُّ عنهُ في غَيبَتِهِ ــ.

والالتِزَامُ بهذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ من التَّقوَى.

ثالثاً: مَا روى الإمام البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ــ يَعنِي: أمانَتُهُ وعَهدُهُ ــ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ» ــ يعني: لا تخُونوا الله، ولا تَنقُضُوا عَهدَهُ، وتَغدِرُوا في حَقِّ هَذا المُسلِم ــ

والالتِزَامُ بهذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ من التَّقوَى.

رابعاً: مَا روى الترمذي عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ، فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ».

والالتِزَامُ بهذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ من التَّقوَى.

خامساً: مَا روى الإمام أحمد وأبو داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً».

والالتِزَامُ بهذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ من التَّقوَى.

سادساً: مَا روى أبو دَاود عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلاً مُسْلِماً ــ يَعنِي: نَسَبَهُ إلى الكُفرِ ــ، فَإِنْ كَانَ كَافِراً، وَإِلَّا كَانَ هُوَ الْكَافِرُ».

والالتِزَامُ بهذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ من التَّقوَى.

سابعاً: مَا روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ».

والالتِزَامُ بهذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ من التَّقوَى.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يا من خَرَجتُم من شَهرِ رَمَضَانَ الذِي غَايَتُهُ التَّقوَى، لِنَتَّقِ اللهَ تعالى في أَنفُسِنَا، ولنتَّقِ اللهَ تعالى في المُؤمِنِينَ، لقد جَمَعَنَا دِينٌ وَاحِدٌ، وكِتَابٌ وَاحِدٌ، ونَبيٌّ وَاحِدٌ، هوَ سَيِّدُ الأَنَامِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، عَدُوُّنَا وَاحِدٌ، هوَ الذي لا عَهْدَ لَهُ ولا أَمَانَةَ، لا يَرعَى فِينَا إِلّاً ولا ذِمَّةً، فهل تَصحُو الأُمَّةُ من غَفلَتِهَا، وخَاصَّةً في بِلادِ الشَّامِ؟ وهل تَعرِفُ عَدُوَّهَا الحَقِيقِيَّ لِتَقِفَ في وَجْهِهِ كالبُنيَانِ المَرصُوصِ؟ وهل نَسِيَتِ الأُمَّةُ الصُّهيُونِيَّةَ العَالَمِيَّةَ، الأُمَّةَ الخَوَّانَةَ؟

يا أَهلَ سُورِيَّا، أُنَاشِدُكُمُ اللهَ تعالى، اِصطَلِحُوا مَعَ اللهِ تعالى واصطَلِحُوا فِيمَا بَينَكُم، وحَكِّمُوا شَرعَ اللهِ فِيكُم، يا أَهلَ حَلَبَ، اِصطَلِحُوا فِيمَا بَينَكُم، وحَكِّمُوا شَرعَ اللهِ فِيكُم، ولا تَنسَوا رَابِطَةَ الإِيمَانِ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

اللَّهُمَّ وَفِّقنَا لذلكَ. آمين.

٣٩٥ـ خطبة الجمعة: إيذاء المؤمن إيذاء لسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، من تَوفِيقِ اللهِ تعالى لِعَبدِهِ وسَعَادَتِهِ كَفُّ الأَذَى عن المُسلِمِينَ، الذي هوَ سَبَبٌ لِدُخُولِهِ الجَنَّةَ، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

ومن شَقَاوَةِ اللهِ تعالى لِعَبدِهِ عَدَمُ مُبَالاتِهِ في إيصَالِ الضَّرَرِ والأَذَى للنَّاسِ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

أَذِيَّةُ غَيرِ المُسلِمِينَ حَرَامٌ، فَكَيفَ بالمُسلِمِينَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ أَذِيَّةَ المُسلِمِينَ بِأَيِّ شَكلٍ من الأَشكَالِ، وبِأَيِّ وَسِيلَةٍ كَانَت حَرَامٌ، وهيَ نَزْغَةٌ من نَزَغَاتِ الشَّيطَانِ، وهيَ دَلِيلٌ على عَدَمِ مُرَاقَبَةِ اللهِ تعالى، وكَيفَ لا يَكُونُ هذا حَرَامَاً، وقد حَرَّمَ عَلَينَا الشَّرعُ الشَّرِيفُ إيذَاءَ غَيرِ المُسلِمِينَ؟

روى أبو داود عن صَفْوَانِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً ـــ لاصِقِي النَّسَبِ ـــ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً، أَوِ انْتَقَصَهُ ـــ أي: نَقَّصَ حَقَّهُ ـــ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أي: مِمَّا لا يَجِبُ عَلَيهِ شَرعَاً ـــ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ ـــ يَعنِي خَصمَهُ ومُحَاجِّهُ ومُغَالِبَهُ ـــ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وروى الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْساً مُعَاهَداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً».

حُرمَةُ المُسلِمِ حُرمَةٌ عَظِيمَةٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الإنسَانُ المُسلِمُ فِي دِينِنَا لَهُ حُرمَةٌ عَظِيمَةٌ فِي كُلِّ شَيءٍ يَتَّصِلُ بِهِ، وفِي كُلِّ أمرٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ، ولَيسَت حُرمَتُهُ مَقصُورَةً على إزهَاقِ رُوحِهِ فَحَسْبُ، فهيَ من أَعظَمِ الحُرَمِ، ومن أَشَدِّ ما وَرَدَ فِيهِ الوَعِيدُ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. لم يَرِدْ فِي القُرآنِ وَعِيدٌ مُغَلَّظٌ شَدِيدٌ مِثلَ ما وَرَدَ فِي قَتْلِ مُؤمِنٍ بِغَيرِ حَقٍّ.

يَا عِبَادَ اللهِ، المُتَأَمِّلُ فِي دِينِ اللهِ عزَّ وجلَّ يَجِدُ الإسلامَ حَذَّرَ كُلَّ التَّحذِيرِ من إيذَاءِ المُسلِمِ ولو فِي أَدنَى شَيءٍ، روى الشيخان عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ». إذا كَانَ مُجَرَّدُ إدخَالِ الحُزنِ على المُسلِمِ بالمُنَاجَاةِ دُونَهُ حَرَامٌ، فَكَيفَ بِسَلْبِ مَالِهِ؟ وكَيفَ بالتَّفريقِ بَينَهُ وبَينَ أَحِبَّتِهِ؟ وكَيفَ بِتَيتِيمِ أَبنَائِهِ وتَرمِيلِ نِسَائِهِ؟

وكَيفَ......وكَيفَ.....؟

إيذَاءُ المُسلِمِ إيذَاءٌ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إيذَاءُ المُسلِمِ بِأَيِّ صُورَةٍ من صُوَرِ الإيذَاءِ جَرِيمَةٌ كُبرَى، فإيذَاؤُهُ إيذَاءٌ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وإيذَاءُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إيذَاءٌ للهِ تعالى، روى الطَّبَرَانِيّ في الأوسَطِ الصَّغِيرِ عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن آذَى مُسلِمَاً فقَد آذَانِي، ومَن آذَانِي فَقَد آذَى اللَه».

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد صَارَت هذهِ الأَزمَةُ مُبَرِّرَاً لِكَثِيرٍ من النَّاسِ لإيذَاءِ المُسلِمِينَ بِصُوَرٍ شَتَّى من الإيذَاءِ، وخَاصَّةً للمُستَضعَفِينَ الذينَ لا يَجِدُونَ لَهُم نَاصِرَاً لَهُم إلا اللهَ تعالى، لِيَسمَعْ أَصحَابُ الإيذَاءِ بِأَيِّ نَوعٍ من أَنوَاعِ الأَذَى حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الطَّبَرَانِيُّ في الأوسَطِ

والصَّغِيرِ عَن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ: اِشتَدَّ غَضَبِي على من ظَلَمَ مَن لا يَجدُ لَهُ نَاصِراً غَيرِي».

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِحذَرُوا إيذَاءَ الْمُسلِمِينَ، لأنَّ أَذِيَّةَ الْمُسلِمِ من أَربَى الرِّبَا عِندَ اللهِ تعالى، روى الإمام أحمد عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» يَعنِي استِطَالَةُ الرَّجُلِ باللِّسَانِ في عِرضِ صَاحِبِهِ.

وفي رِوَايَةِ البَيهَقِيِّ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِأَصحَابِهِ: «أَخبِرُونِي مَا أَربَى الرِّبَا؟».

قَالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: «فَإِنّ أَربَى الرِّبَا عِندَ اللهِ عزِّ وجلّ استِحلَالُ عِرضِ المُسلِمِ» ثمّ قرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

ويَقُولُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: من أَدَّى الأَمَانَةَ، وكَفَّ عن أَعرَاضِ المُسلِمِينَ، فهوَ الرَّجُلُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، أُنَاشِدُكُمُ اللهَ تعالى، ونَحنُ نَعِيشُ هذهِ الأَزمَةَ التي فَضَحَت ضِعَافَ الإِيمَانِ فَآذَوُا المُسلِمِينَ أَشَدَّ أَنوَاعِ الإِيذَاءِ، أُنَاشِدُكُمُ اللهَ تعالى، كُونُوا سَبَبَاً في جَمْعِ كَلِمَةِ المُسلِمِينَ وتَآلُفِهِم، كُونُوا سَبَبَاً في الإِصلاحِ بَينَ أَفرَادِ الأُمَّةِ، ولا تَكُونُوا سَبَبَاً في تَفرِيقِهِم وإفسَادِهِم، فما بالأُمَّةِ اليَومَ من تَمزِيقٍ وتَفرِيقٍ وفَسَادٍ كَافٍ، وَلَيسَتِ الأُمَّةُ اليَومَ بِحَاجَةٍ إلى مَزِيدٍ من الفُرقَةِ، بل حَاجَتُهَا إلى الأُلفَةِ والوَحدَةِ والتَّعَاوُنِ على الخَيرِ ودَفْعِ الشَّرِّ عن هذا البَلَدِ.

اللَّهُمَّ وَحِّدْ كَلِمَتَنَا على الهُدَى والدِّينِ، واقطَعْ دَابِرَ المُفسِدِينَ، ولا تُشمِتْ بِنَا عَدُوَّاً ولا حَاسِدِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللّهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٣٩٥ـ خطبة الجمعة: إيذاء المؤمن إيذاء لسَيِّدِنَا رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللّهِ، من تَوفِيقِ اللّهِ تعالى لِعَبدِهِ وسَعَادَتِهِ كَفُّ الأَذَى عن المُسلِمِينَ، الذي هوَ سَبَبٌ لِدُخُولِهِ الجَنَّةَ، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

ومن شَقَاوَةِ اللّهِ تعالى لِعَبدِهِ عَدَمُ مُبَالاتِهِ في إيصَالِ الضَّرَرِ والأَذَى للنَّاسِ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

أَذِيَّةُ غَيرِ المُسلِمِينَ حَرَامٌ، فَكَيفَ بالمُسلِمِينَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ أَذِيَّةَ المُسلِمِينَ بِأَيِّ شَكلٍ من الأَشكَالِ، وبِأَيِّ وَسِيلَةٍ كَانَت حَرَامٌ، وهيَ نَزْغَةٌ من نَزَغَاتِ الشَّيطَانِ، وهيَ دَلِيلٌ على عَدَمِ مُرَاقَبَةِ اللهِ تعالى، وكَيفَ لا يَكُونُ هذا حَرَامَاً، وقد حَرَّمَ عَلَينَا الشَّرعُ الشَّرِيفُ إيذَاءَ غَيرِ المُسلِمِينَ؟

روى أبو داود عن صَفْوَانِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً ـــ لاصِقِي النَّسَبِ ـــ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً، أَوِ انْتَقَصَهُ ـــ أي: نَقَّصَ حَقَّهُ ـــ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أي: مِمَّا لا يَجِبُ عَلَيهِ شَرعَاً ـــ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ ـــ يَعنِي خَصمَهُ ومُحَاجَّهُ ومُغَالِبَهُ ـــ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وروى الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهُما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفساً مُعَاهَداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً».

حُرمَةُ المُسلِمِ حُرمَةٌ عَظِيمَةٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الإنسَانُ المُسلِمُ في دِينِنَا لَهُ حُرمَةٌ عَظِيمَةٌ في كُلِّ شَيءٍ يَتَّصِلُ بِهِ، وفي كُلِّ أمرٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ، ولَيسَت حُرمَتُهُ مَقصُورَةً على إزهَاقِ رُوحِهِ فَحَسْبُ، فهيَ من أَعظَمِ الحُرَمِ، ومن أَشَدِّ ما وَرَدَ فِيهِ الوَعِيدُ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. لم يَرِدْ في القُرآنِ وَعِيدٌ مُغَلَّظٌ شَدِيدٌ مِثلَ ما وَرَدَ في قَتْلِ مُؤمِنٍ بِغَيرِ حَقٍّ.

يَا عِبَادَ اللهِ، المُتَأَمِّلُ فِي دِينِ اللهِ عزَّ وجلّ يَجِدُ الإسلامَ حَذَّرَ كُلَّ التَّحذِيرِ من إيذَاءِ المُسلِمِ ولو فِي أَدنَى شَيءٍ، روى الشيخان عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ». إذا كَانَ مُجَرَّدُ إدخَالِ الحُزنِ على المُسلِمِ بالمُنَاجَاةِ دُونَهُ حَرَامٌ، فَكَيفَ بِسَلْبِ مَالِهِ؟ وكَيفَ بالتَّفريقِ بَينَهُ وبَينَ أَحِبَّتِهِ؟ وكَيفَ بِتَيتِيمِ أَبنَائِهِ وتَرمِيلِ نِسَائِهِ؟
وكَيفَ......وكَيفَ.....؟

إيذَاءُ المُسلِمِ إيذَاءٌ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إيذَاءُ المُسلِمِ بِأَيِّ صُورَةٍ من صُوَرِ الإيذَاءِ جَرِيمَةٌ كُبرَى، فإيذَاؤُهُ إيذَاءٌ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وإيذَاءُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إيذَاءٌ للهِ تعالى، روى الطَّبَرَانِيّ فِي الأوسَطِ الصَّغِيرِ عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن آذَى مُسلِماً فقَد آذَانِي، ومَن آذَانِي فقَد آذَى اللَّه».

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد صَارَت هذهِ الأَزمَةُ مُبَرِّراً لِكَثِيرٍ من النَّاسِ لإيذَاءِ المُسلِمِينَ بِصُوَرٍ شَتَّى من الإيذَاءِ، وخَاصَّةً للمُستَضعَفِينَ الذينَ لا يَجِدُونَ لَهُم نَاصِراً لَهُم إلا اللهَ تعالى، لِيَسمَعْ أَصحَابُ الإيذَاءِ بِأَيِّ نَوعٍ من أَنوَاعِ الأَذَى حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الطَّبَرَانِيُّ فِي الأوسَطِ والصَّغِيرِ عَن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ

وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ: اِشتَدَّ غَضَبِي على من ظَلَمَ مَن لا يَجِدُ لَهُ نَاصِرَاً غَيرِي».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِحذَرُوا إيذَاءَ المُسلِمِينَ، لأنَّ أَذِيَّةَ المُسلِمِ من أَربَى الرِّبَا عِندَ اللهِ تعالى، روى الإمام أحمد عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» يَعنِي استِطَالَةُ الرَّجُلِ باللِّسَانِ في عِرضِ صَاحِبِهِ.

وفي رِوَايَةِ البَيهَقِيِّ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِأَصحَابِهِ: «أَخبِرُونِي مَا أَربَى الرِّبَا؟».

قَالُوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعلَمُ.

قَالَ: «فَإِنَّ أَربَى الرِّبَا عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ استِحلَالُ عِرضِ المُسلِمِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾.

ويَقُولُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ: من أَدَّى الأَمَانَةَ، وكَفَّ عن أَعرَاضِ المُسلِمِينَ، فهوَ الرَّجُلُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، أُنَاشِدُكُمُ اللهَ تعالى، ونَحنُ نَعِيشُ هذهِ الأَزمَةَ التِي فَضَحَت ضِعَافَ الإيمَانِ فَآذَوُا المُسلِمِينَ أَشَدَّ أَنواعِ الإيذَاءِ، أُنَاشِدُكُمُ اللهَ تعالى، كُونُوا سَبَبَاً في جَمْعِ كَلِمَةِ المُسلِمِينَ وتَآلُفِهِم، كُونُوا سَبَبَاً في الإصلاحِ بَينَ أَفرَادِ الأُمَّةِ، ولا

تَكُونُوا سَبَبَاً فِي تَفرِيقِهِم وإفسَادِهِم، فما بالأُمَّةِ اليَومَ من تَمزِيقٍ وتَفرِيقٍ وفَسَادٍ كَافٍ، ولَيسَتِ الأُمَّةُ اليومَ بِحَاجَةٍ إلى مَزِيدٍ من الفُرقَةِ، بل حَاجَتُهَا إلى الأُلفَةِ والوَحدَةِ والتَّعَاوُنِ على الخَيرِ ودَفْعِ الشَّرِّ عن هذا البَلَدِ.

اللَّهُمَّ وَحِّدْ كَلِمَتَنَا على الهُدَى والدِّينِ، واقطَعْ دَابِرَ المُفسِدِينَ، ولا تُشمِتْ بِنَا عَدُوَّاً ولا حَاسِدِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٣٩٦ـ خطبة الجمعة: لا تصدق كل دَعِيٍّ

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، لا عُذْرَ لِمُسلِمٍ مَهمَا كَانَ، أن يُؤذِيَ مُسلِمَاً بِغَيرِ حَقٍّ، كما قَرَّرَ دِينُنَا الحَنِيفُ وشَرعُنَا القَويمُ، فلا عُذْرَ لِمُسلِمٍ أن يُرَوِّعَ مُسلِمَاً، فَضْلاً عن أن يَسْلِبَ مَالَهُ، أو يَسْفِكَ دَمَهُ.

لقد حَرَّمَ الإسلامُ إيذَاءَ النَّاسِ بغَيرِ حَقٍّ في دِمَائِهِم وأَعرَاضِهِم وأَموَالِهِم وأَنفُسِهِم، كما حَرَّمَ إيذَاءَ النَّاسِ بتَروِيعِهِم بالسِّلاحِ وغَيرِهِ، يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِن النَّارِ» رواه الشيخان عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

لقد حَرَّمَ الإسلامُ إيذَاءَ النَّاسِ بِغَيرِ حَقٍّ بِأَيِّ صُورَةٍ من صُوَرِ الإيذَاءِ المَادِّيِّ والمَعنَوِيِّ، كالقَتْلِ، والجَرْحِ، والسَّرِقَةِ، والنَّهْبِ، والإتلافِ، وقَذْفِ الأعرَاضِ، والوِشَايَةِ، وإِشَاعَةِ الفِتنَةِ، وإِسَاءَةِ الظَّنِّ.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَجِبُ على المُسلِمِ أن يُسَخِّرَ جَمِيعَ حَوَاسِّهِ في عَمَلِ الخَيرِ، وخَاصَّةً جَارِحَةَ اللِّسَانِ، حتَّى لا تَشهَدَ عَلَيهِ يَومَ القِيَامَةِ بما اقترَفَ من آثَامٍ وأَذِيَّةٍ للنَّاسِ، لِقَولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ولِقَولِهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

الشَّائِعَاتُ من أَخطَرِ الحُرُوبِ المَعنَوِيَّةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ الشَّائِعَاتِ في العَصْرِ الحَدِيثِ من أَخطَرِ الحُرُوبِ المَعنَوِيَّةِ، وهيَ أَشَدُّ الأسلِحَةِ تَدمِيرَاً، وأَعظَمُهَا وَقْعَاً وتَأثِيرَاً على نُفُوسِ النَّاسِ، وهيَ المِعوَلُ الهَدَّامُ لِمَعنَوِيَّاتِ النَّاسِ، لذلكَ حَذَّرَ الإسلامُ من تَروِيجِ الشَّائِعَاتِ التي تُؤَثِّرُ تَأثِيرَاً سَلْبِيَّاً في نُفُوسِ النَّاسِ، وحَثَّ على التَّثَبُّتِ والتَّبَيُّنِ في نَقْلِ الأَخبَارِ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. وأَخبَرَ تَبَارَكَ وتعالى أنَّ الإنسَانَ مَسؤُولٌ ومُحَاسَبٌ على كُلِّ كَلِمَةٍ يَقُولُهَا، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

لا تُصَدِّقْ كُلَّ دَعِيٍّ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد حَذَّرَنَا الإسلامُ من أن نُطلِقَ العِنَانَ لألسِنَتِنَا، وأن نَنسَاقَ خَلفَ كُلِّ نَاعِقٍ، وأن نُصَدِّقَ كُلَّ دَعِيٍّ، لما رواه الإمام مسلم عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». وفي رِوَايَةِ الحاكم وأبي داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد سَدَّ الإسلامُ البَابَ أَمَامَ أَصحَابِ الشَّائِعَاتِ الْمُغرِضِينَ والْمُتَرَبِّصِينَ، ومَنَعَ من تَروِيجِ الشَّائِعَاتِ التِي تُؤَثِّرُ تَأثِيراً سَلْبِيّاً فِي نُفُوسِ الْمُسلِمِينَ، وحَذَّرَ أَتبَاعَهُ من التَّبرِيرِ بِقَولِهِم: هكذا قَالُوا؛ وهكذا سَمِعنَا؛ وذلكَ بِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا» رواه الإمام أحمد وأبو داود عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

«أَمسِكْ عَلَيكَ لِسَانَكَ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ الشَّائِعَاتِ آفَةٌ خَطِيرَةٌ تُزَعزِعُ النُّفُوسَ، وتَنشُرُ القَلَقَ والاضطِرَابَ، ورُبَّمَا أن تُؤَدِّي إلى إزهَاقِ أروَاحِ الْمَرضَى والشُّيُوخِ الكِبَارِ، أو أن تُسَبِّبَ أمرَاضَاً مُزمِنَةً فِي نُفُوسِ النَّاسِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَقُولُ لِنَفسِي ولِكُلِّ وَاحِدٍ فِينَا حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الترمذي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا النَّجَاةُ؟

قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ».

وحَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».

وحَدِيث سَيِّدِنَا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ».

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، ما وَقَعَ فِي الأُمَّةِ من أَذىً يَكفِيهَا، فقد أُوذِيَتِ الأُمَّةُ فِي دِمَائِهَا وأَموَالِهَا وأَعرَاضِهَا، فلا تَزِيدُوا الإيذَاءَ إيذَاءً بِنَقْلِ الشَّائِعَاتِ، لا تُحَدِّثُوا بِكُلِّ ما تَسمَعُونَ مِمَّا يَضِيقُ لَهُ الصَّدْرُ، ويُحزِنُ القَلبَ؛ وإذا رَأَيتُمُ الرَّجُلَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ شَائِعَةٍ وبِكُلِّ خَبَرٍ فاعلَمُوا أَنَّهُ كَذُوبٌ، وفَتَّانٌ، ودَجَّالٌ، بِشَهَادَةِ سَيِّدِنَا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَولِهِ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

اللَّهُمَّ أَصلِحْ لَنَا دِينَنَا الذي هوَ عِصمَةُ أَمرِنَا، وأَصلِحْ لَنَا دُنيَانَا التِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وأَصلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا التِي إِلَيهَا مَعَادُنَا، وَوَفِّقنَا لِكَفِّ الأَذَى عن النَّاسِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٣٩٧ـ خطبة الجمعة: فكيف بإيذاء الأبوين؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، إنّ من أَشَدِّ الأُمُورِ حُرمَةً، وأَسرَعِهَا عُقُوبَةً، وأَعجَلِهَا مَقْتَاً عِندَ اللهِ تعالى، وعِندَ المُؤمِنينَ، إيذَاءَ النَّاسِ بغَيرِ حَقٍّ، والمُؤذِي للنَّاسِ بغَيرِ حَقٍّ حِيلَ بَينَهُ وبَينَ قَلبِهِ، حتَّى صَارَ كالحِجَارَةِ أو أَشَدَّ قَسْوَةً، وهذا هوَ الدَّاءُ الخَطِيرُ، والشَّرُّ المُستَطِيرُ، الذي انتَشَرَ بَينَ النَّاسِ انتِشَاراً يُنذِرُ بالخَطَرِ، وبانتِقَامِ اللهِ الجَبَّارِ جَلَّ جَلالُهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الإيذَاءُ للنَّاسِ بِغَيرِ حَقٍّ يُخرِّبُ الدِّيَارَ، ويُزِيلُ الأَمصَارَ، ويُقَلِّلُ البَرَكَةَ، ويَحجُبُ الدُّعَاءَ، والمُؤذِي في ظُلُمَاتٍ دُنيَوِيَّةٍ وأُخرَوِيَّةٍ، وكَيفَ يُقَدِّسُ اللهُ تعالى أُمَّةً لا تَأخُذُ على يَدِ المُؤذِي.

روى ابنُ مَاجَه عَنْ جَابرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ ــ الحَبَشَةِ ــ قَالَ: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟».

قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ؛ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا.

فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَداً.

قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟!».

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا كَانَ هذا الإِيذَاءُ من رَجُلٍ أَجنَبِيٍّ لامرَأَةٍ عَجُوزٍ، يَقُولُ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟!».

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد تَفَشَّى الإِيذَاءُ في مُجتَمَعِنَا، لَيسَ على مُستَوَى الأُمَّةِ والجَمَاعَاتِ والأَفرَادِ فَحَسْبُ، بل وَصَلَ الإِيذَاءُ إلى الأَقَارِبِ والأَرحَامِ، بل إلى من كَانَ سَبَبَاً في وُجُودِنَا، ألا وهُمَا الأَبَوَانِ.

«إلا عُقُوقَ الوَالِدَينِ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد حَذَّرَ الإسلامُ من إيذَاءِ المُؤمِنينَ والمُؤمِنَاتِ بِغَيرِ حَقٍّ، فقالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾. فَكَيفَ إذا كَانَ هذا الإِيذَاءُ للأَبَوَينِ المُؤمِنَينِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، لِيَسمَعْ كُلُّ من آذى أَبَوَيهِ، وَوَقَعَ في عُقُوقِهِمَا، حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الحاكم عن أَبي بَكرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

يَقُولُ: «كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ ما شَاءَ مِنهَا إلى يَومِ القِيَامَةِ، إلا عُقُوقَ الوَالِدَينِ، فإنّ اللهَ تعالى يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ في الحَيَاةِ قَبلَ المَمَاتِ».

وما أَرَى هذا البَلاءَ الذي يُصَبُّ على الأُمَّةِ إلا بِأَسبَابِ ما اقتَرَفْنَاهُ بِأَيدِينَا، والتي من جُملَتِهَا إيذَاءُ الأَبوَينِ وعُقُوقُهُمَا.

يَا عِبَادَ اللهِ، إيذَاءُ الأَبَوَينِ وعُقُوقُهُمَا صَارَ أَمراً جَلِيّاً وَاضِحَاً في مُجتَمَعِنَا، وخَاصَّةً في هذهِ الأزمَةِ التي كَشَفَت طِبَاعَ كَثِيرٍ من الأَبنَاءِ، ولن أَكُونَ مُبَالِغَاً إذا قُلتُ بأنّ أَكثَرَ بُيُوتِ المُسلِمِينَ اليَومَ العُقُوقُ للأَبَوينِ فِيهَا قَائِمٌ على قَدَمٍ وسَاقٍ.

كَلِمَةُ أُفٍّ وما فَوقَهَا قد صَدَرَتْ من أَفوَاهِ الكَثِيرِ من الأَبنَاءِ والبَنَاتِ، وهذا من الإيذَاءِ لَهُمَا.

التَّضَجُّرُ من الوَالِدَينِ حَدِّثْ عَنهُ بِدُونِ حَرَجٍ، وهذا من الإيذَاءِ لَهُمَا.

العُبُوسُ في وَجْهِ الوَالِدَينِ حَدِّثْ عَنهُ بِدُونِ حَرَجٍ، وهذا من الإيذَاءِ لَهُمَا.

أمَّا في مَجَالِ ضَرْبِ الأَبَوَينِ فقد ضَرَبَ البَعضُ آباءَهُم وأُمَّهَاتِهِم، والبَعضُ الآخَرُ طَرَدَ أَبَوَيهِ من بَيتِهِ، وخَاصَّةً في هذهِ الأَزمَةِ.

أمَّا الشُّحُّ على الأَبَوَينِ فَحَدِّثْ عَنهُ بِدُونِ حَرَجٍ، وكُلُّ هذا من الإيذَاءِ لَهُمَا.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا كَانَ من آذَى ذِمِّيَاً، فَخَصْمُهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَكَيفَ إذا كَانَ الإيذَاءُ للأَبَوَينِ؟

<u>الملائِكَةُ لا تَنزِلُ على قَومٍ فِيهِم قَاطِعٌ للرَّحِمِ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، كُلُّنَا يَعلَمُ بأنّ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ كَبِيرَةٌ من الكَبَائِرِ، قال تعالى فِيهَا: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا؟﴾.

إذا كَانَ هذا في حَقِّ قَاطِعِ الرَّحِمِ، والذي قَالَ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إنّ الرَّحْمَةَ ــ وفي رِوَايَةٍ: إنّ المَلائِكَةَ ــ لا تَنزِلُ على قَومٍ فِيهِم قَاطِعُ رَحِمٍ» رواه الإمام البخاري في الأَدَبِ المُفرَدِ عن عَبدِ اللهِ بنِ أَبِي أَوفَى رَضِيَ اللهُ عنهُ.

إذا كَانَ قَاطِعُ الرَّحِمِ لا يُرحَمُ، ولا تَنزِلُ عَلَيهِ مَلائِكَةُ الرَّحمَةِ، فَكَيفَ يَتَصَوَّرُ العَاقُّ لِوَالِدَيهِ والمُؤذِي لَهُمَا أن يَعِيشَ حَيَاةً طَيِّبَةً لا شَقَاءَ فِيهَا ولا ضَنكَ؟

خاتِمَةٌ ــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا للعَاقِّ لِوَالِدَيهِ والمُؤذِي لَهُمَا:

تَطلُبُ جَنَّةَ اللهِ تعالى، وتَنسَى قَولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ» رواه ابن ماجه عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

تَطلُبُ جَنَّةَ اللهِ تعالى، وتَنسَى قَولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ، أَو احْفَظْهُ» رواه الترمذي عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

تَطلُبُ جَنَّةَ اللهِ تعالى، وتَنسَى قَولَهُ تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

وهل نَسِيتَ أَيَّامَ ضَعْفِكَ عِندَمَا كُنتَ صَغِيرًا؟ وهل تَتَنَاسَى المَرحَلَةَ التي تَنتَظِرُكَ آخِرَ عُمُرِكَ، ألا وهيَ الضَّعفُ الثّانِي، فلا تَغتَرَّ بِقُوَّتِكَ، فمن المُحَالِ دَوَامُ الحَالِ.

يا أَيُّهَا العَاقُّ لِوَالِدَيهِ، فِرَّ من العُقُوقِ إلى بِرِّ الوَالِدَينِ، حتَّى لا تَندَمَ، وإلا فَأَنتَ نَادِمٌ في الدُّنيَا قَبلَ الآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ اجعَلنَا بَرَرَةً بآبَائِنَا وأُمَّهَاتِنَا. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٣٩٨ـ خطبة الجمعة: بر الوالدة من أعظم القربات

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ، ما أَعظَمَ هذا الدِّينَ، وما أَجمَلَ ما فِيهِ من تَشرِيعٍ وأَحكَامٍ، ولا عَجَبَ في ذلكَ ولا غَرَابَةَ، فإنَّهُ من اللَّطِيفِ الخَبِيرِ، فلقد جَعَلَ هذا الدِّينُ الحَنِيفُ للوَالِدَينِ مَكَانَةً عَظِيمَةً كَرِيمَةً، إذ جَعَلَ حَقَّهُمَا بَعدَ حَقِّ اللهِ تعالى، فقال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد بَيَّنَ لَنَا رَبُّنا عزَّ وجلَّ كَيفَ نَتَعَامَلُ مَعَ أَقرَبِ النَّاسِ إِلَينا، مَعَ من كَانَا سَبَبَاً في وُجُودِنَا في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، فَحَذَّرَنَا من قَولِ كَلِمَةِ أُفٍّ لَهُمَا، وأَمَرَنَا أن نَقُولَ لَهُمَا قَولاً مَعرُوفَاً يُدخِلُ السُّرُورَ إلى قَلبَيهِمَا.

فَضْلاً عن تَقبيلِ رَأسَيْهِمَا وأَيدِيَهُمَا وأَرجُلِهِمَا، وقَضَاءِ حَوَائِجِهِمَا؛ يَقُولُ سَيِّدُنَا أَبُو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ: لا تَمشِ بَينَ يَدَيْ أَبِيكَ، ولكنِ امشِ خَلفَهُ أو إلى جَنبِهِ، ولا تَدَعْ أَحَدَاً يَحُولُ بَينَكَ وبَينَهُ، ولا تَمشِ فَوقَ إِجَّارٍ ــ أي: فَوقَ سَطْحٍ ــ أَبُوكَ تَحتَهُ، ولا تَأْكُلْ عِرقَاً ــ عَظمٌ فِيهِ لَحْمٌ ــ قد نَظَرَ أَبُوكَ إِلَيهِ، لَعَلَّهُ قد اشتَهَاهُ. رواه الطَّبَرَانِيُّ في الأَوسَطِ.

الإحسَانُ إلى الوَالِدَينِ مَعَ كُفْرِهِمَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، لو قَرَأنَا القُرآنَ العَظِيمَ بِتَدَبُّرٍ لَهَالَنَا ما نَجِدُ فِيهِ من التَّأكِيدِ على البِرِّ والإحسَانِ للوَالِدَينِ، لقد أَمَرَ اللهُ تعالى بالإحسَانِ إِلَيهِمَا ولو مَعَ كُفْرِهِمَا، على أن لا نُطِيعَهُمَا في مَعصِيَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، كَيفَ لا يَكُونُ الأمرُ كذلكَ، واللهُ تعالى يَقُولُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾. ويَقُولُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؟

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن أَولَى النَّاسِ بالمَعرُوفِ والإحسَانِ من الوَالِدَينِ؟ مَن أَولَى النَّاسِ بالبرِّ والطَّاعَةِ في غَيرِ مَعصِيَةٍ من الوَالِدَينِ؟ بل مَن أَولَى النَّاسِ بِحُسْنِ الخُلُقِ من الأَبَوَينِ، وخَاصَّةً بالنِّسبَةِ للأُمِّ؟ مَن أَولَى النَّاسِ بِخَفْضِ الجَنَاحِ من هذهِ الأُمِّ الضَّعِيفَةِ في خَلْقِهَا، القَوِيَّةِ في تَحَمُّلِهَا، التي ذَاقَتْ أَنواعَ الآلامِ مُدَّةَ حَمْلِهَا، وقَاسَتْ من الشَّدَائِدِ ما لا يَعلَمُهُ إلا اللهُ تعالى سَاعَةَ الوَضْعِ، ثُمَّ عَانَتْ الذي عَانَتْهُ بالإرضَاعِ لِمُدَّةِ حَولَينِ كَامِلَينِ، والتي أَزَالَتْ الأذَى والأوسَاخَ عن وَلِيدِهَا بلا مَلَلٍ ولا ضَجَرٍ؟

برُّ الوَالِدَةِ من أَعظَمِ القُرُبَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أُخَاطِبُ الأَبنَاءَ ــ وكُلُّنَا أَبنَاءٌ ــ وخَاصَّةً في هذهِ الأَزمَةِ التي فَضَحَت كَثِيراً من الأَبنَاءِ، وكَشَفَتْ عن طَبَائِعِهِم الكَامِنَةِ فِيهِم، حَيثُ قَابَلَ الكَثِيرُ مِنهُمُ الإحسَانَ بالإسَاءَةِ، واللُّطفَ بالفَظَاظَةِ والغَلاظَةِ، وحُسْنَ الخُلُقِ بِسُوءِ الأَدَبِ، وأَقُولُ لِنَفسِي أولاً، ولَهُم ثَانِياً:

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟

قَالَ: «أُمُّكَ».

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ».

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ».

قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ».

يَا عِبَادَ اللهِ، هل تَعلَمُونَ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؟

أخرَجَ الإمام البخاري في الأَدَبِ المُفرَدِ عن عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي خَطَبتُ امرَأَةً، فَأَبَت أن تَنكِحَنِي، وخَطَبَهَا غَيرِي، فَأَحَبَّت أن تَنكِحَهُ، فَغِرتُ عَلَيهَا فَقَتَلتُهَا، فَهَل لِي من تَوبَةٍ؟

قَالَ: أُمِّكَ حَيَّةٌ؟

قَالَ: لا.

قَالَ: تُبْ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وتَقَرَّبْ إِلَيهِ ما استَطَعتَ.

فَذَهَبتُ فَسَأَلتُ ابنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عن حَيَاةِ أُمِّهِ؟

فَقَالَ: إِنِّي لا أَعلَمُ عَمَلاً أَقرَبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من برِّ الوَالِدَةِ.

فيا من وَقَعَ في الكَبَائِرِ إذا أَرَدتَ أن يَغفِرَ اللهُ تعالى لَكَ تِلكَ الكَبَائِرَ، اِستَغفِرِ اللهَ عزَّ وجلَّ، وأَعِدِ الحُقُوقَ إلى أَصحَابِهَا، والزَمْ برَّ وَالِدَيكَ، وخاصَّةً أُمَّكَ، فَإِنَّكَ بذلكَ تَتَقَرَّبُ إلى اللهِ تعالى.

<u>خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، المَحرُومُ من حُرِمَ حُسْنَ الخَاتِمَةِ، المَحرُومُ من مَاتَ على عُقُوقٍ لِوَالِدَيهِ، لَيسَ العَيبُ أن نُخطِئَ، ولكنَّ العَيبَ أن نَستَمِرَّ في الخَطَأِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا للعَاقِّ لِوَالِدَيهِ: هل تُرِيدُ أن تَمُوتَ على خَيرٍ أم على شَرٍّ؟ وهل تَرَى العَاقَّ الذي مَاتَ على عُقُوقٍ مَاتَ على خَيرٍ؟

قُولُوا للعَاقِّ: لا تَغتَرَّ بِحِلْمِ اللهِ تعالى عَلَيكَ، فَإِنَّكَ مَجزِيٌّ على عُقُوقِكَ في الدُّنيَا قَبلَ الآخِرَةِ، عَرَفَ هذا من عَرَفَ، وجَهِلَ هذا من جَهِلَ.

أَسأَلُ اللهَ تعالى أن يُوَفِّقَنَا لِبرِّ الوَالِدَينِ في سَائِرِ أَحوَالِنَا. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**　　**　　**

٣٩٩ـ خطبة الجمعة: نتائج العقوق

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبادَ اللهِ، إنّ مِمّا لا شَكّ فِيهِ بأنّ الوَالِدَينِ يَندَفِعَانِ نَحْوَ الأَبنَاءِ بالفِطرَةِ التي فَطَرَهُمُ اللهُ تعالى عَلَيهَا، لذلكَ تَرَاهُم يُضَحُّونَ بكُلِّ شَيءٍ حتّى بِذَوَاتِهِم، فَيمتَصُّهُمُ الأَبنَاءُ كَمَا تَمتَصُّ النّبتَةُ الخَضرَاءُ كُلّ غِذَاءٍ في الحَبّةِ فإذا هيَ فُتَاتٌ، وكَمَا يَمتَصُّ الفَرخُ كُلّ غِذَاءٍ في البَيضَةِ حتّى تُصبحَ قِشرَةً، والأَبَوَانِ سَعِيدَانِ عِندَمَا وَصَلَا إلى سِنِّ الشّيخُوخَةِ الفَانِيَةِ.

ولكنْ كَثِيرٌ من الأَبنَاءِ من نَسيَ الإحسَانَ والحَنَانَ، وانجَرَفَ في تَيّارِ الجُحُودِ والعُقُوقِ والعِصيَانِ، وأسَاءَ إلى الوَالِدَينِ بلا أَدنَى شَفَقَةٍ أو رَحمَةٍ أو إحسَانٍ، ويَبلُغُ الجُحُودُ والعُقُوقُ مُنتَهَاهُ حِينَمَا يَضرِبُ الوَلَدُ أَبَوَيهِ، بَعدَ أن قَالَ لَهُمَا الكَلِمَةَ التي حَذّرَ اللهُ مِنهَا: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

يَا عِبادَ اللهِ، لقد حَذّرَنَا اللهُ من كَلِمَةِ أُفٍّ أن نَقُولَهَا لآبَائِنَا وأُمّهَاتِنَا، وأَمَرَنَا بالذُّلِّ بَينَ أَيدِيهِم، ثمّ أَمَرَنَا بالدُّعَاءِ لَهُمَا، فَأَينَ نَحنُ من هذا؟

نَتَائِجُ العُقُوقِ:

يَا عِبادَ اللهِ، اِعلَمُوا بأَنّ نَتَائِجَ العُقُوقِ وَخِيمَةٌ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، ومن هذهِ النّتَائِجِ الوَخِيمَةِ.

أولاً: العَاقٌّ أَتَى بِكَبِيرَةٍ من الكَبَائِر:

يَا عِبَادَ اللهِ، العَاقٌّ أَتَى بِأَكبَرِ الكَبَائِرِ بَعدَ الشِّركِ باللهِ تعالى، روى الإمام البخاري عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ــ ثَلَاثاً ــ».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «الْإِشْرَاكُ باللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ــ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئاً، فَقَالَ: ــ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ».

قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ.

وروى الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عنهُما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟

قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ». فلا تَكُنْ عَاقّاً، ولا تَكُنْ سَبَباً لِشَتْمِ وَالِدَيكَ.

ثانياً: العَاقٌّ مَحرُومٌ من دُخُولِ الجَنَّةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، العَاقٌّ مَحرُومٌ من دُخُولِ الجَنَّةِ، ومَطرُودٌ من رَحمَةِ اللهِ تعالى التي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ، روى الإمام أحمد عن عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قالَ: «ثَلَاثةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بالرِّجَالِ، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى».

وروى الحاكم في تاريخه عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ عَلِمَ اللهُ شَيْئاً أَدْنَى مِنْ أُفٍّ لَنَهَى عَنْهُ، فَلْيَعْمَل الْعَاقُّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلْيَعْمَل الْبَارُّ مَا شَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ».

ثالثاً: العَاقُّ لِوَالِدَيهِ لن يَنفَعَهُ عَمَلٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ، العَاقُّ لِوَالِدَيهِ لن يَنفَعَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، ولن يَقبَلُ اللهُ تعالى مِنهُ فَرضَاً ولا نَفلاً، روى ابنُ أَبي عَاصِمٍ في كِتَابِ السُّنَّةِ بِإِسنَادٍ حَسَنٍ عن أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلاثَةٌ لا يَقبَلُ اللهُ عزَّ وجلّ مِنهُم صَرْفَاً ولا عَدْلَاً، عَاقٌّ، ولا مَنّانٌ، ومُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ».

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، العُقُوقُ دَينٌ لا بُدَّ من قَضَائِهِ في الدُّنيَا قَبلَ الآخِرَةِ، فَكَمَا يَدِينُ الإنسَانُ يُدَانُ، فمن بَذَلَ البِرَّ لِوَالِدَيهِ سَخَّرَ اللهُ تعالى لَهُ أَبنَاءَ بَرَرَةً، ومن عَقَّ وَالِدَيهِ سَلَّطَ اللهُ تعالى عَلَيهِ أَبنَاءَ عَاقِّينَ.

العَاقُّ سَوفَ يَجني ثَمَرَةَ عُقُوقِهِ فِي الدُّنيَا قَبلَ الآخِرَةِ، روى الحاكم عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وبَابَانِ مُعَجَّلانِ عُقُوبَتَهُمَا فِي الدُّنيَا، البَغيُ والعُقُوقُ».

يَا عِبَادَ اللهِ، هل نُسرِعُ جَمِيعَاً بَعدَ الانتِهَاءِ من صَلاةِ الجُمُعَةِ إلى آبائِنَا وأُمَّهَاتِنَا لِنُقَبِّلَ أَرجُلَهُمَا بَعدَ أَيدِيهِمَا، ونَطلُبَ مِنهُمَا الدُّعَاءَ، ونَطلُبَ مِنهُمَا الاستِغفَارَ لَنَا على عُقُوقِنَا، ونَقُولَ لَهُمَا كَمَا قَالَ إخوَةُ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلامُ لأَبِيهِم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَرجُو اللهَ تعالى أن لا نُبعَدَ عن رَحمَةِ اللهِ تعالى بِسَبَبِ عُقُوقِنَا لآبَائِنَا وأُمَّهَاتِنَا، روى البيهقي عن كَعبِ بنِ عُجرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إنَّ جِبرِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ عَرَضَ لِي فقَالَ: بَعُدَ من أَدرَكَ وَالِدَيهِ الكِبَرُ عِندَهُ أو أَحَدَهُمَا، فَلَم يُدخِلَاهُ الجَنَّةَ، فَقُلتُ: آمِينَ».

ومن كَانَ أَبَوَاهُ مَيْتَينِ فَلْيُكثِرْ من الدُّعَاءِ لَهُمَا، والاستِغفَارِ والصَّدَقَةِ، وأن يَصِلَ رَحِمَهُ.

اللَّهُمَّ وَفِّقنَا لذلكَ يا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤٠٠ـ خطبة الجمعة: ثمرات بر الوالدين

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، لقد ضَاقَ الخِنَاقُ عَلَينَا في هذهِ الأَزمَةِ، فما من أَحَدٍ إلا وَيَشكُو إلى اللهِ تعالى من شِدَّةِ هذهِ الأَزمَةِ على القُلُوبِ، هَمٌّ وغَمٌّ وكَربٌ عَظِيمٌ، الكُلُّ يَتَطَلَّعُ إلى تَفرِيجِ الكَربِ، الكُلُّ يَتَسَاءَلُ مَتَى الفَرَجُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِكُلِّ من ضَاقَ صَدْرُهُ، وضَاقَت عَلَيهِ الأَرضُ بِمَا رَحُبَت: هل تُرِيدُ أن تَكُونَ مُجَابَ الدَّعوَةِ؟ هل تُرِيدُ أن يُفَرِّجَ اللهُ عزَّ وجلَّ عَنكَ هُمُومَكَ وأَحزَانَكَ، ويُخرِجَكَ من الهَمِّ والكَربِ العَظِيمِ؟ هل تُرِيدُ سَعَادَةَ الدُّنيَا والآخِرَةِ والحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ؟ هل تُرِيدُ أن تَكُونَ مُسَدَّدًا ومُوَفَّقًا ومَحفُوظًا من كُلِّ مَكرُوهٍ؟ إذا أَرَدتَ كُلَّ هذا فَكُنْ بَارًّا بِوَالِدَيكَ، مَعَ الإخلاصِ للهِ تعالى في بِرِّكَ لَهُمَا.

برُّ الوَالِدَينِ سَبَبٌ لإجَابَةِ الدَّعوَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَتُرِيدُونَ دَلِيلاً على أنَّ بِرِّ الوَالِدَينِ سَبَبٌ لاستِجَابَةِ الدُّعَاءِ؟ فاسمَعُوا إلى الحَدِيثِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي؛ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

<u>بِرُّ الوَالِدَينِ سَبَبٌ لِتَفرِيجِ الهُمُومِ والغُمُومِ والكُرُوبِ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، أَتُرِيدُونَ دَلِيلاً على أنَّ بِرَّ الوَالِدَينِ سَبَبٌ لِتَفرِيجِ الهُمُومِ والغُمُومِ والكُرُوبِ؟ فاسْمَعُوا إلى الحَدِيثِ الذي رواه الإمام البخاري عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ.

فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً ــ أي: لا أُقَدِّمُ عَلَيْهِمَا أَحَداً فِي شُرْبِ نَصِيبِهِمَا عِشَاءً مِن اللَّبَنِ ــ فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْماً، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا، حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا؛ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً».

بِرُّ الوَالِدَينِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَتُرِيدُونَ دَلِيلاً على أنَّ بِرَّ الوَالِدَينِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ؟ فاسمَعُوا إلى الحَدِيثِ الذي رواه الحاكم والإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلكُمُ الْبِرُّ، كَذَلكُمُ الْبِرُّ». يَعنِي: مِثلَ تِلكَ المَنزِلَةِ والدَّرَجَةِ تُنَالُ بالبِرِّ؛ وكَانَ حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ من أَبَرِّ النَّاسِ بِأُمِّهِ.

وإلى الحَدِيثِ الذي رواه ابن ماجه عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟».

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: «ارْجِعْ فَبِرَّهَا».

ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِن الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟».

قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبِرَّهَا».

ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ.

قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟».

قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ».

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لا يَليقُ بعَاقِلٍ مُؤمِنٍ عَلِمَ ثَمرَاتِ برِّ الوَالِدَينِ، ثمَّ يُعرِضُ عَنهُ ولا يَقُومُ بِهِ، والأَسوَءُ حَالاً مِنهُ أن يَقَعَ في العُقُوقِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ برَّ الوَالِدَينِ جَمَعَ من الخَيرِ أكمَلَهُ، ومن الإحسَانِ أجمَلَهُ، وحَازَ من المَعرُوفِ أنفَعَهُ، وحَوَى من الفَضلِ أرفعَهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، برُّوا آبَاءَكُم وأُمَّهَاتِكُم، وأَعطُوا نِسَاءَكُم حَقَّهُنَّ، ولا يَطغ حَقٌّ على حَقٍّ، واعلَمُوا بأنّ الأَمرَ دَينٌ، فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ.

اللّهُمَّ اجعَلنَا كما تُحِبُّ وتَرضَى يا رَبَّ العَالَمِينَ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٠١ـ خطبة الجمعة: يا صاحب الهم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، إيَّايَ وإيَّاكُم وسُوءَ الظَّنِّ باللهِ تعالى، إنْ طَالَ أَمَدُ هذهِ الأَزمَةِ، وأُحكِمَت حَلَقَاتُهَا، إيَّايَ وإيَّاكُم أن نَعتَقِدَ أنّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى أَرَادَ بِنَا سُوءاً، أو أنَّهُ لا يُرِيدُ كَشْفَ هذهِ الغُمَّةِ، أو أَنَّهُ ظَالِمٌ لَنَا، إيَّايَ وإيَّاكُم وسُوءَ الظَّنِّ باللهِ

تعالى بأنّ اللهَ تعالى لم يُرِدْ بنَا خيراً، أو أنّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى سَيَدَعُ الظّالِمَ بِدُونِ انتِقَامٍ مِنهُ عَاجِلاً أم آجِلاً، أو أنّ دُعَاءَ الأُمّةِ غَيرُ مُستَجَابٍ، أو بأنّ اللهَ تعالى لن يَنتَصِرَ للمَظلُومِ، الذي سُفِكَت لَهُ دِمَاءٌ بَرِيئَةٌ، أو سُلِبَت لَهُ الأموَالُ بِغَيرِ حَقٍّ، أو هُدِّمَت لَهُ البُيُوتُ بِغَيرِ حَقٍّ، أو سُلِبَت أَملاكُهُ بِغَيرِ حَقٍّ، فمن ظَنَّ هذا الظّنَّ فهوَ على خَطَرٍ عَظِيمٍ، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْراً فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ».

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَقُولُ مَولانَا عزّ وجلّ في وَصْفِ الإنسَانِ: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾. فهوَ ضَعِيفُ البُنيَةِ، ضَعِيفُ القُوّةِ، ضَعِيفُ الإرَادَةِ، ضَعِيفُ الصّبْرِ، ومَعَ ذلكَ فالمَصَائِبُ والشّدَائِدُ سَرِيعَةٌ إِلَيهِ، فلا بُدَّ لَهُ من مُعِينٍ يُقَوّيهِ ويُعِينُهُ ويُسَاعِدُهُ ويَنصُرُهُ، وإلا فالهَلاكُ أَقرَبُ إِلَيهِ من نَفسهِ التي بَينَ جَنبَيهِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُلُّ ضَعِيفٍ يَحتَاجُ إلى قَوِيٍّ أن يَكُونَ بِجَانِبِهِ، وكُلُّ فَقِيرٍ يَحتَاجُ إلى غَنِيٍّ أن يَكُونَ بِجَانِبِهِ، وكُلُّ ذَلِيلٍ يَحتَاجُ إلى عَزِيزٍ أن يَكُونَ بِجَانِبِهِ، وهل هُنَاكَ قَوِيٌّ وغَنِيٌّ وعَزِيزٌ على الإطلاقِ غَيرُ اللهِ تعالى؟ وهل هُنَاكَ مُعِينٌ على الحَقِيقَةِ غَيرُ اللهِ تعالى؟

فَيَا صَاحِبَ الهَمّ:

فَيا صَاحِبَ الهَمِّ، يَا أَيُّهَا العَبدُ الضَّعِيفُ، يَا أَيُّهَا المَكلُومُ، يَا أَيُّهَا المَحزُونُ، يَا أَيُّهَا المُتَأَلِّمُ، يَا أَيُّهَا المَظلُومُ بِأَيِّ نَوعٍ من أَنواعِ الظُّلمِ، خُذْ عِلاجَاً لِهَمِّكَ، وضَعْفِكَ، وجُرْحِكَ، وحُزْنِكَ، وأَلَمِكَ من الصَّادِقِ المَصدُوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؛

أولاً: أَكثِرْ من قَولِ: حَسبُنَا اللهُ ونِعمَ الوَكِيلُ:

يَا صَاحِبَ الهَمِّ والخَوفِ والقَلَقِ، أَكثِرْ من قَولِ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، روى الإمام البخاري عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

تَدَبَّرْ يَا صَاحِبَ الهَمِّ قَولَهُ تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، إن قَالَ الشَّرقُ وقَالَ الغَربُ في خَفَاءٍ، وهُم يُخَطِّطُونَ ويُدَبِّرُونَ لهذا البَلَدِ لِزِيَادَةِ الدَّمَارِ، ولِزِيَادَةِ سَفْكِ الدِّمَاءِ، ولإذلالِ هذا البَلَدِ، فَقُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وإِنِّي أَسأَلُ اللهَ تعالى أن يَجعَلَ كَيدَ من كَادَنَا، وكَادَ لهذا البَلَدِ، أن يَجعَلَ كَيدَهُ في نَحْرِهِ، وأن يُمَزِّقَهُ شَرَّ مُمَزَّقٍ مَزَّقَهُ لأعدَائِهِ، انتِصَاراً لأنبِيَائِهِ وأولِيَائِهِ وأَحبَابِهِ.

يَا أَهلَ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، تَدَبَّرُوا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾. إنْ تَدَبَّرْتُم ذلكَ اطمَأَنَّت قُلُوبُكُم بأَنَّ العَاقِبَةَ لَكُم إن شَاءَ اللهُ تعالى.

ثانياً: أَكثِرْ من قَولِ: يَا مَالِكَ يَومِ الدِّينِ، إِيَّاكَ أَعبُدُ، وإِيَّاكَ أَستَعِينُ:

يَا صَاحِبَ الهَمِّ والخَوفِ والقَلَقِ، يَا أَيُّهَا العَبدُ الضَّعِيفُ، أَكثِرْ من قَولِ: يَا مَالِكَ يَومِ الدينِ، إِيَّاكَ أَعبُدُ، وإِيَّاكَ أَستَعِينُ، روى الطَّبَرَانِيُّ في الأَوسَطِ عن أَبِي طَلحَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في غَزَاةٍ، فَلَقِيَ العَدُوَّ، فَسَمِعتُهُ يَقُولُ: «يَا مَالِكَ يَومِ الدِّينِ، إِيَّاكَ أَعبُدُ، وإِيَّاكَ أَستَعِينُ».

قَالَ أَبُو طَلحَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ: فَلَقَد رَأَيتُ الرِّجَالَ تُصرَعُ، تَضرِبُهَا المَلائِكَةُ من بَينِ يَدَيهَا، ومن خَلفِهَا.

ثالثاً: أَكثِرْ من قَولِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجعَلُكَ في نُحُورِهِم»:

يَا صَاحِبَ الهَمِّ والخَوفِ والقَلَقِ، أَكثِرْ من قَولِ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَجعَلُكَ في نُحُورِهِم، ونَعُوذُ بِكَ من شُرُورِهِم، روى الإمام أحمد وأبو داود عن عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْماً قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ».

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لا يُمكِنُ لِقَلبِ المُؤمِنِ أن يَسكُنَ أو يَرتَاحَ أو يَطمَئِنَّ لِغَيرِ اللهِ تعالى، لذلكَ لِنُكثِرْ من قَولِنَا: ﴿فاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

يَا من يَخَافُ على وَلَدِهِ وعِرْضِهِ ومَالِهِ ونَفسهِ ودِينهِ من شَرِّ الأَشرَارِ، ومن كَيدِ الفُجَّارِ، قُلْ: ﴿فاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

يَا صَاحِبَ الهَمِّ والخَوفِ والقَلَقِ، يَا مَن وَقَعتَ فِي شِدَّةٍ، يَا مَن وَقَعَت عَلَيكَ مُصِيبَةٌ، يَا مَن وَقَعتَ فِي كَربٍ وبَلاءٍ عَظِيمٍ، اِرفَعْ يَدَيكَ إلى السَّمَاءِ، وأَلِحَّ على اللهِ تعالى بالدُّعَاءِ، فَحَاشَا لِرَبِّنَا عزَّ وجلَّ أن يَرُدَّ يَدَيكَ صِفْرًا، روى الترمذي عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً خَائِبَتَيْنِ».

وفي الخِتَامِ: يَا أَيُّهَا المَظلُومُ، بِأَيِّ صُورَةٍ من صُوَرِ الظُّلْمِ، أَبشِرْ واطمَئِنَّ وَرَبِّ الكَعبَةِ بأَنَّكَ رَابِحٌ ولَستَ بِخَاسِرٍ، يَا أَيُّهَا العَبدُ المَظلُومُ، يَا من سُفِكَت لَكَ دِمَاءٌ، وسُلِبَت لَكَ أَموَالٌ، وتَهَدَّمَ بَيتُكَ، ونَزَحتَ من بَيتِكَ، أَبشِرْ واطمَئِنَّ وَرَبِّ الكَعبَةِ، فأَنتَ رَابِحٌ ولَستَ بِخَاسِرٍ، واعلَمْ بأَنَّ دَعوَتَكَ لَيسَ بَينَهَا وبَينَ اللهِ حِجَابٌ، لَمَّا بَعَثَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُعَاذاً إلى اليَمَنِ، قَالَ لَهُ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيس بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» رواه الشيخان عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُما.

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا للظَّالِمِ بأنّ دُعَاءَ المَظلُومِ عَلَيكَ مُستَجَابٌ، ولو كَانَ فَاجِرَاً في حَقِّ نَفسِهِ، لا في حَقِّ غَيرِهِ، دُعَاؤُهُ مُستَجَابٌ إن كَانَ مظلُوماً، ولو كَانَ تَارِكَاً للصَّلاةِ والصِّيَامِ والزَّكَاةِ.

أخرجَ الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِراً فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ».

لِنُكثِرْ يَا عِبَادَ اللهِ من قَولِنَا حَسبُنَا اللهُ ونِعمَ الوَكِيلُ، يَا مَالِكَ يَومِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعبُدُ، وإِيَّاكَ نَستَعِينُ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَجعَلُكَ في نُحُورِهِم، ونَعُوذُ بِكَ من شُرُورِهِم، ﴿فاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. فَنسأَلُكَ يَا رَبَّنَا أن تَحفَظَ هذا البَلَدَ وسَائِرَ بِلادِ المُسلِمِينَ من شَرِّ الأَشرَارِ، ومن كَيدِ الفُجَّارِ. آمين.

أقولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤٠٢ـ خطبة الجمعة: اللّه تعالى يدعونا

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، لقد دَخلنَا في أَيّامٍ ولَيَالٍ أَقسَمَ اللهُ عزّ وجلّ بِهَا، فَقَالَ: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾. دَخلنَا في أَيّامٍ ولَيَالٍ عَظّمَ اللهُ تعالى شَأنَهَا، وزَادَهَا شَرَفَاً وقَدْرًا، إِذْ جَمَعَ فِيهَا أَعمَالاً صَالِحَةً من حَجٍّ وصَلاةٍ وصَدَقَةٍ وذِكْرٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا لم نَلحَقْ بِركَابِ الحُجّاجِ والمُعتَمِرِينَ فَعزَاؤُنَا في قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ».

قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟

قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ» رواه الإمام البخاري عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

فَأَينَ المُسَارِعُونَ للعَمَلِ الصّالِحِ في هذهِ الأَيّامِ؟ وأَينَ المُتَسَابِقُونَ فِيهَا؟ هذهِ الأَيّامُ هيَ أَفضَلُ أَيّامِ الدُّنيَا، كما جاءَ في الحَديثِ الشّريفِ الذي رواه البَزّارُ بِإِسنَادٍ حَسَنٍ عن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَفضَلُ أَيّامِ الدُّنيَا العَشْرُ ــ يَعنِي: عَشْرَ ذِي الحِجّةِ ــ».

قِيلَ: ولا مِثلَهُنّ في سَبِيلِ اللهِ؟

قال: «ولا مِثلَهُنّ في سَبِيلِ اللهِ، إلا رَجُلٌ عَفّرَ وَجْهَهُ بالتُّرَابِ».

سَلامَةُ الصّدْرِ من أَهَمّ الأَعمَالِ الصّالِحَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مِمّا لا شَكّ فِيهِ بأنّ صِيَامَ هذهِ الأَيّامِ، وقِيَامَ لَيَالِيهَا، والصّدَقَةَ، وتِلاوَةَ القُرآنِ العَظِيمِ، وكَثْرَةَ ذِكْرِ اللهِ تعالى، وكَثْرَةَ الصّلاةِ والسّلامِ على النّبِيّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، من الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ والعِبَادَاتِ التي يُحِبُّهَا اللهُ تعالى، ولكن إذا دَقَّقْنَا النَّظَرَ في هذهِ العِبَادَاتِ فإِنَّا نَجِدُ جُلَّ هذهِ العِبَادَاتِ عِبَادَاتٍ ذَاتِيَّةً مُلازِمَةً للإنسَانِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَعلَمْ جَمِيعَاً أنَّ من أَهَمِّ العِبَادَاتِ والأَعمَالِ الصَّالِحَةِ التي خَيرُهَا يَعُودُ على المُجتَمَعِ، وخَاصَّةً في هذهِ الأَزمَةِ هيَ عِبَادَةُ سَلامَةِ الصَّدْرِ، ولقد دَعَانَا القُرآنُ العَظِيمُ إلى ذلكَ بِقَولِهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

ودَعَانَا إلى ذلكَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ».

اللهُ تعالى يَدعُونَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحنُ نَعِيشُ في هذهِ الأَيَّامِ العَصِيبَةِ التي تَدَاعَت فِيهَا عَلَينَا الأُمَمُ، نَعِيشُ هذهِ الأَيَّامَ التي هيَ من الأَشهُرِ الحُرُمِ، والتي قال تعالى فِيهَا: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾. فهل بِوُسعِنَا أن نُصغِيَ إلى دَعْوَةِ اللهِ تعالى لَنَا في كِتَابِهِ العَظِيمِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، اللهُ تعالى يَدعُونَا للبُرهَانِ على سَلامَةِ الصَّدْرِ والقَلبِ، لأَنَّنا كُلَّنا يُزَكِّي نَفسَهُ، ويُشهِدُ اللهَ تعالى على سَلامَةِ قَلبِهِ، فَيَا من يَدَّعِي ذلكَ، اسمَعْ إلى دَعْوَةِ اللهِ تعالى لَكَ:

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

خاتِمَةٌ ــــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَينَ من يَقِفُ مَعَ هذهِ الآيَاتِ الكَرِيمَةِ وِقفَةَ العَبدِ المُتَدَبِّرِ لآيَاتِ اللهِ تعالى؟ لقد دَعَانَا اللهُ تعالى بِتِلكَ الآيَاتِ الكَرِيمَةِ من أَجلِ سَلامَةِ العَلاقَةِ بَينَنَا، ومن أَجلِ سَلامَةِ بِلادِنَا، ومن أَجلِ سَلامَةِ دِيَارِنَا، ومن أَجلِ سَلامَةِ أَعرَاضِنَا، ومن

أَجلِ سَلامَةِ أَموَالِنَا، ومن أَجلِ قَطْعِ الطَّرِيقِ على الأُمَمِ الحَاقِدَةِ الحَاسِدَةِ التِي تَتَرَبَّصُ بِنَا الدَّوَائِرَ.

يَا عِبَادَ الله، اللهُ تعالى يَدعُونَا بِقَولِهِ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. ومن القُرآنِ العَظِيمِ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. فَمَا أَعظَمَ هذا الأَجْرَ، فهوَ من مَالِكِ المُلْكِ، فلا تَحرِمُوا أَنفُسَكُم هذا الأَجْرَ العَظِيمَ، وحَافِظُوا على دِيَارِكُم وأَموَالِكُم ودِمَائِكُم وأَعرَاضِكُم من خِلالِ العَفْوِ والصُّلْحِ فِيمَا بَينَكُم حَتَّى لا تَندَمُوا، وإلا فَستَندَمُونَ وَرَبِّ الكَعبَةِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لما يُرضِيكَ عَنَّا. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

٤٠٣ـ خطبة الجمعة: ربنا عز وجل يدعونا إلى دعائه

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، هذهِ الأُمَّةُ أُمَّةُ الاصطِفَاءِ، اِصطَفَاهَا رَبُّنَا عزَّ وجلَّ لِحَمْلِ القُرآنِ العَظِيمِ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾. واصطَفَى لَهَا أَزمِنَةً وأَمكِنَةً وأَشخَاصاً.

يَا عِبَادَ اللهِ، ومن الأَزمِنَةِ التِي اصطَفَاهَا اللهُ تعالى لهذهِ الأُمَّةِ يَومُ الجُمُعَةِ، فهوَ يَومُ بَدْءِ الخَلِيقَةِ، ويَومُ مُنتَهَى الدُّنيَا، وهوَ عِيدُ المُسلِمِينَ.

هَا نَحنُ فِي يَومِ الجُمُعَةِ الذي وَافَقَ خَيرَ أَيَّامِ الدُّنيَا يَومَ عَرَفَةَ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّريفِ الذي رواه أبو داود قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ».

يَومُ عَرَفَةَ يَومُ الدُّعَاءِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هذا اليَومُ العَظِيمُ يَومُ الجُمُعَةِ الذي وَافَقَ يَومَ عَرَفَةَ هوَ يَومُ الدُّعَاءِ، حَيثُ يَنزِلُ رَبُّنَا عزَّ وجلَّ إلى خَلْقِهِ، فَيَدنُو الرَّبُّ الحَمِيدُ المَجيدُ في عَشِيَّةِ عَرَفَاتٍ من العَبيدِ، فَيُبَاهِي بِهِم مَلائِكَتَهُ وحَمَلَةَ عَرشِهِ، كما جاءَ في الحَديثِ الشَّرِيفِ الذي رواه ابنُ حِبَّانَ في صَحِيحِهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إذا كَانَ يَومُ عَرَفَةَ إنَّ اللهَ يَنزِلُ إلى السَّمَاءِ فَيُبَاهِي بِهِمُ المَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: اُنظُرُوا إلى عِبَادِي، أَتَونِي شُعْثَاً غُبْرَاً ضَاحِينَ من كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشهِدُكُم أَنِّي قَد غَفَرتُ لَهُم.

فَتَقُولُ لَهُ المَلائِكَةُ: أي رَبِّ، فِيهِم فُلانٌ يَزهُو، وفُلانٌ وفُلانٌ.

فَيَقُولُ اللهُ: قَد غَفَرتُ لَهُم».

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا مِن يَومٍ أَكثَرُ عَتِيقَاً من النَّارِ مِن يَومِ عَرَفَةَ».

يَدعُونَا رَبُّنَا عزَّ وجلَّ إلى دُعَائِهِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد دَعَانَا رَبُّنَا عزّ وجلّ إلى دُعَائِهِ، فَقَالَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» رواه الترمذي.

وبَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا عزّ وجلّ بأَنَّا إذا دَعَونَاهُ استَجَابَ لِدُعَائِنَا، فَقَالَ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً خَائِبَتَيْنِ» رواه الترمذي.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، من لَزِمَ الدُّعَاءَ لم يُدرِكْهُ الشَّقَاءُ، وكَيفَ يُدرِكُهُ الشَّقَاءُ بَعدَ أن أَطلَقَ اللهُ لِسَانَهُ بالدُّعَاءِ؟

روى الحاكم عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا تَعجَزُوا في الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لا يَهلَكُ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ».

ويَقُولُ فَارُوقُ هذهِ الأُمَّةِ رَضِيَ اللهُ عنهُ: إِنِّي لا أَحمِلُ هَمَّ الإِجَابَةَ، ولكن أَحمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ، فإنْ أُلهِمتُ الدُّعَاءَ، فَإِنَّ الإِجَابَةَ مَعَهُ.

وهذا سَيِّدُنَا زَكَرِيَّا عَلَيهِ السَّلامُ يُؤَكِّدُ هذهِ الحَقِيقَةَ، كَمَا أَخبَرَنَا رَبُّنَا عزّ وجلّ عَنهُ: ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا *

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَلِظُّوا بالدُّعَاءِ، وخَاصَّةً في هذا اليَومِ العَظِيمِ المُبَارَكِ، يَومِ الجُمُعَةِ يَومِ عَرَفَةَ، ولا تَعجزُوا، ولا تَستبطِئُوا الإجَابَةَ، فَرَبُّنا عزَّ وجلّ يُحِبُّ العَبدَ اللَّحُوحَ الصَّبُورَ المُتَضَرِّعَ البَاكِي، يُحِبُّ العَبدَ الرَّاضِي بِقَدَرِهِ بلا قُنُوطٍ، وقد أَكّدَ هذا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَولِهِ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» رواه الشيخان.

<u>كُونُوا على يَقِينٍ من استِجَابَةِ الدُّعَاءِ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ من استِجَابَةِ اللهِ لِدُعَائِكُم، ما لم تَظلِمُوا الآخَرِينَ، ما دَامَ المُسلِمُونَ سَلِمُوا من أَلسِنَتِكُم وأَيدِيكُم، كَيفَ لا يَستَجِيبُ اللهُ لِدُعَائِكُم وأَنتُم عِبَادُهُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، هُنَاكَ من يَقُولُ في هذهِ الأَزمَةِ: إنّ اللهَ تعالى ما استَجَابَ دُعَاءَ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، ولن يَستَجِيبَ، وشَكُّوا في وَعْدِ اللهِ تعالى الذي لا يُخلَفُ، وما ذَاكَ إلا لِضَعْفٍ في إِيمَانِهِم، ولِسُوءِ ظَنِّهِم باللهِ تعالى.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بأَنّ وَعْدَ اللهِ تعالى لا يُخلَفُ، وبأَنّ دُعَاءَكُم مُستَجَابٌ عِندَ اللهِ تعالى، واقرَؤُوا كَلامَ رَبِّكُم لِتَجِدُوا بأَنّ اللهَ تعالى أَجَابَ دُعَاءَ الدَّاعِينَ، ولكن في الوَقتِ الذي يُرِيدُ، لا في الوَقتِ الذي يُرِيدُونَ.

أَلَم يَستَجبْ دُعَاءَ سَيِّدِنَا إبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، عِندَمَا قَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْـمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾. ألا تَرونَ أَفئِدَةَ النَّاسِ كَيفَ تَهوِي إلى ذَاكَ المَكَانِ المُقَدَّسِ؟ ألا تَرونَ أنَّ خيرَاتِ الدُّنيَا تَجِيءُ إلى البَلَدِ الحَرَامِ؟

أَلَم يَستَجبْ دُعَاءَ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، عِندَمَا قَالَ: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾؟

أَلَم يَستَجبْ دُعَاءَ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، عِندَمَا قَالَ: ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾؟

أَلَم يَستَجبْ دُعَاءَ سَيِّدِنَا ذِي النُّونِ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، عِندَمَا قَالَ عَنهُ اللهُ تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْـمُؤْمِنِينَ﴾؟

أَلَم يَستَجبْ دُعَاءَ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، عِندَمَا قَالَ: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾؟

أَلَم يَستَجبْ دُعَاءَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي لا يُعَدُّ ولا يُحصَى؟

أَلَم يَستَجِبْ دُعَاءَ سَيِّدِنَا سَعْدٍ الذي ظَلَمَهُ أَهلُ الكُوفَةِ؟.

بل أَقُولُ: أَلَم يَستَجبِ اللهُ لِدُعَائِنَا فِيمَا مَضَى من أَعمَارِنَا، فَكَم من دَعْوَةٍ استَجَابَهَا؟ وكَم من ضُرٍّ كَشَفَهُ؟ وكَم من مُهلِكَةٍ أَنقَذَنَا مِنهَا؟ وكَم من فِتنَةٍ عَصَمَنَا مِنهَا؟ وكَم من نِعمَةٍ أَسبَغَهَا عَلَينَا بِبَرَكَةِ الدُّعَاءِ؟

فَلِمَاذا ضَاقَت صُدُورُ بَعضِنَا إذا تَأَخَّرَ تَحقِيقُ الوَعْدِ من اللهِ تعالى الحَكِيمِ؟

خاتِمَةٌ ــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ رَبَّنَا عزَّ وجلَّ لن يَتَخَلَّى عَن عِبَادِهِ المُؤمِنِينَ الصَّادِقِينَ في بِلادِ الشَّامِ، وكُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ دُعَاءَ المَظلُومِينَ لن يَضِيعَ سُدَىً، حَتَّى ولو كَانُوا مُــسرِفِينَ في حَقِّ أَنفُسِهِم، لا في حَقِّ الآخَرِينَ، لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ الــْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِراً، فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَلِظُّوا بالدُّعَاءِ، أَلِظُّوا بِقَولِ: يَا ذَا الجَلالِ والإكرَامِ، وبِقَولِ: بِرَحمَتِكَ نَستَغِيثُ، وبِقَولِ: يَا مَالِكَ يَومِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعبُدُ، وإِيَّاكَ نَستَعِينُ، وبِقَولِ: يَا رَبَّ المُستَضْعَفِينَ، أَنتَ رَبُّنَا، إلى مَن تَكِلُنَا؟

اللَّهُمَّ أَشرِكنَا في دُعَاءِ عِبَادِكَ الوَاقِفِينَ في أَرضِ عَرَفَةَ، وارحَمنَا يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ، واكشِفِ الغُمَّةَ عن هذهِ الأُمَّةِ عَاجِلاً غَيرَ آجِلٍ يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** **

** ** **

٤٠٤ـ خطبة عيد الأضحى المبارك: عيد الأضحى ربطنا بالخليلين عليهما الصلاة والسلام

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، إنّ لِكُلِّ أُمَّةٍ من الأُمَمِ عِيدًا، يَذكُرُونَ فِيهِ عَقِيدَتَهُم وأخلاقَهُم وسِيَرَ رِجَالِهِم، فمن هذهِ الأَعيَادِ أَعيَادٌ شَرَعَهَا البَشَرُ لأَنفُسِهِم، وهيَ بَعِيدَةٌ كُلَّ البُعْدِ عن دِينِ اللهِ عزَّ وجلّ، ومِنهَا أَعيَادٌ شَرَعَهَا اللهُ تعالى لِعِبَادِهِ المُؤمِنِينَ.

روى الإمام أحمد وأبو داود عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟».

قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْراً مِنْهُمَا، يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ».

أَعيَادُنَا بَعدَ طَاعَاتٍ عَظِيمَةٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد أَكرَمَنَا اللهُ تعالى بِعِيدَينِ، كُلُّ عِيدٍ مِنهُمَا يَأتِي بَعدَ أَدَاءِ رُكنٍ عَظِيمٍ من أَركَانِ الإسلامِ، فَعِيدُ الفِطْرِ يَأتِي بَعدَ أَدَاءِ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، وعِيدُ الأَضحَى يَأتِي بَعدَ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ.

عِيدُ الأَضحَى رَبَطَنَا بالخَلِيلَينِ عَلَيهِمَا الصَّلاةُ والسَّلامُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، فِي عِيدِ الأَضحَى تَتَذَكَّرُ الأُمَّةَ تَارِيخَهَا المَجِيدَ فِي مَاضِيهَا المُشرِقِ السَّحِيقِ، تَتَذَكَّرُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

تَتَذَكَّرُ الأُمَّةُ أنَّ دِينَهَا القَوِيمَ هوَ الدِّينُ النَّاسِخُ لِجَمِيعِ الشَّرَائِعِ، فلا يَقبَلُ اللهُ تعالى غَيرَ الإسلامِ دِيناً بَعدَ بِعثَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ويَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي

أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، عِيدُ الأَضحَى يَربِطُنَا بِسَيِّدِنَا إبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ خَلِيلِ الرَّحمنِ، ويَربِطُنَا بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ خَلِيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، روى الإمام أحمد وابن ماجه عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ؟

قَالَ: «سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ».

قَالُوا: مَا لَنَا مِنْهَا؟

قَالَ: «بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالصُّوفُ؟

قَالَ: «بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِن الصُّوفِ حَسَنَةٌ».

أَفضَلُ الأَيَّامِ عِندَ اللهِ تعالى:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ يَومَ النَّحْرِ يَوْمٌ عَظِيمٌ جَلِيلٌ فَضِيلٌ، وهوَ أَفضَلُ الأَيَّامِ عِندَ اللهِ تعالى، روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعْظَمُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ النَّفْرِ» وفي روايةِ أبي داود: «ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ». وهو اليَومُ الذي يَلِي يومَ النَّحْرِ، حَيثُ يَقِرُّ الحُجَّاجُ فِيهِ بِمِنَى.

العَمَلُ الصَّالِحُ في هذا اليَوم:

يَا عِبَادَ اللهِ، هذا هوَ اليَومُ الأَخِيرُ من أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، التي يُحِبُّ اللهُ تعالى فِيهَا العَمَلَ الصَّالِحَ أَكثَرَ من غَيرِهَا، ومن العَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا أن يَتَقَرَّبَ العَبدُ إلى اللهِ تعالى بِإِرَاقَةِ دَمِ أُضحِيَةٍ.

روى الترمذي وابن ماجه ـــ واللَّفظُ لَهُ ـــ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلاً أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْساً».

وروى الحاكم عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدريّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِفَاطِمَةَ عَلَيهَا الصَّلاةُ والسَّلامُ: «قُومِي إلى أُضحِيَتِكِ فَاشهَدِيهَا، فإنّ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقطُرُ من دَمِهَا يُغفَرُ لَكِ ما سَلَفَ من ذُنُوبكِ»

قَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ، هذا لَنَا أَهلَ البَيتِ خَاصَّةً، أو لَنَا ولِلمُسلِمِينَ عَامَّةً؟

قَالَ: «بَل لَنَا ولِلمُسلِمِينَ عَامَّةً».

خاتِمَةٌ ـــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ الله، اُشكُرُوا اللهَ تعالى على ما مَنَّ بِهِ عَلَيكُم من نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، اُشكُرُوا اللهَ تعالى على ما سَنَّهُ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ و405ـ خطبة الجمعة: هل صمّت أذناك أيها الظالم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٠٥ـ خطبة الجمعة: هل صمّت أذناك أيها الظالم؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، لَمَّا كَانَ الظُّلمُ والعُدوَانُ مُنَافِيَينِ للعَدْلِ والحَقِّ الذي اتَّصَفَ بِهِمَا المَلِكُ الدَّيَّانُ، ومُنَافِيَينِ للمِيزَانِ الذي قَامَت بِهِ السَّمَاوَاتُ والأرضُ، كَانَ الظُّلمُ والعُدوَانُ عِندَ الله تعالى من أَكبَرِ الكَبَائِرِ، ومن أَعظَمِ المُوبِقَاتِ، وكَانَت دَرَجَتُهُ في الجُرمِ والإثمِ بِحَسَبِ مَفسَدَتِهِ في الأَفرَادِ والأُمَّةِ.

يَا عِبَادَ الله، العَجِيبُ في هذا الإنسَانِ الضَّعِيفِ المَسؤُولِ يومَ القِيَامَةِ عن أَقوَالِهِ وأَفعَالِهِ أَمَامَ الله تعالى أن يَجتَرِئَ على ظُلمِ العِبَادِ، وَرَبُّنَا عزَّ وجلَّ يَقُولُ في الحَدِيثِ القُدسِيِّ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَن اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالَمـــُوا».

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ من أَشنَعِ الظُّلمِ وأَبشَعِهِ جُرْمَاً أن يَظلِمَ الإنسَانُ العَبدَ الضَّعِيفَ الفَقِيرَ المِسكِينَ الذي لا يَجِدُ نَاصِرَاً لَهُ إلا اللهَ تعالى، روى الطَّبَرَانِيٌّ في الصَّغِيرِ والأَوسَطِ عَن عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ: اِشتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَن ظَلَمَ مَن لا يَجِدُ لَهُ نَاصِرَاً غَيرِي».

<u>دَعْوَةٌ من اللهِ تعالى للمَظلُوم:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن وَقَعَ عَلَيكُمُ الظُّلمُ، بِأَيِّ صُورَةٍ من صُوَرِهِ، رَبُّكُمُ الرَّحِيمُ الحَنَّانُ المَنَّانُ يَدعُوكُم لِدُعَائِهِ، فَيَقُولُ: ﴿ادْعُونِي أَستَجِبْ لَكُم﴾. هذا أولاً وحَذَّرَكُم من أن يَلعَبَ بِكُم شَيَاطِينُ الإنسِ والجِنِّ بِأَنَّهُ لن يَستَجِيبَ لَكُم، جَاءَ فِي الأَثَرِ أَنَّ المَولَى سُبحَانَهُ يُعاتِبُ خَلْقَهُ فَيَقُولُ : ﴿مَنْ ذَا الَّذي سَأَلَني فَلَمْ أُعْطِهِ؟ مَنْ ذَا الَّذي استَغفَرَني فَلَمْ أَغْفِرْ لَهُ وَأَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ؟﴾

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ

كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ». هَذَا ثَانِياً.

يَا أَيُّهَا الَمظلُومُ دُعَاؤُكَ مُستَجَابٌ عِندَ اللهِ عَلى التَّحقِيقِ: روى الإمام البخاري عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الـْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْـمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ».

وروى الحاكم عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اِتَّقُوا دَعَوَاتِ الَمظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَصعَدُ إلى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارٌ». هَذَا ثَالِثاً.

أَلَم تَرَ أَيُّهَا الَمظلُومُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، رَبُّنَا عزَّ وجلّ يَدعُو كُلَّ مَظلُومٍ ومَقهُورٍ ومَغلُوبٍ بِغَيرِ حَقٍّ إلى رُؤيَةِ عَاقِبَةِ كُلِّ ظَالِمٍ مَهمَا كَانَ من خِلالِ القُرآنِ العَظِيمِ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْـمُجْرِمِينَ﴾ والظَالمُ مُجرِمٌ.

ويَقُولُ تَبَارَكَ وتعالى لِكُلِّ مَظلُومٍ ومَقهُورٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ

* وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

ويَقُولُ تَبارَكَ وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

قُولُوا لِكُلِّ ظَالِمٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِكُلِّ ظَالِمٍ، ولِيَسمَعْ كُلُّ ظَالِمٍ: هَل صُمَّتْ أُذُنَاكَ فَلَم تَسمَعْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؟

هَل صُمَّتْ أُذُنَاكَ فَلَم تَسمَعْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾؟

هَل صُمَّتْ أُذُنَاكَ فَلَم تَسمَعْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾؟

هَل صُمَّتْ أُذُنَاكَ فَلَم تَسمَعْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؟

هَل صُمَّتْ أُذُنَاكَ فَلَم تَسمَعْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾؟

خاتِمَةٌ ــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أَصحَابَ القُلُوبِ المُنكَسِرَةِ، اِصبِرُوا وصَابِرُوا واحتَسِبُوا، فَإِنَّ رَبَّنَا عزَّ وجلَّ بالمِرصَادِ لِكُلِّ ظَالِمٍ ولِكُلِّ طَاغٍ ولِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ.

يَا أَصحَابَ القُلُوبِ المُنكَسِرَةِ، سَلُوا النَّاسَ، وسَلُوا التَّارِيخَ، وسَلُوا من تَقَدَّمَ بِهِمُ العُمُرُ، أَينَ آثَارُ الظَّالِمِينَ؟

فإن لَم تَجِدُوا عِندَهُمُ جوَابَاً شَافِيَاً، فَأَنَا أُعطِيكُمُ الجَوَابَ الشَّافِي من كَلامِ رَبِّنَا عزَّ وجلَّ القَائِلِ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، الظَّالِمُونَ المُجرِمُونَ في الأَرضِ أَزَّهُم ظُلمُهُم إلى الإجرَامِ أَزَّاً، ولَبِسُوا ثِيَابَ العُجْبِ والخُيَلاءِ لِيَكُونَ لَهُم عِزَّاً، ولم يَعتَبِرُوا بِمَن سَبَقَهُم من الظَّالِمِينَ مِمَّن أَهلَكَهُمُ اللهُ تعالى قَبلَهُم من قَرنٍ، هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً؟

يَا عِبَادَ اللهِ، لِيَسمَعِ الظَّلَمَةُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

فَيَا أَيُّهَا العَبدُ المَظلُومُ، اُدْعُ اللهَ تعالى أن يُصلِحَ كُلّ ظَالِمٍ، لأنّ هذا من خُلُقِ الإنسَانِ المُسلِمِ، ثمّ قُلْ بَعدَ ذلكَ: يَا رَبِّ، وإن كُنتَ تَعلَمُ أَنَّهُ لا حَظّ لَهُ في التّوبَةِ والإنَابَةِ والرُّجُوعِ، فَخُذْهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقتَدِرٍ، عَاجِلاً غَيرَ آجِلٍ، وأَرِنَا فِيهِ عَجَائِبَ قُدرَتِكَ، بَعدَ أن أَرَيتَنَا فِيهِ حِلْمَكَ يَا رَبِّ العَالَمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

َصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من الأُضحِيَةِ في هذا اليَومِ، حَيثُ خَيرُ هذهِ الأُضحِيَةِ عَائِدٌ لَنَا، بِمَغفِرَةِ ذُنُوبِنَا إن شَاءَ اللهُ تعالى، فَضَحُّوا يَا عِبَادَ اللهِ، وسَلُوا اللهَ تعالى بِبَرَكَةِ دِمَاءِ الأَضَاحِي أن يَحقِنَ دِمَاءَ المُسلِمِينَ.

اللّهُمَّ وَفِّقنَا لما يُرضِيكَ عَنَّا يَا رَبِّ العَالَمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٠٦ـ خطبة الجمعة: امتحان الدنيا وامتحان الآخرة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، لو أنصفنَا أَنفُسَنَا في هذهِ الأَزمَةِ لَوَجَدنَا أنفُسَنَا ـــ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى ـــ قد غَابَت عن مَشَاهِدِ يَومِ القِيَامَةِ وأَهوالِهَا وكُرُبَاتِهَا، ونَسِيَتْ أهوَالَ مَوقِفِ الحِسَابِ والامتِحَانِ بَينَ يَدَي اللهِ عزّ وجلّ، تَنَاسَى القَومُ ـــ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى ـــ قَولَهُ تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وقَولَهُ تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾. وقَولَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ» رواه الترمذي عَن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الفَارِقُ بَينَ امتِحَانِ الدُّنيَا وامتِحَانِ الآخِرَةِ:

يَا عِبَادَ الله، عِندَمَا يَدخُلُ أَحَدُنَا في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا قَاعَةَ امتِحَانٍ تَرَاهُ مُضطَرِبَاً خَائِفَاً قَلِقَاً خَشيَةَ الرُّسُوبِ، مَعَ أَنَّهُ بَذَلَ أَقصَى ما في وُسعِهِ وجُهدِهِ لهذا الامتِحَانِ اليَسيرِ، فَهَل يَا تُرَى نَبذُلُ قُصَارَى جُهدِنَا وخَاصَّةً في هذهِ الأَزمَةِ استِعدَادَاً للامتِحَانِ العَظِيمِ الرَّهِيبِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، كَم هوَ الفَارِقُ كَبِيرٌ بَينَ امتِحَانِ الدُّنيَا وامتِحَانِ الآخِرَةِ؟ وكَم هوَ البَونُ شَاسِعٌ وَوَاسِعٌ مَا بَينَ امتِحَانِ الدُّنيَا وامتِحَانِ الآخِرَةِ؟ وإِلَيكُم يَا عِبَادَ اللهِ الفَارِقَ بَينَ الامتِحَانَينِ:

أولاً: اِمتِحَانُ الدُّنيَا جُزئِيٌّ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِمتِحَانُ الدُّنيَا يَكُونُ أَسئِلَةً مَعدُودَةً ومَحصُورَةً ومَقصُورَةً على أَسئِلَةٍ لا تَتَجَاوَزُ أَصَابِعَ اليَدَينِ فِي جُزءٍ من كِتَابٍ.

أَمَّا امتِحَانُ الآخِرَةِ فَفِي كِتَابٍ عَظِيمٍ كَبِيرٍ، لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلا أَحصَاهَا، قَد حَوَى هذا الكِتَابُ جَمِيعَ الأَقوَالِ والأَفعَالِ، والحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ، والخَطَرَاتِ والنِّيَّاتِ، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

الصَّغِيرَةُ مُسَجَّلَةٌ وسَوفَ نُسأَلُ عَنهَا، والكَبِيرَةُ مُدَوَّنَةٌ وسَوفَ نُسأَلُ عَنهَا، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ مَا نَقُولُ ونَعمَلُ، وخَاصَّةً فِي هذهِ الأَزمَةِ التي سُفِكَت فِيهَا دِمَاءٌ لا يَعلَمُهَا إلا اللهُ تعالى، وسُلِبَت أَموَالٌ لا يَعلَمُهَا إلا اللهُ تعالى، وهُجِّرَت أُسَرٌ لا يَعلَمُهَا إلا اللهُ تعالى، وظُلِمَ عِبَادٌ لا يَعلَمُ عَدَدَهُم إلا اللهُ تعالى، وتَضَرَّرَ عِبَادٌ من جَمِيعِ الأَصنَافِ، من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ والأَطفَالِ والطُّلَّابِ والتُّجَّارِ والصُّنَّاعِ والعُمَّالِ مَا لا يَعلَمُ عَدَدَهُم إلا اللهُ تعالى، كُلُّهُ مُسَجَّلٌ ومَحصِيٌّ

على كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثانياً: أَسئِلَةُ الامتِحَانِ في الدُّنيَا مَحدُودَةٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَسئِلَةُ الامتِحَانِ في الحَيَاةِ الدُّنيَا مَحدُودَةٌ ومَقصُورَةٌ على بَعضِ الكَلِمَاتِ والجُمَلِ والمَوضُوعَاتِ، لأَنَّهُ لا يُمكِنُ أن يُسأَلَ المُمتَحَنُ عن كُلِّ دَقِيقٍ وجَلِيلٍ من مُحتَوَيَاتِ المَنهَجِ.

أمَّا أَسئِلَةُ الامتِحَانِ في الآخِرَةِ فَهِيَ شَامِلَةٌ لأَنفَاسِ العُمُرِ، شَامِلَةٌ لِكُلِّ صَغِيرَةٍ وكَبِيرَةٍ، لِكُلِّ قَولٍ وفِعلٍ، لِكُلِّ نِيَّةٍ وخَاطِرٍ، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِيُهَيِّئْ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفسَهُ لِلإجَابَةِ عن الأَسئِلَةِ يَومَ القِيَامَةِ، وخَاصَّةً عن كُلِّ قَولٍ وفِعلٍ كَانَ لَهُ أَثَرٌ على الآخَرِينَ، فَمَا هوَ أَثَرُ أَقوَالِنَا وأَفعَالِنَا على الآخَرِينَ في هذهِ الأَزمَةِ، هَل هوَ سَلبِيٌّ أم إيجَابِيٌّ؟

ثالثاً: اِمتِحَانُ الدُّنيَا مُهَيَّأٌ لَهُ جَوٌّ مُرِيحٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِمتِحَانُ الدُّنيَا مُهَيَّأٌ وَلَهُ جَوٌّ مُرِيحٌ هَادِئٌ، المَقَاعِدُ مُرِيحَةٌ، الأَنوَارُ سَاطِعَةٌ، المَاءُ مَوجُودٌ، الأَمنُ والأَمَانُ والهُدُوءُ كُلُّهُ مَوجُودٌ.

أَمَّا امتِحَانُ الآخِرَةِ فَفِي جَوٍّ رَهِيبٍ، ومَوقفٍ عَصِيبٍ، ومَكَانٍ عَجيبٍ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾.

روى الشيخان عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعاً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أَهلَ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، يَا مَن تَعِيشُونَ هذهِ الأَزمَةَ، يَا مَن تَبَايَنت أَفكَارُكُم وآرَاؤُكُم، يَا مَن اختَلَفتُم أَشَدَّ الاختِلافِ في هذهِ الأَزمَةِ، اِستَحضِرُوا يَومَ الحِسَابِ، يَومَ الجَزَاءِ، يَومَ القِيَامَةِ، قَبلَ كُلِّ قَولٍ وعَمَلٍ، لَعَلَّ باستِحضَارِ يَومِ الحِسَابِ تَجتَمِعُ الكَلِمَةُ على سَلامَةِ هذا البَلَدِ، ويَحسُنَ القَولُ والعَمَلُ نَحْوَ هذا البَلَدِ الذي وُلِدْنَا فِيهِ، ودَرَجْنَا فِيهِ، وأَكَلنَا من خَيرَاتِهِ، ولَعَلَّ أن نَكُونَ من الفَائِزينَ يَومَ القِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقنَا لما يُرضِيكَ عَنَّا. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤٠٧ـ خطبة الجمعة: امتحان الدنيا وامتحان الآخرة (٢)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، شَاءَ العَبدُ أم أَبَى سَيَخرُجُ من الدُّنيَا، طَالَ عُمُرُهُ أم قَصُرَ، أطَاعَ اللهَ تعالى أم عَصَى، حَكَمَ أم حُكِمَ، ظَلَمَ أم ظُلِمَ، تَقَلَّبَ في نِعَمٍ أم في نِقَمٍ، سَيَخرُجُ من الدُّنيَا، يَعِيشُ سَنَوَاتٍ مُقَدَّرَةً بتَقدِيرِ العَزِيزِ العَلِيمِ، ثُمَّ يُقْبَرُ، ثُمَّ يُنْشَرُ، ثُمَّ يُحْشَرُ، ثُمَّ يَقِفُ بَينَ يَدَي خَالِقِهِ جَلَّ وعَلا الذي قَالَ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾؟

يَا عِبَادَ الله، العَاقِلُ هوَ من استَعَدَّ لِلِقَاءِ الله تعالى، وذلكَ بالْمُبَادَرَةِ إلى الأَعمَالِ الصَّالِحَاتِ، العَاقِلُ من استَعَدَّ للحِسَابِ وللامتِحَانِ يَومَ القِيَامَةِ، العَاقِلُ من بَحَثَ عن صَدِيقٍ مُجِدٍّ ومُجتَهِدٍ في حَيَاتِهِ الدُّنيَا من أَجلِ الامتِحَانِ يَومَ القِيَامَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحنُ نَرَى العُقَلاءَ في الحَيَاةِ الدُّنيَا الذينَ يُرِيدُونَ مُستَقْبَلاً زَاهِرَاً في حَيَاتِهِمُ الدُّنيَا يَجِدُّونَ ويَجتَهِدُونَ في تَحقِيقِ الأَسبَابِ التي تُوصِلُهُم إلى هَدَفِهِم، فلا يَلهَونَ إذا لَهَى غَيرُهُم، ولا يَسهَونَ إذا سَهَى غَيرُهُم، ولا يُضَيِّعُونَ أَوقَاتَهُم إذا ضَيَّعَهَا غَيرُهُم، تَرَاهُم في جِدٍّ واجتِهَادٍ طَمَعَاً بِمَنزِلَةٍ دُنيَوِيَّةٍ، تَرَاهُم في جِدٍّ واجتِهَادٍ استِعدَادَاً للامتِحَانِ.

الفَارِقُ بَينَ امتِحَانِ الدُّنيَا وامتِحَانِ الآخِرَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الفَارِقُ كَبِيرٌ بَينَ امتِحَانِ الدُّنيَا وامتِحَانِ الآخِرَةِ، اِمتِحَانُ الدُّنيَا لو قُورِنَ بامتِحَانِ الآخِرَةِ لما كَانَ يُسَاوِي شَيئَاً.

أولاً: الرَّقِيبُ في الامتِحَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، رَقِيبُ الامتِحَانِ في الدُّنيَا بَشَرٌ، قُدْرَتُهُ مَحْدُودَةٌ، لا يَستَطِيعُ أن يُحِيطَ بالمُمتَحَنِينَ، قَد يُحتَالُ عَلَيهِ، وقَد يَسهُو، وقَد يَنشَغِلُ، وقَد يَتَنَازَلُ عن مَهَمَّتِهِ بِعَرَضٍ من الدُّنيَا.

أَمَّا الرَّقِيبُ في امتِحَانِ الآخِرَةِ فهوَ اللهُ عزَّ وجلَّ، الذي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمَاً، الذي لا تَخفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ، الذي يَعلَمُ السِّرَّ وأَخفَى، الذي لا يَعزُبُ عَنهُ مِثقَالُ ذَرَّةٍ في الأَرضِ ولا في السَّمَاءِ، الذي يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعيُنِ ومَا تُخفِي الصُّدُورُ، القَائِلُ: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

ثانياً: مُدَّةُ الامتِحَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مُدَّةُ الامتِحَانِ فِي الدُّنيَا سَاعَةٌ أو سَاعَتَانِ أو ثَلاثَةٌ مَعَ رَاحَةِ الجَسَدِ، وينتَهِي كُلُّ شَيءٍ.

أمَّا مُدَّةُ الامتِحَانِ فِي الآخِرَةِ فَخَمسُونَ أَلفَ سَنَةٍ، قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

خَمسُونَ أَلفَ سَنَةٍ، وأَنتَ وَاقِفٌ على قَدَمَيكَ أَمَامَ رَبِّ البَشَرِ، تُعرَضُ على رَبِّكَ لا تَخفَى مِنكَ خَافِيَةٌ، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

هَيِّئِ الجَوَابَ فِي هذا الامتِحَانِ الرَّهِيبِ، فَمَا أَنتَ قَائِلٌ لِرَبِّكَ يَا سَافِكَ الدِّمَاءِ، ويَا قَاتِلَ الأَبرِيَاءِ، ويَا مُرَوِّعَ الآمِنِينَ، ويَا سَالِبَ الأَموَالِ، ويَا مُفَرِّقَاً بَينَ الأَحِبَّةِ؟

ثالثاً: اِمتِحَانُ الدُّنيَا قَد يُعَادُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا أَخفَقَ العَبدُ فِي امتِحَانِ الدُّنيَا فَإِنَّهُ يُعِيدُهُ مَرَّةً أو مَرَّتَينِ أو أَكثَرَ، وإذا لم يُفْلِحْ تَحَوَّلَ إلى مَيدَانٍ آخَرَ لِتَأمِينِ أَسبَابِ سَعَادَتِهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا.

أَمَّا امتِحَانُ الآخِرَةِ فلا إِعَادَةَ لَهُ إذا أَخفَقَ العَبدُ فِيهِ وخَسِرَ، لأنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى قَطَعَ على نَفْسِهِ عَهْدَاً أن لا يُرجِعَ أَحَدَاً إلى الدُّنيَا بَعدَ خُرُوجِهِ مِنهَا، ولذلكَ قَالُوا: السَّفَرُ فِي الدُّنيَا كَثِيرٌ، ولكنَّ السَّفَرَ من الدُّنيَا مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ لا ثَانِيَ لَهَا؛ فإذا صَدَرَتِ النَّتِيجَةُ فِي امتِحَانِ الآخِرَةِ فلا إِعَادَةَ ولا استِدْرَاكَ، النَّتِيجَةُ وَاحِدَةٌ لا ثَانِيَ لَهَا ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

رابعاً: نَتَائِجُ الامتِحَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، نَتَائِجُ الامتِحَانِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا نِسبَتُهَا عَالِيَةٌ جِدًّا فِي الغَالِبِ الأَعَمِّ، لأَنَّهَا امتِحَانَاتٌ سَهْلَةٌ، ويَسِيرَةٌ جِدًّا، فقد تَصِلُ نِسْبَةُ النَّجَاحِ إلى تِسعِينَ فِي المِئَةِ وأَكثَرَ.

أَمَّا نِسْبَةُ نَتَائِجِ الامتِحَانِ فِي الآخِرَةِ فَشَيءٌ مُذْهِلٌ ومُرْعِبٌ ومُخِيفٌ، نِسْبَةُ النَّجَاحِ فِي الآخِرَةِ لَن تَكُونَ وَاحِدَةً فِي العَشَرَةِ، ولا وَاحِدَةً فِي المِئَةِ، بل هِيَ وَاحِدَةٌ فِي الأَلفِ.

روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ: يَا آدَمُ.

فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ.

يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ.

قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟

قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ.

فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لا تَغتَرُّوا بِكَثْرَةَ الهَلْكَى، ولا تَغتَرُّوا بِكَثْرَةَ الْمُنحَرِفِينَ، ولا تَغتَرُّوا بِكَثْرَةَ الْمُجرِمِينَ، ولا تَغتَرُّوا بِكَثْرَةَ الْمُفسِدِينَ، ولا تَغتَرُّوا بِكَثْرَةَ الْمُعرِضِينَ عن اللهِ

عزّ وجلّ، فالنّتِيجَةُ تَنتَظِرُهُم يومَ القِيَامَةِ، النّاجي يَومَ الامتِحَانِ الأكبَرِ يَومَ القِيَامَةِ وَاحِدٌ من الألفِ، فَهَل صَدّقتُم قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾؟

يَا أَهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ، يَا من تَعِيشُونَ هذهِ الأَزمَةَ القَاسِيَةَ، رَاقِبُوا اللهَ عزّ وجلّ في أَقوَالِكُم، رَاقِبُوا اللهَ عزّ وجلّ في أَفعَالِكُم، رَاقِبُوا اللهَ عزّ وجلّ في نِيّاتِكُم وأَمَانِيكُم، رَاقِبُوا اللهَ عزّ وجلّ في خَلْقِ اللهِ تعالى، واتّقُوهُ في عِبَادِهِ، ولْيَسْلَمِ المُسلِمُونَ من أَلسِنَتِكُم وأَيدِيكُم لَعَلّكُم تَفُوزُونَ يومَ القِيَامَةِ، وتَندَرِجُونَ تَحتَ قَولِهِ تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أَهلَ سُورِيّا، وَدّعُوا العَامَ بِتَوبَةٍ صَادِقَةٍ للهِ عزّ وجلّ من جَمِيعِ الذُّنُوبِ والآثَامِ، واستَقبِلُوا عَامَاً هِجْرِيّاً جَدِيدَاً بالاصطِلاحِ مَعَ اللهِ تعالى تُسْعَدُوا دُنيَا وأُخرَى إن شَاءَ اللهُ تعالى.

اللّهُمّ وَفّقنَا لذلكَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنّهُ هُوَ الغَفُورُ الرّحِيمُ.

**		**		**

٤٠٨ـ خطبة الجمعة: امتحان الدنيا وامتحان الآخرة (٣)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، إنّ نَجَاحَ العَبدِ في امتحَانِ الدُّنيَا قَد يَنفَعُهُ، وقَد لا يَنفَعُهُ، وإنْ نَفَعَهُ في حَيَاتِهِ الدُّنيَا، ورَفَعَهُ إلى أَعلَى الدَّرَجَاتِ، فإنَّهُ لا يُسَاوِي شَيئاً أَمَامَ نَجَاحِهِ في امتِحَانِ الآخِرَةِ، لأنّ نَعِيمَ الآخِرَةِ نَعِيمٌ دَائِمٌ لا يَنقَطِعُ، وفِيهِ مَا لا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ.

روى الإمام مسلم عن مُسْتَوْرِدٍ أَخِي بَنِي فِهْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّمَ: «واللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ ــ وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبّابَةِ ــ فِي الْيَمّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ».

وروى الإمام البخاري عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّمَ قَالَ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِن الْجَنّةِ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنّةِ اطّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحاً، وَلَنَصِيفُهَا ــ يَعْنِي الْخِمَارَ ــ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ نَجَاحَ العَبدِ وفَلاحَهُ وفَوزَهُ يَومَ القِيَامَةِ، فَرحَةٌ عَارِمَةٌ، وسَعَادَةٌ غَامِرَةٌ، وخَاصَّةً في أَشَدِّ مَوَاطِنِ الآخِرَةِ.

روى الحاكم وأبو داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها، أَنَّهَا ذَكَرَت النَّارَ فَبَكَتْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّمَ: «مَا يُبْكِيكِ؟».

قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّمَ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً، عِنْدَ الْمِيزَانِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾. حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ، أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ».

يَا عِبَادَ اللهِ، لِيَتَصَوَّرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفسَهُ في أَرضِ المَحشَرِ، عِندَمَا يُنَادَى عَلَيهِ باسمِهِ للعَرْضِ على اللهِ تعالى الكَبِيرِ المُتَعَالِ، ويُنصَبُ لَهُ المِيزَانُ وهوَ يَتَذَكَّرُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

كَم هيَ فَرْحَةُ العَبدِ يَومَ القِيَامَةِ إذا كَانَ مِيزَانُهُ ثَقِيلاً بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ والأَعمَالِ الصَّالِحَةِ؟ إنَّهَا فَرْحَةٌ لا يَعقِبُهَا حُزْنٌ أَبَدَاً، وأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ فَكَم هيَ حَسْرَتُهُ ونَدَامَتُهُ؟

روى الترمذي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها، أَنّ رَجُلاً قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي، وَيَخُونُونَنِي، وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟

قَالَ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ، وَعَصَوْكَ، وَكَذَّبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ كَفَافاً، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلاً لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ».

قَالَ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ، فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾؟»

فَقَالَ الرَّجُلُ: واللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئاً خَيْراً مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ.

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ للعِبَادِ، مَا أنتَ قَائلٌ لِرَبِّكَ يومَ القِيَامَةِ، ومَا هوَ موقِفُكَ أَمَامَ اللهِ تعالى القَائِلِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾؟

هَنيئَاً لَكَ ظُلمُكَ، وهَنِيئَاً لَكَ سَفكُكَ للدِّمَاءِ، وسَلْبُكَ للأَموَالِ، وتَروِيعُكَ للآمِنِينَ.

﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَومُ القِيَامَةِ يَومُ الكُرُبَاتِ، يَومُ الحَسَرَاتِ، ومن أَعظَمِ الكُرَبِ والحَسَرَاتِ عِندَمَا يُوضَعُ المِيزَانُ، والذي يَضَعُ المِيزَانَ هوَ اللهُ تعالى، قال تعالى:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، هُنَاكَ مِيزَانٌ دَقِيقٌ يُوضَعُ، فمن هوَ الحَاكِمُ عَلَيهِ، والوَاقِفُ عَلَيهِ؟ هل المَلائِكَةُ الكِرَامُ؟ أم الرُّسُلُ العِظَامُ؟ أم مُلُوكُ الدُّنيا؟ أم قُضَاةُ العَالَمِ؟

إنّ الذي يَقِفُ على المِيزَانِ هوَ القَائِلُ: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. القَائِلُ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. لا ظُلْمَ اليومَ، ولا هَضْمَ لِحَقِّ أَحَدٍ، عِندَهَا يَقِفُ الإنسَانُ مَبهُوتَاً أَمَامَ هذا المِيزَانِ، وهوَ خَائِفٌ وَجِلٌ، هل تَرجَحُ الحَسَنَاتُ على السَّيِّئَاتِ، أم السَّيِّئَاتُ على الحَسَنَاتِ؟

خاتِمَةٌ ــــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أهلَ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، يَا من آمَنتُم بأنَّ المِيزَانَ يومَ القِيَامَةِ حَقٌّ، ويَا من أَيقَنتُم بأنَّ من ثَقُلَت مَوَازِينُهُ فهوَ في عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، وبأنَّ من خَفَّت مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، عُودُوا إلى مِيزَانِ الشَّرْعِ في أَزمَتِكُم هذهِ، واجعَلُوهُ فَوقَ كُلِّ المَوَازِينِ، لا تُبَالُوا ولا تَلتَفِتُوا إلى أَهوَاءِ البَشَرِ وعَوَاطِفِهِم، ولا تَنسَاقُوا خَلفَ كُلِّ نَاعِقٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، البَلَدُ بَلَدُنَا، والأَهلُ أَهلُنَا، والمَالُ مَالُنَا، والقِيَامَةُ تَنتَظِرُنَا، والكُلُّ سَيَقِفُ أَمَامَ اللهِ تعالى، وكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُنصَبُ لَهُ المِيزَانُ، واللهُ تعالى هوَ الذي يَتَوَلَّى حِسَابَنَا بَعدَ وَضْعِ الكِتَابِ أَمَامَ أَبصَارِنَا ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ

مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

لِيسأَلْ كُلٌ وَاحِدٍ مِنَّا نَفسَهُ هذا السُّؤَالَ: إذا وُضِعَ الكِتَابُ يومَ القِيَامَةِ أَمَامَ الذي يَعلَمُ السِّرَّ وأَخفَى، هل أَنَا مُشفِقٌ مِمَّا فِيهِ؟ أم فَرِحٌ بِمَا فِيهِ؟

يَا عَبدَ اللهِ، اِقرَأْ كِتَابَكَ اليَومَ في حَيَاتِكَ الدُّنيَا، وصَحِّحِ الخَطَأَ، وصَحِّحْ مَا أَفسَدتَ، قَبلَ أن تَقرَأَهُ يومَ القِيَامَةِ وتَندَمَ ولا يَنفَعَكَ النَّدَمُ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيكَ رَدّاً جَمِيلاً. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤٠٩ـ خطبة الجمعة: امتحان الدنيا وامتحان الآخرة (٤)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، إنّ الإنسَانَ المُؤمِنَ العَاقِلَ يَتَذَكّرُ بامتِحَانِ الدُّنيَا، امتِحَانَ الآخِرَةِ، وشَتّانَ مَا بَينَ الامتِحَانَين، فامتِحَانُ الدُّنيَا يُمكِنُكَ أن تُعِيدَهُ مَرّةً ومَرّتَين إذا رَسِبتَ فِيهِ، أمّا امتِحَانُ الآخِرَةِ إذا رَسِبَ فِيهِ العَبدُ فَقَد خَسِرَ خَسَارَةً عَظِيمَةً، إنّهَا خَسَارَةُ النّفسِ والأهلِ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾:

يَا عِبَادَ الله، مَهمَا طَالَ البَقَاءُ في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا فَلا بُدّ من الفَنَاءِ، الزّرعُ لا بُدّ لَهُ من حَصَادٍ، والشّمسُ لا بُدّ لَهَا من غُرُوبٍ، والبَدرُ لا بُدّ لَهُ من أُفُولٍ، والإنسَانُ لا بُدّ لَهُ من مُفَارَقَةِ هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، بِحَيثُ يُصبِحُ جُثّةً هَامِدَةً، ثمّ لا بُدّ من الحَشْرِ والنّشْرِ والوُقُوفِ بَينَ يَدَيِ الله عزّ وجلّ لِيَفْصِلَ اللهُ تعالى بَينَهُ وبَينَ الآخَرِينَ، ثمّ يَكُونَ مَثْوَاهُ إمّا إلى جَنّةٍ وإمّا إلى نَارٍ، فَأَينَ المَفَرُّ؟

قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

هَل سَمِعَ هذهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ سَافِكُ الدِّمَاءِ؟ هَل سَمِعَ هذهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ سَالِبُ الأَموَالِ؟ هَل سَمِعَ هذهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ مُرَوِّعُ الآمِنِينَ؟ هَل سَمِعَ هذهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ ظَالِمُ العِبَادِ؟ هَل سَمِعَ هذهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ العُصَاةُ؟ سَوفَ يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ من هؤلاءِ: ﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾؟ وسَوفَ يُنَبَّأُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم بِمَا قَدَّمَ وأَخَّرَ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾.

رُسُوبُ الآخِرَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ الإخفَاقَ في امتِحَانِ الدُّنيَا هَيِّنٌ وسَهْلٌ، فَهُوَ خَسَارَةٌ لِدَرَجَةٍ أو لِمَرحَلَةٍ أو لِمَرتَبَةٍ من دُنيَا لا تُسَاوِي عِندَ اللهِ تعالى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ.

روى ابن ماجه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ، شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا ـــ أي: رَافِعَةٍ رِجْلَهَا مِن الِانْتِفَاخِ ـــ

فَقَالَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا قَطْرَةً أَبَداً».

نَعَم، يَا عِبَادَ اللهِ، خَسَارَةُ الدُّنيَا إذا قُورِنَت بِخَسَارَةِ الآخِرَةِ فإنَّهَا لا شَيء، وإخفَاقُ العَبدِ في امتِحَانِ الدُّنيَا إذا قُورِنَ بإخفَاقِهِ في الآخِرَةِ فإنَّهُ لا شَيء.

الإخفَاقُ في الآخِرَةِ والرُّسُوبُ فِيهَا خَسَارَةُ الأَبَدِ، وحَسْرَةُ السَّرمَدِ، وأَلَمٌ لا يَنفَدُ، ونَدَمٌ لا يَنقَطِعُ، وعَذَابٌ لا يَنتَهِي، وعِقَابٌ لا يَنقَضِي.

نَتَائِجُ الرُّسُوبِ في الآخِرَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ الرُّسُوبَ في امتِحَانِ الآخِرَةِ مُصِيبَةُ المَصَائِبِ، تَصَوَّرُوا حَالَ العَبدِ الذي أَخفَقَ في امتِحَانِ الآخِرَةِ في بَعضِ المَشَاهِدِ.

أولاً: عِندَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أيُّ خَسَارَةٍ أَكبَرُ وأَعظَمُ عِندَمَا يَرَى العَبدُ غَيرَهُ أَخَذَ كِتَابَهُ عِندَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ بِيَمِينِهِ، وهوَ أَخَذَهُ بِشِمَالِهِ، تَصَوَّرُوا كَم هوَ الفَارِقُ كَبِيرٌ بَينَ العَبدَينِ؟ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾.

ثانياً: عِندَ سَوقِ العِبَادِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَيُّ خَسَارَةٍ أَكبَرُ وأَعظَمُ عِندَمَا يَرَى العَبدُ غَيرَهُ يُسَاقُ إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرضُ، لِيَنعَمَ بِمَا تَلَذُّ به الأَعيُنُ، ومَا تَشتَهِيهِ الأَنفُسُ، ويَسعَدُ بِهِ القَلبُ، ثمَّ يُسَاقُ هوَ في ذِلَّةٍ وصَغَارٍ ومَهَانَةٍ وانكِسَارٍ إلى نَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ، حَيث العِقَابُ والعَذَابُ، والبَلاءُ والشَّقَاءُ، والنَّكَالُ والأغلالُ، مِمَّا لا يَخطُرُ على بَالٍ؟ قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

ثالثاً: حِرمَانُ النَّظَرِ إلى وَجْهِ اللهِ تعالى الكَرِيمِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَيُّ خَسَارَةٍ أَكبَرُ وأَعظَمُ من أن يُحرَمَ العَبدُ من لَذَّةِ النَّظَرِ إلى وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ، في جَنَّةِ الخُلْدِ مَعَ الذينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِم، وهوَ يَعلَمُ أنَّ غَيرَهُ يَنظُرُ إلى وَجْهِ رَبِّهِ؟

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾. وغَيرُهُ قَالَ تعالى فِيهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أَهلَ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، وأَنتُم تَعِيشُونَ هذهِ الأَزمَةَ، قَبلَ كُلِّ قَولٍ، وقَبلَ كُلِّ عَمَلٍ، اِستَحضِرُوا الآخِرَةَ، واستَحضِرُوا مَصِيرَ العِبَادِ من خِلالِ قَولِهِ تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، سَنُرَدُّ جَمِيعَاً إلى اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾. فَلا تَكُونُوا مِمَّن يَقُولُ عِندَ سَكَرَاتِ المَوتِ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾. ولا تَكُونُوا مِمَّن يَقُولُ في أَرضِ المَحشَرِ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾. ولا تَكُونُوا مِمَّن يَقُولُ وهوَ في النَّارِ: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾. ويَقُولُ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّا سَنُسأَلُ عَمَّا قُلنَا، وعَمَّا فَعَلنَا يومَ القِيَامَةِ، وخَاصَّةً في حَقِّ هذا البَلَدِ، وفي حَقِّ أَهلِ هذا البَلَدِ.

اللَّهُمَّ لا تُسَوِّدْ وجُوهَنَا يَومَ القِيَامَةِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤١٠ـ خطبة الجمعة: متى الراحة؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، شَاءَ اللهُ عزّ وجلّ أن يَجعَلَ هذهِ الحَيَاةَ الدُّنيَا دَارَ مَمَرٍّ لا مَقَرٍّ، وأن يَجعَلَهَا دَارَ شَقَاءٍ وتَعَبٍ، وعَنَاءٍ ونَصَبٍ، شَاءَ اللهُ تعالى أن يَجعَلَ مَتَاعَهَا قَلِيلاً، وكَثِيرَهَا ضَئِيلاً، وأن يَجعَلَ حَلالَهَا حِسَابَاً، وحَرَامَهَا عَذَابَاً، لا تَصفُو لِشَارِبٍ، ولا يَبقَى لَهَا صَاحِبٌ، من أَحَبَّهَا أَذَلَّتْهُ، ومن تَبِعَهَا أَعمَتْهُ.

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَذَى وَالْقَذَى *** وَدَارُ الْـفَـنَاءِ وَدَارُ الْغِيَرْ

فَـلَـوْ نِـلْـتَـهَا بِـحَـذَافِـيرِهَا *** لَمِتَّ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا الْوَطَرْ

مَتَى الرَّاحَةُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، الحَيَاةُ الدُّنيَا لَيسَ فِيهَا رَاحَةٌ أَبَدِيَّةٌ، ولا سَعَادَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، إِنَّمَا الرَّاحَةُ والسَّعَادَةُ والنَّعِيمُ المُقِيمُ، والفَوزُ العَظِيمُ، لمن رَحِمَهُ اللهُ تعالى فَزَحزَحَهُ عن نَارٍ

الجَحِيمِ، قَالَ تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

سُئِلَ الإمامُ أحمَدُ بنُ حَنبَلَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: مَتَى الرَّاحَةُ؟

فَقَالَ: عِندَمَا نَضَعُ أَوَّلَ رِجْلٍ في الجَنَّةِ.

يَا أَيُّهَا العَبدُ المَحْزُونُ:

يَا أَيُّهَا العَبدُ المَحْزُونُ المَهْمُومُ المَكْلُومُ المَجْرُوحُ، يَا أَيُّهَا العَبدُ البَاكِي في هذهِ الأَزمَةِ، يَا أَيُّهَا العَبدُ المُحتَرِقُ فُؤَادُهُ في هذهِ الأَزمَةِ، يَا أَيُّهَا المُتَحَسِّرُ على مَا فَاتَكَ من الدُّنيَا، يَا أَيُّهَا العَبدُ المَوجُوعُ، اِعلَمْ هذهِ الحَقَائِقَ الثَّلاثَةَ:

أولاً: الدُّنيَا ظِلٌّ زَائِلٌ:

اِعلَمْ يَا أَيُّهَا العَبدُ المَحْزُونُ، بأنَّ الدُّنيَا ظِلٌّ زَائِلٌ، وسَرَابٌ رَاحِلٌ، فَهِيَ ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

وأَخرَجَ الإمام الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ.

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَو اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً.

فَقَالَ: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

ثانياً: وَرَاءَ الدُّنيَا دَارٌ أَعظَمُ:

اِعلَمْ يَا أَيُّهَا العَبدُ المَحْزُونُ، أنّ وَرَاءَ الدُّنيَا دَاراً أَعظَمَ مِنهَا قَدْراً، وأَجَلّ مِنهَا خَطَرَاً، قَالَ تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

ثالثاً: زُهدُكَ فِي الدُّنيَا لا يَنقُصُ شَيْئاً كُتِبَ لَكَ مِنهَا:

اِعلَمْ يَا أَيُّهَا العَبدُ المَحْزُونُ، أنّ زُهدَكَ فِي الدُّنيَا لا يَنقُصُ شَيْئاً كُتِبَ لَكَ مِنهَا، كَمَا أنّ حِرْصَكَ عَلَيهَا لا يَزِيدُكَ شَيْئاً على مَا كُتِبَ لَكَ مِنهَا، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الحاكم عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أنّ مَا أَصَابَكَ لَم يَكُنْ لِيُخطِئَكَ، ومَا أَخطَأَكَ لَم يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

فَمَا كَانَ لَكَ فَسَيَأتِيكَ على ضَعْفِكَ، ومَا كَانَ لِغَيرِكَ فَلَن تَنَالَهُ بِقُوَّتِكَ، وهذهِ حَقِيقَةٌ لا رَيبَ فِيهَا «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَجعَلْ هَمَّنَا هَمّاً وَاحِداً، ألا وهوَ مَرضَاةَ اللهِ عزّ وجلّ، وأن نَخرُجَ من هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا وذِمَّتُنَا بَرِيئَةٌ أَمَامَ العِبَادِ، واللهِ لو كَانَتِ الدُّنيَا من ذَهَبٍ يَفنَى، والآخِرَةُ من خَزَفٍ يَبقَى، لَقَدَّمَ العَاقِلُ الخَزَفَ البَاقِي على الذَّهَبِ الفَانِي، فَكَيفَ والآخِرَةُ من ذَهَبٍ يَبقَى، والدُّنيَا من خَزَفٍ يَفنَى.

لقد بَاعَ الكَثِيرُ من النَّاسِ آخِرَتَهُمُ البَاقِيَةَ بِعَرَضٍ من الدُّنيَا قَلِيلٍ، فَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، وسَلَبُوا الأَموَالَ، ودَمَّرُوا البُيُوتَ، واغتَصَبُوا حُقُوقَ الآخَرِينَ، وظَنُّوا أنَّ سَعَادَتَهُم بذلكَ، ونَسُوا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لا تَأسَفُوا على شَيءٍ فَاتَ من دُنيَاكُم، فَمَا هيَ إلا أَيَّامٌ وتَنتَهِي، وعِندَ اللهِ تَجتَمِعُ الخُصُومُ، وتَذَكَّرُوا قَولَ سَيِّدِنَا الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى عِندَمَا قَالَ: أَدْرَكتُ أَقوَامَاً، وَصَحِبْتُ طَوَائِفَ، مَا كَانُوا يَفرَحُونَ بِشَيءٍ من الدُّنيَا أَقبَلَ، ولا يَأسَفُونَ عَلَى شَيءٍ مِنهَا أَدبَرَ، وَلَهِيَ كَانَت في أَعيُنِهِم أَهوَنَ من التُّرَابِ، كَانَ أَحَدُهُم يَعِيشُ خَمسِينَ سَنَةً أو سِتِّينَ سَنَةً لَم يُطْوَ لَهُ ثَوبٌ، ولَم يُنصَبْ لَهُ قَدْرٌ، ولَم يُجعَلْ بَينَهُ وبَينَ الأَرضِ شَيءٌ، ولا أَمَرَ مَن في بَيتِهِ بِصَنعَةِ طَعَامٍ قَطُّ، فإذا كَانَ اللَّيلُ فَقِيَامٌ على أَقدَامِهِم، يَفتَرِشُونَ وُجُوهَهُم، تَجرِي دُمُوعُهُم على خُدُودِهِم، يُناجُونَ رَبَّهُم في فَكَاكِ رِقَابِهِم، كَانُوا إذا عَمِلُوا الحَسَنَةَ دَأَبُوا في شُكْرِهَا وسَأَلُوا اللهَ أن يَقْبَلَهَا، وإذا عَمِلُوا السَّيِّئَةَ أَحزَنَتْهُم وسَأَلُوا اللهَ أن يَغفِرَهَا لَهُم، فَلَم يَزَالُوا على ذلكَ، ووَاللهِ ما سَلِمُوا من الذُّنُوبِ ولا نَجَوا إلا بالمَغفِرَةِ، رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِم ورِضْوَانُهُ.

يَا سَافِكَ الدِّمَاءِ من أَجلِ الدُّنيَا، ويَا سَالِبَ الأَموَالِ، ويَا مُفَرِّقَاً بَينَ الأَحِبَّةِ، ويَا مُرَوِّعَ الآمِنِينَ، كَم هيَ حَسْرَتُكَ عَظِيمَةٌ يَومَ القِيَامَةِ، عِندَمَا تَرَى مَن ظَلَمْتَهُ وَضَعَ قَدَمَهُ اليُمنَى وهوَ دَاخِلٌ الجَنَّةَ، وأَنتَ وَضَعتَ قَدَمَكَ اليُسْرَى وأَنتَ دَاخِلٌ النَّارَ؟

اللَّهُمَّ لا تَجعَلنَا من النَّادِمِينَ المُتَحَسِّرِينَ الذينَ يَسأَلُونَ الرَّجْعَةَ عِندَ سَكَرَاتِ المَوتِ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤١١ـ خطبة الجمعة: شتان ما بين هؤلاء وهؤلاء

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، يَعِيشُ الإنسَانُ هذهِ الحَيَاةَ الدُّنيَا في صِرَاعٍ دَائِمٍ، وفي مُعَانَاةٍ وجُهْدٍ وتَعَبٍ ونَصَبٍ، ولا رَاحَةَ لَهُ إلا عِندَ لِقَاءِ رَبِّهِ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾. يَعنِي: في تَعَبٍ، ونَكَدٍ، ومُعَانَاةٍ.

هذا الصِّرَاعُ والمُعَانَاةُ والتَّعَبُ والنَّصَبُ هوَ مُقتَضَى الابتِلاءِ الذي يُمَحِّصُ اللهُ تعالى بهِ بَينَ المُؤمِنينَ والمُنَافِقِينَ، وبَينَ الصَّادِقِينَ والكَاذِبينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، عِندَمَا يَفهَمُ الإنسَانُ هذهِ الحَقِيقَةَ، لا يَسَعُهُ إلا الصَّبْرُ والمُصَابَرَةُ حَتَّى يَفُوزَ بالفَوزِ العَظِيمِ، ويَكُونَ مِمَّن: ﴿زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ ويُنَادَى عَلَيهِ باسمِهِ في أَرضِ المَحشَرِ: ألا إنَّ فُلانَ ابنَ فُلانٍ قَد سَعِدَ سَعَادَةً لا يَشقَى بَعدَهَا أَبَدًا، عِندَ ذلكَ يَبْيَضُّ وَجْهُهُ، ويَأخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، ويُبَاهِي بِهذهِ الشَّهَادَةِ وبِكِتَابِهِ أَهلَ أَرضِ المَحشَرِ، ويَقُولُ لَهُم: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

عِندَ ذلكَ يُبَدِّلُهُ اللهُ تعالى عن عِيشَةِ الدُّنيَا التي هيَ عِيشَةُ تَعَبٍ ومُعَانَاةٍ ومُكَابَدَةٍ وابتِلاءٍ، عِيشَةُ صَبْرٍ على الطَّاعَةِ، وصَبْرٍ عن المَعصِيَةِ، وصَبْرٍ على المَصَائِبِ، بِعِيشَةٍ طَيِّبَةٍ رَاضِيَةٍ، قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾. ويُنَادَى عَلَيهِ على رُؤُوسِ الأَشهَادِ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

شَتَّانَ مَا بَينَ المُنضَبِطِ والمُتَفَلِّتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، شَتَّانَ مَا بَينَ المُنضَبِطِ والمُتَفَلِّتِ، ومَا بَينَ الصَّابِرِ والجَازِعِ، ومَا بَينَ الطَّائِعِ والعَاصِي، ومَا بَينَ الظَّالِمِ والمَظلُومِ، ومَا بَينَ القَاتِلِ بِغَيرِ حَقٍّ والمَقتُولِ ظُلْمَاً، ومَا بَينَ السَّارِقِ والمَسْرُوقِ، ومَا بَينَ المُرَوِّعِ والمُرَوَّعِ، ومَا بَينَ المُصلِحِ والمُفسِدِ، ومَا بَينَ الدَّاعِي لإطْفَاءِ نَارِ الحَربِ والدَّاعِي لإشْعَالِهَا.

شَتَّانَ مَا بَينَ هؤلاءِ وهؤلاءِ، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾. مُستَحِيلٌ وأَلفُ أَلفِ مُستَحِيلٍ، لأَنَّهُ لو كَانَ، لَكَانَ ظُلْمَاً، والظُّلْمُ مُستَحِيلٌ على اللهِ تعالى، قال تعالى في الحَدِيثِ القُدسِيِّ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَن اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالَمُوا». وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

الحَيَاةُ لا تَنتَهِي عِندَ المَوتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بأَنَّ الحَيَاةَ لا تَنتَهِي عِندَ المَوتِ، بل على العَكْسِ من ذلكَ، الحَيَاةُ تَبدأُ بَعدَ المَوتِ، النَّاسُ نِيَامٌ، إذا مَاتُوا انتَبَهُوا ـــ كَمَا قَالُوا ـــ ولولا هذهِ الحَقِيقَةُ لَمَا قَالَ المُجرِمُ عِندَ سَكَرَاتِ المَوتِ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾. ولولا هذهِ الحَقِيقَةُ لَمَا قَالَ طَاغِيَةُ البَشَرِ عِندَ سَكَرَاتِ المَوتِ: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. ولولا هذهِ الحَقِيقَةُ لَمَا قَالَ الذي عَاثَ في الأَرضِ فَسَاداً عِندَ سَكَرَاتِ المَوتِ: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أَهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ، لا تَحزَنُوا، ولا تَهِنُوا، وكُونُوا على يَقِينٍ بهذهِ الحَقِيقَةِ التي سَطَّرَهَا رَبُّنا عزَّ وجلَّ في كِتَابِهِ الُمحكَمِ، الذي لا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ ولا مِن خَلْفِهِ، ألا وهيَ قَولُهُ جَلَّ جَلالُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسمَاؤُهُ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، كَم يَفرَحُ الُمؤمِنُونَ المَظْلُومُونَ المَقْهُورُونَ بهذهِ الآيَةِ؟ لقد كَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم يَقرَؤُونَهَا ويُكَرِّرُونَهَا ويَبكُونَ في لَيلِهِم حَتَّى الفَجْرِ.

ورَحِمَ اللهُ تعالى الفُضَيلَ بنَ عِيَاضٍ الذي كَانَ يُكَرِّرُ هذهِ الآيَةَ ويُرَدِّدُهَا من أَوَّلِ اللَّيلِ إلى آخِرِهِ، ثمَّ يَقُولُ: لَيتَ شِعرِي من أَيِّ الفَرِيقَينِ أَنتِ؟ مُخَاطِباً بِذَلِكَ نَفسَهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، تَمَعَّنُوا هذهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

يَا أَهلَ هذا البَلَدِ الحَبيبِ، صَبْرَاً، ولا تَهِنُوا، إنَّ عَيْنَ اللهِ تعالى يَقْظَى لا تَنَامُ، وأَمَّا أَنتُم أَيُّهَا الظَّالِمُونَ، اِظلِمُوا مَا شِئْتُمْ، فإنَّا مَظْلُومُونَ، وإنَّا إلى اللهِ تعالى شَاكُونَ

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. فلا بُدَّ من وَقْفَةٍ يَقِفُ فِيهَا الجَمِيعُ بَينَ يَدَي اللهِ تَبَارَكَ وتعالى، فَطُوبَى للمَظْلُومِ، ويَا حَسْرَةً على الظَّالِمِ.

اللَّهُمَّ أَرِنَا عَجَائِبَ قُدْرَتِكَ فِي القَومِ الظَّالِمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤١٢ـ خطبة الجمعة: الموعودون بالنار (١)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، إنّ الأَمَانِي أَهلَكَتْ كَثِيراً من النّاسِ، فَتَرَى مِنهُم إِيمَانَاً بلا أَثَرٍ، وتَسمَعُ قَولاً ولا تَرَى عَمَلاً، تَرَى رِجَالاً مِنهُم ولا تَرَى فِيهِم عَقْلاً، عَرَفُوا ثمّ انحَرَفُوا، حَرَّمُوا واستَحَلُّوا، يَقُولُ فِيهِم سَيِّدُنا الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: لَو أَنَّ بَعْضَ مَن مَضَى انتَشَرَ حَتَّى يُعَايِنَ خِيَارَكُمُ اليَومَ لَقَالَ: مَا لهؤلاءِ فِي الآخِرَةِ مِن حَاجَةٍ، وَلَو رَأَى شِرَارَكُم لَقَالَ: مَا يُؤمِنُ هَؤلاءِ بِيَومِ الحِسَابِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لا يَدخُلُ الجَنَّةَ إلا من يَرجُوهَا، لا من يَتَمَنَّاهَا، قَالَ تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾.

ولا يَسْلَمُ من النَّارِ إلا من يَخافُهَا، فَجعَلَ بَينَهُ وبَينَهَا وِقَايَةً من تَقوَى اللهِ عزَّ وجلَّ، قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، وُرُودُنَا على النَّارِ يَقِينٌ، قَالَ تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾. ولكنَّ الخُرُوجَ مِنهَا لَيسَ بِيَقِينٍ.

<u>من صَدَّقَ بالنَّارِ ضَاقَتْ عَلَيهِ الدُّنيَا:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، يَقُولُ سَيِّدُنَا الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: واللهِ مَا صَدَّقَ عَبْدٌ بالنَّارِ إلا ضَاقَتْ عَلَيهِ الأَرضُ بِمَا رَحُبَتْ، وإنَّ الُمنَافِقَ لَو كَانَتِ النَّارُ خَلْفَ ظَهْرِهِ مَا صَدَّقَ بِهَا حَتَّى يَتجَهَّمَ ــ أي: يَقَعَ ــ في دَرَكِهَا.

واللهِ ما أُنذِرَ العِبَادُ بِشَيءٍ أَدْهَى مِنهَا، قَالَ تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلَاهَا إِلاَّ الأشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. إِنَّهَا نَارُ السَّعِيرِ، لا يَنَامُ هَارِبُهَا، وجَنَّةُ الفِردَوسِ لا يَنَامُ طَالِبُهَا.

الخَوفُ من النَّارِ فَلَقَ أَكبَادَ الصَّالِحِينَ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيراً لِّلْبَشَرِ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ التّخويفَ من النّارِ نالَ المَلائِكَةَ المُقَرّبِينَ، والأَنبِيَاءَ والمُرسَلِينَ عَلَيهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ، قَالَ تعالى في شَأنِ المَلائِكَةِ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾. وقَالَ تعالى في حَقّ الأَنبِيَاءِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾.

المَوعُودُونَ بالنّارِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هُنَاكَ شَرَائِحُ من النّاسِ وَعَدَهُمُ اللهُ تعالى بِنَارِ جَهَنّمَ ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ فالسّعِيدُ من تَعَرّفَ على صِفَاتِهِم ثمّ اجتَنَبَهَا، والشّقِيُّ من انطَبَقَتْ عَلَيهِ صِفَاتُ هؤلاءِ النّاسِ، من الأَصنَافِ الذينَ وُعِدُوا بالنّارِ:

أولاً: قَتَلَةُ الأَبرِيَاءِ بَغَيرِ حَقٍّ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من النّاسِ الذينَ وُعِدُوا بالنّارِ قَتَلَةُ الأَبرِيَاءِ، ومن أَعَانَ على قَتْلِهِم، ولو بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، قَالَ تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾. ويَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» رواه ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. ومن كَانَ آيِسَاً من رَحمَةِ اللهِ تعالى فإنّ مَصِيرَهُ إلى نَارِ جَهَنّمَ ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ.

ثانياً: أَكَلَةُ أَموَالِ النّاسِ بالبَاطِلِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من النَّاسِ الذينَ وُعِدُوا بالنَّارِ أَكَلَةُ أَموَالِ النَّاسِ بالبَاطِلِ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾. وقَالَ تعالى: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَن اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ».

وروى الإمام أحمد والترمذي عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ».

وروى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْراً مِن الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا طَوَّقَهُ اللهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفِي رِوَايَةٍ ثَانِيَةٍ لَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَن اقْتَطَعَ شِبْراً مِن الْأَرْضِ ظُلْماً طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِستَحْضِرُوا الآخِرَةَ بِقُلُوبكُم، وتَصَوَّرُوا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾.

واستَحْضِرُوا مُنصَرَفَ العِبَادِ يومَ القِيَامَةِ، فَرِيقٌ في الجَنَّةِ، وفَرِيقٌ في السَّعِيرِ، واستَحْضِرُوا تَقَلُّبَ الظَّالِمِينَ بينَ أَطبَاقِ النِّيرَانِ، قَالَ تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾. وقَالَ تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾. وقالَ تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

هل استَحْضَرَ القَتَلَةُ هذهِ المَشَاهِدَ؟ وهل استَحْضَرَ أَكَلَةُ أَموَالِ النَّاسِ بالبَاطِلِ هذهِ المَشَاهِدَ؟

اللَّهُمَّ ارحَمْنَا بِتَرْكِ المَعَاصِي مَا أَحْيَيْتَنَا. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤١٣ـ خطبة الجمعة: الموعودون بالنار (٢)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، إنّ المُؤمِنَ الحَقّ يَسعَى سَعْيَاً جَادّاً وحَثِيثاً ومُتَوَاصِلاً يَطلُبُ النّجَاةَ من عَذَابِ الله تعالى يَومَ القِيَامَةِ، وأن يَكُونَ مِمّنْ زُحزِحَ عن النّارِ، وأُدخِلَ الجَنّةَ.

يَا عِبَادَ الله، الإنسَانُ المُؤمِنُ في الحَيَاةِ الدُّنيَا حَالُهُ حَالُ الرّجُلِ الغَرِيبِ، فَهُوَ يَســـأَلُ عن طَرِيقِ الفَلاحِ والنّجَاحِ، حَتّى يَسلُكَهُ، ويَسأَلُ عن طَرِيقِ الهَلاكِ والخُسْرَانِ، حَتّى يَجتَنِبَهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَتَعَاهَدُ أَصحَابَهُ بِمَوَاعِظَ تَوْجَلُ مِنهَا القُلُوبُ، وتَذرِفُ مِنهَا العُيُونُ، وتَرتَعِدُ مِنهَا الفَرَائِصُ.

روى الإمام أحمد عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلاً كَانَ بِالسُّوقِ لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ ــ الخَمِيصَةُ: ثَوبٌ أَسوَدُ أو أَحمَرُ لَهُ أَعلامٌ ــ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ».

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، الحَيَاةُ الدُّنيَا حَيَاةُ ابتِلاءٍ وتَكلِيفٍ وعَمَلٍ، والآخِرَةُ حَيَاةُ حِسَابٍ وفَصْلٍ وقَضَاءٍ وجزَاءٍ، وقد أَنذَرَ اللهُ تعالى عِبَادَهُ وحَذَّرَهُم من نَارٍ مُلتَهِبَةٍ، فَقَالَ تعالى: ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى﴾. نَاراً مُتَوَهِّجَةً مُلتَهِبَةً مُتَوَقِّدَةً بالنَّاسِ والحِجَارَةِ ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَقرَبُ شَيءٍ من الحَيَاةِ المَوتُ، ولَيسَ بَينَنَا وبَينَهُ إلا أن يُقَالَ: مَاتَ فُلانٌ، والدُّنيَا مَوصُولَةٌ بالآخِرَةِ، فمن حَضَرَ أَجَلُهُ رَحَلَ وقَدِمَ على مَا قَدَّمَ من العَمَلِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

الزُّنَاةُ على مَوعِدٍ في نَارِ جَهَنَّمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد شَاءَ اللهُ تعالى أن يَجعَلَنا على بَصِيرَةٍ من أَمْرِنَا، فَبَيَّنَ لَنَا فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ أَعمَالَ أَهلِ الجَنَّةِ، وأَعمَالَ أَهلِ النَّارِ، فمن أَعمَالِ أَهلِ النَّارِ ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ الزِّنَا، فالزُّنَاةُ مَوعُودُونَ بِنَارِ جَهَنَّمَ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾.

الزُّنَاةُ الذينَ استَحَلُّوا هذهِ الجَرِيمَةَ هُم على مَوعِدٍ بِنَارِ جَهَنَّمَ، حَيثُ يُضَاعَفُ عَلَيهِمُ العَذَابُ، مَعَ أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَ لَنَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ بِأَنَّ أَخفَّ النَّاسِ عَذَابَاً رَجَلٌ يُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيهِ جَمرَتَانِ من نَارٍ يَغلِي مِنهُمَا دِمَاغُ رَأسِهِ.

روى الإمام البخاري عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ وَالْقُمْقُمُ».

وروى الإمام مسلم عَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً».

إذا كَانَ هذا حَالَ أَخَفِّ النَّاسِ عَذَابَاً يومَ القِيَامَةِ، فَكَيفَ حَالُ العَبدِ الذي يُضَاعَفُ عَلَيهُ العَذَابُ؟

دِينُنَا دِينُ طُهْرٍ وعَفَافٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من ثَوَابتِ دِينِنَا ومَبَادِئِهِ السَّامِيَةِ العَالِيَةِ، أَنَّهُ دِينُ طُهْرٍ وعَفَافٍ وفَضِيلَةٍ، دِينُ حِجَابٍ وسَتْرٍ، دِينُ مُحَارَبَةِ الرَّذِيلَةِ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. وقَالَ تعالى: ﴿واللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾.

ومن أَجلِ هذا المَبدَأِ الجَلِيلِ، والخُلُقِ النَّبِيلِ، حَرَّمَ الإسلامُ الزِّنَا وكُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَيهِ، فَقَالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد ذَكَرَ اللهُ تعالى صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحمنِ، وهُمُ المُؤمِنُونَ حَقّاً بِقَولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾.

الزُّنَاةُ أَصحَابُ قُلُوبٍ مَرِيضَةٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ الزِّنَا لا يَكُونُ إلا فِي نُفُوسٍ عَلِيلَةٍ، وقُلُوبٍ مَرِيضَةٍ، سَيطَرَ عَلَيهَا حُبُّ الشَّهَوَاتِ، وغَابَ عَنهَا النَّظَرُ فِي العَوَاقِبِ والمَآلاتِ، هَل عَلِمَ الزُّنَاةُ حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»؟ رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الزَّانِي ضَعِيفُ الإِيمَانِ، ضَعِيفُ الوَازِعِ الإِيمَانِيِّ، خَالٍ قَلبُهُ من خَوفِ ذِي الجَبَرُوتِ والسُّلطَانِ، مُنسَاقٌ خَلفَ الشَّهَوَاتِ والأَهوَاءِ، حَتَّى صَارَ عَبداً لَهَا.

وهَل عَلِمَ الزُّنَاةُ بأنّ عُقُوبَةَ الزَّانِي المُحصَنِ الرَّجْمُ بالحِجَارَةِ حَتّى المَوتِ، وعُقُوبَةَ الزَّانِي غَيرِ المُحصَنِ مِائَةُ جَلدَةٍ، وتَغرِيبُ عَامٍ؟

قَالَ تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وروى الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ، النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِن الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ».

أَقبَحُ أَنوَاعِ الزِّنَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، من أَقبَحِ أَنوَاعِ الزِّنَا الزِّنَا بامرَأَةِ الجَارِ، روى الإمام أحمد عن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟».

قَالُوا: حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ».

ومن أَقبَحِ أَنوَاعِ الزِّنَا زِنَا الرَّجُلِ الكَبِيرِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا

يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لمن سَوَّلَتْ لَهُ نَفسُهُ اتِّبَاعَ الشَّهَوَاتِ، وخاصَّةً في هذهِ الأَزمَةِ: إنّ الزِّنَا يَنْزِعُ الإيمَانَ من القُلُوبِ، ويَطْمِسُ البَصِيرَةَ، كَمَا يَقُولُ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: لا يَزنِي مِنكُمُ الزَّانِي إلا نَزَعَ اللهُ نُورَ الإيمَانِ من قَلبِهِ، فإنْ شَاءَ أن يَرُدَّهُ رَدَّهُ، وإنْ شَاءَ أن يَمنَعَهُ مَنَعَهُ.

قُولُوا لَهُ: إنّ الزِّنَا عَاقِبَتُهُ وَخِيمَةٌ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، وإنّ الزُّنَاةَ الذينَ استَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ تعالى عَلَيهِم هُم على مَوعِدٍ بِنَارِ جَهَنَّمَ، حَيثُ يُضَاعَفُ لَهُمُ العَذَابُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، اِستَحْضِرُوا عِندَ كُلِّ قَولٍ وفِعْلٍ قَولَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لَذّةُ سَاعَةٍ مُحَرَّمَةٍ يَستَحِلُّهَا الإنسَانُ تَجعَلُ حَيَاتَهُ في الدُّنيَا ضَنْكَاً، وقَبْرَهُ ضَيِّقاً، ثمّ يُضَاعَفُ لَهُ العَذَابُ يومَ القِيَامَةِ، ويَخْلُدُ فِيهِ مُهَانَاً.

اللّهُمّ احفَظْنَا من جَمِيعِ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنهَا ومَا بَطَنَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

414ـ خطبة الجمعة: أنتم في نعمة في هذه الأزمة

بسم الله الرحمن الرحيم

٤١٤ـــ خطبة الجمعة: أنتم في نعمة في هذه الأزمة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، إنّ في تَعَاقُبِ الشّدَائِدِ والرَّخَاءِ، والعُسْرِ واليُسْرِ، والضّيق والفَرَجِ، والخَوْفِ والأَمْنِ، والفَقْرِ والغِنَى، كَشْفٌ عن مَعَادِنِ النّاسِ، وطَبَائِعِ قُلُوبِهِم ونُفُوسِهِم، حَيثُ يَتَمَحّصُ المُؤمِنُونَ، ويَنكَشِفُ الزّائِفُونَ، ومن عَلِمَ حِكْمَةَ الله تعالى في تَصْرِيفِ الأُمُورِ،وجَرَيَانِ الأَقْدَارِ، فَلَن يَجِدَ اليَأْسُ إلى قَلبِهِ سَبِيلاً.

يَا عِبَادَ الله، مَهمَا أَظلَمَتِ الطُّرُقُ، وعَظُمَتِ الخُطُوبُ وتَوَالَتْ، ومَهمَا تَكَاثَرَتِ النّكَبَاتُ، ومَهمَا ضَاقَ الحَبْلُ على الوَتَدِ، فَلَن يَزدَادَ الإنسَانُ المُؤمِنُ إلا ثَبَاتَاً

ورُسُوخاً ويَقِيناً بِقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

من أَعظَمِ نعَمِ الله تعالى عَلَينَا الثَّبَاتُ على الدِّينِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مِمَّا لا شَكَّ فِيهِ بِأَنَّ نِعَمَ اللهِ تعالى عَلَينَا لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، ولكنْ أَعظَمُ النِّعَمِ على الإطلاقِ نعمَةُ الإسلامِ ونعمَةُ الإيمَانِ، قال تعالى: ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، فَكِّرُوا وَأَنتُم تَعِيشُونَ هذهِ الأَزمَةَ، وهذا الضِّيقَ والكَربَ، وهذا المَكْرَ والخِدَاعَ، وهذا الغَلاءَ الفَاحِشَ، وهذهِ القَسْوَةَ التي تَمَكَّنَتْ في قُلُوبِ كَثِيرٍ من النَّاسِ، وهذهِ المُؤَامَرَةَ الفَاضِحَةَ، بأَنَّ اللهَ تعالى أَكرَمَكُم بِأَعظَمِ النِّعَمِ على الإطلاقِ، ألا وهيَ نِعمَةُ الإسلامِ والإيمَانِ، وأنْ جَعَلَكُمُ اللهُ تعالى من أَهلِ القُرآنِ، ومن الذينَ قَالَ فِيهِم مَولانَا عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، اُنظُرُوا حَولَكُم فَإِنَّكُم تَجِدُونَ مِمَّن حَولَكُم في هذهِ الأَزمَةِ مَن فُتِنَ

فِيهَا، فانقَلَبَ رَأساً على عَقِبٍ، وانطَبَقَ عَلَيهِ قَولُهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. وانطَبَقَ عَلَيهِ قَولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ، فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِن الدُّنْيَا» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وأَنتُم بِفَضْلِ اللهِ تعالى عَلَيكُم نِعمَةُ الإسلامِ والإيمَانِ رَاسِخَةٌ في قُلُوبِكُم، أَمَا تَكفِي هذهِ النِّعمَةُ؟

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن تَتَقَلَّبُونَ على جَمْرٍ من نَارٍ في هذهِ الأَزمَةِ، اِصبِرُوا وصَابِرُوا، واثبُتُوا على الحَقِّ، واثبُتُوا على دِينِكُم وإسلامِكُم وإيمَانِكُم، وصَدِّقُوا اللهَ تعالى القَائِلَ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾. لَقَدِ اختَصَّكُمُ اللهُ بِأَعظَمِ النِّعَمِ، ألا وهيَ نِعمَةُ الإسلامِ والإيمَانِ.

هذهِ النِّعمَةُ العَظِيمَةُ التي مَا عَرَفَ قَدْرَهَا كَثِيرٌ من النَّاسِ، لَقَد حَرَمَهَا اللهُ تعالى بَعضَ أَقَارِبِ سَادَاتِ الخَلْقِ من الأَنبِيَاءِ والمُرسَلِينَ.

حُرِمَ هذهِ النِّعمَةَ أَبُو طَالِبٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا تَعلَمُونَ أنّ أَبَا طَالِبٍ عَمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ من أَقرَبِ النَّاسِ إلى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولكِنَّهُ حُرِمَ هذهِ النِّعمَةَ، وأَنتُم أَكرَمَكُمُ اللهُ تعالى بِهَا، أَمَا

تَكفِيكُم هذهِ؟

أَمَا قَالَ لَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» رواه الشيخان عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ولكِنَّ عَمَّهُ لَم يَقُلْهَا، وأَنتَ بِفَضْلِ اللهِ تعالى تَقُولُهَا صَبَاحَاً ومَسَاءً، أَمَا تَكفِيكَ هذهِ الكَلِمَةُ، وأَنتَ تَعِيشُ هذهِ الأَزمَةَ؟

حُرِمَ هذهِ النِّعمَةَ أَبُو سَيِّدِنَا إبراهِيمَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا تَعلَمُونَ أنَّ أَبَا سَيِّدِنَا إبراهِيمَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حُرِمَ هذهِ النِّعمَةَ، ولَم يَقُلْهَا عِندَمَا دَعَاهُ إِلَيهَا سَيِّدُنَا إبراهِيمُ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؟

قال تعالى مُخبِراً عن هذا المَشهَدِ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيَّاً * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيَّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيَّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيَّاً * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيَّاً * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيَّاً﴾.

حُرِمَ هذهِ النِّعمَةَ وَلَدُ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا تَعلَمُونَ أنَّ وَلَدَ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قَد حُرِمَ هذهِ

النِّعمَةَ، عِندَمَا دَعَاهُ إِلَيهَا سَيِّدُنَا نُوحٌ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؟

قال تعالى مُخبِراً عن هذا المَشْهَدِ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قَدِّرُوا نِعمَةَ اللهِ تعالى عَلَيكُم وأَنتُم تَعِيشُونَ هذهِ الأَزمَةَ، قَدِّرُوا نِعمَةَ الإسلامِ والإيمَانِ، وحَافِظُوا عَلَيهَا من الضَّيَاعِ في هذهِ الأَزمَةِ، فالنَّاسُ يُغَربَلُونَ في هذهِ الأَزمَةِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغَرْبَلُونَ فِيهِ غَرْبَلَةً، يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا ــ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ــ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ؟

قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَدَعُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أَنتُم فِي نِعمَةٍ عَظِيمَةٍ حُرِمَهَا عَمُّ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَبُو طَالِبٍ، وحُرِمَهَا وَالِدُ سَيِّدِنَا إبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وحُرِمَهَا ابنُ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، فلا تَهِنُوا ولا تَحزَنُوا، وسَلُوا اللهَ الثَّبَاتَ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وفي الآخِرَةِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤١٥ـ خطبة الجمعة: أتريدون أن يفرج الله عنكم؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، الإنسَانُ المُؤمِنُ فِي هَذِهِ الحَياةِ الدُّنيَا لا يَسلَمُ مِنَ الهُمُومِ مَهمَا بَلَغَ مِنَ العِلْمِ والتَّقوَى والصَّلاحِ، بَل رُبَّمَا عَلى العَكسِ مِن ذَلِكَ، فَكُلَّمَا عَظُمَ إِيمَانُهُ اشتَدَّ بَلاؤُهُ، رَوَى الإِمَامُ الترمذي عنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

فَوَائِدُ هَذِهِ الهُمُومِ:

يَا عِبَادَ الله، هَذِهِ الهُمُومُ التِي تُلازِمُ الإنسَانَ المُؤمِنَ في حَيَاتِهِ الدُّنيَا للهِ عزَّ وجلَّ فِيهَا حِكَمٌ:

أولاً: التَّعَرُّفُ على حَقِيقَةِ هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا:

يَا عِبَادَ الله، هُمُومُ هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا تُعَرِّفُ العَبدَ المُؤمِنَ على حَقِيقَةِ هذهِ الحَيَاةِ الفَانيَةِ، ومَتَاعِهَا القَلِيلِ، فما من لَذَّةٍ مِنهَا إلا وفِيهَا كَدَرٌ، ولا تَصْفُو لأحَدٍ مَهمَا كَانَ، إنْ أَضْحَكَتْ قَلِيلاً أَبْكَتْ كَثِيراً، وإنْ أَعْطَتْ يَسيراً مَنَعَتْ كَثِيراً، وإنْ سَرَّتْ يَوماً سَاءَتْ دَهْراً، وإنْ مَتَّعَتْ قَلِيلاً مَنَعَتْ كَثِيراً، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

ثانياً: الدُّنيَا سِجْنُ المُؤمِنِ:

يَا عِبَادَ الله، الهُمُومُ التي تُلازِمُ الإنسَانَ المُؤمِنَ في حَيَاتِهِ الدُّنيَا تُعَرِّفُهُ صِدْقَ قَولِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ،

وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فإذا كَانَتِ الدُّنيَا سِجْنَ المُؤمِنِ، فالآخِرَةُ جَنَّتُهُ، وإذا كَانَتِ الدُّنيَا جَنَّةَ الكَافِرِ، فالآخِرَةُ سِجْنُهُ.

يُروَى أنَّ ابنَ حَجَرٍ العَسقلانِيَّ ــ رَحِمَهُ اللهُ ــ: خَرَجَ يوماً بِأُبَّهَتِهِ ــ وَكَانَ رَئِيسَ القُضَاةِ بِمِصرَ ــ فَإِذَا بِرَجُلٍ يَهُودِيٍّ، فِي حَالَةٍ رَثَّةٍ.

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: قِفْ.

فَوَقَفَ ابنُ حَجَرٍ.

فَقَالَ لَهُ: كَيفَ تُفَسِّرُ قَولَ رَسُولِكُم: «الدُنْيَا سِجْنُ الْــمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»، وهَا أَنتَ تَرانِي فِي حَالَةٍ رَثَّةٍ وَأَنَا كَافِرٌ، وَأَنتَ فِي نَعِيمٍ وَأُبَّهَةٍ مَعَ أَنَّكَ مُؤمِنٌ؟

فَقَالَ ابنُ حَجَرٍ: أَنتَ مَعَ تَعَاسَتِكَ وَبُؤسِكَ تُعَدُّ فِي جَنَّةٍ، لِمَا يَنتَظِرُكَ فِي الآخِرَةِ مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ ــ إِنْ مِتَّ كَافِراً ــ. وَأَنَا مَعَ هَذِهِ الأُبَّهَةِ ــ إِنْ أَدخَلَنِي اللهُ الجَنَّةَ ــ فَهَذَا النَّعِيمُ الدُّنيَوِيُّ يُعَدُّ سِجناً بِالْمقَارَنَةِ مَعَ النَّعِيمِ الَّذِي يَنتَظِرُنِي فِي الجَنَّاتِ.

فَقَالَ اليَهُودِيُّ: أَكَذَلِكَ؟

قَالَ: نَعَم.

فَقَالَ: أَشهَدُ أَن لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ.

ثالثاً: مَوْتُ المُؤمِنِ رَاحَةٌ لَهُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الهُمُومُ التِي تُلازِمُ الإنسَانَ المُؤمِنَ في حَيَاتِهِ الدُّنيَا تُعَرِّفُهُ أنَّ المَوْتَ رَاحَةٌ لَهُ من نَصَبِهَا وأَذَاهَا وشَقَائِهَا وعَنَائِهَا، لذلكَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللهِ تعالى.

روى الشيخان عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ.

فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟

فَقَالَ: «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ».

أَتُرِيدُونَ أن يُفَرِّجَ اللهُ عَنكُم؟

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن تَعِيشُونَ هذهِ الأَزمَةَ القَاسِيَةَ، أَتُحِبُّونَ أن يُفرِّجَ اللهُ عَنكُم مَا أَهَمَّكُم وأَكرَبَكُم وأَغَمَّكُم؟ أَتُرِيدُونَ أن يُبَارِكَ اللهُ لَكُم فِيمَا بَقِيَ من أَموَالِكُم؟ أَتُرِيدُونَ أن يُعطِيَكُم رَبُّنا عزَّ وجلَّ خَلَفَاً عَاجِلاً، وأَجْرَاً آجِلاً؟

إنْ أَرَدتُم ذلكَ فَاسْمَعُوا قَولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه الشيخان عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

يَا أَصحَابَ النِّعمَةِ، يَا أَصحَابَ الأَموَالِ، يَا أَصحَابَ البُيُوتِ، يَا أَصحَابَ المَطَاعِمِ، يَا أَصحَابَ المَلابِسِ، يَا أَصحَابَ السَّيَّارَاتِ، يَا أَصحَابَ مَحطَّاتِ الوَقُودِ، يَا أَيُّهَا الأَطِبَّاءُ، يَا أَصحَابَ المَخَابِرِ، اِرحَمُوا تُرحَمُوا، فَرِّجُوا الكُرُوبَ عَن إِخوَانِكُم، يُفَرِّجِ اللهُ كُرُوبَكُم وهُمُومَكُم، ويُبَارِكْ لَكُم فِيمَا آتَاكُم.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَصْلُ الحَيَاةِ الدُّنيَا تَعَبٌ وضَنَىً، سُرُوُهَا أَمْرٌ طَارِئٌ، وفَرَحُهَا شَيْءٌ نَادِرٌ، مَا رَضِيَهَا رَبُّنَا عزَّ وجلّ لأولِيَائِهِ وأَصفِيَائِهِ مَقَرَّاً، فلا تَأْسَوْا على مَا فَاتَكُم، ولا تَفرَحُوا بِمَا آتَاكُم، واحْمَدَوا اللهَ عزَّ وجلّ على سَائِرِ الأَحوَالِ، فَلَقَد كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إذا أَتَاهُ مَا يَسُرُّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ» وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» رواه الحاكم وابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها.

اللّهُمَّ اجعَلْنَا من الحَامِدِينَ الشَّاكِرِينَ على سَائِرِ الأَحوَالِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

415ــ خطبة الجمعة: أتريدون أن يفرج الله عنكم؟

٤١٦ـ خطبة الجمعة: رسول كريم، إذا وعد وفى، وإذا توعد تجاوز وعفا (١)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، لقد أَظَلّنَا شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، شَهْرُ رَبيعِ الأَوّلِ الأَنورِ، الذي وُلِدَ فِيهِ الحَبيبُ المُصطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي امتَلأَتِ القُلُوبُ حُبّاً وشَوقَاً لَهُ، الذي تَشتَاقُ قُلُوبُ المُؤمِنينَ لِرُؤيَتِهِ، الذي بِسيرَتِهِ العَطِرَةِ تَلِينُ الأَفئِدَةُ وتَحِنُّ.

كَيفَ لا، وهوَ الذي هَدَانَا اللهُ عزّ وجلّ بِهِ، وهوَ الذي عَلّمَنَا من عِلْمِهِ الذي عَلّمَهُ اللهُ تعالى إيّاهُ، فَأَخرَجَنَا من الجَهَالَةِ إلى العِلْمِ، وبَصّرَنَا بِهِ من العَمَى، وأَخرَجَنَا بِدَعْوَتِهِ من الظُّلُمَات إلى النُّورِ.

كَيفَ لا، وقد اصطَفَاهُ اللهُ عزّ وجلّ على النّاسِ جَميعَاً، فَجَعَلَهُ سَيّدَ الخَلْقِ، وحَبيبَ الحَقّ، وأَكرَمَ النّاسِ وأَحَبّهُم إلى الله تعالى.

كَيفَ لا، وهوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ الأَنبيَاءِ، وصَفْوَةُ الأَولِيَاءِ، صَاحِبُ المَقَامِ المَحْمُودِ، واللّوَاءِ المَعْقُودِ، والحَوْضِ المَوْرُودِ، إِمَامُ المُتّقِينَ، وسَيّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجمَعِينَ.

كَيفَ لا، والعَبدُ لا يُؤمِنُ إلا بالشَّهَادَةِ لَهُ بالرِّسَالَةِ، وحَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ من وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسِ أَجمَعِينَ.

«جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَعَ هذهِ المَنزِلَةِ الرَّفِيعَةِ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ومَعَ هذهِ المَكَانَةِ العَظِيمَةِ عِندَ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ، يَأبَى الذينَ امتَلأَتْ قُلُوبُهُم بُغْضَاً وحِقْدَاً وحَسَدَاً إلا أن يَتَعَرَّضُوا لِمَقَامِهِ الشَّرِيفِ بالقَدْحِ والافتِرَاءِ، من جُملَةِ القَدْحِ والافتِرَاءِ، يَقُولُونَ: جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وأَصحَابُهُ لِتَدْمِيرِ العَالَمِ، فَهُم قَتَلَةٌ بِلا رَحمَةٍ ولا شَفَقَةٍ، يَقُولُونَ: لقد جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بالإرهَابِ والذَّبْحِ، ولا أَدَلَّ على ذلكَ من قَولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ» رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَقبَحُ شَيءٍ في الإِنسَانِ أن يَطْعَنَ في دِينِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وفي سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وذلكَ من خِلالِ عَمَلِيَّاتِ البَتْرِ في الآيَاتِ والأَحَادِيثِ.

لَقَد عَمِيَ هؤلاءِ، بل تَعَامَوْا عن قَولِهِ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. لَقَد تَعَامَوْا عن قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحمَةٌ مُهْدَاةٌ» رواه الحاكم عَن أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

لَقَد تَعَامَوْا عن وَصْفِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: بأَنَّهُ مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخذَ أَيْسرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا للهِ. رواه الشيخان عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

بل قد تَعَامَى هؤلاءِ عن قَولِهِ تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾. جَمِيعَاً يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

بل صَاحِبُ القَلْبِ الحَقُودِ الحَسُودِ المُبغِضِ، لا يَعرِفُ بأَنَّ الكَرِيمَ إذا وَعَدَ وَفَى، وإذا تَوَعَّدَ تَجَاوَزَ وعَفَا.

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِندَمَا غَمَزَتْهُ قُرَيشٌ مَرَّاتٍ ومَرَّاتٍ، وهوَ يَطُوفُ بالكَعبَةِ، وهوَ صَابِرٌ على أَذَاهُم؛ ولكنْ عِندَمَا اشتَدَّ الإِيذَاءُ، ومَنَعُوهُ من تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ، وطَعَنُوا فِيهِ وغَمَزُوهُ، قَالَ لَهُم: «جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ» وهذا وَعِيدٌ مِنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ في المُصْلِحِ أن يَعِدَ وأن يَتَوَعَّدَ.

كَرِيمٌ، إذا وَعَدَ وَفَى، وإذا تَوَعَّدَ تَجَاوَزَ وعَفَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَرِيمٌ، مُرْسَلٌ من قِبَلِ رَبٍّ كَرِيمٍ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رَحِيمٌ، مُرْسَلٌ من قِبَلِ رَبٍّ رَحِيمٍ.

نَعَم، لَقَد قَالَ للقَومِ: «جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ» ولكن انظُرُوا في سِيرَتِهِ العَطِرَةِ، اُنظُرُوا في حَيَاتِهِ العَظِيمَةِ، اُنظُرُوا في الرَّحمَةِ المُهْدَاةِ، الذي تَوَعَّدَ القَومَ بالذَّبْحِ، ماذا صَنَعَ؟

يَومُ الطَّائِفِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَومُ الطَّائِفِ كَانَ يَوماً عَصِيباً على سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، إيذَاءٌ مَا بَعْدَهُ إيذَاءٌ، فَجَاءَهُ سَيِّدُنَا جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ، ومَعَهُ مَلَكُ الجِبَالِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

فَقَالَ لَهُ مَلَكُ الجِبَالِ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ. وهذا الحَدِيثُ رَوَاهُ الإمام البخاري.

فماذا كَانَ الجَوَابُ مِنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَائِلِ: «جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ»؟ لَقَد كَانَ الجَوَابُ مِنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَروِيهِ الإمام البخاري: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً».

سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَعظَمَكَ، مَا أَحلَمَكَ، مَا أَكرَمَكَ، لو أَذِنتَ لِمَلَكِ الجِبَالِ بِأَن يُطبِقَ عَلَيهِمُ الجَبَلَينِ، ماذا سَتَكُونُ النَّتِيجَةُ؟ مَا أَصْدَقَكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ عِندَمَا قُلتَ: «إِنَّمَا أَنَا رَحمَةٌ مُهْدَاةٌ» ومَا أَكذَبَهُم عِندَمَا قَالُوا عَنكَ مَا قَالُوا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لَقَد تَوَعَّدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولكن تَجَاوَزَ وعَفَا.

يَومُ أُحُدٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أمَّا يَومُ أُحُدٍ، فَهُوَ يَومٌ عَصِيبٌ كَانَ على سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَقَد وَقَعَ في حُفْرَةٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ، وشُجَّ وَجْهُهُ الشَّرِيفُ، ودَخَلَتْ حَلقَتَا المِغفرِ في وَجْنَتِهِ الشَّرِيفَةِ، فَشَقَّ ذلكَ على أَصحَابِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اُدْعُ عَلَيهِم.

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَّانَاً ولا لَعَّانَاً، ولكن بَعَثَنِي دَاعِيَةً وَرَحمَةً، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُم لا يَعلَمُونَ» رواه البيهقي عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُبَيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَعظَمَكَ، مَا أَحلَمَكَ، مَا أَكرَمَكَ، لو أَنَّكَ دَعَوتَ عَلَيهِم، ماذا سَتَكُونُ النَّتِيجَةُ؟ مَا أَصْدَقَكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ عِندَمَا قُلتَ: «إِنَّمَا أَنَا رَحمَةٌ مُهْدَاةٌ» ومَا أَكذَبَهُم عِندَمَا قَالُوا عَنكَ مَا قَالُوا ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لَقَد تَوَعَّدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولكن تَجَاوَزَ وعَفَا.

خاتِمَةٌ ــــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحنُ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ إلى قِرَاءَةِ سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وأن نَقرَأَهَا لِمَن يَلُوذُ بِنَا، وللمُسلِمِينَ عَامَّةً، حَتَّى لا يَقَعُوا في شِرَاكِ أَعداءِ هذهِ الأُمَّةِ، فَسَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبيٌّ الرَّأفَةِ والرَّحمَةِ، إذا وَعَدَ وَفَى، وإذا تَوَعَّدَ تَجَاوَزَ وعَفَا، جَزَاهُ اللهُ تعالى عَنَّا خَيرَ مَا جَزَى نَبِيّاً عن أُمَّتِهِ، وَوَفَّقَنَا اللهُ تعالى للتَّخَلُّقِ بِأَخلاقِهِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

417ــ خطبة الجمعة: رسول كريم، إذا وعد وفى، وإذا توعد تجاوز وعفا (٢(

بسم الله الرحمن الرحيم

٤١٧ـ خطبة الجمعة: رسول كريم، إذا وعد وفى، وإذا توعد تجاوز وعفا (٢)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبادَ اللهِ، من عَرَفَ حَقِيقَةَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من خِلالِ القُرآنِ العَظِيمِ، والسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ، فَإِنَّهُ يَشتَاقُ لِرُؤيَةِ وَجْهِهِ الأَغرِّ، ولِسَمَاعِ صَوْتِهِ العَذْبِ المُنَوَّرِ، ويَرجُو أن يَلمَسَ كَفَّهُ النَّدِيَّ الأَطْهَرَ، ويَشَمَّ مِنهُ رَائِحَةَ المِسْكِ الأَذْفَرِ، ويَتَحَقَّقَ فِيهِ قَولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كَيفَ لا يَكُونُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ كذلكَ عِندَ المُؤمِنِ، وهوَ قد عَلِمَ حَقِيقَةَ هذا الحَبِيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَحمَةٌ للعَالَمِينَ في الدُّنيَا، ورَحمَةٌ للمُؤمِنِينَ في البَرزَخِ، ورَحمَةٌ للنَّاسِ أَجمَعِينَ يومَ القِيَامَةِ، لأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ العُظْمَى للخَلْقِ أَجمَعِينَ.

كَيفَ لِعَاقِلٍ أن يَفتَرِيَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، هذهِ هيَ حَقِيقَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا جَاءَتْ فِي القُرآنِ العَظِيمِ، والسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ، وجَاءَتْ سِيرَتُهُ العَطِرَةُ مُصَدِّقَةً لما جَاءَ فِي القُرآنِ والسُّنَّةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كَيفَ لِعَاقِلٍ، بل لمن كَانَ فِيهِ شَيءٌ من الخَيرِ والخُلُقِ، أن يَفتَرِيَ على سَيِّدِ البَشَرِ، الذي جَعَلَهُ اللهُ تعالى خَيرَ سَبَبٍ لِرَحمَةِ النَّاسِ وهِدَايَتِهِم، وإخرَاجِهِم من الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، ومن الجَوْرِ والجَهْلِ والطُّغيَانِ إلى نُورِ العَدْلِ والعِلْمِ والإيمَانِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كَيفَ لِعَاقِلٍ أن يَفتَرِيَ على سَيِّدِ البَشَرِ، فَيَقُولَ: إنَّ مُحَمَّدَاً وصَحْبَهُ وهذا الدِّينَ الذي جَاءَ بِهِ هوَ دِينُ إرهَابٍ وقَتْلٍ، وإنَّهُ وأَتبَاعَهُ كَانُوا مُتَعَطِّشِينَ للدِّمَاءِ؟ ويَستَدِلُّونَ لذلكَ بِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «جِئْتُكُمْ بالذَّبْحِ».

الكَرِيمُ إذا وَعَدَ وَفَى، وإذا تَوَعَّدَ تَجَاوَزَ وعَفَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ الافتِرَاءَ على سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من شَأنِ اللِّئَامِ، لا من شَأنِ الكِرَامِ، لأنَّ الكِرَامَ إذا وَعَدُوا وَفَوْا، وإذا تَوَعَّدُوا تَجَاوَزُوا وعَفَوْا، أمَّا اللِّئَامُ إذا وَعَدُوا أَخلَفُوا، وإذا تَوَعَّدُوا تَجَاوَزُوا وظَلَمُوا.

يَا عِبَادَ اللهِ، اُنظُرُوا فِي سِيرَةِ مَن أَرسَلَهُ اللهُ تعالى رَحمَةً للعَالَمِينَ، والذي قَالَ مُنْذِرَاً

ومُتَوَعِّدَاً ــ وهوَ الكَرِيمُ ــ: «جِئْتُكُمْ بالذَّبْحِ». لِتَجِدُوا سِيرَتَهُ العَطِرَةَ مَلِيئَةً بالعَفْوِ والصَّفْحِ والتَّجَاوُزِ عن كُلِّ من أَسَاءَ إِلَيهِ.

أَسْرَى بَدْرٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اُنظُرُوا فِي سِيرَةِ مَن قَالَ لِقُرَيشٍ: «جِئْتُكُمْ بالذَّبْحِ». عِندَمَا وَقَعَ بَعْضُهُم فِي الأَسْرِ يومَ بَدْرٍ، ماذا قَالَ لأَصحَابِهِ الكِرَامِ في حَقِّ هؤلاءِ الأَسْرَى الذينَ كَانُوا يُقَاتِلُونَهُم؟

روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ بِإسنَادٍ حَسَنٍ، عَنْ أَبِي عَزِيزِ بن عُمَيْرٍ، أَخِي مُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي الأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بالأَسَارَى خَيْراً».

وَكُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ أَكَلُوا التَّمْرَ وَأَطْعَمُونِي الْخُبْزَ بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ.

يَا عِبَادَ اللهِ، هَل مَوقِفُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هذا من الأَسْرَى الذينَ كَانُوا يُحَارِبُونَهُ دَلِيلٌ على أَنَّهُ نَبِيُّ الرَّحمَةِ، أم أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُم بالذَّبْحِ؟ إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الكَرِيمُ الجَوَادُ الذي إذا تَوَعَّدَ تَجَاوَزَ وعَفَا.

هَل هذا الحَبِيبُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي أَوصَى أَصحَابَهُ بالأَسْرَى يُوصَفُ بالإِرهَابِ والدَّمَوِيِّ وحُبِّ القَتْلِ، أم أَنَّهُ وَصْفُ مُجْرِمِي مُدَّعِي

الإِنسَانِيِّةِ والرِّحمَةِ في هذا العَصْرِ، الذينَ تَعرِفُونَ حَقَّ المَعرِفَةِ كَيفَ يُعَامِلُونَ الأَسْرَى.

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لهؤلاءِ الذينَ أَجرَمُوا في حَقِّ رَسُولِ الإِنسَانِيَّةِ: لماذا لم يَذْبَحِ الأَسْرَى يومَ بَدْرٍ؟ بل قَبِلَ مِنهُمُ الفِدَاءَ، وأَطلَقَ سَرَاحَهُم، لأَنَّهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ مَا خُيِّرَ بَينَ أَمرَينِ إلا اختَارَ أَيسَرَهُمَا، فاختَارَ الفِدَاءَ على القَتْلِ.

يَومُ الفَتْحِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اُنظُرُوا في سِيرَةِ مَن قَالَ لِقُرَيشٍ: «جِئْتُكُمْ بالذَّبْحِ». عِندَمَا دَخَلَ مَكَّةَ فَاتِحَاً.

روى الإمام البخاري عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا ــ يَعنِي أَبَا سُفيَانَ ــ قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟

قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، مَعَهُ الرَّايَةُ.

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ، حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ، وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ.

فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟

قَالَ: «مَا قَالَ؟».

قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ: «كَذَبَ سَعْدٌ ـــ أي: أَخطَأَ، بِلُغَةِ أَهلِ الحِجَازِ ـــ وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ».

وعِندَ أَهلِ المَغَازِي قَالَ: الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ، الْيَوْمَ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشاً.

ونَزَعَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ من سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، وأَعطَاهَا إلى وَلَدِهِ قَيْسٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، هَل عَرَفنَا سِيرَةَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ وهَل عَرَفنَا كَذِبَ وادِّعَاءَ مُدَّعِي الرَّحمَةِ والإِنسَانِيَّةِ اليَومَ؟

سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ بَعدَ الفَتْحِ مُنتَصِراً، وجَمَعَ قُرَيشَاً، وهُم يَتَوَقَّعُونَ القَتْلَ لما فَعَلُوا بِهِ وبِأَصحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وأَرضَاهُم، وأَعلَنَ العَفْوَ العَامَّ عَنهُم، وعَدَمَ التَّعَرُّضِ لَهُم كُلِّيَّاً، مَعَ نِسيَانِ المَاضِي، فَقَالَ لَهُم: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟».

قَالُوا: خَيْراً، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

قَالَ: «اِذْهَبُوا، فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» رواه البيهقي.

ولهذا سَمَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هذا اليَومَ يَومَ المَرحَمَةِ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَعرِفَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَرْضٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ، وخَاصَّةً في هذهِ الآوِنَةِ، حَيثُ كَثُرَ الطَّعْنُ في شَخْصِيَّةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، رَسُولُنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي قَالَ لِقُرَيشٍ: «جِئتُكُمْ بالذَّبْحِ». مَا قَتَلَ إلا رَجُلاً وَاحِداً مُشْرِكاً خَبِيثاً، وهوَ أُبَيٌّ بنُ خَلَفٍ، وقَتَلَ أَصْحَابُهُ الكِرَامُ من المُشْرِكِينَ من خِلالِ سَبْعٍ وعِشْرِينَ غَزوَةً، وخَمْسٍ وثَلاثِينَ سَرِيَّةً أَلفاً واثنَينِ وعِشرِينَ من المُشْرِكِينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَا عَرَفَتِ البَشَرِيَّةُ أَرحَمَ مِنهُ، ومن شَاءَ فَلْيَقْرَأْ سِيرَتَهُ العَطِرَةَ، ولِذَا وَجَبَ على كُلِّ مُسْلِمٍ أن يَهتَدِيَ بِهَدْيِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فالرَّاحِمُونَ يَرحَمُهُمُ الرَّحمنُ، ولا تُنزَعُ الرَّحمَةُ إلا من شَقِيٍّ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيكَ رَدَّاً جَمِيلاً. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤١٨ـ خطبة الجمعة: صورتان من رحمته صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، الأَخلاقُ الفَاضِلَةُ المُثْلَى هيَ عِمَادُ الأُمَمِ، وبَقَاءُ الأُمَمِ بِبَقَاءِ أَخلاقِهَا، وَزَوَالُهَا بِزَوَالِ أَخلاقِهَا، ولا تَتَدَهْوَرُ أَخلاقُ العَبدِ إلا بِسَبَبِ نَقْصِ الإِيمَانِ والوَازِعِ الإِيمَانِيِّ، وإنّ من أَعظَمِ الأَخلاقِ التي يَجبُ أن يَتَحَلّى بهَا الإِنسَانُ خُلُقَ الرَّحمَةِ، والتَّرَاحُمَ بَينَ النَّاسِ، وهوَ مِفتَاحُ القَبُولِ لَدَى القُلُوبِ، ومِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أنّ فِقْدَانَ الرَّحمَةِ بَينَ النّاسِ يَعني فِقْدَانَ الحَيَاةِ الهَانِئَةِ الهَادِئَةِ بَينَ النّاسِ.

أَصحَابُ القُلُوبِ القَاسِيَةِ:

يَا عِبَادَ الله، من فَقَدَ خُلُقَ الرَّحمَةِ، ونُزِعَتِ الرَّحمَةُ من قَلبِهِ، وصَارَ قَلبُهُ أَقْسَى من الحَجَرِ، فهذا العَبدُ لن يُرحَمَ، وقد استَحَقّ اللّعنَةَ.

أَصحَابُ الأُخدُودِ:

يَا عِبَادَ الله، ذَكَرَ اللهُ تعالى في كِتَابِهِ العَظِيمِ فِئَةً من النّاسِ مِمَّن فَقَدُوا الرَّحمَةَ، وكَأَنَّمَا قُلوبُهُم قُدَّتْ من صَخْرٍ صُلْبٍ، تَمَثّلَت هذهِ الغِلْظَةُ والقَسْوَةُ في أَصحَابِ الأُخدُودِ، الذينَ أَضْرَمُوا النّيرَانَ وخَدُّوا الأَخَادِيدَ في الطُّرُقَاتِ حِينَ آمَنَ النّاسُ بمَا جَاءَ بِهِ الغُلامُ المُؤمِنُ، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ *

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾. فَقَدُوا الرَّحْمَةَ من قُلُوبِهِم فَحُرِمُوا رَحمَةَ اللهِ تعالى في الآخِرَةِ، وصُبَّتْ عَلَيهِمُ اللَّعنَةُ في الدُّنيا، وتَبِعَتْهُم في الآخِرَةِ.

إجرَامُ فِرعَونَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، ذَكَرَ اللهُ تعالى مِثَالاً آخرَ في كِتَابِهِ العَظِيمِ عَمَّن فَقَدُوا الرَّحمَةَ، فَلَم يَرْعَ حَقَّ أُمٍّ، ولا حَقَّ رَضِيعٍ، ولَم يَدَعْ صَغِيراً ولا كَبيراً في عَافِيَةٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

صُوَرٌ من رَحمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد أَرسَلَ اللهُ تعالى سَيِّدِنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِيَغرِسَ في نُفُوسِ أَتبَاعِهِ خُلُقَ الرَّحمَةِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ » رواه الإمام أحمد وأبو داود عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وعِندَمَا كَانَت هذهِ مَهمَّتَهُ، جَبَلَهُ اللهُ تعالى على هذا الخُلُقِ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، تَعَرَّفُوا على صُوَرٍ من رَحمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَعرِفُوا حَقِيقَةَ هذا الحَبِيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

أولاً: رَحمَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِفَضَالَةَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من مَظَاهِرِ رَحمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِفَضَالَةَ بنِ عُمَيرٍ، الذي حَاوَلَ اغتِيَالَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ يَطُوفُ حَولَ الكَعبَةِ عَامَ الفَتْحِ.

جَاءَ فِي سِيرَةِ ابنِ هِشَامٍ، أَنَّ فَضَالَةَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوَّحِ اللَّيْثِيِّ أَرَادَ قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ.

فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَفَضَالَةُ؟».

قَالَ: نَعَمْ، فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «مَاذَا كُنْت تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَك؟».

قَالَ: لَا شَيْءَ، كُنْت أَذْكُرُ اللهَ.

فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ قَالَ: «اِسْتَغْفِرِ اللّٰهَ».

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَسَكَنَ قَلْبُهُ.

فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: واللهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا مِنْ خَلْقِ اللهِ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ.

ثانياً: إِغَاثَتُهُ لِقُرَيشٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من مَظَاهِرِ رَحمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِغَاثَتُهُ قُرَيشاً لَمّا مَنَعَ عَنهَا ثُمَامَةُ بنُ أُثَالٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أن يَأتِيَهَا شَيءٌ من الحِنطَةِ والشَّعِيرِ من اليَمَامَةِ، فَاسْتَغَاثُوا بِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن يَطْلُبَ من ثُمَامَةَ في أن يَرفَعَ الحِصَارَ عَنهُم، فقد هَلَكُوا، فَأَدرَكَتْهُمُ الشَّفَقَةُ، وشَمِلَتْهُمُ الرَّحمَةُ.

جَاءَ فِي زَادِ المَعَادِ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ الْحَنِيفِيِّ سَيِّدِ بَنِي حَنِيفَةَ، فَرَبَطَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، وَمَرَّ بِهِ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟».

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْ، تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ، تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْت.

فَتَرَكَهُ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ مَرّةً أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ كَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَوَّلاً.

ثُمَّ مَرَّ مَرَّةً ثَالِثَةً، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ».

فَأَطْلَقُوهُ، فَذَهَبَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِن الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ جَاءَهُ فَأَسْلَمَ؛ وَقَالَ: واللهِ مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِك، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، واللهِ مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ دِينٌ أَبْغَضَ عَلَيَّ مِنْ دِينِك، فَقَدْ أَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الْأَدْيَانِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ.

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا: صَبَوْتَ يَا ثُمَامَةُ؟

قَالَ: لَا واللهِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَلَا واللهِ لَا تَأتِيكُم من الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَت الْيَمَامَةُ رِيفَ مَكَّةَ، فَانْصَرَفَ إِلَى بِلَادِهِ، وَمَنَعَ الْحَمْلَ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى جَهِدَتْ قُرَيْشُ، فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ بِأَرْحَامِهِمْ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى ثُمَامَةَ يُخَلِّي إِلَيْهِمْ حَمْلَ الطَّعَامِ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبادَ اللهِ، أَينَ عَهْدُ سَلَفِنَا الصَّالِحِ فِينَا؟ لقد كَانَ صِدِّيقُ الأُمَّةِ يَتَعهَّدُ امرأَةً عَمْيَاءَ فِي المَدِينَةِ يَقْضِي لَهَا حَاجَتَهَا سِرًّا، فَلَمَّا بُويِعَ بالخِلافَةِ قَالَت: الآنَ لا تُحلَبُ لَنَا مَنَائِحُ ــ أَغنَامُ ــ دَارِنَا.

فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فَقَالَ: بَلَى لَعَمْرِي لَأَحْلِبَنَّهَا لَكُم، وَإِنِّي لَأَرجُو أن لا يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلتُ فِيهِ عَن خُلِقٍ كُنتُ عَلَيهِ.

وهذا الفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ تَتَجَلَّى فِيهِ الرَّحْمَةُ فِي أَعلَى صُوَرِهَا عِندَمَا وُلِّيَ الخِلافَةَ، فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: اِعْلَمُوا أنَّ تِلكَ الشِّدَّةَ قَد أُضْعِفَتْ، وَلَكِنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ على أَهلِ الظُّلْمِ والتَّعَدِّي على المُسلِمِينَ، فَأَمَّا أَهلُ السَّلامَةِ والدِّينِ والقَصْدِ فَأَنَا أَلْيَنُ لَهُم من بَعْضِهِم لِبَعْضٍ، وَلَستُ أَدَعُ أَحَدَاً يَظْلِمُ أَحَدَاً، أو يَعتَدِي عَلَيهِ، حَتَّى أَضَعَ خَدَّهُ عَلى الأَرضِ وَأَضَعَ قَدَمِي على الخَدِّ الآخَرِ حَتَّى يُذعِنَ للحَقِّ، وَإِنِّي بَعدَ شِدَّتِي تِلكَ، أَضَعُ خَدِّي على الأَرضِ لأَهلِ العَفَافِ وأَهلِ الكَفَافِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، تَرَاحَمُوا، تُرحَمُوا، وأَحْيُوا خُلُقَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِيكُم.

اللَّهُمَّ أَكرِمْنَا بذلكَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤١٩ـ خطبة الجمعة: نداء لحملة العلم الشريف

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، اِنعِدَامُ الرِّحمَةِ نَتِيجَةٌ طَبيعِيَّةٌ للابتِعَادِ عن اللهِ تعالى، ونَتِيجَةٌ طَبيعِيَّةٌ لِقَسْوَةِ القَلْبِ، ونَتِيجَةٌ طَبيعِيَّةٌ لِنسْيَانِ اللهِ تعالى واليَومِ الآخِرِ.

اِنعِدَامُ الرِّحمَةِ سَبَبٌ للطَّرْدِ من رَحمَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وسَبَبٌ للشَّقَاءِ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، وسَبَبٌ لِسُوءِ الخَاتِمَةِ، وسَبَبٌ لِلَّعْنَةِ في الدُّنيَا والآخِرَةِ.

اِنعِدَامُ الرِّحمَةِ دَلِيلٌ على جَهْلِ الإنسَانِ بدِينِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وبِهَدْيِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ودَلِيلٌ على البُعْدِ عن نَهْجِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ودَلِيلٌ على التَّغيِيرِ والتَّبدِيلِ الذي يَمنَعُ العَبدَ من الوُرُودِ على حَوْضِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ودَلِيلٌ على هَلاكِ هذا العَبدِ، ودَلِيلٌ على وُجُودِ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى فِيهِ.

نداءٌ لِحَمَلَةِ العِلْمِ الشَّرِيفِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من خِلالِ هذهِ الأَزمَةِ القَاسِيَةِ، والظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ التي يَمُرُّ بِهَا النَّاسُ في هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، أَتَوَجَّهُ إِلَيكُم، وإلى كُلِّ شَرِيحَةٍ في هذا الُمجتَمَعِ بِدُونِ استِثْنَاءٍ، أَتَوَجَّهُ إلى الأُمَّةِ بِقَضِّهَا وقَضِيضِهَا، أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ مُؤَيِّدٍ ومُعَارِضٍ، وإلى كُلِّ زَاعِمٍ أَنَّهُ من أَهلِ الصَّلاحِ والإِصلاحِ، بل أَتَوَجَّهُ إلى حَمَلَةِ العِلْمِ الشَّرِيفِ لأَتَسَاءَلَ مَعَهُم، وليَتَسَاءَلُوا مَعَ أَنفُسِهِم:

أولاً: أَينَ نَحنُ من قَولِهِ تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾؟ أَينَ الرَّحمَةُ واللِّينُ فِينَا؟

ثانياً: أَينَ نَحنُ من الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الذي رواه الإمام مسلم في صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِن النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الْآيَةَ.
وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى.

فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟

فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ.

فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوؤُكَ.؟

أَينَ الرَّحمَةُ بِأُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ أَينَ الرَّحمَةُ بهذهِ الأُمَّةِ التي بَكَى عَلَيهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ ألا نَستَحْيِي من اللهِ تعالى عِندَمَا نَدَّعِي أَنَّا من أُمَّتِهِ ومن أَتبَاعِهِ ومن أَحبَابِهِ؟

ثالثاً: أَينَ نَحنُ من الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ: أَنَّ ابْناً لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا.

فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: «إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ».

فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا.

فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ.

فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيُّ، وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ ــ تُصْدِرُ أَصوَاتاً ــ

قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: «كَأَنَّهَا شَنٌّ» ــ السِّقَاءُ البَالِي ــ.

فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا؟

فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ».

يَا حَمَلَةَ العِلْمِ الشَّرِيفِ، يَا شَرَائِحَ هذا المُجتَمَعِ، يَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ بِقَضِّهَا وقَضِيضِهَا، بِدُونِ استِثْنَاءِ أَحَدٍ، أَمَا تَرَونَ كَيفَ تُزهَقُ أَروَاحُ الأَطفَالِ والنِّسَاءِ والرِّجَالِ؟ أَمَا

تَرَونَ النُّزُوحَ؟ أَمَا تَرَونَ تَهْدِيمَ البُيُوتِ، وسَلْبَ الأَموَالِ؟ هَل صَارَت قُلُوبُكُم أَقسَى من الصَّخْرِ؟ هَل أَنتُم تَشعُرُونَ بِأَنَّكُم بِحَاجَةٍ إلى رَحمَةِ اللهِ تعالى؟

رابعاً: أَينَ نَحنُ من الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الذي رواه أبو داود عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً ــ طَائِرٌ صَغِيرٌ ــ مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تُفَرِّشُ ــ تَبْسُطُ جَنَاحَهَا ــ

فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا».

وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟».

قُلْنَا: نَحْنُ.

قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ».

يَا هؤلاءِ، نَبِيُّكُمُ الكَرِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَلأَتِ الرَّحمَةُ جَوَانِحَهُ، حَتَّى لَم يَقْدِرْ مَعَهَا على رُؤيَةِ هذا الطَّائِرِ المَفْجُوعِ في وَلَدِهِ، حَتَّى أَمَرَ بِرَدِّهِ إِلَيهِ.

يَا هؤلاءِ، أَمَا تَرَونَ كَيفَ فُرِّقَ في هذهِ الأَزمَةِ بَينَ الوَالِدِ وَوَلَدِهِ، وبَينَ الزَّوجِ وزَوجَتِهِ، وبَينَ الأَخِ وأُختِهِ؟

أَمَا تَرَونَ كَيفَ يَعِيشُ النَّاسُ في المُخَيَّمَاتِ، وفي الشَّوَارِعِ، وفي المَدَارِسِ، وتَحتَ الخِيَمِ، مَعَ شِدَّةِ البَردِ، وقِلَّةِ الطَّعَامِ والشَّرَابِ، ووَسَائِلِ التَّدْفِئَةِ؟

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا حَمَلَةَ العِلْمِ الشَّرِيفِ، يَا مَن يُرِيدُ الصَّلاحَ والإصلاحَ، كَفَانَا وكَفَاكُم بُعْدَاً عن هَدْيِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، هَل نَسينَا أم تَنَاسَينَا مَا سَطَّرَتْهُ أُمُّنَا السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ الكُبْرَى رَضِيَ اللهُ عَنها عن سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، عِندَمَا قَالَت مُخَاطِبَةً الحَبيبَ الأَعظَمَ صَاحِبَ الخُلُقِ العَظِيمِ، صَاحِبَ الرَّحمَةِ العُظْمَى: أَبْشِرْ، فواللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، واللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟ رواه الشيخان.

هذهِ هيَ خِلالُ وصِفَاتُ نَبِيِّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَبلَ أن يُوحَى إِلَيهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ الوَحْيُ زَادَت هذهِ الصِّفَاتُ نُوراً وكَمَالاً وتَلأْلُؤاً وجَلالاً.

يَا عِبَادَ اللهِ، عُودُوا لِهَدْيِ نَبِيِّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وأَخلاقِهِ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيكَ رَدَّاً جَميلاً يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٢٠ـ خطبة الجمعة: ماذا زرع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في نفوس صحابته؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، يَجبُ عَلَينَا أن نَعلَمَ عِلْمَ اليَقِينِ بأنّ الإسلامَ يَنظُرُ إلى النَّفسِ الإِنسَانِيِّةِ بِشَكلٍ عَامٍّ، أَنَّهَا مُكَرَّمَةٌ ومُعَظَّمَةٌ، وهذا الأَمْرُ على إطْلاقِهِ، ولَيسَ فِيهِ استِثنَاءٌ بِسَبَبِ لَونٍ أو جِنسٍ أو دِينٍ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

ومن هذا المُنطَلَقِ كَانَ يَتعَامَلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَعَ المُخَالِفِينَ لَهُ والمُنكِرِينَ عَلَيهِ.

لقد كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَتَعامَلُ مَعَ النُّفُوسِ البَشَرِيَّةِ على أَسَاسٍ أَنَّهَا مُكَرَّمَةٌ، ولا يَجُوزُ إهَانَتُهَا أو ظُلْمُهَا، أو التَّعَدِّي على حُقُوقِهَا، أو التَّقلِيلُ من شَأنِهَا، وهذا وَاضِحٌ من خِلالِ القُرآنِ العَظِيمِ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. وهذا أَمْرٌ عَامٌّ يَشمَلُ جَمِيعَ النُّفُوسِ.

مَوقِفٌ رَائِعٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحنُ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ إلى التَّعَرُّفِ على أَخلاقِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وسِيرَتِهِ العَطِرَةِ، فَلَقَد عَلَّمَنَا بِحَالِهِ وقَالِهِ وفِعلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الإمام مسلم عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا.

فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ. ــ يَعنِي: من مَجُوسِ فَارِسَ ــ

فَقَالَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ.

فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ.

فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْساً!».

يَا عِبَادَ اللهِ، هذهِ هيَ النَّظْرَةُ الإِسلامِيَّةُ للنَّفسِ البَشَرِيَّةِ، لقد زَرَعَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في نُفُوسِ المُسلِمِينَ التَّقدِيرَ والاحتِرَامَ والرَّحمَةَ لِكُلِّ نفسٍ إنسَانِيَّةٍ، وذلكَ على الإِطلاقِ، لقد قَامَ وقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْساً!» بَعدَ أن عَلِمَ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَنتُم تَعلَمُونَ تَعَنُّتَ اليَهُودِ وحِقْدَهُم وبُغْضَهُم لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وتَعلَمُونَ إِيذَاءَهُمُ المَعنَوِيَّ والمَادِّيَّ، مَعَ كُلِّ هذا العِدَاءِ والتَّعَنُّتِ وَقَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِجَنَازَةِ وَاحِدٍ مِنهُم، وهوَ رَجُلٌ غَيرُ مَعرُوفٍ، حَتَّى لا يُقَالَ: إِنَّهُ أَسْدَى مَعْرُوفَاً مَرَّةً للمُسلِمِينَ،

أو كَانَ صَاحِبَ خُلُقٍ حَسَنٍ، لأنَّ الصَّحَابَةَ عَيَّنُوهُ بِصِفَتِهِ لا بِاسْمِهِ، وبَرَّرَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وُقُوفَهُ بِقَولِهِ: «أَلَيْسَتْ نَفْساً!» ولَم يَذْكُرْ فَضِيلَةً مُعَيَّنَةً لَهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، هذا المَوقِفُ رَسَخَ فِي نُفُوسِ الصَّحَابَةِ والذينَ جَاؤُوا من بَعدِهِم، حَتَّى دَفَعَ قَيسَ بنَ سَعْدٍ وسَهْلَ بنَ حُنَيفٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، إلى أن يَقِفَا لِجَنَازَةِ رَجُلٍ مَجُوسِيٍّ يَعبُدُ النَّارَ.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد رَبَّى الإسلامُ أَتبَاعَهُ على قَبُولِ الآخَرِينَ، لأنَّ الاختِلافَ بَينَ النَّاسِ لَيسَ أَمْرَاً مُحتَمَلاً، بل هوَ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ، ولَن يُوجَدَ زَمَانٌ أَبَدَاً يَتَّفِقُ فِيهِ النَّاسُ جَمِيعَاً على رَأْيٍ وَاحِدٍ في قَضِيَّةٍ (مَا) بِمَا فِيهَا قَضِيَّةُ الأُلُوهِيَّةِ والنُّبُوَّةِ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، مُهِمَّةُ المُسلِمِ أن يُبَلِّغَ رِسَالَةَ اللهِ تعالى، مُهِمَّةُ المُسلِمِ أن يُبَشِّرَ ويُنذِرَ، مُهِمَّةُ المُسلِمِ أن يُذَكِّرَ، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ عِنَادَ قُرَيشٍ والمُنَافِقِينَ وأَهلِ الكِتَابِ،و الصَّدّ عن سَبِيلِ اللهِ، وفِتنَةَ المُسلِمِينَ عن دِينِهِم، لَم يُوَرِّثْ في قَلبِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ شُعُوراً بالانتِقَامِ، أو رَغبَةً في الكَيدِ والتَّنكِيلِ، إِنَّمَا على العَكسِ من ذلكَ تَمَامَاً، لقد كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَشعُرُ بِأَنَّهُم مَرضَى يَحتَاجُونَ إلى طَبِيبٍ، أو حَيَارَى يَحتَاجُونَ إلى دَلِيلٍ، فَجَاءَهُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رَحمَةً، وصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

وقَالَ عن ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحمَةٌ مُهْدَاةٌ» رواه الحاكم عَن أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

لقد كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَرِيصَاً على إِيصَالِ دَعْوَتِهِ إلى النَّاسِ جَمِيعَاً، من مُشركٍ وكِتَابِيٍّ ومَجُوسِيٍّ، كَانَ يَقُولُ للنَّاسِ حُسْنَاً، ويَدعُو إلى سَبِيلِ رَبِّهِ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، ويُجَادِلُهُم بالتي هيَ أَحسَنُ.

بل كَانَ يَحزَنُ حُزنَاً شَدِيداً على مَن رَدَّ عَلَيهِ دَعْوَتَهُ، حَتَّى نَهَاهُ اللهُ عن ذلكَ بِقَولِهِ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

ومَا كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَضْغَطُ على أَحَدٍ للدُّخُولِ بالإِسلامِ، بل كَانَ يَجعَلُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. مَنهَجَاً في حَيَاتِهِ.

عُذْرَاً يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ، لقد أَخطَأنَا طَرِيقَ الدَّعْوَةِ إلى دِينِنَا، عِندَمَا جَهِلنَا سِيرَتَكَ العَطِرَةَ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيكَ رَدَّاً جَمِيلاً يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٢١ـ خطبة الجمعة: هذا هو نبيكم وحبيبكم ومصطفاكم (١)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ، حُقُوقُ العِبَادِ عَظِيمَةٌ وعَظِيمَةٌ جِدَّاً، وأَذِيَّةُ العِبَادِ من أَعظَمِ الذُّنُوبِ التي لا يَغفِرُهَا اللهُ سُبحَانَهُ وتعالى، فاللهُ تعالى قد يَغفِرُ الذُّنُوبَ التي بَينَهُ وبَينَ عَبدِهِ، أَمَّا حُقُوقُ العِبَادِ فَلا تُغفَرُ إلا إذا سَامَحَ صَاحِبُ الحَقِّ.

روى الحاكم عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الدَّوَاوِينُ ثَلاثَةٌ، فَدِيوَانٌ لا يَغْفِرُ اللهُ مِنهُ شَيَئاً، وَدِيوَانٌ لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيَئاً، وَدِيوَانٌ لا يَتْرُكُ اللهُ مِنهُ شَيئاً، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الذي لا يَغْفِرُ اللهُ مِنهُ شَيَئاً، فَالإِشْرَاكُ باللهِ عزَّ وجلّ.

قَالَ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وَأَمَّا الدِّيوَانُ الذي لا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً قَطُّ، فَظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَينَ رَبِّهِ.

وَأَمَّا الدِّيوَانُ الذي لا يَتْرُكُ اللهُ مِنهُ شَيْئاً، فَمَظَالِمُ العِبَادِ بَينَهُم القِصَاصُ لا مَحَالَةَ».

خَوْفُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِستَحْضِرُوا وُقُوفَكُم بَينَ يَدَيِ اللهِ عزّ وجلّ يومَ القِيَامَةِ، وخَاصَّةً وأَنتُم تَعِيشُونَ هذهِ الأَزمَةِ التي جَعَلَتِ الحَلِيمَ حَيرَانَ في تَعَامُلِ النَّاسِ مَعَ بَعْضِهِمُ البَعْضِ.

لقد كَثُرَ الظُّلْمُ وعَمَّ وطَمَّ في هذهِ الأَزمَةِ، ولقد زَادَ البُعْدُ عن اللهِ تعالى إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى، ومَا ذَاكَ إلا لِنسْيَانِ العَرْضِ على اللهِ تعالى يَومَ العَرْضِ، ولِنسْيَانِ قَولِهِ تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ولِنسْيَانِ قَولِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، اُنظُرُوا إلى مَوقِفٍ من مَوَاقِفِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في لَحْظَةٍ حَرِجَةٍ، ودَقِيقَةٍ صَعْبَةٍ، ومَوقِفٍ يَرجُفُ فِيهِ القَلبُ والفُؤَادُ، في مَعرَكَةِ الفُرقَانِ مَوقِعَةِ بَدْرٍ.

وَقَفَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهوَ القَائِدُ يُسَوِّي الصُّفُوفَ ويُعَدِّلُهَا، وكَانَ في يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ، وكَانَ سَوَادُ بنُ غَزِيَّةَ مُسْتَنْصِلاً من الصَّفِّ، فَطَعَنَ في بَطْنِهِ بالقِدْحِ، وَقَالَ: «اِستَوِ يَا سَوَادُ».

فَقَالَ سَوَادُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوجَعتَنِي فَأَقِدْنِي.

فَكَشَفَ عَن بَطْنِهِ وَقَالَ: «اِستَقِدْ».

فَاعتَنَقَهُ سَوَادُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ.

فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ على هذا يَا سَوَادُ؟».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَد حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدتُ أن يَكُونَ آخِرُ العَهْدِ بِكَ أن يَمَسَّ جِلدِي جِلدَكَ.

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِخَيرٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، هل أَرَاكُمُ التَّارِيخُ شَخصِيَّةً كَشَخصِيَّةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ هل أَرَاكُم زَعِيماً ومُرَبِّياً ودَاعِياً وهَادِيَاً وبَشِيراً ونَذِيراً كَشَخصِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

لقد وَقَفَ سَوَادُ بنُ غَزِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مُنتَظِرَاً سَاعَةِ الصِّفْرِ، في سَاعَةٍ حَرِجَةٍ، وخَاطَبَ قَائِدَهُ وسَيِّدَهُ وحَبِيبَهُ ومُصطَفَاهُ، بِكُلِّ حُبٍّ وصِدْقٍ وشَجَاعَةٍ أَدَبِيَّةٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوجَعتَنِي فَأَقِدْنِي.

يَا عِبَادَ اللهِ، المَوقِفُ لَيسَ دُعَابَةً ولا مِزَاحَاً، المَوقِفُ مَوقِفُ جِدٍّ، سَوَادُ يُرِيدُ شَيئَاً من سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وجَاءَتِ الفُرصَةُ لِيُحَقِّقَ مَا يُرِيدُ.

لقد طَلَبَ القَوَدَ من سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهوَ يَعلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَن يَتَجَاهَلَ هذا الطَّلَبَ، ولَن يُغضِبَهُ، لأَنَّهُ على يَقِينٍ بِأَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ.

أَينَ من يُنصِفُ الآخَرِينَ من نَفسِهِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، ماذا فَعَلَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِندَمَا قَالَ لَهُ سَوَادٌ: فَأَقِدْنِي؟

لقد كَشَفَ عن بَطْنِهِ، وقَالَ لَهُ: «اِستَقِدْ».

أَيُّ عَظَمَةٍ هذهِ؟ أَيُّ قُدْوَةٍ هذهِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، حُقَّ للتَّارِيخِ أن يَحنِيَ جَبهَتَهُ، ويَخفِضَ هَامَتَهُ، إجلالاً وتَعظِيمَاً لهذا المَوقِفِ الذي أَذهَلَ عُقَلاءَ الأَعدَاءِ، وأَلجَمَ فُصَحَاءَ الخُصُومِ.

تَقَدَّمَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ للقَوَدِ، وهوَ لا يَعلَمُ ماذا سَيَفعَلُ سَوَادٌ؟ مَعَ أَنَّهُ واللهِ الذي لا إِلَهَ غَيرُهُ، مَا كَانَ ظَالِمَاً لَهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، واللهِ الذي لا إِلَهَ غَيرُهُ، مَا كَانَ مَوقِفُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ هذا من بَابِ الدِّعَايَةِ الإعلامِيَّةِ، ومَا كَانَ مَسْرَحِيَّةً من المَسْرَحِيَّاتِ كَمَسْرَحِيَّاتِ الإعلامِ، بل كَانَ الدَّافِعُ لَهُ خَوْفَهُ من اللهِ تعالى، أن يَلقَى اللهَ تعالى وأَحَدٌ من الخَلْقِ يُطَالِبُهُ بِحَقٍّ من الحُقُوقِ.

فَأَينَ من يُنصِفُ الآخَرِينَ من نَفسِهِ؟

«مَن كُنتُ جَلَدتُ لَهُ ظَهْرَاً فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنهُ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ خَوْفَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من اللهِ تعالى القَائِلِ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. دَفَعَهُ لهذا المَوقِفِ مَعَ سَوَادٍ.

بل هذا الحَبيبُ الأَعظَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقِفُ قَبلَ وَفَاتِهِ بِخَمسَةِ أَيَّامٍ قَائِلاً للنَّاسِ: «مَن كُنتُ جَلَدتُ لَهُ ظَهْرَاً فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنهُ، وَمَن كُنتُ شَتَمتُ لَهُ عِرْضَاً فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنهُ».

خاتِمَةٌ ــــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هذا هوَ نَبِيُّكُم وحَبِيبُكُم ومُصطَفَاكُم، فَارفَعُوا رُؤُوسَكُم إلى السَّمَاءِ بانتِسَابِكُم لأُمَّتِهِ، وباتِّبَاعِكُم لَهُ، وقُولُوا لمن وَلَّى وَجْهَهُ شَطْرَ الشَّرقِ والغَربِ، والمُنَظَّمَاتِ الدُّوَلِيَةِ، لِحَلِّ هذهِ الأَزمَةِ، مُلتَمِسَاً شِفَاءً لِمَا في صَدْرِهِ، ودَوَاءً

لِمَرَضِهِ، وحَلّاً لِمَشَاكِلِهِ: تَعَالَ إلى مَا هوَ خيرٌ لَكَ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لا تَشُذُّوا عن هَدْيِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولا تَظُنُّوا بِأَنَّ اللهَ تعالى غَافِلٌ عَمَّا تعمَلُونَ، فَاتَّقُوا اللهَ في عِبَادِ اللهِ، ولا تَظلِمُوا أَحَدَاً، فَإِنَّ رَبَّكُم لَبِالمِرْصَادِ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيكَ رَدَّاً جَميلاً يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤٢٢ـ خطبة الجمعة: هذا هو نبيكم وحبيبكم ومصطفاكم (٢)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، لَيسَ أَروَحَ للعَبدِ، ولا أَطرَدَ لِهُمُومِهِ، ولا أَقَرَّ لِعَينِهِ، من أن يَعِيشَ سَلِيمَ القَلبِ، ومُبَرَّأً من الضَّغِينَةِ والأَحقَادِ، لأنَّ الضَّغَائِنَ والأَحقَادَ سَبَبٌ لِفَسَادِ القَلبِ، وسَبَبٌ لِتَسَرُّبِ الإِيمَانِ من القَلبِ، وسَبَبٌ لِظُلْمَةِ القَلبِ، وسَبَبٌ لِفَسَادِ الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، سَلامَةُ الصَّدْرِ من لَوَازِمِ التَّقوَى، وهيَ نِعمَةٌ من أَعظَمِ نِعَمِ اللهِ تعالى التي تُوهَبُ لأَهلِ الجَنَّةِ حِينَمَا يَدخُلُونَهَا، قَالَ تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، القَلبُ الذي يَمتَلِئُ حِقْدَاً يُتعِبُ صَاحِبَهُ، ويَجعَلُ صَاحِبَهُ دَائِمَاً مَشغُولَ الفِكْرِ، وفي حَالَةِ قَلَقٍ دَائِمٍ، لا يَهنَأُ بِنَومٍ، ولا يَتَلَذَّذُ بِلُقْمَةٍ، بَل يَجعَلُهُ بَعِيدَاً عن أَخلاقِ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

<u>رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قُدْوَتُنَا:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، لا يَصْلُحُ أَحَدٌ في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا أن تَكُونَ سِيرَتُهُ هَادِيَةً للنَّاسِ جَمِيعَاً، إلا سَيِّدَنا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وكُلُّ مَن مَرَّ على وَجْهِ البَسِيطَةِ من عُظَمَاءَ وعُلَمَاءَ لا تَصْلُحُ سِيرَتُهُمُ التي نُقِلَتْ إِلَينَا أن تَكُونَ قُدْوَةً هَادِيَةً لِكُلِّ النَّاسِ، إلا سيرَةَ الحَبِيبِ المُصطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فَمَن أَرَادَ الكَمَالَ لِشَخْصِيَّتِهِ، فَعَلَيهِ أن يَلتَزِمَ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾.

مَوقِفُ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من أُبَيِّ ابنِ سَلُولٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، رَحمَةُ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رَحمَةٌ عَجِيبَةٌ، مَا عَرَفَتِ البَشَرِيَّةُ مِثلَهَا، وجَميعُ الرُّحَمَاءِ من البَشَرِ يَحثُونَ رُؤُوسَهُم في التُّرَابِ أَمَامَ صَاحِبِ هذهِ الرَّحمَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، رَجُلٌ من المُنَافِقِينَ عُلِمَ نِفَاقُهُ بِطَرِيقِ الوَحْيِ، وهوَ رَأسُ المُنافِقِينَ، جَرَائِمُهُ لا تُحْصَى، ومَعَايِبُهُ لا تُعَدُّ، وقد آذَى سَيِّدَنا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ شَخْصِيّاً في مَالِهِ وعِرْضِهِ وأَصْحَابِهِ، وذَكَرَ اللهُ تعالى شَيْئاً عن إجْرَامِهِ في حَقِّ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

وقَالَ تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وأَعظَمُ جُرْمٍ ارتَكَبَهُ بَعدَ نِفَاقِهِ وكُفْرِهِ أَنَّهُ طَعَنَ في عِرْضِ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ومَرَّتِ الأَيَّامُ والأَشْهُرُ والسَّنَوَاتُ، وحَانَ أَجَلُ هذا المُنَافِقِ، وحَانَ أن يَذُوقَ هذا المُجرِمُ كَأْسَ المَنِيَّةِ، الذي كَتَبَهُ اللهُ تعالى على كُلِّ مَخْلُوقٍ، قَالَ تعالى: ﴿كُلُّ

نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. جاءَتْ مُصِيبَةُ المَصَائِبِ لِهذا المُجْرِمِ، جاءَتْهُ مُصِيبَةُ المَوْتِ، لِيَرَى مَا قَدَّمَ.

ولكن؛ ماذا كَانَ مَوقِفُ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِنهُ؟ وكَيفَ كَانَ شَأْنُهُ؟

«أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، لِتُحْنِ البَشَرِيَّةُ رَأْسَهَا أَمَامَ صَاحِبِ هذهِ الرَّحمَةِ المُهْدَاةِ، إِنَّهَا رَحمَةٌ عَجِيبَةٌ واللهِ مَا عَرَفَتْهَا البَشَرِيَّةُ في شَخْصٍ قَبلَ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ولا بَعْدَهُ.

روى الإمام البخاري عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ جاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ.

فَأَعْطَاهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ.

فَقَالَ: «آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ» فَآذَنَهُ.

فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَلَيْسَ اللهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ.

فَقَالَ: «أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ، قَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾».

فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً﴾.

وفي رِوَايَةٍ للشَّيخَينِ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ».

وفي رِوَايَةٍ للشَّيخَينِ أَيضاً عن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ قَبْرِهِ، فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَينَ نَحنُ من سِيرَةِ هذا الحَبِيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ أَينَ طَلَبَةُ العِلْمِ فَضْلاً عن عُلَمَائِنَا من هذا الخُلُقِ العَظِيمِ؟!

أَينَ هذا القَلبُ فِينَا؟ مَا عَرَفَ قَلبُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حِقْداً ولا غِلّاً على أَحَدٍ من خَلْقِ اللهِ، حَتَّى في حَقِّ هذا الرَّجُلِ الخَبِيثِ الكَافِرِ رَأْسِ النِّفَاقِ، الذي اتَّهَمَ أُمَّ المُؤمِنِينَ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها ـــ وحَاشَاهَا ـــ وحَرَّضَ المُشرِكِينَ على قِتَالِ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وتَعَاوَنَ مَعَ اليَهُودِ ضِدَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وحَرَّضَ الأَنصَارَ على إِخرَاجِ سَيِّدِنا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وأَصْحَابِهِ من المَدِينَةِ.

مَعَ كُلِّ هذا، كَانَتِ الشَّفَقَةُ والرَّحمَةُ في قَلبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هذا الرَّجُلِ، حَتَّى إِنَّهُ أَرَادَ أن يَزِيدَ على السَّبعِينَ في اسْتِغْفَارِهِ لَهُ، حَتَّى نَهَاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ عن ذلكَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَتَذَكَّرْ جَمِيعاً قَولَ اللهِ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا سَلامَةَ الصَّدْرِ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٢٣ـ خطبة الجمعة: أَحِلْ ظالمك على الله

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، الظُّلْمُ عَمَّ وطَمَّ، والقِلِيلُ من النّاسِ مَن لَم يَقَعْ عَلَيهِمُ الظُّلْمُ فِي هذهِ الأَزمَةِ، وبِسَبَبِ هذا الظُّلْمِ كَادَ البَعضُ أن يُفتَنَ فِي دِينِهِ ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ ومن فُتِنَ فِي دِينِهِ خَسِرَ الدُّنيَا والآخِرَةَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِمَن وَقَعَ عَلَيهِ الظُّلْمُ بِأَيِّ شَكلٍ من أَشكَالِهِ:

صَبْرَاً أَيُّهَا المَظلُومُ، ولا تَهِنْ، فإنّ عَينَ اللهِ لا تَنَامُ ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾.

صَبْرَاً أَيُّهَا المَظلُومُ، ولا تَهِنْ، فإنّ اللهَ تعالى لَيسَ بِغَافِلٍ عن الظَّالِمِ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾.

صَبْرَاً أَيُّهَا المَظلُومُ، ولا تَهِنْ، فَمَولاكَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ مِمَّن ظَلَمَكَ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

صَبْرَاً أَيُّهَا المَظلُومُ، ولا تَهِنْ، فإنّ اللهَ تعالى أَقسَمَ بأَنَّهُ نَاصِرُكَ «وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، عن اللهِ تَبَارَكَ وتعالى.

أَحِلْ ظَالِمَكَ على اللهِ تعالى:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَكفِي العَبدَ إنصَافَاً وعَدْلاً أَنَّهُ يُنتَظَرُ يومَ القِيَامَةِ، يَومَ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً، يَكفِي العَبدَ إنصَافَاً وعَدْلاً أَنَّهُ يُنتَظَرُ يومَ القِيَامَةِ، حَيثُ تُوضَعُ مَوَازِينُ القِسْطِ، لذلكَ من وَقَعَ عَلَيهِ ظُلْمٌ فَلْيُحِلْ ظَالِمَهُ على اللهِ تعالى.

إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي *** وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ

أَيُّهَا المَظْلُومُ، أَغلِقْ مِلَفَّ المَاضِي، بِمَآسِيهِ ودُمُوعِهِ، وأَحزَانِهِ ومَصَائِبِهِ، وآلامِهِ وهُمُومِهِ، واسْتَودِعْهُ عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، واجْعَلْهُ رَصِيداً لِنَفسكَ وأَنتَ تَسْتَحضِرُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فإِنْ لَم تَقْدِرْ على ذلكَ، فَارْفَعْ يَدَيكَ إلى مَولاكَ، وقُلْ: رَبَّنَا، رَبَّنَا، رَبَّنَا، رَبَّنَا، رَبَّنَا، ثمَّ اسْتَيْقِنْ بِأَنَّ اللهَ قد استَجَابَ دُعَاءَكَ، لأنَّ اللهَ تعالى عِندَمَا وَصَفَ أُولِي الأَلبَابِ في آخرِ سُورَةِ آلِ عِمرَانَ، قَالَ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ لأَنَّهُم قَالُوا: رَبَّنَا، خَمسَ مَرَّاتٍ.

اِحْذَرْ أن تَظْلِمَ لِتَنتَقِمَ:

أَيُّهَا المَظْلُومُ، اِحْذَرْ أن تَظْلِمَ لِتَنتَقِمَ، لأنَّ الكَثِيرَ مِمَّن أَرَادُوا الانتِقَامَ ظَلَمُوا بانتِقَامِهِم، وأَسرَفُوا في الانتِقَامِ، كَانُوا مَظْلُومِينَ، فَصَارُوا ظَالِمِينَ، لذلكَ الأَولَى أن تَسمَعَ قَولَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» رواه الإمام أحمد عن عُقْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. واصبِرْ، فإنَّ اللهَ تعالى جَاعِلٌ لَكَ فَرَجَاً ومَخرَجَاً، ومَن عَفَا وأَصْلَحَ فَقَد وَقَعَ أَجْرُهُ على اللهِ تعالى.

وإنْ أَبيتَ العَفْوَ لِضَعْفِكَ وقِلّةِ صَبْرِكَ، فَارْفَعْ يَدَيكَ إلى اللهِ عزّ وجلّ، وقُلْ: يَا رَبّ أَنتَ القَائِلُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وأَنتَ القَائِلُ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾. وأَنتَ القَائِلُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وأَنتَ القَائِلُ: (أَنَا عِندَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُم مِن أَجلِي) فَأَسأَلُكَ يَا رَبُّ بِأَسمَائِكَ الحُسْنَى، وصِفَاتِكَ العُلا، أن تُعِزّ الإِسلامَ والمُسلِمِينَ، وتُذِلّ الشِّرْكَ والمُشرِكِينَ، وأن تَنصُرَ مَن نَصَرَ هذا الدِّينَ، وأن تَخْذُلَ من خَذَلَ هذا الدِّينَ، وأن تُرِيَنَا عَجَائِبَ قُدْرَتِكَ فِي القَومِ الظَّالِمِينَ؛ ثمّ سَلْهُ بَعدَ ذلكَ مَا تَشَاءُ من خَيرَيِ الدُّنيَا والآخِرَةِ.

أَرِحْ قَلبَكَ بالدُّعَاءِ:

أَيُّهَا المَظْلُومُ، أَرِحْ قَلبَكَ بالدُّعَاءِ، فَرَبُّكَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَستَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً خَائِبَتَيْنِ، أَرِحْ قَلبَكَ بالدُّعَاءِ، وقُلْ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾. لأنّ اللهَ تعالى هوَ المُؤَمَّلُ لِكُلِّ الشَّدَائِدِ.

أَيُّهَا المَظْلُومُ، اِرْفَعْ يَدَيكَ فِي دُجَى الأَسحَارِ، لأنّ اللهَ تعالى يُنَادِيكَ فِي ظُلُمَاتِهَا «مَنْ يَدْعُونِي فَأَستَجِيبَ لَهُ» وقُلْ لَهُ: رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

أَيُّهَا المَظْلُومُ، هَل تَعلَمُ أَنَّهُ بِدَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ، من قَلبٍ صَادِقٍ مَظْلُومٍ، أَغرَقَ اللهُ تعالى أَهلَ الأَرضِ جَمِيعَهُم، إلا من شَاءَ اللهُ تعالى، عِندَمَا دَعَاهَا سَيِّدُنَا نُوحٌ عَلَيهِ

السَّلامُ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾؟

وهَل تَعلَمُ أَنَّهُ بِدَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ، من قَلبٍ صَادِقٍ مَظْلُومٍ، أَهلَكَ اللهُ تعالى فِرعَونَ وقَومَهُ، عِندَمَا دَعَاهَا سَيِّدُنا مُوسَى عَلَيهِ السَّلامُ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾؟

وهَل تَعلَمُ أَنَّهُ بِدَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ، من قَلبٍ صَادِقٍ مَظْلُومٍ، أَغَاثَ اللهُ تعالى الدَّاعِيَ، فَأَمَدَّهُ اللهُ تعالى بالمَلائِكَةِ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾؟

يَا عِبَادَ اللهِ، أَحِيلُوا ظَالِمِيكُم على اللهِ تعالى، واحْذَرُوا أن تَظْلِمُوا لِتَنتَقِمُوا.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَرِيحُوا قُلُوبَكُم بالدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ فَارِجَ الهَمِّ، كَاشِفَ الغَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضطَرِّينَ، فَرِّجْ عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأَستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٢٤ـ خطبة الجمعة: خسارة الدنيا لا قيمة لها أمام ربح الآخرة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، كَثِيرٌ من النَّاسِ مُقِيمُونَ على مَعصِيَةِ الله عزَّ وجلّ، ويَستُرُهُمُ اللهُ تعالى، ويَحْفَظُ عَلَيهِمُ النِّعمَةَ، بَل وَيَزِيدُهَا، فَيَظُنُّ هؤلاءِ أنّ المَعصِيَةَ هَيِّنَةٌ حَقِيرَةٌ،

ولولا أَنَّهَا كذلكَ لَعَجَّلَ اللهُ تعالى لَهُمُ العُقُوبَةَ في الدُّنيَا، بَل رُبَّمَا أن يَصِلَ بِهِمُ الحَالُ إلى أن يَهتِكُوا سِتْرَ اللهِ تعالى عَلَيهِم، فَيُجَاهِرُونَ بالمَعصِيَةِ جِهَاراً نَهَاراً، ونَسِيَ هؤلاءِ أنّ حِلْمَ اللهِ تعالى اسْتِدْرَاجٌ لَهُم من اللهِ سُبحَانَهُ وتعالى.

يَا عِبَادَ اللهِ، تَدَبَّرُوا قَولَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ».

قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ رواه الشيخان عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِكُلِّ عَبدٍ مَظْلُومٍ مَكْلُومٍ مَجْرُوحِ الفُؤَادِ: إِيَّاكَ أن تَظُنَّ أنَّ اللهَ تعالى قَد أَهمَلَ الظَّالمَ، أو أنَّ اللهَ تعالى نَسِيَ الظَّالِمَ، فَرَبُّنا عزَّ وجلَّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَنْسَى، بَل من سُنَّتِهِ في خَلْقِهِ أنَّهُ يُمْهِلَ أَهلَ الظُّلْمِ والطُّغيَانِ، حَتَّى إذا أَخَذَهُم لَم يُفلِتْهُم.

يَا عِبَادَ اللهِ، تَدَبَّرُوا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾. يَعنِي: لُعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ؛ أَينَ هؤلاءِ الظَّالِمُونَ؟

يَا أَيُّهَا العَبدُ المَظْلُومُ، تَدَبَّرْ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، هؤلاءِ الذينَ فُتِنُوا في دِينِهِم، هؤلاءِ الذينَ أَحرَقُوا النِّسَاءَ مَعَ أَطفَالِهِم في خَنَادِقِ النَّارِ، حَتَّى تَأتِيَ المَرأَةُ ومَعَهَا طِفلُهَا الرَّضِيعُ تَحْمِلُهُ، حَتَّى إذا وَقَعَت في شَفِيرِ الأُخدُودِ والنَّارُ تَضطَرِمُ فِيهَا

تَعَكعَكَتْ، لا خَوفاً من النّارِ، ولكن رَحمَةً بالطِّفْلِ، فَيُنطِقُ اللهُ تعالى الطِّفْلَ الرَّضِيعَ، لِيَقُولَ لأُمِّهِ مُؤَيِّداً مُثَبِّتاً مُصَبِّراً: يا أُمَّهُ، اِصْبِرِي فَإِنَّكِ على الحَقِّ؛ فَتَتَقَحَّمُ المَرأَةُ والطِّفْلُ الرَّضِيعُ النّارَ.

أَينَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا قَرَأنَا سُورَةَ البُرُوجِ فَإِنَّا نَجدُ الآيَاتِ لَمْ تَذْكُرْ عُقُوبَةً دُنيَوِيَّةً حَلَّتْ بِأَصْحَابِ الأُخْدُودِ، لَمْ تَذْكُرْ أنَّ الأَرضَ خُسِفَتْ بِهِم، ولا أنَّ قَارِعَةً من السَّمَاءِ نَزَلَتْ عَلَيهِم، إلا قَولَ اللهَ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بأنَّ مَا يَجْرِي فِي الكَونِ لا يَجْرِي فِي غَفْلَةٍ من اللهِ تعالى ــ حَاشَاهُ تَبَارَكَ وتعالى ــ ولا في سَهْوٍ من اللهِ تعالى ﴿واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

كُونُوا على يَقِينٍ بأنَّ مَا يَجْرِي فِي الكَونِ إِنَّمَا يَجْرِي فِي مُلْكِهِ، فَهُوَ لَيسَ بَعِيداً عن سَطْوَتِهِ، ولَيسَ بَعِيداً عن قُدْرَتِهِ ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا باللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. الكُلُّ في مُلْكِهِ ﴿للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ والكُلُّ تَحتَ قُدْرَتِهِ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

كُونُوا على يَقِينٍ بأنّ مَا يَجْرِي فِي الكَونِ إِنّمَا يَجْرِي بِعِلْمِهِ، وتَحتَ مُرَاقَبَتِهِ ﴿واللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، قَد يَقُولُ قَائِلٌ: إذا كَانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ شَهِيدَاً، وبِأَنّ مَا يَجْرِي لَيسَ بَعِيدَاً عن سَطْوَتِهِ وقُدْرَتِهِ، ولَيسَ غَائِبَاً عن عِلْمِهِ، فَأَينَ جَزَاءُ الظّالِمِينَ؟

الجَوَابُ يَأتِي: بِأَنّ الجَمِيعَ فِي قَبْضَةِ اللهِ تعالى، ولَن يَفلِتَ أَحَدٌ من قَبْضَتِهِ، فَلِلّهِ الآخِرَةُ والأُولَى، فالأُولَى دَارُ عَمَلٍ، والآخِرَةُ دَارُ جَزَاءٍ، فَمَا يَجْرِي فِي الأُولَى مَا هوَ إلا النّذْرُ اليَسِيرُ الزّهِيدُ، أَمّا مَا سَيَجْرِي فِي الآخِرَةِ فَهُوَ الجَزَاءُ الأَوفَى، والخَاتِمَةُ الحَقِيقِيّةُ، والجَزَاءُ الحَقِيقِيٌّ.

الجَزَاءُ من جِنْسِ العَمَلِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، تَدَبَّرُوا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

أَصْحَابُ الأُخْدُودِ أَحرَقُوا المُؤمِنِينَ فِي الأُخْدُودِ، وهُم سَيُحْرَقُونَ، ولكن، أَينَ؟ فِي جَهَنّمَ، أَحرَقُوا فِي الدُّنيَا، فَسَيُحْرَقُونَ فِي الآخِرَةِ.

ومَا أَعظَمَ الفَرقَ بَينَ حَرِيقٍ وحَرِيقٍ.

أولاً: حَرِيقُ الدُّنيَا يُوقِدُهُ بَشَرٌ، أَمّا حَرِيقُ الآخِرَةِ يُوقِدُهُ رَبُّ البَشَرِ.

ثانياً: حَرِيقُ الدُّنيا يَنتَهِي بِلَحظَاتٍ، أَمّا حَرِيقُ الآخِرَةِ فَيَمتَدُّ إلى آمَادٍ لا يَعْلَمُهَا إلا اللّهُ تعالى.

ثالثاً: حَرِيقُ الدُّنيا عَاقِبَتُهُ رِضْوَانٌ من اللهِ تعالى، أمَّا حَرِيقُ الآخِرَةِ فَمَعَهُ غَضَبُ اللهِ تعالى وسَخَطُهُ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد اختلَّ الميزَانُ الحَقِيقِيُّ للرِّبْحِ والخَسَارَةِ في هذهِ الأَزمَةِ عِندَ كَثِيرٍ من النَّاسِ، فَظَنَّ البَعْضُ بِأَنَّ الظُّلْمَ هوَ رِبْحٌ، وظَنَّ بِأَنَّ الظَّالِمَ رَابِحٌ، والمَظْلُومَ خَاسِرٌ.

يَا عِبَادَ اللهِ، هذا الظَّنُّ خَاطِئٌ، واقرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. أمَّا المَقتُولُ فَهُوَ من الرَّابِحِينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، من قَتَلَ بِغَيرِ حَقٍّ فَهُوَ ظَالِمٌ خَاسِرٌ، والمَقتُولُ هوَ المَظْلُومُ الرَّابِحُ، من أَخذَ أَموَالَ النَّاسِ بِغَيرِ حَقٍّ فَهُوَ ظَالِمٌ خَاسِرٌ، والمَأْخُوذُ مِنهُ هوَ المَظْلُومُ الرَّابِحُ، والمُرَوِّعُ للآخَرِينَ ظَالِمٌ خَاسِرٌ، والمُرَوَّعُ مَظْلُومٌ رَابِحٌ.

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن يَعْتَقِدُ أنَّ أَصْحَابَ الأُخْدُودِ رَابِحُونَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، خَسَارَةُ الدُّنيَا لا قِيمَةَ لَهَا أَمَامَ رِبْحِ الآخِرَةِ، فَكُونُوا حَرِيصِينَ على آخِرَتِكُم.

٤٢٥ـ خطبة الجمعة: وافترقوا في الثمرة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، المُؤمِنُ العَاقِلُ الحَصِيفُ يَجِبُ عَلَيهِ حَتْمَاً أن يُوقِنَ أنّ الأَشيَاءَ قد فُرِغَ مِنهَا، وأنّ اللهَ سُبحَانَهُ وتعالى قَدَّرَ صَغِيرَهَا وكَبِيرَهَا، وعَلِمَ مَا كَانَ ومَا سَيَكُونُ، وأنَّهُ لَو كَانَ كَيفَ يَكُونُ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وروى أبو داود عَنْ أَبِي حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ.

فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ.

قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟

قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

يَا عِبَادَ اللهِ، المَقَادِيرُ كَائِنَةٌ لا مَحَالَةَ، ومَا لا يَكُونُ فلا حِيلَةَ للخَلْقِ في تَكْوِينِهِ، ومَا تَعِبَ الخَلْقُ إلا من قِلَّةِ الرِّضَا عن اللهِ تعالى، وبِسَبَبِ قِلَّةِ المَعْرِفَةِ باللهِ تعالى.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، لَمَّا جِيءَ بِسَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ إلى الحَجَّاجِ لِيَقتُلَهُ، بَكَى رَجُلٌ.

فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ: مَا يُبْكِيكَ؟

قَالَ: لِمَا أَصَابَكَ.

قَالَ سَعِيدٌ: فَلَا تَبْكِ إِذاً، لَقَد كَانَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنْ يَكُونَ هذا الأَمْرُ، ثُمَّ تَلَا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، مَا أَصَابَكُم مِمَّا يَسُرُّكُم فَهُوَ نِعمَةٌ من اللهِ تعالى بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ، ومَا أَصَابَكُم مِمَّا يَسُوؤُكُم فَهُوَ نِعمَةٌ من اللهِ تعالى، ولَكِنَّهَا نِعمَةٌ خَفِيَّةٌ جَاءَتْ بِثَوبِ مُصِيبَةٍ، فَإِمَّا أن يُكَفِّرَ خَطَايَاكُم بذلكَ، ويُثِيبَكُم بالصَّبْرِ عَلَيهَا، وإِمَّا أن يَكُونَ للهِ عزَّ وجلَّ في ذلكَ حِكْمَةٌ لا يَعْلَمُهَا إلا اللهُ تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وصَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَائِلُ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

اِستَوَوْا في المُصِيبَةِ، وافتَرَقُوا في الثّمَرَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الكُلُّ يَعِيشُ هذهِ الأَزمَةَ والشِدّةَ الطّائِعُ والعَاصِي، البَرُّ والفَاجِرُ، المُؤمِنُ والكَافِرُ، الكُلُّ اِستَوَوا في المُصِيبَةِ، ولَكِنّهُمُ افترَقُوا في الثّمَرَةِ والعَاقِبَةِ، ولا يُسَوّي بَينَهُمَا إلا أَحمَقُ أَرعَنٌ، كَمَا قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إِنّكُم تَرَونَ الكَافِرَ من أَصَحّ النّاسِ جِسْمِاً وَأَمْرَضِهِمْ قَلْبَاً، وَتَلقَونَ المُؤمِنَ من أَصَحِّ النّاسِ قَلْبَاً وَأَمْرَضِهِمْ جِسْمَاً، وَايْمُ اللهِ، لَو مَرِضَتْ قُلُوبُكُم وَصَحّتْ أَجْسَامُكُم لَكُنتُم أَهوَنَ على اللهِ من الجُعْلانِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، دَخَلَ سَلمَانُ الفَارِسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ على مَرِيضٍ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ، فَإِنّ مَرَضَ المُؤمِنِ يَجْعَلُهُ اللهُ لَهُ كَفّارَةً وَمُستَعتِبَاً، وَإِنّ مَرَضَ الفَاجِرِ كالبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ، ثُمّ أَرْسَلُوهُ، فَلَا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ وَلِمَ أُرْسِلَ. رواه الإمام البخاري في الأَدَبِ المُفرَدِ.

الصّبْرُ هوالعَاصِمُ من الجَزَعِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ الهُمُومَ والأَحزَانَ والأَكدَارَ إذا اسْتَحْكَمَت وتَعَقّدَتْ حِبَالُهَا، واستَحكَمَتْ حَلَقَاتُهَا، وطَالَ لَيلُهَا، فالصّبْرُ وَحْدَهُ هوَ العَاصِمُ بِإِذْنِ اللهِ تعالى من الجَزَعِ عِندَ الرّيَبِ، وهوَ الهِدَايَةُ الوَاقِيَةُ من القُنُوطِ عِندَ الكُرُوبِ.

المُؤمِنُ لا يَفزَعُ من غَيمَةٍ تَظْهَرُ في الأُفُقِ، ولَو تَبِعَتْهَا أُخرَى وثَالِثَةٌ ورَابِعَةٌ، مَا دَامَ رَبُّهُ لا يُعجِزُهُ شَيءٌ في الأَرضِ ولا في السّمَاءِ، مَا دَامَ رَبُّهُ يَقُولُ للشّيءِ كُنْ فَيَكُونُ، مَا دَامَ رَبُّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً.

يَا عِبَادَ الله، اِسْتَحْضِرُوا دَائِمَاً وأَبَدَاً عِندَ الشَّدَائِدِ والصِّعَابِ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ الله، الأَيَّامُ دُوَلٌ، يَومٌ لَنَا، ويَومٌ عَلَينَا، يَومٌ يَسُرُّنَا، ويَومٌ يَسُوؤُنَا، والحَيَاةُ لا تَتَوَقَّفُ، وكذلكَ الأُمَّةُ تَعْتَرِيهَا الأَحداثُ بَينَ الشِّدَّةِ والرَّخَاءِ، والعُسْرِ واليُسْرِ ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

سُنَّةٌ إِلَهِيَّةٌ مَاضِيَةٌ في خَلْقِهِ، يَكْشِفُ فِيهَا مَعَادِنَ النُّفُوسِ، وطَبَائِعَ القُلُوبِ، ويُمَيِّزُ فِيهَا بَينَ المُؤمِنِ والكَافِرِ، والصَّادِقِ والكَاذِبِ، والمُخلِصِ والمُنَافِقِ، والمُحِبِّ والمُدَّعِي، ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً، ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً.

يَا عِبَادَ الله، لَو عَلِمَ كُلُّ وَاحِدٍ فِينَا أنَّ المَقَادِيرَ بِيَدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّ كُلَّ مَا يَحْدُثُ في الكَونِ قَد سَبَقَ في عِلْمِ اللهِ تَقْدِيرُهُ، ومَحْسُوبٌ حِسَابُهُ قَبلَ خَلْقِ الأَرضِ، بَل قَبلَ خَلْقِ الإِنسَانِ، لَو عَلِمَ ذلكَ وآمَنَ بِهِ إِيمَانَاً صَادِقَاً لَمَا اشْتَدَّ بِهِ الحُزْنُ اشْتِدَادَاً يُخرِجُهُ عن اسْتِوائِهِ، ولَمَا أَلَمَّ بِهِ الأَسَى إلى حَدِّ الجَزَعِ، ولَعَلِمَ أنَّ مَا سَبَقَ بِهِ العِلْمُ وَاقِعٌ لا مَحَالَةَ، رَضِيَ الإِنسَانُ أَم لَم يَرضَ، لَو عَلِمَ العَبدُ هذا لَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ، وامتَلأَ بِقَضَاءِ اللهِ رِضَاً وسَكِينَةً، وصَدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ القَائِلُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ» رواه الحاكم عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

اللّهُمَّ اجْعَلنَا من الشّاكِرِينَ عِندَ الرّخَاءِ، ومن الصّابِرِينَ عِندَ البَلاءِ، ومن الرّاضِينَ بِمُرِّ القَضَاءِ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

اللّهُمَّ وَفِّقنَا لذلكَ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤٢٦ـ خطبة الجمعة: حولوا المصائب إلى نعم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، الإيمَانُ بالله تعالى واليَومِ الآخِرِ ضَرُورِيٌّ للإنسَانِ، بَل هوَ أعظَمُ من ضَرُورَةِ المَاءِ والطّعَامِ والهَوَاءِ، وأعظَمُ من الصِّحَّةِ.

الإِنسَانُ إذا عَاشَ على الإِيمَانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ ومَاتَ على ذلكَ، لا يَضُرُّهُ مَا فَقَدَ فِي هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا من طَعَامٍ وشَرَابٍ وصِحَّةٍ وعَافِيَةٍ، لأنَّ مآلَهُ إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرضُ، نَعِيمُهَا مَا لا عَينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ، وأَعظَمُ النَّعِيمِ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

أمَّا إذا عَاشَ بِدُونِ إِيمَانٍ وعَمَلٍ صَالِحٍ ومَاتَ على ذلكَ ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ وكَانَ قَد تَنَعَّمَ فِي هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا بالطَّعَامِ والشَّرَابِ والصِّحَّةِ ومَا أَرَادَ، فَقَد خَسِرَ الدُّنيَا والآخِرَةَ، لأَنَّهُ سَيَتَمَنَّى العَودَةَ للدُّنيَا من أَجلِ الإِيمَانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، وسَيَقُولُ: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾. ولكن سَوفَ يَسْمَعُ قَولَ اللهِ تعالى للمَلائِكَةِ الكِرَامِ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾.

حَوِّلُوا المَصَائِبَ إلى نِعَم:

يَا عِبَادَ اللهِ، حَوِّلُوا بِنِعمَةِ اللهِ تعالى المَصَائِبَ إلى نِعَمٍ، وذلكَ من خِلالِ إِيمَانِكُم باللهِ تعالى واليَومِ الآخِرِ، فإذا مَا وَقَعَتْ عَلَيكُم مُصِيبَةٌ من المَصَائِبِ، ورَأَيتُمُوهَا كَبِيرَةً وعَظِيمَةً، تَذَكَّرُوا مَا قَالَ اللهُ تعالى، وهوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ، وتَذَكَّرُوا مَا قَالَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بأنَّ الذي يَذْكُرُ مَا قَالَهُ اللهُ تعالى، ومَا قَالَهُ نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِندَ المَصَائِبِ ــ مَهمَا عَظُمَتْ ــ فَإِنَّهَا

سَوفَ تَتَحَوَّلُ بِفَضْلِ اللهِ عزَّ وجلّ عَلَيهِ إلى مِنَحٍ، وسَوفَ يَتَلَقَّى تِلكَ المَصَائِبَ بِصَدْرٍ رَحْبٍ وَاسِعٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، ونَحنُ نَعِيشُ هذهِ الأَزمَةَ التي عَمَّتْ وطَمَّتْ، يَذْكُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا أَحَبَّ بِمَا قَالَهُ تعالى، وبِمَا قَالَهُ الحَبِيبُ المُصطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لَعَلَّهَا أن تَتَحَوَّلَ هذهِ المِحَنُ والمَصَائِبُ إلى مِنَحٍ.

أولاً: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، تَذَكَّرُوا وذَكِّرُوا قَولَ اللهِ عزَّ وجلّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. إذا كَانَ بَعدَ المُصِيبَةِ والصَّبْرِ عَلَيهَا الصَّلَوَاتُ والرَّحمَةُ والهِدَايَةُ من اللهِ تعالى، أَمَا تَرَونَ بأنَّ المِحْنَةَ كَانَتْ مِنْحَةً؟

ثانياً: «ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، تَذَكَّرُوا وذَكِّرُوا قَولَ اللهِ عزَّ وجلّ للمَلائِكَةِ إذا قَبَضُوا رُوحَ وَلَدِ عَبدٍ: «ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ».

روى الترمذي عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟

فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ».

إذا كَانَ بَعدَ المُصِيبَةِ والصَّبْرِ عَلَيهَا بيتٌ في الجَنَّةِ، أَمَا تَرَونَ أنَّ المِحْنَةَ كَانَتْ مِنْحَةً؟

يَا عِبَادَ اللهِ، إنَّ كَلِمَةَ: الحَمْدُ للهِ، إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ، بَعدَ المُصِيبَةِ مَهمَا كَانَتْ عَظِيمَةً، تَكُونُ على القَلبِ مِثْلَ الثَّلْجِ على النَّارِ.

ثالثاً: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِن اللهِ مَنْزِلَةٌ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، تَذَكَّرُوا وذَكِّرُوا حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِن اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ، ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ» رواه الإمام أحمد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

إذا كَانَ بَعدَ المُصِيبَةِ مَنزِلَةٌ عَالِيَةٌ عِندَ اللهِ تعالى، مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَمَا تَرَونَ أنَّ المِحْنَةَ كَانَتْ مِنْحَةً؟

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ الله، بِنعمَةِ الإِيمَانِ باللهِ تعالى واليَومِ الآخِرِ تَتَحَوَّلُ المِحَنُ إلى مِنَحٍ، والنِّقَمُ إلى نِعَمٍ، وتَجعَلُ الإنسَانَ مُتَفَائِلاً لا مُتَشَائِماً، بِنعمَةِ الإِيمَانِ باللهِ تعالى واليَومِ الآخِرِ لَن تَكُونَ من النَّادِمِينَ عِندَ سَكَرَاتِ المَوتِ، ولا في أَرضِ المَحْشَرِ، وإلا كَانَ العَبدُ نَادِمَاً عِندَ سَكَرَاتِ المَوتِ، وفي القَبْرِ، وفي أَرضِ المَحْشَرِ.

اللَّهُمَّ زِدْ في إِيمَانِنَا يَا رَبَّ العَالَمِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٢٧ـ خطبة الجمعة: يكفي الصابر شرفًا...

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، الإِنسَانُ المُؤمِنُ يَستَظِلُّ بِشَجَرَةِ الإِيمَانِ فِي حَيَاتِهِ الدُّنيَا، يَتَنَعَّمُ بِفَيئِهَا، ويَتَغَذَّى بِثِمَارِهَا ويَتَلَذَّذُ بِحَلَاوَةِ طَعمِهَا، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً» رواه الإمامُ مُسلِمٌ عَنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عنهُ.

شَجَرَةُ الإيمَانِ نَفعُهَا دَائِمٌ، وَظِلُّهَا دَائِمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لا يَسْتَفِيدُ مِن خَيرِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، إِلَّا مَن اسْتَعَانَ بِصَبْرٍ عَلى مَشَاقِّ زِرَاعَتِهَا، وإِزَالَةِ مَا يُعَرقِلُ نُمُوَّهَا، وَيُعَكِّرُ صَفوَهَا، وأَسْرَعَ إِلى تَنمِيَتِهَا واستِمرَارِهَا، ولِهَذَا خَاطَبَ اللهُ تَعالى عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ بِقَولِهِ تَعالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

دَوَاءُ الأَزَمَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، المُؤمِنُ الحَقُّ الصَّادِقُ فِي إِيمَانِهِ يَرضَى بِقَضَاءِ اللهِ تَعالى، ويَصبِرُ عَلى مَا يَحُلُّ بِهِ مِن عُسرٍ وَضِيقٍ وشِدَّةٍ ومِحنَةٍ ومَرَضٍ وفِرَاقٍ.

وَقَد وَصَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَالَ المُؤمِنَ فِي السَرَّاءِ والضَرَّاءِ، فَقَال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ» رواه الإمام مُسلِم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فَالمُؤمِنُ يَتَلَقَّى النِّعمَةَ بِالشُّكرِ، ويَتَلَقَّى البَلاءَ بِالصَّبرِ، فَهُوَ عَلى خَيرٍ فِي كُلِّ حَالٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إِذَا نَزَلَ بِكُم ضِيقٌ أو عُسرٌ، أَو مَرَضٌ، فَلَا تُكثِرُوا الشَّكوَى، ولَا تُظهِرُوا الضِيقَ والضَّجَرَ، وَعَلَيكُم بِدَوَاءِ الأَزَمَاتِ والمُلِمَّاتِ الذِي أَمَرَنَا اللهُ تَعالَى

بِهِ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ بِقَولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن سَلَكَ طَرِيقَ الصَّبرِ فِي حَالِ عُسْرِهِ ومَرَضِهِ وكَربِهِ وشِدَّتِهِ وَضِيقِهِ، أَفَاضَ اللهُ تَعالَى عَليهِ من خزَائِنِ رَحمَتِه مَا يُهَوِّنُ بِهِ عَليهِ أَحوالَهُ، حتَّى يَرى المِنحَةَ مِن وَسَطِ المِحنَةِ، وَيَرى اليُسرَ مِن قَلبِ العُسرِ، وَيَرَى الفَرَجَ مِن قَلبِ الضِّيقِ.

يَكفِي الصَّابرَ شَرَفَاً...

يَا عِبَادَ اللهِ، لَو تَدَبَّرنَا القُرآنَ العَظِيمَ وَثَمراتِهِ لَرَأينا العَجَبَ العُجَابَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، مِن خِلَالِ قَولِهِ تَعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

أَتَوَجَّهُ إِلى كُلِّ صَاحِبِ ابتِلَاءٍ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، لِأُبَشِّرَهُ إِذَا كَانَ مِنَ الصَّابِرِينَ بِهَذِهِ البَشَائِرِ:

أولاً: يَكفِيكَ شَرَفاً وَعِزَّاً وَفَضلاً يَا أَيُّهَا الصَّابِرُ أَنَّكَ مَحبُوبٌ عِندَ اللهِ تَعَالى، قَال تَعَالى: ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

ثَانِياً: يَكفِيكَ شَرَفاً وَعِزَّاً وَفَضلاً يَا أَيُّهَا الصَّابِرُ، أنَّ اللّهَ تَعَالى مَعَكَ، قَالَ تَعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

ثَالِثاً: يَكفِيكَ شَرَفاً وَعِزَّاً وَفَضلاً يَا أَيُّهَا الصَّابِرُ أَنَّ لَكَ عُقبَى الدَّارِ، قَالَ تَعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ

يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

رَابعاً: يَكفِيكَ شَرَفاً وَعِزّاً وَفَضلاً يَا أَيُّهَا الصَّابِرُ أَنَّكَ سَوفَ تُوَفَّى أَجرَكَ يَومَ القِيَامَةِ بغَيرِ حِسَابٍ، قَالَ تَعالى: ﴿يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

خَامِساً: يَكفِيكَ شَرَفاً وَعِزّاً وَفَضلاً يَا أَيُّهَا الصَّابِرُ أنَّ كَيدَ الكَائِدِينَ لَا يَضُرُّكَ، قَالَ تَعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

سَادِساً: يَكفِيكَ شَرَفاً وَعِزّاً وَفَضلاً يَا أَيُّهَا الصَّابِرُ أنَّ لَكَ جَنَّةً وحَرِيراً يَومَ القِيَامَةِ، قَالَ تَعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾.

سَابعَاً: يَكفِيكَ شَرَفاً وَعِزّاً وَفَضلاً يَا أَيُّهَا الصَّابِرُ أَنَّكَ لَستَ مِنَ الخَاسِرِينَ يَومَ القِيَامَة، وقَد أَقسَمَ اللهُ تَعالى عَلى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الصَّبرُ ضَرُورِيٌّ لِلمُؤمِنِ الذِي آمَن بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، ولَا يُمكِنُ أن يَعِيشَ الإنسَانُ بِغَيرِ صَبرٍ، فَمَن صَبَرَ ظَفَرَ، ولَولَا الصَّبرُ مَا حَصَدَ الزَّارِعُونَ زَرعَهُم، ولَولَا الصَّبرُ مَا نَجَحَ الطُّلابُ فِي امتِحَانَاتِهِم، ولَولَا الصَّبرُ لَمَا حَقَّقَ التُّجَّارُ الربْحَ فِي تِجارَتِهِم، ولَولَا صَبرُ المُؤمِنِينَ لَمَا كَانَت لَهُم عُقبَى الدَّارِ، ولَمَا كَانَت لَهُمُ الحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا.

يَا عِبَادَ اللهِ، إِذَا كَانَتِ الدَّنيَا الدَّنِيئَةُ التَّافِهَةُ التِي لا تَزِن عِندَ اللهِ تَعالى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لا تُنَالُ إلَّا بِالصَّبرِ، فَهَل مِنَ المَعقُولِ أن تُنَالَ سِلعَةُ اللهِ تعالى التِي هِيَ الجَنَّةُ بِغَيرِ الصَّبرِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، طُلَّابُ الدُّنيَا صَبَرُوا حَتَّى نَالُوهَا، وكَذَلِكَ طُلَّابُ الآخِرَةِ صَبَرُوا حَتَّى نَالُوهَا، ولَكِن شَتَّانَ مَا بَينَ طَالِبِ الدَّنيَا وطَالِبِ الآخِرَةِ، فَهُمَا لَا يستَويانِ عِندَ اللهِ تَعالى، قَالَ تَعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن أَكرَمَكُمُ اللهُ تَعَالى بِنِعمَةِ الإِيمَانِ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، وبالإِيمَانِ بالقَضَاءِ وَالقَدَرِ، اصبِرُوا حَتَّى تَلقَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَلى الحَوضِ، لِيَأخُذَ بِيَدِكُم إلى جَنَّةٍ عَرضُهَا السَّموَاتِ والأَرضِ.

اللَّهُمَّ اجعَلنَا مِنَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

٤٢٨ـ خطبة الجمعة: أمور تعين على الصبر

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، المَصَائِبُ والمِحَنُ في الحَيَاةِ الدُّنيَا أَمْرٌ لا بُدَّ مِنهُ، مَن مِنَّا لَمْ تنزلْ بِهِ مُصِيبَةٌ؟ مَن مِنَّا لَمْ يُمْتَحَنْ؟ مَن مِنَّا لَمْ يَفْقِدْ حَبِيبَاً؟ مَن مِنَّا لَمْ يَحْزَنْ ويَتَأَلَّمْ؟

لقد ضَرَبَ لَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَثَلَاً مُعَبِّرَاً للمُؤمِنِ في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ ــ يَعني: حَتَّى تَنقَلِعَ مَرَّةً وَاحِدَةً ــ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا اختَلَطَتْ جُذُورُ الزَّرْعِ في الأَرضِ وتَمَاسَكَتْ، فالرِّيحُ وإنْ أَمَالَتْهُ يُمْنَةً ويُسْرَةً فَإِنَّهَا لا تَطْرَحُهُ، ولا تَكْسِرُهُ، ولا تُسْقِطُهُ، وكذلكَ المُؤمِنُ الذي رَسَخَ الإِيمَانُ في قَلبِهِ، فَإِنَّ المَصَائِبَ وإنْ آلَمَتْهُ وأَحْزَنَتْهُ فَإِنَّهَا لا تَنَالُ من إِيمَانهِ شَيئَاً، بل على العَكْسِ من ذلكَ تَمَامَاً، فَإِنَّهَا لا تَزِيدُهُ إلا إِيمَانَاً باللهِ تعالى.

هذهِ هيَ أَحْوَالُ الدُّنيَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، طَبِيعَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا صَفْوٌ يَعْقُبُهُ كَدَرٌ، وكَدَرٌ يَعْقُبُهُ صَفَاءٌ، وفَرَحٌ يَعْقُبُهُ حُزْنٌ، وحُزْنٌ يَعْقُبُهُ فَرَحٌ، ولَذَّةٌ يَعْقُبُهَا أَلَمٌ، وأَلَمٌ يَعْقُبُهُ لَذَّةٌ، وَلَيسَ للمُؤمِنِ الصَّادِقِ فِيهَا إلا الصَّبْرَ، فَهُوَ الدَّوَاءُ لأَدوَائِهَا.

يَقُولُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: جَرَّبْنَا وجَرَّبَ المُجَرِّبُونَ، فَلَمْ نَرَ شَيئَاً أَنْفَعَ من الصَّبْرِ، بِهِ تُدَاوَى الأُمُورُ، وهوَ لا يُدَاوَى بِغَيرِهِ.

ومَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خيرَاً وأَوسَعَ من الصَّبْرِ، وكَانَ أَمْرُ الْمُؤمِنِ بَينِ النَّاسِ أَمْرَاً عَجيباً، لأَنَّهُ إذا أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خيرَاً لَهُ، وإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيرَاً لَهُ.

أُمُورٌ تُعِينُ على الصَّبْرِ في المَصَائِبِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الْمُؤمِنُونَ جَمِيعَاً بِحَاجَةٍ إلى الصَّبْرِ والْمُصَابَرَةِ، وهُنَاكَ أُمُورٌ تُعِينُ على الصَّبْرِ في المَصَائِبِ، أَهَمُّهَا:

أولاً: عَدَمُ الجَزَعِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لَو عَلِمَ العَبدُ أنَّ المَقَادِيرَ بِيَدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأَنَّ كُلَّ مَا يَحْدُثُ قَد سَبَقَ في عِلْمِ اللهِ وتَقْدِيرِهِ، لَمَا اشْتَدَّ بِهِ الحُزْنُ، ولَمَا أَلَمَّ بِهِ الأَسَى إلى حَدِّ الجزَعِ والقُنُوطِ، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ واللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

وَكُلُّ شَيءٍ بِقَضَاءٍ وقَدَر *** وَالكُلُّ في أُمِّ الكِتَابِ مُسْتَطَر

يَا عِبَادَ اللهِ، إِيَّايَ وإِيَّاكُم أن نَتَسَخَّطَ على أَقْدَارِ اللهِ، فَلَن يُعِيدَ الجَزَعُ غَائِبَاً، فالصَّبْرُ والاحْتِسَابُ هوَ أَولَى لَنَا، يَقُولُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ. رواه الإمام البخاري.

وقَالَ أَيْضَاً: أَفْضَلُ عَيْشٍ عَيْشٌ أَدْرَكْنَاهُ بالصَّبْرِ، وَلَو أَنَّ الصَّبْرَ كَانَ من الرِّجَالِ كَانَ كَرِيمَاً.

يَجْرِي القَضَاءُ وَفِيهِ الخَيْرُ نَافِلَةً *** لِمُــؤمِــنٍ وَاثِــقٍ بــالله لَا لَاهِ

إنْ جَـــاءَهُ فَـــرَحٌ أَو نَـــابَهُ تَرَحٌ *** فِي الحَالَتَينِ يَقُولُ: الحَمْدُ للهِ

ثانياً: عَدَمَ النَّظَرِ إلى النِّعَمِ المَفْقُودَةِ:

يَا عِبَادَ الله، لا تَنْظُرُوا إلى النِّعَمِ المَفْقُودَةِ، بَل انْظُرُوا إلى النِّعَمِ المَوْجُودَةِ واسْتَمْتِعُوا بِهَا، واشْكُرُوا اللهَ عزّ وجلّ عَلَيهَا، وتَذَكّرُوا قَوْلَ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عِندَمَا قُطِعَتْ رِجْلُهُ، وَفَقَدَ وَلَدَهُ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: لَا يَهُولَنَّكُم مَا تَرَونَ، فَلَقَد وَهَبَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَربَعَةً مِنَ البَنِينِ، ثُمَّ أَخَذَ مِنهُم وَاحِداً وَأَبقَى لِي ثَلَاثَةً فَلَهُ الحَمدُ، وَأَعطَانِي أَربَعَةً مِنَ الأَطرَافِ ثُمَّ أَخَذَ مِنهَا وَاحِداً وَأَبقَى لِي ثَلَاثَةً فَلَهُ الحَمدُ ، وَايمُ اللهِ لَئِن أَخَذَ مِنِّي قَلِيلاً فَلَقَد أَبقَى لِي كَثِيراً، وَلَئِن اِبتَلَانِي مَرَّةً فَلَطَالَما عَافَانِي مَرَّاتٍ.

ثالثاً: النَّظَرُ لِلغَيْرِ من أَهْلِ المَصَائِبِ:

يَا عِبَادَ الله، لِنَنْظُرْ فِي مَصَائِبِنَا إلى غَيْرِنَا مِمَّنْ هوَ أَشَدُّ مُصِيبَةً مِنَّا، فَإِنَّ ذلكَ يُذْهِبُ الأَسَى، ويُخَفِّفُ الأَلَمَ، ويُخَفِّفُ الهَلَعَ والجَزَعَ، لِيَنْظُرْ مَن فُجِعَ بِحَبِيبٍ إلى مَن فُجِعَ بِأَحْبَابٍ، لِيَنْظُرْ مَن فَقَدَ ابْنَاً إلى مَن فَقَدَ أَبنَاءً، لِيَنْظُرْ مَن فَقَدَ أَبنَاءً إلى مَن فَقَدَ عَائِلَةً كَامِلَةً.

لِيَنْظُرْ مَن فُجِعَ بِوَلَدٍ من أَولادِهِ إلى سَيِّدِنَا يَعْقُوبَ عَلَيهِ السَّلامُ، عِندَمَا فَقَدَ وَلَدَهُ سَيِّدَنَا يُوسُفَ عَلَيهِ السَّلامُ، ومَكَثَ على ذلكَ عُقُوداً من السِّنِينِ وهوَ لا يَعْلَمُ عَنهُ شَيئَاً، وبَعدَ أنْ كَبِرَ وضَعُفَ فَقَدَ ابْنَاً آخرَ، فَلَمْ يزِدْ أَنْ قَالَ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ: ﴿فَصَبْرٌ

جَمِيلٌ واللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾. ثمّ قَالَ في الحَالِ الثّاني: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الصَّبْرُ على المَصَائِبِ يَعْقُبُ الصَّابرَ الرَّاحَةَ مِنهَا، ويُكْسِبُهُ المَثُوبَةَ عَنهَا إنْ صَبَرَ طَائِعَاً، وإلا احْتَمَلَ هَمَّاً لازِمَاً، وصَبَرَ كَارِهَاً وكَانَ آثِمَاً.

روى ابنُ عساكر، أَنَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وهوَ يُعَزّيهِ بابْنِهِ: إنْ تَحْزَنْ فَقَد اسْتَحَقّتْ ذلكَ مِنكَ الرَّحِمُ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَإِنّ في اللهِ خَلَفَاً مِن ابْنِكَ، وإِنَّكَ إنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَأْثُومٌ.

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِكَ كُلِّهَا مَا عَلِمْنَا مِنهَا ومَا لَمْ نَعْلَمْ، على جَمِيعِ نِعَمِكَ وآلائِكَ كُلِّهَا مَا عَلِمْنَا مِنهَا ومَا لَمْ نَعْلَمْ، اللَّهُمَّ اجعَلنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ عِنْدَ الرَّخَاءِ، ومن الصَّابِرينَ عِنْدَ البَلاءِ، ومن الرَّاضِينَ بِمُرِّ القَضَاءِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٢٩ـ خطبة الجمعة: السعيد من وفق للرضا

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، الرِّضَا عن اللهِ تعالى مُسْتَرَاحُ العَابِدِينَ، وجَنَّةُ الدُّنيَا للعَارِفِينَ، مَن لَمْ يَدْخُلْ عَالَمَهُ لَمْ يَتذَوَّقْ طَعْمَهُ فِي الآخِرَةِ، وهوَ أَعظَمُ أَعمَالِ القُلُوبِ، وهوَ قِمَّةُ الإِيمَانِ وحَلاوَتُهُ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً» رواه الإمام مسلم عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، من هذا المُنطَلَقِ أَرشَدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أن نُعْلِنَ صَبَاحَاً ومَسَاءً رِضَانَا عن اللهِ تعالى، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَلَّامٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ فِي مَسْجِدِ حِمْصَ فَقَالُوا: هَذَا خَادِمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَدَاوَلُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الرِّجَالُ.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ باللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،

وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّاً، إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

السَّعِيدُ من وُفِّقَ للرِّضَا عن اللهِ تعالى:

يَا عِبَادَ اللهِ، السَّعِيدُ من وُفِّقَ للرِّضَا عن اللهِ تعالى في قَضَائِهِ وقَدَرِهِ، والسَّعِيدُ من وُفِّقَ لذلكَ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبَّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِينَاً، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّاً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ».

قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

ولكن يَجِبُ عَلَينَا أن نَعْلَمَ مَن هوَ الرَّاضِي عن اللهِ تعالى، حَتَّى نَنَالَ هذا الأَجْرَ العَظِيمَ؟ هَل هوَ مَن قَالَ هذا بِلسَانِهِ أم بِجَنَانِهِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، مِمَّا لا شَكَّ فِيهِ بِأَنَّ الرِّضَا عن اللهِ تعالى يَكُونُ بالجَنَانِ، ويُقِرُّ بِهِ اللِّسَانُ، فَمَن تَحَقَّقَ بذلكَ حَازَ الأَجْرَ العَظِيمَ، والفَضْلَ العَمِيمَ.

الرَّاضِي عن اللهِ تعالى يَسْتَوِي عِنْدَهُ العَطَاءُ والمَنْعُ، الخَفْضُ والرَّفْعُ، الغِنَى والفَقْرُ، القُوَّةُ والصِّحَّةُ، العَافِيَةُ والمَرَضُ، وهوَ يَسْأَلُ اللهَ تعالى بِقَوْلِهِ: «ولكن عَافِيَتُكَ أَوْسَعُ لِي».

يَا عِبَادَ اللهِ، من سَعَادَةِ المَرْءِ الحَقِيقِيَّةِ في الدُّنيا الرِّضَا باللهِ تعالى رَبّاً، والرِّضَا عن اللهِ تعالى فِيمَا قَضَى وقَدَّرَ، وبذلكَ يَسْكُنُ القَلبُ إلى اخْتِيَارِ اللهِ تعالى في الخَيرِ والشَّرِ، فَمَن رَضِيَ باللهِ تعالى رَبّاً وحَكَماً ومُدَبِّراً، كَانَتِ النَّتِيجَةُ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، من وَصَايَا لُقمَانِ لِوَلَدِهِ، قَالَ لَهُ: أُوصِيكَ بِخِصَالٍ تُقَرِّبُكَ من اللهِ، وتُبَاعِدُكَ من سَخَطِهِ، أن تَعْبُدَ اللهَ لا تُشْرِكَ بِهِ شَيئَاً، وأن تَرضَى بِقَدَرِ اللهِ فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ.

وَرُوِيَ عن سُفيَانَ الثّورِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّهُ قَالَ يَوماً عِنْدَ رَابِعَةِ العَدَوِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنهَا: اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِّي.

فَقَالَتْ: أَمَا تَسْتَحِي من اللهِ أَنْ تَسْأَلَهُ الرِّضَا وَأَنتَ غَيرُ رَاضٍ؟

فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ.

فَقَالَ جَعْفَرُ بنُ سُلَيمَانَ الضَّبْعِيُّ: فَمَتَى يَكُونُ العَبدُ رَاضِيَاً عن اللهِ تعالى؟

قَالَت: إِذَا كَانَ سُرُورُهُ بالمُصِيبَةِ مِثْلَ سُرُورِهِ بالنِّعْمَةِ.

وَكَانَ الفُضَيْلُ يَقُولُ: إِذَا اسْتَوَى عِنْدَهُ المَنْعُ وَالعَطَاءُ فَقَد رَضِيَ عن اللهِ تعالى.

كُنْ أَغنَى النَّاسِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، السَّعِيدُ مِنَّا مَن وَفَّقَهُ اللهُ تعالى للرِّضَا عن اللهِ تعالى فِيمَا آتَاهُ، فَمَن رَضِيَ عن اللهِ فِيمَا آتَاهُ كَانَ أَغنَى العِبَادِ.

روى الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟».

فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ.

فَأَخَذَ بِيَدِي، فَعَدَّ خَمْساً وَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنَاً، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِماً، وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ».

وروى ابنُ حِبَّانَ عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَن سِتِّ خِصَالٍ، كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَهُ خَالِصَةً، والسَّابِعَةَ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُحِبُّهَا.

قَالَ: يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَتْقَى؟

قَالَ: الذي يَذْكُرُ ولا يَنْسَى.

قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى؟

قَالَ: الذي يَتَّبِعُ الهُدَى.

قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟

قَالَ: الذي يَحْكُمُ للنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ.

قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟

قَالَ: عَالِمٌ لا يَشْبَعُ من العِلْمِ، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إلى عِلْمِهِ.

قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟

قَالَ: الذي إِذَا قَدَرَ غَفرَ.

قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟

قَالَ: الذي يَرْضَى بِمَا يُؤْتَى.

قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَفْقَرُ؟

قَالَ: صَاحِبُ مَنْقُوصٍ».

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا رَاضِينَ عن اللهِ تعالى لِتَنَالُوا الأَجْرَ العَظِيمَ، وخَاصَّةً أَصْحَابَ الأَمرَاضِ الذينَ ابْتَلاهُمُ اللهُ تعالى لِحِكْمَةٍ يُرِيدُهَا، ولِيَسْمَعْ أَصْحَابُ الأَمرَاضِ حَدِيثَينِ عن سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الإمام مالك في المُوطّأ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فقَالَ: اُنْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ؟

فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءُوهُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَ لَهُ لَحْمَاً خَيْرَاً مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمَاً خَيْرَاً مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ».

وروى الإمام أحمد عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضَاً خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ اسْتَنْقَعَ فِيهَا، وَقَد اسْتَنْقَعْتُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ فِي الرَّحْمَةِ».

وروى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضَاً خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ عَادَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ اسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ اسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ».

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا للعائدِ، فَمَا لِلْمَرِيضِ؟

قَالَ: «أَضْعَافُ هَذَا».

وفي رِوَايَةٍ لَهُ في الأَوسَطِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا للمَرِيضِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ خَرَجَ من ذُنُوبِهِ كَيَومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

اللَّهُمَّ اجعَلنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ عِنْدَ الرَّخَاءِ، ومن الصَّابِرِينَ عِنْدَ البَلاءِ، ومن الرَّاضِينَ بِمُرِّ القَضَاءِ. آمين.

٤٣٠ـ خطبة الجمعة: فوائد المرض

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، مَا من خيرٍ عَاجِلٍ ولا آجِلٍ، ظَاهِرٍ ولا بَاطِنٍ، إلا وتَقْوَى اللهِ السَّبِيلُ المُوصِلُ إِليهِ، ومَا من شَرٍّ عَاجِلٍ ولا آجِلٍ، ظَاهِرٍ ولا بَاطِنٍ، إلا وتَقْوَى اللهِ حِرْزٌ مَتِينٌ، للسَّلامَةِ مِنهُ، والنَّجَاةِ من ضَرَرِهِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الدُّنيَا دَارُ بَلاءٍ وأَمرَاضٍ، وأَسْقَامٍ وأَوجَاعٍ، ومَا من إِنسَانٍ إلا وسَيُوَاجِهُهُ فِيهَا مَرَضٌ وعَافِيَةٌ، وسُرُورٌ وفَرَحٌ وحُزْنٌ، وسَرَّاءُ وضَرَّاءُ، لأَنَّ العَبدَ مَا خُلِقَ إلا للابْتِلاءِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الكَثِيرُ من النَّاسِ يُوَاجِهُ المَرَضَ، لكِنَّهُ يَنْسَى الصَّبْرَ عَلَيهِ، ويَنْسَى مَا في المَرَضِ من فَوَائِدَ جَمَّةٍ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، لأَنَّ اللهَ تعالى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئَاً إلا وفِيهِ نِعْمَةٌ، ولولا العَذَابُ لَمَا عَرَفَ المُنَعَّمُونَ قَدْرَ النِّعْمَةِ، ولولا اللَّيلُ لَمَا عُرِفَ قَدْرُ النَّهَارِ، ولولا المَرَضُ لَمَا عُرِفَ قَدْرُ الصِّحَّةِ والعَافِيَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كَثِيرٌ من النَّاسِ ابْتَلاهُمُ اللهُ تعالى بالمَرَضِ، فإذا بِهِم يَتَسَخَّطُونَ ويَشْكُونَ ولا يَصْبِرُونَ على ذلكَ المَرَضِ، وخَاصَّةً إذا كَانَتِ الأَمرَاضُ مُسْتَعْصِيَةً، فَتَرَى الوَاحِدَ مِنهُم يَجْزَعُ ويَتَسَخَّطُ، ونَسِيَ هؤلاءِ قَولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

مَرَضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِكُلِّ مَرِيضٍ: هَل تَعْلَمُونَ بِأَنَّ نَبِيَّكُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاءً، وكَانَ يَشْتَدُّ عَلَيهِ المَرَضُ أَكْثَرَ من غَيْرِهِ؟

روى الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشَدَّ عَلَيْهِ الْوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وروى ابن ماجه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ؟

قَالَ: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يُحَوِّيهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ».

لماذا كَانُوا يَفْرَحُونَ بالبَلاءِ كَمَا نَفْرَحُ بالرَّخَاءِ؟ لأَنَّهُم كَانُوا يَرَونَ كُلَّ عَطَاءٍ ومَنْعٍ من اللهِ نِعْمَةً من اللهِ تعالى عَلَيهِم.

فَوَائِدُ المَرَضِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، المَرَضُ نِعْمَةٌ من اللهِ تعالى يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ فَوَائِدَ لا يَعْلَمُهَا إلا اللهُ تعالى، من هذهِ الفَوَائِدِ:

أولاً: أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخَولِ الجَنَّةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من فَوَائِدِ المَرَضِ أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخَولِ الجَنَّةِ، روى الإمام البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» يُرِيدُ عَيْنَيْهِ.

وروى الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ». والنَّفْسُ تَكْرَهُ المَرَضَ.

ثانياً: أَنَّهُ سَبَبٌ لِتَكْفِيرِ الخَطَايَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، من فَوَائِدِ المَرَضِ أَنَّهُ سَبَبٌ لِتَكْفِيرِ الخَطَايَا، روى الترمذي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا

أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وروى الشيخان عَن عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً، فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ».

فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَجَلْ».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

وروى الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

ثالثاً: أَنَّهُ سَبَبٌ لِصَبِّ الثَّوابِ عَلَيهِ صَبّاً:

يَا عِبَادَ اللهِ، من فَوَائِدِ المَرَضِ أَنَّهُ يُصَبُّ على المَرِيضِ الثَّوابُ يَومَ القِيَامَةِ صَبّاً، يَحْسُدُهُ عَلَيهِ أَهْلُ العَافِيَةِ فِي الدُّنيَا، روى الترمذي عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ».

فَأَهْلُ البَلاءِ يُؤْتَى بِهِم يَومَ القِيَامَةِ فلا يُنْصَبُ لَهُم مِيزَانٌ، ولا يُنْشَرُ لَهُم دِيوَانٌ، ويُصَبُّ عَلَيهِمُ الأَجْرُ صَبّاً.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، فِي الخِتَامِ أَقُولُ لِنَفْسِي ولِكُلِّ وَاحِدٍ فِينَا: يَا مَن مَنَّ اللهُ عَلَيهِ بالعَافِيَةِ والصِّحَّةِ بَعدَ نِعْمَةِ الإِيمَانِ، لِنَسْجُدْ لِرَبِّنَا شُكْرَاً على هذهِ النِّعْمَةِ، وعَلَينَا أن نَسْتَحْيِي من اللهِ تعالى، واللهِ إِنَّهُ لَمِنَ العَجِيبِ أن يَجْتَرِئَ أَحَدُنَا على مَعْصِيَةِ اللهِ بِنِعْمَةِ اللهِ، يَا مَن اسْتَخْدَمَ نِعْمَةَ البَصَرِ فِي تَتَبُّعِ العَورَاتِ والحَرَامِ، أَمَا تَخْشَى أن يَذْهَبَ اللهُ بِبَصَرِكَ؟

يَا مَن اسْتَخْدَمْتَ قُوَّتَكَ فِي البَطْشِ والظُّلْمِ، أَمَا تَخْشَى أن يَشُلَّ اللهُ تعالى أَطْرَافَكَ؟

يَا مَن اسْتَخْدَمْتَ قَدَمَكَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، أَمَا تَخْشَى أن يُفْقِدَكَ اللهُ تعالى نِعْمَةَ القُوَّةِ؟

يَا مَن اسْتَخْدَمْتَ مَنْزِلَتَكَ بَينَ النَّاسِ فِي ظُلْمِ العِبَادِ والتَّسْفِيهِ والتَّحْقِيرِ والاسْتِكْبَارِ عَلَيهِم، أَمَا تَخْشَى أن يَرُدَّكَ اللهُ تعالى إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ؟

فَيَا أَهْلَ العَافِيَةِ والابْتِلاءِ، لِنَتَذَكَّرْ جَمِيعَاً قَولَ اللهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

فَلْنَكُنْ من الشّاكِرِينَ عِنْدَ الرِّخَاءِ، ومن الصّابِرِينَ عِنْدَ البَلاءِ، لِنَكُونَ من الفَائِزِينَ يَومَ القِيَامَةِ.

اللّهُمَّ أَكْرِمْنَا بذلكَ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

** ** **

٤٣١ـ خطبة الجمعة: هون عليك وكن بربك واثقًا

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، إنّ هذهِ الدُّنيَا مَلِيئَةٌ بالمَصَائِبِ والرَّزَايَا والمِحَنِ والبَلايَا، إلى جَانِبِ مَا فِيهَا من مِنَحٍ وعَطَايَا لا يَعْلَمُهَا إلا اللّهُ تعالى، هذهِ الدَّارُ دَارُ شِدَّةٍ ورَخَاءٍ، دَارُ سَرَّاءَ وضَرَّاءَ، دَارُ مَرَحٍ وتَرَحٍ، ودَارُ ضَحِكٍ وبُكَاءٍ، ودَارُ عِزٍّ وذُلٍّ، ودَارُ خَوْفٍ

وأَمَانٍ، هذهِ الحَيَاةُ الدُّنيَا دَارُ ابْتِلاءَاتٍ يَعْتَبِرُ بِهَا الْمُعْتَبِرُونَ، ويَغْتَنِمُهَا الْمُوَفَّقُونَ، ويَهْلَكُ بِهَا الهَالِكُونَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كَم نَرَى من أَصْنَافِ الشَّاكِينَ البَاكِينَ، هذا يَشْكُو من عِلَّةٍ وسَقَمٍ، وهذا يَشْكُو من فَقْرٍ وحَاجَةٍ، وهذا يَبْكِي على فِرَاقِ حَبِيبٍ أو قَرِيبٍ، وهذا يَبْكِي على عَرَضٍ من أَعْرَاضِ الدُّنيَا.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن آمَنَ باللهِ تعالى وباليَومِ الآخِرِ، وعَرَفَ حَقِيقَةَ الحَيَاةِ الدُّنيَا سَلَّمَ لِرَبِّهِ في قَضَائِهِ وقَدَرِهِ، فَتَرَاهُ صَابِراً على الضَّرَّاءِ، وشَاكِراً على السَّرَّاءِ، وطَائِعاً لِرَبِّهِ في حَالَتَي الشِّدَّةِ والرَّخَاءِ، ويَذْكُرُهُ في جَمِيعِ الآنَاءِ، لِعِلْمِهِ أنَّ اللهَ تعالى مَعَ عَبدِهِ مَا ذَكَرَهُ، وأَنَّهُ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ، وأَنَّهُ يَبْتَلِي العَبدَ بالخَيرَ وضِدِّهُ لِيَختَبِرَ صِدْقَهُ وصَبْرَهُ وإِيمَانَهُ، ولِيُظْهِرَ تَوَكُّلَهُ على رَبِّهِ وحُسْنَ ظَنِّهِ بِهِ، ولِيُعْظِمَ مَثُوبَتَهُ ويُعْلِيَ دَرَجَتَهُ، ولِيُظْهِرَهُ للنَّاسِ في الدُّنيَا والآخِرَةِ أنَّ هذا العَبدَ أَهْلٌ لِكَرَامَتِهِ، وصَالِحٌ لِمُجَاوَرَتِهِ في جَنَّتِهِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الْمُؤمِنُ الحَقُّ هوَ الذي تَعَلَّقَ بِرَبِّ العَالَمِينَ، وأَعرَضَ بِقَلْبِهِ عن الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، الْمُؤمِنُ الحَقُّ لا يَضِيقُ صَدْرُهُ إذا نَزَلَتْ بِهِ كَارِثَةٌ، أو حَلَّتْ بِهِ مُصِيبَةٌ، الْمُؤمِنُ الحَقُّ لا يَتَرَقَّبُ الْمَهَالِكَ، ولا يَضِيقُ صَدْرُهُ، ولا يَنْفُذُ صَبْرُهُ، ولا تَضْطَرِبُ نَفْسُهُ، ولا يُسِيءُ ظَنَّهُ، ولا تَكْثُرُ هُمُومُهُ، ولا تَتَوَالَى غُمُومُهُ، ولا يَتَعَلَّقُ بِمَن لا يَمْلِكُ نَفْعَهُ ولا ضُرَّهُ من الخَلْقِ، ولا يَيْأَسُ من رَوْحِ اللهِ، ولا يَقْنَطُ من رَحْمَتِهِ،

لأَنّهُ على يَقِينٍ من قَولِهِ تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، الأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللهِ عزّ وجلّ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وقَضَاءُ اللهِ وقَدَرُهُ في حَقِّ العَبدِ المُؤمِنِ كُلُّهُ خَيرٌ، وقد قَالَ سَيِّدُنا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمَاً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» رواه الترمذي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

هَوِّنْ عَلَيكَ، وكُنْ بِرَبِّكَ وَاثِقَاً:

يَا عِبَادَ اللهِ، كَم من مِحْنَةٍ في طَيِّهَا مِنَحٌ ورَحَمَاتٌ؟ وكَم من مَكْرُوهٍ يَحِلُّ بالعَبدِ يَنَالُ بِهِ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ، وجَلِيلَ الكَرَامَاتِ؟ وصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، هَوِّنُوا على أَنفُسِكُم، وكُونُوا وَاثِقِينَ بِرَبِّكُم، واطْرَحُوا هُمُومَكُم وأَحْزَانَكُم في بَابِ مَن لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ، في بَابِ مَن لا يُعْجِزُهُ شَيءٌ في الأَرضِ ولا في السَّمَاءِ، ورَحِمَ اللهُ تعالى من خَاطَبَ المَهْمُومَ المَحْزُونَ بِقَولِهِ:

لَمَّا رَأَيْتُكَ جَالِسَاً مُتَفَكِّرَاً *** أَيْقَنْتُ أَنَّكَ للهُمُومِ قَرِينُ

مَالا يُـــقَـــدَّرُ لا يَـــكُـــــونُ بِـــحِـــيـــلَةٍ *** أَبَدَاً وَمَا هُوَ كَـــائِنٌ سَـــيَكُونُ

سَيَكُونُ مَـــا هُـــوَ كَائِـــنٌ فِي وَقْـــتِـــهِ *** وَأَخُو الجَهَالَةِ مُتْعَبٌ مَحْزُونُ

يَجْرِي الحَرِيصُ ولا يَنَالُ بِحِرْصِهِ *** شَيْئَاً وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَمَـــهِيـــنُ

فَدَعِ الهُـــمُـــومَ تَـــعَرَّ مِـــن أَثْـــوَابِهَا *** إِنْ كَانَ عِنْدَكَ بالقَضَاءِ يَـــقِينُ

هَوِّنْ عَلَيكَ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَاثِـــقَـــاً *** فَأَخُو الحَقِيقَةِ شَأْنُهُ التَّهْوِيـــنُ

فَلَرُبَّ مَا تَرْجُوهُ لَـــيسَ بِـــكَائِـــنٍ *** ولَرُبَّ مَا تَخْشَاهُ سَوفَ يَكُونُ

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الحَمْدُ للهِ الذي أَكْرَمَنَا بالإِيمَانِ، الحَمْدُ للهِ الذي شَرَحَ صُدُورَنَا للإِسْلامِ، فإذا عَظُمَ الخَطْبُ، واشْتَدَّ الكَرْبُ، فلا نَجَاةَ إلا باللهِ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا تَضَاعَفَ الضُّرُّ، وزَادَ السُّوءُ، فلا كَاشِفَ لَهُ إلا هوَ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا تَوَالَى الهَمُّ، وتَتَابَعَ الغَمُّ، فلا فَارِجَ لَهُ إلا اللهُ ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُلّمَا عَظُمَتِ الخُطُوبُ، أو تَزَايَدَتِ الكُرُوبُ، فلا مَلْجَأَ إلا إلى اللهِ تعالى ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، اللهُ تعالى هوَ المُعَوَّلُ عَلَيهِ فِي كُلِّ خَطْبٍ، وهوَ المَوثُوقُ بِهِ فِي كُلِّ كَرْبٍ، فَتَضَرَّعُوا إلى اللهِ تعالى، واسْتَمْسِكُوا بِكِتَابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، واتْرُكُوا المَعَاصِي والمُنْكَرَاتِ، واسْتَجِيبُوا للهِ حَتَّى يَسْتَجِيبَ لَكُم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

اللّهُمَّ فَرِّجْ عَنَّا عَاجِلاً غَيرَ آجِلٍ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤٣٢ـ خطبة الجمعة: أعظم واجب كُلفنا به

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، ربُّنَا عزَّ جلّ خلَقَنَا لأَمْرٍ عَظِيمٍ يَجِبُ عَلَينَا أن نَأْتِيَ بِهِ، وهوَ أوَّلُ مَا سَنُسْأَلُ عَنهُ يومَ القِيَامَةِ، وهوَ الذي أُخِذَ عَلَيهِ العَهْدُ مِنَّا ونَحنُ في صُلْبِ أَبينَا آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ، قَالَ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾.

وقَد أَقْسَمَ رَبُّنَا عزَّ وجلّ في كِتَابِهِ العَظِيمِ بِأَنَّهُ من أَخلَّ بهذا الأَمْرِ العَظِيمِ فَهُوَ من الخَاسِرِينَ، قَالَ تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وأَقْسَمَ رَبُّنَا عزَّ وجلّ كذلكَ بأَنَّ العَبدَ إذا أَخَلَّ بهذا الأَمْرِ فَسَوفَ يُرَدُّ إلى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، قَالَ تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. هذا الأَمْرُ العَظِيمُ الذي خُلِقْنَا من أَجْلِهِ هوَ الإِيمَانُ باللهِ تعالى.

أَعْظَمُ واجبٍ كُلِّفْنَا بِهِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِيمَانُ باللهِ تعالى أَعْظَمُ وَاجِبٍ كَلَّفَنَا اللهُ عزَّ وجلّ بِهِ، وهوَ حَقُّ اللهِ تعالى على عِبَادِهِ، ومن حَقَّقَهُ كَانَ لَهُ الفَوْزُ والنَّجَاحُ والفَلاحُ في الدُّنيَا والآخِرَةِ، ومن أَخَلَّ بِهِ كَانَ لَهُ الخُسْرَانُ المُبِينُ، ولا فَرْقَ في ذلكَ بَينَ الأُمَمِ والأَفْرَادِ، فالكُلُّ سِيَّان.

يَا عِبَادَ اللهِ، حَيَاةٌ بِلا إِيمَانٍ لا قِيمَةَ لَهَا، حَيَاةٌ بِلا إِيمَانٍ تَعَاسَةٌ وشَقَاءٌ، حَيَاةٌ بِلا إِيمَانٍ حَيَاةُ ضَنْكٍ وجَحِيمٍ، ومُجْتَمَعٌ بِلا إِيمَانٍ مُجْتَمَعٌ تَافِهٌ مَهِينٌ رَخِيصٌ، لأَنَّ غَايَةَ أَهْلِهِ لا تَتَجَاوَزُ شَهَوَاتِ بُطُونِهِم وفُرُوجِهِم ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

أَثَرُ الإِيمَانِ في حَيَاةِ الإِنسَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِيمَانُ هوَ الحَيَاةُ الحَقِيقِيَّةُ للإِنسَانِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

لِذَا لا يَجُوزُ أن يَكُونَ أَمرُهُ هَامشِيّاً في حَيَاةِ الإِنسَانِ، فَهُوَ قَضِيَّةُ القَضَايَا، وهوَ الذي يَجْعَلُ القَلْبَ مُطْمَئِنّاً، وهوَ الذي يَشْرَحُ صَدْرَ صَاحِبِهِ، وبهِ تَسْكُنُ النَّفْسُ، لأَنَّ صَاحِبَ الإِيمَانِ يَعْلَمُ بِأَنَّ مَقَالِيدَ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ بِيَدِ اللهِ عزَّ وجلّ، ويَعْلَمُ بِأَنَّ الذي يُحْيِي ويُمِيتُ هوَ اللهُ تعالى، ويَعْلَمُ بِأَنَّ الذي يُعْطِي ويَمْنَعُ، ويَخْفِضُ ويَرْفَعُ، إِنَّمَا هوَ اللهُ تعالى، ويَعْلَمُ بِأَنَّ الذي يُؤْتِي المُلْكَ، ويَنْزِعُ المُلْكَ، هوَ اللهُ تعالى.

فَصَاحِبُ الإِيمَانِ سَعِيدٌ إذا شَقِيَ النَّاسُ، وفَرِحٌ إذا حَزِنَ النَّاسُ، فالإِيمَانُ هوَ أَعْظَمُ كَنْزٍ يَكْنِزُهُ العَبدُ فِي هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، وأَعْظَمُ ثَرْوَةٍ يَكْتَنِزُهَا العَبدُ فِي هذهِ الحَيَاةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِيمَانُ لَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي حَيَاةِ الإِنسَانِ، الإِيمَانُ جَعَلَ رِجَالاً ونِسَاءً صَارَ جَبِينُ التَّارِيخِ نَاصِعَاً بِهِم، الإِيمَانُ يَغْرِسُ فِي نَفْسِ المُؤْمِنِ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ، والتَّسْلِيمَ لِقَدَرِهِ، والصَّبْرَ على بَلائِهِ، فَكَم يَتَعَرَّضُ المَرْءُ للابْتِلاءِ والمِحَنِ، والمَصَائِبِ والإِحَنِ، بَيْدَ أَنَّ المُؤْمِنَ يَجْعَلُ المِحْنَةَ مِنْحَةً، ويُبَدِّلُ اليَأْسَ إلى تَفَاؤُلٍ ورَجَاءٍ، والمُصِيبَةَ إلى فُرْصَةٍ للأَجْرِ وحُسْنِ الجَزَاءِ، ولِسَانُ حَالِهِ وقَالِهِ يُرَدِّدُ قَولَ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

إِنَّ قَضَاءَ اللهِ تعالى أَحَبُّ إِلَيَّ من بَصَرِي:

يَا عِبَادَ اللهِ، كُلُّنَا يَسْمَعُ بِسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، هذا الرَّجُلُ العَظِيمِ الذي فَدَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ بِأَبِيهِ وأُمِّهِ يومَ أُحُدٍ، فَقَالَ لَهُ: «ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» رواه الترمذي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

والذي قَالَ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «هَذَا خَالِي، فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ» رواه الترمذي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

هذا الرَّجُلُ الذي شَبَّ على طَاعَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأَكْرَمَهُ اللهُ تعالى بِنِعْمَةِ الإِيمَانِ وهوَ ابْنُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، هذا الذي كَانَ ثُلُثَ الإِسْلامِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، حِينَ كَانَ ثَالِثَ ثَلاثَةٍ أَسْلَمُوا من الرِّجَالِ، اِبْتَلاهُ اللهُ تعالى بِفَقْدِ بَصَرِهِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، وكَأَنَّ

الحَقِّ جَلَّ جَلالُهُ أَرَادَ أن يَزِيدَ فِي دَرَجَاتِهِ عِنْدَهُ، وذلكَ لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ» يُرِيدُ عَيْنَيْهِ. رواه الإمام البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، قَدِمَ سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنهُ إلى مَكَّةَ وقَد كُفَّ بَصَرُهُ، وكَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُهْرَعُونَ إِلَيهِ لِيَدْعُوَ لَهُم، فَجَعَلَ يَدْعُو لَهُم.

قَالَ عَبدُ اللهِ بنُ السَّائِبِ: فَأَتَيْتُهُ وأَنَا غُلامٌ فَتَعَرَّفتُ إِلَيهِ فَعَرَفَنِي.

فَقُلتُ لَهُ: يَا عَمُّ، أَنتَ تَدْعُو للنَّاسِ فَيُشْفَوْنَ، فَلَو دَعَوتَ لِنَفْسِكَ لَرَدَّ اللهُ عَلَيكَ بَصَرَكَ.

فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ قَضَاءَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ من بَصَرِي.

خاتِمَةٌ ــــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِيمَانُ باللهِ تعالى حَقَّ الإِيمَانِ يَجْعَلُ العَبدَ رَاضِيَاً وفَرِحَاً ومَسْرُوراً بِمَا يَجِدُ من سَرَّاءَ وضَرَّاءَ، ومن يُسْرٍ وعُسْرٍ، ومن شِدَّةٍ ورَخَاءٍ، يَرْضَى فلا يَقْلَقُ ولا يَضِيقُ صَدْرُهُ، ولا يَسْتَعْجِلُ ولا يَسْتَبْعِدُ الغَايَةَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِيمَانُ باللهِ تعالى لَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي شَخْصِيَّةِ الإِنسَانِ، فَصَاحِبُهُ لا يَعْرِفُ اليَأْسَ ولا القُنُوطَ، وهوَ مُتَفَائِلٌ دَائِمَاً.

يُذْكَرُ بأَنَّ امْرَأَةً كَانَت تَمْشِي فَتَعَثَّرَتْ، فَانْقَطَعَتْ إِصْبُعُهَا فَضَحِكَتْ.

فَقِيلَ لَهَا: أَتَضْحَكِينَ، وقَد انْقَطَعَتْ إِصْبُعُكِ؟

فَقَالَتْ: حَلاوَةُ أَجْرِهَا أَنْسَتْنِي مَرَارَةَ ذِكْرِهَا.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَسْأَلِ اللهَ تعالى زِيَادَةً في إِيمَانِنَا، حَتَّى نَتَحَقَّقَ بِقَولِهِ تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بذلكَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

٤٣٣ـ خطبة الجمعة: المؤمن بإيمانه سعيد

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، من أَجَلِّ نِعَمِ اللهِ تعالى على عَبدِهِ نِعْمَةُ الإِيمَانِ والالْتِزَامِ والسَّيْرِ على نَهْجِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، لأَنَّ هذهِ النِّعْمَةَ تُرَافِقُ آثَارُهَا العَبدَ المُؤمِنَ في حَيَاتِهِ الدُّنيَا، ويَجدُ آثَارَهَا عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوتِ، وفي قَبْرِهِ، وفي أَرضِ المَحْشَرِ، وعلى الصِّرَاطِ حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ بِبَرَكَةِ الإِيمَانِ.

ومن حُرِمَ نِعْمَةَ الإِيمَانِ عَاشَ حَيَاةَ الشَّقَاءِ والضَّنْكِ في حَيَاتِهِ الدُّنيَا، وَوَجَدَ أَثَرَ هذا الحِرْمَانِ عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوتِ، وفي قَبْرِهِ، وفي أَرضِ المَحْشَرِ، ويومَ يُسْحَبُ على وَجْهِهِ ويُقْذَفُ في نَارِ جَهَنَّمَ على أُمِّ رَأْسِهِ والعِيَاذُ باللهِ تعالى.

تَطَاحُنُ النَّاسِ على نِعَمٍ لا تَنْفَعُ في الآخِرَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، النَّاسُ اليَومَ يَتَطَاحَنُونَ ويَتَنَاحَرُونَ ويَتَسَابَقُونَ في سَبِيلِ تَحْصِيلِ المَالِ، وعُلُوِّ المَنْصِبِ والجَاهِ، وجَمِيعِ النِّعَمِ المَادِّيَّةِ التي لا تَنْفَعُ في الآخِرَةِ بِدُونِ نِعْمَةِ الإِيمَانِ، قَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾.

فَجَمِيعُ النِّعَمِ لا تَنْفَعُ في الآخِرَةِ إذا تَجَرَّدَ صَاحِبُهَا من الإِيمَانِ، بَل تَنْقَلِبُ عَلَيهِ وَبَالاً، قَالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾. وقَالَ تعالى مُخْبِراً عن قَوْلِ هؤلاءِ يَومَ القِيَامَةِ: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعَاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾.

المُؤمِنُ بِإِيمَانِهِ سَعِيدٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِنسَانُ المُؤمِنُ بِإِيمَانِهِ يَعِيشُ سَعِيداً ولو حُرِمَ من جَمِيعِ مَلَذَّاتِ هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، المُؤمِنُ سَعِيدٌ واللهِ ولَو سَكَنَ في كُوخٍ صَغِيرٍ، سَعِيدٌ واللهِ ولَو مَشَى على قَدَمَيْهِ، سَعِيدٌ واللهِ ولَو لَبِسَ الثِّيَابَ البَالِيَةَ، سَعِيدٌ واللهِ ولَو أَكَلَ أخشَنَ الطَّعَامِ، سَعِيدٌ واللهِ ولَو كَانَ على فِرَاشِ المَرَضِ والابْتِلاءِ في جَسَدِهِ.

المُؤمِنُ بِإِيمَانِهِ واللهِ في سَعَادَةٍ تَفُوقُ سَعَادَةَ المُلُوكِ، ورَحِمَ اللهُ تعالى مَن قَالَ: نَحنُ على لَذَّةٍ لَو عَلِمَتْهَا مُلُوكُ الأَرضِ لَجَالَدُونَا عَلَيهَا بالسُّيُوفِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَّا الإِنسَانُ بِغَيرِ إِيمَانٍ واللهِ هوَ من أَشْقَى خَلْقِ اللهِ تعالى، ولَن يَزْدَادَ إلا عَذَابَاً وشَقَاءً، لأَنَّ الإِنسَانَ بِدُونِ إِيمَانٍ تَعِيسٌ ولَو سَكَنَ أَعْظَمَ البُيُوتِ وأَفْخَمَهَا، ولَو رَكِبَ أَحْدَثَ السَّيَّارَاتِ، ولَو تَزَوَّجَ أَجْمَلَ النِّسَاءِ، ولَو أَكَلَ أَشْهَى المَأْكُولاتِ، ولَو امْتَلَكَ من المَالِ كَمَا امْتَلَكَ قَارُونُ، لأَنَّهُ بهذهِ الإِمْكَانَاتِ يُرَفِّهُ عَن جَسَدِهِ بِدُونِ رُوحِهِ، والإِنسَانُ بِدُونِ سَعَادَةِ الرُّوحِ بَهِيمَةٌ من جُمْلَةِ البَهَائِمِ، ودَابَّةٌ من جُمْلَةِ الدَّوَابِّ، بَل البَهَائِمُ والدَّوَابُّ أَكْرَمُ على اللهِ مِنهُ.

<u>«فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا»:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، واللهِ لا قِيمَةَ للإِنسَانِ عِنْدَ اللهِ تعالى بِدُونِ إِيمَانٍ، ولَو أَعْطَاهُ الدُّنيَا بِأَسْرِهَا، روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ؟

قَالَ: «غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ».

يَا عِبَادَ اللهِ، الدُّنيَا لا تُسَاوِي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، فَيُعْطِيهَا رَبُّنَا لِمَن أَحَبَّ ولِمَن لَم يُحِبَّ، فَمَن أُعْطِيَ الدُّنيَا بِدُونِ إِيمَانٍ فَهُوَ من أَحَطِّ المَخْلُوقَاتِ عِنْدَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

روى الإمام أحمد عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ وُقُوفٌ عَلَى دَوَابَّ لَهُمْ وَرَوَاحِلَ، فَقَالَ لَهُمْ: «ارْكَبُوهَا سَالِمَةً، وَدَعُوهَا سَالِمَةً، وَلَا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ لِأَحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ وَالْأَسْوَاقِ، فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا، وَأَكْثَرُ ذِكْرًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ».

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، بِنعْمَةِ الإِيمَانِ يَزْرَعُ اللهُ فِي قُلُوبِ المُؤمِنِينَ الأَمْنَ والطُّمَأْنِينَةَ، ويَنْزِعُ مِنهَا القَلَقَ والحَيْرَةَ والاضْطِرَابَ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا، وَوَاللهِ لَو لَمْ يَكُنْ فِي الإِيمَانِ إلا هذهِ النِّعْمَةَ لَكَانَتْ كَافِيَةً، فَكَيفَ إذا جَمَعَ اللهُ تعالى للمُؤمِنِ هذا الأَمْنَ والأَمَانَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ، قَالَ تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾؟

اللَّهُمَّ لا تَحرِمْنَا نِعْمَةَ الإِيمَانِ والأَمْنِ والأَمَانِ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٣٤ـ خطبة الجمعة: لا يخيب مع اللّه رجاء

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، المَعْبُودُ بِحَقٍّ هوَ اللهُ تعالى، جَمِيعُ الكَائِنَاتِ تَقْصِدُهُ، وجَمِيعُ المَخْلُوقَاتِ تَعْنُو لِجَلالِ هَيْبَتِهِ، إذا خَافَ العَبدُ الْتَجَأَ إِلَيهِ، وإذا افْتَقَرَ اتَّجَهَ إِلَيهِ، جَمِيعُ القُلُوبِ مَفْطُورَةٌ على التَّوَجُّهِ إِلَيهِ إنْ شَاءَتْ وإنْ أَبَتْ، نَعَمْ فِي الرَّخَاءِ يَعْلُوهَا الرَّانُ، ولَكِنْ إذا نَزَلَتْ بِهَا النَّوَازِلُ، وحَلَّتْ بِهَا المَصَائِبُ تَوَجَّهَتْ إِلَيهِ، وأَعْرَضَتْ عَمَّا سِوَاهُ.

سَأَلَ رَجُلٌ الإِمَامَ جَعْفَرَ الصَّادِقَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ اللهِ.

فَقَالَ: أَلَمْ تَرْكَبِ البَحْرَ؟

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَهَلْ حَدَثَ لَكَ مَرَّةً أَنْ هَاجَتْ بِكُمُ الرِّيحُ عَاصِفَةً؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: وَانْقَطَعَ أَمَلُكَ من المَلَّاحِينَ وَوَسَائِلِ النَّجَاةِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَهَلْ خَطَرَ فِي بَالِكَ وانْقَدَحَ فِي نَفْسِكَ أَنَّ هُنَاكَ مَن يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَكَ إِنْ شَاءَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَذَلِكَ هُوَ اللهُ.

ومِصْدَاقُ هذا قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً﴾.

لا يَخِيبُ مَعَ اللهِ رَجَاءٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اللهُ جَلَّ جَلالُهُ لا يَخِيبُ مَعَهُ رَجَاءٌ، ولا يَضِيعُ عِنْدَهُ سَعْيٌ، ولا يُرَدُّ عَن بَابِهِ وَاقِفٌ، اللهُ جَلَّ جَلالُهُ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، ومَفْزِعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، من تَكَلَّمَ من عِبَادِهِ سَمِعَ نُطْقَهُ، ومن سَكَتَ مِنهُم عَلِمَ سِرَّهُ، ومن عَاشَ مِنهُم فَعَلَيهِ رِزْقُهُ، ومن مَاتَ مِنهُم فَإِلَيهِ مُنْقَلَبُهُ.

السَّعِيدُ فِينَا من تَوَجَّهَ إلى اللهِ تعالى وَحْدَهُ بالرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ، والخَوْفِ والرَّجَاءِ والحُبِّ، السَّعِيدُ مَن عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ، السَّعِيدُ من تَوَجَّهَ إلى اللهِ وَحْدَهُ، السَّعِيدُ من الْتَجَأَ إلى اللهِ تعالى وَحْدَهُ، السَّعِيدُ من اعْتَزَّ باللهِ وَحْدَهُ، السَّعِيدُ من تَوَكَّلَ على اللهِ وَحْدَهُ، السَّعِيدُ من أَحَبَّ اللهَ تعالى وَحْدَهُ، السَّعِيدُ من وَحَّدَ اللهَ تعالى فَأَكْثَرَ من قَوْلِ: لا إِلَهَ إلا اللهُ، حَتَّى يَسْتَقِرَّ مَعْنَاهَا في قَلْبِهِ.

لا تُظْلَمْ مَعَ لا إِلَهَ إلا اللهُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَا خُلِقْنَا في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا إلا لِمَعْرِفَةِ لا إِلَهَ إلا اللهُ، من عَرَفَهَا وتَحَقَّقَ بِمَعْنَاهَا فَإِنَّهُ لا يَشْقَى ولا يُظْلَمُ، ومن أَكْرَمَهُ اللهُ تعالى بهذهِ الكَلِمَةِ وشَرَحَ صَدْرَهُ لَهَا فَهُوَ من أَسْعَدِ خَلْقِ اللهِ تعالى، ولَو عَصَرَتْهُ هذهِ الأَزْمَةُ عَصْراً، ولَو خَنَقَتْهُ خَنْقاً، ولَو مَزَّقَتْهُ تَمْزِيقاً.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن تَتَمَزَّقُ قُلُوبُكُم فِي هذهِ الأَزْمَةِ على مَا أَصَابَكُم مِنهَا من مَصَائِبَ دُنْيَوِيَّةٍ، لا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا مَا دُمْتُمْ تَنَامُونَ على شَهَادَةِ أنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وتَسْتَيْقِظُونَ عَلَيهَا، لا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا إذا خَرَجْتُمْ من هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيا بِكَلِمَةِ لا إِلَهَ إلا اللهُ، فَإِنَّكُم لا تُظْلَمُونَ مَعَهَا يومَ القِيَامَةِ، إذا خُتِمَ لَكُم عَلَيهَا.

روى الترمذي عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟

فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟

فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ.

فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ.

فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ.

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟!

فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ.

فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ».

السَّعَادَةُ الحَقِيقِيَّةُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، السَّعَادَةُ الحَقِيقِيَّةُ عِنْدَ الإِنسَانِ الْمُؤْمِنِ هيَ بالإِيمَانِ الْمُقَيَّدِ بِمَنْهَجِ اللهِ تعالى، ولَيْسَتِ السَّعَادَةُ عِنْدَهُ بِجَمْعِ مَالٍ وصِحَّةٍ وعَافِيَةٍ وجَاهٍ ومَنْزِلَةٍ، لأَنَّ هذهِ الأُمُورَ بِدُونِ إِيمَانٍ شَقَاءٌ.

السَّعَادَةُ الحَقِيقِيَّةُ هيَ سَعَادَةُ الإِيمَانِ، ولا يَشْعُرُ بِهذهِ السَّعَادَةِ إلا مَن تَغَلْغَلَ حُبُّ اللهِ تعالى في قَلْبِهِ ونَفْسِهِ وفِكْرِهِ، فالذي يَمْلِكُ السَّعَادَةَ لابْنِ آدَمَ هوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، اِخْتَلَفَ رَجُلٌ مَعَ زَوْجَتِهِ، فَقَالَ لَهَا: لأُشْقِيَنَّكِ.

فَقَالَتِ الزَّوْجَةُ في هُدُوءٍ: لا تَسْتَطِيعُ.

فَقَالَ لَهَا: كَيفَ ذلكَ؟

قَالَتْ: لَو كَانَتِ السَّعَادَةُ في مَالٍ لَحَرَمْتَنِي مِنهُ، أو في حُلِيٍّ لَمَنَعْتَهَا عَنِّي، إِنَّ سَعَادَتِي في شَيْءٍ لا تَمْلِكُهُ أَنْتَ ولا أَحَدٌ من النَّاسِ،

قَالَ لَهَا: أَينَ تَكْمُنُ سَعَادَتُكِ؟

قَالَتْ: إِنِّي أَجِدُ سَعَادَتِي في إِيمَانِي، وإِيمَانِي في قَلْبِي، وقَلْبِي لا سُلْطَانَ لأَحَدٍ عَلَيهِ غَيْرُ رَبِّي.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللّهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، كَم هوَ الفَارِقُ عَظِيمٌ بَيْنَ مَن يَعِيشُ للدُّنيَا فَقَط، وبَيْنَ مَن يَعِيشُ وهوَ يَعْتَقِدُ أَنّ اللّهَ تعالى قَد اسْتَخْلَفَهُ في الأَرْضِ وأَمَرَهُ بِعِمَارَتِهَا، لا بِخَرَابِهَا، وأَمَرَهُ بالْتِزَامِ مَنْهَجِ اللهِ تعالى فِيهَا، وأَنَّهُ مُنْقَلِبٌ إلى اللهِ تعالى.

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِيْمَانُ باللهِ تعالى، والإِيمَانُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ هوَ بَابُ السَّعَادَةِ الأَعْظَمُ، وهوَ مِفْتَاحُ هذا البَابِ.

اللّهُمَّ يَا مَولانَا أَسْعِدْنَا بِمَعْرِفَتِكَ، وشَرِّفْنَا بِطَاعَتِكَ، ولا تُشْقِنَا بِمَعْصِيَتِكَ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٣٥ـ خطبة الجمعة: لأعلم آية لو أخذ الناس بها

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، يَقُولُ اللهُ عزّ وجلّ، وهوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

هذهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ نَزلَتْ في عَوْفِ بنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، أَسَرَ المُشْرِكُون ابْنَاً لَهُ يُسَمَّى سَالِمَاً، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ وَشَكَا إِلَيهِ الفَاقَةَ وَقَالَ: إنّ العَدُوّ أَسَرَ ابْنِي وَجَزِعَتِ الأُمُّ، فَمَا تَأْمُرُنِي؟

فَقَالَ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «اِتّقِ اللهِ واصْبِرْ، وَآمُرُكَ وَإِيّاهَا أَنْ تَسْتَكْثِرَا من قَوْلِ: لا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلا باللهِ».

فَعَادَ إلى بَيْتِهِ وَقَالَ لامْرَأَتِهِ: إنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ أَمَرَنِي وَإِيّاكِ أَنْ نَسْتَكْثِرَ مِن قَوْلِ: لا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلا باللهِ.

فَقَالَتْ: نِعْمَ مَا أَمَرَنَا بِهِ.

فَجَعَلا يَقُولانِ، فَغَفَلَ العَدُوّ عن ابْنِهِ، فَسَاقَ غَنَمَهُم وَجَاءَ بِهَا إلى أَبِيهِ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ آلافِ شَاةٍ.

فَنَزَلَتِ الآيَةُ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. فَيَا مَن فَقَدَ وَلَداً، وَمَن فَقدَ مَالاً، وَفَقَدَ صِحَّةً وَعَافِيَةً، وَفَقَدَ عَزِيزاً، وَوَقَعَ فِي كَرْبٍ، اِتَّقِ اللهَ واصبِرْ، وَأَكثِر مِن قَولِ: لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

وَجَعَلَ النّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ تِلكَ الأَغْنَامَ لَهُ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: قَالَ النّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «إِنّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَو أَخَذَ بِهَا النّاسُ لَكَفَتْهُم ثمّ تَلا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. رواه الوَاحِدِي فِي أسبَابِ النُزُولِ.

<u>وَصِيَّةُ اللهِ تعالى للأَوّلِينَ والآخِرِينَ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، حَقّاً إِنّ تَقْوَى اللهِ تعالى هيَ وَصِيَّةُ اللهِ للأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

وهيَ وَصِيَّةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَجُلاً جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي.

فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ مِنْ قَبْلِكَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ».

ويَقُولُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لَيسَ التَّقْوَى صِيَامَ النَّهَارِ وَقِيَامَ اللَّيْلِ والتَّخْلِيطَ فِيمَا بَيْنَ ذلكَ، وَلَكِنَّ التَّقْوَى تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَأَدَاءُ ما افْتَرَضَ اللهُ، فَمَا رُزِقَ بَعدَ ذلكَ فَهُوَ خَيْرٌ على خَيْرٍ.

<u>عِنَايَةُ القُرآنِ العَظِيمِ بالتَّقْوَى:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، لَو نَظَرْنَا في كِتَابِ اللهِ عزَّ وجلّ نَظْرَةً وَاحِدَةً بِتَدَبُّرٍ لَرَأَيْنَا العَجَبَ العُجَابَ في عِنَايَةِ القُرآنِ العَظِيمِ بالتَّقْوَى، فَلَقَد عَلّقَ عَلَيهَا رَبُّنَا عزَّ وجلّ الخَيْرَ الكَثِيرَ، والثَّوَابَ الجَزِيلَ، وسَعَادَةَ الدُّنيَا والآخِرَةِ، من ذلكَ:

أولاً: قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾. فالمُتّقُونَ لا يَرَوْنَ لا الخَيْرَ، ولا يَعْرِفُونَ اليَأْسَ ولا القُنُوطَ، قَالَ تَعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ثانياً: قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. فالمُتّقونَ هُمْ أَولِيَاءُ اللهِ تعالى، هُم الذِينَ لا يَخافُونَ مِمَّا هُوَ آتٍ، ولَا يَحزَنُونَ عَمَّا فَاتَ.

ثالثاً: قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنْ تَصبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. فالمُتّقُونَ لا يَضُرُّهُم كَيْدُ الكَائِدِينَ، ولا إِجْرَامُ المُجْرِمِينَ، فَهُم فِي حِفظِ اللهِ ورِعَايَتِهِ، واللهُ تَعَالى تَوَلَّى الِفَاعَ عَنهُم، قَالَ تَعَالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.

رابعاً: قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فالمُتّقُونَ لا يَحْصُلُ لَهُم مَا يَسُوؤُهُم، ولا يَحْزَنُونَ على مَا خَلّفُوا من الدُّنيَا، فَقَد عَوّضَهُمُ اللهُ تعالى خَيْراً مِنهُ.

خامساً: قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾. فالمُتّقُونَ في جَنّاتٍ يَومَ القِيَامَةِ، عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ، ونُفُوسُهُم مُطْمَئِنّةٌ، بِحَيثُ يَسْمَعُونَ الخِطَابَ يَومَ القِيَامَةِ: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أُوصِيكُم وإِيَّايَ بِتقْوىَ اللهِ عزِّ وجلّ، فَإِنّهَا خَيْرُ الزّادِ، وبِهَا تَنْكَشِفُ الكُرَبُ، وتَتَحَقّقُ الآمَالُ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. تَذَكَّرُوا سَيِّدَنَا يُوسُفَ عَليهِ السَّلام فَإِنَّهُ بِبَرَكَةِ التَّقوَى والصَّبرِ فُرِّجَ عَنهُ.

فالتّقْوَى سَبِيلُ العِزِّ والتّمْكِينِ، وهيَ رَصِيدُ الأُمّةِ ورَصِيدُ الفَرْدِ، إذا أَرَادُوا الخُرُوجَ من المَآزِقِ من الضِّيقِ والكُرَبِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَتّقِ اللهَ بِجوَارِحِنَا، لِنَتّقِ اللهَ بِأَمْوَالِنَا، لِنَتّقِ اللهَ في مُعَامَلاتِنَا، لِنَتّقِ اللهَ في وَطَنِنَا، لِنَتّقِ اللهَ في أَعْرَاضِنَا، لِنَتّقِ اللهَ ظَاهِراً وبَاطِنَاً،ولْنَقُلْ قَوْلاً سَدِيدَاً، عَسَى اللهُ أَنْ يُصْلِحَ لَنا أَحْوَالَنَا.

اللّهُمَّ أَكْرِمْنَا بذلكَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**   **   **

٤٣٦ـ خطبة الجمعة: بأي شيء ترجع كل يوم في هذه الأزمة؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ اللهِ، الإِنسَانُ بِدُونِ إِيمَانٍ رِيشَةٌ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ، لا تَسْتَقِرُّ على حَالٍ، ولا تَسْكُنُ إلى قَرَارٍ.

الإِنسَانُ بِدُونِ إِيمَانٍ لا يَعْرِفُ نَفْسَهُ، ولا يَعْرِفُ سِرَّ وُجُودِهِ، ولا يَعْلَمُ مَن أَلْبَسَهُ ثَوْبَ الحَيَاةِ، ولا يَعْلَمُ لماذا وُجِدَ في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، ولا يَعْلَمُ لماذا تُنْزَعُ مِنهُ الحَيَاةُ، ولا يَعْلَمُ شَيْئَاً عَمَّا بَعدَ المَوْتِ.

الإِنسَانُ بِدُونِ إِيمَانٍ تَرَاهُ دَائِمَاً وَأَبَدَاً مُضْطَرِبَاً حَائِرَاً قَلِقَاً مُتَبَرِّمَاً خَائِفَاً تَائِهَاً مُتَعَقِّدَاً كَقَارِبٍ فِي وَسَطِ بَحْرٍ لُجِّيٍّ.

الإِنسَانُ بِدُونِ إِيمَانٍ يَكُونُ حَيَوَانَاً شَرِهَاً فَتَّاكَاً، بَل هوَ فِي أَدْنَى رَتْبَةٍ فِي سُلَّمِ المَخْلُوقَاتِ، بَل هوَ أَذَلُّ من البَهَائِمِ العَجْمَاوَاتِ، لَهُ قَلْبٌ لا يَفْقَهُ بِهِ، ولَهُ عَيْنٌ لا يُبْصِرُ بِهَا، ولَهُ أُذُنٌ لا يَسْمَعُ بِهَا.

أَثَرُ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِيمَانُ إذا اسْتَقَرَّ فِي القَلْبِ، وصَدَّقَتْهُ الجَوَارِحُ، ونَطَقَ بِهِ اللِّسَانُ، يَجْعَلُ صَاحِبَهُ يُرَاقِبُ اللهَ عزَّ وجلَّ، ويُحَاسِبُ نَفْسَهُ على الصَّغِيرَةِ والكَبِيرَةِ، ويُسَابِقُ الآخَرِينَ إلى الخَيْرَاتِ، وَيَكُونُ على يَقِينٍ بِأَنَّ اللهَ تعالى لا يَغْفُلُ لَحْظَةً، ويُحْصِي على العَبدِ أَقْوَالَهُ وأَفعَالَهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا اسْتَقرّ الإيمَانُ في القَلْبِ، فَإِنّهُ يَنْزِعُ مِنهُ الأَدْرَانَ، ويُنَقّيهِ من الحَسَدِ، ويُصَفّيهِ من الحِقْدِ والغِلِّ، ويَسْتَلُّ مِنهُ الضّغِينَةَ والسّخِيمَةَ، بَل يُخْرِجُ من قَلْبِهِ حُبَّ الدُّنيا بِكُلِّ صُوَرِهَا وأَشْكَالِهَا، ويَرْضَى بِمَا قَضَى اللهُ تعالى وَقَدّرَ وَقَسَمَ.

«وتَرْجعُونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَتَعَلّمْ كَيفَ يَكُونُ أَثَرُ الإيمَانِ الحَقِيقِيّ في القَلْبِ، وذلكَ من خِلالِ مَوْقِفٍ عَظِيمٍ كَانَ بِحَضْرَةِ سَيّدِنا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ،

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجدَ هَذَا الْحَيُّ مِن الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَاماً فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِن الْأَنْصَارِ شَيْءٌ.

قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا.

قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ».

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، فَجَاءَ رِجَالٌ مِن الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَد اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِن الْأَنْصَارِ.

قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟».

قَالُوا: بَل اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟».

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وللهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ: «أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِن الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمَاً لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِن الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ

شِعْبَاً وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبَاً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ؛ اللَّهُمَّ ارْحَم الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قَسْمَاً وَحَظَّاً؛ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ وَتَفَرَّقْنَا.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَرَأَيْتُم كَيفَ استَلّ النَّبِيٌّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ مَا في قُلُوبِهِم من حُبِّ الدُّنيَا، لقد ذَكّرَهُم بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ أَسْبَغَهَا اللهُ عزّ وجلّ عَلَيهِم، إِنّهَا نِعْمَةُ الإِيمَانِ، نِعْمَةُ الإِيمَانِ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، لَئِنْ أَخَذَ النَّاسُ الدُّنيَا بِكُلِّ صُوَرِهَا وأَشْكَالِهَا وحُرِمُوا نِعْمَةَ الإِيمَانِ فَمَا يَنْفَعُهُم؟ وإِنْ أُخِذَتِ الدُّنيَا من العَبدِ وبَقِيَتْ نِعْمَةُ الإِيمَانِ عِنْدَهُ فَمَا يَضُرُّهُ؟

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، تَذَكّرُوا في هذهِ الأَزمَةِ، بِأَيِّ شَيْءٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنّا يَرْجِعُ إلى بَيْتِهِ، هَل نَرْجِعُ بِحُطَامٍ من الدُّنيَا؟ أَمْ نَرْجِعُ بِإِيمَانِنَا باللهِ تعالى، وإِيمَانِنَا بِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ؟

إنْ رَجَعْنَا بِإِيمَانِنَا باللهِ وبِرَسُولِهِ وباليَومِ الآخِرِ، واللهِ لَقَد رَجَعْنَا بِأَعْظَمِ كَنْزٍ، لأَنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأَرْضِ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِيَرْجِعْ أَهْلُ الدُّنيَا بِدُنْيَاهُم في هذهِ الأَزمَةِ، وخَاصَّةً إذا رَجَعُوا بهَا وهُم ظَالِمُونَ للنَّاسِ؛ ولْنَرْجِعْ بِإِيمَانِنَا باللهِ وبِرَسُولِهِ وباليَومِ الآخِرِ، سَائِلِينَ المَولَى

أَنْ يَجْعَلَنَا على قَدَمِ الأَنْصَارِ الذينَ ذَكَّرَهُمْ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ بِأَعْظَمِ نِعْمَةٍ عَلَيهِم، ألا وهيَ نِعْمَةُ الإِيمَانِ.

اللّهُمَّ أَكْرِمْنَا بِذَلِكَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٣٧ـ خطبة الجمعة: يا ويح من جعل نفسه للمسلمين خصيماً

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله، قد أَظَلّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ، شَهْرُ شَعْبَانَ، فِيهِ تَتَنَزَّلُ الرَّحْمَةُ من الرَّحْمَنِ المَنَّانِ، وقَد عَظَّمَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ بِصَالِحِ العَمَلِ، واجْتَهَدَ فِيهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ من غَيْرِ تَعَبٍ ولا كَلَلٍ، فَصَامَ النَّهَارَ، وقَامَ اللَّيْلَ، روى الشيخان عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ.

شَهْرٌ يَغْفُلُ عَنهُ كَثِيرٌ من النّاسِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لقد عَظّمَ رَبُّنا عزّ وجلّ بَعْضَ اللّيَالِيَ قَدْرًا، ونَشَرَ فِيهَا رَحْمَتَهُ على خَلْقِهِ نَشْرًا، من هذهِ اللّيَالِي لَيَالِي شَهْرِ شَعْبَانَ، هذا الشّهْرُ العَظِيمُ الذي يَغْفُلُ عَنهُ كَثِيرٌ من النّاسِ.

روى الإمام أحمد عَن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ يَصُومُ الْأَيَّامَ يَسْرُدُ حَتَّى يُقَالَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ الْأَيَّامَ حَتَّى لَا يَكَادَ أَنْ يَصُومَ إِلَّا يَوْمَيْنِ مِن الْجُمُعَةِ إِنْ كَانَا فِي صِيَامِهِ، وَإِلَّا صَامَهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِن الشُّهُورِ مَا يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تَصُومُ لَا تَكَادُ أَنْ تُفْطِرَ، وَتُفْطِرَ حَتَّى لَا تَكَادَ أَنْ تَصُومَ إِلَّا يَوْمَيْنِ إِنْ دَخَلَا فِي صِيَامِكَ، وَإِلَّا صُمْتَهُمَا.

قَالَ: «أَيُّ يَوْمَيْنِ؟».

قَالَ: قُلْتُ: يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمُ الْخَمِيسِ.

قَالَ: «ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ».

قَالَ: قُلْتُ: وَلَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِن الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ.

قَالَ: «ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ».

يَا عِبَادَ اللهِ، هَل عَلِمْتُمْ سَبَبَ تَخْصِيصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ لهذا الشَّهْرِ بالصِّيَامِ؟ لأَنَّهُ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى اللهِ تعالى، فَطُوبَى لِمَنْ رُفِعَ عَمَلُهُ وكَانَ سَبَبَاً لِبَيَاضِ وَجْهِهِ يَومَ القِيَامَةِ، وكَانَ سَبَبَاً لِشَفَاعَتِهِ عِنْدَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

لِيَسْأَلْ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ، مَا هوَ عَمَلِي الذي يُرْفَعُ إلى اللهِ تعالى في هذا الشَّهْرِ العَظِيمِ المُبَارَكِ؟ هَل أَقْوَالُنَا وأَفْعَالُنَا التي تُرْفَعُ إلى اللهِ تعالى لَنَا أَمْ عَلَينَا؟

شَهْرٌ بَيْنَ شَهْرَيْنِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحْنُ بَيْنَ شَهْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ، بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ، فَهَل نَغْتَنِمُ هذا الشَّهْرَ المُبَارَكَ إِنْ فَاتَنَا الخَيْرُ في شَهْرِ رَجَبَ المُحَرَّمِ؟

مَضَى رَجَبٌ ومَا أَحْسَنْتَ فِيهِ *** وهذا شَهْرُ شَعْبَانَ المُبَارَكْ

فَيَا مَن ضَيَّعَ الأَوْقَاتَ جَهْلَاً *** بِحُرْمَتِهَا أَفِقْ واحْذَرْ بَوَارَكْ

فَسَوْفَ تُفَارِقُ اللَّذَّاتِ قَسْرَاً *** وَيُخْلِي المَوْتُ كُرْهَاً مِنكَ دَارَكْ

تَدَارَكْ مَا اسْتَطَعْتَ من الخَطَايَا *** بِتَوْبَةِ مُخْلِصٍ وَاجْعَلْ مَدَارَكْ

عَلَى طَلَبِ السَّلَامَةِ من جَحِيمٍ *** فَخَيْرُ ذَوِي الجَرَائِمِ مَن تَدَارَكْ

يَا وَيْحَ مَن جَعَلَ نَفْسَهُ للمُسْلِمِينَ خَصِيمَاً:

يَا عِبَادَ اللهِ، فِي هذا الشَّهْرِ العَظِيمِ المُبَارَكِ يَطَّلِعُ فِيهِ رَبُّنا عزَّ وجلَّ على خَلْقِهِ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إلا لِصِنْفَيْنِ من النَّاسِ، لِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ، وَلِمَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاسِ شَحْنَاءُ.

روى ابن ماجه عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ».

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا وَيْحَ مَن جَعَلَ نَفْسَهُ للمُسْلِمِينَ خَصِيماً، تَاللهِ لقد ارْتَكَبَ إِثْمَاً عَظِيماً، واقْتَرَفَ جُرْمَاً جَسيماً، فَمَا أَعْظَمَ شَحْنَاءَ القُلُوبِ، يومَ قَرَنَهَا عَلَّامُ الغُيُوبِ بالشِّرْكِ الذي هوَ أَشْنَعُ الذُّنُوبِ.

<u>خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، هَل تَنْتَهِي الأُمَّةُ اليَومَ من هذهِ الخُصُومَاتِ؟ هَل تَنْتَهِي من هذهِ الحَرْبِ؟ هَل تَنْتَهِي من هذا الدَّمَارِ؟ هَل تَنْتَهِي من هذا التَّمَزُّقِ والتَّشَرْذُمِ؟ هَل تَنْتَهِي من هذا التَّفْسِيقِ والتَّكْفِيرِ لِبَعْضِهَا البَعْضِ؟ هَل تَنْتَهِي من هذهِ الشَّحْنَاءِ التي حَلَقَتْ دِينَ كَثِيرٍ من النَّاسِ؟ هَل تَنْتَهِي من التَّحْرِيضِ على سَفْكِ الدِمَاءِ، وتَرْوِيعِ الآمِنِينَ؟ فالأَعْمَالُ تُرْفَعُ إلى اللهِ تعالى؛ فَطُوبَى لِعَبْدٍ رُفِعَ إلى اللهِ تعالى عَمَلُهُ إِحْسَانَاً، وخَابَ وخَسِرَ مَن رُفِعَ إلى اللهِ تعالى عَمَلُهُ إِسَاءَةً وعُدْوَانَاً.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيكَ رَدَّاً جَمِيلاً. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

**	**	**

٤٣٨ـ خطبة الجمعة: «ويؤخر أهل الحقد كما هم»

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، الحِقْدُ مَرَضٌ عُضَالٌ من أَمْرَاضِ القَلْبِ، يُخْشَى مَعَهُ أَنْ يَتَسَرَّبَ الإِيمَانُ من هذا القَلْبِ المَرِيضِ، الحِقْدُ نَزْغٌ من عَمَلِ الشَّيْطَانِ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلا من خَفَّتْ أَحْلامُهُم وطَاشَتْ عُقُولُهُم، الحِقْدُ يُغْضِبُ الرَّبَّ جَلَّ جَلالُهُ، ويُودِي بِصَاحِبِهِ إلى الخُسْرَانِ المُبِينِ في الدُّنيَا الآخِرَةِ.

يَا عِبَادَ الله، الحَاقِدُ قَلِقُ النَّفْسِ دَائِمَاً، لا يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ، الحَاقِدُ سَاقِطُ الهِمَّةِ، ضَعِيفُ النَّفْسِ، وَاهِنُ العَزْمِ، كَلِيلُ اليَدِ.

الحَاقِدُ رَجُلٌ مُضَلَّلٌ ضَائِعٌ، مُخْطِئٌ في تَقْدِيرِهِ، فَهُوَ مَحْصُورُ التَّفْكِيرِ في الدُّنيَا ومَتَاعِهَا، الحَاقِدُ جَاهِلٌ بِرَبِّهِ وبِسُنَنِهِ في هذا الكَوْنِ، لأَنَّ للهِ تعالى حِكَمَاً لا تَظْهَرُ في التَّوِّ واللَّحْظَةِ، الحِقْدُ يُظْهِرُ عُيُوبَ الإِنسَانِ، ويَكْشِفُ عن الدَّاءِ الدَّفِينِ فِيهِ.

«وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَهرِ شَعْبَانَ قَد أَظَلَّتْنا، فَهَل انْتَبَهْنا إِلَى قُلُوبِنا؟
روى البيهقي عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها قَالَتْ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ مِن اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْت أَنَّهُ قَدْ قُبِضَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُمْتُ حَتَّى حَرَّكْتُ إِبْهَامَهُ فَتحَرَّكَ فَرَجَعْتُ، فَلَمَّا رَفَع رَأْسَهُ مِن السُّجُودِ وَفَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَوْ يَا حُمَيْرَاءُ، ظَنَنْتِ أَنَّ النَّبِيَّ خَاسَ بِكِ؟».

قُلْتُ: لَا واللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ قُبِضْتَ لِطُولِ سُجُودِكَ.

قَالَ: «أَتَدْرِينَ أَيَّ لَيْلَةٍ هَذِهِ؟».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ».

وفِي رِوَايَةٍ ثَانِيَةٍ لَهُ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ قَالَ: «إذا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ من شَعْبَانَ اطَّلَعَ اللهُ إلى خَلْقِهِ، فَيَغْفِرُ للمُؤْمِنِ، ويُمْلِي للكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بِحِقْدِهِم حَتّى يَدَعُوهُ».

الحِقْدُ وَصْفُ المُنَافِقِينَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الحِقْدُ يُثِيرُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ والإِضْرَارَ بالنَّاسِ لِغَيْرِ ذَنْبٍ جَنَوْهُ، وقد بَيّنَ اللهُ تعالى بِأَنّ الحِقْدَ هوَ من وَصْفِ المُنَافِقِينَ، ولَيسَ من وَصْفِ المُؤْمِنِينَ، قَالَ

تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾.
وعَضُّ الأَنَامِلِ عَادَةُ النَّادِمِ الأَسِيفِ العَاجزِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، المُؤْمِنُ يَغْبِطُ ولا يَحْسُدُ، المُؤْمِنُ لَيس بِحَقُودٍ، روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبيرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَليهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «ثَلاثٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا سِوَى ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئَاً، وَلَمْ يَكُنْ سَاحِرَاً يَتْبَعُ السَّحَرَةَ، وَلَمْ يَحْقِدْ عَلَى أَخِيهِ».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن أَرَادَ حُسْنَ الخَاتِمَةِ، من أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللهَ عزَّ جلَّ وهوَ رَاضٍ عَنهُ، ومن أَرَادَ أَنْ يَحْظَى بِمَعِيَّةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، فَعَلَيهِ بِسَلامَةِ الصَّدْرِ.

روى الترمذي عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ».

ويَقُولُ زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: دُخِلَ على أَبِي دُجَانَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَهُوَ مَرِيضٌ وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ، فَقِيلَ لَهُ: مَا لِوَجْهِكَ يَتَهَلَّلُ؟

فَقَالَ: مَا مِن عَمَلِي شَيْءٌ أَوْثَقُ عِنْدِي من اثْنَتَيْنِ:

أَمّا إِحْدَاهُمَا فَكُنْتُ لا أَتَكَلّمُ فِيمَا لا يَعْنِينِي.

وَأَمّا الأُخْرَى فَكَانَ قَلْبِي للمُسْلِمِينَ سَلِيماً.

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحنُ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ في هذهِ الأَزمَةِ إلى سَلامَةِ القَلْبِ، ونَزْعِ الحِقْدِ مِنهُ، لَعَلّ اللهَ تعالى يُطْفِئُ نَارَ هذهِ الحَرْبِ عَنّا.

اللّهُمَّ أَكْرِمْنَا بذلكَ. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٣٩ـ خطبة الجمعة: حتى تكون حياتك مستقرة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبادَ الله، لا يَتِمُّ إيمَانُ العَبدِ حَتّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ أَنّهُ من اللهِ تعالى، وأَنّهُ لا يَكُونُ شَيْءٌ في الكَوْنِ كُلِّهِ إلا مَا قَدّرَهُ اللهُ تعالى.

كُلُّ مَا يَجْرِي في هذا الكَوْنِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وفي حَيَاةِ الإنسَانِ بِشَكْلٍ خَاصٍّ، إمّا أَنْ يَكُونَ في تَصوُّرِ الإنسَانِ أَنّهُ آتٍ من عِنْدِ اللهِ عزّ وجلّ، فَهُوَ الذي خَلَقَ وبَرَأَ وقَدّرَ، وإمّا أَنْ يَكُونَ في تَصوُّرِهِ أَنّهُ آتٍ من عِنْدِ غَيْرِ اللهِ عزّ وجلّ.

الْمُؤْمِنُ الحَقُّ هوَ الذي أَيْقَنَ بِأَنَّهُ مَا من شَيْءٍ في هذا الوُجُودِ يَجْرِي إلا بِأَمْرِ اللهِ تعالى، لأَنَّهُ يَعْتَقِدُ اعْتِقَاداً جَازِمَاً بِأَنَّ الْمُتَصَرِّفَ الوَحِيدَ في هذا الوُجُودِ هوَ اللهُ تعالى وَحْدَهُ.

صِلَةُ الْمُؤْمِنِ بكِتَابِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن حَقَّقَ صِلَتَهُ بِكِتَابِ اللهِ عزَّ وجلَّ زَادَ إِيمَانُهُ باللهِ تعالى، وزَادَ إِيمَانُهُ بِأَنَّ مُقَدِّرَ الأَشْيَاءِ إِنَّمَا هوَ اللهُ عزَّ وجلَّ، قَالَ تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾.

وقَالَ تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وقَالَ تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

وقَالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابَاً مُؤَجَّلَاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

وقَالَ تعالى: ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾.

وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ* وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾.

حَتَّى تَكُونَ حَيَاتُكَ مُسْتَقِرَّةً:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن أَرَادَ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُهُ مُسْتَقِرَّةً، فَعَلَيهِ بالإِيمَانِ بالقَضَاءِ والقَدَرِ، مَن أَرَادَ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُهُ مُسْتَقِرَّةً، فعَلَيهِ أَنْ يَأْخُذَ بالأَسْبَابِ، ثمَّ لِيَتَوَكَّلْ على رَبِّ الأَرْبَابِ، ومَن تَأَمَّلَ حَيَاةَ الهَادِي البَشِيرِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، فإِنَّهُ يَجِدُ حَيَاتَهُ مُسْتَقِرَّةً آمِنَةً، حَيَاةٌ فِيهَا الإِيمَانُ وفِيهَا العَمَلُ، حَيَاةٌ مُسْتَقِرَّةٌ لَيسَ فِيهَا أَمْرَاضٌ عَصَبِيَّةٌ ولا تَعَبٌ ولا أَحْزَانٌ تَفُتُّ عَضُدَ الإِنسَانِ.

لقد قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ في أَحْلِكَ الظُّرُوفِ: «إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي».

وقَالَ: «يَا زَيْدُ، إِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرْجَاً وَمَخْرَجَاً، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ، وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ».

وأَرْسَلَ لابْنَتِهِ عِنْدَمَا وَقَعَ وَلَدُهَا في سِيَاقِ المَوْتِ: «إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمَّىً، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» رواه الإمام البخاري عَن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

إِنَّهَا حَيَاةٌ مُسْتَقِرَّةٌ آمِنَةٌ بِبَرَكَةِ الإِيمَانِ بالقَضَاءِ والقَدَرِ.

سَلَفُنَا الصَّالِحُ وإِيمَانُهُم بالقَضَاءِ والقَدَرِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، سَلَفُنَا الصَّالِحُ عِنْدَمَا آمَنُوا بالقَضَاءِ والقَدَرِ، عَاشُوا عِيشَةَ السُّعَدَاءِ، فهذا سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَقُولُ عَن نَفْسِهِ: مَا أَصْبَحَ لي هَوَىً في شَيْءٍ سِوَى مَا قَضَى اللهُ عزَّ وجلَّ.

وهَل تَعْلَمُونَ لماذا وَصَلَ إلى هذا المَقَامِ؟ لأَنَّهُ كَانَ يَدْعُو مَا عَلَّمَنا إِيَّاهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِمَا قَضَيْتَ لِي، وَعَافِنِي فِيمَا أَبْقَيْتَ حَتَّى لا أُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، ولا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ» رواه ابنُ السُّنِّيِّ عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَقُولُ سَيِّدُنَا الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: يُصْبِحُ المُؤْمِنُ حَزِينَاً، وَيُمْسِي حَزِينَاً، وَيَنْقَلِبُ فِي النَّوْمِ، وَيَكْفِيهِ مَا يَكْفِي العُنَيْزَةَ. اهـ. رواه البيهقي. فلماذا الأَحْزَانُ والأَكْدَارُ؟

ويَقُولُ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: يا ابْنَ آدَمَ، لا تَأْسَفْ على مَفْقُودٍ لا يَرُدُّهُ عَلَيكَ الفَوْتُ، ولا تَفْرَحْ بِمَوْجُودٍ لا يَتْرُكُهُ فِي يَدَيْكَ المَوْتُ. رواه البيهقي.

لا تَحْزَنْ يَا عِبْدَ اللهِ على مَا فَاتَ، فَهُوَ لَنْ يَأْتِيكَ أَبَدَاً، ولا تَفْرَحْ بِشَيْءٍ مَوْجُودٍ، لأَنَّ المَوْتَ أَمَامَكَ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن آمَنَ باللهِ تعالى، وآمَنَ بالقَضَاءِ والقَدَرِ اسْتَرَاحَ، وإلا شَقِيَ ولَنْ يَأْتِيَهُ إلا مَا قُدِّرَ لَهُ، والعَاقِلُ البَصِيرُ هوَ الذي يَعْرِفُ ذلكَ.

اللَّهُمَّ رَضِّنَا بِقَضَائِكَ، وبَارِكْ لَنَا فِيمَا قَدَّرْتَهُ لَنَا، حَتَّى لا نُحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، ولا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ. آمين.

أَقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

** ** **

٤٤٠ـ خطبة الجمعة: لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب نفسه

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيَا عِبَادَ الله، لِكُلِّ عَامِلٍ في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا أَهْدَافٌ، ولِكُلِّ مُجْتَهِدٍ غَايَاتٌ، والنَّاسُ بَيْنَ عَامِلٍ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا، ومُجْتَهِدٍ يُرِيدُ اللهَ والدَّارَ الآخِرَةَ، يَصْرِفُ لذلكَ أَوْقَاتَهُ، ويُضْنِي نَفْسَهُ، ويُجْهِدُ بَدَنَهُ، يَبْتَغِي بذلكَ الأَجْرَ والمَثُوبَةَ، يَتَوَرَّعُ عن المُحَرَّمَاتِ، ويَبْتَعِدُ عن المُوبِقَاتِ.

وقِسْمٌ آخَرُ خَلَطَ عَمَلاً صَالِحَاً وآخَرَ سَيِّئَاً، أَكْثَرَ من الصَّالِحَاتِ، فَصَامَ وصَلَّى وزَكَّى وفَعَلَ الخَيْرَ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَتَوَرَّعْ عن المَظَالِمِ، ولَمْ يَجْتَنِبِ المَحَارِمَ، وأَكَلَ حُقُوقَ النَّاسِ وتَعَدَّى عَلَيهِم، والكُلُّ سَيُعْرَضُونَ على اللهِ تعالى يَوْمَ القِيَامَةِ، والكُلُّ سَيُحَاسَبُونَ.

كَيفَ سَيَكُونُ حَالُ الظَّالِمِ حِينَ يَلْقَى اللهَ تعالى؟

يَا عِبَادَ الله، العَبدُ الذي أَرَادَ الحَيَاةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا، وخَلَطَ عَمَلاً صَالِحَاً وآخَرَ سَيِّئَاً، فَظَلَمَ العِبَادَ، كَيفَ سَيَكُونُ حَالُهُ حِينَ يَلْقَى اللهَ تعالى؟

أولاً: كَيفَ يَلْقَى اللهَ تعالى آكِلُ أَمْوَالِ النَّاسِ بالبَاطِلِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ من عَظِيمِ جُرْمِ العَبدِ أَنْ يَتَنَاوَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ، يَسُوقُهُ طَمَعُهُ الشَّدِيدُ، وَيَؤُزُّهُ جَشَعُهُ إلى المَزِيدِ، لا يُفرِّقُ بَيْنَ مَالٍ حَلالٍ أو حَرَامٍ، ولا مَالِ يَتِيمٍ أو مِسْكِينٍ، ويَتَعَامَى عَن قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمَاً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾.

بَل يَأْخُذُ أَمْوَالَ النَّاسِ قَرْضَاً وسَلَفَاً وهوَ لا يَنْوِي رَدَّهَا، ويَتَعَامَى عَن قَوْلِهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، آكِلُ أَمْوَالِ النَّاسِ بالبَاطِلِ بِأَيِّ صُورَةٍ من الصُّوَرِ، كَيفَ يَلْقَى اللهَ عزّ وجلّ يَوْمَ القِيَامَةِ، واللهُ تعالى خَصْمُهُ والعِيَاذُ باللهِ تعالى؟

روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرَّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرَاً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ».

ثانياً: كَيفَ يَلْقَى اللهَ تعالى سَافِكُ الدِّمَاءِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ من عَظِيمِ جُرْمِ العَبدِ أَنْ يَلْقَى اللهَ تعالى بِدَمٍ سَفَكَهُ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، فَيُرِيدُ المَقْتُولُ القِصَاصَ مِنهُ عِنْدَ أَعْدَلِ العَادِلِينَ، وأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ، لقد تَعَامَى العَبدُ الظَّالِمُ عَن قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

وعَن قَوْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ» رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وعَن قَوْلِهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

لا يَنْجُو من خَطَرِ المِيزَانِ إلا مَن حَاسَبَ نَفْسَهُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هَا نَحنُ نُوَدِّعُ شَهْرَ شَعْبَانَ الذي غَفَلَ عَنهُ كَثِيرٌ من النّاسِ، هَا نَحنُ نُوَدِّعُ شَهْرَ شَعْبَانَ الذي تُرَفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إلى اللهِ تعالى، وبَعْدَ أَيّامٍ نَسْـتَقبِلُ شَهْرَ رَمَضَانَ إِنْ كَانَ لَنا بَقِيَّةٌ من عُمُرٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ أَنَّهُ لا يَنْجُو من خَطَرِ المِيزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ إلا مَن حَاسَبَ نَفْسَهُ، وَوَزَنَ بِمِيزَانِ الشَّرْعِ أَقْوَالَهُ وأَعْمَالَهُ، وخَطَرَاتِهِ ولَحَظَاتِهِ، وسَمِعَ أَمْرَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِعْلَمُوا أَنّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، أَيُكَرَّرُ عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصِّ الذُّنُوبِ؟

قَالَ: «نَعَمْ، لَيُكَرَّرَنَّ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يُؤَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ».

فَقَالَ الزُّبَيْرُ: واللهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ. رواه الإمام أحمد.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَوْمُ القِيَامَةِ يَوْمُ شِدَّةٍ، يَوْمٌ لا يُسَامَحُ فِيهِ بِخُطْوَةٍ، ولا يُتَجاوَزُ فِيهِ عَن لَطْمَةٍ ولا كَلِمَةٍ، يَقُولُ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «يَحْشُرُ اللهُ العِبَادَ ــــ أَوْ قَالَ: النَّاسَ ــــ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا» .

قِيلَ: وَمَا بُهْمًا؟

قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَن بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَن قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، ولَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَعِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ حَتّى أَقُصَّهُ مِنهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ».

قِيلَ: كَيْفَ ذَا وإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟

قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» وتَلا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ رواه الإمام الحاكم عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، وَدِّعُوا شَهْرَ شَعْبَانَ بِصِدْقِ التَّوْبَةِ، واسْتَقْبِلُوا شَهْرَ رمَضَانَ بالاصْطِلاحِ مَعَ اللهِ تعالى تُسْعَدُوا دُنيَا وأُخْرَى.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لذلكَ. آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٤٢ـ خطبة الجمعة: تمام الصوم وكماله

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، شَهْرُ رَمَضَانَ مَحَطَّةٌ لِتَجْدِيدِ الإِيمَانِ، وتَغْذِيَةِ الرُّوحِ، والتَّزَوُّدِ لِيَوْمِ القِيَامَةِ، فَهُوَ شَهْرُ الخَيْرَاتِ، وهوَ شَهْرٌ يَغْفِرُ اللهُ فِيهِ الذُّنُوبَ، ويُكَفِّرُ السَّيِّئَاتِ، ويُضَاعِفُ فِيهِ الثَّوَابَ، ويَرْفَعُ فِيهِ الدَّرَجَاتِ.

شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وآخِرُهُ عِتْقٌ من النَّارِ، أُعْطِيَتْ فِيهِ الأُمَّةُ خَمْسَ خِصَالٍ، لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ من الأُمَمِ قَبْلَهَا.

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ

وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ، لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ، خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُم الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَؤُونَةَ وَالْأَذَى، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ وَيُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلَا يَخْلُصُوا إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟

قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ».

اِحْفَظُوا صِيَامَكُم من النَّوَاقِضِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِحْفَظُوا صِيَامَكُم من النَّوَاقِضِ والنَّوَاقِصِ، فمن النَّاسِ مَن يَقْصُرُ صَوْمَهُ على الإِمْسَاكِ عن الطَّعَامِ والشَّرَابِ فَحَسْبُ، ويُطْلِقُ لِجَوَارِحِهِ العِنَانَ تَصُولُ وتَجُولُ في المُحَرَّمَاتِ قَوْلاً وفِعْلاً، ونَظَرَاً واسْتِمَاعَاً، وهؤلاءِ قد فَرَّطُوا وضَيَّعُوا حَقِيقَةَ الصَّوْمِ.

روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

وروى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا

أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

ويَقُولُ جَابِرُ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: إِذَا صُمْت فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ عَن الْكَذِبِ وَالْمَأْثَمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ، وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صَوْمِكَ سَوَاءً.

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ».

وروى الإمام مسلم عن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

تَمَامُ الصَّوْمِ وكَمَالُهُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إنّ تَمَامَ الصَّوْمِ وكَمَالَهُ لا يَتِمُّ إلا بِسِتَّةِ أُمُورٍ:

الأَوّلُ: غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّهُ عن الاتِّبَاعِ في النَّظَرِ إلى كُلِّ مَا يَحْرُمُ، قَالَ تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

وروى الإمام أحمد عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ

صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفَجْأَةِ، فَأَمَرَني فقَالَ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ».

الحِذَارِ الحِذَارِ من النّظَرِ إلى مَا يَحْرُمُ النّظَرُ إلَيهِ، فلا تَجْرَحْ أيُّهَا الصَّائِمُ صِيَامَكَ بالنّظَرِ إلى النِّسَاءِ والمُحرّمَاتِ.

الثّاني: حِفْظُ اللِّسَانِ عَن كُلِّ مَا حُرِّمَ عَلَيكَ، فَمَن أَطْلَقَ لِسَانَهُ سَلَكَ بِهِ الشّيْطَانُ في كُلِّ مَيْدَانٍ، وسَاقَهُ إلى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، إلى أَنْ يُضْطَرّهُ إلى البَوَارِ، روى الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟»

قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»

قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ.

فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا».

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

الثّالِثُ: كَفُّ السّمْعِ عن الإصْغَاءِ إلى كُلِّ مُحَرّمٍ، ولقد سَوّى اللهُ عزّ وجلّ بَيْنَ

الْمُسْتَمِعِ إلى الحَرَامِ مَعَ آكِلِ السُّحْتِ، فَقَالَ تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

إذا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ *** و فِي بَصَرِي غَضٌّ وفِي مَنْطِقِي صَمْتُ

فَحَظِّيَّ من صَوْمِيَ هُوَ الجُوعُ والظَّمَأ *** وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صُمْتُ

الرَّابِعُ: كَفُّ جَمِيعِ الجَوَارِحِ عن الآثَامِ والْمُخَالَفَاتِ، ولِيَذْكُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَوْلَهُ تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾.

الخَامِسُ: أَنْ لا يَسْتَكْثِرَ الصَّائِمُ من طَعَامِ الحَلالِ وَقْتَ الإِفْطَارِ، أَمَّا الحَرَامُ فَسُمٌّ مُهْلِكٌ للدِّينِ، والحَلالُ دَوَاءٌ يَنْفَعُ قَلِيلُهُ، ويَضُرُّ كَثِيرُهُ.

السَّادِسُ: أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الصَّائِمِ بَعْدَ الإِفْطَارِ مُعَلَّقاً بَيْنَ الخَوْفِ الرَّجَاءِ، إذْ لَيْسَ يَدْرِي أَيُقْبَلُ صَوْمُهُ فَيَكُونُ من الْمُقَرَّبِينَ، أو يُرَدُّ فَيَكُونُ من الْمَمْقُوتِينَ؟

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنُحَافِظْ على صِيَامِنَا من الضَّيَاعِ لَعَلَّ اللهَ تعالى يُكْرِمُنَا بِدُخُولِ الجَنَّةِ من بَابِ الرَّيَّانِ، روى الإمام البخاري عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟

فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

وفي رواية الترمذي: «وَمَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا».

اللّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنهُم. آمين.

أقُولُ هَذا القَولَ، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولَكُم، فَاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم**

٤٤٣ـ خطبة الجمعة: ضاعفوا الجود في شهر رمضان لتنالوا...

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، إنّ الأُمّةَ في أيّامِ مِحَنِها وشَدَائِدِها وأَزْمَانِ ضَعْفِها وذُلِّها بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إلى وَقَفَاتٍ عِنْدَمَا تَمُرُّ بِها مُنَاسَبَةٌ كَشَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، لِتَسْتَلْهِمَ العِبَرَ والعِظَاتِ، ورَمَضَانُ مَدْرَسَةٌ للأُمّةِ الإسْلامِيّةِ يَجِبُ أَنْ لا نَخْرُجَ مِنهُ إلا بِإصْلاحٍ لِوَضْعِنا، ومُرَاجَعَةٍ لِمَوَاطِنِ الخَلَلِ في جَمِيعِ أُمُورِنَا الدِّينِيّةِ والدُّنْيَوِيّةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، جَدِيرٌ بِنَا فِي عَصْرٍ تَقَاذَفَتْ فِيهِ أَمْوَاجُ المِحَنِ، وتَشَابَكَتْ فِيهِ حَلَقَاتُ الفِتَنِ، وغَلَبَتْ فِيهِ الأَهْوَاءُ واسْتَحْكَمَتْ، أَنْ لا يَمُرَّ بِنَا هذا الشَّهْرُ دُونَ اسْتِلْهَامٍ لِحِكَمِهِ وأَسْرَارِهِ، والإِفَادَةِ من مُعْطَيَاتِهِ، والنَّهْلِ من ثَمَرَاتِهِ وخَيْرَاتِهِ، حَتَّى يَقُولَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا بِجَدَارَةٍ: ﴿إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الجُودِ والكَرَمِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، تَذَكَّرُوا وأَنْتُمْ تَعِيشُونَ هذهِ الأَزْمَةَ القَاسِيَةَ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الجُودِ والكَرَمِ، ولا يُوجَدُ على وَجْهِ الأَرْضِ من البَشَرِ أَجْوَدُ وأَكْرَمُ من سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

روى الشيخان عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِن الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ صَدَقَاتِكُم وعَطَايَاكُم لا تَنْقُصُ من أَمْوَالِكُمْ شَيْئاً، لِقَوْلِ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ حَاجَتَنَا إلى أَجْرِ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ وأَكْبَرُ من حَاجَةِ الفَقِيرِ لِصَدَقَاتِنَا، وذلكَ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» رواه الشيخان عَن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ» رواه الترمذي عَن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فالصَّدَقَةُ سَبَبٌ للنَّجَاةِ من كُلِّ مَرْهُوبٍ، وطَرِيقٌ للفَوْزِ بِكُلِّ مَرْغُوبٍ.

ضَاعِفُوا الجُودَ في شَهْرِ رَمَضَانَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، ضَاعِفُوا الجُودَ والكَرَمَ في شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، لِتَنَالُوا الفَوَائِدَ الجَمَّةَ، والتي مِنهَا:

أولاً: شَرَفُ الزَّمَانِ، ومُضَاعَفَةُ الأَجْرِ فِيهِ، روى البيهقي وابن خزيمة عَن سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ في آخِرِ يَوْمٍ من شَعْبَانَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَد أَظَلَّكُم شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعَاً، مَن تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ من الخَيْرِ، كَانَ كَمَن أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَن أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَن أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ».

ثانياً: تَنَالُ أَجْرَ الصَّائِمِينَ القَائِمِينَ الذَّاكِرِينَ، روى الترمذي عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ

وسَلّمَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمَاً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئَاً».

ثالثاً: الجَمْعُ بَيْنَ الصِّيامِ والصَّدَقَةِ من مُوجبَاتِ الجَنَّةِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمَاً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جِنَازَةً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينَاً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضَاً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

رابعاً: تَنَالُ دُعَاءَ المَلائِكَةِ الكِرَامِ، روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ

الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً».

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الجُودِ والإِنْفَاقِ، شَهْرُ النُّفُوسِ السَّخِيَّةِ والأَكُفِّ النَّدِيَّةِ، شَهْرٌ يَسْعَدُ فِيهِ المَنْكُوبُونَ، ويَرْتَاحُ فِيهِ المُتْعَبُونَ، فَلْيَكُنْ لَنَا فِيهِ السَّهْمُ الرَّاجِحُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ على الشَّيْطَانِ وأَبْطَلَ لِكَيْدِهِ، وأَدْحَرَ لِوَسَاوِسِهِ من الصَّدَقَةِ الطَّيِّبَةِ، قَالَ تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ واللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلَاً واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

اللَّهُمَّ أَخرِجْ من قُلُوبِنَا حُبَّ الدُّنيا. آمين.

**   **   **

٤٤٤ـ خطبة الجمعة: ارفعوا عنكم التخاصم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، هَا هوَ شَهْرُ رَمَضَانَ قَد قَرُبَ رَحِيلُهُ، وأَزِفَ تَحْوِيلُهُ، هَا هوَ يُوَدِّعُ الأُمَّةَ، وتُوَدِّعُهُ الأُمَّةُ، فَهَلْ نُحْسِنُ وَدَاعَ هذا الشَّهْرِ العَظِيمِ المُبَارَكِ؟ هَلْ نُضَاعِفُ الاجْتِهَادَ فِي هذهِ اللَّيَالِي المُتَبَقِّيَةِ؟

روى الإمام مسلم عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ.

وروى أَيضَاً عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ.

وروى الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوسَطِ عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ العَشْرَ الأَوَاخِرَ من رَمَضَانَ، طَوَى فِرَاشَهُ، وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ، وَجَعَلَ عَشَاءَهُ سَحُوراً.

اُطْلُبُوا لَيْلَةَ القَدْرِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، اُطْلُبُوا اللَّيْلَةَ العَظِيمَةَ، لَيْلَةَ العِتْقِ والمُبَاهَاةِ، لَيْلَةَ القُرْبِ والمُنَاجَاةِ، لَيْلَةَ القَدْرِ، لَيْلَةَ نُزُولِ القُرْآنِ، لَيْلَةَ الرَّحْمَةِ والغُفْرَانِ.

لَيْلَةٌ هيَ خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْلَةٌ مَن قَامَهَا إِيمَانَاً واحْتِسَابَاً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ، روى الإمام البخاري عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانَاً وَاحْتِسَابَاً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانَاً وَاحْتِسَابَاً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا حَسْرَةً على مَن فَاتَتْهُ هذهِ اللّيْلَةُ، ويَا أَسَفَى على مَن لَمْ يَجْتَهِدْ فِيهَا فِي اللّيَالِي القَادِمَةِ، لِنَكُنْ مِمّنْ قَالَ اللهُ تعالى فِيهِم: ﴿تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

اِرْفَعُوا عَنكُمُ التّخاصُمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أَهْلَ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، لا يَسَعُنِي في هذهِ الأَزْمَةِ إلا أَنْ أُذَكِّرَ نَفْسِي وأُذَكِّرَكُم بالحَدِيثِ الصَّحِيحِ الذي رواه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ تعالى عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِن الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرَاً لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ».

وأُذَكِّرَكُم بَعْدَ نَفْسِي بالحَدِيثِ الصَّحِيحِ الذي رواه الإمام أحمد عَن الْحَسَنِ، أَنَّ أَسِيدَ بْنَ الْمُتَشَمِّسِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ أَبِي مُوسَى مِنْ أَصْبَهَانَ، فَتَعَجَّلْنَا وَجَاءَتْ عُقَيْلَةُ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَلَا فَتَىً يُنْزِلُ كَنَّتَهُ ــ قَالَ: يَعْنِي أَمَةُ الْأَشْعَرِيَّ ــ؟

فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَدْنَيْتُهَا مِنْ شَجَرَةٍ، فَأَنْزَلْتُهَا ثُمَّ جِئْتُ فَقَعَدْتُ مَعَ الْقَوْمِ.

فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ يُحَدِّثُنَاهُ؟

فَقُلْنَا: بَلَى يَرْحَمُكَ اللهُ.

قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ يُحَدِّثُنا «أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ الْهَرْجَ».

قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟

قَالَ: «الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ».

قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ؟

قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ».

قَالُوا: سُبْحَانَ اللهِ! وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟

قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكَ الزَّمَانِ، حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ».

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تُدْرِكَنِي وَإِيَّاكُمْ تِلْكَ الْأُمُورُ، وَمَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجاً فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَاهَا لَمْ نُحْدِثْ فِيهَا شَيْئاً.

يَا عِبَادَ اللهِ، اِرْفَعُوا عَنكُمُ التَّخَاصُمَ، وتَذَكّرُوا قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يا عِبَادَ اللهِ، أَلَمْ يَأْنِ للغَافِلِينَ فِي هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيا أَنْ يُدْرِكُوا حَقِيقَتَهَا؟

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾؟

أَلَمْ تُدْرِكِ الأُمَّةُ قَوْلَ الإِمَامِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: والذي نَفسِي بِيَدِهِ، لَقَد أَدْرَكْتُ أَقْوَاماً كَانَتِ الدُّنيا أَهْوَنَ عَلَيهِم من التُّرَابِ الذي يَمْشُونَ عَلَيهِ؟

وقَوْلَهُ: أَدْرَكْتُ أَقْوَاماً كَانُوا لا يَفْرَحُونَ بِشَيْءٍ من الدُّنيا أُوتُوهُ، ولا يَأْسُونَ على شَيْءٍ مِنهَا فَاتَهُمْ؟

أَلَمْ يَأْنِ لَنَا أَنْ نَلْتَزِمَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحَاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؟

يَا عِبَادَ اللهِ، أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ وتُطْوَى أَيَّامُ رَمَضَانَ بِأَعْمَالِ الأُمَّةِ، فَطُوبَى لِمَنْ ضَاعَفَ الجُهُودَ فِي العِبَادَةِ فِيهَا، وطُوبَى لِمَن الْتَمَسَ لَيْلَةَ القَدْرِ فِيهَا، وطُوبَى لِمَنْ رَفَعَ التَّخَاصُمَ بَيْنَهُ وبَيْنَ إِخْوَانِهِ، وطُوبَى لِمَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ ويَدِهِ، وطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَقُلْ عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحَاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾. وطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَقُلْ عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَينَا بِعِتْقِ رِقَابِنَا من النَّارِ. آمين.

** ** **

٤٤٥ـ خطبة عيد الفطر ١٤٣٦هـ: هم القبول

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، هذا شَهْرُ رَمَضَانَ قَد رَحَلَ عَنَّا ومَضَى مَعَ الرَّاحِلِينَ، ورَحِيلُهُ خَيْرُ شَاهِدٍ على أَنَّ اللهَ يَرِثُ الأَرْضَ ومَن عَلَيْهَا، وهوَ خَيْرُ الغَالِبِينَ.

مَضَى هذا الشَّهْرُ العَظِيمُ المُبَارَكُ، وقَد أَحْسَنَ فِيهِ أُنَاسٌ وأَسَاءَ آخَرُونَ، مَضَى هذا الشَّهْرُ وهوَ شَاهِدٌ لَنَا أَو عَلَيْنَا، شَاهِدٌ لِمَنْ شَمَّرَ عَن سَاعِدِ جِدِّهِ فَصَامَهُ حَقَّ الصِّيَامِ، وقَامَهُ حَقَّ القِيَامِ، وشَاهِدٌ على المُقَصِّرِ الغَافِلِ المُعْرِضِ عَن اللهِ تعالى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

هَمُّ القَبُولِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَهْلُ التَّقْوَى والصَّلاحِ الذينَ آمَنُوا باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ حَقٌّ، يَحْمِلُونَ هَمَّ القَبُولِ بَعْدَ أَدَاءِ الطَّاعَاتِ والعِبَادَاتِ، لأَنَّ اللهَ تعالى قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

روى الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾. يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللهَ؟

قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يُخَافُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ».

ويَقُولُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامَاً مِنْكُم بالعَمَلِ، فَإِنَّهُ لَنْ يقَلَّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ.

ويَقُولُ فُضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ: لَأَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ من الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ لأَنَّ الله تَبَارَكَ وتعالى يقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

ويَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لَأَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَقَبَّلَ مِنِّي عَمَلَاً أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ يَكُونَ لِي مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبَاً.

الثَّبَاتُ على الاسْتِقَامَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن اسْتَجَبْتُمْ لأَمْرِ اللهِ رَبِّكُم حِينَ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامَاً مَعْدُودَاتٍ﴾. اِسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم في سَائِرِ الأَيَّامِ، قَالَ تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾.

يَقُولُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: أَبَى قَوْمٌ المُدَاوَمَةَ، واللهِ مَا المُؤْمِنُ بالذي يَعْمَلُ شَهْرَاً أو شَهْرَيْنِ أو عَامَاً أو عَامَيْنِ، لا واللهِ مَا جُعِلَ لِعَمَلِ المُؤْمِنِ أَجَلٌ دُونَ المَوْتِ.

ويَقُولُ كَعْبٌ: مَن صَامَ رَمَضَانَ وَهُوَ يُحدِّثُ نَفْسَهُ إذَا أَفْطَرَ من رَمَضَانَ لَمْ يَعْصِ اللّهَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ ولا حِسَابٍ، وَمَن صَامَ رَمَضَانَ وَهُوَ يُحدِّثُ نَفسَهُ إذَا أَفْطَرَ عَصَى رَبَّهُ فَصِيَامُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ.

يَا عِبَادَ اللهِ، المُعَوَّلُ عَلَيْهِ هوَ الاستِقَامَةُ على الطَّاعَةِ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللّهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، المُؤْمِنُ الحَقُّ هوَ الذي يَسْتَمِرُّ في الطَّاعَةِ والمُدَاوَمَةِ على الخَيْرَاتِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، لأَنَّهُ مَا كَانَ يَعْبُدُ رَمَضَانَ، بَل كَانَ يَعْبُدُ رَبَّ رَمَضَانَ، ورَبُّ رَمَضَانَ هوَ رَبُّ الشُّهُورِ كُلِّهَا، فَلَيْتَ شِعْرِي مَا بَالُنَا نَكُونُ في رَمَضَانَ خَاشِعِينَ رَاكِعِينَ سَاجِدِينَ تَالِينَ للقُرْآنِ، وبَعْدَ رَمَضَانَ نَعُودُ فَنَنْغَمِسُ في مَعْصِيَةِ اللّهِ تعالى، ونَهْدِمُ كُلَّ مَا قَدَّمْنَاهُ في رَمَضَانَ، وَرَبُّنَا عزَّ وجلَّ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

روى الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، عَرَفْتُمُ الخَيْرَ فَالْزَمُوهُ حَتّى تَلْقَوُا اللهَ عزّ وجلّ، روى الطّبَرَانيٌّ في الكَبِيرِ عَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، فَقَالَ لَهُ : «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟».

قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقّاً.

فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟».

فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا.

فَقَالَ: «يَا حَارِثُ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ» ثَلاثاً.

اللّهُمَّ ثَبّتْنَا بالقَوْلِ الثّابتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ. آمين.

** ** **

٤٤٦ـ خطبة الجمعة: ماذا بعد رمضان؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، إِنّ من شُكْرِ العَبْدِ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ عزّ وجلّ بَعْدَ أَنْ وَفّقَهُ للصِّيامِ والقِيَامِ أَنْ يَسْتَمِرَّ على طَاعَةِ اللهِ عزّ وجلّ في حَيَاتِهِ كُلِّهَا، ومن عَلامَةِ قَبُولِ الحَسَنَةِ

الحَسَنَةُ بَعْدَهَا، وإنّ من كُفْرِ النِّعْمَةِ، وعَلامَةِ رَدِّ العَمَلِ، العَوْدَةُ إلى المَعَاصِي بَعْدَ رَمَضَانَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، تَذَكَّرُوا قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

فلا يَلِيقُ بِنا أَنْ نَهْدِمَ مَا بَنَيْنَا من الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ في شَهْرِ رَمَضَانَ، ولا يَلِيقُ بِنا أَنْ نُضَيِّعَ أَعْمَالاً صَالِحَةً قَدَّمْنَاهَا للهِ تعالى في شَهْرِ رَمَضَانَ.

ماذا بَعْدَ رَمَضَانَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، ماذا بَعْدَ رَمَضَانَ؟ ماذا عن آثَارِ الصِّيَامِ في نُفُوسِنا؟ لِنَنْظُرْ في حَالِنَا، ولْنَتَأَمَّلْ في وَاقِعِ نُفُوسَنَا وأُمَّتِنَا، ونُقَارِنْ بَيْنَ وَضْعِنَا أَفْرَاداً ومُجْتَمَعَاتٍ في شَهْرِ رَمَضَانَ، وحَالِنَا بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ.

هَلْ مَلأَتِ التَّقْوَى قُلُوبَنَا حَتَّى نَفُوزَ بالنَّجَاةِ من نَارِ جَهَنَّمَ؟ قَالَ تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمَاً مَقْضِيَّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيَّاً﴾. هَلْ سَنَسْمَعُ الْمُنَادِي يَقُولُ لَنَا عِنْدَ وُرُودِنَا النَّارَ بِبَرَكَةِ التَّقْوَى: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي؟ رواه الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنْ يَعْلِي بن مُنْيَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَتَأَمَّلْ فِي أَنْفُسِنَا وَوَاقِعِنَا، هَلْ صَلَحَتْ أَعْمَالُنَا وأَقْوَالُنَا، وتَحَسَّنَتْ أَخْلاقُنَا، وهَلْ اسْتَقَامَ سُلُوكُنَا؟ وهَلْ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُنَا؟ وهَلْ زَالَتِ الضَّغَائِنُ والأَحْقَادُ والحَسَدُ من نُفُوسِنَا؟ هَلْ تلاشَتِ المُنْكَرَاتُ عن مُجْتَمَعِنَا؟

أَمَا آنَ أَنْ تَنْتَهِيَ الحَرْبُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا آنَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُنَا لِذِكْرِ اللهِ ومَا نَزَلَ من الحَقِّ؟ أَمَا آنَ أَنْ نَسْمَعَ قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»؟ رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وقَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»؟ رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا آنَ لهذهِ الحَرْبُ أَنْ تَضَعَ أَوْزَارَهَا؟ أَمَا آنَ أَنْ تَنْتَهِيَ هذهِ التَّحْرِيشَاتُ بَيْنَ أَفْرَادَ الأُمَّةِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ، اِتَّقُوا اللهَ فِي وَطَنِكُم، واتَّقُوا اللهَ فِي الضُّعَفَاءِ والمَسَاكِينِ والأَرَامِلِ واليَتَامَى والفُقَرَاءِ والمُحْتَاجِينَ.

خاتِمَةٌ ـــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا آنَ للأُمَّةِ أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّ الجَزَاءَ من جِنْسِ العَمَلِ، وأَنَّ مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ، اِرْحَمُوا شَبَابَكُم فَقَد ضَاعُوا، وارْحَمُوا الطُّلَّابَ فَقَد ضَاعَتْ دِرَاسَاتُهُم،

وارْحَمُوا رِجَالَكُم ونِسَاءَكُمُ الذينَ وَصَلُوا إلى سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ ويُرِيدُونَ أَبْنَاءَهُم أَنْ يَكُونُوا بِجَانِبِهِم، وارْحَمُوا أَهْلَ الفَقْرِ الذينَ لا يُرِيدُونَ إلا لُقْمَةَ الحَلالِ.

يَا عِبَادَ الله، من عَلامَةِ قَبُولِ الصِّيَامِ أَنْ تَمْتَلِئَ قُلُوبُنَا بالتَّقْوَى، وأَهْلُ التَّقْوَى هُم أَهْلُ الصَّلاحِ والإِصْلاحِ، هُمُ الذينَ سَلِمَ المُسْلِمُونَ من أَلْسِنَتِهِم وأَيْدِيهِم.

اللَّهُمَّ امْلأْ قُلُوبَنَا إِيمَانَاً وتَقْوَى. آمين.

** ** **

٤٤٧ـ خطبة الجمعة: هل سمعت هذا الحديث الشريف؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ الله، اِنْعِدَامُ الرَحْمَةِ نَتِيجَةٌ طَبِيعِيَّةٌ للابْتِعَادِ عن اللهِ عزَّ وجلَّ، ونَتِيجَةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِقَسْوَةِ القَلْبِ، وصِفَةٌ من صِفَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، وهذهِ حَقِيقَةٌ لا يُنَازِعُ فيهَا إلا مَرِيضٌ لَمْ يَنْقَهْ، أو مُغْرِضٌ لا يَفْقَهُ.

يَا عِبَادَ الله، خُلُقُ الرَّحْمَةِ مِفْتَاحُ القَبُولِ لَدَى القُلُوبِ، ولا جَرَمَ أَنَّ فِقْدَانَ الرَّحْمَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِقْدَانٌ للحَيَاةِ الهَانِئَةِ، وإِحْلالٌ للجَاهِلِيَّةِ الجَهْلاءِ، والأَثَرَةِ العَمْيَاءِ.

الإِسْلامُ دِينُ الرَّحْمَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الإِسْلامُ دِينُ الرَّحْمَةِ، وإِنِّي لَنْ أَمَلَّ عن تَذْكِيرِ الأُمَّةِ بحَدِيثِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَن خُلُقِ الرَّحْمَةِ، لَعَلَّهَا تَسْتَيْقِظُ من سُبَاتِهَا، ويَنْشُلُهَا اللهُ تعالى من هذهِ الأَزْمَةِ القَاسِيَةِ، روى الإمام مسلم عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

وروى كذلكَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ.

فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟

فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ.

فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟

فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ.

فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ».

وروى أبو داود عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُما، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

رَحْمَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بالحَيَوَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وتَجَلَّتْ رَحْمَتُهُ بالخَلْقِ، حَتَّى تَعَدَّتْ نِطَاقَ البَشَرِيَّةِ إلى نِطَاقِ الحَيَوَانَاتِ والعَجْمَاوَاتِ، روى أَبُو داود عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثَاً لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدَاً مِن النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفَاً أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ.

قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطَاً لِرَجُلٍ مِن الْأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ.

فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذُفْرَيْهِ فَسَكَتَ؛ فقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟».

فَجَاءَ فَتَىً مِن الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ».

أَيْنَ نَحْنُ من هذهِ الرَّحْمَةِ؟

هَلْ سَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَا رَاعِيَ الأُسْرَةِ؟

هَلْ سَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَا رَاعِيَ العَمَلِ؟

هَلْ سَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَا رَاعِيَ الأُمَّةِ؟

هَلْ سَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَا رَاعِيَ الكَهْرُبَاءِ والمَاءِ؟

هَلْ سَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَا رَاعِيَ المَعُونَاتِ؟

هَلْ سَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَا رَاعِيَ المُسْتَشْفَيَاتِ؟

هَلْ سَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَا رَاعِيَ القَرَارَاتِ؟

هَلْ سَمِعْتَ هذا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ يَا أَيُّهَا الذي آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ؟

لَقَد جَاعَتِ الأُمَّةُ وعَطِشَتْ، ولَقَد تَشَرَّدَتِ الأُمَّةُ، لَقَد فُرِّقَ بَيْنَ الوَالِدِ وَوَلَدِهِ، لَقَد تَبَاعَدَتْ أَسْفَارُنَا، لَقد كَثُرَتْ أَمْرَاضُنَا، لَقَد كَثُرَتْ هُمُومُنَا وأَحْزَانُنَا، لَقد ضَاقَتْ عَلَيْنَا أَنْفُسُنَا.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَفَلا نَتَّقِي اللهَ في أَنْفُسِنَا، أَفَلا نَتَّقِي اللهَ في سَوَادِ الأُمَّةِ؟ أَفَلا نَتَّقِي اللهَ فِيمَنْ مَلَّكَنَا اللهُ عَلَيْهِ؟

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لَئِنْ كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ انْتَقَلَ إلى الرَّفِيقِ الأَعْلَى فَلَا نَصِلُ بالشَّكْوَى إِلَيْهِ حَسَبَ الظَّاهِرِ، فَإِنَّ رَبَّنَا عزَّ وجلَّ حَيٌّ لا يَمُوتُ، ولا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ، فَإِنَّهُ يَرَانَا جَمِيعَاً وَيَسْمَعُنَا، يَرَى الظَّالِمَ والمَظْلُومَ، يَرَى القَوِيَّ والضَّعِيفَ، ويُؤَخِّرُ الجَمِيعَ إلى أَجَلٍ لا رَيْبَ فِيهِ ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لَقَد طَغَى طُوفَانُ المَادَّةِ الجَافَّةِ، فَأَغْرَقَ جُسُومَ الرَّحْمَةِ إلا مَن رَحِمَ اللهُ تعالى، وأَخَذَ البَعْضُ يُنَادِي ويَقُولُ: إنْ لَمْ تَكُنْ ذِئْبَاً أَكَلَتْكَ الذِّئَابُ، وإِنْ لَمْ تَجْهَلْ يُجْهَلُ عَلَيْكَ، وإِنْ لَمْ تَتَغَدَّ بِزَيْدٍ تَعَشَّى بِكَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَمَا آنَ لهذهِ الأُمَّةِ، ولأَهْلِ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، المُقِيمِ فِيهِ والخَارِجِ مِنْهُ، أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكْرِ اللهِ ومَا نَزَلَ من الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ؟

نَسْأَلُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْ لا تَنْزِعَ الرَّحْمَةَ من قُلُوبِنَا. آمين.

** ** **

٤٤٨ـ خطبة الجمعة: العفو لا يقتضي الذلة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، إنَّ العَفْوَ شِعَارُ الصَّالِحِينَ الأَتْقِيَاءِ ذَوِي الحِلْمِ والأَنَاةِ والنَّفْسِ الرَّضِيِّةِ، لأَنَّ التَّنَازُلَ عن الحَقِّ نَوْعٌ من أَنْوَاعِ إِيثَارِ الآجِلِ على العَاجِلِ، وبَسْطٌ لِخُلُقٍ نَقِيٍّ تَقِيٍّ يَنْفُذُ إلى شِغَافِ قُلُوبِ الآخَرِينَ، فلا يَمْلِكُونَ أَمَامَهُ إلا إِبْدَاءَ نَظْرَةِ إِجْلالٍ وإِكْبَارٍ لِمَنْ هذهِ صِفَتُهُ وهذا دَيْدَنُهُ، وصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، إِنَّ العَفْوَ عن الآخَرِينَ لَيْسَ بالأَمْرِ الهَيِّنِ، إذْ لَهُ في النَّفْسِ ثِقَلٌ لا يَتِمُّ التَّغَلُّبُ عَلَيْهِ إلا بِمُصَارَعَةِ حُبِّ الانْتِصَارِ والانْتِقَامِ للنَّفْسِ، ولا يَكُونُ ذلكَ إلا للأَقْوِيَاءِ الذينَ اسْتَعْصَوْا على حُظُوظِ النَّفْسِ ورَغَبَاتِهَا، وصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

ثَنَاءُ الله تعالى على العَافِينَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، العَفْوُ عن الآخَرِينَ لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ، وقَد أَثْنَى اللهُ تعالى على عِبَادِهِ المُتَّقِينَ، وَوَصَفَهُم بِكَظْمِ الغَيْظِ، والعَفْوِ عن النَّاسِ، والإِحْسَانِ إلى الخَلْقِ، وَوَعَدَهُم جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ، قَالَ تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

روى الإمام أحمد عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ».

وَرُوِيَ عَن أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ اللهَ تعالى يَأْمُرُ مُنَادِياً يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُنَادِي: مَن كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ شَيْءٌ فَلْيَقُمْ، فَيَقُومُ أَهْلُ العَفْوِ، فَيُكَافِئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانَ من عَفْوِهِم عن النَّاسِ.

العَفْوُ لا يَقْتَضِي الذِّلَّةَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، كَثِيرٌ من النَّاسِ يَظُنُّونَ أَنَّ العَفْوَ والصَّفْحَ والتَّجَاوُزَ والتَّسَامُحَ يَقْتَضِي الضَّعْفَ والذِّلَّةَ، وهذا غَيْرُ صَحِيحٍ، بَلْ هُوَ قِمَّةٌ في الشَّجَاعَةِ والامْتِنَانِ وغَلَبَةِ الهَوَى، لا سِيَّمَا إذا كَانَ العَفْوُ عِنْدَ المَقْدِرَةِ على الانْتِصَارِ.

يَقُولُ سَيِّدُنَا الحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لَوْ أَنَّ رَجُلَاً شَتَمَنِي فِي أُذُنِي هَذِهِ، وَاعْتَذَرَ إِلَيَّ فِي أُذُنِي الْأُخْرَى، لَقَبِلْتُ عُذْرَهُ.

ويَقُولُ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: لَأَنْ أَنْدَمَ عَلَى الْعَفْوِ عِشْرِينَ مَرَّةً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَنْدَمَ عَلَى الْعُقُوبَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً.

ويَقُولُ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: إِذَا أَتَاكَ رَجُلٌ يَشْكُو إِلَيْكَ رَجُلَاً فَقُلْ: يَا أَخِي، اُعْفُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ العَفْوَ أَقْرَبُ للتَّقْوَى.

فَإِنْ قَالَ: لا يَحْتَمِلُ قَلْبِيَ العَفْوَ، وَلَكِنْ أَنْتَصِرُ كَمَا أَمَرَنِي اللهُ عزَّ وجلَّ.

فَقُلْ لَهُ: إِنْ كُنْتَ تُحْسِنُ أَنْ تَنْتَصِرَ، وإلا فَارْجِعْ إلى بَابِ العَفْوِ؛ فَإِنَّهُ بَابٌ وَاسِعٌ، فَإِنَّهُ من عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ على اللهِ، وَصَاحِبُ العَفْوِ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِهِ باللَّيْلِ، وَصَاحِبُ الانْتِصَارِ يُقَلِّبُ الأُمُورَ؛ لأَنَّ الفُتُوَّةَ هِيَ العَفْوُ عن الإِخْوَانِ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، ونَحْنُ نَعِيشُ هذهِ الأَزْمَةَ القَاسِيَةَ التي مَزَّقَتِ الأُمَّةَ، وشَتَّتَتْ شَمْلَهَا، وفَرَّقَتْ جَمْعَهَا، وأَضَاعَتْ قُوَّتَهَا وشَبَابَهَا ورِجَالَهَا، وأَوْرَثَتِ التَّحَاقُدَ والتَّحَاسُدَ والتَّبَاغُضَ وقَسْوَةَ القَلْبِ، جَدِيرٌ بنَا أَنْ نَرْجِعَ إلى الأَخْلاقِ المَرْضِيَّةِ عِنْدَ اللهِ تعالى، وهذا الأَمْرُ لا يُطِيقُهُ إلا مَن آمَنَ باللهِ تعالى واليَوْمِ الآخِرِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، بَعْضُ النّاسِ اليَوْمَ قَد بَلَغَ من القَسْوَةِ مَا لا يُمْكِنُ مَعَهَا أَنْ يَعْفُوَ عَن أَحَدٍ أو يَتَجَاوَزَ عَنْهُ، لا يَرَى فِي حَيَاتِهِ إلا الانْتِقَامَ والتّشَفّي، لَيْسَ إلّا، مِثالُهُ مِثالُ سَمَاءٍ إذا تَغَيّمَ لَمْ يُرْجَ صَحْوُهُ، وإذا قَدِرَ لا يُنْتَظَرُ عَفْوُهُ، يُغْضِبُهُ الجُرْمُ الخَفِيُّ، ولا يُرْضِيهِ العُذْرُ الجَلِيُّ، يَسْمَعُ بِإِحْدَى أُذُنَيْهِ القَوْلَ فَيَشْتَطُّ غَضَبَاً ويَضْطَرِبُ، ويَحْجُبُ أُذُنَهُ الأُخْرَى عن قَبُولِ الاعْتِذَارِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن تَعِيشُونَ هذهِ الأَزْمَةَ القَاسِيَةَ، تَرَاحَمُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، واعْفُوا واصْفَحُوا عَن بَعْضِكُمُ البَعْضِ، ارْجِعُوا إلى سُنّةِ نَبِيِّكُم صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ.

يَا أَيُّهَا المُسِيءُ، أَسْرِعْ للاعْتِذَارِ وطَلَبِ السَّمَاحِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَكَ مَلَكُ المَوْتِ، وعِنْدَهَا تَنْدَمُ ولا يَنْفَعُكَ النّدَمُ.

ويَا أَيُّهَا المُسَاءُ إِلَيْهِ، اِقْبَلِ عُذْرَ من اعْتَذَرَ إِلَيْكَ، ولا تَحْرِمْ نَفْسَكَ نِعْمَةَ الوُرُودِ على حَوْضِ سَيّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، روى الحاكم عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «وَمَن أَتَاهُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلَاً ــ مُعْتَذِراً ــ فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ، مُحِقّاً كَانَ أَوْ مُبْطِلَاً، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الحَوْضَ».

اللّهُمّ رُدّنَا إِلَيْكَ رَدّاً جَمِيلاً. آمين.

** ** **

٤٤٩ـ خطبة الجمعة: الأمل والتفاؤل شعاعان

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبادَ الله، دَيْدَنُ الإِنْسَانِ المُؤْمِنِ الحَقُّ الكَامِلُ في إِيمَانِهِ، وسِمَتُهُ التي يَمْتَازُ بِهَا عن غَيْرِهِ، ونَهْجُهُ الذي لا يَحِيدُ عَنْهُ، هُوَ شُكْرٌ على النَّعْمَاءِ، وصَبْرٌ على الضَّرَّاءِ، ولا ضَجَرَ مَعَ البَلاءِ، فلا بَطَرَ مَعَ النَّعْمَاءِ، ولا ضَجَرَ مَعَ البَلاءِ.

لِمَ لا يَكُونُ وَصْفُ الْمُؤْمِنِ هذا، وَهُوَ يَقْرَأُ قَوْلَ الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾؟ فَبِالشُّكْرِ يَعْقِلُ النِّعْمَةَ المَوْجُودَةَ، ويَسْتَجْلِبُ النِّعْمَةَ المَفْقُودَةَ.

لِمَ لا يَكُونُ وَصْفُ الْمُؤْمِنِ هذا، وَهُوَ يَقْرَأُ قَوْلَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. وقَوْلَهُ تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. وقَوْلَهُ تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾؟

لِمَ لا يَكُونُ شَاكِرَاً صَابِراً، وَهُوَ يَعْلَمُ حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبَاً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرَاً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرَاً لَهُ»؟ رواه الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الأَمَلُ والتَّفَاؤُلُ شُعَاعَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لَقَد جَعَلَ اللهُ تعالى الحَيَاةَ الدُّنْيَا كَثِيرَةَ التَّقَلُّبِ، لا تَسْتَقِيمُ لأَحَدٍ على حَالٍ، ولا تَصْفُو لِمَخْلُوقٍ من الكَدَرِ، فَفِيهَا خَيْرٌ وشَرٌّ، وصَلاحٌ وفَسَادٌ، وسُرُورٌ وَحُزْنٌ، وأَمَلٌ ويَأْسٌ.

ويَأْتِي الأَمَلُ والتَّفَاؤُلُ كَشُعَاعَيْنِ يُضِيئَانِ دَيَاجِيرَ الظَّلامِ، ويَشُقَّانِ دُرُوبَ الحَيَاةِ للأَنَامِ، ويَبْعَثَانِ في النَّفْسِ الجِدَّ والمُثَابَرَةَ، ويُلَقِّنَانِهَا الجَلَدَ والمُصَابَرَةَ، فَإِنَّ الذي يُغرِي التَّاجِرَ بالأَسْفَارِ والمُخَاطَرَةِ أَمَلُهُ في الأَرْبَاحِ، والذي يَبْعَثُ الطَّالِبَ إلى الجِدِّ والمُثَابَرَةِ، أَمَلُهُ في النَّجَاحِ، والذي يُحَبِّبُ إلى المَرِيضِ الدَّوَاءَ المُرَّ، أَمَلُهُ في الشِّفَاءِ، والذي يَدْعُو المُؤْمِنَ إلى الشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، والصَّبْرِ عِنْدَ البَلاءِ، أَمَلُهُ فِيمَا عِنْدَ اللهِ تعالى من وَعْدٍ للشَّاكِرِينَ والصَّابِرِينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، المُؤْمِنُ في حَيَاتِهِ الدُّنْيَا يُلَاقِي شَدَائِدَهَا وصِعَابَهَا ومَرَارَتَهَا بِقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ، وَوَجْهٍ مُسْتَبْشِرٍ، وثَغْرٍ بَاسِمٍ، وأَمَلٍ عَرِيضٍ، فَهُوَ وَاثِقٌ بالزِّيَادَةِ إِنْ شَكَرَ، وَوَاثِقٌ بالأَجْرِ إِنْ صَبَرَ، وإذا تَعَسَّرَتِ الأُمُورُ، وضَاقَ الخِنَاقُ، أَمَلُهُ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَاً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَاً﴾.

وفي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَاً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَاً﴾» رواه الحاكم عَن الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الأَمَلُ والتَّفَاؤُلُ وَلِيدَا الإِيمَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، إِنَّ حَقِيقَةَ الأَمَلِ والتَّفَاؤُلِ في الشَّدَائِدِ والمِحَنِ لا يَنْشَآنِ من عَدَمٍ، ولا يَأْتِيَانِ من فَرَاغٍ، بَل هُمَا وَلِيدَا الإِيمَانِ باللهِ تعالى، والمَعْرِفَةِ بِسُنَنِهِ ونَوَامِيسِهِ في

الكَوْنِ والحَيَاةِ، فَهُوَ الذي يُصَرِّفُ الأُمُورَ كَيْفَ يَشَاءُ، بِعِلْمِهِ وحِكْمَتِهِ، ويُسَيِّرُهُمَا بِإِرَادَتِهِ ومَشِيئَتِهِ، فَيُبَدِّلُ من بَعْدِ الخَوْفِ أَمْنَاً، ومن بَعْدِ العُسْرِ يُسْرَاً، ويَجْعَلُ من كُلِّ ضِيقٍ فَرَجَاً ومَخْرَجَاً، ومن بَعْدَ الظُّلْمَةِ نُوراً، ومن بَعْدِ الظَّمَأِ رِيَّاً.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ الله، تَذَكَّرُوا قَوْلَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا وَقَفَ المُشْرِكُونَ على بَابِ الغَارِ، وَهُوَ يَقُولُ للصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا» رواه الشيخان عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا وَقَفَ على أَبْوَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ: «يَا زَيْدُ، إنَّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرْجَاً وَمَخْرَجَاً، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ، وَمُظْهِرٌ نَبِيَّهُ». الطَّبَقَات الكُبرَى لابن سَعد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَجْعَلَنَا من الشَّاكِرِينَ عِنْدَ الرَّخَاءِ، ومن الصَّابِرِينَ عِنْدَ البَلاءِ، ومن الرَّاضِينَ بِمُرِّ القَضَاءِ. آمين.

** ** **

٤٥٠ـ خطبة الجمعة: بادروا بالأعمال

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، الإِيمَانُ باللهِ تعالى واليَوْمِ الآخِرِ لَيْسَ كَلِمَةً تُقَالُ، إِنَّمَا هُوَ حَقِيقَةٌ ذَاتُ تَكَالِيفَ وأَمَانَةٍ، وذَاتُ أَعْبَاءٍ وجِهَادٍ، يَحْتَاجُ إلى صَبْرٍ وجُهْدٍ، ويَحْتَاجُ إلى احْتِمَالٍ، والفِتْنَةُ والاخْتِبَارُ هِيَ دَلِيلٌ على صِدْقِ الإِيمَانِ ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، وَنَحْنُ لا نَشُكُّ أَبَدًا أَنَّنَا في زَمَنِ الفِتَنِ والأَحْدَاثِ العَظِيمَةِ الجَلِيلَةِ، ولَكِنْ عِنْدَمَا نَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ تعالى، ونَسْتَهْدِي بِهَدْيِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، تَنْكَشِفُ لَنَا الحَقَائِقُ، وتَتَبَدَّى الظُّلُمَاتُ، ونَكُونُ على حَذَرٍ من إِغْوَاءِ شَيَاطِينِ الإِنْسِ والجِنِّ.

<u>وَصْفُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ لِزَمَانِنَا:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، وَاقِعُنَا المَرِيرُ، وحَالَتُنَا الرَّاهِنَةُ، من تَكَالُبِ الأَعْدَاءِ على هذهِ الأُمَّةِ، ومن تَفَرُّقِ الآرَاءِ، وكَثْرَةِ الجَهْلِ، قَد وَصَفَهُ لَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ».

قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟

قَالَ: «الْقَتْلُ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

هَلْ تَرَوْنَ صُورَةً أَوْضَحَ وأَدَقَّ في وَصْفِ أَحْوَالِنَا اليَوْمَ في تَقَارُبِ الزَّمَانِ، ومَوْتِ العُلَمَاءِ الرَّبَّانيِّينَ وفَقْدِهِم، وذَهَابِ المُخْلِصِينَ الصَّادِقِينَ مِنْهُم إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى، وظُهُورِ الفِتَنِ التي تُرَقِّقُ التي قَبْلَهَا، وظُهُورِ الشُّحِّ والبُخْلِ، وكَثْرَةِ الهَرْجِ والقَتْلِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، اُنْظُرُوا إلى صُورَةٍ أَوْضَحَ من ذلكَ في مَسْأَلَةِ الفِتَنِ، روى الشيخان عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ». أَلَيسَ قَطْرُ المَطَرِ يُصِيبُ كُلَّ شَيْءٍ، لَقَد عَمَّتِ البَلْوَى، وشَاعَتِ الفِتَنُ.

«بَادِرُوا بالأَعْمَالِ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَسْمَعْ وَصِيَّةَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ أَيَّامَ الفِتَنِ، والتي كَادَتْ أَنْ تُصِيبَ المُؤْمِنَ في دِينِهِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِن الدُّنْيَا».

يَا عِبَادَ اللهِ، واللهِ لَكَأَنَّا نَرَى ذلكَ رَأْيَ العَيْنِ، ونَرَى مَن اسْمُهُ من أَسْمَاءِ المُسْلِمِينَ، وسَمْتُهُ من سَمْتِهِم، ثُمَّ نَرَى فِعْلَهُ وقَالَهُ وحَالَهُ وكَأَنَّهُ لا عَلاقَةَ لَهُ بالإِسْلامِ، بَلْ رُبَّمَا أَنْ يَكُونَ فِعْلُهُ أَشَدَّ من أَفْعَالِ الكَافِرِينَ في الفَسَادِ، ومَا ذَاكَ إلا لِتَعَلُّقِهِ بالدُّنْيَا وحِرْصِهِ عَلَيْهَا.

يَقُولُ سَيِّدُنَا الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُحَرِّمَاً لِدَمِ أَخِيهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ، وَيُمْسِي مُسْتَحِلَّاً لَهُ، وَيُمْسِي مُسْتَحِلَّاً لَهُ، وَيُصْبِحُ مُحَرِّمَاً لَهُ.

ثمّ يَقُولُ: فَوَاللهِ لَقَد رَأَيْنَاهُم صُوَرَاً ولا عُقُولَاً، وَأَجْسَامَاً ولا أَحْلَامَاً، فَرَاشَ نَارٍ، وَذُبَابَ طَمَعٍ، يَغْدُو يَبِيعُ دِينَهُ بِدِرْهَمَيْنِ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، يَبِيعُ أَحَدُهُم دِينَهُ بِثَمَنِ العَنْزِ، واللهِ لَقَد رَأَيْنَاهُم.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هذهِ الأَزْمَةُ فَرَّقَتْ بَيْنَ الْمُؤْمِنينَ الصَّادِقِينَ، وبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ الزَّائِفِينَ، وأَظْهَرَتْ مَكْنُونَاتِ مَا في قُلُوبِ النَّاسِ، وأَخْرَجَتْ دَخَائِلَ نُفُوسِهِم، وأَظْهَرَتْ خَوَاطِرَ عُقُولِهِم، وكَشَفَتْ ذلكَ في فَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِم، في كَثِيرٍ من أَحْوَالِهِم وأَقْوَالِهِم وأَفْعَالِهِم، قَالَ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾.

اِبْتِلاءٌ يَسِيرٌ، ومِحْنَةٌ عَارِضَةٌ، تَرَى البَعْضَ انْسَلَخَ مِن دِينِهِ، وتَجَرَّدَ من إِيمَانِهِ، وشَكَّ في قُدْرَةِ رَبِّهِ رَبِّ الأَرْبَابِ، وَمَلِكِ الْمُلُوكِ، وجَبَّارِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، ونَسِيَ أَنَّ أَمْرَ اللهِ تعالى بَيْنَ الكَافِ والنُّونِ.

بِابْتِلاءٍ يَسِيرٍ، ومِحْنَةٍ عَارِضَةٍ، اِنْقَلَبَ على وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ، قَالَ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ *

يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾.

نَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَعْصِمَنَا من الذُّنُوبِ والخَطَايَا، وأَنْ لا نَضِيعَ مَعَ الضَّائِعِينَ، ولا نَزِيغَ مَعَ الزَّائِغِينَ، ولا نَهْلَكَ مَعَ الهَالِكِينَ، وأَنْ يُنَجِّينَا من جَمِيعِ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ. آمين.

** ** **

٤٥١ـ خطبة الجمعة: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، إنّ خِصَالَ الخَيْرِ، وصَنَائِعَ المَعْرُوفِ التي حَثَّنَا عَلَيْهَا شَرْعُنَا الحَنِيفُ كَثِيرَةٌ، ومُتَعَدِّدَةُ الطُّرُق، وَوَاسِعَةُ الأَبْوَاب، وأَعْظَمُهَا أَجْرَاً مَا كَانَ في قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، وتَفْرِيجِ كُرُوبِهم، إِذْ يَنَالُ العَبْدُ ذلكَ الأَجْرَ في مَوْقِفٍ هُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ فِيهِ إلى الحَسَنَات، يَوْمَ يَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الأَرْبَاب، يَوْمَ العَرْضِ والحِسَابِ، فَهَنِيئَاً لِمَنْ يَسَّرَ على العِبَادِ قَضَاءَ الدُّيُونِ، وفَكَّ ضَائِقَاتِهِم، وفَرَّجَ كُرُوبَهُم، ونَفَّسَ هُمُومَهُم، فالجَزَاءُ من جِنْسِ العَمَلِ، روى الإمام البخاري عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ

وسَلَّمَ قَالَ: «وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

مَقَامُكَ عِنْدَ الله:

أيُّها الإخوة الكرام: لِيُفَكِّرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا في نَفْسِهِ، أَيْنَ مَقَامُهُ عِنْدَ اللهِ تعالى؟ وإذا أَرَادَ العَبْدُ أَنْ يَعْرِفَ مَقَامَهُ عِنْدَ اللهِ فَلْيَنْظُرْ أَيْنَ أَقَامَهُ اللهُ تعالى، فالسَّعِيدُ مَن أَقَامَهُ اللهُ تعالى في قَضَاءِ حَوَائِجِ العِبَادِ.

روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ، يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، أُولَئِكَ الآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ».

وروى أَيْضَاً عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ عَبَّادَاً اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ».

«أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى أَنْفَعُهُم للنَّاسِ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، رَبُّنَا عزَّ وجلّ حِينَ خَلَقَ المَعْرُوفَ خَلَقَ لَهُ أَهْلاً، فَحَبَّبَهُ إِلَيْهِم، وحَبَّبَ إِلَيْهِم إِسْدَاءَهُ، وَوَجَّهَهُم إِلَيْهِ كَمَا وَجَّهَ المَاءَ إلى الأَرْضِ المَيْتَةِ فَتَحْيَا بِهِ، ويَحْيَا بِهِ أَهْلُهَا، وإِنَّ اللهَ تعالى إذا أَرَادَ بِعَبْدِهِ خَيْرَاً جَعَلَ قَضَاءَ حَوَائِجِ النَّاسِ على يَدَيْهِ.

روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ

الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنَاً، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعَاً، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ــ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ ــ شَهْرَاً، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ».

يَا عِبَادَ اللهِ، هَنِيئَاً لِمَنْ يُسَارِعُ فِي صَنَائِعِ المَعْرُوفِ، وقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، روى الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ».

وروى الإمام البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ».

وروى الحاكم عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «المَعْرُوفُ إلى النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ، والآفَاتِ، والهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِمَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجَاهَةٍ أَو جَاهٍ، ولِمَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِمَالٍ، ولِمَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِمَاءٍ، ولِمَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِعِقَارَاتٍ، ولِمَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِعِلْمٍ من

طِبٍّ وغَيْرِهِ، اِنْفَعُوا إِخْوَانَكُمْ على قَدْرِ اسْتِطَاعَتِكُمْ، وانْفَعُوا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ من خِلالِ صُنْعِ المَعْرُوفِ في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، ولا تَبْخَلُوا على أَنْفُسِكُمْ.

وبالْمُقَابِلِ أَقُولُ لأَصْحَابِ الحَاجَاتِ: لا تُكَلِّفُوا إِخْوَانَكُمْ مَا لا يُطِيقُونَ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَعَجَزُوا فَاعْذُرُوهُمْ، لأَنَّهُمْ عَبِيدٌ، ومَا أَجْمَلَ أَنْ يَقُولَ الأَخُ لأَخِيهِ عِنْدَمَا يَطْلُبُ مِنْهُ قَضَاءَ حَاجَةٍ: أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَجْعَلَكَ مِفْتَاحَ كُلِّ خَيْرٍ، وحَاجَتِي إِلَيْكَ هذهِ، فَإِنْ قَضَيْتَهَا حَمَدْتُ اللهَ تعالى وشَكَرْتُكَ ودَعَوْتُ اللهَ لَكَ، وإِنْ لَمْ تَقْضِهَا حَمَدْتُ اللهَ تعالى وعَذَرْتُكَ ودَعَوْتُ اللهَ لَكَ.

أَعِينُوا يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أَصْحَابَ النِّعَمِ إِخْوَانَكُمْ على قَدْرِ اسْتِطَاعَتِكُمْ، واحْتَسِبُوا الأَجْرَ عِنْدَ اللهِ تعالى، قَالَ تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

اللَّهُمَّ شَرِّفْنَا بِخِدْمَةِ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ. آمين.

** ** **

٤٥٢ـ خطبة الجمعة: فضائل بلاد الشام

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، بِلادُ الشَّامِ عُمُومَاً مُبَارَكَةٌ، وهُنَاكَ آيَاتٌ من القُرْآنِ المَجيدِ يُسْتَشْهَدُ بِهَا لهذا الفَضْلِ، وكذلكَ أَحَادِيثُ مَرْفُوعَةٌ إلى جَنَابِ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يُسْتَشْهَدُ بِهَا كذلكَ، وآثَارٌ مَوْقُوفَةٌ عن الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، بِلادُ الشَّامِ مَهْدُ الرِّسَالاتِ، وهِيَ أَرْضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ، وبِهَا يَنْزِلُ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ في آخِرِ الزَّمَانِ، وبِهَا يُهْلِكُ اللهُ تعالى شَيْخَ الضَّلالَةِ الكَذَّابَ الدَّجَّالَ.

روى الإمام أحمد عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنِّي عَبْدُ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ ـــ أَيْ مُلْقَىً عَلَى الْجَدَالَةِ وَهِيَ الْأَرْضُ ـــ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ، دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ».

يَقُولُ العَلَّامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ عِنْدَ هذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: وَتَخْصِيصُ الشَّامِ بِظُهُورِ نُورِهِ إِشَارَةٌ إلى اسْتِقْرَارِ دِينِهِ وَثُبُوتِهِ بِبِلَادِ الشَّامِ، وَلِهَذَا تَكُونُ الشَّامُ في آخِرِ الزَّمَانِ مَعْقِلَاً للإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ بِدِمَشْقَ بالمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ البَيْضَاءَ مِنْهَا.

ولهذا جَاءَ في الصَّحِيحَيْنِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

وفي صَحِيحِ الإمام البخاري: «وَهُمْ بالشَّامِ».

فَضَائِلُ بلادِ الشَّامِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَنْ تَعِيشُونَ هذهِ الأَزْمَةَ، والكُلُّ يُفَكِّرُ فِي السَّفَرِ من هذا البَلَدِ إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى، اِسْمِعُوا إلى بَعْضِ أَحَادِيثِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ:

أولاً: روى الإمام أحمد عَن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ».

ثانياً: روى الإمام البخاري عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا».

قَالَ: قَالُوا وَفِي نَجْدِنَا؟

قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا».

قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟

قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

ثالثاً: روى البزَّارُ عَن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «الشَّامُ أَرْضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ».

رابعاً: روى الإمام أحمد عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، وَلَا يَزَالُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

خامساً: عَن عَبدِ اللهِ بن حَوَالَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ قَال: يَا رَسُولَ اللهِ خِرْ لِي بَلَداً أَكُونُ فِيْهِ، فَلَو أَعْلَمُ أَنَّكَ تَبْقَى لَمْ أَخْتَرْ عَنْ قُرْبِكَ شَيْئاً.

فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالْشَّامِ، فَلَمَّا رَأَى كَرَاهِيَّتِي لِلشَّامِ قَالَ: أَتَدْرِي مَا يَقُولُ اللهُ فِي الشَّامْ؟ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُوْلُ: يَا شَامُ أَنْتِ صَفْوَتِي مِنْ بِلَادِيْ أُدْخِلُ فِيْكِ خِيْرَتِيْ مِنْ عِبَادِي. إِنَّ اللهَ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ». رَوَاهُ الإِمَامُ الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرغِيبَ والتَّرهِيبِ.

سادساً: روى الطّبَرَانِيٌّ في الكَبِيرِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَقْبَلَ بِي الشَّامَ، وَوَلَّى ظَهْرِيَ لِلْيَمَنِ، وَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، جَعَلْتُ مَا تُجَاهَكَ غَنِيمَةً وَرِزْقًا، وَمَا خَلْفَ ظَهْرِكَ مَدَداً، وَلا يَزَالُ الإِسْلامُ يَزِيدُ، وَيَنْقُصُ الشِّرْكُ وَأَهْلُهُ، حَتَّى تَسِيرَ الْمَرْأَتَانِ لا تَخْشَيَانِ جَوْراً».

سابعاً: روى الإمام أحمد والطّبَرَانِيٌّ عن خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ الْأَسَدِيِّ يَقُولُ: قَالَ النّبِيٌّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «أَهْلُ الشَّامِ سَوْطُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَحَرَامٌ عَلَى مُنَافِقِيهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ، وَلَنْ يَمُوتُوا إِلَّا هَمّاً أَوْ غَيْظاً أَوْ حُزْناً».

خاتِمَةٌ ـــ نسأَلُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الحَشْرُ حَشْرَانِ، حَشْرٌ فِي الدُّنْيَا، وحَشْرٌ فِي الآخِرَةِ، أَمَّا حَشْرُ الدُّنْيَا فَسَيَكُونُ عَن طَرِيقِ النَّارِ التِي تَخْرُجُ من عَدَنٍ فَتَحْشُرُ النَّاسَ إلى أَرْضِ الشَّامِ، روى البزَّارُ عَن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «الشَّامُ أَرْضُ المَحْشَرِ والمَنْشَرِ».

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمرُو رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، يَنْحَازُ النَّاسُ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ، لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ إِلَّا شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللهِ، تَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ».

يَا عِبَادَ اللهِ، والسَّبَبُ فِي كَوْنِ أَرْضِ الشَّامِ هِيَ أَرْضَ المَحْشَرِ هُوَ أَنَّهُ عِنْدَمَا تَقَعُ الفِتَنُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَكُونُ أَرْضُ الشَّامِ هِيَ مَحَلَّ الأَمْنِ والأَمَانِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ».

وأَمَّا حَشْرُ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَعْدَ بَعْثِ النَّاسِ من القُبُورِ، وسَيَكُونُ هذا المَحْشَرُ فِي أَرْضٍ أُخْرَى غَيْرِ هذهِ الأَرْضِ، قَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يُثَبِّتَنَا بالقَوْلِ الثَّابتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ، وأَنْ لا يُحِيجَنَا للخُرُوجِ من بِلادِ الشَّامِ، فالأَمْرُ يَحْتَاجُ إلى صَبْرٍ ومُصَابَرَةٍ. اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بالصَّبْرِ والمُصَابَرَة. آمين.

** ** **

٤٥٣ـ خطبة الجمعة: السفر إلى بلاد الكفر

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، بِلادُ الشَّامِ بِلادٌ مُبَارَكَةٌ، شَاءَ النَّاسُ أَمْ أَبَوْا، بِلادٌ مُبَارَكَةٌ بِنَصِّ القُرْآنِ العَظِيمِ، قَالَ تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

بِلادُ الشَّامِ هِيَ عُقْرُ دَارِ الإِسْلامِ وَقْتَ اشْتِدَادِ المِحَنِ والفِتَنِ، وهِيَ مَرْكَزُ قِيَادَةِ النَّاسِ إلى الخَيْرِ الذي بَشَّرَ بِهِ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، وَلَا يَزَالُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» رواه الإمام أحمد عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

بِلادُ الشَّامِ هِيَ مَطْمَعُ أَهْلِ الكُفْرِ، فَلَنْ يَكُفُّوا عَنْهَا، لأَنَّهَا بِلادٌ مُبارَكَةٌ حِسّاً ومَعْنَىً، دِيناً ودُنْيَا، لَقَد اخْتَارَهَا اللهُ تعالى مُهَاجَرَاً لِخَلِيلِهِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وفِيهَا أَحَدُ بُيُوتِهِ المُقَدَّسَةِ، المَسْجِدُ الأَقْصَى.

بِلادُ الشَّامِ لا تَزَالُ فِيهَا الطَّائِفَةُ المُؤْمِنَةُ، فَهِيَ المَوْئِلُ أَيَّامَ الفِتَنِ، ولَنْ تَكُونَ بِإِذْنِ اللهِ تعالى بِلادَ كُفْرٍ، ولا بِلادَ بِدَعٍ وضَلالَةٍ، ولا بِلادَ فِسْقٍ وفُجُورٍ، لأَنَّهَا مُضَافَةٌ إلى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» رواه الإمام البخاري عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

«طُوبَى للشَّامِ»:

يَا عِبَادَ اللهِ، روى الإمام أحمد والترمذي عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِن الرِّقَاعِ ــ أَي: يَجْمَعُونَ الآياتِ المُفَرَّقَةَ فِي سُوَرِهَا ــ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «طُوبَى لِلشَّامِ».

فَقُلْنَا: لِأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا».

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن سَكَنَ بِلادَ الشَّامِ مُلْتَمِساً بَرَكَاتِ اللهِ تعالى فِيهَا من زِيَادَةِ رِزْقٍ، أَو دَفْعِ فِتَنٍ، فَقَد وُفِّقَ إلى خَيْرٍ كَثِيرٍ.

السَّفَرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الأَزْمَةُ التي تَمُرُّ بِهَا البِلادُ اليَوْمَ أَزْمَةٌ قَاسِيَةٌ، كَشَفَتْ مَعَادِنَ كَثِيرٍ من النَّاسِ وعَرَّفَتِ المُحِبَّ والمُبْغِضَ، والصَّادِقَ والكَاذِبَ، وكَانَ لَهَا واللهِ كَثِيرٌ من الإِيجَابِيَّاتِ، كَمَا كَانَ لَهَا كَثِيرٌ من السَّلْبِيَّاتِ.

من سَلْبِيَّاتِ هذهِ الأَزْمَةِ، أَنْ دَفَعَتْ بَعْضَ رِجَالِ هذهِ الأُمَّةِ من شَبَابِهَا وتُجَّارِهَا وعُمَّالِهَا وأَطِبَّائِهَا وعُلَمَائِهَا ومُفَكِّرِيهَا للخُرُوجِ من هذا البَلَدِ، والأَسْوَأُ من هذا أَنْ دَفَعَتْ بَعْضَ رِجَالِنَا وشَبَابِنَا للسَّفَرِ إلى بِلادِ الكُفْرِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لا تَقُولُوا: هذهِ هِجْرَةٌ، لأَنَّ الأَصْلَ في الهِجْرَةِ هُوَ الانْتِقَالُ من بَلَدِ الكُفْرِ إلى بَلَدِ الإِسْلامِ والإِيمَانِ، ولَيْسَ العَكْسَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، بِدَايَةً أَقُولُ: أَنَا على عِلْمٍ بِأَنَّ السَّفَرَ إلى بِلادِ الكُفْرِ لَهُ أَسْبَابٌ مَادِّيَّةٌ ومَعْنَوِيَّةٌ كَثِيرَةٌ وكَثِيرَةٌ جِدًّا، دَفَعَتِ المُسَافِرِينَ إلى هذا السَّفَرِ مَعَ وُجُودِ المَخَاطِرِ والإِذْلالِ، بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ السَّفَرُ إلى تِلْكَ البِلادِ إلا عَن طَرِيقٍ غَيْرِ نِظَامِيٍّ، بِحَيْثُ يَتَعَرَّضُ للبَلاءِ والمَخَاطِرِ وصَرْفِ الأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ، وقَد روى الإمام أحمد والترمذي عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ».

قِيلَ: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟

قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِن الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ».

خُطُورَةُ الإِقَامَةِ في بِلادِ الكُفْرِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لا يَلِيقُ بالإِنْسَانِ المُؤْمِنِ أَنْ يُذِلّ نَفْسَهُ، وذلكَ بِتَعْرِيضِ نَفْسِهِ للبَلاءِ، وعلى رَأْسِ هذا البَلاءِ التّشْكِيكُ في دِينِ اللهِ تعالى.

هؤلاءِ القَوْمُ مَا فَتَحُوا صُدُورَهُم لِشَبَابِنَا في اسْتِقْبَالِهِم، بَلْ أَذَلُّوهُم بالدُّخُولِ إلى بِلادِهِم بِطَرِيقٍ غَيْرِ قَانُونِيّ، ولَو كَانُوا صَادِقِينَ في الإِعَانَةِ لَفَتَحُوا الأَبْوَابَ لَهُم بالدُّخُولِ مِنْهَا بِشَكْلٍ نِظَامِيّ؛ هذا أولاً.

ثانياً: هَلْ تَعْرِفُونَ هؤلاءِ الذينَ تُسَافِرُونَ إِلَيْهِم؟ هؤلاءِ أَخْبَرَنَا عَنْهُم رَبُّنَا عزّ وجلّ الذي يَعْلَمُ السِّرّ وأَخْفَى في كِتَابِهِ العَظِيمِ، فَبَيّنَ لَنَا أَنّهُم يُضْمِرُونَ لَنَا العَدَاوَةَ، ولا يُقَصّرُونَ في إِلْحَاقِ الضّرَرِ بِنَا، ويَوَدّنَ لَنَا العَنَتَ والمَشَقّةَ، وأَنّهُم لَنْ يَرْضَوْا عَنّا حَتّى نَتّبِعَ مِلّتَهُم.

قَالَ تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وقَالَ تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَلا يُصَدِّقُ المُؤْمِنُ رَبّهُ عزّ وجلّ؟ نَعَم، نَحْنُ نَعِيشُ واللهِ في أَزْمَةٍ قَاسِيَةٍ، والشّكَايَاتُ فِيهَا كَثِيرَةٌ وكَثِيرَةٌ جِدّاً، ولَكِنْ سَلامَةُ دِينِنَا ودِينِ نِسَائِنَا

وأَبْنَائِنَا أَهَمٌّ عِنْدَنَا من سَلامَةِ دُنْيَانَا، فَدُنْيَانَا وإِنْ سَلِمَتْ لَنَا ودَامَتْ، فَلَنْ نَدُومَ لَهَا.

يَا عِبَادَ اللهِ، أَرْجُو اللهَ تعالى أَنْ لا يَنْطَبِقَ عَلَيْنَا قَوْلُهُ تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

ثالثاً: مَن دَخَلَ تِلْكَ البِلادَ وَهُوَ جَاهِلٌ في دِينِ اللهِ تعالى، فَقَد عَرَّضَ نَفْسَهُ لِخَطَرٍ عَظِيمٍ، حَيْثُ تُلْقَى الشُّبُهَاتُ والشُّكُوكُ على دِينِهِ دُونَ مَعْرِفَةِ الرَّدِّ عَلَيْهِم، ومن هذا المُنْطَلَقِ قَالَ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ؟

قَالَ: «لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا» رواه الترمذي وأبو داود عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، سَلُوا أَصْحَابَ الإِقَامَاتِ في بِلادِ الكُفْرِ عَن أَمْوَالِهِم أَيْنَ هِيَ؟ وسَلُوهُم عَن تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِم في مَدَارِسِ تِلْكَ البِلادِ مَا هِيَ؟ وسَلُوهُم عَن عَلاقَةِ الزَّوْجِ بِزَوْجَتِهِ، وعَن عَلاقَةِ الوَالَدِ بِوَلَدِهِ كَيْفَ هِيَ؟ سَلُوهُم عَن شَوَارِعِ تِلْكَ البِلادِ وعَن القِيَمِ والأَخْلاقِ مَا هِيَ؟ وسَلُوهُم عَن عَقِيدَةِ أَصْحَابِ تِلْكَ البِلادِ مَا هِيَ، ومَا هُوَ مَوْقِفُهُم من الإِسْلامِ؟

كَمْ وكَمْ مِمَّن ضَيَّعَ دِينَهُ هُنَاكَ، لأَنَّهُ لا عِلْمَ لَهُ بِرَدِّ الشُّبُهَاتِ، بَلْ عَادَ شَاكّاً في دِينِهِ وفي هَدْيِ نَبِيِّهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ.

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، البَعْضُ يُفكِّرُ في السَّفَرِ إلى تِلْكَ البلادِ فَارًّا من بِلادِ الشَّامِ المُبَارَكَةِ إلى بِلادٍ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهَا، وهِيَ وإِنْ كَانَتْ في ظَاهِرِهَا جَنَّةً، إلا أَنَّهَا انْطَبَقَ عَلَيْهَا قَوْلُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الوَاجِبُ على أَهْلِ بِلادِ الشَّامِ أَنْ يَصْبِرُوا ويُصَابِرُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ، وأُذَكِّرُ نَفْسِي وإِيَّاكُم بِقَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. وبِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى تَفْرِيجَ الكَرْبِ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ. آمين.

** ** **

٤٥٤ـ خطبة الجمعة: السفر إلى بلاد الكفر (٢)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، مَا نَحْنُ فِيهِ يَحْتَاجُ إلى صَبْرٍ وإلى مُصَابَرَةٍ، يَحْتَاجُ إلى ثَبَاتٍ ويَقِينٍ، إلى ثَبَاتٍ فِي البَقَاءِ فِي البَلَدِ دُونَ خُرُوجٍ مِنْهَا، لأَنَّهَا بِلادٌ مُبَارَكَةٌ، لأَنَّهَا بِلادٌ وُلِدْنَا فِيهَا، ودَرَجْنَا على أَرْضِهَا، وأَكَلْنَا من خَيْرَاتِهَا وثِمَارِهَا، كَمَا نَحْتَاجُ إلى يَقِينٍ بِأَنَّ المَوْئِلَ أَيَّامَ الفِتَنِ هِيَ بِلادُ الشَّامِ.

لَقَد أُوذِيَ أَصْحَابُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ الإِيذَاءِ، ولَكِنَّهُم مَا أَذَلُّوا أَنْفُسَهُم، لِعِلْمِهِم بِأَنَّ الأَجْرَ على قَدْرِ المَشَقَّةِ، وأَنَّ الحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وعِنْدَمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، جَاؤُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الدُّعَاءَ، روى الإمام البخاري

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟

قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْـحَدِيدِ مَا دُونَ لَـحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

الهِجْرَةُ إلى الحَبَشَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، هذهِ الأَزْمَةُ القَاسِيَةُ على شَبَابِنَا خَاصَّةً، دَفَعَتِ الكَثِيرَ مِنْهُم للتَّوَجُّهِ إلى بِلادِ الكُفْرِ، وبِكُلِّ أَسَفٍ حَتَّى عَن طَرِيقٍ غَيْرِ نِظَامِيٍّ، مَعَ تَعْرِيضِ أَنْفُسِهِم للمَخَاطِرِ، وبَذْلِ الأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ، مُسْتَدِلِّينَ كَمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِم بأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ لأَصْحَابِهِ الكِرَامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم بالسَّفَرِ إلى الحَبَشَةِ، وبِتَرْكِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، قِيَاسٌ مَعَ الفَارِقِ الكَبِيرِ، قِيَاسٌ بَعِيدٌ كَبُعْدِ السَّمَاءِ عَن الأَرْضِ.

أولاً:مَا خَرَجُوا مِن مَكَةَ إلى الحَبَشَةِ إِلَّا بِأَمرٍ مِن سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الَّذي أَمَرَنَا اللهُ بِطَاعَتِهِ بِقَولِهِ تَعالى ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ فَالَذِي أَمَرَهُم بِالخُرُوجِ هُوَ القَائِلُ فِي الحَدِيثِ الصَّحيحِ« أَنَا

بَرِيءٌ مِن كُلِّ مُسلِمٍ يُقِيمُ بَينَ أَظهُرِ الـــمُشرِكِينَ» .رواه أبو داوود والترمذي .فَنحنُ نَمتَثِلُ أَمْرَهُ عَلَى الإِطلَاقِ بِدُونِ قَيدٍ وَلَا شَرطٍ وَافَقَ ذَلِكَ هَوَانَا أَم خَالَفَهُ

ثانياً: الأَرْضُ التِي هَاجَرُوا مِنْهَا كَانَتْ أَرْضَ كُفْرٍ وشِرْكٍ، ومُحَارَبَةٍ لِدِينِ اللهِ جِهَاراً نَهَاراً، لا يُمْكِنُ لأَحَدِهِم أَنْ يُفْصِحَ عَن عَقِيدَتِهِ فَضْلاً عَن أَدَاءِ عِبَادَتِهِ، إلى أَرْضٍ لا ظُلْمَ فِيهَا، لأَنَّ فِيهَا رَجُلاً يُقِيمُ الحَقَّ، من غَيْرِ تَبْدِيلٍ ولا تَحْرِيفٍ.

ثالثاً: هِجْرَتُهُم رَضِيَ اللهُ عَنهُم لَيْسَتْ فِرَاراً من الْمُوَاجَهَةِ، ولا خُرُوجَاً من الثَّبَاتِ على الدِّينِ، بَل كَانَتْ تَأْكِيداً على أَوْلَوِيَّةِ الدِّينِ عِنْدَهُم، وأَنَّ الدِّينَ عِنْدَهُم أَغْلَى من الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا، ومَا كَانُوا يَطْلُبُونَ دُنْيَا على حِسَابِ دِينِهِم.

رابعاً: لَقَد كَانَتْ هِجْرَتُهُم رَضِيَ اللهُ عَنهُم إلى رَجُلٍ رَشِيدٍ، نَظِيفِ العَقْلِ، حَسَنِ المَعْرِفَةِ باللهِ تعالى، سَلِيمِ الاعْتِقَادِ فِي سَيِّدِنَا عِيسَى بِأَنَّهُ عَبْدٌ للهِ ورَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يظلم فِي أَرضِهِ أَحَدٌ.

لَـــمَّا جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ العَاصِ ــ رَسُولاً من قُرَيْشٍ ــ لِيَرُدَّ الْمُهَاجِرِينَ إلى مَكَّةَ، وجَاءَ إلى النَّجَاشِيِّ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَطَلَبَ النَّجَاشِيُّ العَادِلُ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُم بَعْدَ أَنْ أَسَاءَ فِيهِمُ القَوْلَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ، وبَثَّ الفِتْنَةَ، وأَشَاعَ الخِلافَ.

جَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فَمَاذَا قَالَ جَعْفَرُ؟

هَلْ قَالَ قَوْلاً على حِسَابِ دِينِهِ وعَقِيدَتِهِ وإِسْلامِهِ؟

لَقَد قَالَ قَوْلاً فِيهِ كَمَالُ العِزَّةِ بالإِسْلامِ والإِيمَانِ، قَالَ: أَيُّهَا الْـــمَلِكُ، كُنَّا قَوْمَاً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْـــمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ،

وَنُسيءُ الْجوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولَاً مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِن الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْـــحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَن الْـــمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَن الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْـــمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئَاً، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ.

قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئَاً، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِن الْـــخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْـــمَلِكُ. رواه الإمام أحمد عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، هذهِ هِيَ لُغَةُ السِّيَاسَةِ الإِسْلامِيَّةِ الإِيمَانِيَّةِ، لَيْسَ نِفَاقَاً سِيَاسِيَّاً، ولا دَنِيَّةً دِينِيَّةً، بَلْ هِيَ إِظْهَارٌ للإِسْلامِ، مَعَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، والوُقُوفِ مَعَ المَبْدَأِ الحَقِّ دُونَ تَمَيُّعٍ ولا تَنَصُّلٍ من حَقَائِقِهِ.

خامساً: لا تَغْيِيرَ ولا تَبْدِيلَ من أَجْلِ دُنْيا دَنِيَّةٍ، من قِبَلِ المُهَاجِرِينَ إلى الحَبَشَةِ، وَلا مُداهَنَةَ فالحقُ أحقُ أن يُتَّبَع.

يَقُولُ الدَّاهِيَةُ عَمْرُو بْنُ العَاصِ، بَعْدَ أَنْ قَالَ مَا قَالَهُ جَعْفَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: واللهِ لآتِيَنَّهُمُ الغَدَاةَ بِمَا يُبِيدُ خَضْرَاءَهُم، فَقَالَ للنَّجَاشِيِّ: إِنَّ هؤلاءِ يَقُولُونَ في عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلاً عَظِيماً.

وَهُنَا جَاءَتِ المُعْضِلَةُ والطَّامَّةُ الكُبْرَى، والمَوْقِفُ المُحَيِّرُ، وُجُودُهُم وَأَمْنُهُم وعَيْشُهُم ورَغَدُهُم، أَمِ المَوْقِفُ الصَّحِيحُ، والدِّينُ الحَقُّ، والعَقِيدَةُ السَّلِيمَةُ؟

فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ يَسْأَلُهُم عَن قَوْلِهِم في عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.

فَقَالَ جَعْفَرُ: نَقُولُ فِيهِ الذي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ العَذْرَاءِ البَتُولِ.

فَأَخَذَ النّجَاشِيّ عُوداً مِن الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ ما عدا عِيسَى بنُ مَريَمَ مَا قُلتَ هَذَا الْعُودَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لا دَنِيَّةَ في الدِّينِ، ولا مُسَاوَمَةَ في العَقِيدَةِ، ولا تَغْيِيرَ في أَحْكَامِ اللهِ تعالى.

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، السَّفَرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ طَامَّةٌ كُبْرَى وخَاصَّةً في هذهِ الأَزْمَةِ، لأَنَّهُم واللهِ لا يُحِبُّونَنَا، ولا يَرْضَوْنَ عَنَّا حَتَّى نَتَّبِعَ مِلَّتَهُم، وإِنَّهُمُ اسْتَغَلُّوا هذهِ الأَزْمَةَ للطَّعْنِ في دِينِنَا، وقَالُوا: لَقَد فَتَحْنَا صُدُورَنَا للمُسْلِمِينَ، حِينَ أَغْلَقَتْ مَكَّةُ وبلادُ المُسْلِمِينَ الأَبْوَابَ أَمَامَهُم، وسَوْفَ يَذْكُرُنَا التَّارِيخُ بذلكَ.

نَعَم، يَا عِبَادَ اللهِ، واللهِ سَوْفَ يَذْكُرُهُمُ التَّارِيخُ بِخُبْثِهِم ومَكْرِهِم وكَيْدِهِم بالـــمُؤْمِنينَ، وسَوْفَ يَرَوْنَ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم يَومَ القِيَامَة من كَيْدٍ لِدِينِ اللهِ تعالى وللمسلمينَ.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى العَفْوَ والعَافِيَةَ. آمين.

**   **   **

٤٥٥ـ خطبة الجمعة: أيها المسافر إلى بلاد الكفر، سل نفسك

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، سُبُلُ البَاطِلِ وطُرُقُهُ كَثِيرَةٌ لا تَكَادُ تُحْصَرُ، والطَّرِيقُ إلى اللهِ تعالى وَاحِدَةٌ لا تَعَدُّدَ فِيهَا، وَهِيَ صِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ الذي نَصَبَهُ مُوصِلاً لِمَنْ سَلَكَهُ إلَيْهِ وإلى رِضْوَانِهِ وجَنَّاتِهِ، قَالَ تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. فَوَحَّدَ سَبِيلَهُ لِأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ وَاحِدٌ لا تَعَدُّدَ فِيهِ، وجَمَعَ السُّبُلَ الْمُخَالِفَةَ لَهُ لِأَنَّهَا كَثِيرَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وعلى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ خَطّاً، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ».

ثُمَّ خَطَّ خُطُوطَاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمَاً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

أَيُّهَا الْمُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، سَلْ نَفْسكَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِكُلِّ مَن سَافَرَ إلى بِلادِ الكُفْرَ، أَو يُفَكِّرُ في السَّفَرِ إِلَيْهَا: أَيُّهَا الْمُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، سَلْ نَفْسكَ هذِهِ الأَسْئِلَةَ:

أولاً: هَلْ سَفَرُكَ إلى بِلادِ الكُفْرِ فِيهِ سُلُوكٌ للطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، الذي يُوصِلُكَ إلى مَرْضَاةِ اللهِ تعالى وإلى جَنَّتِهِ؟ أَمْ أَنَّكَ سَافَرْتَ لِتَجدَ هُنَاكَ مَن يَدْعُوكَ إلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؟! وَأَنْتَ تَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ بِأَنَّ تِلْكَ البِلادِ قَد اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهَا على مُحَارَبَةِ اللهِ تعالى وَرَسُولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

ثانياً: أَيُّهَا الْمُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، إذا أَدْرَكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ في هذا السَّفَرِ، هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ مُنْدَرِجٌ تَحْتَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرَاً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورَاً رَحِيمَاً﴾؟

فَهَلْ أَنْتَ بِسَفَرِكَ هذا خَرَجْتَ إلى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَقُلْتَ كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾؟ هَلْ أَنْتَ تَشَمُّ هُنَاكَ بِشَكْلٍ عَامٍّ رَائِحَةَ الإِسْلامِ؟

ثالثاً: أَيُّهَا الْمُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، إلى أَيْنَ أَنْتَ مُسَافِرٌ؟ ومِنْ أَيْنَ أَنْتَ مُسَافِرٌ؟ هَلْ نَسِيتَ حَدِيثَ قَاتِلِ مِئَةِ نَفْسٍ، الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ

رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ نَبيَّ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ قالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسَاً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسَاً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: لَا؛ فقَتَلَهُ فكَمَّلَ بِهِ مِائَةً.

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسَاً يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ.

فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبَاً مُقْبِلَاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ.

وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرَاً قَطُّ.

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ.

فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

هَلْ أَنْتَ مُسَافِرٌ من أَرْضِ مَعْصِيَةٍ إلى أَرْضِ طَاعَةٍ تَطْلُبُ من أَهْلِهَا العَوْنَ لَكَ على طَاعَةِ اللهِ عزّ وجلّ، أَم العَكْسُ؟

رابعاً: أَيُّهَا الْمُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، هَلْ تَعْلَمُ بِأَنَّكَ سَافَرْتَ من بَلَدٍ أَضَافَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ إلى نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا» رواه الإمام البخاري عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما. إلى بَلَدٍ أَعْلَنَ حُكَّامُهُ الحَرْبَ على اللهِ وَرَسُولِهِ.

لَقَد سَافَرْتَ مِن بَلَدٍ جَاءَ فِيهِ فِي الأَثَرِ الذي رواه الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَسَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَيْرَ فَجَعَلَهُ عَشَرَةَ أَعْشَارٍ، فَجَعَلَ تِسْعَةَ أَعْشَارٍ بِالشَّامِ، وَبَقِيَّتَهُ فِي سَائِرِ الأَرْضِ، وَقَسَّمَ الشَّرَّ، فَجَعَلَهُ عَشَرَةَ أَعْشَارٍ، فَجَعَلَ جُزْءاً مِنْهُ بِالشَّامِ، وَبَقِيَّتَهُ فِي سَائِرِ الأَرْضِ.

لَقَد سَافَرْتَ مِن بَلَدٍ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ، فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ» رواه الإمام أحمد عَن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

وقَالَ فِيهِ: «عُقْرُ دَارِ الإِسْلامِ بِالشَّامِ» رواه الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ عَنْ سَلَمَةَ بن نُفَيْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أَيُّهَا الْمُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، إِنْ قُلْتَ لِي: قَالَ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «عَلَيْكَ بِالْهِجْرَةِ، فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهَا».

أَقُولُ لَكَ: أَكْمِلِ الحَدِيثَ الشَّرِيفَ، بَل اقْرَأ الحَدِيثَ من أَوَّلِهِ، روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ أَنَّ أَبَا فَاطِمَةَ حَدَّثَهُمْ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِعَمَلٍ نَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَنَعْمَلُهُ.

قَالَ:«عَلَيْكَ بِالْهِجْرَةِ، فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهَا».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِعَمَلٍ نَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَنَعْمَلُهُ.

قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،أَخْبِرْنَا بِعَمَلٍ نَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَنَعْمَلُهُ.

قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا بِعَمَلٍ نَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَنَعْمَلُهُ.

قَالَ: «عَلَيْكَ بِالسُّجُودِ، فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إِلا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

فَهَلْ سَفَرُكَ إِلى هُنَاكَ من أَجْلِ الاسْتِقَامَةِ على دِينِ اللهِ، وكَثْرَةِ السُّجُودِ؟

خامساً: أَيُّهَا الْمُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، هَلْ نَسِيتَ حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ الذي رواه الإمام أحمد والطَّبَرَانِيُّ عن خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ الْأَسَدِيِّ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «أَهْلُ الشَّامِ سَوْطُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَنْتَقِمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَحَرَامٌ عَلَى مُنَافِقِيهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى مُؤْمِنِيهِمْ، وَلَنْ يَمُوتُوا إِلَّا هَمًّا أَوْ غَيْظًا أَوْ حُزْنًا».

فَهَلْ سَافَرْتَ إلى بَلَدٍ ظَهَرَ مُؤْمِنُوهَا على مُنَافِقِيهَا؟

سادساً: أَيُّهَا المُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، هَلْ أَنْتَ مُسَافِرٌ لِتُلْقِيَ هُنَاكَ مَا عِنْدَكَ، أَمْ سَيُلْقَى عَلَيْكَ؟ وَهَلْ هُنَاكَ عَقِيدَةٌ سَلِيمَةٌ؟ وَهَلْ هُنَاكَ أَخْلاقٌ فَاضِلَةٌ مَرْضِيَّةٌ كَامِلَةٌ؟

سابعاً: أَيُّهَا المُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، وَأَنْتَ صَاحِبُ القُوَّةِ والعِلْمِ والمَالِ سَتَكُونُ في خِدْمَةِ مَنْ، مِنْ خِلالِ عِلْمِكَ وقُوَّتِكَ ومَالِكَ؟

ثامناً: أَيُّهَا المُسَافِرُ إلى بِلادِ الكُفْرِ، لِمَنْ تَدَعُ وَالِدَيْكَ، ومَحَارِمَكَ، والضُّعَفَاءَ، وأَصْحَابَ الحَاجَةِ؟ لِمَنْ تَدَعُ وَالِدَيْكَ، وأَنْتَ تَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلَاً كَرِيمَاً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾؟

لِمَنْ تَدَعُ زَوْجَتَكَ وأَوْلادَكَ؟ لِمَنْ تَدَعُ طُلَّابَكَ وعُمَّالَكَ؟ لِمَنْ تَدَعُ المَرْضَى والفُقَرَاءَ؟

خاتِمَةٌ ــــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، في الخِتَامِ، أُنَاشِدُ أَهْلَ هذا البَلَدِ مِمَّنْ هُوَ دَاخِلَ القُطْرِ من حُكَّامٍ ومَحْكُومِينَ، وَمَنْ هُوَ خَارِجَ البَلَدِ ومَا زَالَ يَنْفُخُ في النَّارِ، أُخَاطِبُ الجَمِيعَ وَأَقُولُ: اِتَّقُوا اللهَ تعالى في شَبَابِنَا، وفي رِجَالِنَا، وَكُونُوا عَوْنَاً لَهُم على البَقَاءِ في

هذهِ البلادِ المُبَارَكَةِ بِحِكْمَتِكُم، وإلا فالجَمِيعُ مَسْؤُولٌ عَن عَقِيدَةِ وَسُلُوكِ هؤلاءِ إذا انْحَرَفُوا.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا أَهْلَ هذا البَلَدِ في الدَّاخِلِ والخَارِجِ، كُونُوا عَوْنَاً للشَّبَابِ على شَيَاطِينِ الإِنْسِ والجِنِّ، ولا تَكُونُوا عَوْنَاً لِشَيَاطِينِ الإِنْسِ والجِنِّ عَلَيْهِم.

اللّهُمَّ يَا فَارِجَ الهَمِّ، يَا كَاشِفَ الغَمِّ، اِحْفَظْنَا جَمِيعَاً. آمين.

** ** **

٤٥٦ـ خطبة عيد الأضحى: من فهم حكمة العيد بادر إلى الخير

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، في هذا اليَوْمِ المُبَارَكِ تَرَى المُؤْمِنينَ مُمْتَثِلِينَ أَمْرَ رَبِّهِم عزَّ وجلَّ القَائِلِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾. وَمُتَأَسِّينَ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ الذي ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى

اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، بَعْدَ أَنْ سَمَّى وكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجلَهُ على صِفَاحِهِمَا؛ كَمَا جَاءَ في صَحِيحِ الإمام البخاري ومسلم.

يَا عِبَادَ اللهِ، في هذا اليَوْمِ الأَغَرِّ، يَوْمِ العَاشِرِ من ذِي الحِجَّةِ، يَوْمِ الأَضْحَى، يَوْمِ النَّحْرِ، يَحْتَفِلُ المُسْلِمُونَ بعِيدِ الأَضْحَى المُبَارَكِ، وَيَنْعَمُونَ بِبَهْجَتِهِ، فَتُنْحَرُ الأَضَاحِي والقَرَابِينُ، وَتُقَدَّمُ الهَدَايَا والعَطَايَا، وَيَتَزَاوَرُ الأَهْلُ والأَرْحَامُ والجِيرَانُ.

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إلا اللهُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

مَن فَهِمَ حِكْمَةَ العِيدِ بَادَرَ إلى الخَيْرِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن أَدْرَكَ العِيدَ، وَفَهِمَ الحِكْمَةَ من تَشْرِيعِ العِيدِ، بَادَرَ إلى الخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ إلى ذلكَ سَبِيلاً، وَأَكْثَرَ من ذِكْرِ اللهِ تعالى بُكْرَةً وَأَصِيلاً.

الفَرْحَةُ بالعِيدِ لا تَكُونُ إلا بَعْدَ تَمَامِ الطَّاعَةِ، حَيْثُ يَسْتَبْشِرُ العَبْدُ بِعُقْبَى العِبَادَةِ، فَعِيدُ الفِطْرِ بَعْدَ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَعِيدُ الأَضْحَى بَعْدَ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ، قَالَ تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إلا اللهُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

تَحْرِيمُ الدِّمَاءِ والأَمْوَالِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن فَرِحَ بالعِيدِ بَادَرَ إلى الخَيْرِ، والخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ في سَمَاعِ هَدْيِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، فَفِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَقَفَ الحَبِيبُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ في تِلْكَ الجُمُوعِ الغَفِيرَةِ من حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، حَيْثُ وَدَّعَ النَّاسَ فِيهَا، وَبَيَّنَ لَهُم قَوَاعِدَ الدِّينِ، وآدَابَ

المِلَّةِ، وَحَذَّرَ من عَادَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، فَكَانَ من هَدْيِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ:

«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ــ قَالَ: مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ ــ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّاراً أَوْ ضُلَّالاً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا أَهْلَ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، يَا مَن آمَنْتُمْ باللهِ تعالى وبَاليَوْمِ الآخِرِ، يَقُولُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ». فَهَلْ هَيَّأْتُمُ الجَوَابَ عَن سَفْكِ الدِمَاءِ، والتَّعَدِّي على الأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ؟

اللهُ أَكبَرُ، اللهُ أَكبَرُ، اللهُ أَكبَرُ، لا إِلَهَ إلا اللهُ، اللهُ أَكبَرُ، اللهُ أَكبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

أَدَاءُ الأَمَانَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من هَدْيِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَن ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ.

أَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا، وَإِيَّاكُم وَجُحُودَ الأَمَانَاتِ، وَإِيَّاكُم وَتَضْيِيعَ الأَمَانَاتِ، فَأَهْلُ بَيْتِكَ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ، رَبِّهِم على الخَيْرِ والكَمَالِ، وَرَعِيَّتُكَ يَا أَيُّهَا الرَّاعِي أَمَانَةٌ

عِنْدَكَ، فَإِيَّاكَ والغِشَّ لِرَعِيَّتِكَ، قَالَ تعالى مُحَذِّرَاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إلا اللهُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

تَحْرِيمُ الرِّبَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، من هَدْيِهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «وَإِنَّ كُلَّ رِبَاً مَوْضُوعٌ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ؛ قَضَى اللهُ أَنَّهُ لَا رِبَا، وَإِنَّ رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ» كذا جَاءَ في سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ.

ولا تَخفَى عَلَيْكُم حُرْمَةُ الرِّبَا، بِنُصُوصِهِ الجَلِيَّةِ التي تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الجُلُودُ، وَتَرْتَجِفُ من هَوْلِهَا قُلُوبُ المُؤْمِنِينَ، فَهُوَ مُدَمِّرٌ للدِّينِ، وَمُهْلِكٌ للاقْتِصَادِ، وَقَاطِعٌ لِأَوَاصِرِ الأُخُوَّةِ، وَفِيهِ المُحَارَبَةُ لِرَسُولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إلا اللهُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

خاتِمَةٌ ـــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، وفِي الخِتَامِ، لَقَد حَذَّرَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ من الشَّيْطَانِ، فقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ» كذا جَاءَ في سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن تَتَقَرَّبُونَ إلى اللهِ تعالى بالأَضَاحِي، حَرِّضُوا الأُمَّةَ على حَقْنِ الدِّمَاءِ، وعلى أَدَاءِ الأَمَانَاتِ، وَعَدَمِ اسْتِحْلالِ الأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، واحْذَرُوا شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ، الذينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمُ الدَّوَائِرَ، الذينَ هَمُّهُم بَثُّ الفَسَادِ والإِفْسَادِ وسَفْكُ الدِّمَاءِ وسَلْبُ الأَمْوَال، فالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِمَّنْ أَرَادَ تَفْرِيقَ الشَّمْلِ وَتَمْزِيقَ الكَلِمَةِ.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى تَفْرِيجَ الكَرْبِ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ. آمين.

** ** **

٤٥٧ـ خطبة الجمعة: الثبات على الحق حتى الممات

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عِبَادَ اللهِ، لِكُلِّ حَيٍّ من البَشَرِ نِهَايَةٌ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ خَاتِمَةٌ، فَيَا شَقَاءَ من كَانَتْ خَاتِمَتُهُ إلى سُوءٍ وَعَذَابٍ، وَيَا سَعَادَةَ مَن كَانَتْ خَاتِمَتُهُ إلى هُدَىً وَصَوَابٍ، وَأَتَاهُ اليَقِينُ وَهُوَ في حَالَةِ تَعْظِيمٍ للهِ تعالى وَلِشَعَائِرِهِ، وَفي شَوْقٍ لأَنْ يَلْحَقَ المُتَّقِينَ

الأَبْرَارَ، وكَانَ مِمَّن خُوطِبَ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

الاسْتِقَامَةُ لَيْسَ لَهَا غَايَةٌ إلا المَوْتُ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن كَانَ حَرِيصاً على حُسْنِ الخَاتِمَةِ كَانَ مُسْتَقِيماً على العِبَادَةِ، والاسْتِقَامَةُ على العِبَادَةِ لَيْسَ لَهَا غَايَةٌ إلا المَوْتُ، الاسْتِقَامَةُ على العِبَادَةِ لا تَخْتَصُّ بِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، ولا بِمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ، ولا بِمَرْحَلَةٍ دُونَ مَرْحَلَةٍ من العُمُرِ، يَقُولُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: أَبَى قَوْمٌ المُدَاوَمَةَ، واللهِ ما المُؤْمِنُ بالذي يَعْمَلُ شَهْرَاً أَو شَهْرَيْنِ أَو عَامَاً أَو عَامَيْنِ، لا واللهِ مَا جَعَلَ اللهُ لِعَمَلِ المُؤْمِنِ أَجَلاً دُونَ المَوْتِ.

قَالَ تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحْنُ اليَوْمَ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ إلى الالْتِزَامِ بالعُبُودِيَّةِ للهِ تعالى، والعِبَادَةِ لَهُ، وإذا كَانَ شَبَابُنَا اليَوْمَ يُسَافِرُونَ إلى بِلادِ الكُفْرِ تَحْتَ اسْمِ الهِجْرَةِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَهُم: اِسْمَعُوا حَدِيثَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ» رواه الإمام مسلم عَن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ، إذا اضْطَرَبَتِ الأُمُورُ واخْتَلَّتْ، وَتَزَعْزَعَ كَيَانُ النَّاسِ، بِسَبَبِ الهَرْجِ والمَرْجِ والفِتَنِ، فَإِنَّ صِلَتَنَا باللهِ تعالى، وَعِبَادَتَنَا لَهُ في تِلْكَ الحَالَةِ دَلِيلٌ على قُوَّةِ الإِيمَانِ في قُلُوبِنَا، فالوَاجِبُ عَلَيْنَا مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ قَاسِيَةً أَنْ نَنْشَغِلَ بالعِبَادَةِ

للهِ تعالى، وهذهِ العِبَادَةُ فِي هذهِ الأَيَّامِ كَالهِجْرَةِ إلى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

يَا عِبَادَ اللهِ، النَّاسُ فِي الفِتَنِ وَأَيَّامِ الهَرْجِ يَنْشَغِلُونَ بالقِيلِ والقَالِ، ويَنْشَغِلُونَ عَن العِبَادَةِ للهِ تعالى، ولا يَتفرَّغُونَ لَهَا، يَنْشَغِلُونَ بِمُتَابَعَةِ القَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ، والإِذَاعَاتِ العَالَمِيَّةِ، وَيَكُونُ هَمُّ الوَاحِدِ مِنْهُم، ماذا حَدَثَ؟ وماذا جَرَى؟ وماذا سَيَكُونُ؟

أَسْبَابُ الثَّبَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، مَا أَحْوَجَنَا وَنَحْنُ نَعِيشُ أَيَّامَ الغُرْبَةِ، وَزَمَنَ الفِتْنَةِ، أَنْ نَتَعَرَّفَ على أَسْبَابِ الثَّبَاتِ على دِينِ اللهِ تعالى، وأَسْبَابَ الثَّبَاتِ على الاسْتِقَامَةِ حَتَّى يَأْتِيَنَا المَوْتُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ.

مَا أَحْوَجَنَا إلى مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الثَّبَاتِ فِي زَمَنٍ تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ، فَيُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً، القَلْبُ هُوَ أَكْثَرُ الجَوَارِحِ تَقَلُّباً، وَمَرَدُّ الهِدَايَةِ والثَّبَاتِ إِلَيْهِ.

روى الإمام أحمد والحاكم عن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْراً وَلَا شَرّاً حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ، يَعْنِي بَعدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابَاً مِن الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيَاً».

وروى الإمام أحمد عَن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، يُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرَاً لِبَطْنٍ».

أولاً: الاعْتِصَامُ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، أَهَمُّ الأَسْبَابِ التي تُثَبِّتُ على الحَقِّ، وتَجلِبُ للمُؤْمِنِ مَحَبَّةَ الخَلْقِ، الاعْتِصَامُ بِكِتَابِ اللهِ تعالى، وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، وَلَقَد دَعَانَا إلى ذلكَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنِّي قَد تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ» رواه الحاكم عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فَمَنِ الْتَزَمَ بالوَحْيَيْنِ كَانَ ثَابِتَاً على الحَقِّ، وَمَن هَجَرَهُمَا انْحَرَفَ وَوَقَعَ فِي الضَّلالِ.

ثانياً: مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ على الاسْتِقَامَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، ومن أَسْبَابِ الثَّبَاتِ على الحَقِّ، مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ، قَالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْـمُحْسِنِينَ﴾. فهذا وَعْدٌ من اللهِ تعالى أَنْ يَهْدِيَ الذينَ جَاهَدُوا أَنْفُسَهُم للسَّبِيلِ الأَقْوَمِ الذي يُقَرِّبُهُم إلى اللهِ تعالى، وَهُنَاكَ وَعْدٌ آخَرُ، هُوَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْـمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْـجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

يَا عِبَادَ الله، مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ أَمْرٌ عَزِيزٌ وَلَيْسَ بالهَيِّنِ، يَحْتَاجُ إلى صَبْرٍ وَمُصَابَرَةٍ، وَصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرَاً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتَاً * وَإِذَاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرَاً عَظِيمَاً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطَاً مُسْتَقِيمَاً * وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقَاً * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمَاً﴾.

والقَائِلُ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾.

يُثَبِّتُهُم رَبُّنَا عزَّ وجلَّ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا على الخَيْرِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، وفي الآخِرَةِ يُثَبِّتُهُم عِنْدَ سُؤَالِ المَلَكَيْنِ في القَبْرِ.

ثالثاً: الدُّعَاءُ والإِلْـحَاحُ على الله بالثَّبَاتِ:

يَا عِبَادَ الله، من أَسْبَابِ الثَّبَاتِ على الحَقِّ الدُّعَاءُ والإِلْـحَاحُ على الله بالثَّبَاتِ، فالدُّعَاءُ يَكُونُ سَبَبَاً للهِدَايَةِ أَصْلاً ﴿اهْدِنَا الـصِّرَاطَ الْـمُسْتَقِيمَ﴾. وَيَكُونُ عَامِلاً للثَّبَاتِ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

القُلوبُ بَيْنُ أُصْبُعَيْنِ من أَصَابعِ الرَّحْمَنِ، وَهِيَ أَوْعِيَةٌ للهِدَايَةِ، وَقَد تَكُونُ أَوْعِيَةً للغِوَايَةِ، روى الإمام أحمد عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ».

وَكَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ».

خاتِمَةٌ ــ نسألُ اللهَ تعالى حُسنَ الخاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لِكُلِّ حَيٍّ من البَشَرِ نِهَايَةٌ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ خَاتِمَةٌ، فَأَلِحُّوا على اللهِ تعالى، لا سِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ الإِجَابَةِ، أَنْ يُثَبِّتَنَا اللهُ تعالى بالقَوْلِ الثَّابتِ حَتّى يَأْتِيَنَا اليَقِينُ، وَيَنْطَبِقَ عَلَيْنَا قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بالثَّبَاتِ على الحَقِّ حَتّى المَمَاتِ. آمين.

** ** **

٤٥٨ـ خطبة الجمعة: أسباب تفريج الكربات (١)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

المَخَاوِفُ من المُسْتَقْبَلِ المَجْهُولِ كَثِيرَةٌ، والأَمَانُ مِنْهَا يَكُونُ فِي التَّوَكُّلِ على اللهِ تعالى وَحْدَهُ، وفي الرِّضَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، الخَوْفُ من وُقُوعِ الكَوَارِثِ والشَّدَائِدِ والمِحَنِ هُوَ بِحَدِّ ذَاتِهِ كَارِثَةٌ، وَقَد يَكُونُ الخَوْفُ أَشَدَّ أَلَماً من وُقُوعِ الكَوَارِثِ والشَّدَائِدِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، مَن خَافَ مِن المُسْتَقْبَلِ المَجْهُولِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. فَإِنَّ مَن تَذَكَّرَ هذهِ الآيَةَ والْتَزَمَهَا سُلُوكَاً وعَمَلاً نَفَى اللهُ عَنْهُ الخَوْفَ مِمَّا هُوَ أَمَامَهُ، كَمَا أَنَّهُ يَنْفِي عَنْهُ الحُزْنَ على مَا خَلْفَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَتَتْهُ البَشَائِرُ، فَكَانَ من المُتَفَائِلِينَ لا من المُتَشَائِمِينَ.

هَنِيئَاً لأَصْحَابِ القُلُوبِ الرَّحِيمَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ إلى جَانِبِ هذا بِأَنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا لا تَخْلُو من المُنَغِّصَاتِ والمُكَدِّرَاتِ، فَأَحْوَالُهَا مُتَبَدِّلَةٌ، وَتَصَارِيفُهَا مُتَغَيِّرَةٌ، تُضْحِكُ وَتُبْكِي، وَتُفْرِحُ وَتُحْزِنُ، وَلَكِنَّ فَرَحَهَا وَحُزْنَهَا لا يَدُومَانِ.

هذهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا عُرْضَةٌ للرَّزَايَا والبَلايَا والكُرُبَاتِ، فلا يَسْلَمُ مِنْهَا غَنِيٌّ بِغِنَاهُ، ولا حَاكِمٌ بِحُكْمِهِ، ولا قَوِيٌّ بِقِوَاهُ، ولا حَكِيمٌ بِحِكْمَتِهِ، ومن رَحْمَةِ اللهِ تعالى بِعِبَادِهِ

أَنَّهُ هَيَّأَ أُنَاسَاً ذَوِي قلُوبٍ رَحِيمَةٍ، وَنُفُوسٍ كَرِيمَةٍ، يَتَحَمَّلُونَ المَصَاعِبَ وَيَتَجَشَّمُونَهَا وَيُشَمِّرُونَ عِنْدَ كُلِّ نَازِلَةٍ، يَقْضُونَ حَوَائِجَ الْمُحْتَاجِينَ، وَيُعِينُونَ البَائِسِينَ والمَسَاكِينَ، يَعِيشُونَ هؤلاءِ حَيَاتَهُمُ الدُّنْيَا للنَّاسِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعِيشُونَ لأَنْفُسِهِم، هؤلاءِ هُم صَفْوَةُ البَشَرِ بَعْدَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، هؤلاءِ يَعِيشُونَ نُجَبَاءَ، وَيَمُوتُونَ عُظَمَاءَ، هؤلاءِ شَغَلَتْهُم هُمُومُ النَّاسِ عن هُمُومِ أَنْفُسِهِم، هؤلاءِ هُم أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ تعالى، روى الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينَاً، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعَاً، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ــ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ ــ شَهْرَاً، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنَاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ، أَثْبَتَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ».

فَهَنِيئَاً لأَصْحَابِ القُلُوبِ الرَّحِيمَةِ، وَخَاصَّةً في هذهِ الأَزْمَةِ، هَنِيئَاً لَهُم عِنْدَمَا يُخْلِصُونَ بِأَعْمَالِهِم لِيَنَالُوا الأَجْرَ العَظِيمَ يَوْمَ القِيَامَةِ.

أَسْبَابُ تَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، يَا مَن تَخَافُونَ من المُسْتَقْبَلِ المَجْهُولِ، عَلَيَّ وَعَلَيْكُم بِذِكْرِ اللهِ تعالى والاسْتِقَامَةِ، ومن الاسْتِقَامَةِ أَنْ نَسْلُكَ سُبُلَ تَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ، من هذهِ السُّبُلِ:

أَولاً: تَقْوَى اللهِ تعالى:

يَا عِبَادَ اللهِ، من أَعْظَمِ أَسْبَابِ تَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ تَقْوَى اللهِ عزَّ وجلَّ، وَتَقْوَى اللهِ تعالى تَعْنِي فِعْلَ المَأْمُورَاتِ، وَتَرْكَ المَحْظُورَاتِ، فِعْلَ مَا أَمَرَ، وَتَرْكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، قَالَ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخرَجاً﴾ مِن كُلِّ أَمْرٍ ضَاقَ على النَّاسِ. وَعَنْهُ؛ قال: إذا اتَّقَى اللهَ في الطَّلاقِ على وَجْهِ السُّنَّةِ بِأَنْ طَلَّقَ وَاحِدَةً جعَلَ لَهُ مَخرَجاً مِنْهُ في جَوَازِ الرَّجْعَةِ؛ وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلَاً أَتَاهُ وَقَالَ: إِنَّ عَمِّي طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَاً، فَهَلْ لَهُ مَخْرَجٌ؟

فَقَالَ: إِنَّ عَمَّكَ عَصَى اللهَ فَأَثِمَ وَأَطَاعَ الشَّيْطَانَ فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً.

وَفِي بَعْضِ الأَخْبَارِ بِرِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ في قَوْلِهِ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخرَجاً﴾. قَالَ: من غُمُومِ الدُّنْيَا وَغَمَرَاتِ المَوْتِ وَشَدَائِدِ الآخِرَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. أَي: من حَيْثُ لا يَرْجُو ولا يَأْمَلُ.

ثانياً: تَنْفِيسُ الكُرَبِ عَن المَكْرُوبِينَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من أَسْبَابِ كَشْفِ الكُرُبَاتِ، تَنْفِيسُ الكُرَبِ عَن المَكْرُوبِينَ، وَتَنْفِيسُ الهَمِّ عَن المَهْمُومِينَ، وَمُوَاسَاةُ المَحْرُومِينَ، والعَطْفُ على اليَتَامَى والمَسَاكِينِ، روى الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ.

فَقَالَ: آللهِ؟

قَالَ: آللهِ.

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ».

وروى الإمام البخاري عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ثالثاً: الدُّعَاءُ للهِ تعالى:

يَا عِبَادَ اللهِ، من أَسْبَابِ كَشْفِ الكُرُبَاتِ الدُّعَاءُ للهِ تعالى، فَهُوَ من أَجَلِّ الأَسْبَابِ التي تَدْفَعُ النِّقَمَ، وَتَكْشِفُ الكُرَبَ، وَتَجْعَلُ العُسْرَ يُسْرًا، قَالَ تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

الدُّعَاءُ للهِ تعالى هُوَ حِصْنُ المُؤْمِنِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَمَلاذُ الخَائِفِ عِنْدَ النَّوَازِلِ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، عِلاجُ الخَوْفِ من المُسْتَقْبَلِ بِذِكْرِ اللهِ تعالى مَعَ الاسْتِقَامَةِ على أَمْرِ اللهِ تعالى، وَبِتَنْفِيسِ الكُرَبِ عن المَكْرُوبِينَ، وَبِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ للهِ تعالى، وَلْيَذْكُرْ كُلٌّ مِنَّا دُعَاءَ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وماذا كَانَتْ نَتِيجَةُ هذا الدُّعَاءِ؟ قَالَ تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.

وَدُعَاءَ سَيِّدِنَا يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وماذا كَانَتْ نَتِيجَةُ هذا الدُّعَاءِ؟ قَالَ تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يُعَجِّلَ بِتَفْرِيجِ الكَرْبِ، وجَمْعِ شَمْلِ الأُمَّةِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٥٩ـ خطبة الجمعة: أسباب تفريج الكربات (٢)

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لا تَجْزَعُوا مِمَّا أَصَابَكُم ولا تَحْزَنُوا، فَإِنَّ ذلكَ لا يَرُدُّ فَائِتَاً، الجَزَعُ والحُزْنُ لا يَرُدُّ مَن مَاتَ، ولا يَرُدُّ مَالاً، ولا يَرُدُّ بَيْتَاً ولا مَحَلّاً ولا مَزْرَعَةً ولا مَصْنَعَاً، الجَزَعُ والحُزْنُ لا يَرُدُّ هَمَّاً بَلْ يَزِيدُهُ، ولا يُخْرِجُ من كَرْبٍ بَلْ يَزِيدُهُ، ولا يُبَدِّلُ وَاقِعَاً، فَاتْرُكُوا الجَزَعَ والحُزْنَ والهَمَّ، وَاسْتَعِينُوا باللهِ تعالى وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَاً﴾.

أَسْبَابُ تَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، خُذُوا بِأَسْبَابِ تَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ، من أَسْبَابِ تَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ تَقْوَى اللهِ عزَّ وجلَّ، وَتَنْفِيسُ الكُرَبِ عن المَكْرُوبِينَ، والدُّعَاءُ للهِ عزَّ وجلَّ.

يَقُولُ سَيِّدُنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إِنَّ من شَأْنِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبَاً، وَيَكْشِفَ كَرْبَاً، وَيَرْفَعَ أَقْوَامَاً، وَيَضَعَ آخَرِينَ.

رابعاً: كَثْرَةُ الاسْتِغْفَارِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، من أَسْبَابِ تَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ كَثْرَةُ الاسْتِغْفَارِ، فَقَد جَاءَ عَن الصَّادِقِ المَصْدُوقِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ قَوْلُهُ: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ

اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» رواه أَبو داود وابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما.

وقَالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. بالاسْتِغْفَارِ تَنْزِلُ رَحْمَةُ اللهِ تعالى، قَالَ تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، الاسْتِغْفَارُ جَالِبٌ للخَصْبِ والبَرَكَةِ وَكَثْرَةِ النَّسْلِ والنَّمَاءِ، قَالَ تعالى حِكَايَةً عَن سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ لِقَوْمِهِ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، الاسْتِغْفَارُ سَاتِرٌ للذُّنُوبِ وَمُزِيلٌ لَهَا، وَبِقَدْرِ مَا يَكُونُ الإِيمَانُ والصَّلاحُ والاسْتِغْفَارُ تَكُونُ الخَيْرَاتُ والبَرَكَاتُ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

<u>اِسْتِغْفَارٌ مَعَ إِصْرَارٍ لُؤْمٌ وَكَذِبٌ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ، الاسْتِغْفَارُ يَحْتَاجُ إلى إِقْلاعٍ عن الذَّنْبِ والمَعْصِيَةِ وَإِعَادَةِ الحُقُوقِ لأَصْحَابِهَا، يَقُولُ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: اِسْتِغْفَارٌ بِلا إِقْلاعٍ تَوْبَةُ الكَذَّابِينَ؛ وَيُقَارِبُهُ مَا جَاءَ عَن رَابِعَةَ العَدَوِيَّةِ: اِسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إلى اسْتِغْفَارٍ كَثِيرٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لِنَسْتَغْفِرِ اللهِ تعالى بِصِدْقٍ، وَلْنَنْظُرْ بَعْدَ ذلكَ إلى ثَمَرَةِ هذا الاسْتِغْفَارِ، لأَنَّ وَعْدَ اللهِ تعالى حَقٌّ، وَوَعْدَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ صِدْقٌ.

يَا عِبَادَ اللهِ، لا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَكُونَ من الكَذَّابِينَ ولا من اللِّئَامِ؛ فَقَد جَاءَ عَن بَعْضِ الأَعْرَابِ أَنَّهُ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ اسْتِغفَارِيَ مَعَ إِصْرَارِي لُؤْمٌ، وَإِنَّ تَرْكِيَ الاسْتِغْفَارَ مَعَ عِلْمِي بِسَعَةِ عَفْوِكَ لَعَجْزٌ، فَكَمْ تَتَحَبَّبُ إِلَيَّ بالنِّعَمِ مَعَ غِنَاكَ عَنِّي، وَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ بالمَعَاصِي مَعَ فَقْرِي إِلَيْكَ، يَا مَن إِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا تَوَعَّدَ تَجَاوَزَ وَعَفَا، أَدْخِلْ عَظِيمَ جُرْمِي في عَظِيمِ عَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله، إذا كُنَّا نَنْشُدُ السَّعَادَةَ، وَتَفْرِيجَ الكُرَبِ، وإِذْهَابَ الهَمِّ والغَمِّ، عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَزِمَ هَدْيَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ بِصِدْقٍ، وَأَنْ نَسْتَحْضِرَ قَوْلَهُ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ».

يَا عِبَادَ اللهِ، اِسْتَغْفِرُوا اللهَ تعالى بِصِدْقٍ، وَأَعِيدُوا الحُقُوقَ لأَصْحَابِهَا، وَقُولُوا لِقَاتِلِ الأَبْرِيَاءِ، وَسَافِكِ الدِّمَاءِ، وَسَالِبِ الأَمْوَالِ، وَالمُحَرِّضِ على إِذْكَاءِ نَارِ الحَرْبِ: تُبْ إلى اللهِ تعالى، وَاسْتَغْفِرْهُ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ ولا يَنْفَعَكَ النَّدَمُ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْبَةً صَادِقَةً نَصُوحَاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٦٠ـ خطبة الجمعة: بداية الخلاص

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مَا أَحْوَجَنَا وَنَحْنُ نَعِيشُ هذهِ الأَزْمَةَ، وهذا الزَّمَنَ العَصِيبَ، وهذهِ الشَّدَائِدَ والمَصَائِبَ، وهذهِ الهُمُومَ والأَحْزَانَ والأَكْدَارَ، أَنْ نَتَعَلَّمَ الأَمَلَ من سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، الذي كَانَ يَغْرِسُ الأَمَلَ في قُلُوبِ أَصْحَابِهِ، فكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَسْبَابُ، كُلَّمَا زَادَهُم في الأَمَلِ.

الفَرَجُ يَأْتِي من قَلْبِ المِحْنَةِ:

يَا عِبَادَ الله، الفَرَجُ من الله تعالى يَأْتِي من حَيْثُ لا نَحْتَسِبُ ولا نُقَدِّرُ، يأتِي اللهُ بالفَرَجِ من عِنْدِهِ، وَيَأْتِي بالنَّصْرِ من قَلْبِ المِحْنَةِ، وَيَأْتِي بالنُّورِ من كَبِدِ الظَّلْمَاءِ، فاللهُ تَبَارَكَ وتعالى هُوَ المُؤَيِّدُ والحَافِظُ والنَّاصِرُ والمُعِينُ، وَإِذَا أَرَادَ أَمْرَاً هَيَّأَ لَهُ أَسْبَابَهُ، والبَشَرُ عَاجِزُونَ أَمَامَ مَوْعُودِ اللهِ تعالى.

يَا عِبَادَ الله، لَقَد طَافَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ على القَبَائِلِ، وقَصَدَ رُؤَسَاءَهُم، وَتَوَجَّهَ بالدَّعْوَةِ إلى وُجَهَائِهِم، وَاسْتَمَرَّ على ذلك عَشْرَ سَنَوَاتٍ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَجِدَ عِنْدَ أَصْحَابِ الجَاهِ والمَنَعَةِ نُصْرَةً وَتَأْيِيدَاً،

وَكَانَ يُخَاطِبُ الجَمِيعَ بِقَوْلِهِ: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ» رواه الإمام أحمد عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فَلَمْ يَجِدْ آذَانَاً صَاغِيَةً، بَلْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ قَادِمَاً من أَيِّ بَلَدٍ كَانَ، يَقُولُ لَهُ القَوْمُ: اِحْذَرْ غُلامَ قُرَيْشٍ لا يَفْتِنْكَ.

وَقَالَ لَهُ يَوْمَاً زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَخْرَجُوكَ؟ يَعْنِي قُرَيْشَاً.

فَقَالَ: «يَا زَيْدُ، إِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرْجَاً وَمَخْرَجَاً، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرٌ دِينَهُ، وَمُظْهِرٌ نَبِيِّهُ».

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُولَى:

يَا عِبَادَ اللهِ، لَقَد جَاءَ الفَرَجُ من قَلْبِ المِحْنَةِ، وَجَاءَ النُّورُ من وَسَطِ الظَّلامِ، بَعْدَ سَنَوَاتٍ وعلى يَدِ سِتَّةِ نَفَرٍ من أَهْلِ يَثْرِبَ من الخَزْرَجِ.

يَقُولُ سَيِّدُنَا جَابِرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ــ وَكَانَ أَحَدَ السِّتَّةِ ــ: حَتَّى بَعَثَنَا اللهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِن الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ.

ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعَاً، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟

فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلَاً، حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، حَتَّى تَوَافَيْنَا.

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُبَايِعُكَ.

قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ» رواه الإمام أحمد.

يَا عِبَادَ اللهِ، لَقَد كَانَتْ بِدَايَةُ الخَلاصِ بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ على يَدِ سِتَّةِ نَفَرٍ لا حَوْلَ لَهُم ولا قُوَّةَ، فَهَلْ نُدْرِكُ هذا المَعْنَى؟ وَهَلْ يُدْرِكُ الغَارِقُونَ في الأَسْبَابِ، والشَّاكُّونَ في قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، والمُتَشَائِمُونَ اليَائِسُونَ من فَرَجٍ قَرِيبٍ لهذِهِ الأُمَّةِ المَنْكُوبَةِ المَغْلُوبَةِ على أَمْرِهَا؟

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحْنُ في بِدَايَةِ عَامٍ هِجْرِيٍّ جَدِيدٍ أَقْبَلَ عَلَيْنَا مُحَمَّلًا بِمَا فِيهِ، وعلى أَعْقَابِ عَامٍ هِجْرِيٍّ مَضَى مُوَدِّعٍ بِمَا اسْتَوْدَعْنَاهُ فِيهِ من أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ، بَيْنَ عَامٍ مَضَى، وَعَامٍ أَقْبَلَ، نَقِفُ لِنَتَذَكَّرَ هِجْرَةَ سَيِّدِنَا المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، وَنَسْتَنْبِطَ مِنْهَا الأَمَلَ وَنَحْنُ نَعِيشُ هذا الأَلَمَ.

لَقَد عَزَمَتْ قُرَيْشٌ على قَتْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، وَاجْتَمَعُوا على بَابِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ يَرْصُدُونَهُ مَتَى نَامَ لِيَثِبُوا عَلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَأَحَاطُوا بِهِ

إِحَاطَةَ السِّوَارِ بالمِعْصَمِ، ومن حَيْثُ السَّبَبُ المَادِّيُّ يَقْطَعُ أَهْلُ الأَسْبَابِ بِهَلاكِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

ولَكِنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ عَلَّمَنَا كَيْفَ يَكُونُ الأَمَلُ في وَسَطِ الأَلَمِ، وكَيْفَ يَكُونُ التَّوَكُّلُ على اللهِ تعالى القَائِلِ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِمَنْ تَعَلَّقَ بالأَسْبَابِ وَظَنَّ أَنَّهَا شَرِيكَةٌ مَعَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. ﴿واللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

لَقَد خرَجَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ من بَيْنِ أَظْهُرِهِم، وَهُوَ يَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. لَقَد خرَجَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ الأَسِيرُ المُحَاصَرُ يَذُرُّ التُّرَابَ على رُؤُوسِ المُسْتَكْبِرِينَ الذينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ، وكَأَنَّ هذا التُّرَابَ رَمْزُ الفَشَلِ والخَيْبَةِ لأَصْحَابِ الاسْتِكْبَارِ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يا عباد الله، كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ بِدَايَةَ الخَلاصِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَبِدَايَةَ الفَرَجِ بَعْدَ الضِّيقِ، وَبِدَايَةَ اليُسْرِ مَعَ العُسْرِ، والأَمْرُ يَحْتَاجُ مِنَّا إلى تَقْوَى وَصَبْرٍ، قَالَ تعالى:

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَجْعَلَ كَيْدَ مَن كَادَ لهذا البَلَدِ في نَحْرِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ تَدْمِيرَهُ في تَدْبِيرِهِ، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٦١ـ خطبة الجمعة: إنه الأمل، إنه التفاؤل

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

هِجْرَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ من مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ إلى المَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ تُعَلِّمُنَا كَيْفَ يَكُونُ الإِنْسَانُ مُتَفَائِلاً وَصَاحِبَ أَمَلٍ مَعَ وُجُودِ الأَلَمِ، وَتُعَلِّمُنَا كَيفَ يَظْهَرُ النُّورُ من رَحِمِ الظَّلامِ، وَكَيْفَ يَخْرُجُ الخَيْرُ من قَلْبِ الشَّرِّ، وَكَيْفَ يَنْبَثِقُ الفَجْرُ من كَبِدِ الأَزَمَاتِ، فَلَيْسَ بَعْدَ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إلا انْبِثَاقُ الفَجْرِ، قَالَ تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. وَقَالَ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ» رواه الحاكم عن الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فَأَبْشِرُوا يَا عِبَادَ اللهِ، وَأَمِّلوا، وَعُودُوا إلى اللهِ تعالى، وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ العَظِيمَ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ.

«مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»:

يَا عِبَادَ اللهِ، اِجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ على قَتْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، وَلَكِنَّهَا فَشِلَتْ، وَانْبَلَجَ الأَمَلُ من قَلْبِ ظُلْمَةٍ سَوْدَاءَ، فَخَرَجَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ من بَيْنِ أَظْهُرِهِم، وَقَد ذَرَّ التُّرَابَ فَوْقَ رُؤُوسِهِم.

يَمْضِي سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يَحُثُّ الخُطَى مَعَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ حَتَّى وَصَلَ إلى جَبَلِ ثَوْرٍ، وَهُوَ جَبَلٌ شَامِخٌ، وَعْرُ الطَّرِيقِ، صَعْبُ المُرْتَقَى، فَحُفِيَتْ قَدَمَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ وَهُوَ يَرْتَقِيهِ، وَيَصِلُ المُطَارِدُونَ إلى بَابِ الغَارِ، وَيَسْمَعُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ والصِّدِّيقُ وَقْعَ أَقْدَامِهِم.

روى الإمام البخاري عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا.

فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا».

يَا عِبَادَ اللهِ، لَقَد غَرَسَ الأَمَلَ مَرَّةً أُخْرَى فِي قَلْبِ المِحْنَةِ، فِي سَاعَةِ القَلَقِ والتَّوَجُّسِ والاضْطِرَابِ والخَوْفِ «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا». وَرَجَعَ المُشْرِكُونَ بَعْدَ أَنْ كَانَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَطْلُوبِهِم خُطُوَاتٍ.

ثَبَاتُ المُؤْمِنِ يَتَجَلّى فِي المَوَاقِفِ الحَرِجَةِ اعْتِمَاداً مِنْهُ على اللهِ تعالى، وَيَقِيناً مِنْهُ بِأَنَّ اللهَ تعالى لَنْ يَتَخَلّى عَنْهُ فِي السّاعَاتِ الحَرِجَةِ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

«كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى؟»:

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحْنُ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ فِي هذهِ الظُّرُوفِ القَاسِيَةِ أَنْ نَقْرَأَ سِيرَةَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، لِنَرَى فِيهَا حَقِيقَةَ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾؟

يَا عِبَادَ اللهِ، مَرَّةً أُخْرَى يَزْرَعُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ الأَمَلَ فِي نُفُوسِ الأُمَّةِ إِذَا كَانَتْ مُتَوَكِّلَةً على اللهِ تعالى، يَزْرَعُ فِي نُفُوسِهَا الأَمَلَ فِي وَسَطِ الأَلَمِ.

خَرَجَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ من الغَارِ، بَعْدَ أَنْ سَلَّمَهُ اللهُ تعالى من المُشْرِكِينَ الذينَ وَصَلُوا إلى بَابِ الغَارِ، وَيَلْحَقُ بِهِم سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ طَامِعاً فِي جَائِزَةِ قُرَيْشٍ مُؤَمِّلاً أَنْ يَنَالَ مِنْهَا مَا عَجَزَتْ قُرَيْشٌ كُلُّهَا، فَطَفِقَ يَشْتَدُّ حَتّى دَنَا مِنْهُمَا، وَسَمِعَ قِرَاءَةَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ.

فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ».

فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ إلى بَطْنِهَا في أَرْضٍ صَلْدٍ، وَوَثَبَ عَنْهَا وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَد عَلِمْتُ أَنَّ هذا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُنْجِيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَوَاللهِ لَأُعَمِيَنَّ على مَن وَرَائِي من الطَّلَبِ، وهذهِ كِنَانَتِي فَخُذْ مِنْهَا سَهْمَاً، فَإِنَّكَ سَتُمُرُّ بِإِبِلِي وَغَنَمِي بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ: «لا حَاجَةَ لِي فِيهَا» وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ وَرَجَعَ إلى أَصْحَابِهِ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ــ:

يا عباد الله، لا يَلِيقُ بالإِنْسَانِ المُؤْمِنِ الذي عَرَفَ رَبَّهُ أَنَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَنْ يَعِيشَ حَيَاةَ اليَأْسِ والقُنُوطِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ حَيَاةَ الوَاثِقِ بِرَبِّهِ القَائِلِ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَاً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَاً﴾. بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ حَيَاةَ المُتَفَائِلِ، لا المُتَشَائِمِ، فهذا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ يَقُولُ لِسُرَاقَةَ الذي لَحِقَهُ، وَهُوَ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ المُطَارَدُ: ««كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى؟»».

فَيَقُولُ لَهُ: سِوَارَيْ كِسْرَى بْنِ هُرمُزَ؟

قَالَ: «نَعَم».

يَا عِبَادَ اللهِ، إِنَّهُ الإِيمَانُ، إِنَّهُ الأَمَلُ، إِنَّهُ التَّفَاؤُلُ، إِنَّهُ التَّصْدِيقُ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿واللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وبِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، عَلَيَّ وَعَلَيْكُم بِدُعَاءِ عَطَاءٍ الخُرَاسَانِيِّ: اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا يَقِينًا مِنْكَ حَتَّى تُهَوِّنَ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَحَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهُ لا يُصِيبُنَا إلا مَا كَتَبْتَ عَلَيْنَا، وَلا يُصِيبُنَا مِنْ هذا الرِّزْقِ إلا مَا قَسَمْتَ لَنَا.

يَا رَبِّ زِدْ فِي إِيمَانِنَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

٤٦٢ـ خطبة الجمعة: الصلاح ليس كفيلاً للنجاة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لَوْ رَجَعْنَا إلى سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَ الرِّسَالَةِ، فَإِنَّا نَجِدُ بِأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ صَالِحًا، وَبَعْدَ الرِّسَالَةِ صَارَ مُصْلِحًا.

قَبْلَ الرِّسَالَةِ كَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَتَصِفُهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ، فَهُوَ عِنْدَهُمُ الصَّادِقُ الأَمِينُ، الْمُتَّصِفُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ،

وَبَعْدَ الرِّسَالَةِ تَغَيَّرَتِ المَوَاقِفُ ــ لأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَدَأَ يَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، وَخَالَفَ أَهْوَاءَ قَوْمِهِ ــ تَغَيَّرَتِ المَوَاقِفُ وَاتَّهَمُوا سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِصِفَاتٍ مُغَايِرَةٍ، والمَطْلُوبُ من المُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ صَالِحَاً وَمُصْلِحَاً.

سَبِيلُ النَّجَاةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، لا سَبِيلَ للنَّجَاةِ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ من كَوَارِثَ وَقَوَارِعَ إلا باللُّجُوءِ إلى اللهِ تعالى، وَتَجْدِيدِ التَّوْبَةِ والاسْتِغْفَارِ، وَسُلُوكِ سَبِيلِ الإِصْلاحِ، وذلكَ بالأَمْرِ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، بِلادٌ تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، بِلادٌ مَحْمِيَّةٌ من عَذَابِ اللهِ تعالى، وَمَأْمُونَةٌ بِإِذْنِ اللهِ تعالى، قَالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾. لأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ آمِرٌ بالمَعْرُوفِ، وَنَاهٍ عَنِ المُنْكَرِ، وقَالَ تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إلا قَلِيلَاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

صَمَّامُ أَمَانٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ، صَمَّامُ الأَمَانِ للأُمَّةِ، بِهِ يَدْفَعُ اللهُ النِّقَمَ والكَوَارِثَ والعُقُوبَاتِ العَامَّةِ على الأُمَّةِ، وَبِضَيَاعِهِ تَسْتَوْجِبُ الأُمَّةُ العِقَابَ العَامَّ، وهذا مَا أَكَّدَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

روى الإمام أحمد عَنْ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. وَإِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُنْكِرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ».

الصَّلاحُ لَيْسَ كَفِيلاً للنَّجَاةِ من العُقُوبَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الصَّلاحُ لَيْسَ كَفِيلاً للنَّجَاةِ من العُقُوبَاتِ الإِلَهِيَّةِ، قَالَ تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

الصَّلاحُ لَيْسَ كَفِيلاً لِرَفْعِ الأَزْمَةِ والكُرُبَاتِ والشَّدَائِدِ والمِحَنِ عَن هذهِ الأُمَّةِ، بَلْ الكَفِيلُ هُوَ الصَّلاحُ والإِصْلاحُ، قَالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، الأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عَن المُنْكَرِ، هُوَ الكَفِيلُ في رَفْعِ الغُمَّةِ التي تَعِيشُهَا هذهِ البِلادُ، وإلا تَحَقَّقَ وَعِيدُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. لَمْ يَقُلْ: وَأَهْلُهَا صَالِحُونَ.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يا عباد الله، لِنَسْلُكْ طَرِيقَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي سَلَكَهُ بَعْدَ الرِّسَالَةِ، ألا وَهُوَ الإِصْلاحُ، عَن طَرِيقِ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ،

والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَوْ وَجَدْنَا الأَذَى والتَّهَكُّمَ والاتِّهَامَاتِ، وَلْنَذْكُرْ جَمِيعًا قَوْلَ سَيِّدِنَا لُقْمَانَ لِوَلَدِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ، لا يَقْتَصِرْ أَحَدُنَا على صَلاحِ نَفْسِهِ فَقَط، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى فِي إِصْلاحِ الآخَرِينَ، لَعَلَّ اللهَ تعالى أَنْ يُفَرِّجَ عَنَّا، فالصَّلاحُ وَحْدَهُ لَيْسَ كَفِيلاً بالنَّجَاةِ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، وهذا مَا أَكَّدَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» ــ وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً ــ

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟

قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».

يَا عِبَادَ اللهِ، لَقَد كَثُرَ الخَبَثُ فِي الأُمَّةِ من سَفْكٍ لِلدِّمَاءِ البَرِيئَةِ، وَأَكْلٍ للأَمْوَالِ بالبَاطِلِ، وَأَكْلٍ للرِّبَا، وَانْتِشَارٍ للفَوَاحِشِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وَانْتِشَارٍ للسُّفُورِ والاخْتِلاطِ، وَشُرْبٍ للخُمُورِ والمُخَدِّرَاتِ، إلى غَيْرِهَا من المُنْكَرَاتِ، وَإِنَّا نَبرَأُ إلى اللهِ تعالى من هذهِ المُنْكَرَاتِ كُلِّهَا، وَنَقُولُ بَعْدَ ذلكَ: اللَّهُمَّ إنَّ هذهِ مُنْكَرَاتٌ لا نَرْضَى بِهَا، ولا نَقْدِرُ على رَدِّهَا، فلا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، وَاحْفَظْنَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ المُصْلِحِينَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

463ـ خطبة الجمعة: حتى تنجو الأمة من غضب الله ومقته

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

سَادَاتُنَا الأَنْبِيَاءُ، وعلى رَأْسِهِم سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَمَن سَارَ على دَرْبِهِم بِصِدْقٍ هُمُ الصَّالِحُونَ المُصْلِحُونَ الحَقِيقِيُّونَ، قَالَ تعالى حِكَايَةً عَن سَيِّدِنَا شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

وَأَدْعِيَاءُ الصَّلاحِ والإِصْلاحِ كَثِيرُونَ، لأَنَّ الكَلامَ يُتْقِنُهُ الصَّادِقُ كَمَا يُتْقِنُهُ الكَاذِبُ، حَتَّى رَأَيْنَا المُفْسِدِينَ لا يَتَحَرَّجُونَ من وَصْفِ فَسَادِهِم وَإِفْسَادِهِم بالصَّلاحِ والإِصْلاحِ، بِلا حَيَاءٍ ولا خَجَلٍ، قَالَ تعالى عَنْهُم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقَالَ:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

ظُهُورُ الفَسَادِ في المُجْتَمَعِ:

يا عباد الله: لَقَد ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ والبَحْرِ، وَلَمْ يَبْقَ مُنْكَرٌ من المُنْكَرَاتِ إلا وَقَد ظَهَرَ في المُجْتَمَعِ، من مَظَاهِرِ الفَسَادِ:

أولاً: الكُفْرُ الصَّرِيحُ جِهَاراً نَهَاراً، من سَبِّ اللهِ تعالى، وَسَبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ وهذا من أَعْظَمِ المُنْكَرَاتِ التي تَسْتَحِقُّ المَسْخَ والخَسْفَ بِمُقْتَرِفِهَا، والطَّرْدَ من رَحْمَةِ اللهِ تعالى، إلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلَاً صَالِحَاً.

ثانياً: إِرَاقَةُ الدِّمَاءِ البَرِيئَةِ، وَلَوْ سَأَلْتَ القَاتِلَ: لِمَ قَتَلْتَ؟ لَقَالَ: لا أَدْرِي؛ كَمَا جَاءَ في الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ».

فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟

قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

ثالثاً: اِنْتِشَارُ الفَوَاحِشِ، وَخَاصَّةً جَرِيمَةُ الزِّنَا وَمُقَدِّمَاتُهَا بِدُونِ حَيَاءٍ، وَانْطَبَقَ حَدِيثُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ: «لا

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى تَتَسَافَدُوا في الطُّرُقِ تَسَافُدَ الحَمِيرِ» رواه البزار عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُما. والتَّسَافُدُ: هُوَ إِتْيَانُ الفَاحِشَةِ وَمُقَدِّمَاتِهَا ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ.

رابعاً: فِقْدَانُ الأَمَانَةِ بَيْنَ النَّاسِ في بُيُوعِهِم وَشِرَائِهِم وَمُعَامَلاتِهِم، كَمَا جَاءَ في الحَدِثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: «فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ».

خامساً: اِنْتِشَارُ العُقُوقِ بَيْنَ النَّاسِ، كَمَا جَاءَ في الحَدِثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الإمام الترمذي ــ كَمَا في التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ ــ عَن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا البَلَاءُ ــ وَعَدَّ مِنْهَا ــ وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ».

حَتَّى تَنْجُوَ الأُمَّةُ من غَضَبِ اللهِ تعالى وَمَقْتِهِ:

يا عباد الله: حَتَّى تَنْجُوَ الأُمَّةُ من غَضَبِ اللهِ تعالى وَمَقْتِهِ، لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ صِلَتُهَا مَعَ اللهِ تعالى قَوِيَّةً، وَلَنْ تَكُونَ صِلَتُهَا مَعَ اللهِ قَوِيَّةً إلا إِذَا أَمَرَتْ بالمَعْرُوفِ، وَنَهَتْ عَنِ المُنْكَرِ، وَأُمَّةٌ لا تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ، ولا تَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ أُمَّةٌ تَسْتَحِقُّ اللَّعْنَةَ والعِيَاذُ

باللهِ تعالى، قَالَ تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

يا عباد الله: إنّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم، فَإِذَا بَدَّلُوا في إِيمَانِهِم وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ بَدَّلَ اللهُ عَلَيْهِم أَحْوَالَهُم، فَأَبْدَلَهُم بَدَلَ الأَمْنِ خَوْفَاً، وَبَدَلَ الرِّزْقِ جُوعَاً، وَبَدَلَ الجَمْعِ تَفَرُّقَاً، وَبَدَلَ العِزِّ ذُلّاً.

يا عباد الله: حَتَّى تَنْجُوَ الأُمَّةُ من غَضَبِ اللهِ تعالى وَمَقْتِهِ، لا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ صَالِحَةً مُصْلِحَةً؛ جَرَى زِلْزَالٌ في المَدِينَةِ زَمَنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَقَالَ لَهُم: مَا كَانَ هَذَا لِيَحْدُثَ إلا بِذَنْبٍ، واللهِ لَئِنْ عَادَتْ لا أُسَاكِنُكُم فِيهَا أَبَدَاً؛ قَالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله، هَلُمّوا إلى الصَّلاحِ والإِصْلاحِ، هَلُمّوا إلى الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، هَلُمّوا إلى تَجْدِيدِ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، هَلُمّوا إلى الارْتِبَاطِ باللهِ تعالى، هَلُمّوا إلى مُرَاقَبَةِ اللهِ تعالى القَائِلِ:﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾. والقَائِلِ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾. والقَائِلِ: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. والقَائِلِ: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَاً بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

يا عباد الله: نَحْنُ بِحَاجَةٍ إلى مُرَاقَبَةِ اللهِ تعالى في أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا، روى الطَّبَرَانِيُّ في

الكَبيرِ عَن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِرَاعِي غَنَمٍ، فَقَالَ: يَا رَاعِيَ الْغَنَمِ، هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ

قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَا هُنَا رَبُّهَا.

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ.

فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ؟

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَنَا وَاللهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: فَأَيْنَ اللهُ؟

فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ.

عِنْدَ كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ رَاقِبِ اللهِ تعالى، لَعَلَّ اللهَ تعالى أَنْ يُخْرِجَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٦٤ـ خطبة الجمعة: الشاكرون لا يتزعزعون أيام الفتن

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لَقد أَغْدَقَ اللهُ تعالى عَلَيْنَا من نِعَمِهِ العَظِيمَةِ، وآلائِهِ الجَسيمَةِ، بِمَا لا عَدَّ لَهَا ولا حَصْرَ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾. وَجَمِيعُ هذهِ النِّعَمِ للاخْتِبَارِ والابْتِلاءِ ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾؟ والفِتْنَةُ في السَّرَّاءِ والرَّخاءِ والعَطَاءِ أَعْظَمُ من فِتْنَةِ الضَّرَّاءِ والشِّدَّةِ والمَنْعِ.

يا عباد الله: رَبُّنَا عزَّ وجلَّ قَرَنَ الشُّكْرَ بالإيمَانِ، قَالَ تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾. وَأَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى أَنَّ الشُّكْرَ هُوَ الغَايَةُ من خَلْقِ الإِنْسَانِ، قَالَ تعالى: ﴿واللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. وَجَعَلَ رِضَاهُ تعالى في شُكْرِهِ، قَالَ تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

شُكْرُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ:

يا عباد الله: لَقد جَعَلَ رَبُّنَا عزَّ وجلَّ الأَنْبِيَاءَ والمُرْسَلِينَ قُدْوَةً لِأُمَمِهِم، وَجَعَلَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قُدْوَةً لَنَا، وَلَقد كَانَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِينَ شَاكِرِينَ للهِ تعالى، قَالَ تعالى عَن سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾. وَقَالَ عَن سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ﴾.

بَلْ أَمَرَ اللهُ تعالى عِبَادَهُ بالشُّكْرِ، قَالَ تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً﴾. وَأَمَرَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بذلكَ، فَقَالَ: ﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

يا عباد الله: لَقَد أَوْصَى اللهُ تعالى الإِنْسَانَ بالشُّكْرِ، فقَالَ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

وَوَصِيَّةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ كَانَتِ الشُّكْرَ للهِ تعالى، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُعَاذُ، واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ».

فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» رواه أبو داود عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أَهْلُ الشُّكْرِ لا يَتزَعْزَعُونَ أَيَّامَ الفِتَنِ:

يا عباد الله: أَهْلُ الشُّكْرِ للهِ تعالى هُمْ خِيرَةُ اللهِ من خَلْقِهِ، وَهُمُ الْمُخَصَّصُونَ بِمِنَّتِهِ من بَيْنِ عِبَادِهِ، وَهُمُ الذينَ لا يَتزَعْزَعُونَ أَيَّامَ الفِتَنِ، قَالَ تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

يا عباد الله: لَمَّا عَرَفَ إِبْلِيسُ العَدُوُّ اللَّدُودُ للإِنْسَانِ قَدْرَ الشُّكْرِ وَمَقَامَهُ عِندَ اللهِ تعالى، وَأَنَّهُ من أَجَلِّ العِبَادَاتِ وَأَعْظَمِهَا وَأَعْلاهَا، جعَلَ غَايَتَهُ قَطْعَ النَّاسِ عَن الشُّكْرِ، قَالَ تعالى مُخْبِراً عَنْهُ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.

يا عباد الله: الشُّكْرُ للهِ تعالى أَمَنَةٌ من العَذَابِ، قَالَ تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾.

يا عباد الله: الشَّاكِرُونَ للهِ تعالى لا يَتَزَعْزَعُونَ أَيَّامَ الفِتَنِ وَالمِحَنِ والابْتِلاءَاتِ، لأَنَّهُم على مَوْعِدٍ من اللهِ تعالى بِأَنْ يُنَجِّيَهُم من الفِتَنِ والعَذَابِ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾.

العِصْيَانُ سَبَبٌ لِسَلْبِ النِّعَمِ:

يا عباد الله: العِصْيَانُ للهِ تعالى سَبَبٌ لِسَلْبِ النِّعَمِ، فهؤلاءِ قَوْمُ سَبَأٍ لَمَّا تَنَكَّرُوا لِنِعَمِ اللهِ تعالى وَجَحَدُوا بِهَا، وَقَابَلُوهَا بالعِصْيَانِ سَلَبَهَا اللهُ تعالى مِنْهُم، وَأَذَاقَهُم أَلْوَانًا من العَذَابِ، قَالَ تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾.

وقَالَ تعالى حِكَايَةً عَن أَصْحَابِ الجَنَّةِ الذينَ قَابَلُوا نِعْمَةَ اللهِ تعالى بالنُّكْرَانِ وَحِرْمَانِ المَسَاكِينِ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يا عباد الله، عَلَيَّ وَعَلَيْكُم بالشُّكْرِ لله تعالى على النِّعَمِ، لأَنَّهُ قَلَّمَا زَالَتْ نِعْمَةٌ عَن قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِم، وَكُلُّ نِعْمَةٍ لا تُقَرِّبُ من اللهِ تعالى فَهِيَ نِقْمَةٌ.

يَقُولُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بالشُّكْرِ، والشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بالمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ في قَرْنٍ، وَلَنْ يَنْقَطِعَ المَزِيدُ من اللهِ عزَّ وجلَّ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ من العَبْد.

يا عباد الله: رَبُّنَا عزَّ وجلَّ يُمَتِّعُ عِبَادَهُ بالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا قَلَبَهَا عَلَيْهِم نِقْمَةً وَعَذَابَاً، وَمَن رَأَى نِعْمَةَ اللهِ تعالى تَتَوَالَى عَلَيْهِ وَهُوَ عَاصِيهِ فَلْيَذْكُرْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وَلْيَذْكُرْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا من الشَّاكِرِينَ عِنْدَ الرَّخَاءِ، ومن الصَّابِرِينَ عِنْدَ البَلاءِ، ومن الرَّاضِينَ بِمُرِّ القَضَاءِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٠٠ هُ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ؟

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَنَا وَاللهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: فَأَيْنَ اللهُ؟

فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ.

عِنْدَ كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ رَاقِبِ اللهِ تعالى، لَعَلَّ اللهَ تعالى أَنْ يُخْرِجَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ.

آمين.

٤٦٥ـ خطبة الجمعة: استفهام إنكاري

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

عِنْدَمَا يُحسِنُ إِلَيْنَا عَبْدٌ من عِبَادِ اللهِ تعالى، بِإِسْدَاءِ مَعْرُوفٍ، أَوْ بِقَضَاءِ حَاجَةٍ، أَوْ بِإِعَانَةٍ على أَمْرٍ من الأُمُورِ، فَإِنَّا لا نَعْرِفُ كَيْفَ نَشْكُرُهُ وَنَرُدُّ لَهُ الجَمِيلَ، وَأَقَلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: إِنِّي عَاجِزٌ عَن شُكْرِكَ، وَلَكَ فَضْلٌ عَلَيَّ لا أَنْسَاهُ مَا حَيِيتُ، أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَجزِيَكَ عَنِّي خَيْرَاً.

هذا مَعَ عَبْدٍ من العِبَادِ، وفي أَمْرٍ قَد يَحْصُلُ مَرَّةً وَاحِدَةً ولا يَتَكَرَّرُ، فَكَيْفَ بِنَا مَعَ رَبِّ الأَرْبَابِ، مَعَ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ لِخِدْمَتِنَا، الذي يَقُولُ: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. والذي يَقُولُ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾؟

يا عباد الله: كَيْفَ يَكُونُ مَوْقِفُنَا مَعَ رَبِّ الأَرْبَابِ، ذِي الطَّوْلِ والإِنْعَامِ العَزِيزِ الوَهَّابِ، الذي أَكْرَمَنَا بِنِعْمَةِ الإِسْلامِ والإِيمَانِ، إِذْ بِهَا صَلاحُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ؟ قَالَ

تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾.

لا يُعْرَفُ قَدْرُ النِّعَمِ إلا بِفَقْدِهَا:

يا عباد الله: لا سَبِيلَ لِعَدِّ وَحَصْرِ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَيْنَا، من النِّعَمِ نِعْمَةُ الأَمْنِ من الخَوْفِ، وَنِعْمَةُ الإِطْعَامِ من الجُوعِ، قَالَ تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. وَيَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافَىً فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» رواه الترمذي عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ.

يا عباد الله: لَقَد كُنَّا نَتَقَلَّبُ في هذهِ النِّعَمِ، وَمَا كُنَّا نَعْرِفُ قَدْرَهَا حَتَّى فَقَدْنَاهَا.

من النِّعَمِ نِعْمَةُ الحَوَاسِّ من سَمْعٍ وَبَصرٍ وَأَفْئِدَةٍ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾. وَنَحْنُ وَبِكُلِّ أَسَفٍ، الكَثِيرُ مِنَّا لا يُقَدِّرُ هذهِ النِّعْمَةَ، ولا يَشْكُرُ اللهَ تعالى عَلَيْهَا، بَلْ يَصْرِفُهَا في مَعْصِيَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

من النِّعَمِ التي أَسْبَغَهَا اللهُ تعالى عَلَيْنَا نِعْمَةُ الإيجَادِ والإِمْدَادِ، قَالَ تعالى مُشِيراً إلى بَعْضِ هذهِ النِّعَمِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

هَلْ شَكَرْنَا اللهَ تعالى على نِعَمِهِ؟

يا عباد الله: هَلْ شَكَرْنَا اللهَ تعالى على نِعْمَةِ الإِيجَادِ والإِمْدَادِ ؟

هَلْ شَكَرْنَا اللهَ تعالى على نِعْمَةِ الزَّوْجَاتِ والأَزْوَاجِ؟

هَلْ شَكَرْنَا اللهَ تعالى على نِعْمَةِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ؟

هَلْ شَكَرْنَا اللهَ تعالى على نِعْمَةِ اللِّسَانِ والنُّطْقِ؟

هَلْ شَكَرْنَا اللهَ تعالى على نِعْمَةِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ؟

هَلْ شَكَرْنَا اللهَ تعالى على نِعْمَةِ المَاءِ؟

هَلْ شَكَرْنَا اللهَ تعالى على نِعْمَةِ المَوْتِ والبَعثِ والنُّشُورِ؟

يا عباد الله: الكَثِيرُ مَن عَصَى اللهَ تعالى بِنِعْمَةِ الإِيجَادِ، وَبِنِعْمَةِ الأَزْوَاجِ، الكَثِيرُ مَن تَجَرَّأَ على مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى فِي أَرْضِهِ وَتَحْتَ سَمَائِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ بِأَنَّ اللهَ تعالى قَادِرٌ على خَسْفِ الأَرْضِ بِهِ، أَوْ إِنْزَالِ العَذَابِ عَلَيْهِ من السَّمَاءِ، قَالَ تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.

يا عباد الله: الكَثِيرُ مِمَّنْ عَصَى اللهَ تعالى بِنِعْمَةِ اللِّسَانِ فَنَطَقَ بِكَلِمَةِ الكُفْرِ، والسَّبِّ والشَّتْمِ واللَّعْنِ، والطَّعْنِ في دِينِ اللهِ تعالى. ــ والعِيَاذُ باللهِ تعالى ــ والطَّعْنِ فِي سَلَفِ الأُمَّةِ.

والكَثِيرُ مِمَّنْ عَصَى اللهَ تعالى بنِعْمَةِ المَاءِ بالإِسْرَافِ، بَلْ تَجَرَّأَ البَعْضُ على مَنْعِهَا عَن عِبَادِ اللهِ تعالى، وهؤُلاءِ سَيُمنَعُونَ مِن فَضْلِ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ، إِذَا لَم يَتُوبُوا إِلى اللهِ تَعَالى.

والكَثِيرُ مِمَّنْ أَنْكَرَ البَعْثَ والنُّشُورَ، فَعَاثَ في الأَرْضِ جَوَّاً وَبَحْرَاً وَبَرَّاً فَسَادَاً وَإِفْسَادَاً.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله، واللهِ حَالُنا عَجِيبٌ، عِنْدَمَا نَرَى إِنْسَانَاً أَحْسَنَ إِلَيْنَا رَأَيْنا أَنْفُسَنَا صِغَارَاً أَمَامَ هذا العَبْدِ، وَاحتَرْنَا كَيْفَ نُقَدِّمُ لَهُ الشُّكْرَ والثَّنَاءَ، أَمَّا مَعَ اللهِ تعالى تَرَى الكَثِيرَ قَد تَنَكَّرَ لِنِعَمِ اللهِ تعالى وَتَجَاهَلَهَا، وَنَــــسِيَ بِأَنَّ اللهَ تعالى هُوَ المُنْعِمُ، فَعَصَى اللهَ تعالى بِنِعْمَةِ اللهِ تعالى.

يا عباد الله: أَيْنَ المُقِرُّ بِأَنَّ اللهَ تعالى هُوَ المُنْعِمُ، فَقَابَلَ النِّعْمَةَ بالشُّكْرِ؟

يا عباد الله: لِنَسْمَعْ من اللهِ تعالى هذا الاسْتِفْهَامَ الإِنْكَارِيِّ، قَالَ تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ.

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ.

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

يا عباد الله: مَن أَقَرَّ بِنِعَمِ اللهِ تعالى عَلَيْهِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَهُ ولا يَجْحَدَهُ، كَفَانَا يا عباد الله ذُنُوباً وَإِعْرَاضاً عَن اللهِ تَبَارَكَ وتعالى، كَفَانَا سَفْكَاً للدِّمَاءِ، وَسَلْبَاً للأَمْوَالِ، كَفَانَا نُكْرَانَاً لِنِعَمِ اللهِ تعالى عَلَيْنَا، وَلْنَكُنْ للهِ شَاكِرِينَ لا جَاحِدِينَ.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بذلكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٦٦ـ خطبة الجمعة: الابتلاء يرد العبد إلى حقيقته

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

نَحْنُ فِي قَاعَةِ امْتِحَانٍ كَبِيرَةٍ، كُلُّ يَوْمٍ فِي امْتِحَانٍ جَدِيدٍ، وَكُلُّ مَا فِي هذهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا امْتِحَانٌ وَابْتِلاءٌ، المَالُ فِيهَا امْتِحَانٌ، والزَّوْجَةُ والوَلَدُ فِيهَا امْتِحَانٌ، الغِنَى والفَقْرُ فِيهَا امْتِحَانٌ، الصِّحَّةُ والمَرَضُ فِيهَا امْتِحَانٌ، الأَمْنُ والخَوْفُ فِيهَا امْتِحَانٌ، الحَرْبُ والسِّلْمُ فِيهَا امْتِحَانٌ، كُلُّ مَا يَعْتَرِينَا فِي هذهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا امْتِحَانٌ حَتَّى نَلْقَى اللّه تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

الكُلُّ فِي امْتِحَانٍ:

يا عباد اللّه: لَيْسَ فِينَا أَحَدٌ إلا وَهُوَ مُمْتَحَنٌ، وَلَيْسَ فِينَا مَن هُوَ أَكْبَرُ من أَنْ يُمْتَحَنَ، كَيْفَ لا، وَالحَبِيبُ الأَعْظَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ حِينَ سَأَلَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رواه الإمام أحمد والترمذي عَن سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

لَيْسَ فِي البَشَرِ مَن يَمْلِكُ رَفْضَ الامْتِحَانِ وَلَكِنْ فِينَا مَن يُمْتَحَنُ بالبَلاءِ فَيَنْجَحُ بالصَّبْرِ والإِيمَانِ والاحْتِسَابِ، فَيَكُونُ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ، وَفِينَا مَن يُمْتَحَنُ بالبَلاءِ فَيَرْسُبُ بالجَزَعِ والاعْتِرَاضِ على اللهِ تعالى، فَيَـخْسَرُ الدُّنْيَا والآخِرَةَ.

الابْتِلاءُ يَرُدُّ العَبْدَ إلى حَقِيقَتِهِ:

يا عباد الله: الابْتِلاءُ يَرُدُّ العَبْدَ إلى حَقِيقَتِهِ، وَيُظْهِرُ مَعْدِنَهُ، قَالَ تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

وَرَحِمَ اللهُ تعالى الفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ حِينَ قَالَ: النَّاسُ مَا دَامُوا في عَافِيَةٍ مَسْتُورُونَ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِمُ البَلاءُ صَارُوا إلى حَقَائِقِهِم، فَصَارَ المُؤْمِنُ إلى إِيمَانِهِ، وَصَارَ المُنَافِقُ إلى نِفَاقِهِ. اهـ.

يا عباد الله: الذي ابْتَلانَا هُوَ الذي أَنْعَمَ عَلَيْنَا، والذي أَخَذَ مِنَّا هُوَ الذي أَغْدَقَ عَلَيْنَا، والذي أَخَافَنَا هُوَ الذي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الأَمْنِ، والذي أَجَاعَنَا هُوَ الذي أَطْعَمَنَا من جُوعٍ.

يا عباد الله: إِذَا نَزَلَتْ بِنَا مُصِيبَةٌ فَصَبَرْنَا كَانَتْ مُصِيبَةً وَاحِدَةً، وَإِذَا نَزَلَتْ بِنَا وَلَمْ نَصْبِرْ فَقَد أُصِبْنَا بِمُصِيبَتَيْنِ، مُصِيبَةِ فَقْدِ المَحْبُوبِ، وَمُصِيبَةِ فَقْدَ الثَّوَابِ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْـمُهْتَدُونَ﴾. وَمِصْدَاقُ ذلكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ

أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْـــخُسْرَانُ الْـــمُبِينُ﴾.

وَرَحِمَ اللهُ تعالى مَن قَالَ:

كُنْ عَن هُمُومِكَ مُعْرِضَاً *** وَكِلِ الأُمُورَ إلى القَضَا

وَابْشِـــرْ بِـــخَـــيْرٍ عَـــاجِلٍ *** تَـــنْـــسَـــى بِـــهِ مَا قَد مَضَى

فَـــلَـــرُبَّ أَمْـــرٍ مُـــسْـــخِـــطٍ *** لَـــكَ في عَـــوَاقِبِهِ الرِّضَا

فَهْمُ سَلَفِنَا الصَّالِحِ للابْتِلاءِ:

يا عباد الله: لَقَد فَهِمَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ حَقِيقَةَ الابْتِلاءِ، وَفَهِمُوا الحِكْمَةَ الشَّرْعِيَّةَ للابْتِلاءِ، فَكَانُوا أَفْضَلَ مِنَّا حَالاً، وَضَرَبُوا أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي الصَّبْرِ والاحْتِسَابِ.

أولاً: سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كَانَ يَحْمَدُ اللهَ تعالى على الابْتِلاءِ، فَقَد كَانَ يَقُولُ: مَا ابْتُلِيتُ بِبَلِيَّةٍ إلا كَانَ للهِ عَلَيَّ فِيهَا أَرْبَعُ نِعَمٍ، إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي دِينِي، وَإِذْ لَمْ أُحْرَمِ الرِّضَا، وَإِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ، وَإِذْ رَجَوْتُ الثَّوَابَ عَلَيْهَا.

ثانياً: سَيِّدُنَا عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنهُما، لَمَّا بُتِرَتْ رِجْلُهُ، وَفَقَدَ وَلَدَهُ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، كَانَ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ، فَأَخَذْتَ وَاحِدَاً، فَلَئِنْ كُنْتَ قَد أَخَذْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ، وَإِنْ كُنْتَ قَد ابْتَلَيْتَ فَلَطَالَمَا عَافَيْتَ، فَلَكَ الحَمْدُ على مَا أَخَذْتَ وعلى مَا عَافَيْتَ.

وَقَالَ فِي وَلَدِهِ: الحَمْدُ للهِ، كَانُوا سَبْعَةً، فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَاحِدَاً وَأَبْقَيْتَ سِتَّةً، فَلَئِنْ كُنْتَ قَد ابْتَلَيْتَ فَلَطَالَمَا عَافَيْتَ، وَلَئِنْ كُنْتَ قَد أَخَذْتَ فَلَطَالَمَا أَعْطَيْتَ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ـــ:

يا عباد الله، اِبْحَثُوا فِي الابْتِلاءِ عَنِ الأَجْرِ، وَلَا سَبِيلَ إلى الصَّبْرِ إلا بِعَزِيمَةٍ إِيمَانِيَّةٍ، وَإِرَادَةِ تَوْبَةٍ، ولا تَنْسَوْا شُكْرَ اللهِ تعالى على العَطَاءِ، والصَّبْرَ على الابْتِلاءِ، ولا تَنْسَوْا بِأَنَّ اللهَ تعالى يَرَاكُم، وَيَعْلَمُ مَا بِكُم، وَأَنَّهُ أَرْحَمُ بِكُم من أَنْفُسِكُم، ومن النَّاسِ أَجْمَعِينَ، فلا تَشْكُوا إلا إلى إِلَيْهِ، وَقُولُوا كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بذلكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

٤٦٧ـ خطبة الجمعة: دروس من الابتلاء

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنّ الابْتِلاءَ من اللهِ تعالى خَيْرٌ في حَقِّ الإِنْسَانِ المُؤْمِنِ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ» رواه الإمام البخاري عَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ» رواه الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها.

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْـمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَو الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا» رواه الإمام مسلم عَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْـمُؤْمِنِ وَالْـمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رواه الإمام الترمذي عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

دُرُوسٌ من الابْتِلاءِ:

يا عباد الله: الإِنْسَانُ المُؤْمِنُ هُوَ الذي يَتَعَلَّمُ الدُّرُوسَ، وَيَأْخُذُ العِبَرَ من كُلِّ مَا يُحِيطُ بِهِ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِ، وَخَاصَّةً أَثْنَاءَ المِحَنِ والابْتِلاءَاتِ، فالابْتِلاءُ مَدْرَسَةٌ تُعَلِّمُ المُؤْمِنينَ دُرُوساً عَمَلِيَّةً، من هذهِ الدُّرُوسِ:

أولاً: دَرْسٌ في التَّوْحِيدِ:

يا عباد الله: الابْتِلاءُ يُعَلِّمُ الْمُؤْمِنَ دَرْسَاً من دُرُوسِ التَّوْحِيدِ، بِحَيْثُ يُطْلِعُكَ على حَقِيقَةِ نَفْسِكَ، بِأَنَّكَ عَبْدٌ ضَعِيفٌ، لا حَوْلَ لَكَ ولا قُوَّةَ إلا بِرَبِّكَ، وَتَتَحَقَّقُ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ واللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْـحَمِيدُ﴾.

عِنْدَ ذَلِكَ تَلْتَجِئُ إلى اللهِ تعالى حَقَّ الالتجاءِ، وَتَعْلَمُ أَنَّهُ لا كَاشِفَ لِمَا بِكَ إلا اللهُ تعالى، فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ جَاهُكَ وَتِيهُكَ وَعُجْبُكَ وَغُرُورُكَ وَغَفْلَتُكَ، وَتَتَيَقَّنُ بِأَنَّكَ إِنْسَانٌ مِسْكِينٌ، فَتَلُوذُ بِمَوْلاكَ جَلَّ وَعَلا، وَبِأَنَّكَ ضَعِيفٌ، فَتَلْتَجِئُ إلى القَوِيِّ العَزِيزِ، وَتَأْوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ.

ثانياً: دَرْسٌ في حَقِيقَةِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا:

يَا عِبَادَ اللهِ، الابْتِلاءُ يُعْطِي الْمُؤْمِنَ دَرْسَاً عَمَلِيّاً عَن حَقِيقَةِ هذه الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعَن زَيْفِهَا، وَأَنَّهَا مَتَاعُ الغُرُورِ، وَأَنَّهَا ظِلٌّ زَائِلٌ، وَعَرَضٌ حَائِلٌ، وَأَنَّ نَعِيمَهَا مَمْزُوجٌ بِالْمُنَغِّصَاتِ، فَكَيْفَ بِمُنَغِّصَاتِهَا؟

وَتُعْطِيهِ دَرْسَاً بِأَنَّ الحَيَاةَ الحَقِيقِيَّةَ تَكْمُنُ وَرَاءَ هذهِ الحَيَاةِ، حَيْثُ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَـشَرٍ ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. أَمَّا هذهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا فَنَكَدٌ وَجُهْدٌ وَكَبَدٌ، وَهِيَ مُرْتَحِلَةٌ مُدْبِرَةٌ، وَأَمَّا الآخِرَةُ مُرْتَحِلَةٌ مُقْبِلَةٌ.

يَا عِبَادَ اللهِ، الابْتِلاءُ يُعَرِّفُكَ حَقِيقَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِأَنَّهَا مُتَقَلِّبَةٌ لا تَصْفُو لِأَحَدٍ، إذَا أَضْحَكَتْكَ يَوْمَاً أَبْكَتْكَ أَيَّامَاً، فَمَا أَسْرَعَ العُبُوسَ من ابْتِسَامَتِهَا، وَمَا أَسْرَعَ القَطْعَ من وَصْلِهَا، وَمَا أَسْرَعَ الابْتِلاءَ من نَعِيمِهَا؟

ثالثاً: دَرْسٌ يُذَكِّرُكَ بِفَضْلِ اللهِ تعالى عَلَيْكَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الابْتِلاءُ يُذَكِّرُكَ بِفَضْلِ اللهِ تعالى عَلَيْكَ، وَنِعَمِهِ التِي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، يُذَكِّرُكَ بِحَقِيقَةِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافَىً فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» رواه الترمذي عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْــخَطْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الابْتِلاءُ يَشْرَحُ لَكَ مَعْنَى العَافِيَةِ التِي تَمَتَّعْتَ بِهَا سِنِينَ وَلَمْ تُقَدِّرْ قَدْرَهَا، يَشْرَحُ لَكَ مَعْنَى الأَمْنِ الذي مَا عَرَفْتَ قَدْرَهُ حَقَّ المَعْرِفَةِ، يَشْرَحُ لَكَ مَعْنَى التَّرَاحُمِ الذي حُرِمْتَهُ، ولَوْلا الابْتِلاءُ كَيْفَ تَعْرِفُ هذهِ المَعَانِي؟

رابعاً: دَرْسٌ فِي الفَرَحِ والأَسَى:

يَا عِبَادَ اللهِ، الابْتِلاءُ يُعْطِيكَ دَرْسَاً حَقِيقِيّاً فِي الفَرَحِ والأَسَى، يُعْطِيكَ دَرْسَاً بِأَنْ لا تَفْرَحَ فَرَحَاً يُطْغِيكَ، ولا تَأْسَى أَسَىً يُفْنِيكَ، يُذَكِّرُكَ بِحَقِيقَةِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ واللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

خامساً: دَرْسٌ يُذَكِّرُكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ:

يَا عِبَادَ اللهِ، الابْتِلاءُ يُذَكِّرُكَ بِعُيُوبِ نَفْسِكَ، حَتَّى تَتُوبَ إلى اللهِ تعالى، يُذَكِّرُكَ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾. وَبِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

الابْتِلاءُ فُرْصَةٌ لَكَ حَتَّى تَتُوبَ إلى اللهِ تعالى قَبْلَ أَنْ تَنْتَقِلَ إلى الآخِرَةِ إلى العَذَابِ الأَكْبَرِ، يُذَكِّرُكَ حَقِيقَةَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. والعَذَابُ الأَدْنَى هُوَ الابْتِلاءُ في الدُّنْيَا.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله، الابْتِلاءُ دَرْسٌ عَمَلِيٌّ يُرَبِّينَا على الصَّبْرِ، وَمَا أَحْوَجَنَا إلى الصَّبْرِ في كُلِّ شَيْءٍ، نَحْنُ بِحَاجَةٍ إلى دَرْسٍ في الصَّبْرِ على الطَّاعَةِ، والصَّبْرِ عَن المَعْصِيَةِ، والصَّبْرِ على أَقْدَارِ اللهِ تعالى، والصَّبْرُ هُوَ زَادُنَا إلى جَنَّةِ الخُلُودِ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ٤٦٨ـ خطبة الجمعة: الصبر والتقوى طريق العز والتمكين

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، عَلَيْنَا بالصَّبْرِ إِذَا أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا في وُجُوهِنَا، فَبِهِ يَفْتَحُ اللهُ لَنَا مَا لَمْ يَكُنْ في حُسْبَانِنَا، عَلَيْنَا بالصَّبْرِ إِذَا ظَلَمَ القَرِيبُ، وَجَارَ البَعِيدُ، عَلَيْنَا بالصَّبْرِ من

أَجْلِ الثَّبَاتِ على الحَقّ وعلى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ، وَلَوْ كَانَ مُجَرَّدَاً من كُلّ قُوَّةٍ إلا قُوَّةِ الجَبَّارِ جَلّ جَلالُهُ، عَلَيْنَا بالصَّبْرِ وَلَوْ دُعِمَ البَاطِلُ بالمَالِ، وَتَكَاثَرَ حَوْلَهُ أَشْبَاهُ الرِّجَالِ، وَتَطَاوَلَتْ لَهُ الأَعْنَاقُ، حِرْصَاً على مَغْنَمٍ عَاجِلٍ، أَوْ خَوْفَاً من بَأْسٍ نَازِلٍ.

يا عباد الله: رَبُّنَا عزّ وجلّ مُطّلِعٌ على قُلُوبِنَا وَنَوَايَانَا، فَإِذَا عَلِمَ صِدْقَ نَوَايَانَا، وَكُنَّا من الصَّابِرِينَ، ومن المُتَعَلِّقِينَ باللهِ عزّ وجلّ، والرَّاجِينَ المَعُونَةَ مِنْهُ، جَاءَ الفَرَجُ من اللهِ تعالى، وَصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ على لِسَانِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْـــمُحْسِنِينَ﴾.

الصَّبْرُ والتَّقْوَى طَرِيقُ العِزّ والتَّمْكِينِ:

يا عباد الله: الصَّبْرُ والتَّقْوَى طَرِيقُ العِزّ والتَّمْكِينِ، وَهُمَا عُدَّةُ الإِنْسَانِ المُؤْمِنِ عِنْدَ نُزُولِ البَلاءِ، وَزَادُ المُؤْمِنِ حِينَ وُقُوعِ الابْتِلاءِ، فَهُمَا جَوَادَانِ لا يَكْبُوَانِ، وَجُنْدِيَّانِ لا يَنْهَزِمَانِ، وَحِصْنَانِ لا يُهْدَمَانِ ولا يُثْلَمَانِ، لا إِيمَانَ بِدُونِهِمَا، وَإِنْ كَانَ فَهُوَ إِيمَانٌ ضَعِيفٌ صَاحِبُهُ يَعْبُدُ اللهَ على حَرْفٍ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .

يا عباد الله: خَيْرُ عَيْشٍ أَدْرَكَهُ السُّعَدَاءُ بِصَبْرِهِم و تَقْوَاهُم، وَإِذَا كَانَ المُسْلِمُ مُحْتَاجَاً إِلَيْهِمَا بِشَكْلٍ عَامٍّ، فَحَاجَتُهُ إِلَيْهِمَا أَشَدُّ إِذَا مَرِجَتِ العُهُودُ، وَضَعُفَتِ الذِّمَمُ، وَاخْتَلَّتِ المَقَايِيسُ والقِيَمُ، وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ من أَجْلِ الدُّنْيَا، حَاجَةُ المُؤْمِنِ إلى الصَّبْرِ والتَّقْوَى تَكُونُ أَشَدَّ إِذَا كَانَ فِي زَمَنٍ خُوِّنَ فِيهِ الأَمِينُ، وَسُوِّدَ الخَؤُونُ، وَأُلْبِسَ الحَقُّ بالبَاطِلِ.

قِصَّةُ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَحْسَنُ القَصَصِ:

يا عباد الله: لَقَد ذَكَرَ اللهُ تعالى قِصَّةُ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَسَمَّاهَا أَحْسَنَ القَصَصِ، قَالَ تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ * إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

لَقَد سَمَّاهَا رَبُّنَا عزَّ وجلَّ أَحْسَنَ الْقَصَصِ، لِأَنَّ سَيِّدَنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَّمَ البَشَرِيَّةَ جَمْعَاءَ بِأَنَّ مَن اتَّقَى اللهَ تعالى وَصَبَرَ فَإِنَّ اللهَ تعالى لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسنِينَ، وهذا مَا قَالَهُ سَيِّدُنَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِإِخْوَتِهِ عِنْدَمَا الْتَقى بِهِم بَعْدَ أَنْ صَارَ عَزِيزَ مِصْرَ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْـمُحْسِنِينَ﴾.

يا عباد الله: لِنَنْظُرْ إلى تَقْوَاهُ وَصَبْرِهِ:

أولاً: تَقْوَى وَصَبْرٌ عَجِيبٌ صَبَرَهُ عِنْدَمَا أَخَذَهُ إِخْوَتُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَجَعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ، وَبِذَلِكَ فَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبَوَيْهِ وَأَخِيهِ الشَّقِيقِ، فَلَمْ يَتفَوَّهْ بِكَلِمَةٍ.

ثانياً: تَقْوَى وَصَبْرٌ عَجِيبٌ صَبَرَهُ عِنْدَمَا وَقَعَ فِي الأَسْرِ، وَصَارَ فِي بَيْتِ عَزِيزِ مِصْرَ، وَرَاوَدَتْهُ امْرَأَةُ العَزِيزِ والنِّسَاءُ، وَخُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، كَمَا قَالَ تعالى فِي قِصَّتِهِ: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَاً مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾. فَبِتَقْوَاهُ وَصَبْرِهِ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

ثالثاً: تَقْوَى وَصَبْرٌ عَجِيبٌ صَبَرَهُ عِنْدَمَا أُدْخِلَ السِّجْنَ، فَكَانَ دَاعِيَاً إلى الله تعالى، قَالَ تعالى عَنْهُ: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ *

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْـــحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. تَقْوَى وَصَبْرٌ عَجِيبٌ عِنْدَمَا أُتِيحَتْ لَهُ الفُرْصَةُ للخُرُوجِ، فَرَفَضَ وَقَالَ: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

رابعاً: تَقْوَى وَصَبْرٌ عَجِيبٌ صَبَرَهُ عِنْدَمَا الْتَقَى مَعَ أَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ، فَقَالَ تعالى مُخْبِراً عَنْهُ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ــــ:

يا عباد الله، لماذا لا نَكُونُ من أَهْلِ التَّقْوَى ومن أَهْلِ الصَّبْرِ، وَنَحْنُ على مَوْعِدٍ من اللهِ تعالى بالعَاقِبَةِ الحُسْنَى؟ أَلَمْ يَقُلْ مَوْلانَا عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾؟ أَيُّ كَيْدٍ؟ إِنَّهُ الكَيْدُ الذي تَزُولُ مِنْهُ الجِبَالُ ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾. أَلَمْ يَقُلْ مَوْلانَا عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْـــمُحْسِنِينَ﴾؟

وَلَقَد كَانَ سَيِّدُنَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ على ثِقَةٍ بِوَعْدِ اللهِ تعالى، فَاتَّقَى اللهَ تعالى وَصَبَرَ، وَلَمْ يَتَزَعْزَعْ أَيَّامَ الفِتَنِ والمِحَنِ، بَلْ ثَبَتَ ثُبُوتَ الرَّاسِيَاتِ، حَتَّى أَكْرَمَهُ اللهُ تعالى بالتَّمْكِينِ، وَصَارَ مَضْرِبَ مَثَلٍ لِمَنْ أَرَادَ التَّقْوَى والصَّبْرَ.

اللّهُمّ ارْزُقْنَا التّقْوَى وَحَقّهَا، وَاجْعَلْنَا من الصّابِرِينَ على طَاعَتِكَ، وَعَن مَعْصِيَتِكَ، وعلى مَا قَدّرْتَهُ لَنَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

.

٤٦٩ـ خطبة الجمعة: يا من ابتليت بفقد الأحبة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، لَقَد خَلَقَ اللهُ تعالى الإِنْسَانَ في هذهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَوَضَعَهُ في مَوَاقِفِ الاخْتِبَارِ والابْتِلاءِ، فَتَارَةً يُنْعِمُ عَلَيْهِ رَبُّنَا عزّ وجلّ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الحَمْدَ على نِعَمِهِ، والشُّكْرَ لَهُ، وَتَارَةً يَبْتَلِيهِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الصّبْرَ على مَا أَصَابَهُ، والرِّضَا بِمَا قُدّرَ لَهُ، وفي الحَالَتَيْنِ، حَالَتَيِ الشُّكْرِ والصّبْرِ، فَضْلٌ كَبِيرٌ، وَأَجْرٌ عَظِيمٌ.

وَنِعَمُ اللهِ تعالى كَثِيرَةٌ، لا يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ مَهْمَا أُوتِيَ من قُدْرَةٍ أَنْ يُحْصِيَهَا، ومن أَجَلِّ النِّعَمِ على العَبْدِ مَا يُصِيبُهُ من المِحَنِ والبَلايَا والأَرْزَاءِ، وَأَجَلُّ هذهِ الأَرْزَاءِ المَوْتُ، فَفِيهِ رَاحَةٌ من عَنَاءِ الدُّنْيَا التي حُفّتْ بالمَكَارِهِ، لِمَنْ جَاءَهُ المَوْتُ وَاخْتَطَفَهُ

وَهُوَ من الْمُؤْمِنينَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ الأَجْرُ العَظِيمُ لِمَنْ فَقَدَ عَزِيزاً عَلَيْهِ إِنِ احْتَسَبَهُ عِنْدَ اللهِ عزّ وجلّ، وَصَبَرَ.

يَا مَن ابْتُلِيتَ بِفَقْدِ الأَحِبَّةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، نَحْنُ نَعِيشُ فِي أَزْمَةٍ قَاسِيَةٍ، وَمِحْنَةٍ عَظِيمَةٍ، وَبَلاءٍ وَكَرْبٍ شَدِيدٍ، كَثُرَ فِيهَا القَتْلُ والهَدْمُ والتَّشْرِيدُ والتَّشْوِيهُ، وَعِلاجُنَا هُوَ النَّظَرُ فِي سِيرَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَخَاصَّةً وَنَحْنُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَنْوَرِ، شَهْرِ مَوْلِدِ سَيِّدِ الوُجُودِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَيَا مَن ابْتُلِيتَ بِفَقْدِ الأَحِبَّةِ، لا تَحْزَنْ، وَانْظُرْ إلى فَقْدِ الأَحِبَّةِ بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ، لا بِعَيْنِ التَّشَاؤُمِ، اُنْظُرْ إلى فَقْدِ الأَحِبَّةِ من خِلالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. ومن خِلالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

انْظُرْ إلى فَقْدِ الأَحِبَّةِ من خِلالِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ عَن اللهِ تَبَارَكَ وتعالى إِذْ يَقُولُ للمَلائِكَةِ: «ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ» رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ومن خِلالِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ومن خِلالِ الحَدِيثِ الذي رواه الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ جَلَسَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ يَقْعُدُ بَيْنَ يَدَيْهِ، إِلَى أَنْ هَلَكَ الصَّبِيُّ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْـحَلْقَةَ يَذْكُرُ اللهَ، وَيَحْزَنُ عَلَيْهِ.

فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا لِي لا أَرَى فُلانًا؟».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَ، هَلَكَ، فَمَنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ حُضُورِ الْـحَلْقَةِ.

فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ، فَأُخْبِرَ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا فُلانُ، أَيُّهُمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ: أَنْ تَتَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ، أَوْ لا تَأْتِي غَدًا بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْـجَنَّةِ إِلا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُ لَكَ».

فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى أَبْوَابِ الْـجَنَّةِ، فَيَفْتَحُهَا لِي أَحَبُّ إِلَيَّ.

قَالَ: «فَذَلِكَ لَكَ».

فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، هَذَا لِفُلانٍ خَاصَّةً، أَوْ لِمَنْ هَلَكَ لَهُ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ فَرَطٌ كَانَ ذَلِكَ لَهُ؟

قَالَ: «بَلْ كُلُّ مَنْ هَلَكَ لَهُ فَرَطٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ».

يَا مَن ابْتُلِيتَ بِفَقْدِ الأَحِبَّةِ، تَفَاءَلْ ولا تَتَشَاءَمْ، لِأَنَّكَ على مَوْعِدٍ من اللهِ تعالى، الذي لا يُخْلِفُ المِيعَادَ، إِنْ صَبَرْتَ.

رُوِيَ أَنَّهُ لَـــمَّا مَاتَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ، كَشَفَ أَبُوهُ عَن وَجْهِهِ وَقَالَ: رَحِمَكَ اللهُ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ سُرِرْتُ بِكَ يَوْمَ بُـــشِّرْتُ بِكَ، وَلَقَد عُمِّرْتُ مَسْرُوراً بِكَ، وَمَا أَتَتْ عَلَيَّ سَاعَةٌ أَنَا فِيهَا أَسَرُّ من سَاعَتِي هَذِهِ، أَمَا واللهِ إِنْ كُنْتَ لَتَدْعُو أَبَاكَ إلى الجَنَّةِ.

يَا مَن ابْتُلِيتَ بِفَقْدِ الأَحِبَّةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ، خَاطِبُوا في هذهِ الأَزْمَةِ خَاصَّةً لِمَنِ ابْتَلاهُ اللهُ تعالى بِفَقْدِ حَبِيبٍ لَهُ: لا تَحْزَنْ، وَانْظُرْ إلى حَبِيبِكَ وَمُصْطَفَاكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

إِنْ فَقَدْتَ أَبَاكَ، فَقَدْ فَقَدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَبَاهُ، وَلَمْ يَرَهُ.

وإِنْ فَقَدْتَ أُمَّكَ، فَقَدْ فَقَدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أُمَّهُ.

وإِنْ فَقَدْتَ جَدَّكَ، فَقَدْ فَقَدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ جَدَّهُ.

وإِنْ فَقَدْتَ عَمَّكَ، فَقَدْ فَقَدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَمَّهُ.

وإنْ فَقَدْتَ زَوْجَتَكَ، فَقَدْ فقَدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ زَوْجَتَهُ.

وإنْ فَقَدْتَ وَلَدَاً من أَوْلادِكَ، فَقَدْ فقَدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ جَمِيعَ أَوْلادِهِ، إلا السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم جَمِيعَاً.

وإنْ فَقَدْتَ صَاحِبَاً وَخَلِيلاً لَكَ، فَقَدْ فَقَدَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الكَثِيرَ من أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم جَمِيعَاً.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يا عباد الله، قُولُوا لِمَنْ فَقَدَ الأَحِبَّةَ، لا تَجْزَعْ ولا تَحْزَنْ، فاللهُ تعالى خَلَفٌ من كُلِّ فَائِتٍ، وَعِوَضٌ من كُلِّ مَا يَفُوتُكَ من الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا، وَمَن كَانَتْ سُلْوَتُهُ باللهِ تعالى جُبِرَ كَسْرُهُ، وَأُعْظِمَ أَجْرُهُ، وَأَخلَفَ اللهُ تعالى عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الخَلَفِ، فالمُصَابُ هُوَ مَن حُرِمَ الثَّوَابَ.

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ فِي السَّرَّاءِ، ولَكَ الحَمْدُ فِي الضَّرَّاءِ، ولَكَ الحَمْدُ إِنْ أَعْطَيْتَ، ولَكَ الحَمْدُ إِنْ أَخَذْتَ، فَكُنْ عَنَّا رَاضِيَاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**　　**　　**

٤٧٠ـ خطبة الجمعة: أبشري يا أم اليتامى

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله، الإِنْسَانُ المُؤْمِنُ يَنْظُرُ إلى الابْتِلاءَاتِ والمِحَنِ والشَّدَائِدِ والرَّزَايَا بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ، لا بِعَيْنِ التَّشَاؤُمِ، يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ من خِلالِ قَوْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ من خِلالِ قَوْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئَاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئَاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ من خِلالِ قَوْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئَاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرَاً كَثِيرَاً﴾.

يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ من خِلالِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبَاً لِأَمْرِ الْـمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرَاً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرَاً لَهُ» رواه الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

أَبْشِرِي يَا أُمَّ اليَتَامَى:

يَا عِبَادَ اللهِ، من خِلال هذهِ الحَرْبِ التي لا تَعْرِفُ الإِنْسَانِيَّةَ، ولا القِيَمَ، ولا الأَخْلاقَ، ولا تَعْرِفُ الشَّفَقَةَ ولا الرَّحْمَةَ، رُمِّلَتْ كَثِيرٌ من النِّسَاءِ، وَيُتِّمَ كَثِيرٌ من الأَطْفَالِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ والمُؤْمِنَةَ مَا زَالَا يَنْظُرَانِ إلى الابْتِلاءَاتِ بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ، لا بِعَيْنِ التَّشَاؤُمِ.

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِمَنْ فَقَدَتْ زَوْجَهَا، وَتَرَمَّلَتْ، وَتَرَكَ لَهَا زَوْجُهَا أَطْفَالاً صِغَاراً يُتَّمُوا: أَبْـــشِرِي، وَتَفَاءَلِي، ولا تَتَشَاءَمِي، وَاحْذَرِي شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ أَنْ يَبُثُّوا فِي قَلْبِكِ الحُزْنَ والأَسَى من أَجْلِ هؤلاءِ اليَتَامَى.

أولاً: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِمَنْ صَارَتْ أُمّاً لِيَتَامَى، أَبْـــشِرِي ولا تَحْزَنِي، فهذا هُوَ الحَبِيبُ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ يَتِيماً، وَنَشَأَ يَتِيماً، فَكَانَ يُتْمُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَـــشْرِيعاً وَتَكْمِيلاً لِأَبْنَائِكِ اليَتَامَى، قَالَ تعالى مُذَكِّراً حَبِيبَهُ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِمِنَّتِهِ عَلَيْهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾.

ثانياً: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِمَنْ صَارَتْ أُمّاً لِيَتَامَى، أَبْـــشِرِي ولا تَحْزَنِي، وَتَذَكَّرِي قَوْلَ اللهِ تعالى فِي قِصَّةِ سَيِّدِنَا مُوسَى مَعَ الخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْـــمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾.

أَبْشِرِي يَا أَمَةَ اللهِ، ولا تَخَافِي، ولا تَحْزَنِي، مَا دُمْتِ تَقِيَّةً صَالِحَةً رَاضِيَةً عَن اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾. فَلَقَد هَيَّأَ اللهُ تعالى لليَتِيمَيْنِ رَسُولاً من أُوْلِي العَزْمِ من الرُّسُلِ، وَرَجُلاً صَالِحاً قَالَ اللهُ تعالى فِيهِ: ﴿عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾. أَبْـــشِرِي فَلَنْ يَتَخَلَّى اللهُ تعالى عَن اليَتَامَى، وَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ بالرَّحْمَةِ من حَيْثُ لا تَحْتَسِبِينَ.

ثالثاً: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِمَنْ صَارَتْ أُمّاً لِيَتَامَى، أَبْــشِرِي ولا تَحْزَنِي، وَتَذَكَّرِي قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْـجَنَّةِ هَكَذَا ـ وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ـ» رواه الإمام البخاري عَن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وَتَذَكَّرِي يَا أَمَةَ اللهِ، قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا للهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْـجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ ـ وَفَرَّقَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ـ» رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا أَمَةَ اللهِ، أَيُّ شَرَفٍ وَأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ من هذا؟ أَمَا يُرْضِيكِ مُرَافَقَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في الجَنَّةِ؟ فَاحْذَرِي التَّشَاؤُمَ عِنْدَمَا أَصْبَحْتِ أُمّاً لِيَتَامَى.

رابعاً: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ على أَيْتَامٍ لِي:

يَا عِبَادَ اللهِ، قُولُوا لِمَنْ صَارَتْ أُمّاً لِيَتَامَى، أَبْــشِرِي ولا تَحْزَنِي، وَانْظُرِي بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ، لا بِعَيْنِ التَّشَاؤُمِ، عِنْدَمَا أَصْبَحْتِ أَرْمَلَةً وأُمّاً لِيَتَامَى، وَاسْمَعِي إلى هذا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه أَبُو يَعْلَى وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا

أَوَّلُ مَن يَفْتَحُ بَابَ الجَنَّةِ، إِلَّا أَنِّي أَرَى امْرَأَةً تُبَادِرُنِي، فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكِ، وَمَنْ أَنْتِ؟

فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ على أَيْتَامٍ لِي». أَمَا يُرْضِيكِ هذا يَا أَمَةَ اللهِ؟ أَمَا يُرْضِيكِ أَنْ تَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مُسْرِعَةً لِتَدْخُلِي الجَنَّةَ بِمَعِيَّةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله، اِزْرَعُوا الأَمَلَ والتَّفَاؤُلَ من خِلالِ المَصَائِبِ التي تُصَبُّ على الأُمَّةِ، وَذَكِّروا الأُمَّةَ بِأَنْ تَنْظُرَ بِعَيْنِ التَّفَاؤُلِ، لا بِعَيْنِ التَّشَاؤُم، إذَا وَقَعَتِ المُصِيبَةُ، لِأَنَّ اللهَ تعالى يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بالمِنَحِ لِيَرَى شُكْرَهُمْ، وَيَخْتَبِرُ عِبادَهُ بالمِحَنِ لِيَرَى صَبْرَهُم، فَطُوبَى لِمَنْ شَكَرَ في الرَّخَاءِ، وَصَبَرَ في البَلاءِ، وَهُوَ في الحَالَتَيْنِ يَكُونُ مُتَفَائِلاً.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا كَذَلِكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧١ـ خطبة الجمعة: فقد الأحبة خطب مؤلم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: لَقَد جَعَلَ اللهُ تعالى المَوْتَ حَتْمَاً على جَمِيعِ العِبَادِ من عَالَمِ الإِنْسِ والجِنِّ، بَلْ حَتَّى شَمَلَ جَمِيعَ الحَيَوَانَاتِ، فلا مَفَرَّ لِأَحَدٍ ولا أَمَانَ مِنْهُ ﴿قُلْ إِنَّ الْـــمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾.

لَقَد سَاوَى اللهُ تعالى فِي المَوْتِ بَيْنَ الحُرِّ والعَبْدِ، والصَّغِيرِ والكَبِيرِ، والحَاكِمِ والمَحْكُومِ، والصَّالِحِ والطَّالِحِ، والغَنِيِّ والفَقِيرِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، والحَازِمُ مَنْ بَادَرَ بالعَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ الأَجَلِ، والمُسْلِمُ مَن اسْتَسْلَمَ للقَضَاءِ والقَدَرِ، والمُؤْمِنُ مَنْ تَيَقَّنَ بِصَبْرِهِ الثَّوَابَ على المُصِيبَةِ والضَّرَرِ.

<u>فَقْدُ الأَحِبَّةِ خَطْبٌ مُؤْلِمٌ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ فَقْدَ الأَحِبَّةِ خَطْبٌ مُؤْلِمٌ للعَبْدِ، وَحَدَثٌ مُوجِعٌ، وَأَمْرٌ مَهُولٌ وَمُزْعِجٌ، بَلْ هُوَ من أَثْقَلِ الأَنْكَادِ والأَكْدَارِ التي تَمُرُّ على الإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا.

إِنَّ فَقْدَ الأَحِبَّةِ نَارٌ تَسْتَعِرُ، تَحْرِقُ الكَبِدَ، وَتَفُتُّ العَضُدَ، وهذا مِمَّا لا شَكَّ فِيهِ، وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ هذا، المُؤْمِنُ مُتَفَائِلٌ وَلَيْسَ مُتَشَائِمَاً، لِأَنَّ العَبْدَ لا يَدْرِي مَا هِيَ النَّتَائِجُ.

فَلَرُبَّ أَمْرٍ مُحْزِنٍ لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ الرِّضَا *** وَلَرُبَّمَا اتَّسَعَ المَضِيقُ، وَرُبَّمَا ضَاقَ الفَضَا

يَا عِبَادَ اللهِ: كَمْ من عَبْدٍ مَسْرُورٍ بِنِعْمَةٍ وَهِيَ دَاؤُهُ وهُوَ لا يَدْرِي.

وَكَمْ من عَبْدٍ مَحْزُونٍ بِمُصِيبَةٍ وَهِيَ شِفَاؤُهُ وهُوَ لا يَدْرِي.

وَكَمْ من خَيْرٍ تَظُنُّهُ خَيْرَاً، وَلَكِنَّهُ فِي الحَقِيقَةِ حَامِلٌ شَرَّاً.

وَكَمْ من مَحْبُوبٍ فِيهِ المَكْرُوهُ، وَكَمْ من مَكْرُوهٍ فِيهِ المَحْبُوبُ؟ وَصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئَاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئَاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

تَعَزَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِكُلِّ مَن فَقَدَ حَبِيبَاً من أَحِبَّتِهِ: لا تَحْزَنْ على مَنْ فَقَدْتَ، لِأَنَّكَ فَقَدْتَ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ عِنْدَكَ مِنْهُ، لَقَد فَقَدْتَ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَتَعَزَّ بِفَقْدِهِ، فَهُوَ سُلْوَانٌ وَرَاحَةٌ لَكَ.

روى الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْـمَصَائِبِ عِنْدَهُ».

يَا مَنْ فَقَدْتَ الأَحِبَّةَ، تَذَكَّرِ المُصِيبَةَ العُظْمَى بِفَقْدِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَكُلُّ مُصِيبَةٍ دُونَ مُصِيبَتِنَا بِفَقْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى

آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَهُونُ، لِأَنَّهُ بِفَقْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، اِنْقَطَعَ وَحْيُ السَّمَاءِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَبِفَقْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، اِنْقَطَعَتِ النُّبُوَّةُ والرِّسَالَةُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: عِنْدَمَا فقدْنَا حَبِيباً لَنَا وعَزِيزاً، وَذَاقَتْ قُلُوبُنَا لَوْعَةَ الفِرَاقِ، وَحُرْقَةَ الوَدَاعِ، هَلْ شَعَرْنَا بِذَلِكَ عِنْدَ فِرَاقِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

اِسْمَعْ يَا مَنْ فَقَدْتَ الحَبِيبَ العَزِيزَ الغَالِي، إلى مَا يَقُولُهُ لَكَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

روى ابن ماجة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُا قَالَتْ: فَتَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَاباً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، أَوْ كَشَفَ سِتْراً، فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ، رَجَاءَ أَنْ يَخْلُفَهُ اللهُ فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ.

فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّمَا أَحَدٍ مِن النَّاسِ أَوْ مِن الْـمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنْ الْـمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَداً مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي».

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله: كُلُّ مُصِيبَةٍ تَهُونُ إلا مُصِيبَةَ الدِّينِ، كُلُّ مُصِيبَةٍ تَهُونُ إلا مُصِيبَةَ تَخَلِّي اللهِ تعالى عَنَّا لا قَدَّرَ اللهُ تعالى، كُلُّ مُصِيبَةٍ تَهُونُ إلا مُصِيبَةَ الفِتْنَةِ في دِينِنَا، وَأَنْ

نَكُونَ مِمَّنْ عَبَدَ اللهَ على حَرْفٍ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْـــمُبِينُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: الْمُصِيبَةُ العُظْمَى إذا فَقَدْنَا الأَجْرَ على مُصِيبَتِنَا، الْمُصِيبَةُ العُظْمَى إذا كَانَ قَبْرُنَا حُفْرَةً من حُفَرِ النَّارِ، الْمُصِيبَةُ العُظْمَى إذا أَدْخَلَنَا اللهُ تعالى النَّارَ، الْمُصِيبَةُ العُظْمَى إذا حَرَمَنَا اللهُ تعالى الجَنَّةَ، الْمُصِيبَةُ العُظْمَى إذا طُرِدْنَا عَن حَوْضِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الْمُصِيبَةُ العُظْمَى إذا انْقَلَبْنَا إلى اللهِ تعالى وَقَدْ حَمَلْنَا ظُلْمَاً.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى لَنَا وَلَكُمْ حُسْنَ الخِتَامِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧٢ـ خطبة الجمعة: أعظم عُرى الإيمان

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: جَمِيعُ الخَلْقِ مُفْتَقِرُونَ إلى اللهِ تعالى فِي كُلِّ شُؤُونِهِم وَأَحْوَالِهِم، وفي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ.

مُفْتَقِرُونَ إلى اللهِ تعالى فِي أَمْنِهِم، فَكَيْفَ لا يَفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي خَوْفِهِم؟

مُفْتَقِرُونَ إلى اللهِ تعالى في عِزِّهِم، فَكَيْفَ لا يَفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ في ذُلِّهِم؟

مُفْتَقِرُونَ إلى اللهِ تعالى في قُوَّتِهِم، فَكَيْفَ لا يَفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ في ضَعْفِهِم؟

يَا عِبَادَ اللهِ: في هذهِ الأَزْمَةِ التي تَمُرُّ عَلَيْنَا تَعَلَّقَ النَّاسُ بالنَّاسِ، وَشَكَا النَّاسُ إلى النَّاسِ، ولا حَرَجَ أَنْ يَسْتَعِينَ النَّاسُ بَعْضُهُم بِبَعْضٍ فِيمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، لَكِنْ أَنْ يَكُونَ الاعْتِمَادُ عَلَيْهِم دُونَ اللهِ تعالى، فهذِهِ طَامَّةٌ كُبْرَى، وهذا هُوَ الهَلاكُ بِعَيْنِهِ، لِأَنَّهُ مَن تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ وُكِلَ إِلَيْهِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: إنَّ في تَقَلُّبَاتِ الدَّهْرِ عَجَائِبَاً، لَقَد تَوَالَتِ العَقَبَاتُ، وَتَكَاثَرَتِ الابْتِلاءَاتُ، وَطَغَتِ المَادَّةُ على كَثِيرٍ من الخَلْقِ، فَتَنَكَّرُوا لِرَبِّهِم، وَضَعُفَتْ صِلَتُهُم مَعَ اللهِ تعالى، وَاعْتَمَدُوا على الأَسْبَابِ، لِذَا سَادَ القَلَقُ والاضْطِرَابُ، والضَّعْفُ والهَوَانُ، وَعَمَّ الخَوْفُ من المُسْتَقْبَلِ، وَنَسُوا قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: يَا أَهْلَ هذا البَلَدِ الحَبِيبِ، يَا أَهْلَ بِلادِ الشَّامِ، يَا أَهْلَ سُورِيَّا، يَا أَهْلَ حَلَبَ، يَا أَصْحَابَ الحَاجَاتِ، يَا أَصْحَابَ الابْتِلاءَاتِ، يَا أَصْحَابَ الشَّدَائِدِ، أَلَمْ تَقْرَؤُوا قَوْلَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾؟

أَيْنَ نَحْنُ من الشَّكْوَى للهِ تعالى؟ أَيْنَ نَحْنُ من الالْتِجَاءِ والإِلْحَاحِ على اللهِ تعالى؟ وَاللهِ الذي لا إِلَهَ إلا هُوَ، لا كَاشِفَ لِمَا نَحْنُ فِيهِ إلا اللهُ تعالى، ولا تَوْفِيقَ ولا فَلاحَ ولا سَعَادَةَ ولا أَمْنَ ولا شِبَعَ إلا من اللهِ تعالى.

أَعْظَمُ عُرَى الإِيمَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إنّ الـــتَّضَرُّعَ إلى اللهِ تعالى، وَإِظْهَارَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، والاعْتِرَافَ بالافْتِقَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، هُوَ من أَعْظَمِ عُرَى الإِيمَانِ، وَبُرْهَانُ ذَلِكَ كَثْرَةُ الدُّعَاءِ مَعَ الإِلْـــحَاحِ فِي السُّؤَالِ، لما رواه الحاكم عَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لا يَهْلَكُ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ».

وَيَقُولُ الفَارُوقُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إِنِّي لا أَحْمِلُ هَمَّ الإِجَابَةِ، وَلَكِنْ أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ، فَإِنْ أُلْهِمْتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الإِجَابَةَ مَعَهُ.

وَقْفَةٌ مَعَ بَعْضِ آيَاتِ اللهِ تعالى:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَقِفْ مَعَ بَعْضِ الآيَاتِ من كِتَابِ اللهِ تعالى، وَخَاصَّةً وَنَحْنُ نَعِيشُ هذهِ الأَزْمَةَ، حَيْثُ كَثُرَ الغَمُّ، والخَوْفُ، والمَكْرُ.

أولاً: لِنَقِفْ مَعَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. هؤلاءِ أَصْحَابُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟ النَّتِيجَةُ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ واللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

ومن هُنَا قَالَ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ، وَلَمْ يَفزَعْ إلى قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. لِأَنِّي سَمِعْتُ اللهَ تعالى بِعَقِبِهَا يَقُولُ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾.

ثانياً: لِنَقِفْ مَعَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. هذا سَيِّدُنَا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟ النَّتِيجَةُ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْـمُؤْمِنِينَ﴾.

ومن هُنَا قَالَ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَجِبْتُ لِمَنْ اغْتَمَّ، وَلَمْ يَفزَعْ إلى قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. فَإِنِّي سَمِعْتُ اللهَ تعالى بِعَقِبِهَا يَقُولُ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْـمُؤْمِنِينَ﴾.

ثالثاً: لِنَقِفْ مَعَ قَوْلِهِ تعالى على لِسَانِ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ، عِنْدَمَا خَافَ مَكْرَ قَوْمِهِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟ النَّتِيجَةُ: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾.

ومن هُنَا قَالَ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَجِبْتُ لِمَنْ مُكِرَ بِهِ، وَلَمْ يَفزَعْ إلى قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. فَإِنِّي سَمِعْتُ اللهَ تعالى بِعَقِبِهَا يَقُولُ: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾.

رابعاً: لِنَقِفْ مَعَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الـــضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. فَمَاذَا كَانَتِ نَتِيجَةُ هذا؟ النَّتِيجَةُ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.

ومن هُنَا قَالَ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: عَجِبْتُ لِمَنْ أَصَابَهُ الـــضُّرُّ، وَلَمْ يَفْزَعْ إلى قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الـــضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. فَإِنِّي سَمِعْتُ اللهَ تعالى بِعَقِبِهَا يَقُولُ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله: العَجِيبُ والغَرِيبُ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ ومُؤْمِنٍ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَيَعْتَرِفُ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ لماذَا نَتَعَلَّقُ بالفُقَرَاءِ الضُّعَفَاءِ العَاجزِينَ؟ لا أَدْرِي، لماذَا نَلْجَأُ إلى المَخْلُوقِينَ، ولا نَلْجَأُ إلى الخَالِقِ تَبَارَكَ وتعالى؟ لا أَدْرِي.

ورَحِمَ اللهُ تعالى مَن قَالَ:

سَـــلِ اللهَ رَبَّكَ مَـــا عِـــنْـــدَهُ *** لا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا عِنْدَهُم

ولا تَبْتَغِي من سِوَاهُ الغِنَى *** وَكُنْ عَبْدَهُ لا تَكُنْ عَبْدَهُم

اللَّهُمَّ فَرِّغْ قُلُوبَنَا من الأَغْيَارِ، ولا تَجْعَلِ اعْتِمَادَنَا إلا عَلَيْكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧٣ـ خطبة الجمعة: سبب اختلال الأمن

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين،وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: إِنّ الإِيمَانَ باللهِ تعالى، وباليَوْمِ الآخِرِ، طَرِيقٌ للسَّعَادَةِ في الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ، وَهُوَ سَبِيلُ الأَمْنِ والحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، فَكُلَّمَا اعْتَصَمَتِ الأُمَّةُ بِرَبِّهَا عزَّ وجلّ كُلَّمَا أَكْرَمَهَا بالأَمْنِ والعَيْشِ الهَنِيِّ.

قَالَ تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

وقَالَ تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وبالْمُقَابِلِ، إِنّ أَعْظَمَ مَا يُسَبِّبُ اخْتِلالَ الأَمْنِ والاسْتِقْرَارِ، وَحُدُوثَ المِحَنِ والاضْطِرَابَاتِ، هُوَ انْتِهَاكُ حُرُمَاتِ اللهِ تعالى، وَارْتِكَابُ المَعَاصِي والْمُنْكَرَاتِ، والجُرْأَةُ على ذَلِكَ جِهَاراً نَهَاراً ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنّ الحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ وَعِمَارَةَ الحَيَاةِ لا تَكُونُ إلا بالأَمْنِ، والأَمْنُ لا يَكُونُ إلا بالإِيمَانِ باللهِ تعالى والعَمَلِ الصَّالِحِ.

الذُّنُوبُ والأَوْزَارُ سَبَبُ اخْتِلالِ الأَمْنِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إنّ الذّنُوبَ والأَوْزَارَ والخَطَايَا والآثَامَ تُعَكِّرُ صَفْوَ الأَمْنِ في المُجْتَمعَاتِ، فَهِيَ ضَرَرٌ عَظِيمٌ، وَشَرٌّ كَبيرٌ، وَخَطَرٌ مُسْتَطِيرٌ، قَالَ تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. و قَالَ تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿أَوَلَـمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. فالذّنُوبُ والأَوْزَارُ والخَطَايَا والآثَامُ مَا كَانَتْ في دِيَارٍ إلا أَهْلَكَتْهَا، ولا في مُجْتَمَعَاتٍ إلا دَمّرَتْهَا.

ورَحِمَ اللهُ تعالى مَن قَالَ:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا *** فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

وَدَاوِمْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلَهِ *** فَإِنَّ الإِلَهَ شَـديـدُ النِّقَمْ

رِسَالَةُ سَيِّدِنَا عُمَرَ إلى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما:

يَا عِبَادَ اللهِ: من خِلالِ قَوْلِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه الشيخان عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

أَتَوجَّهُ إلى كُلِّ رَاعٍ لِأَقولَ لَهُ: يَا أَيُّهَا الرَّاعِي لِمَنِ اسْتَرْعَاكَ اللهُ تعالى عَلَيْهِ، اسْمَعْ إلى وَصِيَّةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لِسَيِّدِنَا سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عِنْدَمَا كَانَ قَائِدَاً للجَيْشِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ من الأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللهِ على كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ العُدَّةِ على العَدُوِّ، وَأَقْوَى المَكِيدَةِ في الحَرْبِ، وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاساً من المَعَاصِي مِنْكُم مِن عَدُوِّكُم، فَإِنَّ ذُنُوبَ الجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِم من عَدُوِّهِم.

وَإِنَّمَا يُنْصَرُ المُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِم للهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِم قُوَّةٌ، لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِم، وَلَا عُدَّتَنَا كَعُدَّتِهِم، فَإِذَا اسْتَوَيْنَا في المَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الفَضْلُ عَلَيْنَا في القُوَّةِ، وَإِنَّا لا نُنْصَرُ عَلَيْهِم بِفَضْلِنَا، وَلَمْ نَغْلِبْهُم بِقُوَّتِنَا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُم في سَيْرِكِم حَفَظَةً من اللهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُم، ولا تَعْمَلُوا بِمَعَاصِي اللهِ وَأَنْتُم في سَبِيلِ اللهِ، وَلا تَقُولُوا إِنَّ عَدُوَّنَا شَرٌّ مِنَّا، فَلَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْنَا، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِم شَرٌّ مِنْهُم، كَمَا سُلِّطَ على بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا عَمِلُوا بِمَسَاخِطِ اللهِ كُفَّارُ المَجُوسِ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدَاً مَفْعُولَاً، وَاسْأَلُوا اللهَ العَوْنَ على أَنْفُسِكُم، كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ على عَدُوِّكُم.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يا عباد الله: إنّ الذُّنُوبَ والمَعَاصِيَ لَهَا أَثَرٌ بَلِيغٌ على الأَبْدَانِ والقُلُوبِ، وَهِيَ شُؤْمٌ وَاضِحٌ فِي حَيَاةِ الأُمَّةِ، وَضَرَرُهَا في القُلُوبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ في الأَبْدَانِ، وَهَلْ هُنَاكَ شَرٌّ وَدَاءٌ إلا بِسَبَبِ المَعَاصِي؟

ما الذي أَخْرَجَ سَيِّدَنَا آدَمَ وَأُمَّنَا حَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ من الجَنَّةِ؟

الذي أَخْرَجَهُمَا المُخَالَفَةُ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

ما الذي أَخْرَجَ إِبْلِيسَ من مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، وَطَرَدَهُ اللهُ تعالى بِهِ وَلَعَنَهُ، وَمَسَخَهُ ظَاهِراً وَبَاطِنَاً، وَبَدَّلَهُ بالقُرْبِ بُعْدَاً، وبالرَّحْمَةِ لَعْنَةً، وبالجَمَالِ قُبْحَاً، وبالجَنَّةِ نَاراً تَلَظَّى؟

الذي أَخْرَجَهُ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. الذي أَخْرَجَهُ هُوَ الاسْتِكْبَارُ على أَمْرِ اللهِ تعالى، هُوَ الجُرْأَةُ على مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى، هُوَ الإِصْرَارُ على المَعْصِيَةِ، هُوَ التَّبْرِيرُ للمَعْصِيَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: تَابَ سَيِّدُنَا آدَمُ فَاجْتَبَاهُ اللهُ تعالى وَاصْطَفَاهُ، وَأَصَرَّ إِبْلِيسُ فَشَقِيَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ؛ فَهَلْ من مُعْتَبِرٍ؟

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدَّاً جَمِيلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧٤ـ خطبة الجمعة: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: الظَّلَمَةُ والطُّغَاةُ يَلْعَنُهُم مَنْ في السَّمَوَاتِ ومَنْ في الأَرْضِ، بَلْ تَلْعَنُهُم جَمِيعُ الكَائِنَاتِ والمَخْلُوقَاتِ، حَتَّى الحِيتَانُ في البِحَارِ، والطُّيُورُ في الأَوْكَارِ، وَبِمَوْتِهِم يَسْتَرِيحُ مِنْهُمُ العِبَادُ والبِلادُ، روى الشيخان عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا الْـمُسْتَرِيحُ وَالْـمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟

فَقَالَ: «الْعَبْدُ الْـمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ».

هؤلاءِ الطُّغَاةُ المُجرِمُونَ تَنَامُ أَعْيُنُهم، وَلَكِنْ أَعْيُنُ المَظْلُومِينَ المَقْهُورِينَ الـمُشَرَّدِينَ، وَأَعْيُنُ اليَتَامَى والأَرَامِلِ سَاهِرَةٌ في جَوْفِ اللَّيْلِ وفي وَقْتِ الأَسْحَارِ تَدْعُو عَلَيْهِمُ الوَاحِدَ القَهَّارَ، وَدَعَوَاتُهُم تَصْعَدُ إلى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ من النَّارِ، لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله تعالى حِجَابٌ، وَإِذَا بِهِم يَسْمَعُونَ الخِطَابَ من العَزِيزِ الجَبَّارِ عَن طَرِيقِ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، يَسْمَعُونَ خِطَابَ الفَرَجِ الذي يُخَالِطُ شِغَافَ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ المُوقِنِينَ:

«وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

هَلْ عَمِيَ بَصَرُكَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: خَاطِبُوا كُلَّ ظَالِمٍ بِقَوْلِ القَائِلِ:

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْت مُقْتَدِرَاً *** فَـــالظُّلْمُ آخِرُهُ يَأْتِيك بِالنَّدَمِ

تَـــنَـــامُ عَـــيْـــنَاكَ وَالْـــمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ *** يَدْعُو عَلَيْك وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمْ

لا شَكَّ دَعْوَةُ المَظْلُومِ يَحِلُّ بِهَا *** دَارُ الهَوَانِ وَدَارُ الذُّلِّ والنِّقَمِ

يَا عِبَادَ اللهِ: خَاطِبُوا كُلَّ ظَالِمٍ، وَقُولُوا لَهُ: هَلْ عَمِيَ بَصَرُكَ، وَطُمِسَتْ بَصِيرَتُكَ، فَلَمْ تَرَ مَا فَعَلَ اللهُ تعالى بالظَّالِمِينَ؟

اذْكُرْ يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ، قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

اذْكُرْ أَيُّهَا الظَّالِمُ، يَا مَنْ فَرَّقْتَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، يَا مَنْ مَزَّقْتَ قُلُوبَ العِبَادِ بِسَبَبِ ظُلْمِكَ وَقَهْرِكَ، يَا مَنْ ضَيَّقْتَ على العِبَادِ، اذْكُرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؟ غُرُورٌ وَجَهْلٌ وَحَمَاقَةٌ وَوَقَاحَةٌ.

اذْكُرْ أَيُّهَا الظَّالِمُ، رَدَّ اللهِ تعالى عَلَيْهِم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

اذْكُرْ أَيُّهَا الظَّالِمُ، نَتِيجَةَ هؤلاءِ الذينَ قَالُوا مَا قَالُوا: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾. نَتِيجَةُ هؤلاءِ كَانَتْ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾؟

يَا عِبَادَ اللهِ: وَخَاطِبُوا كُلَّ مَظْلُومٍ مَقْهُورٍ مُضَيَّقٍ عَلَيْهِ: هَلْ سَمِعْتَ هذا السُّؤَالَ من اللهِ تعالى عَن الظَّالِمِينَ: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾؟

أَيُّهَا المَظْلُومُ المَقْهُورُ، إِيَّاكَ أَنْ تَهتَزَّ ثِقَتُكَ باللهِ تعالى، إِيَّاكَ أَنْ يَضْعُفَ إِيمَانُكَ بِرَبِّكِ القَائِلِ: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله: أَلَيْسَ الأَمْرُ للهِ تعالى من قَبْلُ ومن بَعْدُ؟

أَلَيْسَ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَكَفَى باللهِ حَسِيبًا؟

أَلَيْسَ اللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؟

أَلَيْسَ اللهُ عَالِمٌ بِمَكْرِ المَاكِرِينَ، وَبِإِجْرَامِ المُجْرِمِينَ؟

أَلَيْسَ اللهُ غَالِبٌ على أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ؟

فَلْنَثِقْ باللهِ تعالى القَائِلِ: ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

اللّهُمَّ لا تَجْعَلْ للظَّالِمِينَ في أَبْدَانِنَا وَسْمَاً، ولا تَجْعَلْ لَهُمْ في أَمْوَالِنَا قِسْمَاً، ولا تَجْعَلْ لَنَا في دَوَاوِينِهِمُ اسْمَاً، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧٥ـ خطبة الجمعة: حقيقة يوم الحسرة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: لَقَد قَسَتْ مِنَّا القُلُوبُ فلا تَرَى فِيهَا رَحْمَةً، وَتَحَجَّرَتِ العُيُونُ فلا تَرَى فِيهَا دَمْعَةَ خَشْيَةٍ من اللهِ تعالى، وَهُجِرَ كِتَابُ اللهِ عزَّ وجلَّ سُلُوكَاً وعَمَلاً، فَقَرَأْنَاهُ والقُلُوبُ لاهِيَةٌ سَاهِيَةٌ في وِدْيَانِ هذهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

تَرَانَا نَقْرَأُ القُرْآنَ العَظِيمَ في مَآتِمِنَا على مَوْتَانَا، ولا نُحَكِّمُهُ فِينَا وَنَحْنُ أَحْيَاءٌ، جَعَلْنَاهُ بَرَكَةً في حَمْلِهِ وتِلاوَتِهِ، وَتَرَكْنَا البَرَكَةَ الحَقِيقِيَّةَ المُتَمَثِّلَةَ بالائْتِمَارِ بِأَوَامِرِهِ، وبالازْدِجَارِ عَن زَوَاجِرِهِ، وَنَسِينَا قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

كَثُرَ القَلَقُ والهَمُّ والحُزْنُ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد كَثُرَ القَلَقُ والهَمُّ والحُزْنُ، بِسَبَبِ مَكْرِنَا بِبَعْضِنَا البَعْضِ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَفَشَتِ الكَبَائِرُ والمَظَالِمُ، فَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ، وَسُلِبَتِ الأَمْوَالُ، وَهُجِّرَ النَّاسُ، وَفُرِّقَ بَيْنَ الوَالِدِ وَوَلَدِهِ، وَبَيْنَ الزَّوْجِ والزَّوْجَةِ، وَبَيْنَ الحَبِيبِ وَحَبِيبِهِ، وَنَسِينَا يَوْمَ الحَسْرَةِ الذي قَالَ فِيهِ مَوْلانَا عزَّ وجلَّ مُخَاطِبَاً سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد أَنْذَرَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الحَسْرَةِ، كَمَا جَاءَ في الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِالْـمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؛ فَـيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ.

فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْـمَوْتُ؛ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ.

ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ؛ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ.

فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْـمَوْتُ؛ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ.

فَيُذْبَحُ؛ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ.

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾. وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾».

حَقِيقَةُ يَوْمِ الحَسْرَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الإِيمَانُ باللهِ تعالى وباليَوْمِ الآخِرِ الذي هُوَ يَوْمُ الحَسْرَةِ، هُوَ اليَوْمُ الذي يَمْسَحُ على قُلُوبِ المُسْتَضْعَفِينَ المَقْهُورِينَ المَظْلُومِينَ المُشَرَّدِينَ مَسْحَةَ يَقِينٍ تَسْكُنُ مَعَهُ قُلُوبُهُم، وَهِيَ تَتَطَلَّعُ لِمَا أَعَدَّهُ اللهُ تعالى للصَّابِرِينَ من نَعِيمٍ يُنْسَى مَعَهُ كُلُّ ضُرٍّ وَبَلاءٍ وَشَقَاءٍ وَعَنَاءٍ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْـمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الإِيمَانُ باللهِ تعالى وباليَوْمِ الآخِرِ الذي هُوَ يَوْمُ الحَسْرَةِ، هُوَ اليَوْمُ الذي يَمْسَحُ على قُلُوبِ المَكْلُومِينَ الذينَ احْتَرَقَتْ قُلُوبُهُم، وَهِيَ تَتَطَلَّعُ إلى مَا أَعَدَّهُ اللهُ تعالى للظَّالِمِينَ من بُؤْسٍ وَشَقَاءٍ، وَيُنْسِيهِم كُلَّ هَنَاءٍ كَانُوا يَعِيشُونَهُ في حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا حَسَبَ الظَّاهِرِ، قَالَ تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. وقَالَ تعالى عَنْهُم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾. وقَالَ تعالى عَنْهُم: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْـمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾. وقَالَ تعالى عَنْهُم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا

سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنَاً كَبِيراً﴾. وقَالَ تعالى عَنْهُم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يا عباد الله: الإِيمَانُ باللهِ تعالى وباليَوْمِ الآخِرِ الذي هُوَ يَوْمُ الحَسْرَةِ، يُرِيحُ كُلَّ صَاحِبِ قَلْبٍ مَوْجُوعٍ، يُرِيحُ كُلَّ عَبْدٍ مَظْلُومٍ، يُرِيحُ كُلَّ عَبْدٍ مَقْهُورٍ، إِذَا كَانَ صَابِراً مُحْتَسِباً مُتَّقِيَاً، وَذَلِكَ من خِلالِ قَوْلِهِ تعالى في حَقِّ كُلِّ ظَالِمٍ فَاجِرٍ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعَاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ باللهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾.

ومن خِلالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

ومن خِلالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمَاً مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

ومن خِلالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ

اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

يَا رَبِّ عَجِّلْ بِتَفْرِيجِ كُرُوبِنَا، وَعَجِّلْ بِشِفَاءِ صُدُورِنَا، ولا تَنْزَعِ الرَّحْمَةَ من قُلُوبِنَا، وَاخْتِمْ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ آجَالَنَا وَأَعْمَالَنَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧٦ـ خطبة الجمعة: إلى كل ظالم وطاغ ومتكبر ومتجبر

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: حَاجَتُنَا اليَوْمَ إلى المَوْعِظَةِ والتَّذْكِيرِ والتَّرْهِيبِ والتَّرْغِيبِ أَشَدُّ من حَاجَتِنَا إلى الطَّعَامِ والشَّرَابِ، وأَشَدُّ من حَاجَتِنَا إلى الصِّحَّةِ والعَافِيَةِ، وأَشَدُّ من حَاجَتِنَا إلى الأَمْنِ والأَمَانِ، لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى إِذَا ابْتَلانَا بالجُوعِ والعَطَشِ، وبالمَرَضِ والأَسْقَامِ، وبالخَوْفِ، فَهِيَ في الحَقِيقَةِ مِنَحٌ، وَذَلِكَ بالنَّظَرِ إلى نَتَائِجِهَا، وَأَهَمُّ نَتَائِجِ هذهِ الابْتِلاءَاتِ هِيَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْـمُهْتَدُونَ﴾. وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد عَمَّ الظُّلْمُ وَطَمَّ بِاسْمِ الإِسْلامِ وَغَيْرِهِ، وَنَحْنُ لا نَمْلِكُ إلا أَنْ نَسْلُكَ مَا سَلَكَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ من خِلالِ القُرْآنِ العَظِيمِ، قَالَ تعالى آمِراً نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾. وَقَالَ لَهُ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾. وَقَالَ لَهُ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾. وَقَالَ لَهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. وَقَالَ لَهُ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْـمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْـمُهْتَدِينَ﴾. وَقَالَ لَهُ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: من خِلالِ هذهِ الآيَاتِ الكَرِيمَةِ، أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ ظَالِمٍ وَطَاغٍ وَمُتَكَبِّرٍ وَمُتَجَبِّرٍ، لِأَقُولَ لَهُ نَاصِحَاً:

أولاً: تَذَكَّرْ بِأَنَّ اللهَ تعالى يَرَاكَ:

تَذَكَّرْ يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الطَّاغِي البَاغِي الْمُتَكَبِّرُ الْمُتَجَبِّرُ بِأَنَّ اللهَ تعالى يَرَاكَ، وَهُوَ رَقِيبٌ عَلَيْكَ، وَيُحْصِي عَلَيْكَ أَفْعَالَكَ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾. وقَالَ تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

ثانياً: تَذَكَّرْ بِأَنَّ أَعْمَالَكَ مَحْصِيَّةٌ عَلَيْكَ:

تَذَكَّرْ يا أَيُّهَا الظَّالِمُ الطَّاغِي البَاغِي المُتَكَبِّرُ المُتَجَبِّرُ بِأَنّ أَعْمَالَكَ مَحْصِيَّةٌ عَلَيْكَ، قَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ واللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْـــمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. وقَالَ تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثالثاً: تَذَكَّرْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ:

تَذَكَّرْ يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الطَّاغِي البَاغِي المُتَكَبِّرُ المُتَجَبِّرُ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ مَهْمَا طَالَتْ بِكَ الحَيَاةُ، وَبِأَنَّكَ سَتَقَعُ فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ رَغْمًا عَن أَنْفِكَ، قَالَ تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْـــمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَـــبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْـــمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْـــمَوْتِ وَالْـــمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ

وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

رابعاً: تَذَكَّرْ بِأَنَّ أَمَامَكَ عَالَمَ البَرْزَخِ:

تَذَكَّرْ يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الطَّاغِي البَاغِي المُتَكَبِّرُ المُتَجَبِّرُ بِأَنَّ أَمَامَكَ عَالَمَ البَرْزَخِ، وَهُوَ عَالَمٌ مَا بَيْنَ عَالَمِ الدُّنْيَا وَعَالَمِ الآخِرَةِ، هذا العَالَمُ الغَيْبِيُّ الذي لا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إلا اللهُ تعالى، قَالَ فِيهِ مَوْلانَا عزَّ وجلَّ في حَقِّ مَنْ سَبَقَكَ من أَهْلِ الظُّلْمِ والبَغْيِ والإِجْرَامِ والإِفْسَادِ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

تَذَكَّرْ يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ الطَّاغِي البَاغِي المُتَكَبِّرُ المُتَجَبِّرُ بِأَنَّ هذا العَالَمَ الذي يَنْتَظِرُكَ، إِنْ شِئْتَ وَإِنْ أَبَيْتَ، قَالَ تعالى في حَقِّ أَمْثَالِكَ مِمَّنْ عَاثَ في الأَرْضِ فَسَاداً بالقَتْلِ والسَّلْبِ والنَّهْبِ والتَّرْوِيعِ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْـــمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحَاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

تَذَكَّرْ عَالَمَ البَرْزَخِ الذي يَنْتَظِرُكَ، وَسَوْفَ تَدْخُلُهُ من بَوَّابَةِ قَبْرِكَ وَحِيداً فَرِيداً، وَمَعَكَ الأَعْمَالُ الإِجْرَامِيَّةُ التي قُمْتَ بِهَا، تَذَكَّرْ هذا العَالَمَ، وهذا القَبْرَ الذي قَالَ فِيهِ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ» رواه الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَة ــ:

يا عَبْدَ الله: لا أَمْلِكُ لَكَ إلا النُّصحَ، لا أَمْلِكُ لَكَ إلا التَّذْكِيرَ، لا أَمْلِكُ لَكَ إلا الإِنْذَارَ، لا أَمْلِكُ لَكَ إلا الإِرْشَادَ، ولا أَمْلِكُ لَكَ إلا مَا قَالَهُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ لِآلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْـمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. واللهِ لا أُرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ من الخَاسِرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدّاً جَمِيلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧٧ـ خطبة الجمعة: الحب الحقيقي

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: دِينُنَا الحَنِيفُ الذي قَالَ فِيهِ مَوْلانَا سُبْحَانَهُ وَتَبَارَكَ وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾. هُوَ دِينُ الحُبِّ الحَقِيقِيِّ، بهذا الحُبِّ الحَقِيقِيِّ يُصْبِحُ العَبْدُ المُحِبُّ مَحْبُوباً عِنْدَ اللهِ تعالى

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. بالحُبِّ الحَقِيقِيِّ يُحْشَرُ المُحِبُّ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: بالحُبِّ الحَقِيقِيِّ يَحْشُرُ اللهُ عزَّ وجلَّ المُحِبِّينَ يَوْمَ القِيَامَةِ في الجَنَّةِ على مَنَابرَ من نُورٍ وَيُكْتَبُ على جِباهِهِم: المُتَحَابُّونَ فِيَّ، كَمَا جَاءَ في الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الترمذي عَن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْـمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ».

يَا عِبَادَ اللهِ: الظُّلْمُ في هذهِ الأَزْمَةِ قَد عَمَّ وَطَمَّ، حَتَّى وَصَلَ هذا الظُّلْمُ إلى الحُبِّ الطَّاهِرِ، إلى الحُبِّ المُقَدَّسِ، إلى الحُبِّ الذي دَعَانَا إِلَيْهِ الإِسْلامُ، إلى الحُبِّ المُتَبَادَلِ بَيْنَ المُؤْمِنِ وَالوُجُودِ كُلِّهِ، أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» رواه الإمام البخاري عَن العَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

الحُبُّ الحَقِيقِيُّ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الحُبُّ الحَقِيقِيُّ هُوَ الحُبُّ الذي يُقَرِّبُكَ من اللهِ تعالى، الحُبُّ الحَقِيقِيُّ هُوَ أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ تعالى من خِلالِ مَا يَحْتَوِيهِ قَلْبُكَ، الحُبُّ الحَقِيقِيُّ هُوَ:

أولاً: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا:

روى الشيخان عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللهُ

وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْــمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

فَالحُبُّ الحَقِيقِيُّ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا.

ثانياً: أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ إِلَيْكَ من نَفْسِكَ:

روى الإمام البخاري عَن عَبْدِ اللهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ».

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ واللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْآنَ يَا عُمَرُ».

فَالحُبُّ الحَقِيقِيُّ أَنْ يَكُونَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ إِلَيْكَ من نَفْسِكَ التي بَيْنَ جَنْبَيْكَ.

ثالثاً: أَنْ تُحِبَّ أَخَاكَ فِي اللهِ تعالى:

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ـــ وَعَدَّ مِنْهُم: ـــ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفرَّقَا عَلَيْهِ».

فَالحُبُّ الحَقِيقِيُّ أَنْ تُحِبَّ أَخَاكَ فِي اللهِ تعالى.

رابعاً: أَنْ يُوصِلَكَ إلى مَحَبَّةِ الله تعالى:

روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدَاً دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانَاً فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ؛ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانَاً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ؛ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

فَالحُبُّ الحَقِيقِيُّ هُوَ الذي يَكُونُ سَبَبَاً لِأَنْ يُوصِلَكَ إلى مَحَبَّةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى، فَأَيُّ حُبٍّ أَشْرَفُ وَأَسْمَى من هذا الحُبِّ؟!

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد انْتَشَرَ الظُّلْمُ وَعَمَّ وَطَمَّ، حَتَّى وَصَلَ هذا الظُّلْمُ إلى الحُبِّ الحَقِيقِيِّ، فَأَصْبَحَ الحُبُّ مَظْلُومَاً، وَأَصبَحَ المُحِبُّ ظَالِمَاً لِنَفْسِهِ، عِنْدَمَا اسْتَبْدَلَ الذي هُوَ أَدْنَى بالذي هُوَ خَيْرٌ.

يَا عِبَادَ اللهِ: ما هذا العِيدُ الذي سَمَّاهُ النَّاسُ: عِيدَ الحُبِّ؟ عِيدُ الحُبِّ هذا هُوَ دَعْوَةٌ إلى الفُجُورِ والعُهْرِ، دَعْوَةٌ لارْتِكَابِ الفَوَاحِشِ مَا لا يَخْطُرُ على بَالٍ، ولا يَقْبَلُهُ

شَرِيفٌ، وَبِهِ يُسْتَدْرَجُ النَّاسُ إلى حَمَأَةِ الشَّهَوَاتِ والرَّذِيلَةِ، هُوَ دَعْوَةٌ من أُنَاسٍ قَالَ اللهُ تعالى فِيهِم: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: من الأَسْبَابِ التي أَوْصَلَتْنَا إلى هذهِ الأَزْمَةِ التي كَثُرَ فِيهَا سَفْكُ الدِّمَاءِ، وَدَمَارُ البلادِ، هُوَ عِيدُ الحُبِّ الذي بِسَبَبِهِ انْتَشَرَتِ الفَاحِشَةُ، وَبِهِ اسْتَحَقَّ العِبَادُ عِقَابَ اللهِ تعالى، كَمَا جَاءَ في الحَدِيثِ الـــشَّرِيفِ الذي رواه الإمام أحمد عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

يَا عِبَادَ اللهِ: قِفُوا مَعَ أَنْفُسِكُم لَحْظَةً وَفَكِّرُوا، هَلِ اسْتَبْدَلْنَا الذي هُوَ أَدْنَى بالذي هُوَ خَيْرٌ ؟

يَا شَبَابَ هذهِ الأُمَّةِ، وَيَا شَابَّاتِ هذهِ الأُمَّةِ، قِفُوا مَعَ أَنْفُسِكُم لَحْظَةً وَفَكِّرُوا، هَلْ هذا الحُبُّ يُقَرِّبُنَا من اللهِ تَبَارَكَ وتعالى أَمْ يُبْعِدُنَا؟ هَلِ اسْتَبْدَلْنَا الذي هُوَ أَدْنَى بالذي هُوَ خَيْرٌ ؟

وَأَمَّا أَنْتُم يَا أَصْحَابَ المَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةِ، قِفُوا مَعَ أَنْفُسِكُم لَحْظَةً وَفَكِّرُوا، مَا أَنْتُم قَائِلُونَ للهِ سُبْحَانَهُ وتعالى يَوْمَ العَرْضِ والحِسَابِ؟ يَا مَنْ يُرَوِّجُ لهذا العِيدِ، الذي هُوَ دَعْوَةٌ للفُجُورِ والعُهْرِ، وَخَاصَّةً في هذهِ الأَزْمَةِ التي شَمَلَتِ القَرِيبَ والبَعِيدَ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدَّاً جَمِيلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر اللهَ لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧٨ـ خطبة الجمعة: كَيفَ نَعرِفُكَ حَقَّ المَعرِفَةِ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللّهِ؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيا عباد الله: إِذَا كَانَ هَمُّ أَهْلِ الدُّنْيَا تَحْصِيلَ شَهَوَاتِهِمْ من النِّسَاءِ والبَنِينَ والقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ من الذَّهَبِ والفِضَّةِ؛ فَإِنَّ هَمَّ أَهْلِ الإِيمَانِ والصَّلاحِ الاسْتِقَامَةُ على طَاعَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ في المَنْشَطِ والمَكْرَهِ؛ وفي الغِنَى والفَقْرِ؛ وفي الأَمْنِ والخَوْفِ؛ هَمُّهُم أَنْ يَتُوبُوا إلى اللهِ تعالى؛ وَأَنْ يَمُوتُوا مُسْلِمِينَ؛ لِذَا تَرَاهُم حَرِيصِينَ كُلَّ الحِرْصِ على زِيَادَةِ إِيمَانِهِم باللهِ تعالى وباليَوْمِ الآخِرِ؛ حَرِيصِينَ كُلَّ الحِرْصِ على زِيَادَةِ إِيمَانِهِم بِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وهذا الإِيمَانُ يَتَحَقَّقُ بِزِيَادَةِ مَعْرِفَتِهِم بِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: يَجِبُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَعِيشُ هذهِ الأَزْمَةَ القَاسِيَةَ التي شَتَّتَتْ شَمْلَ المُسْلِمِينَ، وَفَرَّقَتْ جَمَاعَتَهُم، وَجَعَلَتْهُم شِيَعَاً وَأَحْزَابَاً، أَنْ نَتَعَرَّفَ على شَخْصِيَّةِ

سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي هُوَ قُدْوَتُنَا وَأُسْوَتُنَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد عَرَّفَنَا اللهُ تعالى على شَخْصِيَّةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من خِلالِ القُرْآنِ العَظِيمِ، فَقَالَ على سَبِيلِ المِثَالِ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. وَيُؤَكِّدُ هذا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»(مُشِيراً إِلى فَمِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ، حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: «اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ».

كَيفَ نَعرِفُكَ حَقَّ المعرِفَةِ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟:

يَا عِبَادَ اللهِ: تَعَالَوْا لِنَسْأَلِ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ، الذي شَهِدَ اللهُ تعالى بِصِدْقِهِ، وَأَنَّهُ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، لِنَقُولَ لَهُ: كَيفَ نَعرِفُكَ حَقَّ المعرِفَةِ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟ لِأَنَّ خَيْرَ مَنْ يُعَرِّفُ الأُمَّةَ عَنْكَ مِن البَشَرِ، هُوَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيفَ نَعرِفُكَ حَقَّ المعرِفَةِ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَنَا فِدَاكَ؟

أولاً: قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتاً، وَخَيْرُكُمْ نَفْساً»:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَسْمَعِ الجَوَابَ من الصَّادِقِ المَصْدُوقِ، روى الإمام أحمد عَنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: بَلَغَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بَعْضُ مَا يَقُولُ النَّاسُ.

قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «مَنْ أَنَا؟».

قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ.

فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الـمُطَّلِبِ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ، وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ، وَجَعَلَهُمْ بُيُوتاً، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتاً، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتاً، وَخَيْرُكُمْ نَفْساً».

ثانياً: قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَى بِالـمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَسْمَعِ الحَدِيثَ الثَّانِي الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِالـمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً فَعَلَيْنَا قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ».

وفي رِوَايَةٍ ثَانِيَةٍ لَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْـــمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالَاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنَاً أَوْ ضَيَاعَاً فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ».

جَعَلَ اللهُ تعالى أَرواحَنَا فِدَاكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ، زِدْنَا مِن فَضلِكَ.

ثالثاً: قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجَاً إِذَا بُعِثُوا»:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَسْمَعِ الحَدِيثَ الثَّالِثَ الذي رواه الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجَاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ».

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ العَظِيمَةُ، واللهِ مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ المَعْرِفَةِ ، وَلَو عَرَفْنَاكَ حَقَّ المَعْرِفَةِ لَأَعْطَيْنَا للبَشَرِيَّةِ أَجْمَلَ صُورَةٍ عَنْكَ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: مَعْرِفَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَمَا جَبَلَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِ من المَحَاسِنِ والفَضَائِلِ، وَمَا نَزَّهَهُ اللهُ عَنْهُ من القُصُورِ والنَّقَائِصِ، مِمَّا يَزِيدُ إِيمَانَنَا بِصِدْقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا

يَدْفعُنَا إلى مَحَبَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَإلى حُسْنِ الاقْتِدَاءِ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَرِيصٌ على المُؤْمِنينَ أَكْثَرَ من حِرْصِهِم على أَنْفُسِهِم، فَمَا هُوَ حَظُّنَا من هذا الحِرْصِ، وَهَلْ كُلٌّ مِنَّا حَرِيصٌ على الآخَرِينَ كَحِرْصِهِ على نَفْسِهِ؟

سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُبَشِّرٌ للنَّاسِ إذَا يَئِسُوا، هُوَ مُبَشِّرٌ في أَزَمَاتِ الدُّنْيا، وَأَزَمَاتِ الآخِرَةِ، فَهَلْ نَحْنُ نُبَشِّرُ أَمْ نُيَئِّسُ، تَذَكَّرُوا يَا عِبَادَ اللهِ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾.

اللَّهُمَّ زِدْنَا مَعْرِفَةً بِجَنَابِهِ الشَّرِيفِ، وَاجعَلْهُ يَا رَبَّنَا أَحَبَّ إلى قُلُوبِنَا من كُلِّ شَيْءٍ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٧٩ـ خطبة الجمعة: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ»

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: وَاجِبٌ على كُلِّ عَاقِلٍ من بَنِي البَشَرِ أَنْ يَتَعَرَّفَ على شَخْصِيَّةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ اللهَ تعالى أَمَرَ العِبَادَ بالإِيمَانِ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قَالَتعالى: ﴿فَآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الإِيمَانُ بِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَتَطَلَّبُ من العِبادِ أَنْ يَعْرِفُوا فَضْلَهُ، وَرِفْعَةَ مُسْتَوَاهُ، وَمَا أَسْبَغَ اللهُ تعالى عَلَيْهِ من الكَمَالاتِ، وَمَا أَبْدَعَ فِيهِ من المَحَاسِنِ، وَخَصَّهُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، حَتَّى أَعْلاهُ ذُرْوَةَ الخُلُقِ العَظِيمِ،وَجَمَّلَهُ في أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَبْدَعِ تَقْوِيمٍ.

أَهْوَالُ عَرَصَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد كَانَ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حَرِيصاً عَلَيْنَا كُلَّ الحِرْصِ،حَرِيصاً على سَلامَةِ دِينِنَا، وَحَرِيصاً على سَلامَةِ دُنْيَانَا،وَحَرِيصاً على سَلامَةِ آخِرَتِنَا خَاصَّةً.

يَا عِبَادَ اللهِ: إِذَا كُنَّا نَعِيشُ اليَوْمَ في أَزْمَةٍ قَاسِيَةٍ،مَزَّقَتْ قُلُوبَنَا، فَإِنَّ من وَرَائِنَا أَزْمَةً أَشَدُّ مِنْهَا بِكَثِيرٍ،حَيْثُ يَذْهَلُ الإِنْسَانُ فِيهَا عَن الوَالِدِ والوَلَدِ، وَتَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا.

روى أبو داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُبْكِيكِ؟».

قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِوَسَلَّمَ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدَاً، عِنْدَالْمِيزَانِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ
أَوْ يَثْقُلُ؛ وَعِنْدَ الْكِتَابِ،حِينَ يُقَالُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾. حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُكِتَابُهُ، أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ».

«فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْـــحَوْضِ»:

يَا عِبَادَ اللهِ: اعْرِفُوا مَنْ هُوَ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَعَرِّفُوا الخَلْقَ عَلَيْهِ،لَعَلَّ اللهَ تعالى أَنْ يُكْرِمَنَا وَإِيَّاهُم بِصِدْقِ مَحَبَّةِ الرَّؤُوفِالرَّحِيمِ صَاحِبِ الخُلُقِ العَظِيمِ، الذي أَرْسَلَهُ اللهُ تعالى رَحْمَةً للعَالَمِينَ.

اعْرِفُوا مَنْ هُوَ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في أَيَّامِ الأَزَمَاتِ الحَقِيقِيَّةِ،وَخَاصَّةً في أَزْمَةِ أَرْضِ المَحْشَرِ، حَيْثُ يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَاقَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ،فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ
بِشِقِّ تَمْرَةٍ» رواه الشيخان عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فِي هذا المَوْقِفِ العَظِيمِ الرَّهِيبِ تَظْهَرُ رَحْمَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، حَيْثُ يَكُونُ شُغْلُهُ الشَّاغِلُ في
أَرْضِ المَحْشَرِأُمَّتَهُ، فَيَنْتَقِلُ من مَكَانٍ إلى مَكَانٍ لِيَشْفَعَ لِأُمَّتِهِ.

روى الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟

قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ».

قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟

قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ».

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟

قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ؛ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْـمَوَاطِنَ».

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: هَذَا هُوَ حَبِيبُنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ هِيَ رَحْمَتُهُ بِأُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا كَانَ رَحِيماً بِهِم فيعَرَصَاتِ وَأَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَكَيْفَ كَانَتْ رَحْمَتُهُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا؟ فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ اللهُ تعالى عَنْهُ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْـمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: السُّؤَالُ الذي يَجِبُ على كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَطْرَحَهُ على نَفْسِهِ: مَا هُوَ حَظِّي من سَيِّدِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي هُوَ أُسْوَتِي وَقُدْوَتِي؟

هَلْ أَنَا رَحِيمٌ بِخَلْقِ اللهِ تعالى، أَمْ نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ من قَلْبِي لا قَدَّرَ اللهُ تعالى؟

هَلْ أَنَا أُعْطِي الصُّورَةَ الحَقِيقِيَّةَ عَن إِيمَانِي بِهَذَا الحَبِيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أَمْ شَوَّهْتُ بِسُلُوكِي وَأَخْلاقِي صُورَةَ الإِيمَانِ باللهِ تعالى، والإِيمَانَ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِوَسَلَّمَ، حَتَّى كَادَ النَّاسُ يَنْفُرُونَ من دِينِ اللهِ تعالى بِسَبَبِي أَنَا؟

اللَّهُمَّ خَلِّقْنَا بِأَخْلاقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٨٠ـ خطبة الجمعة: "قُولُوا: عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ"

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: من خِلالِ قَوْلِ اللهِ تعالى لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. تَوَجَّهَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ للأُمَّةِ، مُتَحَدِّثاً لَهُم عَن نِعْمَةِ رَبهِ عَزَّ وَجَلّ عَلَيْهِ، وَمُعَرِّفاً لَهُم عَلى عَظِيمِ قَدْرِهِ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلّ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» رواه الإمام مسلم عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ؛ فَأَنْظُرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيَّ، فَأَعْرِفَ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَمِنْ خَلْفِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ يَمِينِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ شِمَالِي مِثْلُ ذَلِكَ».

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ؟

قَالَ: «هُمْ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، لَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ».

وروى أَبُو يَعْلَى وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ مَن يَفْتَحُ بَابَ الجَنَّةِ، إِلَّا أَنِّي أَرَى امْرَأَةً تُبَادِرُنِي، فَأَقُولُ لَهَا: مَا لَكِ، وَمَنْ أَنْتِ؟».

فَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ على أَيْتَامٍ لِي.

وروى البَزّارُ عَن عَمّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكاً أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الخَلَائِقِ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا أَبْلَغَنِي بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَد صَلّى عَلَيْكَ».

يَا عِبَادَ اللهِ: هَلْ سَمِعْنَا كَلامَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الذي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾؟

وَهَلْ عَرَفْنَا قَدْرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ العَظِيمَ، وَعُلُوَّ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ رَبِنَا عَزَّ وَجَلَّ؟ لَقَد صَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾.

كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قِمَّةً فِي التَّوَاضُعِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد كَانَ فَضْلُ اللهِ تعالى عَظِيماً على سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَمَا آتَاهُ اللهُ تعالى إِيَّاهُ لَمْ يُؤْتِهِ أَحَداً من خَلْقِهِ قَبْلَهُ ولا بَعدَهُ على الإِطْلاقِ؛ وَمَعَ هَذَا الفَضْلِ العَظِيمِ الذي أَسْبَغَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِ؛ فَقَد كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قِمَّةً فِي التَّوَاضُعِ؛ وَكَانَ لا يَرَى لِنَفْسِهِ فَضْلاً إلا بالوَحْيِ؛ بَلْ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ الكِرَامِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» رواه الإمام البخاري عَن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صُعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي؛ أَمْ كَانَ مِمَّن اسْتَثْنَى اللهُ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَلَّمَهُ رَجُلٌ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ من هَيْبَتِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ».

روى ابن ماجه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ.

فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ».

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، وَجَزَاكَ اللهُ عَنِّي وَعَن الأُمَّةِ خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيّاً وَرَسُولاً عَن أُمَّتِهِ.

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفاً وَتِيهاً *** وَكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ: يَا عِبَادِي *** وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد كَانَ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ شَخْصِيَّةً فَرِيدَةً، جَعَلَتْ سَادَةَ قَوْمِهِ يُسَارِعُونَ إلى الاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ، وَجَعَلَتْ ضُعَفَاءَ قَوْمِهِ يَلُوذُونَ بِحِمَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَيَهْرَعُونَ

إلى أَعْتَابِهِ الشّرِيفَةِ، لَقَد مَلَكَ القُلُوبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لِأَنّ القَوْمَ عَرَفُوهُ أَنّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ رِسَالَةٍ سَامِيَةٍ، صَاحِبُ رِسَالَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ عَامَّةٍ، لَمْ يَسْعَ إلى جَاهٍ، ولا إلى مَالٍ، ولا إلى سِيَادَةٍ.

لَقَد كَانُوا يَرَوْنَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ سَيِّداً للمُتَوَاضِعِينَ، وَإِمَاماً للعَافِينَ عَنِ النَّاسِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: أَلَيْسَ هذا هُوَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

يَا أَيُّهَا العُلَمَاءُ، يَا طُلّابَ العِلْمِ، يَا مَنْ حَمَلْتُم رِسَالَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ سِيرَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَيْنَ نَحْنُ من حَبِيبِنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ النِّعْمَةِ العُظْمَى؟

أَمَا آنَ لَنَا أَنْ نُعْطِيَ الصُّورَةَ الحَسَنَةَ عَن انْتِمَائِنَا إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

اللّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، أَنْتَ المُقَدمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

٤٨١ـ خطبة الجمعة: أعظم الخلق إيمانًا

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: أَعْظَمُ النَّاسِ وَفَاءً على الإِطْلَاقِ هُوَ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَكَيْفَ لا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ الذي أَرْسَلَهُ اللهُ تعالى رَحْمَةً للعَالَمِينَ؟ وَمَا خُلُقُ الوَفَاءِ إلا مِن الرَّحْمَةِ.

لَقَد كَانَ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَفِيًّا لِأَصْحَابِهِ الكِرَامِ، الذينَ كَانَتْ قُلُوبُهُم أَنْقَى وَأَصْفَى قُلُوبِ البَشَرِ على الإِطْلَاقِ، كَانَ وَفِيًّا مَعَهُم لِأَنَّهُم بَذَلُوا دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُم وَأَرْوَاحَهُم في سَبِيلِ خِدْمَةِ هَذا الدِّينِ الحَنِيفِ الذي أَكْرَمَنَا اللهُ تعالى بِهِ.

وَفَاؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ كُلِّهَا:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد بَلَغَ من وَفَاءِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ وَفِيًّا لِمَنْ آمَنَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دُونَ أَنْ يَرَاهُ، وَمِن صُوَرِ هَذَا الوَفَاءِ:

أولاً: جَعَلَهُم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِخْوَانَهُ:

يَا عِبَادَ اللهِ: من وَفَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ دُونَ أَنْ يَرَاهُ، أَنَّهُ جَعَلَهُم إِخْوَانَهُ، وَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَقِيَهُم، روى الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي».

فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أَوَلَيْس نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟

قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي».

ثانياً: شَهِدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُم أَعْظَمُ الخَلْقِ إِيمَانَاً:

يَا عِبَادَ اللهِ: من وَفَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ دُونَ أَنْ يَرَاهُ، أَنَّهُ جَعَلَهُم أَعْظَمَ الخَلْقِ إِيمَانَاً، روى الإمام أحمد والحاكم عَن أَبِي جُمُعَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: تَغَدَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا، أَسْلَمْنَا مَعَكَ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ؟

قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي».

وروى البَزّارُ عَن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَخْبِرُونِي بِأَعْظَمِ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ؟».

قَالُوا: المَلَائِكَةُ.

قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُهُم مَعَ قُرْبِهِم من رَبِّهِم، بَلْ غَيْرُهُم؟».

قَالُوا: الأَنْبِيَاءُ.

قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُهُم وَالوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِم، بَلْ غَيرُهُم؟».

قَالُوا: فَأَخْبِرنَا يَا رَسُولَ الله.

قَالَ: «قَوْمٌ يَأْتُونَ بَعْدَكُم، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي، وَيَجِدُونَ الوَرَقَ الـــمُعَلَّقَ(أي : القُرآنَ الكَرِيمَ) فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ الخَلْقِ مَنْزِلَةً، وَأُولَئِكَ أَعْظَمُ الخَلْقِ إِيمَانًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إِذَا كَانَ الوَاحِدُ مِنَّا حَرِيصاً على أَنْ يَنَالَ شَرَفَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ مِن سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لا يَسعُهُ إلا وَأَنْ يَتَحَقَّقَ بِالإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ، وَذَلِكَ من خِلَالِ تَطَابُقِ الأَفْعَالِ مَعَ الأَقْوَالِ.

فَيَا أَيُّهَا الحَرِيصُ على نَيْلِ شَرَفِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ مِن سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَحَقَّقْ بِالإِسْلَامِ وَبِالإِيمَانِ، وَإِلَّا فَقَد تُحْرَمُ مِن هَذَا الشَّرَفِ العَظِيمِ، والــــمُسْلِمُ الحَقُّ هُوَ مَن انْطَبَقَ عَلَيْهِ هَذَا الحَدِيثُ الشَّرِيفُ الذي رواه الشيخان عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْـــمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

سَلْ نَفْسَكَ يَا أَخِي الكَرِيمُ: هَلْ سَلِمَ الـــمُسْلِمُونَ مِن لِسَانِكَ أَمْ لا؟

وَمَا أَكْثَرَ صُوَرِ الإِيذَاءِ باللِّسَانِ، فَإِنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسَانِكَ ـ وَأَنتَ كَمَا قَالَ تعالى عَن العَبْدِ: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه﴾ ـ فَهَنِيئاً لَكَ.

وَإِلَّا فَرُدَّ المَظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا قَبْلَ مَوْتِكَ، حَتَّى لا تَنْدَمَ، وَلَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ.

سَلْ نَفْسَكَ: هَلْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن يَدِكَ أَمْ لا؟

وَمَا أَكْثَرَ صُوَرِ الإِيذَاءِ باليَدِ، وَمِن جُمْلَتِهَا سَلْبُ الأَمْوَالِ وَأَخْذُهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمِنْهَا الضَّرْبُ وَالقَتْلُ، وَمِنْهَا وَمِنْهَا......، فَإِنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن يَدِكَ، فَهَنِيئاً لَكَ.

وَإِلَّا فَأَنْتَ نَادِمٌ وَرَبِّ الكَعْبَةِ إِذَا لَمْ تَتُبْ إِلَى اللهِ تعالى، وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا تَحَقَّقْتَ بِالإِسْلَامِ الحَقِّ.

والمُؤْمِنُ الحَقُّ هُوَ مَن انْطَبَقَ عَلَيْهِ هَذَا الحَدِيثُ الشَّرِيفُ الذي رواه الشيخان عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

والمُؤْمِنُ الحَقُّ هُوَ الذي تَنَبَّهَ إلى هَذَا الحديثِ الشَّرِيفِ الَّذِي رَوَاهُ الإِمَامُ البُخاري عَن أَبِي شُرَيْحٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنْ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنْ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنْ».

قِيلَ: وَمَن يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

سَلْ نَفْسَكَ: هَلْ تُحِبُّ الخَيْرَ للآخَرِينَ كَمَا تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ؟ وَهَلْ تَسْعَى إِلَى إِيصَالِ الخَيْرِ للآخَرِينَ كَمَا تَسْعَى إِلَى إِيصَالِهِ لِنَفْسِكَ؟وَهَل يَأْمَنُ النَّاسُ من شَرِّكَ وَظُلْمِكَ؟

فَإِنْ كَانَ هَذَا وَصْفَكَ فَأَنْتَ المُؤْمِنُ الذي يَسْتَحِقُّ نَيْلَ شَرَفِ شَهَادَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ أَعْظَمُ الخَلْقِ مَنْزِلَةً، وَأُولَئِكَ أَعْظَمُ الخَلْقِ إِيمَانَاً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَرُدَّنَا إلى دِينِهِ رَدَّاً جَمِيلَاً، وَأَنْ يُحَقِّقَنَا بِالإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ لِنَكُونَ أَهْلَاً لِنَيْلِ شَرَفِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ مِن سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ : «أُولَئِكَ أَعْظَمُ الخَلْقِ مَنْزِلَةً، وَأُولَئِكَ أَعْظَمُ الخَلْقِ إِيمَانَاً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

٤٨٢ـ خطبة الجمعة: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ»

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: حُبُّ الوَطَنِ غَرِيزَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ في النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ الطَّاهِرَةِ، وفي النُّفُوسِ الأَبِيَّةِ التي تَعْرِفُ مَعْنَى الوَفَاءِ؛ حُبُّ الوَطَنِ أَمْرٌ فِطْرِيٌّ جُبِلَ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ، يَجْعَلُهُ يَسْتَرِيحُ إلى البَقَاءِ فِيهِ، وَيَحِنُّ إلى رُبُوعِهِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ إِذَا دَاهَمَهُ

خطَرٌ، وَيَغْضَبُ لَهُ إِذَا انْتُقِصَ، وَمَهْمَا ابْتَعَدَ الإِنْسَانُ عَن وَطَنِهِ فَإِنّ حَنِينَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ يَبْقَى فِي خَلَدِهِ وفِي ذَاكِرَتِهِ لا يُفَارِقُهُ.

وَيَقُولُ بَعْضُهُم: ثَلاثُ خِصَالٍ فِي ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ من الحَيَوَانَاتِ:

١ــ الإِبِلُ تَحِنُّ إلى أَوْطَانِهَا، وَإِنْ كَانَ عَهْدُهَا بِهَا بَعِيداً.

٢ــ والطَّيْرُ يَحِنُّ إلى وَكْرِهِ، وَإِنْ كَانَ مَوْضِعُهُ مُجْدِباً.

٣ــ والإِنْسَانُ يَحِنُّ إلى وَطَنِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ أَكْثَرَ نَفْعاً.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ»:

يَا عِبَادَ اللهِ: حُبُّ الوَطَنِ غَرِيزَةٌ جُبِلَ عَلَيْهَا الأَوْفِيَاءُ، ولا أَحَدَ عَرَفَ الوَفَاءَ كَسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لِذَا وَجَدْنَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ الحُبِّ لِوَطَنِهِ، شَدِيدَ الوَجْدِ لِوَطَنِهِ، روى الترمذي عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ».

لَقَد كَانَ حُبُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِمَكّةَ حُبّاً شَدِيداً، وَلَوْلا أَنّهُ أُكْرِهَ على الخُرُوجِ مِنْهَا مَا خَرَجَ، وَعِنْدَمَا خَرَجَ مِنْهَا إلى المَدِينَةِ سَأَلَ اللهَ تعالى أَنْ يَرْزُقَهُ حُبَّ المَدِينَةِ كَحُبِّهِ مَكّةَ وَأَشَدَّ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْـــمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ» رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. فَأَحَبَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ

كَحُبِّهِ مَكّةَ وَأَشَدّ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا تَحَرَّكَتْ نَفْسُهُ الطّاهِرَةُ إِلَيْهَا، روى الإمام البخاري عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْـمَدِينَةِ (طُرُقَهَا) أَوْضَعَ نَاقَتَهُ (أَسْرَعَ بِهَا فِي السَّيْرِ) وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا.

وروى الشيخان عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْـمَدِينَةِ قَالَ: هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ.

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟»:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد أَحبَّ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ كَحُبِّهِ مَكّةَ وَأَشَدّ، وَلَكِنَّهُ مَا نَسِيَ مَكّةَ، بَلْ كَانَ يَحِنُّ إِلَيْهَا، لِأَنَّهُ نَشَأَ فِيهَا وَتَرَعْرَعَ، وَفِيهَا نُبِّئَ، وَفِيهَا نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْهِ، وفي صَحِيحِ الإِمَامِ البخاري، لَمَّا أَخْبَرَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلَ أَنَّ قَوْمَهُ مُخْرِجُوهُ مِنْهَا، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟».

قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَمَّا ذَكَرَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلَ الإِخْرَاجَ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، تَحَرَّكَتْ نَفْسُهُ الطّاهِرَةُ لِحُبِّ وَطَنِهِ، وَإِلْفِهِ إِيَّاهُ؛ فَقَالَ مُسْتَغْرِباً مُسْتَنْكِراً مُنْزَعِجاً: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟».

حُبُّ الوَطَنِ من الإِيمَانِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد جَعَلَ اللهُ تعالى الإِخْرَاجَ من الدِّيَارِ بِإِزَاءِ القَتْلِ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾. وَمِنْ هَذَا يُفْهَمُ أَنَّ الإِبْقَاءَ فِي الدِّيَارِ عَدِيلُ الحَيَاةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: بِحُبِّ الأَوْطَانِ عُمِّرَتِ البُلْدَانُ؛ ومن الحِكَمِ التي يَتَداوَلُهَا النَّاسُ: حُبُّ الوَطَنِ من الإِيمَانِ؛ نِعْمَتَانِ مَجْحُودَتَانِ: الأَمْنُ في الأَوْطَانِ، والصِّحَّةُ في الأَبْدَانِ؛ وَهَذَا لَيْسَ بِحَدِيثٍ نَبَوِيٍّ شَرِيفٍ.

وَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: مَا قَاسَيْتُ فِيمَا تَرَكْتُ من الدُّنْيَا أَشَدَّ عَلَيَّ من مُفَارَقَةِ الأَوْطَانِ.

لَمْ تُنْسِ المَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ أَهْلَ مَكَّةَ الحَنِينَ إِلَيْهَا:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد هَاجَرَ أَصْحَابُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَوَجَدُوا من الأَنْصَارِ الإِيوَاءَ والمُؤَازَرَةَ والتَّبْجِيلَ والإِيثَارَ والحُبَّ، مَا شَهِدَ اللهُ تعالى بِهِ للأَنْصَارِ، قَالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْـمُفْلِحُونَ﴾.

وَجَدُوا الإِيثَارَ والعِزَّةَ والكَرَامَةَ من الأَنْصَارِ، وَكَانَ مَعَهُم سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؛ وَمَعَ كُلِّ هَذَا لَمْ تُنْسِهِمُ المَدِينَةُ وَأَهْلُهَا وَمَعِيَّةُ

سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ الُمكَرَّمَةَ والحَنِينَ إِلَيْهَا.

فَهَذَا سَيِّدُنَا بِلالٌ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَحِنُّ إلى مَكَّةَ فَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً *** بِــوَادٍ وَحَــوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَــلْ أَرِدَنْ يَــوْمَــاً مِــيَاهَ مَجَنَّةٍ *** وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

الإِذْخِرُ: حَشِيشَةٌ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ؛ وَالجَلِيلُ: نَبَاتٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ؛ شَامَةٌ وَطَفِيلُ: جَبَلَانِ من جِبَالِ مَكَّةَ؛ وَقِيلَ: عَيْنَانِ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: هَلْ عِنْدَنَا هَذَا الشُّعُورُ لِبَلَدِنَا كَالذِي عِنْدَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

وَهَلْ مَا يَجْرِي فِي بَلَدِنَا، على أَيْدِي أَهْلِ بَلَدِنَا، يَدُلُّ على حُبِّنَا لِبَلَدِنَا الذي نَشَأْنَا فِيهِ، وَدَرَجْنَا على أَرْضِهِ، وَأَكَلْنَا من خَيْرَاتِهِ؟

فَيَا مَنْ كَانَ الوَطَنُ مَهْدَاً لِأَيَّامِ طُفُولَتِكُم، وَمَدْرَجَاً لِصِبَاكُم، وَسِجِلّاً لِذِكْرَيَاتِكُم، وَعِشْتُمْ على أَرْضِهِ، وَتَحْتَ سَمَائِهِ، هَلْ مَا تَفْعَلُونَ فِيهِ من الوَفَاءِ لَهُ؟ ومن الإِحْسَانِ إِلَيْهِ؟ هَلْ هَكَذَا رَبَّاكُم سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: يَا أَهْلَ هَذَا البَلَدِ الحَبِيبِ، اتَّقُوا اللهَ تعالى فِي بَلَدِكُم، وَاعْلَمُوا:

وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ *** يَدٌ سَلَفَتْ، وَدَيْنٌ مُسْتَحَقٌّ

اللَّهُمَّ احْفَظْ هَذَا البَلَدَ وَسَائِرَ بِلادِ المُسْلِمِين من شَرِّ الأَشْرَارِ، وَكَيْدِ الفُجَّارِ، اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِهَذَا البَلَدِ خَيْرَاً فَوَفِّقْهُ اللَّهُمَّ إلى كُلِّ خَيْرٍ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءاً فَخُذْهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٨٣ـ خطبة الجمعة: "اليَوْمَ يَوْمُ المَرْحَمَةِ"

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: لا يُوجَدُ فِي النَّاسِ السَّابِقِينَ ولا اللَّاحِقِينَ مَنْ يُقَارِبُ سَيِّدَنَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي خُلُقِ الوَفَاءِ، لَقَد عُرِفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَبلَ النُّبُوَّةِ بالصَّادِقِ الأَمِين، وَمِمَّا لا شَكَّ فِيهِ بِأَنَّ خُلُقَ الوَفَاءِ من صِفَاتِ الصَّادِقِ الأَمِينِ، وَإِذَا كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَفِيَّاً قَبْلَ النُّبُوَّةِ، فَبَعْدَ النُّبُوَّةِ من بَابِ أَوْلَى وَأَوْلَى.

يَا عِبَادَ اللهِ: خُلُقُ الوَفَاءِ يُرَسِّي دَعَائِمَ الثِّقَةِ في الأَفْرَادِ، وَيُؤَكِّدُ أَوَاصِرَ التَّعَاوُنِ في الْمُجْتَمَعِ، خُلُقُ الوَفَاءِ من شِيَمِ الصَّادِقِينَ العَادِلِينَ، خُلُقُ الوَفَاءِ يَخْتَصُّ بِهِ الإِنْسَانُ العَاقِلُ، لِأَنَّهُ من فَقَد خُلُقَ الوَفَاءِ فَقَد انْسَلَخَ من إِنْسَانِيَّتِهِ.

تَأْخِيرُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لِأَدَاءِ الأَمَانَاتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد عَلَّمَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الـبَشَرِيَّةَ جَمْعَاءَ كَيْفَ يَكُونُ وَفَاءُ الْمُؤْمِنِ للنَّاسِ جَمِيعَاً، وَلَو كَانُوا من أَلَدِّ الأَعْدَاءِ، وَعَلَّمَهَا كَيْفَ يَكُونُ الوُدُّ لِأَهْلِ البَلَدِ وَلَو رَمَوْهُ عَن قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَعَلَّمَهَا كَيْفَ تَكُونُ الثِّقَةُ والصِّدْقُ والفُتُوَّةُ.

كَانَتْ قُرَيْشٌ رَغْمَ عِدَائِهَا لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَرَمْيِهَا لَهُ عَن قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، لا تَضَعُ شَيْئَاً ثَمِيناً يُخْشَى عَلَيْهِ إلا عِنْدَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لِثِقَتِهَا بِهِ، فَكَانَ عِنْدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الشَّيْءُ الكَثِيرُ من هَذِهِ الوَدَائِعِ، وَأَرَادَ الهِجْرَةَ، فَمَاذَا يَصْنَعُ بِهَذِهِ الأَمَانَاتِ التي عِنْدَهُ لِهَؤُلاءِ الذينَ مَكَرُوا بِهِ؟ أَيَغْدِرُ بِهِم؟ حَاشَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

لَقَد خَلَّفَ سَيِّدَنَا عَلِيَّاً رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَن الهِجْرَةِ حَتَّى يُؤَدِّيَ الوَدَائِعَ التي كَانَتْ عِنْدَهُ للنَّاسِ، لِأَنَّ اللهَ تعالى يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: أَيْنَ نَحْنُ من هَذَا الخُلُقِ خُلُقِ الوَفَاءِ لِأَهْلِ بَبلَدِنَا؟

واللهِ لَقَد فَضَحَتِ الأَزْمَةُ الكَثِيرَ من النّاسِ، وَأَظْهَرَتِ الوَفِيَّ من الغَادِرِ، والأَمِينَ من الخَائِنِ، والصّادِقَ من الكَاذِبِ، والمُؤْمِنَ من المُنَافِقِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: هَلْ بِالإِمْكَانِ أَنْ تَتصَوَّرُوا هَذَا المَوْقِفَ العَظِيمَ؛ القَوْمُ يَأْتَمِرُونَ على سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَيَجْتَمِعُونَ على بَابِهِ لِقَتْلِهِ، وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في هَذَا الظَّرْفِ القَاسِي مَا كَانَ لِيَنْسَى أَو يَنْشَغِلَ عَن رَدِّ الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا، حَتَّى وَلَو كَانَ في أَصْعَبِ الظُّرُوفِ التي تُنْسِي الإِنْسَانَ نَفْسَهُ فَضْلاً عَن غَيْرِهِ، فَقَد أَبَى أَنْ يَخُونَ ـــ وَحَاشَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ من الخِيَانَةِ ـــ مَن ائْتَمَنَهُ، وَلَو كَانَ عَدُوّاً يُحَرِّضُ عَلَيْهِ وَيُؤْذِيهِ، لِأَنَّ خِيَانَةَ الأَمَانَةِ من صِفَاتِ المُنَافِقِينَ، فَأَيْنَ نَحْنُ من خُلُقِ الوَفَاءِ لِأَهْلِ بَلَدِنَا؟

نَزْعُ الرَّايَةِ من سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد عَلَّمَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يَكُونُ الوَفَاءُ للبَلَدِ وَلِأَهْلِ البَلَدِ، وَهُوَ في حَالِ القُوَّةِ والغَلَبَةِ، لا في حَالَةِ الضَّعْفِ.

روى البَيْهَقِيُّ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ نَادَى أَبَا سُفْيَانَ ـــ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ـــ: اليَوْمَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ.

فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ في المُهَاجِرِينَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَرْتَ بِقَوْمِكَ أَنْ يُقْتَلُوا؟ فَإِنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَمَنْ

مَعَهُ حِينَ مَرُّوا بِي نَادَانِي سَعْدٌ فَقَالَ: اليَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ؛ وَإِنِّي أُنَاشِدُكَ اللهَ فِي قَوْمِكَ.

فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَعَزَلَهُ، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ مَكَانَهُ على الأَنْصَارِ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ.

وفي رِوَايَةٍ لابنِ عَسَاكِرَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «اليَوْمَ يَوْمُ المَرْحَمَةِ، اليَوْمَ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشَاً».

يَا عِبَادَ اللهِ: هَذِهِ هِيَ مَبَادِئُ الإِسْلامِ، وَتِلْكَ قِيَمُهُ الرَّفِيعَةُ، وَهَذَا هُوَ تَارِيخُهُ المــُضِيءُ، وَهَذِهِ هِيَ حَضَارَتُهُ السَّامِيَةُ، فَأَيْنَ نَحْنُ من هَذَا الوَفَاءِ لِبَلَدِنَا وَلِأَهْلِ بَلَدِنَا؟

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: هَذِهِ هِيَ سِيرَةُ سَيِّدِ الخَلْقِ وَحَبِيبِ الحَقِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، هَذَا هُوَ خُلُقُ الوَفَاءِ للوَطَنِ وَلِأَهْلِ الوَطَنِ، هَذَا هُوَ خُلُقُ الوَفَاءِ للوَطَنِ الذي عَاشَ فِيهِ أَكْثَرَ من خَمْسِينَ عَامَاً، هَذَا هُوَ خُلُقُ الوَفَاءِ لِأُنَاسٍ عَاشَ مَعَهُم أَكْثَرَ من عَشْرِ سِنِينَ رَغْمَ ظُلْمِهِم وَعَدَاوَتِهِم لَهُ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ.

هَذَا هُوَ خُلُقُ الوَفَاءِ لِأُنَاسٍ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا تُجَاهَهُ، وَتُجَاهَ أَصْحَابِهِ، لَقَد وَقَفُوا جَمِيعَاً بَيْنَ يَدَيْهِ كَالأَسَارَى، فَقَالَ لَهُم:

«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَقُولُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُم؟».

قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

قَالَ: «فَإِنّي أَقُولُ لَكُم كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾. اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ». كَذَا فِي كِتَابِ الشِّفَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَتَعَلَّمْ خُلُقَ الوَفَاءِ للوَطَنِ وَلِأَهْلِ الوَطَنِ رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ، لَعَلَّنَا نَقْطَعُ دَابِرَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ الذينَ يَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ.

اللَّهُمَّ لا تُشَمِّتْ أَعْدَاءَنَا بِدَائِنَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

٤٨٤ـ خطبة الجمعة: شعار المؤمنين التغافر لا التنافر

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ الصَّادِقَةُ مِنْحَةٌ من مِنَحِ اللهِ تعالى، وَإِشْرَاقَةٌ رَبَّانِيَّةٌ يَقْذِفُهَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي قُلُوبِ المُخْلِصِينَ المُخْلَصِينَ من عِبَادِهِ، والأَتْقِيَاءِ من خَلْقِهِ، قَالَ تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ الصَّادِقَةُ تُورِثُ الشُّعُورَ العَمِيقَ بِالمَحَبَّةِ، وَالثِّقَةَ المُتَبَادَلَةَ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وَهِيَ صِفَةٌ مَلازِمَةٌ للإِيمَانِ، وَخَصْلَةٌ مُرَافِقَةٌ للتَّقْوَى؛ فلا أُخُوَّةَ بِلا إِيمَانٍ، ولا إِيمَانَ بِلا أُخُوَّةٍ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. وقَالَ تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْـمُتَّقِينَ﴾.

فَضَائِلُ الأُخُوَّةِ الإِيمَانِيَّةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد بَيَّنَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ للأُمَّةِ فَضَائِلَ الأُخُوَّةِ الإِيمَانِيَّةِ، كَمَا بَيَّنَ مَكَانَتَهَا العَلِيَّةَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْـمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فَمِنْ فَضَائِلِهَا وَمَكَانَتِهَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّ اللهَ تعالى يَجْعَلُ المُتَحَابِّينَ في جَلالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في ظِلِّهِ، وَفِي ظِلِّ العَرْشِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ـــ وَعَدَّ مِنْهُم ـــ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. هَذَا أَوَّلاً.

ثَانيَاً: مِنْ فَضَائِلِهَا وَمَكَانَتِهَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا (أَيْ: أَعَدَّ وَهَيَّأَ، أَو أَقْعَدَ في طَرِيقِهِ).

فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟

قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ.

قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ (أَيْ: تَقُومُ بِشُكْرِهَا أَو بِإِصْلَاحِهَا، وَتَنْهَضُ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا).

قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».

وروى الإمام أحمد والحاكم عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقِ الشَّامِ، فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الثَّنَايَا (الثَّنَايَا: الأَسْنَانُ الأَرْبَعُ فِي مُقَدَّمِ الفَمِ، اثْنَانِ من أَسْفَلَ، وَاثْنَانِ من أَعْلَى) وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ.

فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ (بَكَّرْتُ) فَوَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ ــ وَقَالَ إِسْحَاقُ: بِالتَّهْجِيرِ ــ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: واللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ: آللهِ؟

فَقُلْتُ: آللهِ.

فَقَالَ: آللهِ؟

فَقُلْتُ: آللهِ؛ فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي (الحَبْوَةُ: مَجْمَعُ الثِّيَابِ عِنْدَ الصَّدْرِ) وَجَذَبَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».

ثَالِثاً: مِنْ فَضَائِلِهَا وَمَكَانَتِهَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّ الْمُتَحَابِّينَ في اللهِ تعالى لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، ولا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، روى أبو داود عَن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاسَاً، مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِن اللهِ تَعَالَى». (الغِبْطَةُ: أَنْ يَتَمَنَّى الْمَرْءُ مِثْلَ مَا للمَغْبُوطِ من النِّعْمَةِ من غَيْرِ أَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَهَا عَنْهُ).

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟

قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ، عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

شِعَارُ المُؤْمِنينَ التَّغَافُرُ لا التَّنافُرُ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إنّ رَابِطَةَ الأُخُوَّةِ الإيمَانيَّةِ هِيَ الشَّجَرَةُ التي يَتَفيَّأُ ظِلَالَهَا أَصْحَابُ القُلُوبِ السَّلِيمَةِ التي لا تَحْمِلُ الحِقْدَ ولا الحَسَدَ؛ فَعَلَيْنَا بِبَنَائِهَا على أَسَاسٍ قَوِيٍّ لا تُؤَثِّرُ فِيهِ الأَحْدَاثُ، ولا الأَحْوَالُ، ولا الشَّدَائِدُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَجْعَلْ شِعَارَنَا اليَوْمَ، وَخَاصَّةً وَنَحْنُ نَعِيشُ هَذِهِ الأَزْمَةَ التي اسْتَطَاعَ من خِلالِهَا شَيَاطِينُ الإِنْسِ وَالجِنِّ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَنَا؛ لِنَجْعَلْ شِعَارَنَا: التَّغَافُرَ لا التَّنَافُرَ؛ وَلْنَذْكُرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

مَا أَرْوَعَ المُجْتَمَعَ الإِيمَانِيَّ إِذَا تَصَافَحَ أَفْرَادُهُ، وَتَغَافَرُوا، وَتَسَامَحُوا، بِدُونِ عِتَابٍ، بَعْدَ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُم، فَالعِتَابُ يَخْدِشُ المَحَبَّةَ، وَيَصْدَعُ جِدَارَ الأُخُوَّةِ.

إِذَا كُـنْـتَ في كُـلِّ الأُمُـورِ مُعَـاتِبَاً *** صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذي لا تُـعَـاتِـبُـهُ

فَعِشْ وَاحِدَاً أَو صِـلْ أَخَـاكَ فَإِنَّهُ *** مُـقَـارِفُ ذَنْـبٍ مَـرَّةً وَمُجَـانِـبُـهُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً على القَذَى *** ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: شَيَاطِينُ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُرِيدُونَ أَنْ يُلْقُوا بَيْنَنَا العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ، يُرِيدُونَ أَنْ نَعِيشَ مُتَدَابِرِينَ مُتَحَاسِدِينَ مُتَحَاقِدِينَ في حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، لِنَخْسَرَ الدُّنْيَا

والآخِرَةَ مَعَاً، روى الإمام أحمد والترمذي عَن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنُحْكِمْ أُخُوَّتَنَا، وَلِنُرَسِّخِ الأُخُوَّةَ الإِيمَانِيَّةَ فِيمَا بَيْنَنَا، وَلِنَتَآخَى بِرُوحِ اللهِ فِيمَا بَيْنَنَا، وَلِنُصْلِحْ بِإِخْلاصِ التَّوْبَةِ نُفُوسَنَا، وَلِنَتَمَيَّزْ بَيْنَ النَّاسِ بِأَخْلاقِنَا الفَاضِلَةِ وَسُلُوكِنَا الحَسَنِ، وَلِنُعْطِ القُدْوَةَ الصَّالِحَةَ بِأَفْعَالِنَا وَحُسْنِ مُعَامَلَتِنَا، وَلِنُؤَدِّ حُقُوقَ الأُخُوَّةِ لِإِخْوَانِنَا، وَلِنَسِرْ على مَنْهَجِ الإِسْلامِ فِي تَثْبِيتِ مَحَبَّتِنَا وَتَآلُفِنَا، وَلِنَأْخُذْ بِهَدْيِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي تَرَاحُمِنَا وَتَوَادُدِنَا.

فَوَاللهِ مَا رَأَيْنَا خَيْرَاً بِتَرْكِنَا الأُخُوَّةَ الإِيمَانِيَّةَ الحَقَّةَ، وَوَاللهِ مَا رَأَيْنَا خَيْرَاً عِنْدَمَا نَسِينَا قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْـــمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ عِنْدَمَا نَلْتَزِمُهَا الْتِزَامَاً صَحِيحَاً من خِلالِ هَدْيِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، وَهَدْيِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، تَجْعَلُنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا كَالجَسَدِ الوَاحِدِ، وفِي حَيَاتِنَا الأُخْرَوِيَّةِ على مَنَابِرَ من نُورٍ فِي ظِلِّ اللهِ تعالى، يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ لا نَخْسَرَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ بِتَمْزِيقِ الأُخُوَّةِ الإِيمَانِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بِصِدْقِ الأُخُوَّةِ الإِيمَانِيَّةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٨٥ـ خطبة الجمعة: عصمة الأمة باجتماعها

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: من أَهَمِّ مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ أُمَّةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا أُمَّةٌ مُتَوَادَّةٌ مُتَرَاحِمَةٌ مُتَلَائِمَةٌ مُتَحَابَّةٌ، أَقَامَتْ مُجْتَمَعَهَا على أَسَاسٍ من الحُبِّ المُتَبَادَلِ، وَالتَّعَامُلِ الرَّفِيقِ، وَالسُّلُوكِ الرَّقِيقِ، وعلى أَسَاسٍ من الإِيثَارِ، وَحُبِّ الآخَرِينَ، لا على الأَثَرَةِ المَمْقُوتَةِ، وَالأَنَانِيَّةِ البَغِيضَةِ.

لَقَد تَمَيَّزَتْ أُمَّةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِسَلامَةِ الصَّدْرِ، وَكَرَامَةِ الأَخْلاقِ، فَهِيَ أُمَّةٌ لا يَحْمِلُ أَفْرَادُهَا حِقْدَاً دَفِينَاً، ولا حَسَدَاً، ولا خِسَّةً، ولا قِلَّةَ مُرُوءَةٍ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِبَرَكَةِ هَذَا الدِّينِ الحَنِيفِ الذي حَثَّ على التَّآلُفِ وَالمَوَدَّةِ، وَاجْتِمَاعِ الكَلِمَةِ، وَوَحْدَةِ الصَّفِّ؛ وَحَذَّرَ التَّحْذِيرَ الشَّدِيدَ من التَّنَافُرِ وَالفُرْقَةِ وَالشِّقَاقِ وَالتَّنَازُعِ، فَقَالَ تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعَاً وَلَا

تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

عِصْمَةُ الأُمَّةِ بِاجْتِمَاعِهَا:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد ضَمِنَ اللهُ تعالى للأُمَّةِ العِصْمَةَ من الخَطَأِ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِم على الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا؛ وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

وفي رِوَايَةِ الإمام أحمد: «وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ».

لَقَد ضَمِنَ اللهُ تعالى للأُمَّةِ بَقَاءَ وُجُودِهَا إِذَا الْتَزَمَتْ هَدْيَ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ القَائِلِ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾. وَالقَائِلِ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. وَالقَائِلِ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. وَالقَائِلِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. وَالقَائِلِ: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. وَالقَائِلِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

يَا أُمَّةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لماذا الاخْتِلَافُ؟

يَا أُمَّةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لماذا الاخْتِلَافُ وَالتَّنَابُذُ وَالتَّحَاقُدُ وَالتَّحَاسُدُ وَالاقْتِتَالُ، وَالدِّينُ وَاحِدٌ؟ لماذا الفُرْقَةُ وَالتَّنَازُعُ، وَالقِبْلَةُ وَاحِدَةٌ؟ لماذا التَّشَاحُنُ، وَرَبُّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَاحِدٌ، وَكِتَابُنَا وَاحِدٌ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: إلى مَتَى هَذِهِ الفُرْقَةُ وَهَذَا الحَالُ؛ وَكُلُّنَا يَعْلَمُ مَا فِي الفُرْقَةِ من ضَرَرٍ وَفَسَادٍ؟ وَهَلْ يَختَلُّ نظَامُ الُمجْتَمَعِ، وَتَنْتَشِرُ الفَوْضَى، وَتَتَصَدَّعُ أَرْكَانُ الأُمَّةِ، إلا بِتَفَرُّقِ أَهْلِهَا وَتَنَازُعِهِم؟ وَهَلْ تَتَعَطَّلُ مَصَالِحُ العِبَادِ وَالبِلادِ إلا بِالتَّفَكُّكِ وَاتِّبَاعِ الأَهْوَاءِ وَالاقْتِتَالِ؟ وَهَلْ يَتَسَلَّطُ الأَعْدَاءُ، وَيَتَمَكَّنُونَ من رِقَابِ العِبَادِ، إلا بِتَضَارُبِ الآرَاءِ، وَتَحْكِيمِ الأَهْوَاءِ، وَانْتِشَارِ الأَحْقَادِ وَالنِّزَاعَاتِ؟ لماذا هَذَا الذي يَجْرِي، وَالإِسْلامُ هُوَ الجَامِعُ؟

وَاللهِ إِنَّهُ لَعَجِيبٌ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ، كَيْفَ تَرْضَى لِنَفْسِهَا هَذِهِ الحَالَةَ، مَعَ أَنَّ جَمِيعَ العُقَلَاءِ يَعْلَمُونَ ضَرَرَ الفُرْقَةِ وَالاقْتِتَالِ، وَسُوءَ أَثَرِهَا على الأُمَّةِ؟

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد كَانَتِ الأُمَّةُ فِي سَلَفِهَا الصَّالِحِ مِثَالًا يُحْتَذَى، وَأَمَلًا يُرْتَجَى لِكُلِّ شَعْبٍ من الشُّعُوبِ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ من الأُمَمِ التي تَرْغَبُ فِي العَيْشِ الكَرِيمِ، عِنْدَمَا كَانَتْ مُتَمَسِّكَةً بِكِتَابِ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَمُقْتَفِيَةً هَدْيَ نَبِيِّهَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَمَا انْضَوَى تَحْتَ ظِلَالِهَا بِلَالٌ الـــحَبَشِيُّ،

وَصُهَيْبٌ الرُّومِيُّ، عِنْدَمَا عَاشَتْ كَالجَسَدِ الوَاحِدِ، إِذَا تَأَلَّمَ مِنْهُ عُضْوٌ تَأَلَّمَ لِأَلَمِهِ سَائِرُ الجَسَدِ، عِنْدَمَا جُمِعُوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُم.

يَا عِبَادَ اللهِ: نَحْنُ اليَوْمَ أَشَدَّ مَا نَكُونُ حَاجَةً إلى التَّآلُفِ وَالتَّحَابُبِ وَالتَّمَاسُكِ وَالتَّكَاتُفِ، وَالبُعْدِ عَن الفُرْقَةِ وَالاخْتِلافِ، وَنَبْذِ أَسْبَابِ الشِّقَاقِ وَالنِّزَاعِ التي تَذْهَبُ بِرِيحِنَا، وَتُوهِنُ عَزِيمَتَنَا، وَتَنَالُ من قُوَّتِنَا.

وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

كُــونُوا جَمِــيعَــاً يَا بَنِيَّ إِذَا انْبَرَى *** خَــطْبٌ وَلَا تَــتَفرَّقُوا أَفْرَادَا

تأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكسُّرَاً *** وَإِذَا افْتَرقْنَ تَكَسَّرَتْ آحَادَا

يَا عِبَادَ اللهِ: الإِسْلامُ جَمَعَ القُلُوبَ بِالأَمْسِ، وَجَبَلَ المَشَاعِرَ، وَصَهَرَ الرَّوَابِطَ في بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَطْفَأَ نَارَ العَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ وَالحُرُوبِ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ؛ فَهَلْ نَكُونُ اليَوْمَ وَنَحْنُ نَعِيشُ في هَذِهِ البِلادِ المُبَارَكَةِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «الْــمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً (وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)»؟ رواه الشيخان عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: عَلَيْنَا أَنْ نَعِيشَ الوَحْدَةَ التي لا تَعْرِفُ التَّفَرُّقَ، وَالشُّورَى التي لا يُخَالِطُهَا اسْتِبْدَادٌ، وَالتَّضَامُنَ الذي لا تُلَامِسُهُ أَثَرَةٌ، وَلْنَتَعَاوَنْ على البِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلْنَتَنَاهَى عَنِ الإِثْمِ وَالمُنْكَرِ وَالعُدْوَانِ، وَلْيَعْطِفْ كُلُّنَا على كُلِّنَا، وَلْيَقُدْنَا قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدَّاً جَمِيلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٨٦ـ خطبة الجمعة: العلماء الراسخون في العلم أبصر الناس بالشر

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: الفِتْنَةُ إذَا وَقَعَتْ أَوْرَثَتِ الفُرْقَةَ وَالخِلَافَ بَيْنَ النَّاسِ بِسَبَبِ الْتِبَاسِ الآرَاءِ حَوْلَهَا، وَلِحَيْرَةِ الحُلَمَاءِ وَأوْلِي الأَلْبَابِ فِي أَمْرِهَا، فَضْلًا عَنْ عَامَّةِ النَّاسِ، لِذَا كَانَ مِنَ الوَاجِبِ على عَامَّةِ النَّاسِ أَنْ يَكُفُّوا أَلْسِنَتَهُم وَأَيْدِيَهُم أَيَّامَ الفِتَنِ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَصَابَهُم بِسَبَبِ ذُنُوبِهِم، فَيَرْجِعُوا إلى الله تعالى، وَيَتُوبُوا وَيَسْتَغْفِرُوا لَعَلَّهُم يُرْحَمُونَ.

وَلَكِنْ، وَبِكُلِّ أَسَفٍ عِنْدَمَا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ فِي هَذَا البَلَدِ الحَبِيبِ، الكُلُّ اجْتَرَأَ على الفَتْوَى، مِمَّنْ يَعْلَمُ وَمِمَّنْ لَا يَعْلَمُ، حَتَّى تَكَلَّمَ فِي شَأْنِ الأُمَّةِ الرُّوَيْبِضَةُ، وَحَلَّ بِالأُمَّةِ مَا حَلَّ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَتَهْدِيمِ البُيُوتِ، وَسَلْبِ الأَمْوَالِ، وَتَعْطِيلِ المَصَالِحِ العَامَّةِ على جَمِيعِ الأَصْعِدَةِ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ.

العُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ أَبْصَرُ النَّاسِ بِالشَّرِّ:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِكُلِّ مَنْ يَجْتَرِئُ على الفَتْوَى: تَذَكَّرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

جَاءَ فِي الطَّبَقَاتِ الكُبْرَى لابْنِ سعْدٍ عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ رَجُلَاً سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَطَأْطَأَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُجِبْهُ، حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مَسْأَلَتَهُ.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، أَمَا سَمِعْتَ مَسْأَلَتِي؟

قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّكُمْ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِسَائِلِنَا عَمَّا تَسْأَلُونَنَا عَنْهُ؛ اتْرُكْنَا يَرْحَمُكَ اللهُ حَتَّى نَتَفَهَّمَ فِي مَسْأَلَتِكَ، فَإِنْ كَانَ لَهَا جَوَابٌ عِنْدَنَا، وَإِلَّا أَعْلَمْنَاكَ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَنَا بِهَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: العُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ هُمْ أَبْصَرُ النَّاسِ بِالفِتَنِ وَمَدَاخِلِهَا، وَهُمْ أَبْصَرُ النَّاسِ بِالشَّرِّ وَمَدَاخِلِهِ، قَالَ تعالى فِي قِصَّةِ قَارُونَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾. فَأَهْلُ العِلْمِ مُتَمَيِّزُونَ عَنْ غَيْرِهِم، فَهُمْ على بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِم، لَمَّا رَأَوُا النَّاسَ يَتَمَنَّوْنَ لِأَنْفُسِهِم مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ، حَذَّرُوهُم مِنَ الشَّرِّ وَالفِتْنَةِ، وَبَيَّنُوا لَهُمُ الخَيْرَ، فَقَالُوا لَهُم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

وَلَكِنْ، وَبِكُلِّ أَسَفٍ لَمْ يَعْرِفِ الذينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا أَنَّ العُلَمَاءَ الرَّبَّانِيِّينَ على حَقٍّ، وَأَنَّ طَاعَتَهُم وَاجِبَةٌ عَلَيْهِم، إلا عِنْدَما حَلَّتْ عُقُوبَةُ اللهِ تعالى بِقَارُونَ، قَالَ

تعالى عَنْ هَؤُلَاءِ: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

«دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدَاً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»:

يَا عِبَادَ اللهِ: فِي أَيَّامِ الفِتَنِ يُطَالِبُ عَامَّةُ النَّاسِ العُلَمَاءَ بِالقِيَامِ بِأَعْمَالٍ هُمْ عَنْهَا مُمْتَنِعُونَ، وَمَا امْتَنَعَ العُلَمَاءُ عَنْهَا إلا لِنَظَرِهِم فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ وَمَآلَاتِهَا، لِأَنَّهُم على بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، لِأَنَّ عِلْمَهُم بِدِينِ اللهِ تعالى أَوْصَلَهُم إلى أَنَّ دَرْءَ المَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المَصَالِحِ، وَلِأَنَّهُم عَرَفُوا بِأَنَّ الشَّرْعَ الحَنِيفَ الذي جَاءَ بِهِ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لا يُقِرُّ اعْتِبَارَ مَصْلَحَةٍ دُنْيَا على حِسَابِ وُقُوعِ مَفْسَدَةٍ عُظْمَى.

يَا عِبَادَ اللهِ: العُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ، وَالعَارِفُونَ بِاللهِ تعالى، الذينَ يَقُودُونَ الأُمَّةَ إلى جَادَّةِ الصَّوَابِ، وإلى سَلَامَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، نَظَرُوا إلى كِتَابِ اللهِ تعالى، وإلى سُنَّةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وإلى سِيرَتِهِ العَطِرَةِ، وَمِنْ خِلَالِ ذَلِكَ قَادُوا الأُمَّةَ وَوَجَّهُوهَا، وَخَاصَّةً فِي أَيَّامِ الفِتَنِ إلى جَادَّةِ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ لِحَقْنِ دِمَاءِ المُسْلِمِينَ، وَصِيَانَةِ هَذَا الدِّينِ مِنْ طَعْنِ الطَّاعِنِينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد ثَبَتَ نِفَاقُ عَبْدِ اللهِ بنَ أُبَيٍّ، وَعُرِفَ اسْتِهْزَاؤُهُ بِاللهِ تعالى، وَبِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَبِالمُؤْمِنِينَ، وَعُرِفَ بِإِشْعَالِ نَارِ الفِتَنِ، وَبِتَحْرِيضِ أَهْلِ الكِتَابِ وَالـــمُشْرِكِينَ على سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى المُؤْمِنِينَ، وَكَانَ قَتْلُهُ مَشْرُوعَاً لَوْ أَرَادَ سَيِّدُنَا

رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَتْلَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ امْتَنَعَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِهِ، لِمَا يُفْضِي إِلَيْهِ قَتْلُهُ مِنَ المَفَاسِدِ.

فَحِينَ قَالَ: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْـمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾. وَقَالَ: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾. وَقَالَ مَا قَالَ فِي حَقِّ أُمِّنَا السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا.

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمُنَافِقِ.

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» رواه الشيخان عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا.

<u>خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ: يَا مَنْ تَعْتَزُّونَ بِدِينِكُم، وَيَا مَنْ أَنْتُمْ حَرِيصُونَ كُلَّ الحِرْصِ على الدَّعْوَةِ إلى دِينِ اللهِ تعالى، وَيَا مَنْ تَغَارُونَ على دِينِكُم مِنْ أَنْ يُخْدَشَ، وَمِنْ أَنْ يُسَاءَ إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِ أَعْدَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ: اعْلَمُوا بِأَنَّ هَذَا الدِّينَ الحَنِيفَ جَاءَ بِمُرَاعَاةِ المَصَالِحِ، وَبِدَرْءِ المَفَاسِدِ، وَذَلِكَ بِنَاءً على القَاعِدَةِ العَظِيمَةِ التي قَالَهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».

يَا عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

اللّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدَّاً جَمِيلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٨٧ـ خطبة الجمعة: يا أيها الحريص على دينه والمعتز به

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: لَقَد أَكْرَمَنَا اللهُ تعالى بِشَرْعٍ حَنِيفٍ، وَجَعَلَ لَهُ قَوَاعِدَ، فَمَنْ أَحَاطَ بِهَذِهِ القَوَاعِدِ أَمِنَ مِنَ المَزَالِقِ، وَعَلَى قَدْرِ الأَخْذِ بِهَا تَنجُو الأُمَّةُ، بَلْ تَنْجُو البَشَرِيَّةُ جَمْعَاءُ مِنَ الـضِّيْق.

وَمِنْ أَهَمِّ هَذِهِ القَوَاعِدِ: اعْتِبَارُ المَآلَاتِ فِي الأَفْعَالِ، وَنَتَائِجِ الأَعْمَالِ، وَبِالنَّظَرِ إلى نَتَائِجِ الفِعْلِ يُعْرَفُ حُكْمُ الفِعْلِ، فَقَد يَكُونُ العَمَلُ مُبَاحَاً فِي أَصْلِهِ، لَكِنَّهُ يُنْهَى عَنْهُ لِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ مِنَ المَفْسَدَةِ، فَكُلُّ عَمَلٍ مَشْرُوعٍ مَآلُهُ وَنَتِيجَتُهُ غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ، هُوَ فِي شَرْعِنَا مَمْنُوعٌ، وَكُلُّ فِعْلٍ جَائِزٍ يُفْضِي إلى أَمْرٍ غَيْرِ جَائِزٍ، هُوَ فِي شَرْعِنَا غَيْرُ جَائِزٍ.

يَا عِبَادَ الله: وَلَا أَدَلَّ على ذَلِكَ مِنَ الأَمْرِ الإِلَهِيِّ الذي ذَكَرَهُ اللهُ تعالى فِي القُرْآنِ العَظِيمِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ

عِلْمٍ﴾. فَلَقَد نَهَى اللهُ تعالى عَنْ سَبِّ آلِهَةِ الـــمُشْرِكِينَ، وَإِنْ كَانَ جَائِزَاً شَرْعَاً، لِكَوْنِهِ ذَرِيعَةً لِمُقَابَلَةِ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ بِسَبِّ الإِلَهِ الحَقِّ الْمُبِينِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد بُنِيَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الغَرَّاءُ على الأَخْذِ بِالحَزْمِ، وَالتَّحَرُّزِ مِمَّا عَسَى أَنْ يَكُونَ طَرِيقَاً إلى الفِتْنَةِ وَالاخْتِلَالِ، وَفَسَادِ الأَحْوَالِ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ طَرِيقَاً يُوصِلُ إلى إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ البريئَةِ، وَسَلْبِ الأَمْوَالِ، وَتَعْطِيلِ مَصَالِحِ النَّاسِ.

يَا أَيُّهَا الحَرِيصُ على دِينِهِ، وَالْمُعْتَزُّ بِهِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مَا يَجْرِي فِي بَلَدِنَا الحَبِيبِ أَدَّى إلى مَفَاسِدَ عَظِيمَةٍ، لَقَد سُفِكَتِ الدِّمَاءُ البَرِيئَةُ، وَهُدِّمَتِ البُيُوتُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَرُوِّعَ الآمِنُونَ، وَرُمِّلَتِ النِّسَاءُ، وَيُتِّمَ الأَطْفَالُ، وَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُ العِبَادِ وَالبِلَادِ، وَشَمِتَ أَعْدَاؤنَا بِدَائِنَا، وَأُعْطِيَتْ أَقْبَحُ صُورَةٍ عَنْ هَذَا الدِّينِ الحَنِيفِ، الذي قَالَ فِيهِ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾. هَلْ مَا يَجْرِي فِي بِلَادِنَا مِنَ الإِسْلَامِ الذي رَضِيَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا؟

فَيَا أَيُّهَا الحَرِيصُ على دِينِهِ، وَالْمُعْتَزُّ بِهِ، تَذَكَّرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فَمَنْ خَالَفَ أَمْرَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَد عَرَّضَ نَفْسَهُ للفِتْنَةِ وَالعَذَابِ الأَلِيمِ.

يَا أَيُّهَا الحَرِيصُ على دِينِهِ، وَالْمُعْتَزُّ بِهِ، أَمَا عَلِمْتَ:

أولاً: أَنَّ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ قَتْلَ الْمُنَافِقِينَ الذينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِم، وَرَأَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

فِي دِينِ اللهِ تعالى فُسْحَةً أَنْ يَتْرُكَ قَتْلَهُم خَشْيَةَ المَفَاسِدِ المُتَرَتِّبَةِ على هَذَا القَتْلِ، وَهِيَ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ.

ثانياً: أَمَا عَلِمْتَ يَا أَيُّهَا الغَيُورُ على دِينِهِ، وَالمُعْتَزُّ بِهِ، وَالحَرِيصُ عَلَيْهِ، قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدَاً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامَاً» رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَقَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدَاً، أَو انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئَاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أبو داود عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً.

ثالثاً: أَمَا عَلِمْتَ يَا أَيُّهَا الغَيُورُ على دِينِهِ، وَالمُعْتَزُّ بِهِ، وَالحَرِيصُ عَلَيْهِ، أَنَّ الكَافِرَ في أَرْضِ المَعْرَكَةِ إِذَا نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ حَرُمَ قَتْلُهُ، مَعَ أَنَّ ظَاهِرَهُ نَطَقَ بِهَا خَوْفَاً مِنَ القَتْلِ؟

روى الإمام البخاري عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلَاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ.

فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟».

قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذاً؛ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْبَلْ عُذْرَ أسَامَةَ، وَلَمْ يَقْبَلْ تَأْوِيلَهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الأَدِلَّةِ على حُرْمَةِ دِمَاءِ المُسْلِمِينَ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إِذَا كَانَ شَرْعُنَا الحَنِيفُ قَد مَنَعَ مِنَ الأَمْرِ الجَائِزِ الـــمُفْضِي إلى الحَرَامِ، فَمَا هُوَ القَوْلُ فِيمَنْ يَسْلُكُ مَسْلَكَ التَّأْوِيلِ لِرَدِّ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَذَلِكَ لِاستِبَاحَةِ المَحْظُورِ، وَتَجْرِيءِ العَامَّةِ على العِصْيَانِ، وَإِضْعَافِ التَّمَسُّكِ بِدِينِ اللهِ تعالى.

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّهُ لَمِنَ المُؤْسِفِ أَنْ تَغِيبَ حَقَائِقُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ عَنِ النَّاسِ، فَإِذَا بِهِم يَستَسْلِمُونَ للفِتَنِ، وَيَدْفَعُونَ أَنْفُسَهُم إلى ارْتِكَابِ المُتَوَعَّدِ عَلَيْهِ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ بِالوَعِيدِ الشَّدِيدِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: تَذَكَّرُوا وَذَكِّرُوا الأُمَّةَ بِالحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» رواه الشيخان عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

لِتَكُفَّ الأُمَّةُ عَنِ القَتْلِ، وَالسَّلْبِ، وَالنَّهْبِ، وَالتَّرْوِيعِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالباطِلِ، لَقَد فُضِحَتْ هَذِهِ البَلَدُ على أَجْهِزَةِ الإِعْلَامِ مِنْ خِلَالِ مَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُونَ بِبَعْضِهِمُ البَعْضِ، هَلْ مَا يَجْرِي، وَمَا يُعْرَضُ، يَدُلُّ على الدِّينِ الذي قَالَ اللهُ تعالى عَنْهُ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدّاً جَمِيلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٨٨ـ خطبة الجمعة: في الليلة الظلماء يفتقد البدر

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: نَحْنُ نَعِيشُ في هَذِهِ الآوِنَةِ في ظُلُمَاتٍ شَدِيدَةٍ، إِذَا أَخْرَجَ أَحَدُنَا يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا، وَأَعْظَمُ دَلِيلٍ على أَنَّنَا نَعِيشُ في ظُلُمَاتٍ هُوَ وَاقِعُنَا المَرِيرُ الذي نَعِيشُهُ، وَحَيَاتُنَا الَمِليئَةُ بِالْمُدْلَهِمَّاتِ وَالخُطُوبِ، حَيْثُ يَسفِكُ بَعْضُنَا دِمَاءَ البَعْضِ، وَنُخَرِّبُ بُيُوتَنَا بِأَيْدِينَا، وَنُيَتِّمُ أَطْفَالَنَا بِأَيْدِينَا، وَنُرَمِّلُ نِسَاءَنَا بِأَيْدِينَا، وَنُذْهِبُ رِيحَنَا بِأَيْدِينَا، وَعَدُوُّنَا يَضْحَكُ مِنَّا وَيَسْخَرُ عَلَانِيَةً لَا سِرّاً.

نَحْنُ نَعِيشُ فِي هَذِهِ الآوِنَةِ فِي ظِلِّ التَّشْوِيشِ وَالتَّهْمِيشِ، حَيْثُ يُفَسِّقُ بَعْضُنَا بَعْضَاً، وَيُكَفِّرُ بَعْضُنَا بَعْضَاً، خُصُومَةٌ وَحِدَّةٌ وَغِلْظَةٌ وَقَسْوَةٌ وَتَخَاصُمٌ وَتَدَابُرٌ، وَلَا قَاضٍ بَيْنَنَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: يَقُولُونَ: فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ، فَأَيْنَ يَكْمُنُ هَذَا البَدْرُ الذي يَمْحُو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ هَذَا التَّهَارُجَ وَالتَّحَارُشَ وَالتَّهَاوُشَ؟ أَيْنَ هَذَا البَدْرُ الذي يُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ، وَيُخْرِجُ الأُمَّةَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، فَيَجْمَعُ شَمْلَهَا مِنْ شَتَاتٍ، وَيَحْقِنُ دِمَاءَهَا، وَيُحَافِظُ على أَعْرَاضِهَا، وَيَغِيظُ عَدُوَّهَا؟

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرَاً كَثِيرَاً﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: يَا أُمَّةَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أَمَا تَرَكَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إلا هَالِكٌ، أَمَا تَرَكَ لَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كِتَابَ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ الذي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَسُنَّتَهُ العَطِرَةَ المَحْفُوظَةَ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: يَا أَهْلَ بِلَادِ الشَّامِ، هَلْ نَسينَا قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرَاً كَثِيرَاً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؟ وَالحِكْمَةُ ذَكَرَ اللهُ تعالى لَفْظَهَا فِي القُرآنِ العَظِيمِ عِــشْرِينَ مَرَّةً، وَمِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تعالى: الحَكِيمُ، وَمِنْ صِفَاتِهِ الحِكْمَةُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: الحِكْمَةُ هِيَ وَضْعُ الشَّيءِ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ، وَهِيَ فِعْلُ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، فِي الوَقْتِ الذي يَنْبَغِي فِعْلُهُ، وَهِيَ مُكَمِّلَةٌ للفِقْهِ وَالعِلْمِ؛ وَلَقَد أَثْنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ آتَاهُ هَذِهِ المِنَّةَ، فَقَالَ تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾. وَأَثْنَى على سَيِّدِنَا لُقْمَانَ عِنْدَمَا وَهَبَهُ الحِكْمَةَ، فَقَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الحِكْمَةُ جَمَعَتْ خَيْراً كَثِيراً، فَجَعَلَتِ الحَكِيمَ يَمْتَازُ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَحُسْنِ التَّصَرُّفِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

البَدْرُ هُوَ الحِكْمَةُ:

يَا عِبَادَ اللهِ: البَدْرُ الذي يُفْتَقَدُ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ هُوَ الحِكْمَةُ، فَبِالحِكْمَةِ يُرَتِّبُ الحَكِيمُ قَائِمَةَ الأَوْلَوِيَّاتِ، وَدَرَجَاتِ المَصَالِحِ، وَدَرَكَاتِ المَفَاسِدِ، بِالحِكْمَةِ يَكُونُ الحَكِيمُ حَرِيصاً على اسْتِقْرَارِ وَطَنِهِ، وَتَمَاسُكِ مُجْتَمَعِهِ، بِالحِكْمَةِ يَكُونُ الحَكِيمُ زَيْناً، وَيَمْنَعُ عَنْ نَفْسِهِ الشَّيْنَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: الحِكْمَةُ كُلُّهَا خَيْرٌ، وَلَا تَأْتِي إلا بِالخَيْرِ، وَلَا تَقُودُ النَّاسَ إلا إلى الخَيْرِ، الحِكْمَةُ لَا تُشْتَرَى بِالمَالِ، وَلَا بِالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، لِأَنَّهَا فَوْقَ المَالِ وَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: البَدْرُ الذي يُفْتَقَدُ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ هُوَ الحَكِيمُ، الذي يَعْرِفُ مَتَى يَتَكَلَّمُ وَمَتَى يَسْكُتُ، لِأَنَّهُ يُدْرِكُ أَنَّهُ إِذَا قَالَ رُبَّمَا نَدِمَ، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ لَمْ يَنْدَمْ،

الحَكِيمُ هُوَ الذي يَعْرِفُ مَوَاضِعَ الإِكْرَامِ، وَمَوَاضِعَ الإِهَانَةِ، الحَكِيمُ هُوَ الذي يَعْرِفُ زَمَانَهُ وَأَهْلَ زَمَانِهِ.

الحَكِيمُ يُعْرَفُ فِي الشَّدَائِدِ وَالمُدْلَهِمَّاتِ، الحَكِيمُ لَا تَحْكُمُهُ المَصَالِحُ الشَّخْصِيَّةُ وَلَا الأَهْوَاءُ، وَلَا يَحْكُمُهُ الحُبُّ وَلَا البُغْضُ، الحَكِيمُ هُوَ الذي يَجْعَلُ الأُمُورَ فِي مَحَلِّهَا.

الحَكِيمُ هُوَ الذي اتَّخَذَ مِنْ سَيِّدِنَا مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ مِثَالَاً يُحْتَذَى فِي الحِكْمَةِ مِنْ خِلَالِ مَبْدَأِ الشَّعْرَةِ التي عُرِفَ بِهَا عِنْدَ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الشَّخْصِيَّةُ الحَكِيمَةُ هِيَ التي تُفَكِّرُ بِحِسَابٍ، وَتَعْمَلُ بِحِسَابٍ، وَتُلْجِمُ الأَفْعَالَ بِلِجَامٍ مِنْ عَقْلٍ وَفِكْرٍ وَاتِّزَانٍ، الشَّخْصِيَّةُ الحَكِيمَةُ هِيَ التي عَرَفَتْ بِأَنَّ الحِكْمَةَ مَعْدِنٌ نَفِيسٌ لَا يُنَالُ بِـــ (لَيْتَ) وَلَا بِـــ (لَعَلَّ)، الشَّخْصِيَّةُ الحَكِيمَةُ هِيَ التي تَعْلَمُ بِأَنَّ الحِكْمَةَ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، أَنَّى وَجَدَهَا أَخَذَ بِهَا، وَلَنْ يَجِدَهَا إلا في كِتَابِ اللهِ تعالى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُمَا يَقُودَانِ فُؤَادَهُ.

الشَّخْصِيَّةُ الحَكِيمَةُ هِيَ التي عَرَفَتْ بِأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَعْقَلَ النَّاسِ، وَأَكْمَلَهُم، حَيْثُ قَادَ البَشَرِيَّةَ إلى جَادَّةِ الأَمْنِ وَالأَمَانِ، وَجَمَعَ شَمْلَ الأُمَّةِ، وَحَقَنَ دِمَاءَهَا، وَصَانَ عِرْضَهَا وَمَالَهَا.

ورَحِمَ اللهُ تعالى مَنْ قَالَ:

وَلَا خَيْرَ فِي عَقْلٍ إِذَا العِلْمُ غَائِبٌ *** وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ يَكُونُ بِلَا عَقْلِ

فَلَا بُدَّ مِنْ عَــقْلٍ وَعِــلْمٍ كِـلَاهُمَا *** يَــقُــودَانِــنَا نَحْوَ الرَّزَانَةِ وَالفَضْلِ

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدَّاً جَمِيلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٨٩ـ خطبة الجمعة: الإسراء والمعراج مكافأة ربانية

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: مِنْ خِلَالِ وَاقِعِنَا المَرِيرِ، أُصِيبَتْ بَعْضُ القُلُوبِ بِاليَأْسِ وَالقُنُوطِ، وَبَعْضُهَا بِالقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ، وَبَعْضُهَا بِالشَّكِّ فِي قَدَرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَفِي عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَالبَعْضُ قَالَ بِلِسَانِ الحَالِ أَوِ المَقَالِ: أَلَا يَسْمَعُ اللهُ تعالى بُكَاءَ الأَطْفَالِ وَالأَرَامِلِ وَالعَجَائِزِ؟

أَلَا يَرَى اللهُ تعالى الدِّمَاءَ التي تُسْفَكُ، وَالأَشْلَاءَ التي تُمَزَّقُ؟

أَلَا يَرَى اللهُ تعالى هَذَا الوَاقِعَ المَرِيرَ الأَلِيمَ الذي يَمُرُّ بِالمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ الشَّامِ؟

أَلَا يَعْلَمُ جلّتْ قُدْرَتُهُ بِأَنّ أَهْلَ الأَرْضِ قَدْ تخلّوْا عَنْ أَهْلِ بِلَادِ الشّامِ، فَلَا يُبالُونَ بِآلَامِهِم، وَلَا بِمُعَانَاتِهِم، وَهُمْ يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ صُرَاخَ الأَطْفَالِ وَالنّسَاءِ، الذينُ هُدِّمَتْ بُيُوتُهُم، وَقُتِلَ أَزْوَاجُهُم وَأَبْنَاؤُهُم؟

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: مِنْ خِلَالِ هَذَا الوَاقِعِ المَرِيرِ الأَلِيمِ أَقُولُ: اعْلَمُوا عِلْمَ اليَقِينِ بِأَنّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ يَقَعُ فِي هَذَا الكَوْنِ إلا بِقَدَرٍ وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، وَاللهُ تعالى يَسْمَعُ وَيَرَى، وَهُوَ أَرْحَمُ بِالعَبْدِ مِنَ الأُمّ على وَلِيدِهَا، وَهُوَ القَائِلُ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ الآيَةَ المُحْكَمَةَ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: كُلُّ شَيْءٍ يَقَعُ فِي الكَوْنِ بِأَسْرِهِ بِقَدَرٍ، وَلَا يَقَعُ إلا بِعِلْمِ اللهِ تعالى وَحِكْمَتِهِ، وَإِذَا غَابَتْ عَنّا الحِكْمَةُ فَإِنّ الذي يَعْلَمُ الغَيْبَ يَعْلَمُهَا ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنّ مَا يَجْرِي فِي بَلَدِنَا وفِي الكَوْنِ كُلّهِ، إِنّمَا هُوَ قَدَرُ اللهِ تعالى، وَهُوَ وَاقِعٌ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، وَلَا بُدّ للمُؤْمِنِ أَنْ يُصَدّقَ هَذَا حَتّى لَا تَعْصِفَ رِيَاحُ اليَأْسِ وَالقُنُوطِ بِقَلْبِهِ، وَحَتّى لَا يَدْخُلَ الشّكُّ وَالرّيْبُ على إِيمَانِنَا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾. فَالمُؤْمِنُونَ حَقّاً إِيمَانُهُم ثَابِتٌ فِي قُلُوبِهِم ثُبُوتَ الجِبَالِ الرّوَاسِي، لَا تُزَلْزِلُهُ الأَحْدَاثُ وَالفِتَنُ، وَلَا تَعْصِفُ بِهِ المِحَنُ وَالرّزَايَا.

فِي كُلِّ ابْتِلَاءٍ دُرُوسٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد مَرَّ على المُسْلِمِينَ في الأُسْبُوعِ المُنْصَرِمِ ذِكْرَى حَادِثَةِ الإِسرَاءِ وَالمِعْرَاجِ، التي عَرَّفَتِ الأُمَّةَ مِنْ خِلَالِ سِيرَةِ نَبِيِّهَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّ كُلَّ مِحْنَةٍ تَحْمِلُ في طَيَّاتِهَا خَيْرَاً لَا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ تعالى، وَأَنَّهُ مَا مِنْ مِحْنَةٍ إلا وَفِيهَا مِنحَةٌ، وَمَا مِنْ ابْتِلَاءٌ إلا وَفِيهِ دُرُوسٌ للعُقَلَاءِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَأْخُذْ دَرْسَاً مِنْ دُرُوسِ حَادِثَةِ الإِسرَاءِ وَالمِعْرَاجِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ القُرْآنِ العَظِيمِ، قَالَ تعالى في آخِرِ سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. وَقَالَ بَعدَهَا مُبَاشَرَةً: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْـمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْـمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فَالمِنَحُ بَعْدَ المِحَنِ إِذَا صَبَرْنَا، وَكَانَ صَبْرُنَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ لِعِوَضٍ، وَلَيْسَ عَنْ عَجْزٍ، فَمَنْ صَبَرَ للهِ تعالى فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ على اللهِ تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الإِسْرَاءُ وَالمِعْرَاجُ كَانَ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ على مَا لَاقَاهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلِ الطَّائِفِ.

كَانَ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ في شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ.

كَانَ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً بَعْدَ فَقْدِ النَّاصِرِ الحَمِيمِ وَهُوَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعْدَ فَقْدِ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ الكُبْرَى، أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

كَانَ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً بَعْدَ خَيْبَةِ الأَمَلِ في ثَقِيفٍ، وَمَا نَالَهُ مِنْ سُفَهَائِهَا وَصِبْيَانِهَا وَعَبِيدِهَا.

كَانَ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً بَعْدَ إِعْلَانِهِ الصَّرِيحِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَعْفِهِ وَافْتِقَارِهِ إلى اللهِ تعالى: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ رَبُّ الْـــمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، اللَّهُمَّ إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْته أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِك غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَك أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُمَاتُ؛ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِك» رواه الطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: بَعْدَ هَذِهِ الآلَامِ كَانَت تِلْكَ المُكَافَأَةُ، وَكَانَتْ تِلْكَ الآمَالُ، لَقَدْ رَفَعَهُ اللهُ تعالى إِلَيْهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ الرِّضَا مَا أَنْسَاهُ كُلَّ مَا لَاقَاهُ، وَكُلَّ مَا سَيُلَاقِيهِ، بَعْدَ المِحَنِ كَانَتْ مِنْحَةُ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ تَعْوِيضَاً عَظِيمَاً، وَجَائِزَةً قَيِّمَةً على صَبْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي كَانَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: اثْبُتُوا على إِيمَانِكُمْ، وَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا، وَكُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّ مَا يَجْرِي فِي بَلَدِنَا وَفِي الكَوْنِ كُلِّهِ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ، وَفِيهِ حِكَمٌ لَا يَعْلَمُهَا إلا اللهُ تعالى.

اثْبُتُوا، وَصَابِرُوا، واسْتَقِيمُوا على شَرْعِ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَاعْلَمُوا بِأَنَّ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الوَاقِعِ المَرِيرِ عَطَاءً لَا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ تعالى، فَهَذَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ذَهَبَ إلى الطَّائِفِ مَاشِيَاً، بَيْنَمَا ذَهَبَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ رَاكِبَاً على البُرَاقِ.

هَذَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي صُحْبَتِهِ إلى الطَّائِفِ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، بَيْنَمَا صَحِبَهُ فِي رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ سَيِّدُنَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هَذَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ اسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ بِالسُّخْرِيَةِ وَالاسْتِهْزَاءِ، وَأَغْرَوْا بِهِ العَبِيدَ وَالسُّفَهَاءَ، بَيْنَمَا فِي رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ اسْتَقْبَلَهُ الأَنْبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَحَيَّوْهُ أَعْظَمَ تَحِيَّةٍ.

هَذَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَجِدْ فِي الطَّائِفِ مَنْ يُؤْوِيهِ لِيُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، بَيْنَمَا فِي رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ قَدَّمَهُ سَيِّدُنَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَكُونَ إِمَامَاً بِالأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

هَذَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّائِفِ لَمْ يَجِدْ مَكَانَاً يَأْوِي إِلَيْهِ، بَيْنَمَا فِي رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ اسْتَضَافَتْهُ السَّمَاءُ لِيَكُونَ مُقَدَّمَاً

بَيْنَ أَهْلِهَا، وَلِيَقِفَ سُكّانُ السَّمَاءِ على عُلُوِّ شَأْنِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَا رَبُّ، انْقَطَعَتْ آمَالُنَا وَعِزَّتِكَ إلا مِنْكَ، وَخَابَ رَجَاؤُنَا وَحَقِّكَ إلا فِيكَ، إنْ أَبْطَأَتْ غَارَةُ الأَرْحَامِ وَابْتَعَدَتْ، فَأَقْرَبُ الشَّيْءِ مِنَّا غَارَةُ اللهِ، يَا غَارَةَ اللهِ جُدِّي السَّيْرَ مُسْرِعَةً في حَلِّ عُقْدَتِنَا يَا غَارَةَ اللهِ، عَدَتِ العَادُونَ وَجَارُوا وَرَجَوْنَا اللهَ مُجِيرًا، وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **

٤٩٠ـ خطبة الجمعة: يا هذا، فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: طُوبَى لِمَنْ سَمِعَ فَوَعَى، وَطُوبَى لِمَنْ تَذَكَّرَ لَحْدَهُ يَوْمَ يُوضَعُ فِيهِ وَحْدَهُ، طُوبَى لِمَنِ اسْتَعَدَّ لِيَوْمٍ يُوضَعُ فِيهِ الكِتَابُ، وَتَقَطَّعَتْ فِيهِ الأَسْبَابُ، وَشَخَصَتْ فِيهِ الأَبْصَارُ، فَإِمَّا إلى جَنَّةٍ، وإِمَّا إلى نَارٍ، طُوبَى لِمَنِ اسْتَعَدَّ لِيَوْمٍ يَقُومُ فِيهِ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، طُوبَى لِمَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ بَقَاءٍ وَلَا خُلُودٍ، فَنَحْنُ عَمَّا قَلِيلٍ ظَاعِنُونَ، وَمَا هِيَ إلا أَيَّامٌ وَعَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا رَاحِلُونَ، ثُمَّ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّنَا مُحَاسَبُونَ، فَمَا نَحْنُ قَائِلُونَ ﴿إِذَا الصُّحُفُ نُـــشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾؟

حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَبْكِي على أَنْفُسِنَا قَبْلَ أَنْ يُبْكَى عَلَيْنَا، وَلْنُحَاسِبْ أَنْفُسَنَا قَبْلَ أَنْ نُحَاسَبَ، وَلْنَحْمِلْ أَنْفُسَنَا على الطَّاعَاتِ قَبْلَ أَنْ نُحْمَلَ على الرِّقَابِ، لِنَسْتَعِدَّ للمَوْتِ حَتَّى لَا يُنَادِيَ العَبْدُ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: كُلُّنَا يُوقِنُ بِالمَوْتِ، وَلَكِنْ مَنِ المُسْتَعِدُّ لَهُ؟ وَكُلُّنَا مُوقِنٌ بِالنَّارِ، وَلَكِنْ مَنِ الخَائِفُ مِنْهَا؟ وَكُلُّنَا مُوقِنٌ بِالجَنَّةِ، وَلَكِنْ مَنِ العَامِلُ لَهَا؟

فَيَا مَنْ حَرَّضَ على سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَيَا مَنْ حَرَّضَ على سَلْبِ الأَمْوَالِ، وَيَا مَنْ أَشْعَلَ نَارَ الفِتْنَةِ، وَيَا مَنْ نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَا مَنْ أَكَلَ المَالَ الحَرَامَ، وَيَا مَنِ اعْتَدَى على أَعْرَاضِ النَّاسِ، وَيَا مَنْ يَتَّمَ الأَطْفَالَ وَرَمَّلَ النِّسَاءَ، وَيَا مَنْ يَرَى مَا حَلَّ فِي بِلَادِ الشَّامِ، وَمَا زَالَ مُصِرّاً على مَا هُوَ عَلَيْهِ، أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ تعالى لَا يَرَاكَ، أَو أَنَّكَ تُعْجِزُ اللهَ هَرَباً؟!

يا عَبدَ اللهِ، أَلَا تُفَكِّرُ فِي القَبْرِ وَضَمَّتِهِ؟! أَلَا تُفَكِّرُ فِي الصِّرَاطِ وَحِدَّتِهِ؟! أَلَا تُفَكِّرُ فِي النَّارِ وَالأَهْوَالِ وَالأَغْلَالِ؟! أَمَا تَخْشَى مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾؟!

يا عَبدَ اللهِ، قِفْ مَعَ نَفْسِكَ وَقْفَةَ صِدْقٍ، مَاذَا تَبْتَغِي مِمَّا تَقُولُ وَتَفْعَلُ؟ أَتَبْتَغِي بِإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَتَمْزِيقِ الأَشْلَاءِ، وَتَهْدِيمِ البُيُوتِ، أَنْ تَكُونَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ؟!

يا عَبدَ اللهِ، هَلْ أَنْتَ تَتَحَرَّكُ بِقَالَبٍ دُونَ قَلْبٍ؟! هَلْ مَاتَ قَلْبُكَ وَنُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ؟!

يا عَبدَ اللهِ، لَا تَكُنْ ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

لِنَخَفِّفْ عَنْ أَنْفُسِنَا الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَخفِّفْ عَنْ أَنْفُسِنَا الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَذَلِكَ بِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِنَا فِي الدُّنْيَا، وإلا فَالحِسَابُ وَرَبِّ العِبَادِ عَسِيرٌ، يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهَا: أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟

قَالَ: «ذَلِكِ العَرْضُ» رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: هُنَاكَ حِسَابٌ يَسِيرٌ، وَحِسَابٌ عَسِيرٌ؛ فَاليَسِيرُ يَكُونُ لِمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَهَذَا لَا يُدَقَّقُ عَلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟

فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ؛ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ؛ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ».

وَأَمَّا الحِسَابُ العَسِيرُ عِنْدَمَا يُنَادَى على العَبْدِ على رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنُخَفِّفْ عَنْ أَنْفُسِنَا الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَذَلِكَ بِإِبْرَاءِ الذِّمَّةِ مِنَ الحُقُوقِ، وَخَاصَّةً الدِّمَاءِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ مَا

يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ» رواه الشيخان عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

ثمّ الأَمْوَالِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ» رواه الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا.

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ كَيْ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟». كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أُتِيَ بِجِنَازَةٍ، فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا.

فَقَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «فَهَلْ تَرَكَ شَيْئاً؟».

قَالُوا: لَا؛ فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِجِنَازَةٍ أُخْرَى، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، صَلِّ عَلَيْهَا.

قَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟».

قِيلَ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَهَلْ تَرَكَ شَيْئاً؟».

قَالُوا: ثَلاَثَةَ دَنَانِيرَ؛ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِالثَّالِثَةِ، فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا.

قَالَ: «هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ؟».

قَالُوا: ثَلاَثَةُ دَنَانِيرَ.

قَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ وَعَلَيَّ دَيْنُهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: طُوبَى لِمَنْ سَمِعَ فَوَعَى، هَذَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي آخِرِ أَيَّامِ عُمُرِهِ المُبَارَكِ، يَقِفُ على المِنْبَرِ فَيَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ دَنَى مِنِّي حُقُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرَاً، فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضَاً، فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالَاً، فَهَذَا مَالِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ؛ ولَا يَقُولَنَّ رَجُلٌ: إِنِّي أَخْشَى الشَّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي، وَلَا مِنْ شَأْنِي، أَلَا وإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقَّاً إِنْ كَانَ، أَوْ حَلَّلَنِي، فَلَقِيتُ اللهَ وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، أَلَا وَإِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ بِمُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَارَاً».

ثُمَّ نَزَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَعَادَ إِلَى مَقَالَتِهِ فِي الشَّحْنَاءِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ

فَلْيَرُدَّهُ، وَلَا يَقُولُ: فُضُوحُ الدُّنْيَا، أَلَا وَإِنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ»
رواه الطَّبَرَانِيُّ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فَيَا مَنْ حَرَّضَ وَمَا زَالَ مُحَرِّضَاً على سَفْكِ الدِّمَاءِ، تُبْ إلى اللهِ تعالى، وَتَرَاجَعْ عَنْ ذَلِكَ، وَأَعْلِنْ جِهاراً نَهاراً، كَمَا حَرَّضْتَ جِهاراً نَهاراً، فَفُضُوحُ الدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ؛ الأُمَّةُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ تَشْكُوكَ إلى اللهِ تعالى في سِرِّهَا وَجَهْرِهَا، وَلَا تَظُنَّ بِأَنَّ اللهَ تعالى غَافِلٌ، وَتَذَكَّرْ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا دَعْوَةُ مَظْلُومٍ، سَرَتْ لَيْلَاً، غَفَلْنَا عَنْهَا، وَاللهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْهَا.

فَوَّضْنَا أَمْرَنَا إلى اللهِ تعالى.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٩١ـ خطبة الجمعة: الحاقد جاهل بربه

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: مِنْ مَآسِي الأُمَّةِ اليَوْمَ، وَفِي ظِلِّ دَائِرَةِ البُعْدِ عَنِ الأَخْلَاقِ التي جَاءَ بِهَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، هُنَاكَ أَمْرَاضٌ تَفَشَّتْ

فِي الأُمَّةِ، وَمِنْ أَخْطَرِ هَذِهِ الأَمْرَاضِ مَرَضُ الحِقْدِ، الذي أَوْدَى بالأُمَّةِ إلى المَهَالِكِ، حَيْثُ تَدَابَرَتْ وَتَقَاطَعَتْ وَتَخَاصَمَتْ وَتَشَاحَنَتْ، حَتَّى سَفْكِ بَعضُهُم دَمَ بَعْضٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ: الحِقْدُ دَاءٌ دَفِينٌ، لَا يَحْمِلُهُ إلا جَهُولٌ مَلِيئُ النَّفْسِ بالعِلَلِ، الحِقْدُ مَرَضٌ عُضَالٌ مِنْ أَمْرَاضِ القَلْبِ، يُخْشَى مَعَهُ أَنْ يَتسَرَّبَ الإِيمَانُ مِنْ هَذَا القَلْبِ المَرِيضِ، الحِقْدُ نَزْغٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلا مَنْ خَفَّتْ أَحْلَامُهُم، وَطَاشَتْ عُقُولُهُم.

«وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ»:

يَا عِبَادَ اللهِ: هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ قَد أَطَلَّتْ على الأُمَّةِ، وَالأُمَّةُ تَسْتَعِدُّ للتَّعَرُّضِ إلى نَفْحَةٍ مِنْ نَفَحَاتِ اللهِ تعالى، تَتَعَرَّضُ لِمَغْفِرَةِ اللهِ تعالى، لِمَا رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ.

فَقَالَ: «أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيتَ بَعْضَ نِسَائِكَ.

فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ».

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنْ يَسْتَعِدُّ للتَّعَرُّضِ إلى نَفَحَاتِ اللهِ تعالى، وَإلى مَغْفِرَةِ اللهِ تعالى، اعْلَمْ يَا عَبْدَ اللهِ، بِأَنَّهُ يَجبُ عَلَيْكَ أَنْ تُطَهِّرَ قَلْبَكَ مِنَ الحِقْدِ وَالغِلِّ، وإلا فَأَنْتَ بَعِيدٌ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ تعالى، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَّمَ: «يَطْلُعُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْهِلُ الْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ» رواه الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ» رواه ابن ماجه عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَعْلَمْ جَمِيعَاً بِأَنَّ الحَاقِدَ لَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ حَتَّى يَدَعَ حِقْدَهُ، وَحَتَّى يَخْرُجَ البُغْضُ مِنْ قَلْبِهِ، وَحَتَّى يَتَصَافَى مَعَ إِخْوَانِهِ؛ وَتَبَّاً لِعَبْدٍ حَرَمَ نَفْسَهُ هَذَا الخَيْرَ العَظِيمَ، وَهَذِهِ المَغْفِرَةَ العَظِيمَةَ، بِسَبَبِ حِقْدِهِ وَشَحْنَائِهِ.

الشَّحْنَاءُ شَرُّهَا عَظِيمٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الحِقْدُ يُؤَدِّي إِلى الشَّحْنَاءِ، وَالشَّحْنَاءُ شَرُّهَا عَظِيمٌ، وَوَبَالُهَا يَعُمُّ الأُمَّةَ وَلَا يَخُصُّ، أَلَمْ يَخرُجِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ لِيُخبِرَ الأُمَّةَ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ، فَرُفِعَ خَبَرُهَا وَنَبَأُهَا؟

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَد رُفِعَ خَبَرُ وَنَبأُ لَيْلَةِ القَدْرِ بِسَبَبِ مُلَاحَاةِ رَجُلَيْنِ، وَخُصُومَةِ اثْنَيْنِ؛ فَمَا ظَنُّكُمْ بِمَا يَقَعُ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ مِنْ خُصُومَاتٍ وَمُشَاحَنَاتٍ، بَلْ مِنْ سَفْكٍ للدِّمَاءِ البَرِيئَةِ، وَتَيْتِيمٍ للأَطْفَالِ، وَتَرْمِيلٍ للنِّسَاءِ، حَتَّى امْتَلَأَتِ القُلُوبُ حِقْدَاً وَشَحْنَاءَ على بَعْضِهَا بَعْضاً؟

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الحِقْدُ يُفْضِي إلى التَّنَازُعِ وَالتَّقَاتُلِ وَاسْتِغْرَاقِ العُمُرِ في الهُمُومِ وَالغُمُومِ وَالأَحْزَانِ، الحِقْدُ يُغْضِبُ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَيُودِي بِصَاحِبِهِ إلى الخُسْرَانِ الْمُبِينِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَيَكْفِي الحَاقِدَ خُــسْرَانَاً أَنَّ اللهَ تعالى يُؤَخِّرُهُ عَنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ حَتَّى يَدَعَ حِقْدَهُ، روى البيهقي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قَالَتْ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ قُبِضَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُمْتُ حَتَّى حَرَّكْتُ إِبْهَامَهُ فَتَحَرَّكَ، فَرَجَعْتُ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَفَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَوْ يَا حُمَيْرَاءُ ظَنَنْتِ أَنَّ النَّبِيَّ خَاسَ بِكِ؟» (يُقَالُ: خَاسَ بِهِ إِذَا غَدَرَهُ)

قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ قُبِضْتَ لِطُولِ سُجُودِكَ.

فَقَالَ: «أَتَدْرِينَ أَيَّ لَيْلَةٍ هَذِهِ؟».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطْلُعُ عَلَى عِبَادِهِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيَرْحَمُ الْــمُسْتَرْحِمِينَ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ».

يَا عِبَادَ اللهِ: وَاللهِ الذي لَا إِلَهَ إلا هُوَ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ حَاقِدَاً وَلَا حَاسِدَاً، وَلَا لَعَّانَاً وَلَا فَحَّاشَاً.

وَاللهِ الذي لَا إِلَهَ إلا هُوَ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ يُوقِدُ نَارَ العَدَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا كَانَ حَرِيصَاً على سَفْكِ الدِّمَاءِ ـــ دِمَاءِ

الْمُشْرِكِينَ، لَا دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ـــ بَلْ كَانَ حَرِيصَاً كُلَّ الحِرْصِ على هِدَايَةِ الجَمِيعِ إلى اللهِ تعالى، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ سَلَامَةِ صَدْرِهِ نَحْوَ خَلْقِ اللهِ تعالى جَمِيعَاً؛ فَأَيْنُ نَحْنُ مِنْ هَذَا الخُلُقِ؟

وَاللهِ الذي لَا إِلَهَ إلا غَيْرُهُ، الحَاقِدُ نَفْسُهُ قَلِقَةٌ دَائِمَاً، لَا يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ طَالَمَا يَرَى نِعْمَةَ اللهِ يَسْعَدُ بِهَا سِوَاهُ، وَهُوَ سَاقِطُ الهِمَّةِ، ضَعِيفُ النَّفْسِ، وَاهِنُ العَزْمِ، مَضَلَّلٌ ضَائِعٌ، مُخطِئٌ في تَقْدِيرِهِ، مَحْصُورُ التَّفْكِيرِ في الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا.

وَاللهِ الذي لَا إِلَهَ إلا غَيْرُهُ، الحَاقِدُ جَاهِلٌ بِرَبِّهِ وَبِسُنَنِهِ في هَذَا الكَوْنِ، يَنْظُرُ إلى الأُمُورِ نَظْرَةً قَاصِرَةً لَا تَتَجَاوَزُ شَهَوَاتِهِ الخَاصَّةَ مِنْ حُبِّ سِيَادَةٍ وَرِيَادَةٍ وَمَالٍ وَنِسَاءٍ وَدُنْيَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ إلى اللهِ تعالى مِنَ الحِقْدِ وَالشَّحْنَاءِ، وَهَلْ يَتَصَالَحُ أَهْلُ بِلَادِ الشَّامِ فِيمَا بَيْنَهُم لِيَقْطَعُوا السَّبِيلَ على شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ؟ دِمَاءُ مَنْ تُسْفَكُ؟ وَبِلَادُ مَنْ تُدَمَّرُ؟ وَنِسَاءُ مَنْ تُرَمَّلُ؟ وَقُوَّةُ مَنْ تَذْهَبُ؟ وَمَنِ الرَّابِحُ في هَذِهِ الحَرْبِ الطَّاحِنَةِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: هَذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ قَدْ أَقْبَلَتْ، فَلْنُقْبِلْ على بَعْضِنَا بَعْضاً مُتَصَالِحِينَ، وَإِلا فَسَوْفَ نَنْدَمُ لَا قَدَّرَ اللهُ تعالى.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدَّاً جَمِيلَاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **   **

٤٩٢ـ خطبة الجمعة: ﴿اقْتَرَبَ للنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: نَحْنُ نَعِيشُ خِضَمِّ هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، نَعِيشُ فِي وَسَطِ أَمْوَاجِهَا المُتَلَاطِمَةِ بَيْنَ آلَامٍ وَآمَالٍ، بَيْنَ خَوْفٍ وَأَمَانٍ، بَيْنَ فَقْرٍ وَغِنَىً، بَيْنَ ذُلٍّ وَعِزٍّ، بَيْنَ خَفْضٍ وَرَفْعٍ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ مَعَ أَنْفُسِنَا: كَمْ بَقِيَ مِنَ العُمُرِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: هَلْ نَعْلَمُ بِأَنَّنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بَلْ وفِي كُلِّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِنَا نَقْتَرِبُ مِنَ المَوْتِ، وَنَبْتَعِدُ عَنِ الدُّنْيَا.

هَلْ نَعْلَمُ بِأَنَّ كُلَّ نَفَسٍ يَخْرُجُ مِنَّا لَنْ يَعُودَ، وَأَنَّ كُلَّ ثَانِيَةٍ مِنْ أَنْفَاسِنَا مَحْسُوبَةٌ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ غَافِلُونَ؟

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: إلى مَتَى سَنَبْقَى فِي غَفْلَةٍ عَنِ اللهِ تعالى وَاليَوْمِ الآخِرِ؟ إلى مَتَى سَنَبْقَى نَتَعَامَى وَنَتَصَامُّ عَنْ حَقِيقَةِ هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ التي لَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ؟

إلى مَتَى سَنَبْقَى فِي غَفْلَةٍ عَنِ الهَدَفِ السَّامِي الذي خُلِقْنَا مِنْ أَجْلِهِ؟ مَتَى سَنَسْمَعُ وَنَتَدَبَّرُ هَذَا النَّبَأَ العَظِيمَ الذي أَخْبَرَنَا عَنْهُ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ بِبَيَانٍ وَاضِحٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إلى شَرْحٍ وَتَفْسِيرٍ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ

مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾؟

يَا عِبَادَ اللهِ: اقْتَرَبَ حِسَابُنَا، وَلَيْسَ يَوْمُنَا مِثْلَ أَمْسِنَا، وَلَنْ نَكُونَ فِي الغَدِ مِثْلَ اليَوْمِ، نَقُصَتْ مِنَّا أَشْيَاءُ وَأَشْيَاءُ بِنِسَبٍ وَمَقَادِيرَ لَا يَعْلَمُهَا على الحَقِيقَةِ إلا الذي خَلَقَنَا وَسَوَّانَا وَعَدَلَنَا وفي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَنَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: اقْتَرَبَ حِسَابُنَا، وَأَوَّلُ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِهِ عِنْدَمَا يُوضَعُ أَحَدُنَا فِي قَبْرِهِ وَحِيداً فَرِيداً، لَا مَالَ، وَلَا جَاهَ، وَلَا عِزَّ، وَلَا سُلْطَانَ، وَلَا أَتْبَاعَ، وَلَا أَحْبَابَ.

اقْتَرَبَ حِسَابُنَا، وَيَبْدَأُ بَعْدَ أَنْ يَنْفُضَ النَّاسُ أَيْدِيهِم مِنْ تُرَابِ قُبُورِنَا، وَيَنْصَرِفُونَ عَنَّا، وَتُعَادُ الرُّوحُ إلى الجَسَدِ بِكَيْفِيَّةٍ لَا يَعْلَمُهَا إلا اللهُ تعالى، وَكُلٌّ وَاحِدٍ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ.

اقْتَرَبَ حِسَابُنَا، وَيَبْدَأُ بَعْدَ أَنْ يَرْجِعَ الأُصُولُ وَالفُرُوعُ وَالإِخْوَانُ وَالأَصْدِقَاءُ وَالأَصْحَابُ وَالخِلَّانُ، وَيَنْزِلُ بِنَا مَلَكَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّحْمَنِ.

فِتْنَةُ القَبْرِ وَالسُّؤَالُ فِيهِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَنِ اللهِ تعالى وَاليَوْمِ الآخِرِ ـ إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ تعالى ـ نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تِلْكَ السَّاعَةِ عِنْدَمَا يُوضَعُ أَحَدُنَا فِي قَبْرِهِ، وَهُوَ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِ المُشَيِّعِينَ، وَيَأْتِي المَلَكَانِ، وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ سَوْفَ نَرَى المَلَائِكَةَ، فَإِمَّا أَنْ يَرَاهُمَا أَحَدُنَا وَهُمَا يُبَشِّرَانِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَرَاهُمَا وَهُمَا يَقُولَانِ لَهُ: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾.

تَصَوَّرْ نَفْسَكَ وَأَنْتَ فِي قَبْرِكَ عَادَتْ إِلَيْكَ رُوحُكَ ــ بِكَيْفِيَّةٍ لَا يَعْلَمُهَا إلا اللهُ تعالى ــ وَأَنْتَ تَرَى المَلَكَيْنِ، فَيَسْأَلَانِكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾. كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السُّؤَالِ مِنَ المَلَكَيْنِ؟ هَلْ هَيَّأْنَا الجَوَابَ للمَلَكَيْنِ؟

هَلْ سَيَقُولُ أَحَدُنَا جَوَابَاً على الأَسْئِلَةِ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّي وَرَسُولِي؟

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِيَتَصَوَّرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ، كَيْفَ سَيَكُونُ شُعُورُكَ إِذَا ثَبَّتَكَ اللهُ تعالى بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، وَقِيلَ لَكَ: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عِوَضَاً عَنْهُ مَقْعَدَاً فِي الجَنَّةِ؟

وَكَيْفَ سَيَكُونُ شُعُورُ ذَلِكَ العَبْدِ الذي عَاثَ فِي الأَرْضِ فَسَادَاً، فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَلْبِ الأَمْوَالِ، وَتَهْدِيمِ البُيُوتِ، وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، وَتَمْزِيقِ الأَشْلَاءِ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، وَقَدْ تَخَلَّى اللهُ عَنْهُ، وَقِيلَ لَهُ: انْظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ الجَنَّةِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عِوَضَاً عَنْهُ مَقْعَدَاً فِي النَّارِ؟

تَـــفَـــكَّـــرْ فِي مَـــشِـــيـــبِـــكَ وَالْمَآبِ *** وَدَفْنِكَ بَعْدَ عِزِّكَ فِي التُّـــــرَابِ

إِذَا وَافَـــيْـــتَ قَـــبْـــرَاً أَنْـــتَ فِـــيْـــــهِ *** تُـــقِـــيْـــمُ بِـــه إلى يَـــوْمِ الْحِـــسَابِ

وَفِي أَوْصَالِ جِسْمِكَ حِيْنَ تَبْقَى *** مُـــقَـــطَّـــعَـــةً مُـــمُـــزَّقَةَ الإِهَـــــابِ

فَـــلَـــوْلَا الـــقَبْرُ صَارَ عَلَيْكَ سِتْرَاً *** لأَنْـــتَـــنَـــتِ الأَبَاطِـــحُ وَالـــرَّوَابِي

خُلِقْتَ مِن التُّرَابِ فَصِرْتَ حَـــيَّاً *** وَعُلِّـــمْـــتَ الفَصِيْحَ مِن الْخِطَابِ

وَعُدْتَ إلى الـــتُّرَابِ فَصِرْتَ فِـــيهِ *** كَأَنَّكَ مَا خَـــرَجْـــتَ مِنَ التُّرَابِ

فَـــطَـــلِّـــقْ هَـــذِهِ الـــدُّنْـــيَـــا ثَـــلاثَـــاً *** وَبَـــادِرْ قَـــبْـــلَ مَـــوْتِـــكَ بِالْـــمَـــتَابِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُسْنَ الخِتَامِ، يَا رَبِّ فَرَحَاً عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ، يَا رَبِّ اجْعَلْ مَوْتَنَا رَاحَةً لَنَا لَا مِنَّا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

٤٩٣ـ خطبة الجمعة: حقيقة مرة قاسية

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: مُنْذُ خَلَقَنَا اللهُ تعالى نَحْنُ مُسَافِرُونَ، وَلَيْسَ لَنَا حَطٌّ عَنْ رِحَالِنَا إلا فِي الجَنَّةِ أَو فِي النَّارِ، وَكُلُّ مُسَافِرٍ ظَاعِنٌ إلى مَقْصِدِهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ كَانَ ظَاعِنَاً إلى

اللهِ تعالى فِي حَالِ سَفَرِهِ، وَنَازِلٌ عَلَيْهِ عِنْدَ قُدُومِهِ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْـمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الرَّحِيلُ حَقِيقَةٌ مُرَّةٌ قَاسِيَةٌ رَهِيبَةٌ، تُوَاجِهُ كُلَّ إِنْسَانٍ وَلَا يَسْتَطِيعُ رَدَّهَا وَلَا دَفْعَهَا، الرَّحِيلُ يُوَاجِهُهُ الصِّغَارُ وَالكِبَارُ، الأَغْنِيَاءُ وَالفُقَرَاءُ، الأَقْوِيَاءُ وَالضُّعَفَاءُ، الأُمَرَاءُ وَالعَبِيدُ، يَقِفُ الجَمِيعُ مِنْهُ مَوْقِفَاً وَاحِدَاً، لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ وَلَا وَسِيلَةَ، وَلَا قُوَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ، وَالكُلُّ مَرْجِعُهُم إلى اللهِ تعالى، فَبِأَيِّ وَجْهٍ كُلٌّ مِنَّا سَيَلْقَى اللهَ تعالى؟

مَا هُوَ شُغْلُنَا الشَّاغِلُ، وَهَمُّنَا الأَكْبَرَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: سَلَفُ هَذِهِ الأُمَّةِ شَغَلَتْهُمُ الآخِرَةُ عَنْ دُنْيَاهُمْ، فَعَمِلُوا مِنْ أَجْلِهَا، وَجَعَلُوهَا هَمَّهُمُ الأَوْحَدَ، وَشُغْلَهُمُ الشَّاغِلَ.

يُذْكَرُ بِأَنَّ رَجُلَاً جَاءَ إلى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَسْأَلَةٌ شَغَلَتْنِي بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: اتْرُكْنِي لَا تَشْغَلْنِي، فَإِنَّ عِنْدِي مِنَ المَسَائِلِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ.

قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا الذي شَغَلَكَ؟

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ثَلَاثُ مَسَائِلَ شَغَلَتْنِي؛ الأُولَى: اللهُ يَقُولُ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. فَأَنَا لَا أَدْرِي إلى أَيِّ الفَرِيقَيْنِ أَكُونُ، مِمَّنْ تَبْيَضُّ وُجُوهُهُمْ أَو مِمَّنْ تَسْوَدُّ وُجُوهُهُمْ.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾. وَأَنَا لَا أَدْرِي مِنَ الأَشْقِيَاءِ أَكُونُ أَمْ مِنَ السُّعَدَاءِ.

الثَّالِثَةُ: اللهُ يَقُولُ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: هَلْ نُفَكِّرُ نَحْنُ فِي العَاقِبَةِ وَالمَآلِ وَالمَصِيرِ؟ مَا هُوَ شُغْلُنَا الشَّاغِلُ، وَهَمُّنَا الأَكْبَرَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا؟

حَسَرَاتُ البَعْضِ عِنْدَ الرَّحِيلِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الرَّحِيلُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا لَا بُدَّ مِنْهُ، طَالَ الزَّمَنُ أَمْ قَصُرَ، وَكُلُّنَا إِلَى زَوَالٍ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُفِّقَ للطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ، وَسَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

الرَّحِيلُ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَلَا يُفَارِقُ ذَا عِزَّةٍ لِعِزَّتِهِ، وَذَا كَرَامَةٍ لِكَرَامَتِهِ، وَذَا سُلْطَانٍ لِسُلْطَانِهِ، وَذَا قُوَّةٍ لِقُوَّتِهِ، فَأَيْنَ الطَّوَاغِيتُ؟ وَأَيْنَ الظَّالِمُونَ؟ وَأَيْنَ قَارُونُ وَفِرْعَوْنُ؟ وَأَيْنَ نُمْرُوذُ؟ وَأَيْنَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ؟

هَؤُلَاءِ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَسَرَاتٌ وَحَسَرَاتٌ لَمَّا ضَيَّعُوا وَفَرَّطُوا وَأَسْرَفُوا، فَكُلُّ مُفَرِّطٍ سَيَنْدَمُ عِنْدَ الاحْتِضَارِ، وَيَسْأَلُ طُولَ المُدَّةِ وَلَو شَيْئَاً يَسِيراً لِيَسْتَعْتِبَ وَيَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، كَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا هُوَ آتٍ، وَكُلٌّ بِحَسَبِ تَفْرِيطِهِ.

الرَّحِيلُ مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى يَوْمٍ تَبْيَضُّ فِيهِ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، إِلَى يَوْمٍ يُقْسَمُ فِيهِ النَّاسُ إِلَى قِسْمَيْنِ ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾. إِلَى يَوْمٍ يَكُونُ النَّاسُ فِيهِ فَرِيقَيْنِ ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. هَذَا الرَّحِيلُ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَهُوَ آتٍ لَا مَحَالَةَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَسْمَعْ جَمِيعَاً قَوْلَ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصُعِقَ». وَلْيُصَنِّفْ كُلٌّ مِنَّا نَفْسَهُ، هَلْ هُوَ صَالِحٌ وَسَيَقُولُ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي؛ أَمْ يَقُولُ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟

الأَوَّلُ يَقُولُ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، لِأَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عِوَضَاً عَنْهُ مَقْعَدَاً فِي الجَنَّةِ؛ وَالثَّانِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ لِأَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ الجَنَّةِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عِوَضَاً عَنْهُ مَقْعَدَاً فِي النَّارِ.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَا بُدَّ مِنَ الرَّحِيلِ، لَقَدِ ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، فَهَلْ رَحِيلُنَا مِنَ الدُّنْيَا مُشَرِّفٌ أَمْ مُخْزٍ؟ هَلْ سَنَسْتَبْشِرُ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، أَمْ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ؟ أَجَارَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ سُوءِ الخَاتِمَةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ صَبَاحٍ إِلى النَّارِ؛ لَقَدْ كَانَ الصَّالِحُونَ يَخَافُونَ مِنْ سُوءِ الرَّحِيلِ حَتَّى أَقَضَّ ذَلِكَ مَضَاجِعَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ يَزْهَدُونَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ هَذَا سَيِّدُنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَبْكِي فِي مَرَضِهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟

فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى بُعْدِ سَفَرِي وَقِلَّةِ زَادِي، وَأَنِّي أَصْبَحْتُ فِي صُعُودٍ مُهْبِطٍ عَلَى جَنَّةٍ وَنَارٍ، لَا أَدْرِي إلى أَيِّهِمَا يُؤْخَذُ بِي؟

لَقَدْ خَافَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم مِنْ سَاعَةِ الرَّحِيلِ، أَفَلَا نَخَافُ نَحْنُ مِنْ سَاعَةِ الرَّحِيلِ؟ لَقَدْ مُلِئَتْ صَحَائِفُ أَعْمَالِنَا بِالغَفْلَةِ وَاللَّهْوِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تعالى، إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ تعالى، وَلَقَدْ أَسْرَفَ البَعْضُ في سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَلْبِ الأَمْوَالِ، وَتَرْوِيعِ الآمِنِينَ؛ يَا هَؤُلَاءِ، وَاللهِ أَنْتُم رَاحِلُونَ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَهَلْ بِأَعْمَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ هَذِهِ سَتَبْيَضُّ وُجُوهُكُمْ أَمْ سَتَسْوَدُّ؟ وَهَلْ سَتَكُونُونَ مِنَ السُّعَدَاءِ أَمْ مِنَ الأَشْقِيَاءِ؟ وَمِنْ أَيِّ الفَرِيقَيْنِ سَتَكُونُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، في فَرِيقِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَمْ في فَرِيقِ أَهْلِ السَّعِيرِ؟

تُوبُوا إلى اللهِ تعالى قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَأَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يُكْرِمَنَا جَمِيعاً بِذَلِكَ، يَا وَلِيِّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنَا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ كَانَ ظَاعِنَاً إِلَيْكَ لِنَسْمَعَ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٩٤ـ خطبة الجمعة: أقسام الناس في التذكير

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ جَعَلَ اللهُ تعالى لِلإِنْسَانِ حَيَاتَيْنِ، الأُولَى فِي دَارِ الدُّنْيَا، حَيْثُ عَمَلٌ وَلَا جَزَاءٌ، وَالثَّانِيَةُ فِي الآخِرَةِ، حَيْثُ جَزَاءٌ وَلَا عَمَلٌ.

فَفِي الحَيَاةِ الأُولَى يَعْمَلُ فِيهَا الإِنْسَانُ، لِيَجِدَ نَتَائِجَ عَمَلِهِ فِي الحَيَاةِ الثَّانِيَةِ، قَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: عُمُرُنَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيا عَرَفْنَا بِدَايَتَهُ، وَلَكِنَّ أَمَدَهُ مَجْهُولٌ عِنْدَنَا، لَا يَدْرِي الإِنْسَانُ مَتَى يُنَادِيهِ مُنَادِي اللهِ، لَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا نَادَاهُ فَلَنْ يَتَأَخَّرَ عَنْهُ لَحْظَةً، وَلَنْ تُتَاحَ لَهُ فُرْصَةٌ لِلتَّأَخُّرِ.

هَذَا العُمُرُ ثَمِينٌ جِدًّا عِنْدَ العُقَلَاءِ، وَهُوَ رَأْسُ مَالِهِمْ، حَيْثُ يَسْتَغِلُّونَهُ أَبْلَغَ اسْتِغْلَالٍ، وَلَا يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَدَ دُنْيَا وَأُخْرَى إِذَا أَهْمَلَ عُمُرَهُ الذي هُوَ طَرِيقُ نَجَاتِهِ، وَطَرِيقُ سَعَادَتِهِ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» رواه الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: شهْرُ رَمضَانَ شَهْرُ التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، فَلَا نُضَيِّعْ هَذَا المَوْسِمَ، وَلَا نُفَرِّطْ فِي هَذِهِ الفُرْصَةِ، لِنَعُدْ إلى اللهِ تعالى، وَلْنُعَاوِدْ طَرْقَ بَابِ التَّوْبَةِ، فَرَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الصَّحِيحِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: يُنَادِينَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْـــمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وَبِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحَاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يَا حَسْرَةً على عَبْدٍ دُعِيَ فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ إلى التَّوْبَةِ وَلَمْ يَسْتَجِبْ، إِذَا لَمْ يَرْجِعْ أَحَدُنَا إلى اللهِ بِالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمَتَى يَرْجِعُ؟ وَإِذَا لَمْ يَتُبْ أَحَدُنَا إلى اللهِ تعالى فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمَتَى يَتُوبُ؟ إِنَّ أَقْرَبَ غَائِبٍ نَنْتَظِرُهُ هُوَ المَوْتُ.

فَيَا مَنْ أَسْرَفَ على نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ، تُبْ إلى اللهِ تعالى، وَيَا مَنْ سَفَكَ الدِّمَاءَ البَرِيئَةَ، تُبْ إلى اللهِ تعالى، وَيَا مَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، تُبْ إلى اللهِ تعالى، وَيَا مَنْ جَعَلَ عَلَاقَةً غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ مَعَ النِّسَاءِ، تُبْ إلى اللهِ تعالى، وَيَا مَنْ أَكَلَ المِيرَاثَ بِغَيْرِ حَقٍّ، تُبْ إلى اللهِ تعالى، وَيَا مَنْ وَقَعَ فِي العُقُوقِ، تُبْ إلى اللهِ تعالى، وإلا تَذَكَّرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ

اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْـمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْـمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾؟

أَقْسَامُ النَّاسِ في التَّذْكِيْرِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ قَسَّمَ اللهُ تعالى النَّاسَ في سَبِيلِ الذِّكْرَى إلى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

الأَوَّلُ: نَاسٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَحَمُّلَ الذِّكْرَى وَلَا سَمَاعَهَا، بَلْ يَكْرَهُونَ الذِّكْرَى وَالْمُذَكِّرَ، هَؤُلَاءِ قَالَ تعالى في حَقِّهِمْ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفَاً مُنَشَّرَةً﴾.

الثَّاني: نَاسٌ يَسْمَعُونَ بِآذَانِهِمْ دُونَ قُلُوبِهِمْ، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ صَارَتْ مَخْتُومَاً عَلَيْهَا بِالذُّنُوبِ وَالآثَامِ، وَلَمْ يَتُوبُوا إلى اللهِ تعالى مِنْهَا، هَؤُلَاءِ قَالَ تعالى في حَقِّهِمْ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفَاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾. هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

الثَّالِثُ: نَاسٌ يَسْمَعُونَ مَا يُعْجِبُهُمْ مِمَّنْ يُعْجِبُهُمْ، وَلَا يَسْمَعُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ، هَؤُلَاءِ لَا يَسْمَعُونَ الذِّكْرَى، بَلْ يَسْمَعُونَ مِنَ الأَشْخَاصِ، وَلَو كَانُوا على ضَلَالٍ، هَؤُلَاءِ

قَالَ تعالى فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

الرَّابِعُ: نَاسٌ يَسْمَعُونَ الذِّكْرَى وَخَاصَّةً مِنْ رَبِّهِمْ وَنَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَيَسْتَغِلُّونَهَا الاسْتِغْلَالَ الصَّحِيحَ، هَؤُلَاءِ الذين قَالَ اللهُ تعالى عَنْهُمْ: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾. وَقَالَ عَنْهُمْ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِيُصَنِّفْ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ، مِنْ أَيِّ الأَقْسَامِ هُوَ؟

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: اسْتَغِلُّوا شَهْرَ رَمَضَانَ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ وَالإِنَابَةِ إلى اللهِ تعالى، لِأَنَّهُ وَاللهِ لَيْسَ لَنَا إلا اللهُ، فَهُوَ رَبُّنَا الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ الذي يُنَادِينَا بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وَيُنَادِينَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: «يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ» رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. فَهَلْ مِنْ مُسْتَجِيبٍ؟

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، لَا مِنَ الذينَ قَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٤٩٥ـ خطبة الجمعة: أناس بلا قلوب

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: هُنَاكَ أُنَاسٌ بِلَا قُلُوبٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ القَلْبَ الغَافِلَ، وَالقَلْبَ الشَّارِدَ، لَا يُعْتَبَرُ قَلْبَاً حَيَّاً، إِنَّمَا القَلْبُ الحَيُّ هُوَ الذي يَنْتَفِعُ بِكَلَامِ الله تعالى، وَبِكَلَامِ سَيِّدِنَا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

إِنَّمَا القَلْبُ الحَيُّ هُوَ الذي يَسْتَجِيبُ لِقَوْلِ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

ذِكْرُ الآخِرَةِ يُحَرِّكُ القُلُوبَ:

يَا عِبَادَ الله: هُنَاكَ أُنَاسٌ بِلَا قُلُوبٍ، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ شَارِدَةٌ لَاهِيَةٌ، تَحْتَاجُ إلى تَذْكِيرٍ بالآخِرَةِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرُ الآخِرَةِ يُحَرِّكُ القُلُوبَ، فَمَا الذي يُحَرِّكُهَا؟ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرُ الجَنَّةِ يُشَوِّقُ القُلُوبَ، فَمَا الذي يُشَوِّقُهَا؟ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرُ النَّارِ يُخِيفُ القُلُوبَ، فَمَا الذي يُخِيفُهَا؟

يَا عِبَادَ اللهِ: الإِيمَانُ باللهِ تعالى وَاليَوْمِ الآخِرِ هُوَ الضَّابِطُ الحَقِيقِيُّ لِسُلُوكِ الإِنْسَانِ ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. فَالإِيمَانُ باللهِ تعالى وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالأَهْوَالِ لَهُوَ الُمحَرِّكُ الحَقِيقِيُّ لِهَذَا الإِنْسَانِ.

فَلَا رَادِعَ للعُصَاةِ عَنْ عِصْيَانِهِمْ إلا بِذِكْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ الرَّهِيبِ، كَمَا أَنَّهُ لَا مُشَوِّقَ لِأَهْلِ الصَّلَاحِ للزِّيَادَةِ فِي صَلَاحِهِمْ إلا بِذِكْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ الذي قَالَ تعالى فِيهِ: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

﴿وَتَرَى الْـمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: مِنْ مُنْطَلَقِ الرَّحْمَةِ، مِنْ مُنْطَلَقِ المَحَبَّةِ، مِنْ مُنْطَلَقِ الأُخُوَّةِ في اللهِ تعالى، مِنْ مُنْطَلَقِ الشَّفَقَةِ، وَمِنْ مُنْطَلَقِ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» رواه الإمام البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا. أَتَوَجَّهُ إلى أَهْلِ هَذَا البَلَدِ الحَبِيبِ، حَيْثُ كَثُرَ فِيهِ الإِجْرَامُ وَالُمجْرِمُونَ، وَكَأَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ غَابَ عَنِ الأَبْصَارِ وَالبَصَائِرِ، لِأُذَكِّرَ نَفْسِي وَكُلَّ وَاحِدٍ فِينَا بِقَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَتَرَى الْـمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. بِاللهِ عَلَيْكُمْ مَنْ يُرْضِيهِ هَذَا المَآلُ؟ وَمَنْ يُرْضِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الُمجْرِمِينَ؟

النَّارُ دَارُ الخِزْيِ وَالبَوَارِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ تعالى مِنَ النَّارِ، فَقَالَ تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

النَّارُ هِيَ دَارُ الخِزْيِ وَالبَوَارِ، دَارُ العَذَابِ وَالنَّكَالِ، كَمْ حَذَّرَنَا مِنْهَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْطَانَا صُوَرَاً عَنْ أَهْلِهَا، فَقَالَ تعالى مُخْبِرَاً عَنْهُم وَهُمْ يَسْتَغِيثُونَ وَلَكِنْ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ: ﴿رَبَّنَا أَخرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾. فَيَأْتِيهِمُ الرَّدُّ: ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. بِاللهِ عَلَيْكُمْ مَنْ يُرْضِيهِ هَذَا الخِزْيُ وَالبَوَارُ؟ مَنْ يُرْضِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ سَقَرَ، وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَهْلَ الجَنَّةِ يَسْأَلُونَهُمْ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْـمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنْ كَانَ مُجْرِمَاً وَعَاثَ فِي الأَرْضِ فَسَادَاً، وَظَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ رَاجِعَاً إلى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قُولُوا لِمَنْ أَجْرَمَ فِي حَقِّ هَذَا البَلَدِ وَأَهْلِهِ، لَقَدْ أَنْذَرَكَ رَبُّ العِزَّةِ وَحَذَّرَكَ مِنْ يَوْمِ الــحَسْرَةِ، فَقَالَ تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَتُبْ إلى اللهِ تعالى، لَعَلَّ اللهَ تعالى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ، وَنُنَادِي فِي أَرْضِ المَــحْشَرِ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ

* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾. لِنَتَدَارَكْ أَنْفُسَنَا قَبْلَ الَموْتِ، وإلا فَالَمصِيرُ سَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، حَيْثُ يُنَادِي الُمنَادِي مِنْهُمْ نَدَمَاً وَلَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعَاً فَاسْلُكُوهُ﴾. وَاللهِ أُرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ لَا مِنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، فَدَارُ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لَا مَقَرٍّ؛ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قُلُوبَاً حَيَّةً يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** **

٤٩٦ـ خطبة الجمعة: مراقبة الله تعالى وقاية من كل سوء

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: عَيْنُ اللهِ تعالى تُلَاحِقُ العَبْدَ أَيْنَمَا حَلَّ وَارْتَحَلَ؛ عَيْنُ اللهِ تعالى تُلَاحِقُ العَبْدَ فِي خَلْوَتِهِ وَجَلْوَتِهِ، وَفِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَالعَبْدُ الُمؤْمِنُ على يَقِينٍ بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾. وَلِقَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾. وَلِقَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: مَنِ اسْتَشْعَرَ ذَلِكَ صَارَ تَقِيّاً للهِ تعالى ظَاهِراً وَبَاطِناً، بَلْ كَانَ بَاطِنُهُ خَيْراً مِنْ ظَاهِرِهِ، وَخَلْوَتُهُ خَيْراً مِنْ جَلْوَتِهِ، وَتَمَثَّلَ قَوْلَ القَائِلِ:

إِذَا مَـــا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً *** فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً *** وَلَا أَنَّ مَـــا يَـــخْـــفَـــى عَـــلَـــيْـــهِ يَـــغِـــيبُ

مُرَاقَبَةُ اللهِ تعالى وِقَايَةٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مُرَاقَبَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وِقَايَةٌ للعَبْدِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ؛ مَرَاقَبَةُ اللهِ تعالى تَجْعَلُ اليَدَ مُسْتَقِيمَةً، فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْرِقَ فَضْلَاً عَنِ القَتْلِ؛ وَتَجْعَلُ اللِّسَانَ مُسْتَقِيماً، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِسُوءٍ فَضْلَاً عَنِ الكُفْرِ وَالسَّبِّ وَالشَّتْمِ وَاللَّعْنِ؛ وَتَجْعَلُ الرِّجْلَ مُسْتَقِيمَةً، فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَــمْشِيَ إلى سُوءٍ؛ وَتَجْعَلُ الجَوَارِحَ كُلَّهَا مُسْتَقِيمَةً، فَلَا تَعْصِي اللهَ تعالى أَبَدَاً.

يَقُولُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: اجْعَلْ مُرَاقَبَتَكَ عَمَّنْ لَا تَغِيبُ عَنْ نَظَرِهِ إِلَيْكَ، وَاجْعَلْ شُكْرَكَ لِمَنْ لَا تَنْقَطِعُ نِعَمُهُ عَنْكَ، وَاجْعَلْ طَاعَتَكَ لِمَنْ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ، وَاجْعَلْ خُضُوعَكَ لِمَنْ لَا تَخْرُجُ عَنْ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ.

«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»:

يَا عِبَادَ اللهِ: أَهْلُ الْمُرَاقَبَةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ هُمْ خِيَارَ خَلْقِ اللهِ عِنْدَ اللهِ تعالى، وَهُمُ الصَّفْوَةُ الْمُخْتَارَةُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ أَرْبَابُ البَصَائِرِ الذينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ تعالى بِالمِرْصَادِ لِأَهْلِ المَعَاصِي.

أَهْلُ الْمُرَاقَبَةِ للهِ تعالى هُمُ الذينَ دَخَلُوا مَقَامَ الإِحْسَانِ، مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَهْلُ الْمُرَاقَبَةِ للهِ تعالى هُمُ المَحْبُوبُونَ عِنْدَ اللهِ تعالى، قَالَ تعالى: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْـمُحْسِنِينَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: مَنْ دَخَلَ مَقَامَ الْمُرَاقَبَةِ صَعُبَتْ عَلَيْهِ المَعْصِيَةُ، وإلا هَانَتْ عَلَيْهِ المَعْصِيَةُ؛ هَذِهِ امْرَأَةُ العَزِيزِ غَفَلَتْ عَنِ اللهِ تعالى، وَغَابَتْ مُرَاقَبَتُهَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟ كَانَتِ النَّتِيجَةُ خِيَانَةً عَظِيمَةً ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.

وَلَكِنْ مَنْ دَخَلَ الْمُرَاقَبَةَ هَلْ يَجْتَرِئُ على الكَبِيرَةِ؟ مَعَاذَ اللهِ تعالى؛ لِذَلِكَ كَانَ جَوَابُ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إنّ مُرَاقَبَةَ البَشَرِ للبَشَرِ قَاصِرَةٌ، أَمّا مُرَاقَبَةُ اللهِ تعالى فَهِيَ مُرَاقَبَةٌ كَامِلَةٌ وَمُطْلَقَةٌ، فَلْنُسْقِطْ مُرَاقَبَةَ المَخْلُوقِينَ وَجَمِيعِ الكَائِنَاتِ مِنْ حِسَابِنَا، وَلْنَجْعَلْ مُرَاقَبَةَ اللهِ تعالى هِيَ الأَسَاسُ، لِأَنّ الحِسَابَ على اللهِ تعالى.

تَذَكّرُوا يَا شَبَابَ الأُمّةِ وَيَا شَابّاتِ الأُمّةِ، بِأَنّ اللهَ تعالى لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، يَعْلَمُ السّرّ وَالعَلَانِيَةَ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

لِيُذَكّرْ كُلٌّ مِنّا نَفْسَهُ بِقَوْلِ القَائِلِ:

وَإِذَا خَـــــلَـــوْتَ بِـــرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ *** وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إلى الطُّغْيَانِ

فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا *** إِنَّ الّذِي خَلَقَ الظّلَامَ يَرَانِي

إِذَا كَانَ العَبْدُ يَعْتَقِدُ أَنّ اللهَ تعالى لَا يَرَاهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَإِذَا كَانَ يَعْتَقِدُ أَنّهُ يَرَاهُ فَلِمَ جَعَلَهُ أَهْوَنَ النّاظِرِينَ إِلَيْهِ؟

اللّهُمّ ارْزُقْنَا خَشْيَتَكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** **

٤٩٧ـ خطبة الجمعة: ما رأينا خيراً في هذا التنازع

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تعالى هَذَا القُرْآنَ العَظِيمَ في شَهْرِ رَمَضَانَ، في لَيْلَةِ القَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. وَلَيْلَةُ القَدْرِ هِيَ اللَّيْلَةُ التي يُقَدِّرُ اللهُ تعالى فِيهَا مَقَادِيرَ السَّنَةِ، قَالَ تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْـمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَ القُرْآنُ العَظِيمُ مُفَرَّقًا على قَلْبِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ يَتَنَزَّلُ على حَسَبِ الوَقَائِعِ التي وَقَعَتْ، فَكَانَ إِنْزَالُ القُرْآنِ العَظِيمِ في شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَامَةً وَدَلِيلًا على اصْطِفَاءِ اللهِ تعالى لِهَذَا الشَّهْرِ؛ وَنُزُولُهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا في لَيْلَةِ القَدْرِ دِلَالَةٌ أَيْضًا على عَظِيمِ فَضْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ.

<u>اجْتِهَادُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ: عُمُرُنَا يَمُرُّ كَمَا تَمُرُّ هَذِهِ الأَيَّامُ وَالأَشْهُرُ، وَلَا يَبْقَى للإِنْسَانِ إلا عَمَلُهُ الصَّالِحُ، وَهَذِهِ الأَيَّامُ أَيَّامٌ مُبَارَكَاتٌ، وَلَيَالٍ فَاضِلَاتٌ، لِذَا جَعَلَ اللهُ تعالى العِبَادَةَ فِيهَا أَعْظَمَ مِنَ العِبَادَةِ في غَيْرِهَا، فَالعِبَادَةُ في لَيْلَةِ القَدْرِ تَرْبُو على ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، فَالسَّعِيدُ مَنْ وُفِّقَ لِقِيَامِهَا حَقَّ القِيَامِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الـــعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ. رواه الإمام البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَقُومُ وَيَنَامُ بَعْضَ اللَّيْلِ، إلا فِي العَشْرِ الأَخِيرِ فَقَدْ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُوقِظُ أَهْلَهُ.

روى الإمام البخاري عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ اسْتَيْقَظَ لَيْلَةً، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ (يُرِيدُ بِهِ أَزْوَاجَهُ حَتَّى يُصَلِّينَ) رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ».

دَعُوا الخُصُومَاتِ وَالمُجَادَلَاتِ فِيمَا بَيْنَكُمْ:

يَا عِبَادَ اللهِ: روى الإمام البخاري عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَ النَّاسَ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنَ المُسْلِمِينَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَإِنَّهَا رُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالخَامِسَةِ».

يَا عِبَادَ اللهِ: إِذَا كَانَتْ مُجَرَّدُ المُلَاحَاةِ وَالمُجَادَلَةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ رُفِعَتْ عَلَامَةُ لَيْلَةِ القَدْرِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِسَبَبِهِمَا، فَكَيْفَ إِذَا سَاءَتِ العَلَاقَاتُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ إلى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ؟ فَكَيْفَ إِذَا وَصَلَ الأَمْرُ إلى انْتِهَاكِ الحُرُمَاتِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: كُلَّمَا ازْدَادَ الإِنْسَانُ قُرْبَاً مِنَ اللهِ تعالى وَمِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا ازْدَادَ تَعْظِيماً وَإِكْرَاماً لِحُقُوقِ المُسْلِمِينَ؛ وَأَمَّا إِذَا ابْتَعَدَ العَبْدُ عَنْ كِتَابِ اللهِ تعالى وَعَنْ هَدْيِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ تَكُونُ رَخِيصَةً عِنْدَهُ ـــ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالى ـــ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: هَا نَحْنُ اليَوْمَ فِي اليَوْمِ السَّادِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ، وَهَذِهِ هِيَ لَيْلَةُ السَّابِعِ وَالعِشْرِينَ قَدْ أَقْبَلَتْ عَلَيْنَا، وَنَرْجُو اللهَ تعالى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ، فَهَلْ بِإِمْكَانِنَا وَنَحْنُ نَعِيشُ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، وَرَبُّنَا وَاحِدٌ، وَكِتَابُنَا وَاحِدٌ، وَقِبْلَتُنَا وَاحِدَةٌ، أَنْ نَصْطَلِحَ فِيمَا بَيْنَ بَعْضِنَا بَعْضَاً، وَأَنْ نُعِيدَ الحُقُوقَ لِأَصْحَابِهَا؟

هَلْ بِإِمْكَانِ الحَاكِمِ أَنْ يُعْطِيَ المَحْكُومَ حَقَّهُ؟ هَلْ بِإِمْكَانِ الزَّوْجِ أَنْ يُعْطِيَ زَوْجَتَهُ حَقَّهَا، وَالعَكْسُ بِالعَكْسِ؟ وَهَلْ بِإِمْكَانِ كُلِّ وَاحِدٍ فِينَا أَنْ يُعْطِيَ الآخَرِينَ الحَقَّ الذي عَلَيْهِ؟

هَلْ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَجْعَلَ شِعَارَنَا اليَوْمَ التَّغَافُرَ لَا التَّنَافُرَ؟ وَهَلْ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَلْتَزِمَ قَوْلَ اللهِ تعالى:﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

مَا أَرْوَعَ الُمجْتَمَعَ إِذَا تَصَافَحَ أَفْرَادُهُ، وَتَغَافَرُوا، وَتَسَامَحُوا بِدُونِ عِتَابٍ، مِنْ بَعْدَ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ.

يَا عِبَادَ اللهِ: وَاللهِ مَا رَأَيْنَا خَيْرَاً فِي هَذَا التَّنَازُعِ وَالتَّخَاصُمِ، مَا رَأَيْنَا خَيْرَاً فِي هَذَا الاقْتِتَالِ، حَالُنَا اليَوْمَ سَرَّ عَدُوَّنَا وَأَحْزَنَ الُمسْلِمِينَ الصَّادِقِينَ.

أَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يَرُدَّنَا إِلَى دِينِهِ رَدَّاً جَمِيلَاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** *

٤٩٨ـ خطبة عيد الفطر: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْـمُحْسِنِينَ﴾

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: هَا قَدْ رَحَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ عَنَّا، وَكَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على جَمِيعِ النَّاسِ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الفَائِزِينَ وَالخَاسِرِينَ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرَّاً على الطَّائِعِينَ

وَالعَاصِينَ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرّاً على الفَائِزينَ الطّائِعِينَ، لِأَنّهُمْ فَقَدُوا أَيّامَاً اخْتَصّهَا اللهُ تعالى بِخَصَائِصَ لَمْ تَكُنْ في غَيْرِهَا، فَقَدُوا أَيّامَاً مُمْتِعَةً، وَلَيَالِيَ عَامِرَةً، فَقَدُوا النّهَارَ الذي كَابَدُوهُ بِالصِّيَامِ وَالصَّدَقَاتِ، وَفَقَدُوا اللّيْلَ الذي كَابَدُوهُ بِالقِيَامِ وَتِلَاوَةِ القُرْآنِ وَالمُنَاجَاةِ.

كَانَ رَحِيلُهُ مُرّاً على الفَائِزِينَ الطّائِعِينَ، لِأَنّهُمْ وَجَدُوا العَوْنَ مِنَ اللهِ تعالى لَهُمْ في هَذَا الشّهْرِ العَظِيمِ المُبَارَكِ، حَيْثُ صُفِّدَتْ فِيهِ الشّيَاطِينُ، وَغُلِّقَتْ فِيهِ أَبْوَابُ النِّيرَانِ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجِنَانِ.

كَانَ رَحِيلُهُ مُرّاً على الفَائِزِينَ الطّائِعِينَ، لِأَنّهُمْ فَقَدُوا شَهْرَ الرَّحَمَاتِ، شَهْرُ تَكْفِيرِ السّيِّئَاتِ، شَهْرُ إِقَالَةِ العَثَرَاتِ، فَقَدُوا شَهْرَ الدُّعَاءِ الذي كَانَ فِيهِ مُسْتَجَابَاً وَمَسْمُوعَاً.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ رَحَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَكَانَ رَحِيلُهُ مُرّاً على الخَاسِرِينَ العَاصِينَ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرّاً عَلَيْهِمْ، لِأَنّهُمْ حُرِمُوا خَيْرَاتِ هَذَا الشّهْرِ المُبَارَكِ، فَرّطُوا فِيهِ وَكَانُوا مِنَ الخَاسِرِينَ، أُمِرُوا بِالصِّيَامِ فَلَمْ يَصُومُوا، وَأُمِرُوا بِالقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا، كَانَ نَهَارُهُمْ ظُلْمَةً في المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ؛ وَلَيْلُهُمْ وَيْلٌ وَثُبُورٌ عَلَيْهِمْ حَيْثُ الهُمُومُ وَالأَحْزَانُ، كَانَ رَحِيلُهُ مُرّاً على الخَاسِرِينَ العَاصِينَ، لِأَنّهُمْ فَرّطُوا فِيهِ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِذَاكَ النِّدَاءِ: «يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشّرِّ أَقْصِرْ» رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رَحَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ وَحَلّتْ عَلَيْهِمُ الخَيْبَةُ وَالخُسْرَانُ، لِأَنّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خَاوِيَةً مِنَ التّقْوَى فَهِيَ خَرَابٌ، لِأَنّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ أَقْسَى مِنَ الحَجَرِ، كَانَ رَحِيلُ شَهْرِ

رَمَضَانَ عَنْهُمْ مُرّاً، لِأَنَّهُ شَهِدَ عَلَيْهِمْ بِالخُسْرَانِ، فَأَصْبَحَ لَهُمْ خَصْمَاً يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَا وَيْلَ مَنْ كَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ خَصْمَاً لَهُ، فَكَيْفَ يَرْجُو شَفَاعَتَهُ؟

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْـمُحْسِنِينَ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنِ اغْتَرَّ بِحِلْمِ اللهِ تعالى عَلَيْهِ، وَلِمَنْ يَقُولُ: رَبُّنَا غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ طَاعَاتِنَا؛ قُولُوا لَهُ: نَعَمْ رَبُّنَا حَلِيمٌ، وَغَفُورٌ وَرَحِيمٌ، وَلَكِنْ هَلْ نَسِيتُمْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْـمُحْسِنِينَ﴾؟

وَهَلْ نَسِيتُمْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾؟

وَهَلْ نَسِيتُمُ الحَدِيثَ الشَّرِيفَ الذي رواه الحاكم عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «احْضَرُوا الْمِنْبَرَ».

فَحَضَرْنَا فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ قَالَ: «آمِينَ».

فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئَاً مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ؟

قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَرَضَ لِي فَقَالَ: بُعْدَاً لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفَرْ لَهُ قُلْتُ: آمِينَ؛ فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بُعْدَاً لِمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ قُلْتُ: آمِينَ؛ فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بُعْدَاً لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدُهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ: آمِينَ»؟

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: رَحَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَفَازَ فِيهِ مَنْ فَازَ، وَخَسرَ فِيهِ مَنْ خَسرَ، لَقَدْ فَازَ مَنِ انْدَرَجَ تَحْتَ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الطَّبَرَانِيُّ في الكَبِيرِ عَنْ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَقَفَتِ الْـــمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الطُّرُق، فَنَادَوْا: اغْدُوا يَا مَعْشَرَ الْـــمُسْلِمِينَ إِلَى رَبٍّ كَرِيمٍ يَمُنُّ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ، لَقَدْ أُمِرْتُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَقُمْتُمْ، وَأُمِرْتُمْ بِصِيَامِ النَّهَارِ فَصُمْتُمْ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ، فَاقْبِضُوا جَوَائِزَكُمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، نَادَى مُنَادٍ: أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا رَاشِدِينَ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْيَوْمُ فِي السَّمَاءِ يَوْمَ الْجَائِزَةِ».

وَخَسرَ مَنْ خَسرَ نِعْمَةَ القُرْبِ مِنَ اللهِ تعالى، وَنِعْمَةَ يَوْمِ الجَائِزَةِ، وَلَكِنْ مِنْ تَمَامِ فَضْلِ اللهِ تعالى أَنَّهُ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ وَلَمْ يُغْلِقْهُ مَا دَامَتِ الرُّوحُ مُسْتَقِرَّةً في الجَسَدِ، وَلَمْ تَقَعْ في الغَرْغَرَةِ، فَيَا مَنْ شَعَرْتَ بِمَرَارَةِ رَحِيلِ هَذَا الشَّهْرِ، وَكُنْتَ فِيهِ مِنَ الخَاسِرِينَ، فَرَبُّكَ يُنَادِيكَ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعَاً أَيُّهَ الْـــمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. فَلَا تَكُنْ عَنِيداً، وَلَا تَكُنْ مَغْرُوراً، فَاللهُ تعالى يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ.

يَا رَبُّ فَرِّجْ عَنَّا جَمِيعَاً مَا أَهَمَّنَا وَأَغَمَّنَا وَكَرَبَنَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**

٤٩٩ـ خطبة الجمعة: سلام اللّه عليك يا شهر الصيام والقيام

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ الْمُبَارَكُ قَدِ انطَوَى وَرُفِعَ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَعْمَالِ العِبَادِ ، فَسَلَامُ اللهِ تعالى عَلَيْكَ يَا شَهْرَ القُرْآنِ، يَا شَهرَ الصَّبْرِ وَالْمُوَاسَاةِ، لَقَدْ مَرَرْتَ بِنَا وَاللهِ كَلَمْحَةِ بَرْقٍ، أَو غَمْضَةِ عَيْنٍ، لَقَدْ كُنْتَ مِضْمَاراً لِتَنَافُسِ الْمُتَنَافِسِينَ فِيكَ، لَقدْ كُنْتَ مَيْدَانًا تَسَابَقَ فِيكَ الْمُتَسَابِقُونَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِ اللهِ تعالى فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

سَلَامُ اللهِ تعالى عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الدُّعَاءِ، فَكَمْ مِنْ أَكُفٍّ رُفِعَتْ إلى اللهِ تعالى ضَارِعَةً، وَكَمْ مِنْ دُمُوعٍ سَاخِنَةٍ ذُرِفَتْ، وَعَبَرَاتٍ حَرَّى سُكِبَتْ، حُبًّا للهِ تعالى، وَشَوْقَاً إِلَيْهِ؟

سَلَامُ اللهِ تعالى عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الشَّهْرُ العَظِيمُ، مَرَرْتَ بِنَا كَطَيْفِ خَيَالٍ، مَرَرْتَ بِنَا بِخَيْرَاتِكَ الحِسيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، سَلَامُ اللهِ تعالى عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الشَّاهِدُ لِمَنْ شَمَّرَ فِيكَ بِالصِّيَامِ وَالقِيَامِ وَالجِدِّ وَالنَّشَاطِ، وَالشَّاهِدُ على الْمُقَصِّرِ الغَافِلِ الْمُعْرِضِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

تَلَمَّسُوا أَثَرَ الصِّيَام فِيكُمْ:

أَيُّهَا الإِخْوةُ الكِرَامُ: تَلَمَّسُوا أَثَرَ الصِّيَامِ فِيكُمْ، هَلْ مُلِئَتِ القُلُوبُ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ هَلْ تَحَسَّنَتْ أَخْلَاقُنَا؟ هَلِ اسْتَقَامَ سُلُوكُنَا؟ هَلِ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُنَا؟ هَلْ تَوَحَّدَتْ صُفُوفُنَا؟ هَلِ اسْتَيْقَظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا؟ هَلْ زَالَتِ الضَّغَائِنُ وَالأَحْقَادُ مِنْ نُفُوسِنَا؟ هَلْ تَلَاشَتِ المُنْكَرَاتُ مِنْ بُيُوتِنَا وَشَوَارِعِنَا وَأَسْوَاقِنَا؟

يَا عِبَادَ اللهِ: مَا مِنْ طَاعَةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ تعالى إلا وَتَتْرُكُ أَثَرَاً في حَيَاةِ العَبْدِ الطَّائِعِ، فَهَلْ تَرَكَ الصِّيَامُ فِينَا أَثَرَهُ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟

تَلَمَّسُوا أَثَرَ التَّقْوَى في جَارِحَةِ السَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالفُؤَادِ، هَلْ صَارَ سَمْعُنَا سَمْعَ الأَتْقِيَاءِ، وَبَصَرُنَا بَصَرَ الأَتْقِيَاءِ، وَفُؤَادُنَا فُؤَادَ الأَتْقِيَاءِ؟ هَلْ صَارَتْ جَوَارِحُنَا مُنْضَبِطَةً بِضَوَابِطِ الشَّرِيعَةِ؟

هَلْ إِذَا وَرَدْنَا نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ تُنَادِي عَلَيْنَا النَّارُ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي؟ رواه الطَّبَرَانِيُّ.

وَهَلْ يَتَحَقَّقُ فِينَا قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمَاً مَقْضِيَّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾. أَمْ لَا قَدَّرَ اللهُ تعالى يَنْدَرِجُ العَبْدُ تَحْتَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيَّاً﴾؟

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: يَا مَنِ اسْتَجَبْتُمْ لِرَبِّكُمُ القَائِلُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. اسْتَجِيبُوا للهِ تعالى في سَائِرِ أَحْوَالِكُمْ وَأَيَّامِكُمْ ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾. وَلْتَخْشَعْ قُلُوبُكُمْ لِذِكْرِ اللهِ تعالى وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ، وَاسْلُكُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ.

يَا عِبَادَ اللهِ: اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ أَيَّامَ عُمُرِكُمْ، وَلَا تَرْجِعُوا إلى الذُّنُوبِ وَالعِصْيَانِ، يَقُولُ كَعْبُ بنُ مَالِكٍ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ إِذَا أَفْطَرَ مِنْ رَمَضَانَ لَمْ يَعْصِ اللهَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا حِسَابٍ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ إِذَا أَفْطَرَ عَصَى رَبَّهُ فَصِيَامُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ.

يَا رَبُّ ارْزُقْنَا حَقَّ الحَيَاءِ مِنْكَ، وَوَفِّقنَا لِأَنْ نَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَأَنْ نَذْكُرَ المَوْتَ وَالبِلَى. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** *

٥٠٠ـ خطبة الجمعة: ما نفذ مكرهم إلا من خلالنا

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: أَعْدَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ مَهْمَا وُجِدَ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّبَاغُضِ وَالتَّبَايُنِ وَالتَّنَاقُضِ وَالتَّدَابُرِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا وَاجَهُوا الحَقَّ وَوَاجَهُوا الإِسْلَامَ، وَحَّدَوا صُفُوفَهُمْ فِي مُوَاجَهَتِهِ، وَنَسُوا العَدَاوَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَاتَّفَقُوا على الكَيْدِ المُوَجَّهِ ضِدَّ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: وَلَكِنَّ الحَقَّ يُقَالُ، هَذَا الكَيْدُ المُوَجَّهُ للإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغَ مَبْلَغَهُ وَيُحَقِّقَ أَثَرَهُ لَوْلَا أَنَّهُ وَجَدَ آذَانَاً صَاغِيَةً مِنَ المُسْلِمِينَ، وَوَجَدَ تُرْبَةً خِصْبَةً لِزَرْعِهِ فِي بِلَادِ المُسْلِمِينَ، قَالَ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: مَكْرُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ بِالإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ مَا نُفِّذَ إلا مِنْ خِلَالِ المُسْلِمِينَ، وَبِحَبْلٍ مِنْهُمْ بَلَغَ مَا يُرِيدُ، أَلَا تَتَدَبَّرُونَ خُطْبَةَ الشَّيْطَانِ الشَّهِيرَةِ التِي ذَكَرَهَا اللهُ تعالى فِي القُرْآنِ العَظِيمِ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؟ لَقَدْ تَجَاوَبَ النَّاسُ مَعَ كَيْدِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ تَحْتَ عُنْوَانِ وَشِعَارِ: الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ.

يَا عِبَادَ اللهِ: يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَلُومَ أَنْفُسَنَا، وَأَنْ نَعُودَ إِلَى رُشْدِنَا وَعَقْلِنَا، وَأَنْ نَكُونَ على يَقِينٍ أَنَّهُ مَا كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ لِيَحْدُثَ لَوْلَا أَنْ تَجَاوَبَ الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ مَعَ هَذَا الكَيْدِ العَظِيمِ، وَأَنْ نَذْكُرَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

ادْفِنِي قَتْلَاكِ وَارْضَيْ بِالْمُصِيبَه *** وَاذْهَبِي عَاصِفَةَ اللَّيْلِ غَرِيبَه

وَاحْمِلِي الْعَارَ الَّذِي أَنْجَبْتِهِ *** وَتَوَارَيْ فِي الزَّنَازِينِ الرَّهِيبَه

أَنْتِ ضَيَّعْتِ الْبُطُولَاتِ سُدَىً *** يَا شُعُوبَاً لَمْ تُعَلِّمْهَا الْمُصِيبَه

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: مَكْرُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ بِالإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ لَيْسَ بِالسَّهْلِ، بَلْ هُوَ عَظِيمٌ، مَكْرُهُمْ تَشِيبُ مِنْهُ الرُّؤُوسُ، فَهُمْ يَمْكُرُونَ لَيْلَهُمْ وَنَهَارَهُمْ، وَيُخَطِّطُونَ للإِيقَاعِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَأْلُونَ جُهْدَاً، فَالمَكْرُ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ دِقَّةُ التَّخْطِيطِ، فَيُخَطِّطُونَ وَيَنْتَبِهُونَ لِكُلِّ دَقِيقٍ وَجَلِيلٍ، وَيَحْسِبُونَ لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَهُ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تعالى كَيْدَهُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾. مَكْرٌ لَوْ تَحَقَّقَ لَزَالَتْ مِنْهُ الجِبَالُ، وَلَكِنْ للهِ الحَمْدُ القَائِلِ: ﴿وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾. وَالقَائِلِ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. وَالقَائِلِ: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرَاً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

لَقَدْ خُيِّلَ للشَّرْقِ وَالغَرْبِ أَنَّ الأُمُورَ قَدِ اسْتَحْكَمَتْ بِأَيْدِيهِم، وَأَنَّهُ لَا أَحَدَ يُنَافِسُهُمْ، وَلَا يَهِيجُهُمْ، وَلَا يُغَيِّرُ مِنْ سُلْطَانِهِمْ، لَكِنَّهُمْ نَسُوا: ﴿وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾. وَنَسُوا: ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. وَنَسُوا: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرَاً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

خَاتِمَةٌ ـ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إِذَا نَسِيَ الشَّرْقُ وَالغَرْبُ حَقِيقَةَ: ﴿وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾. فَهَلْ مِنَ المَعْقُولِ أَنْ يَنْسَى المُؤْمِنُونَ هَذِهِ الحَقِيقَةَ؟

هَلْ مِنَ المَعْقُولِ أَنْ يَنْسَى المُؤْمِنُونَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾؟

هَلْ مِنَ المَعْقُولِ أَنْ يَنْسَى المُؤْمِنُونَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾؟

يَا عِبَادَ اللهِ: مَكْرُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ رَهِيبٌ، وَيُزِيلُ الجِبَالَ إِذَا تَحَقَّقَ، وَلَكِنْ وَاللهِ يُصْبِحُ هَبَاءً إِذَا تَحَقَّقَتِ الأُمَّةُ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، وَاسْمَعُوا إِلَى هَذِهِ البِشَارَةِ مِنَ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَـــضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئَاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. ذَاكَ المَكْرُ الذي إِذَا تَحَقَّقَ تَزُولُ مِنْهُ الجِبَالُ، لَا يَضُرُّكُمْ إِذَا صَبَرْتُمْ وَاتَّقَيْتُمْ.

فَيَا أَهْلَ بِلَادِ الشَّامِ عَامَّةً، وَيَا أَهْلَ حَلَبَ خَاصَّةً، عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، بِالصَّبْرِ على الطَّاعَاتِ، وَالصَّبْرِ عَنِ المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ، وَالصَّبْرِ على الابْتِلَاءَاتِ.

عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ تعالى، بِأَنْ نَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَأَنْ نَذْكُرَ المَوْتَ وَالبِلَى؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَبْشِرُوا.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الصَّبْرَ على الطَّاعَاتِ، وَالصَّبْرَ عَنِ المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ، وَالصَّبْرَ على الابْتِلَاءَاتِ، وَوَفِّقْنَا لِأَنْ نَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَأَنْ نَذْكُرَ المَوْتَ وَالبِلَى. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**

٥٠١ـ خطبة الجمعة: من الذي سيفصل فيما نحن فيه؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: مَهْمَا طَالَ اللَّيْلُ فَإِنَّ نِهَايَتَهُ الفَجْرُ، وَقَدْ آذَنَ الفَجْرُ بِالقُدُومِ، وَسَوْفَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَعْدَ الفَجْرِ بِإِذْنِ الله تعالى، وَتَفْضَحُ كُلَّ خَائِنٍ، وَكُلَّ مُجْرِمٍ، وَكُلَّ مَنْ عَاثَ فِي الأَرْضِ فَسَادَاً، وَكُلَّ مَنْ أَكَلَ الدُّنْيَا بِدِينِهِ، سَوْفَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَتَفْضَحُ مَكْرَ المَاكِرِينَ، وَتَآمُرَ المُتَآمِرِينَ، سَوْفَ تَفْضَحُ كُلَّ مَنْ كَانَ يُشْهِدُ اللهَ على مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ، سَوْفَ تَفْضَحُ كُلَّ مُنَافِقٍ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ الإِسْلَامِ ظَاهِرَاً، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ خَادِمٌ أَمِينٌ لِمَنْ يَمْكُرُ بِالإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَلِمَنْ يُرِيدُ تَشْوِيهَ هَذَا الدِّينِ.

يَا عِبَادَ الله: أَبْشِرُوا وَالله إِذَا صَبَرْتُمْ وَاتَّقَيْتُمْ، أَبْشِرُوا إِذَا اسْتَقَمْتُمْ على هَدْيِ نَبِيِّكُمْ سَيِّدِنَا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، أَبْشِرُوا يَا مَنْ يَئِسْتُمْ، فَرَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْـمُجْرِمِينَ﴾.

يَا رَبُّ، أَرِنَا فِيهِمْ عَجَائِبَ قُدْرَتِكَ عَاجِلَاً غَيْرَ آجِلٍ.

بَشَائِرُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

يَا عِبَادَ اللهِ: تَعَالَوْا نَتَصَوَّرْ حَالَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَهُمْ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، لَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الأُمُورُ وَالأَسْبَابُ، بَلْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا بِمَا رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ، تَخَيَّلُوا صُورَتَهُمْ، هَذَا يُجَرُّ فِي الرَّمْضَاءِ فِي شِدَّةِ الحَرِّ، وَذَاكَ يُغْمَسُ رَأْسُهُ فِي المَاءِ حَتَّى يَكَادَ أَنْ يَخْتَنِقَ، وَذَاكَ يُطْفَأُ الجَمْرُ بِجِلْدِهِ، وَتِلْكَ تُطْعَنُ بِرُمْحٍ فِي فَرْجِهَا، وَتَخْرُجُ رُوحُهَا أَمَامَ وَلَدِهَا، وَذَاكَ يُعَذَّبُ هُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ، وَذَاكَ يُـــضْرَبُ بِالأَسْوَاقِ، وَذَاكَ هُوَ وَأَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ يَتَضَاغَوْنَ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ، وَلَا يَجِدُونَ إلا أَوْرَاقَ الشَّجَرِ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: تَصَوَّرُوا وَتَخَيَّلُوا حَالَهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ، وَهُمْ فِي هَذَا الحَالِ يَأْتِي شَابٌّ عُمُرُهُ لَمْ يَتَجَاوَزِ العِشْرِينَ عَامَاً إلى سَيِّدِ الخَلْقِ وَحَبِيبِ الحَقِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَتَهُ الشَّرِيفَةَ، يَأْتِيهِ وَقَدْ أَنْهَكَهُ التَّعَبُ وَالعَذَابُ، وَآلَمَهُ الأَسَى، وَاسْتَبْطَأَ الفَرَجَ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الـــشَّرِيفِ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟

قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ

هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

اصْبِرُوا يَا أَهْلَ بِلَادِ الشَّامِ، اصْبِرُوا يَا أَهْلَ حَلَبَ، اصْبِرُوا على الطَّاعَاتِ، وَعَنِ المَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ، وَعَلَى الابْتِلَاءَاتِ، وَأَنْتُمْ تَسْتَحْضِرُونَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾. وَقَوْلَهُ تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾. وَقَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾.

خَاتِمَةٌ ـ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـ:

يَا عِبَادَ اللهِ: أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِوَصِيَّةِ اللهِ تعالى للأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾. أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَبْشِرُوا مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾. وَمِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: المُؤْمِنُ الحَقُّ لَا يُخَالِجُهُ شَكٌّ فِي قُوَّةِ اللهِ تعالى وَقُدْرَتِهِ على نُصْرَةِ دِينِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، لَا يُخَالِجُهُ شَكٌّ فِي أَنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَنَّ الهَلَاكَ لِلفَاسِقِينَ المُجْرِمِينَ الذينَ يَعِيثُونَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً.

يَا عِبَادَ اللهِ: أَشَدُّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ سَوَادَاً هِيَ السَّاعَةُ التي يَأْتِي الفَجْرُ مِنْ بَعْدِهَا، هَذِهِ الأُمَّةُ لَنْ تَمُوتَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَو مَرِضَتْ، وَطَالَتْ فَتْرَةُ مَرَضِهَا، لِأَنَّ الذي سَيَفْصِلُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ هُوَ الذي لَا يُعجِزُهُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، هُوَ الذي يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ، هُوَ الذي يَقُولُ للشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، هُوَ الذي حَفِظَ سَيِّدَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَالصِّدِّيقَ فِي الغَارِ، هُوَ الذي أَخْرَجَ سَيِّدَنَا يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَطْنِ الحُوتِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الذي سَيَفْصِلُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ على الحَقِيقَةِ لَيْسَ الشَّرْقُ وَلَا الغَرْبُ، بَلِ القَائِلُ: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾. وَالقَائِلُ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعَاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

أَتَتَوَقَّعُونَ أَنَّ الذي سَيَفْصِلُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ الشَّرقُ وَالغَرْبُ؟ وَهَلْ مَا نَحْنُ فِيهِ إلا مِنْ كَيْدِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعَاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانَاً﴾. فَلْنَرْجِعْ إلى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِنَفُوزَ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدَّاً جَمِيلَاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٠٢ـ خطبة الجمعة: الفتن تهلك الحرث والنسل

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: لَقَدْ حَذَّرَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ إِنْ خَالَفَتِ الأُمَّةُ أَمْرَهُ، وَأَمْرَ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَابْتَعَدَتْ عَنْ شَرِيعَتِهِ، أَنْ يَفْتِنَهَا، قَالَ تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وَهَا هِيَ الأُمَّةُ قَدْ أَصَابَتْهَا الفِتْنَةُ، فَزُلْزِلَ بَعْضُ النَّاسِ، حَتَّى أَصْبَحَ بَعْضُهُمْ مُؤْمِناً وَمَا أَتَى عَلَيْهِ المَسَاءُ حَتَّى صَارَ كَافِراً، لَقَدْ أَصَابَتِ الفِتْنَةُ الأُمَّةَ، وَأَخَذَتْ أَمْوَاجُهَا تَتَلَاطَمُ بِأَلْوَانٍ مِنَ الأَحْوَالِ العَجِيبَةِ، حَتَّى صَارَ بَعْضُهُمْ كَالوَرَقِ اليَابِسِ تَذرُوهُ الرِّيحُ يُمْنَةً وَيُسْرَةً.

خُطُورَةُ الفِتَنِ:

يَا عِبَادَ الله: الفِتَنُ خَطَرُهَا عَظِيمٌ، وَشَرُّهَا مُسْتَطِيرٌ، تُهْلِكُ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَتَأْتِي على الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ فَتُحْرِقُ الجَمِيعَ، تُحَيِّرُ العُقَلَاءَ، وَتَجْعَلُ الحَلِيمَ حَيْرَانَ، تُرَمِّلُ النِّسَاءَ، تُيَتِّمُ الأَطْفَالَ، تَنْشُرُ الفَاحِشَةَ وَالرَّذِيلَةَ بِسَبَبِ تَرَمُّلِ النِّسَاءِ، تُسِيلُ أَنْهَارَ الدِّمَاءِ، تُرَوِّعُ الآمِنِينَ، تُضَيِّعُ شَبَابَ الأُمَّةِ، تُنْزِلُ الوَيْلَاتِ بِالمُجْتَمَعَاتِ،

تَكُونُ نَاراً على الأُمَّةِ، وَقُودُهَا الأَنْفُسُ وَالأَمْوَالُ، وَمَصِيرُ أَهْلِهَا وَمَآلُهُمْ شَرُّ مَآلٍ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالى؛ تُفرِحُ العَدُوَّ، وَتُحْزِنُ الصَّدِيقَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: الفِتَنُ تَجْعَلُ العَبْدَ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَخَشْيَةٍ مِنْ عَاقِبَتِهِ، تُصِيبُ البَعْضَ بِاليَأْسِ وَالقُنُوطِ القَاتِلِ، وَالبَعْضَ الآخَرَ بِالرِّدَّةِ عَنْ دِينِهِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالى؛ وَالبَعْضُ يُحَلِّلُ مَا حَرَّمَ اللهُ تعالى، وَيُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ تعالى، وَالبَعْضُ تَنْطَمِسُ بَصَائِرُهُم، وَصَدَقَ اللهُ تعالى القَائِلُ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: الفِتَنُ تَنْسَاقُ لِمَنْ أَرَادَهَا سَوْقَ المَاءِ إلى مُنْحَدَرِهِ، يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذاً، فَلْيَعُذْ بِهِ» رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. أَيْ: مَنْ تَطَلَّعَ إِلَيْهَا، وَتَعَرَّضَ لَهَا، وَقَعَ فِيهَا.

يَقُولُ سَيِّدُنَا الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا الْعَالِمُ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ.

وَيَقُولُ سَيِّدُنَا حُذَيْفَةُ بْنُ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إِيَّاكُمْ وَالْفِتَنَ، لَا يَشْخَصْ لَهَا أَحَدٌ، فَوَاللهِ مَا شَخَصَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا نَسفَتْهُ كَمَا يَنْسِفُ السَّيْلُ الدِّمَنَ، إِنَّهَا مُشْبِهَةٌ مُقْبِلَةً، حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ هَذِهِ تُشْبِهُ مُقْبِلَةً، وَتَتَبَيَّنُ مُدْبِرَةً، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَاجْتَمِعُوا فِي بُيُوتِكُمْ، وَاكْسِرُوا سُيُوفَكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَغَطُّوا وُجُوهَكُمْ. رواه الحاكم.

وَيَقُولُ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ، وَهُوَ أَحَدُ التَّابِعِينَ: قَدْ رَأَيْنَا وَاللهِ أَقْوَاماً يُسْرِعُونَ إِلَى الْفِتَنِ وَيَنْزِعُونَ فِيهَا، وَأَمْسَكَ أَقْوَامٌ عَنْ ذَلِكَ هَيْبَةً للهِ وَمَخَافَةً مِنْهُ، فَلَمَّا انْكَشَفَتْ إِذِ الَّذِينَ أَمْسَكُوا أَطْيَبُ نَفْساً، وَأَثْلَجُ صُدُوراً، وَأَخَفُّ ظُهُوراً مِنَ الَّذِينَ أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَيَنْزِعُونَ فِيهَا، وَصَارَتْ أَعْمَالُ أُولَئِكَ حَزَازَاتٍ عَلَى قُلُوبِهِمْ كُلَّمَا ذَكَرُوهَا، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ إِذَا أَقْبَلَتْ كَمَا يَعْرِفُونَ مِنْهَا إِذَا أَدْبَرَتْ لَعَقِلَ فِيهَا جِيلٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ، وَاللهِ مَا بُعِثَتْ فِتْنَةٌ قَطُّ إِلَّا فِي شُبْهَةٍ وَرِيبَةٍ، إِذَا شَبَّتْ رَأَيْتَ صَاحِبَ الدُّنْيَا لَهَا يَفْرَحُ، وَلَهَا يَحْزَنُ، وَلَهَا يَرْضَى، وَلَهَا يَسْخَطُ، وَوَاللهِ لَئِنْ تَشَبَّثَ بِالدُّنْيَا وَحَدَبَ عَلَيْهَا لَيُوشِكُ أَنْ تَلفِظَهُ وَتُقْضَى مِنْهُ.

سَبِيلُ النَّجَاةِ مِنَ الفِتَنِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ سَبِيلَ النَّجَاةِ مِنَ الفِتَنِ هُوَ اتِّبَاعُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَامْتِثَالُ أَمْرِهِ، وَلَوْ خَالَفَ ذَلِكَ هَوَانَا، لِأَنَّ اللهَ تعالى يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرَاً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالَاً مُبِيناً﴾.

سَبِيلُ النَّجَاةِ مِنَ الفِتَنِ هُوَ النُّورُ الذي يُضِيءُ الطَّرِيقَ إِذَا ادْلَهَمَّتِ الخُطُوبُ، وَتَشَابَكَتِ الدُّرُوبُ، النُّورُ الذي يَجْعَلُهُ اللهُ تعالى لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ، قَالَ تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتَاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾؟

سَبيلُ النَّجاةِ مِنَ الفِتَنِ هُوَ الالْتِجَاءُ إلى اللهِ تعالى بِالدُّعَاءِ، لِأَنَّهُ لَا حَوْلَ للعَبْدِ وَلَا قُوَّةَ لَهُ إلا بِاللهِ تعالى، وَلَوْلَا اللهُ تعالى مَا ثَبتَ العَبْدُ على الخَيْرِ لَحْظَةً وَاحِدَةً، أَلَمْ يَقُلِ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

«اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا *** وَلَا تَـــصَدَّقْنَا وَلَا صَـــلَّـــيْنَا

فَـــأَنْـــزِلَـــنْ سَـــكِـــيـــنَـــةً عَلَيْنَا *** وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا»؟

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ بِقَوْلِهِ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبي عَلَى دِينِكَ» رواه الترمذي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

وَكَانَ يَدْعُو الأُمَّةَ للاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ تعالى مِنَ الفِتَنِ، فَيَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» رواه الإمام مسلم عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

يَا عِبَادَ اللهِ: إنَّ دِفَاعَ اللهِ تعالى عَنَّا، وَحِمَايَتَهُ لَنَا مِنَ الفِتَنِ وَالمَكَايِدِ يَكُونُ على قَدْرِ إِيمَانِنَا وَتَحَقُّقِنَا بِالعُبُودِيَّةِ للهِ تعالى، فَعَلَى قَدْرِ العُبُودِيَّةِ تَكُونُ الكِفَايَةُ، وَانْظُرُوا هَذَا في حَيَاةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: الإِسْلَامُ جَاءَ لِيُدْخِلَ النَّاسَ جَمِيعَاً في السِّلْمِ، فَخَاطَبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ المُؤْمِنِينَ عَامَّةً بِأَنْ يَتَّخِذُوا ذَلِكَ غَايَةً لَهُمْ، فَقَالَ تعالى مُخَاطِبَاً أَهْلَ الإِيمَانِ: ﴿يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾. فَهَلْ يُمْكِنُ لِأَهْلِ بِلَادِ الشَّامِ أَنْ يُطْفِئُوا نَارَ هَذِهِ الحَرْبِ وَالفِتْنَةِ بِالسِّلْمِ وَالسَّلَامِ وَالإِسْلَامِ؟

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدّاً جَمِيلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٠٣ـ خطبة الجمعة: القول خُلب، والفعل قُلب

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: لَقَدْ طَغَتِ المَادَّةُ على الرُّوحِ، فَاجْتَثَّتِ الكَثِيرَ مِنَ القِيَمِ وَالأَخْلَاقِ، وَشَرَدَ النَّاسُ عَنْ جَادَّةِ الصَّوَابِ، وَتَغَلْغَلَتْ فِي الأُمَّةِ عَادَةٌ سَيِّئَةٌ مُدَمِّرَةٌ، بَرَّحَتِ الأُمَّةَ وَأَتْعَبَتْهَا، حَذَّرَ اللهُ تعالى مِنْهَا فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ وَنَدَّدَ، فَقَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. انْفِصَامُ العَمَلِ عَنِ القَوْلِ.

هَذِهِ العَادَةُ السَّيِّئَةُ اجْتَمَعَتْ فِي ذَوَاتِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، نَرَى القَوْلَ فِي وَادٍ وَالفِعْلَ فِي وَادٍ آخَرَ، دُونَ تَأَثُّمٍ وَدُونَ حَرَجٍ، سَارُوا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا فِي ضِلَعٍ وَعِوَجٍ، العَقِيدَةُ فِي وَادٍ وَالقِيَمُ فِي وَادٍ آخَرَ، العِبَادَةُ فِي وَادٍ وَالأَخْلَاقُ فِي وَادٍ آخَرَ، الشَّعَائِرُ

فِي وَادٍ وَالشُّعُورُ فِي وَادٍ آخرَ، وَنَسِيَ هَؤُلَاءِ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

القَوْلُ خُلّبٌ، وَالفِعْلُ قُلّبٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ أَصْبَحَتِ الأُمَّةُ وَأَمْسَتْ وَهِيَ تَسْمَعُ أَقْوَالًا مُبَهْرَجَةً تَسْبِي القُلُوبَ وَالعُقُولَ، وَمَا هِيَ فِي الحَقِيقَةِ إلا هَبَاءٌ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ، المُتَكَلِّمُونَ بُلَغَاءُ مُفَوَّهُونَ، وَالأَحَادِيثُ آسِرَةٌ لِلقُلُوبِ، وَلَكِنِّ الفعْلَ خِدَاجٌ مُشَوَّهٌ، يُظْهِرُونَ بِالأَلْسُنِ الأُخُوَّةَ الصَّادِقَةَ، وَيُبْطِنُونَ بِالأَفْعَالِ العَدَاوَةَ الصَّرِيحَةَ، انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.

هَذِهِ هِيَ وَاللهِ حَقِيقَةُ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، وَحَقِيقَةُ مَنِ انْسَاقَ خَلْفَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ، لَقَدْ خَدَعُوا الأُمَّةَ بِشِعَارِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، فَأَنْتَجَ لَنَا هَذَا الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ، بَلِ الجَحِيمُ العَرَبِيُّ، سَفْكَ دِمَائِنَا، وَسَلْبَ أَمْوَالِنَا، وَتَهْدِيمَ مُمْتَلَكَاتِنَا، وَتَيْتِيمَ أَطْفَالِنَا، وَتَرْمِيلَ نِسَائِنَا، وَتَشْيِيعَ الفَاحِشَةِ فِي صُفُوفِنَا، وَالتَّشْكِيكَ فِي دِينِنَا وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالى.

يَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: إنَّ النَّاسَ أَحْسَنُوا الْقَوْلَ كُلُّهُمْ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ حَظَّهُ، وَمَنْ خَالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَإِنَّمَا يُوَبِّخُ نَفْسَهُ.

وَقَالُوا فِي الحِكَمِ: القَوْلُ خُلّبٌ، وَالفِعْلُ قُلّبٌ، وَأَصْدَقُ الأَقْوَالِ مَا نَطَقَتْ بِهِ صُوَرُ الأَفْعَالِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: هُنَاكَ مَنْ يُعَدُّ فِي الظَّاهِرِ مِنَ الأَفَاضِلِ الأَخْيَارِ، وَلَكِنْ إِذَا لُوِّحَ لَهُ بِالدُّنْيَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُؤَوِّلَاً النُصُوصَ، وَمُسْتَحِلَّاً لِمَا حَرَّمَ اللهُ تعالى، نَابِذَاً الشُّبُهَاتِ خَلْفَهُ ظِهْرِيَّاً، وَتَارِكَاً الوَرَعَ نَسْيَاً مَنْسِيَّاً، وَيَتَأَوَّلُ كِتَابَ اللهِ تعالى مُتَرَخِّصَاً، وَيَكْذِبُ على اللهِ تعالى مُتَخَرِّصَاً.

هُنَاكَ مَنْ كَانَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالدِّينِ وَالعِلْمِ وَالفِقْهِ وَالزُّهْدِ وَالعِبَادَةِ، وَلَكِنَّهُ تَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الأَزْمَةِ بِكَلِمَاتٍ فِي سَخَطِ اللهِ تعالى مَا أَلقَى لَهَا بَالَاً، وَلَا دَرَى كَيْفَ يَكُونُ أَثَرُهَا، فَزَلَّتْ قَدَمُهُ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الــمَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، كَلِمَاتٌ لَمْ يُلْقِ لَهَا بَالَاً سُفِكَت بِهَا الدِّمَاءُ البَرِيئَةُ، وَزُرِعَت بِهَا الأَحْقَادُ فِي نُفُوسِ الأُمَّةِ الوَاحِدَةِ، بِكَلِمَاتٍ مُزِّقَ شَمْلُ هَذِهِ الأُمَّةِ المُمَزَّقَةِ، وَزَادَ الفَسَادُ فَسَادَاً.

روى الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ثَلَاثٌ، زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَدُنْيَا تُفْتَحُ عَلَيْكُمْ».

الرَّجُلُ الكَامِلُ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الرَّجُلُ الكَامِلُ هُوَ الذي جَمَعَ بَيْنَ القَوْلِ وَالعَمَلِ، هُوَ الذي جَاءَ فِعْلُهُ مُصَدِّقَاً لِقَوْلِهِ، هُوَ الذي مَا عَرَفَ التَّنَاقُضَ وَلَا الانْفِصَامَ فِي الشَّخْصِيَّةِ، هُوَ الذي جَعَلَ هَوَاهُ وِفْقَ هَوَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الرَّجُلُ الكَامِلُ هُوَ الذي إِذَا رَأَيْتَهُ رَأَيتَ أَخْلَاقَ الإِسْلَامِ وَآدَابَهُ فِيهِ، إِذَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ، وَنَظَرْتَ فِعْلَهُ، ذَكَّرَكَ بِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَّمَ، تَرَاهُ مُحِبّاً مَحْبُوبَاً، تَرَاهُ بَرّاً رَحِيماً شَفُوقَاً، تَرَاهُ مَحْبُوبَاً لَا تَنْفِرُ مِنْهُ القُلُوبُ، إِذَا قَابَلَ النَّاسَ قَابَلَهُمْ بِالبِشْرِ وَالسُّرُورِ، وَأَرَادَ لَهُمُ الخَيْرَ، وَدَعَا لَهُمْ بِظَهْرِ الغَيْبِ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: النَّاسُ اليَوْمَ يَنْتَظِرُونَ الأَفْعَالَ قَبْلَ الأَقْوَالِ، يَنْتَظِرُونَ الأَعْمَالَ وَالأَخْلَاقَ وَالآدَابَ قَبْلَ الكَلِمَاتِ، النَّاسُ اليَوْمَ يَنْتَظِرُونَ القُدْوَةَ الصَّالِحَةَ فِي الأَفْعَالِ، يَنْتَظِرُونَ مَنْ تَحَقَّقَ بِقَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلَاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحَاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْـمُسْلِمِينَ﴾. يَا مَنْ يَقُولُ: إِنَّنِي مِنَ الْـمُسْلِمِينَ؛ وَيَا مَنْ يَدْعُو إلى الإِسْلَامِ أَيْنَ عَمَلُكَ الصَّالِحُ؟

هَلْ سَفْكُ الدِّمَاءِ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ؟

هَلْ سَلْبُ الأَمْوَالِ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ؟

هَلْ تَرْوِيعُ الآمِنِينَ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ؟

وَهَلْ مَا يَجْرِي فِي بَلَدِنَا بِشَكْلٍ عَامٍّ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ؟

اللَّهُمَّ وَفِّقنَا للعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالقَوْلِ الصَّالِحِ، مَعَ الإِخْلَاصِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**

٥٠٤ـ خطبة الجمعة: الدنيا قصيرة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: كُونُوا على يَقِينٍ إنْ تَعَلَّقْنَا بِغَيْرِ الله تعالى انْقَطَعْنَا، وَإِنْ سَأَلْنَا غَيْرَ الله تعالى حُرِمْنَا، وَإِنِ اعْتَصَمْنَا بِغَيْرِ الله تعالى خُذِلْنَا، وَإِنْ أَرَدْنَا مَعُونَةً بِغَيْرِ مَعُونَةِ الله تعالى فَلَنْ نَجِدَ إلا نَكَداً وَهَمّاً وَكَمَداً.

يَا عِبَادَ الله: تَذَكَّرُوا قَوْلَ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾. وَلْنَجْعَلْ جَمِيعَ حَوَائِجنَا فِي بَابِ الله تعالى سَائِلِينَ إِيَّاهُ، مُسْتَعِينِينَ بِهِ، مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ.

سَلُوا الذي خَلَقَكُمْ، وَالذي بِيَدِهِ نَوَاصِي الخَلْقِ جَمِيعاً، سَلُوا الذي سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً.

الدُّنْيَا قَصِيرَةٌ، فَلَا تَتَكَدَّرُوا:

يَا عِبَادَ الله: الدُّنْيَا وَإِنْ طَابَتْ وَصَفَتْ فَهِيَ قَصِيرَةٌ، فَكَيْفَ إذَا كَانَتْ مَلِيئَةً بِالمَصَائِبِ وَالابْتِلَاءَاتِ؟ الدُّنْيَا قَصِيرَةٌ وَإِنْ حَلَتْ، فَلَا تَتَكَدَّرُوا إذَا وَقَعَتِ المَصَائِبُ وَالمِحَنُ، وَقَارِنُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ بِمَا حَلَّ بِكُمْ مِنَ المَصَائِبِ، النِّعَمُ التي تُحِيطُنَا لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَخَاصَّةً نِعْمَةُ الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ، فَلَا تُضَيِّعُوا تِلْكَ النِّعَمَ

باليَأْسِ إذَا حَلّتْ بكُمْ مُصِيبَةٌ مِنَ المَصَائِبِ، وَكُونُوا على يَقِينٍ بأَنَّهُ مَا سَلِمَ أَحَدٌ مِنَ المَصَائِبِ وَالابْتِلَاءَاتِ، حَتّى الأَنْبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ.

كُنْ شَاكِرَاً صَابِرَاً مَعَ الثّنَاءِ وَالدُّعَاءِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ الأَنبِيَاءُ وَالمُرْسَلُونَ وَالصّالِحُونَ مُتَفَائِلِينَ، مَا عَرَفُوا اليَأْسَ وَلَا القُنُوطَ حَتّى آخِرِ اللّحَظَاتِ، لِذَلِكَ لَا يَسَعُ أَيَّ مُسْلِمٍ فِي أَيّامِ الرّخَاءِ إلا الشُّكْرُ وَالثّنَاءُ، وَلَا يَسَعُهُ فِي أَيّامِ البَلَاءِ وَالمِحَنِ وَالشّدَائِدِ إلا الصّبْرُ وَالدُّعَاءُ، بَلْ لَا يَسَعُهُ إلا الصّبْرُ وَالدُّعَاءُ مَعَ الثّنَاءِ للهِ تعالى.

فَهَذَا سَيّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، بَعْدَ أَنْ وَقَعَ فِي الحُفْرَةِ، وَشُجَّ وَجْهُهُ الشّرِيفُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَجُرِحَتْ شَفَتُهُ السُّفْلَى، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ سَبْعُونَ رَجُلَاً مِنْ خِيرَةِ الصّحْبِ الكِرَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَمُّهُ سَيّدُنَا حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وَانْكَشَفَتِ المَعْرَكَةُ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ الكِرَامِ: «اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي».

فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفَاً، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا

بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خزَايَا، وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ إِلَهَ الْحَقِّ» رواه الحاكم عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

اللهُ تعالى لَا يُقَدِّرُ عَبَثَاً:

يَا عِبَادَ اللهِ: عِنْدَمَا يَكُونُ الإِنْسَانُ شَاكِرَاً وَمُثْنِيَاً، وَصَابِرَاً وَدَاعِيَاً، يَكُونُ قَوِيَّاً مَهْمَا تَتَابَعَتِ الفِتَنُ، وَمَهْمَا تَوَاتَرَتِ المَصَائِبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، لِأَنَّ اللهَ تعالى يَقُولُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْـعُسْرِ يُـسْرَاً * إِنَّ مَعَ الْـعُسْرِ يُسْرَاً﴾. لِأَنَّ اللهَ تعالى يَقُولُ: ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرَاً﴾.

المُؤْمِنُ دَائِمَاً وَأَبَدَاً قَوِيٌّ نَشِيطٌ حَتَّى فِي أَيَّامِ الفِتَنِ، لِأَنَّهُ على يَقِينٍ بِأَنَّ الأُمُورَ إلى اللهِ تعالى، وَأَنَّ المَقَادِيرَ بِيَدِ اللهِ تعالى، وَهُوَ على يَقِينٍ بِأَنَّ اللهَ تعالى لَا يُقَدِّرُ عَبَثَاً، وَلَا يُقَدِّرُ ظُلْمَاً، وَلَا يُقَدِّرُ إلا بِتَمَامِ رَحْمَتِهِ التي سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَوَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: التَّفَاؤُلُ سُنَّةُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لِأَنَّ التَّفَاؤُلَ يَشْحَذُ الهِمَمَ للعَمَلِ، وَيُغَذِّي القُلُوبَ بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالأَمَلِ؛ كَيْفَ لَا يَكُونُ المُسْلِمُ مُتَفَائِلَاً وَهُوَ على يَقِينٍ بِأَنَّ قُلُوبَ الذينَ يَخَافُهُمْ هِيَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَمَا دَامَ قَلْبُ مَنْ تَخَافُهُ بِيَدِ مَنْ تُحِبُّهُ فَلَا تَخَفْ.

يَا عِبَادَ اللهِ: تَدَبَّرُوا قَوْلَ اللهِ تعالى لِأُمِّ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْـــمُرْسَلِينَ﴾. أَلْقِيهِ في اليَمِّ، لِيَأْخُذَهُ اليَمُّ إلى عَدُوٍّ للهِ تعالى، وَعَدُوٍّ لِسَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا تَخَافِي، لِأَنَّ قَلْبَ الذي تَخَافِينَ مِنْهُ هُوَ في يَدِ اللهِ تعالى الذي تُحِبِّينَهُ.

مَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟ النَّتِيجَةُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

هَلِ اسْتَطَاعَ فِرْعَوْنُ قَتْلَ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ طِفْلٌ رَضِيعٌ؟

أَبَدَاً، لَا، حَتَّى نَتَعَلَّمَ أَنْ لَا نَخَافَ أَحَدَاً مَا دَامَ قَلْبُهُ بِيَدِ مَنْ نُحِبُّهُ.

اللَّهُمَّ زِدْ في إِيمَانِنَا حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنَا إلا مَا كَتَبْتَهُ لَنَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٠٥ـ خطبة الجمعة: لا تكونوا قنطرة لعدو الإسلام والمسلمين

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتصَوَّرُ أَنَّ الرُّجُوعَ إلى الحَقِّ ضَعْفٌ، وَأَنَّ العَوْدَةَ إلى جَادَّةِ الصَّوَابِ بَعْدَ الخَطَإِ تَهُزُّ شَخصِيَّتَهُم، لِذَا تَرَاهُمْ يَصعُبُ عَلَيْهِمُ الرُّجُوعُ إلى الحَقِّ، وَمَا ذَاكَ إلا لِآفَةِ التَّعَصُّبِ المَاحِقَةِ المُدَمِّرَةِ، وَلِتَأْثِيرِ الدُّنْيَا على الدِّينِ، وَلِتَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ يُخَيِّلُ إِلَيْهِمْ أَنَّ هَذَا التَّرَاجُعَ يُنْقِصُهُمْ، وَيَحُطُّ مِنْ رُتْبَتِهِمْ، وَيَخْدِشُ فِي شَخْصِيَّتِهِمْ؛ وَالحَقِيقَةُ على العَكْسِ مِنْ ذَلِكَ تَمَامَاً.

يَا عِبَادَ اللهِ: الرُّجُوعُ إلى الحَقِّ مِنْ شَأْنِ العُلَمَاءِ الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ، الذينَ قَالَ اللهُ تعالى فِيهِمْ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. الرُّجُوعُ إلى الحَقِّ بَعْدَ وُضُوحِ البَاطِلِ مِنْ شَأْنِ كُمَّلِ الرِّجَالِ، لِأَنَّ الرُّجُوعَ إلى الحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي البَاطِلِ، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ حِينَ كَتَبَ إلى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ بِالْأَمْسِ رَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ، وَهُدِيتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ، أَنْ تُرَاجِعَ الْحَقَّ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ، وَمُرَاجَعَةَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ.

أَعِيدوا الحِسَابَ قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: مِنْ خِلَالِ هَذِهِ المُقَدِّمَةِ أُخَاطِبُ الأُمَّةَ، وَأُخَاطِبُ أَهْلَ هَذَا البَلَدِ، وَأُخَاطِبُ كُلَّ مَنْ يَنْفُخُ فِي كِيرِ هَذِهِ الفِتْنَةِ، مِنْ طُلَّابِ عِلْمٍ، وَمِنْ عُلَمَاءَ، وَمِنْ سِيَاسِيِّينَ، وَمِنْ مُفَكِّرِينَ، أَعِيدوا الحِسَابَ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَنْفُسِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الحِسَابِ، وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً

وَأُنْثَى، أَنْ يُقَادَ إلى اللهِ تعالى عَزِيزاً أَو ذَلِيلاً ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾. أَنْ يُقَادَ إلى اللهِ تعالى كَرِيماً أَو مُهَاناً.

المَشْهَدُ الثَّانِي:

يَا عِبَادَ اللهِ: أَمَّا المَشْهَدُ الثَّانِي: فَقَوْلُهُ تعالى في هَذِهِ المَوْعِظَةِ: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. هَذَا المَشْهَدُ اسْتَحْضِرُوهُ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾. وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾. نُسِيَتِ الأَنْسَابُ، وَمَضَتِ الأَحْسَابُ، وَالكُلُّ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الأَرْبَابِ.

وَقَفَ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تعالى الوَاحِدِ القَهَّارِ، حَيْثُ تَبَدَّدَتِ الأَوْهَامُ، وَذَهَبَتِ الأَحْلَامُ، وَاجْتَمَعَ الخُصُومُ، اجْتَمَعَ القَاتِلُ وَالمَقْتُولُ، وَاجْتَمَعَ السَّارِقُ مَعَ المَسْرُوقِ، وَاجْتَمَعَ الظَّالِمُ مَعَ المَظْلُومِ، وَنُشِرَتِ الدَّوَاوِينُ، وَنُصِبَتِ المَوَازِينُ، أَمَامَ اللهِ تعالى رَبِّ العَالَمِينَ ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾. فَهَنِيئاً لَكَ يَا أَيُّهَا المَظْلُومُ، وَيَا حَسْرَةً عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ جَعَلَنَا اللهُ تعالى على بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا، وَنَحْنُ في دَارِ التَّكْلِيفِ، فَهَلْ مِنْ مُغْتَنِمٍ لِمَا تَبَقّى مِنْ أَيّامِ حَيَاتِهِ، لِيَتُوبَ إلى اللهِ تعالى، وَيُعِيدَ الحُقُوقَ إلى أَصْحَابِهَا؟

لَعَلّ مَنْ ظَلَمَ يَتَذَكّرُ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾. فَعَسَى أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَنْدَمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَهُ النّدَمُ.

وَلَعَلّ مَنْ ظُلِمَ يَتَذَكّرُ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. فَيَرْضَى بِقَضَاءِ اللهِ تعالى وَقَدَرِهِ، وَيَصْبِرُ وَيُفَوّضُ أَمْرَهُ إلى اللهِ تعالى.

اللّهُمّ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ يُبْعَثُونَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٢٥ـ خطبة الجمعة: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: إنّ الإيمَانَ بِاللهِ تعالى وَبِاليَوْمِ الآخِرِ يَضْعُفُ وَيَقْوَى، يَضْعُفُ بِالمَعَاصِي، وَيَقْوَى بِالطّاعَاتِ، وَدَلِيلُ ضَعْفِ الإيمَانِ أَنْ تَرَانَا نَنْدَمُ على الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِذَا فَاتَتْ، وَنَتَحَسَّرُ حَسَرَاتٍ تُحْرِقُ الفُؤَادَ، وَتُدْمِعُ العَيْنَ، وَتَذهَبُ الابْتِسَامَةُ مِنْ أَجْلِهَا، وَلَكِنَّنَا لَا نَتَحَسَّرُ على أُمُورِ الدِّينِ إِذَا فَاتَتْ.

مَنْ مِنَّا إِذَا اسْتَيْقَظَ وَقَدْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، وَطَارَتِ الطُّيُورُ بِأَرْزَاقِهَا، وَفَاتَتْهُ صَلَاةُ الفَجْرِ، تَحَسَّرَ وَتَأَلَّمَ وَنَدِمَ وَاحْتَرَقَ فُؤَادُهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَفُزْ بِنِعْمَةِ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَلِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي ذِمَّةِ اللهِ تعالى فِي ذَلِكَ اليَوْمِ؟

كَمْ وَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ يَسْتَيْقِظُونَ بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَلَا تُوجَدُ فِي قُلُوبِهِمْ حَسْرَةٌ وَلَا نَدَامَةٌ على مَا فَاتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ تعالى، وَخَاصَّةً على صَلَاةِ الفَجْرِ التِي هِيَ أَثْقَلُ صَلَاةٍ على المُنَافِقِينَ؟

نَبْكِي على الدُّنْيَا، وَنَتَحَسَّرُ عَلَيْهَا، وَلَا نَبْكِي على تَفْرِيطِنَا فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِضَعْفِ الإيمَانِ فِي القُلُوبِ، وَتَعَلُّقِهَا بِدُنْيَا دَنِيَّةٍ فَانِيَةٍ، عَلَيْهَا تَقَاتَلْنَا، وَمِنْ أَجْلِهَا سُفِكَتِ الدِّمَاءُ، وَاجْتَرَأَ النَّاسُ على لُقْمَةِ الحَرَامِ، حَسَرَاتٌ أَحْرَقَتِ القُلُوبَ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا، وَاللهُ تعالى يَقُولُ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

أَعُوذُ باللهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إلى النَّارِ:

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامُ: كُلَّمَا عَظُمَ الإِيمَانُ بِاللهِ تعالى وَبِاليَوْمِ الآخِرِ كَانَ البُكَاءُ على الدِّينِ إِذَا فَاتَ ـــ لَا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ أَكْثَرَ مِنَ البُكَاءِ على الدُّنْيَا إِذَا فَاتَتْ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلَاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرَاً وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ» رواه الترمذي والحاكم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَكُلَّمَا ضَعُفَ الإِيمَانُ بِاللهِ تعالى وَبِاليَوْمِ الآخِرِ كَانَ البُكَاءُ على الدُّنْيَا إِذَا فَاتَتْ أَكْثَرَ مِنَ البُكَاءِ على الدِّينِ إِذَا فَاتَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ يَبْكُونَ على الدِّينِ لَا على الدُّنْيَا، لِأَنَّهُمْ تَحَقَّقُوا بِالإِيمَانِ وَبِالمَعْرِفَةِ بِاللهِ تعالى، وَبِسُنَّةِ اللهِ تعالى في عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ في هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

هَذَا سَيِّدُنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي زَكَّاهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ» رواه أبو داود عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هَذَا سَيِّدُنَا مُعَاذٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَعْلَمُ الأُمَّةِ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ، هَذَا سَيِّدُنَا مُعَاذٌ وَهُوَ في سِنِّ الشَّبَابِ، كَانَ يُحَافِظُ على صَلَاةِ التَّهَجُّدِ، وَيَقُولُ في تَهَجُّدِهِ: اللَّهُمَّ قَدْ نَامَتِ الْعُيُونُ، وَغَارَتِ النُّجُومُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، اللَّهُمَّ طَلَبِي لِلْجَنَّةِ بَطِيءٌ،

وَهَرَبي مِنَ النَّارِ ضَعِيفٌ، اللّهُمَّ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ هُدَىً تَرُدُّهُ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ. رواه الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ.

هَذَا سَيِّدُنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، لَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالشَّامِ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اللّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَى آلِ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ.

فَطُعِنَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَاتَتَا، حَتَّى طُعِنَ لَهُ ابْنٌ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾. قَالَ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

ثُمَّ مَاتَ ابْنُهُ ذَلِكَ فَدَفَنَهُ؛ ثُمَّ طُعِنَ مُعَاذٌ، فَجَعَلَ يُغْشَى عَلَيْهِ، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ: رَبِّ غُمَّنِي غَمَّتَكَ، فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ؛ ثُمَّ يُغْشَى عَلَيْهِ، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. رواه البيهقي عَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هَذَا سَيِّدُنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ: انْظُرُوا أَصْبَحْنَا؟

قَالَ: فَقِيلَ: لَمْ نُصْبِحْ.

حَتَّى أُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَصْبَحْتَ.

قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ؛ مَرْحَبَاً بِالمَوْتِ مَرْحَبَاً، زَائِرٌ مُغِبٌّ (قَلِيلُ الزِّيَارَةِ) حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، إِنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِجَرْيِ الْأَنْهَارِ، وَلَا لِغَرْسِ الشَّجَرِ، وَلَكِنْ لِظَمَإِ الْهَوَاجِرِ، وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ، وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ. رواه ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ: كُلُّنَا يَبْكِي على الدُّنْيَا ــ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ تعالى ــ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَبْكِي على الدِّينِ إِذَا قَصَّرَ فِيهِ؟ أَيْنَ مَنْ يَبْكِي لِأَنَّهُ عَصَى اللهَ تعالى؟ أَيْنَ مَنْ يَبْكِي لِأَنَّهُ اتَّصَفَ بِبَعْضِ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ؟ أَيْنَ مَنْ يَبْكِي إِذَا فَاتَتْهُ الطَّاعَاتُ وَالقُرُبَاتُ؟

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعَاصِي، فَمَنْ فَعَلَ الطَّاعَاتِ بَنَى إِيمَانَهُ، وَمَنْ فَعَلَ المَعَاصِي بَدَأَ بِهَدْمِ إِيمَانِهِ، وَالبِنَاءُ صَعْبٌ، وَالهَدْمُ سَهْلٌ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلَاً صَالِحَاً وَآخَرَ سَيِّئَاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

حَالُنَا اليَوْمَ بِنَاءٌ وَهَدْمٌ، صَلَوَاتٌ وَصِيَامٌ وَتِلَاوَةُ قُرْآنٍ؛ وَلَكِنَّ البَعْضَ أَطْلَقَ العِنَانَ لِسَمْعِهِ وَلِبَصَرِهِ وَلِيَدِهِ، فَلَا يُحِلُّ حَلَالَاً وَلَا يُحَرِّمُ حَرَامَاً، يَسْمَعُ إلى المَعَاصِي، وَيَنْظُرُ إلى المَعَاصِي، وَيَمُدُّ يَدَهُ إلى الحَرَامِ، يَبْنِي وَيَهْدِمُ، لِذَا رَأَيْنَا اليَوْمَ مَنْ يَبْكِي على الدُّنْيَا لَا على الدِّينِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وَلَا أَدَلَّ على ذَلِكَ عِنْدَمَا تَرَى الكَثِيرَ مِنَ المُسْلِمِينَ مَنْ يَسْتَعِدُّ لِإِحْيَاءِ لَيْلَةِ رَأْسِ السَّنَةِ بِالمَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ، وَيَدْعُونَ إلى إِحْيَائِهَا في مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى؛ رَغْمَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ حَرْبٍ وَسَفْكٍ للدِّمَاءِ؛ وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا؛ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِيمَانَاً يُبَاشِرُ قُلُوبَنَا، وَيَقِينَاً صَادِقَاً حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبْتَهُ لَنَا؛ اجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مِمَّنْ يَبْكِي على دِينِهِ إِذَا فَاتَ، لَا على دُنْيَاهُ الفَانِيَةِ التَّافِهَةِ الحَقِيرَةِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٢٦ـ خطبة الجمعة: لا تَبْكِ على هذا، ولكن ابْكِ

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: مَا هِيَ الخَسَارَةُ الكُبْرَى، وَالبَلِيَّةُ العُظْمَى، وَالحَسْرَةُ الجُلَّى، التي يَجِبُ أَنْ تَبْكِيَ قُلُوبُنَا عَلَيْهَا دَمَاً، وَأَنْ تَفِيضَ دُمُوعُنَا لِأَجْلِهَا دَمْعَاً، وَأَنْ تَحتَرِقَ قُلُوبُنَا عَلَيْهَا احْتِرَاقَاً؟ هَلْ هِيَ إِذَا سُرِقَتْ أَمْوَالُنَا، وَهُدِّمَتْ بُيُوتُنَا، وَفَقَدْنَا الأَحِبَّةَ الذينَ غَادَرُونَا بِالقَتْلِ ظُلْمَاً وَعُدْوَانَاً؟ هَلْ هِيَ في ضَيَاعِ المَنَاصِبِ وَالجَاهِ وَالسِّيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ؟ هَلْ هِيَ في ضَيَاعِ الصِّحَّةِ وَالعَافِيَةِ، أَو في تَقْطِيعِ الأَطْرَافِ؟ أَمْ بِالأَمرَاضِ الَّتِي حَلَّت فِي قُلُوبِنَا حَتَّى ذَهَبَتْ بِالوَازِعِ الإِيمَانِيِّ؟

يَا عِبَادَ الله: هَذِهِ الخَسَارَاتُ لَوْ وَضَعْنَاهَا في مَقَايِيسِ الفِقْهِ وَالإِيمَانِ، وَفِي مَقَايِيسِ الشَّرْعِ لَوَجَدْنَاهَا وَالله نِعَمَاً لَا نِقَمَاً، لَوْ وَضَعْنَا هَذِهِ الخَسَارَاتِ التي نَبْكِي عَلَيْهَا في مِيزَانِ الشَّرْعِ لَوَجَدْنَاهَا نِعَمَاً يَسْتَحِقُّ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ الشُّكْرَ عَلَيْهَا وَالحَمْدَ وَالثَّنَاءَ وَالرِّضَا، لِأَنَّهَا تَكْفِيرٌ لِسَيِّئَاتِنَا، وَرَفْعٌ فِي دَرَجَاتِنَا، وَسَبَبٌ لِنَيْلِ الأَجْرِ الذي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تعالى، أَلَمْ يَقُلْ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾؟ أَلَمْ يَقُلْ مَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؟

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الخَسَارَةَ الحَقِيقِيَّةَ، وَالبَلِيَّةَ العُظْمَى، التِي يَجِبُ أَنْ تَبْكِيَ قُلُوبُنَا عَلَيْهَا دَمَاً، وَعُيُونُنَا دَمْعَاً، هِيَ الأَمْرَاضُ التِي حَلَّتْ فِي قُلُوبِنَا، وَالتِي ذَهَبَت بِالوَازِعِ الإِيمَانِيِّ الذي يُحَرِّكُ القُلُوبَ لِآيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِمَوَاعِظِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

إِنَّ الخَسَارَةَ الحَقِيقِيَّةَ، وَالبَلِيَّةَ العُظْمَى، التِي يَجِبُ أَنْ تَبْكِيَ قُلُوبُنَا عَلَيْهَا دَمَاً، وَعُيُونُنَا دَمْعَاً، هِيَ الذُّنُوبُ وَالمَعَاصِي، التِي قَارَفْنَاهَا وَجَعَلَتْ فِي النُّفُوسِ هُمُومَاً، وَأَحْزَانَاً، وَحَسَرَاتٍ.

الخَسَارَةُ الحَقِيقِيَّةُ التِي يَجِبُ أَنْ نَبْكِيَ عَلَيْهَا:

يَا عِبَادَ اللهِ: الخَسَارَةُ الحَقِيقِيَّةُ التِي يَجِبُ أَنْ نَبْكِيَ عَلَيْهَا دَمَاً عِوَضَاً عَنِ الدَّمْعِ، هِيَ الأَمْرَاضُ التِي حَلَّتْ فِي قُلُوبِنَا، فَحَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ آيَاتِ القُرْآنِ التِي تُتْلَى عَلَيْنَا، فَلَا يَرِقُّ القَلْبُ لَهَا، وَلَا تَدْمَعُ العَيْنُ مِنْهَا.

الخَسَارَةُ الحَقِيقِيَّةُ هِيَ الدَّاءُ الذي حَلَّ بِقُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى أَذْهَبَ مِنْ قُلُوبِهِمُ الوَازِعَ الإِيمَانِيَّ، يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ؛ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ

إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه الإمام أحمد عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هَذَا الدَّاءُ وَالمَرَضُ البَاطِنِيُّ الذي أَفْسَدَ المُضْغَةَ التي بِفَسَادِهَا فَسَادُ الجَوَارِحِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» رواه الشيخان عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

هَذَا الدَّاءُ وَالمَرَضُ البَاطِنِيُّ الذي أَفْسَدَ القَلْبَ الذي هُوَ المُعَوَّلُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: أَيْنَ مَنْ يَبْكِي مِنْ هَذَا الدَّاءِ، دَاءِ الحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ التي تَحْلِقُ الدِّينَ؟ لَقَدْ بَكَى مَنْ أُصِيبَ بِمَرَضِ السَّرَطَانِ، وَبَكَى مَنْ أُصِيبَ بِالفَشَلِ الكُلَوِيِّ، وَبَكَى مَنْ تَصَلَّبَتْ شَرَايِينُهُ، وَبَكَى وَبَكَى وَبَكَى ...

وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَبْكِي مِنْ هَذَا الدَّاءِ الذي أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ إِذَا مَاتَ على ذَلِكَ؟

مَنْ مِنَّا لَا يَعْلَمُ بِأَنَّ دَاءَ الحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ هُوَ الذي أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنَ الجَنَّةِ عِنْدَمَا أَصَرَّ عَلَيْهِ؟ قَالَ تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾؟

مَنْ مِنَّا لَا يَعْلَمُ بِأَنَّ دَاءَ الحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ هُوَ الذي دَفَعَ الأَخَ لِقَتْلِ أَخِيهِ؟ قَالَ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

مَنْ مِنَّا لَا يَعْلَمُ بِأَنَّ دَاءَ الحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ هُوَ الذي أَوْقَعَ إِخْوَةَ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّفْكِيرِ فِي قَتْلِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِبْعَادِهِ عَنْ أَبِيهِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ كَانَتْ؟ قَالَ تعالى مُخْبِراً عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً﴾.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنْ بَكَى على فَقْدِ مَالٍ أَو بَيْتٍ أَو مَصْنَعٍ أَو أَثَاثِ بَيْتٍ، أَو فَقْدِ حَبِيبٍ أَو تَقْطِيعِ أَطْرَافٍ: لَا تَبْكِ على هَذَا، لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ خَسَارَةً لَكَ، بَلْ رِبْحٌ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ، وَلَكِنِ ابْكِ إِذَا رَأَيْتَ ــــ لَا قَدَّرَ اللهُ تعالى ــــ دَبَّ إِلَيْكَ دَاءُ الأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ حَسَدٍ وَبَغْضَاءَ، وَحِقْدٍ وَتَكَبُّرٍ، فَأَفْسَدَ قَلْبَكَ، وَحَلَقَ دِينَكَ، فَإِذَا بِكَ لَمْ تَتَّعِظْ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ تعالى، وَلَا بِحَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَاللهِ هَذِهِ هِيَ الْمُصِيبَةُ الكُبْرَى، وَالخَسَارَةُ العُظْمَى.

ابْكِ على هَذَا الدَّاءِ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبِكَ، لِأَنَّكَ أَصْبَحْتَ فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ، هَلْ نَسِيتَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؟ وَهَلْ

نَسيتَ قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَصِفُ أَفْضَلَ النَّاسِ، فَقَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ».

قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟

قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»؟ رواه ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ أُصِيبَ بِهَذَا الدَّاءِ وَهُوَ ضَاحِكٌ فَرِحٌ مَسْرُورٌ كَأَنَّهُ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ مُصِيبَةٌ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: مَنْ كَانَ بَاكِيًا فَلْيَبْكِ على قَلْبِهِ إِذَا حَلَّ فِيهِ مَا لَا يُرْضِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

نَسْأَلُكَ يَا رَبَّنَا أَنْ تُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنَ الحِقْدِ وَالحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ وَكُلِّ وَصْفٍ يُبَاعِدُنَا عَنْ مُشَاهَدَتِك وَمَحَبَّتِكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**

٥٢٧ـ خطبة الجمعة: لا تَبْكِ على الجسد، ولكن ابْكِ على القلب

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: إِنّ نِسْيَانَ أَنْفُسِنَا وَتَرْكَ الحِرْصِ على إِصْلَاحِهَا وَعَدَمَ الوُقُوفِ على سَيِّئَاتِهَا عَلَامَةٌ خَطِيرَةٌ يُخْشَى على صَاحِبِهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ تَحْتَ قَوْلِه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

الكَثِيرُ مِنَّا مَنْ جَعَلَ هَمَّهُ الآخَرِينَ، وَالتَّفْتِيشَ وَالتَّنْقِيبَ وَتَتَبُّعَ عُيُوبِ الآخَرِينَ، وَنَقْدَهُمْ وَالطَّعْنَ فِيهِمْ وَالتَّشْهِيرَ فِيهِمْ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِيَغْرِسَ في القُلُوبِ الكَرَاهِيَةَ وَالحِقْدَ عَلَيْهِمْ، وَبِذَلِكَ يُفْسِدُ القُلُوبَ التي بِصَلَاحِهَا صَلَاحُ الجَوَارِحِ، وَبِفَسَادِهَا فَسَادُ الجَوَارِحِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: وَاللهِ مَا فَسَدَتِ الأَلْسُنُ إِلَّا بِفَسَادِ القُلُوبِ، وَمَا فَسَدَتِ الأَيْدِي إِلَّا بِفَسَادِ القُلُوبِ، وَمَا فَسَدَتِ الأَعْيُنُ إِلَّا بِفَسَادِ القُلُوبِ، وَمَا مُزِّقَتِ الأَرْحَامُ وَتَقَطَّعَتْ إِلَّا بِفَسَادِ القُلُوبِ، وَمَا سَاءَتِ العَلَاقَةُ الزَّوْجِيَّةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِلَّا بِفَسَادِ القُلُوبِ، وَمَا فَسَدَتْ دُنْيَا العَبْدِ وَآخِرَتُهُ إِلَّا بِفَسَادِ القُلُوبِ.

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ حَدِيثُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ» رواه الشيخان عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

لَا تَبْكِ على الجَسَدِ، وَلَكِنِ ابْكِ على القَلْبِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنْ بَكَى على جَسَدِهِ إِذَا حَلَّتْ بِهِ الأَسْقَامُ وَالآلَامُ، لَا تَبْكِ على الجَسَدِ، لِأَنَّ هَذِهِ الأَسْقَامَ وَالآلَامَ سَبَبٌ لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَلِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ؛ وَلَكِنِ ابْكِ على القَلْبِ إِذَا حَلَّتْ بِهِ الأَسْقَامُ وَالأَمْرَاضُ.

فَأَمْرَاضُ القَلْبِ فَسَادٌ لِلْإِنْسَانِ ظَاهِرَاً وَبَاطِنَاً، وَهِيَ مِنْ أَخْطَرِ الأَمْرَاضِ وَأَشْنَعِهَا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ القَلْبَ هُوَ سَيِّدُ الأَعْضَاءِ، فَبِصَلَاحِهِ صَلَاحُ جَمِيعِ الجَوَارِحِ، وَبِفَسَادِهِ فَسَادُ جَمِيعِهَا؛ هَذَا القَلْبُ الذي نَسِينَاهُ حَتَّى ضَعُفَ الوَازِعُ الإِيمَانِيُّ في القُلُوبِ، وَبِذَلِكَ انْتَشَرَتِ الفَوَاحِشُ، وَارْتُكِبَتِ الكَبَائِرُ، وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ، وَسُلِبَتِ الأَمْوَالُ، وَانْتَشَرَ أَكْلُ الحَرَامِ، وَقُطِّعَتِ الأَرْحَامُ، وَتَفَشَّى عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: أَمَا تَرَوْنَ هَؤُلَاءِ الذينَ وَقَعُوا في هَذِهِ الكَبَائِرِ يُذَكَّرُونَ بِاللهِ تعالى، وَيُذَكَّرُونَ بِاليَوْمِ الآخِرِ، وَيُذَكَّرُونَ بِسَخَطِ اللهِ تعالى، وَيُذَكَّرُونَ بِالنَّارِ، وَيُذَكَّرُونَ بِسُوءِ الخَاتِمَةِ، وَيُذَكَّرُونَ بِالقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ، فَتَرَاهُمْ لَا تَتَحَرَّكُ فِيهِمُ المَشَاعِرُ، وَلَا تَقْشَعِرُّ أَبْدَانُهُمْ، وَلَا تَدْمَعُ عُيُونُهُمْ؟ مَا السِّرُّ في ذَلِكَ؟

السِّرُّ في ذَلِكَ هُوَ فَسَادُ قُلُوبِهِمْ، وَمَرَضُ قُلُوبِهِمْ، حَتَّى صَارَتْ أَقْسَى مِنَ الحَجَرِ، وَبِذَلِكَ فَسَدَتْ دُنْيَاهُمْ وَفَسَدَ دِينُهُمْ، وَغَدَوْا مُفْسِدِينَ في الأَرْضِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالى.

لِنَجْعَلْ هَمَّنَا صَلَاحَ قُلُوبِنَا:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَجْعَلْ هَمَّنَا صَلَاحَ قُلُوبِنَا، لِأَنَّهُ بِصَلَاحِهَا صَلَاحُ دِينِنَا، وَصَلَاحُ دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا، وَبِفَسَادِهَا ـــ لَا قَدَّرَ اللهُ تعالى ـــ فَسَادُ دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا، قَدْ تَرَانَا نُحْسِنُ

الحَدِيثَ عَنْ إِسْلَامِنَا، وَنُظْهِرُ الحُرْقَةَ على هَذَا الدِّينِ، حَتَّى يُخَيَّلَ للسَّامِعِ أَنَّنا عَمَالِقَةٌ مُجَاهِدُونَ صَادِقُونَ غَيُورُونَ على دِينِ اللهِ تعالى، وَالحَقِيقَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ.

وَتَرَوْا خُطُورَةَ هَذَا الأَمْرِ عِنْدَمَا نَتَذَكَّرُ قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ» رواه الإمام البخاري عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَا أَيُّهَا البَاكُونَ على الأَجْسَادِ وَالأَمْوَالِ وَالبُيُوتِ وَالمَصَانِعِ وَالمَحَلَّاتِ إِذَا حَلَّتْ فِيهَا المَصَائِبُ وَالابْتِلَاءَاتُ، لَا تَبْكُوا على ذَلِكَ، فَهِيَ لَكُمْ وَلَيْسَتْ عَلَيْكُمْ، هِيَ تَكْفِيرٌ لِسَيِّئَاتِكُمْ، وَرَفْعٌ فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَلَكِنْ لِنَبْكِ جَمِيعَاً على قُلُوبِنَا التي حَلَّتْ فِيهَا الأَمْرَاضُ فَأَضْعَفَتِ الوَازِعَ الإِيمَانِيَّ فِيهَا، وَلْنَبْكِ على ذَاكَ العَبْدِ المَرِيضِ الذي وَقَعَ فِي الظُّلْمِ، وَعَاثَ فِي الأَرْضِ فَسَادَاً، وَخَالَفَ أَمْرَ اللهِ تعالى ، وَأَمْرَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: وَاللهِ لَيْسَ أَرْوَحَ وَأَسْعَدَ للإِنْسَانِ المُؤْمِنِ، وَلَا أَطْرَدَ لِهُمُومِهِ وَغُمُومِهِ، مِنْ أَنْ يَعِيشَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مُبَرَّئٍ مِنَ الضَّغِينَةِ وَالحِقْدِ وَالحَسَدِ وَالكِبْرِ وَالغُرُورِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: مَا أَسْرَعَ مَا يَتَسَرَّبُ الإِيمَانُ مِنَ القُلُوبِ المَرِيضَةِ التي امْتَلَأَتْ ضَغِينَةً وَحِقْدَاً وَحَسَدَاً، فَإِذَا بِأَصْحَابِهَا لَا يَتَلَذَّذُونَ فِي أَدَاءِ عِبَادَةٍ، وَلَا فِي حَيَاةٍ، تَرَاهُمْ مُكَدَّرِينَ مَهْمُومِينَ مَحْزُونِينَ؛ وَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى

آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ» رواه الإمام أحمد عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فَأَيْنَ مَنْ يَبْكِي على قَلْبِهِ؟

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** **

٥٢٨ـ خطبة الجمعة: بكت أم أيمن، ونساؤنا يبكين

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: روى الإمام مسلم عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا.

فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ؛ فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.

يَا عِبَادَ اللهِ: هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ مَعَ هَذِهِ الحَادِثَةِ القَصِيرَةِ التي انْطَوَتْ على خَيْرٍ وَفِيرٍ؟ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ مَعَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الجَلِيلَةِ أُمِّ أَيْمَنَ بَرَكَةَ مَوْلَاةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، والتي كَانَتْ حَاضِنَةً لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟ والتي كَانَ يَقُولُ لَهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا: «يَا أُمَّهْ». وَكَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: «هَذِهِ بَقِيَّةُ أَهْلِ بَيْتِي» رواه الحاكم.

مَعْرِفَتُهَا باللهِ تعالى، وَتَعْظِيمُهَا للوَحْيِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: هَذِهِ السَّيِّدَةُ الجَلِيلَةُ عَرَفَتِ اللهَ تعالى، وَعَرَفَتْ قِيمَةَ الوَحْيِ فَعَظَّمَتْهُ، وَعَرَفَتْ قَدْرَ المُوحَى إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَعَشِقَتْهُ، وَعَرَفَتْ قَدْرَ دِينِهَا فَالْتَزَمَتْهُ، وَقَدْرَ كِتَابِ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ فَتَلَتْهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ وَوَقَفَتْ عِنْدَ حُدُودِهِ، فَبَكَتْ لِانْقِطَاعِ الوَحْيِ عَنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

لَقَدْ بَكَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ الجَلِيلَةُ على انْقِطَاعِ الوَحْيِ الذي كَانَ يَجْعَلُ العَبْدَ على بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَخَاصَّةً في المَوَاقِفِ الحَالِكَةِ المُدْلَهِمَّةِ وَالخُطُوبِ الجَسِيمَةِ.

بَكَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ الجَلِيلَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على هَذَا الوَحْيِ الذي كَانَ يُبَشِّرُ في الشَّدَائِدِ، وَيسَكِّنُ النُّفوسَ، وَيُهَدِّئُ البَالَ، وَيُصْلِحُ الأَحْوَالَ، وَيَجْعَلُ العَبْدَ يَعِيشُ

فِي الأَمَلِ وَهُوَ فِي وَسَطِ الأَلَمِ، وَيُخْرِجُهُ إلى الرَّخَاءِ بَعْدَ الضِّيقِ، وَإلى اليُسْرِ بَعْدَ العُسْرِ؛ بَكَتْ على انْقِطَاعِ الوَحْيِ الذي كَانَ عَزَاءً وَسُلْوَانًا للإِنْسَانِ المُؤْمِنِ في سَائِرِ الأَحْوَالِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ الصَّحْبُ الكِرَامُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم رِجَالًا وَنِسَاءً أَكْثَرَ أَجْيَالِ الأُمَّةِ إِدْرَاكًا لِقِيمَةِ القُرْآنِ العَظِيمِ، لَقَدْ أَدْرَكُوا مَعْنَى السَّعَادَةِ الحَقِيقِيَّةِ أَنَّهَا لَنْ تَكُونَ إِلَّا بِهَذَا القُرْآنِ العَظِيمِ، لَقَدْ عَاشُوا الحَيَاةَ قَبْلَ القُرْآنِ، وَعَاشُوهَا بَعْدَهُ، لَقَدْ عَاشُوا الحَيَاةَ قَبْلَهُ فِي شَقَاءٍ وَضَنْكٍ وَضَيَاعٍ، وَعَاشُوهَا بَعْدَهُ بِسَعَادَةٍ وَرَحْمَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، لَقَدْ حَزِنُوا حُزْنًا شَدِيدًا على انْقِطَاعِ الوَحْيِ، الذي هُوَ سِرُّ سَعَادَتِهِمْ.

ذَاقُوا حَلَاوَةَ الإِيمَانِ مِنْ خِلَالِ القُرْآنِ الكَرِيمِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ ذَاقَ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ مِنْ خِلَالِ القُرْآنِ العظِيمِ، وَأَدْرَكُوا قِيمَتَهُ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَانْشَغَلُوا بِهِ، وَانْجَذَبَتْ مَشَاعِرُهُمْ نَحْوَهُ لِدَرَجَةِ الاسْتِغْرَاقِ وَالهَيْمَنَةِ، هَيْمَنَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ العَظِيمُ، وَتَغَلْغَلَتْ مَعَانِي القُرآنِ العَظِيمِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَهَذَا سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسْمَعُ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾.

فَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّى اشْتَدَّ بُكَاؤُهُ، ثُمَّ خَرَّ يَضْطَرِبُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ.

فَقَالَ: «دَعُونِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ قَسَمَ حَقٍّ مِنْ رَبِّي» رواه ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ الشَّعْبِيِّ. هَلْ حَرَّكَ هَذَا شَيْئًا فِي مَشَاعِرِنَا؟

بَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ، وَنِسَاؤُنَا يَبْكِينَ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ بَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا على انْقِطَاعِ الوَحْيِ، وَنِسَاؤُنَا اليَوْمَ يَبْكِينَ؛ وَلَكِنْ على مَاذَا؟ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾. لَنْ أَقُولَ على أَيِّ شَيْءٍ يَبْكِينَ؟ وَلَكِنْ أَقُولُ: لِيَسْأَلْ كُلٌّ مِنَّا نِسَاءَهُ وَمَحَارِمَهُ على مَاذَا يَبْكِينَ؟

يَا أَيَّتُهَا الأُمُّ، عَلَى مَاذَا تَبْكِينِ؟ يَا أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِينِ؟ يَا أَيَّتُهَا البِنْتُ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِينِ؟ يَا أَيَّتُهَا الأُخْتُ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِينِ؟ يَا نِسَاءَ هَذِهِ الأُمَّةِ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِينَ؟

أُمُّ أَيْمَنَ بَكَتْ لِأَنَّهَا سَمِعَتْ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابَاً مُتَشَابِهَاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. وَكَانَ قَلْبُهَا سَلِيماً طَاهِرَاً نَقِيَّاً لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ وَلَا ضَغِينَةَ، لَقَدِ اقْشَعَرَّ جِلْدُهَا، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهَا تَأَثُّرَاً بِكِتَابِ رَبِّهَا جَلَّ وَعَلَا؛ وَأَمَّا نَحْنُ وَنِسَاؤُنَا وَمَحَارِمُنَا عَلَى مَاذَا نَبْكِي؟ لِنُرَاجِعِ الحِسَابَاتِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَنْفُسِنَا، وَلْنَجْعَلِ الْمُقَارَنَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ؛ عَلَى مَاذَا تَبْكِي الأُمَّةُ اليَوْمَ مِنْ رِجَالِهَا وَمِنْ نِسَائِهَا؟

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: هَذَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِسَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:: «اقْرَأْ عَلَيَّ».

فَقَالَ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟

قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي».

فَقَرَأَ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾.

قَالَ: «أَمْسِكْ». فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِمَاذَا تَدْمَعُ عُيُونُنَا على الدُّنْيَا، وَلَا تَدْمَعُ إِذَا سَمِعْنَا آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْنَا؟ الجَوَابُ على ذَلِكَ: لِأَنَّ قُلُوبَنَا تَعَلَّقَتْ بِالدُّنْيَا، وَزَهِدَتْ فِي الآخِرَةِ.

أَمَّا السَّلَفُ الصَّالِحُ فَإِنَّ قُلُوبَهُم تَعَلَّقَتْ بالآخِرَةِ، وَزَهِدُوا فِي الدُّنْيَا؛ لَقَدْ صَلَحَتْ قُلُوبُهُمْ، وَفَسَدَتْ قُلُوبُنَا إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ تعالى، وَفَسَدَتْ جَوَارِحُنَا، فَهَلْ مِنْ مُعَالِجٍ لِفَسَادِ قَلْبِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: وَاللهِ الذي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَلَاحُنَا وَنَجَاحُنَا يَوْمَ القِيَامَةِ بِسَلَامَةِ هَذَا القَلْبِ، لِنَكُنْ حَرِيصِينَ جَمِيعاً عَلَى سَلَامَةِ هَذَا القَلْبِ مِنَ الحِقْدِ وَمِنَ الضَّغِينَةِ؛ وَالْتَزِمُوا قَوْلَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئاً؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ» رواه الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. لِأَنَّ المُبَلِّغَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَزْرَعَ الفَسَادَ، يُرِيدُ أَنْ يُقَطِّعَ الأَرْحَامَ، وَأَنْ يَزْرَعَ الضَّغِينَةَ فِي قُلُوبِ الأُمَّةِ.

يَا عِبَادَ اللهِ: أُمَّتُنَا مُمَزَّقَةٌ، فَلَا تَزِيدُوا التَّمَزُّقَ تَمَزُّقاً؛ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   *

٥٢٩ـ خطبة الجمعة: سلامة القلب من لوازم التقوى

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: رَاحَةُ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَعِيشَ سَلِيمَ الصَّدْرِ، طَاهِرَ القَلْبِ، مُبَرَّأً مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، وَأَسْبَابِ الضَّغِينَةِ وَالحِقْدِ؛ رَاحَةُ الْمُؤْمِنِ فِي أَنْ يَكُونَ حَرِيصَاً على قَلْبِهِ ـــ الذي هُوَ مَحَلُّ نَظَرِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»ـــ أَنْ لَا يَرَى فِيهِ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مَا لَا يُحِبُّ.

رَاحَةُ الْمُؤْمِنِ تَكُونُ فِي حِرْصِهِ على قَلْبِهِ الذي فِيهِ أَغْلَى شَيْءٍ عَلَيْهِ وَهُوَ الْإِيْمَانُ بِالله تعالى وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا إِذَا كَانَ القَلْبُ سَلِيمَاً مِنَ الأَحْقَادِ وَالضَّغَائِنِ، عَامِرَاً بِالحُبِّ وَالوُدِّ وَالْمُجَامَلَةِ الرَّقِيقَةِ اللَّطِيفَةِ وَالخُلُقِ الذي تُمْلَكُ بِهِ القُلُوبُ.

سَلَامَةُ القَلْبِ مِنْ لَوَازِمِ التَّقْوَى:

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ سَلَامَةَ القَلْبِ مِنْ لَوَازِمِ التَّقْوَى، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ؛ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». فَأَيْنَ تَقْوَانَا يَا عِبَادَ اللهِ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ هَذَا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَتْرُكِ التَّحَاسُدَ وَالتَّبَاغُضَ وَالتَّدَابُرَ، لِنَكُنْ عِباداً للهِ إِخْوَانًا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِسَلَامَةِ قُلُوبِنَا؛ وَيَكْفِي العَبْدَ شَرًّا أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ، وَيَتَعَدَّى عَلَيْهِ، هَذِهِ الأَخْلَاقُ الذَّمِيمَةُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَرْكُهَا مِنْ أَجْلِ سَلَامَةِ قُلُوبِنَا لِنَعِيشَ عَيْشَ السُّعَدَاءِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ، فَسَلَامَةُ القَلْبِ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ.

وَصْفُ أَوَّلِ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ:

يَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ سَلَامَةَ الصَّدْرِ وَالقَلْبِ طَرِيقٌ إلى دُخُولِ جَنَّةِ الخُلْدِ مَعَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ، قَالَ تعالى فِي وَصْفِ أَهْلِ الجَنَّةِ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا

أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وَيَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

سَيِّدُنَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَثَلًا فَذًّا فِي سَلَامَةِ صَدْرِهِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: رَحِمَ اللهُ تعالى مَنْ قَالَ:

لَا يَحْمِلُ الحِقْدَ مَنْ تَسْمُو بِهِ الرُّتَبُ *** وَلَا يَنَالُ العُلَا مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ

انْظُرُوا إلى سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَقَدْ كَانَ مِثَالًا فَذًّا وَرَائِعًا فِي سَلَامَةِ صَدْرِهِ نَحْوَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ فَعَلَ إِخْوَتُهُ فِيهِ مَا فَعَلُوا، وَبَعْدَ أَنْ صَارَ فِي مَنْزِلَةٍ يَقْدِرُ فِيهَا على الانْتِقَامِ لِأَنَّهُمْ فَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، وَظَلَمُوهُ ظُلْمًا لَا يَكَادُ يُصَدَّقُ أَنْ يَصْدُرَ مِن أَخٍ؛ فَقَدْ أَبَى قَلْبُهُ السَّلِيمُ وَشَخْصِيَّتُهُ العَظِيمَةُ التي تَبْحَثُ عَنْ رِضَا رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْتَقِمَ وَيَثْأَرَ لِنَفْسِهِ، فَوَفَّى الكَيْلَ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. عَفَا عَنْهُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللهَ تعالى لَهُمْ؛ وَلِمَ لَا، وَاللهُ تعالى يَقُولُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

بَلِ الأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ الْتَمَسَ لَهُمُ العُذْرَ فِيمَا فَعَلُوهُ، فَقَالَ لِأَبِيهِ سَيِّدِنَا يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: رَاحَتُنَا التي نَنْشُدُهَا تَكْمُنُ في سَلَامَةِ قُلُوبِنا، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الحَرْبُ الــضَّرُوسُ التي أَحْرَقَتِ الأَخْضَرَ وَاليَابِسَ، وَصَارَتْ دَرْسَاً لِجَمِيعِ دُوَلِ العَالَمِ إِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ عَقْلٌ، أَنْ تَكُونَ لَنَا نَحْنُ أَوَّلَاً دَرْسَاً لَنَا، يَجِبُ أَنْ نَجْعَلَ شِعَارَنَا: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

تَعَانَقُوا يَا عِبَادَ اللهِ، تَصَالَحُوا يَا عِبَادَ اللهِ، تَسَامَحُوا يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا كَالجَسَدِ الوَاحِدِ يَا عِبَادَ اللهِ، كُونُوا يَدَاً وَاحِدَةً على شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ الذينَ قَالَ اللهُ تعالى فِيهِمْ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾. فَمُهِمَّةُ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ أَنْ يُوقِعُوا بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ.

لَمَّا حَضَرَتِ الوَفَاةُ أَبَا دُجَانَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ وَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ، فَقِيلَ لَهُ في ذَلِكَ.

فَقَالَ: مَا مِنْ عَمَلِي شَيْءٌ أَوْثَقَ فِي نَفْسِي مِنَ اثْنَتَيْنِ: لَمْ أَتَكَلَّمْ فِيمَا لَا يَعْنِينِي، وَكَانَ قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيمَاً. رواه ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا.

وَاللهِ إنّ القَلْبَ الحَقُودَ لَا تَرَى وَجْهَ صَاحِبِهِ مُتَهَلِّلًا لَا في حَيَاتِهِ، وَلَا عِنْدَ مَوْتِهِ، إذَا لَمْ تَتَدَارَكْهُ رَحِمَةُ اللهِ تعالى.

يَا رَبِّ ارْزُقْنَا سَلَامَةَ الصَّدْرِ، وَحَقِيقَةَ التَّقْوَى. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** *

٥٣٠ـ خطبة الجمعة: المطلوب التوبة لا العصمة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: مَا دَامَ الإِنْسَانُ حَيًّا على وَجْهِ الأَرْضِ فَسَتُوجَدُ الخَطِيئَةُ مِنْهُ، وَلَوْ خَلَا جِيلٌ مِنَ الخَطِيئَةِ لَخَلَا جِيلُ الأَصْفِيَاءِ، وَلَخَلَا خَيْرُ القُرُونِ على الإِطْلَاقِ؛ بَنُو آدَمَ لَا يُمْدَحُونَ بِعَدَمِ وُجُودِ الخَطَايَا، لِأَنَّ كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَلَكِنَّهُمْ يُمْدَحُونَ بِعَدَمِ الإِصْرَارِ، أَو المُجَاهَرَةِ فِي المَعَاصِي «وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. أَمَّا الإِصْرَارُ على الخَطِيئَةِ وَالمُجَاهَرَةُ فِيهَا فَهَذِهِ هِيَ مُصِيبَةُ المَصَائِبِ، وَرَزِيَّةُ الرَّزَايَا، وَبَلِيَّةُ البَلَايَا.

المَطْلُوبُ مِنَّا التَّوْبَةُ لَا العِصْمَةُ:

يَا عِبَادَ اللهِ: مِنْ تَمَامِ فَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا أَنَّ اللهَ تعالى لَمْ يَطْلُبْ مِنَّا العِصْمَةَ، لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ بِوُسْعِنَا، وَلَكِنْ طَلَبَ مِنَّا التَّوْبَةَ وَالإِنَابَةَ وَالأَوْبَةَ قَبْلَ نِهَايَةِ الأَجَلِ، الذي لَا يَدْرِي أَحَدُنَا مَتَى يَأْتِيهِ.

قَالَ تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعَاً أَيُّهَ المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾. وَأَعْظَمُ الحَسَنَاتِ التَّوْبَةُ وَالإِنَابَةُ وَالأَوْبَةُ للهِ تعالى.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «المُؤْمِنُ وَاهٍ رَاقِعٌ، فَسَعِيدٌ مَنْ هَلَكَ عَلَى رَقَعِهِ» رواه البزار عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

<u>تَوْبَةٌ عَجِيبَةٌ:</u>

يَا عِبَادَ اللهِ: كُلَّمَا عَظُمَ الإِيمَانُ بِاللهِ تعالى، وَبِاليَوْمِ الآخِرِ، وَأَيْقَنَ العَبْدُ بِأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، كُلَّمَا أَسْرَعَ إلى التَّوْبَةِ وَصَدَقَ فِيهَا خَشْيَةَ أَنْ يَمُوتَ عَلَى مَعصِيَةٍ، لِأَنَّ مَنْ مَاتَ على مَعْصِيَةٍ حَلَّتْ بِهِ مُصِيبَةُ المَصَائِبِ، وَذَاكَ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: اسْمَعُوا إلى هَذِهِ التَّوْبَةِ العَجِيبَةِ التي تُذْهِلُ العُقُولَ، روى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ سَبِيعَةَ القُرَشِيَّةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي زَنَيْتُ فَأَقِمْ عَلَيَّ حَدَّ اللهِ.

قَالَ: «اذْهَبِي حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ».

فَلَمَّا وَضَعَتْ مَا فِي بَطْنِهَا أَتَتْهُ؛ وَلَوْ لَمْ تَأْتِهِ مَا سَأَلَ عَنْهَا.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ وَضَعْتُ مَا فِي بَطْنِي.

قَالَ: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ».

فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ فَطَمْتُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لِهَذَا الصَّبِيِّ؟».

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ.

فَرُئِيَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الكَرَاهِيَةُ فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِهَا فَارْجُمُوهَا» / كَذَا في أسد الغابة.

يَا عِبَادَ اللهِ: أَلَا تَتَعَجَّبُونَ مِنَ اعْتِرَافِهَا بِالفَاحِشَةِ وَإِقْرَارِهَا بِمَا فِيهِ حَتْفُهَا وَهَلَاكُهَا؟

أَلَا تَتَعَجَّبُونَ مِنْ تَرَدُّدِهَا على سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دُونَ كَلَلٍ أَو سَآمَةٍ أَو جَزَعٍ؟ كُلُّ ذَلِكَ بِتَجَلُّد وَتَصَبُّرٍ نَادِرَيْنِ.

أَلَا تَتَعَجَّبُونَ مِنْ قَرَارِ الرَّجُلِ الأَنْصَارِيِّ الذي قَبِلَ رِعَايَةَ وَعِنَايَةَ وَلَدٍ مِن زِنًى؟

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ أَبَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ القُرَشِيَّةُ الحُرَّةُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا بِدُونِ تَوْبَةٍ صَادِقَةٍ، أَبَت إِلَّا أَنْ تَلْقَى جَزَاءَهَا في هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَبَتْ إِلَّا أَنْ تُذْهِبَ شَقَاءَهَا قَبْلَ مَوْتِهَا، وَأَرَادَتِ الرَّاحَةَ وَالأَمَانَ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ؛ لَقَدْ تَجَلَّدَتْ لِلحِجَارَةِ القَاسِيَاتِ مِنْ أَجْلِ إِرْضَاءِ رَبِّ البَرِيَّاتِ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَتَذَكَّرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. لِنَتَذَكَّرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾. لِنَتَذَكَّرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾.

كُونُوا على يَقِينٍ بِأَنَّهُ مَنْ كَانَ بِاللهِ تعالى أَعْرَفَ، كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ، وَمَنْ جَهِلَ بِاللهِ تعالى اجْتَرَأَ على مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى، وَأَصَرَّ على مَعْصِيَتِهِ وَجَاهَرَ بِهَا ــ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالى ــ.

يَا عِبَادَ اللهِ: عَلِمَ اللهُ تَبَارَكَ وتعالى ضَعْفَنَا فَلَمْ يَطْلُبْ مِنَّا العِصْمَةَ، وَلَكِنْ طَلَبَ مِنَّا التَّوْبَةَ وَرَغَّبَنَا فِيهَا، فَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. فَهَلْ يُعْلِنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا تَوْبَتَهُ للهِ تعالى مِمَّا هُوَ وَاقِعٌ فِيهِ؟

وَهَلْ نَسْمَعُ وَنَتَدَبَّرْ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً * يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾.

فَلِمَنْ نَسْتَجِيبُ؟!

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حَقَّ الحَيَاءِ مِنْكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٣١ـ خطبة الجمعة: الموت قادم

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: وُجُودُنَا في هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا مُؤَقَّتٌ وَمَحْدُودٌ بِأَجَلٍ ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾. وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ لَا يَخْتَلِفُ فِيهَا اثْنَانِ، كُلُّنَا مَيِّتٌ، حَقِيقَةٌ تَنَاسَيْنَاهَا ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

يَقُولُ الحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ يَقِيناً أَشْبَهَ بِالشَّكِّ مِنْ يَقِينِ النَّاسِ بِالمَوْتِ مَعَ غَفْلَتِهِمْ عنهُ، وَمَا رَأَيْتُ صِدْقَاً أَشْبَهَ بِالْكَذِبِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّا نَطْلُبُ الْجنَّة مَعَ عَجْزِهِمْ عَنْهَا وَتَفْرِيطِهِمْ فِي طَلَبِهَا.

المَوْتُ قَادِمٌ:

يَا عِبَادَ الله: لِنَتَذَكَّرْ هَذِهِ الحَقِيقَةَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. لَقَدْ بَيَّنَهَا اللهُ تعالى على مَدَى الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، وَأَسْمَعَهَا لِكُلِّ البَشَرِ، فَلَا بَقَاءَ إِلَّا لِلْحَيِّ الذي لَا يَمُوتُ، حَقِيقَةٌ يَسْقُطُ عِنْدَ أَعْتَابِهَا الجَبَابِرَةُ، وَالمُعَانِدُونَ، وَالطُّغَاةُ، وَالمُتَأَلِّهُونَ، يَسْقُطُ عِنْدَ أَعْتَابِهَا العُصَاةُ وَالطَّائِعُونَ، وَالمُؤْمِنُونَ وَالكَافِرُونَ.

حَقِيقَةٌ يَجِبُ أَنْ تَتَذَكَّرَهَا الأُمَّةُ مِنْ قَضِّهَا إلى قَضِيضِهَا بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ حَالُهَا، فَالحَاكِمُ إِذَا تَذَكَّرَهَا عَدَلَ، وَالمَسْؤُولُ إِذَا تَذَكَّرَهَا اتَّقَى اللهَ تعالى فِي رَعِيَّتِهِ، القَاتِلُ إِذَا تَذَكَّرَهَا أَسْرَعَ للاسْتِحْلَالِ مِنْ وَرَثَةِ المَقْتُولِ، السَّارِقُ وَآكِلُ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ إِذَا تَذَكَّرَهَا أَعَادَ الحُقُوقَ إلى أَصْحَابِهَا، الشَّابُّ إِذَا تَذَكَّرَهَا اتَّقَى اللهَ تعالى فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، الوَلَدُ إِذَا تَذَكَّرَهَا أَسْرَعَ لِبِرِّ وَالِدَيْهِ، العَاصِي إِذَا تَذَكَّرَهَا أَسْرَعَ إلى التَّوْبَةِ، وَالطَّائِعُ إِذَا تَذَكَّرَهَا اسْتَزَادَ مِنْ طَاعَتِهِ للهِ تعالى.

العَرضُ على اللهِ تعالى:

يَا عِبَادَ اللهِ: المَوْتُ قَادِمٌ وَالكُلُّ سَيَذُوقُهُ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾. بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ، حَاكِمٌ أَو مَحْكُومٌ، طَائِعٌ أَو عَاصٍ، وَالمَوْتُ لَيْسَ هُوَ نِهَايَةَ المَطَافِ، بَلْ هُوَ بِدَايَةُ الحِسَابِ بَعْدَ دَارِ العَمَلِ.

سَيُنَادَى على كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا ــ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ ــ سَيُنَادَى على الحَاكِمِ وَالمَحْكُومِ، وَعَلَى القَاتِلِ وَالمَقْتُولِ، وَعَلَى السَّارِقِ وَالمَسْرُوقِ، وَعَلَى الظَّالِمِ وَالمَظْلُومِ، وَعَلَى المُفْسِدِ وَالمُصْلِحِ، وَعَلَى مَنْ سَعَى لِإِشْعَالِ نَارِ الحَرْبِ فِي هَذِهِ البِلَادِ وَمَنْ سَعَى لِإِطْفَائِهَا: قُمْ لِلْعَرْضِ على اللهِ تعالى.

قَالَ تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: وَاللهِ إِنّ الأَمْرَ جِدٌّ خَطِيرٍ «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» رواه الإمام مسلم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لِيَتَصَوَّرْ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا هَذَا المَوْقِفَ العَظِيمَ المَهِيبَ، عِنْدَمَا يُقَدَّمُ لِيُكَلِّمَهُ اللهُ تعالى، ثمّ يُعْطَى بَعْدَ ذَلِكَ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ، تِلْكَ الصَّحِيفَةَ التي أَحْصَتِ الصَّغِيرَةَ وَالكَبِيرَةَ، وَالسِّرَّ وَالعَلَانِيَةَ، وَالطَّاعَةَ وَالمَعْصِيَةَ؛ فَإِمَّا أَنْ يُعَطَاهَا بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ على رُؤُوسِ الأَشْهَادِ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

وَإِمَّا أَنْ يُعْطَاهَا بِشِمَالِهِ، فَإِذَا بِهِ يَقُولُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: البَابُ للاصْطِلَاحِ مَعَ اللهِ تعالى مَا زَالَ مَفْتُوحاً، يَا أَهْلَ بِلَادِ الشَّامِ، بَابُ الاصْطِلَاحِ مَعَ اللهِ تعالى مَفْتُوحٌ، فَهَلْ مِنْ تَائِبٍ قَبْلَ مَوْتِهِ لِيَفُوزَ؟

يَا مَنْ جارَ وَظَلَمَ، يا مَنْ طَغَى وَتَكَبَّرَ، يَا مَنْ كَانَ لِآيَاتِ اللهِ عَنِيدَاً، يَا مَنْ تَلَاعَبَ بِأَحْكَامِ الـــشَّرِيعَةِ حَتَّى أَوْقَدَ نَارَ هَذِهِ الحَرْبِ، يَا مَنْ قَتَلَ وَيَا مَنْ سَلَبَ، أَنْتَ لَسْتَ مَعْصُومَاً، وَمَا كَلَّفَكَ اللهُ أَنْ تَكُونَ مَعْصُومَاً، إِنَّمَا أَنْتَ خَطَّاءٌ، وَقَدْ كَلَّفَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّوْبَةِ، فَهَلْ تَتُوبُ إلى اللهِ تعالى قَبْلَ مَوْتِكَ، حَتَّى لَا تَنْدَمَ عِنْدَ عَرْضِكَ على اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ؟

أَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ هَذَا العَبْدَ الذي حَدَّثَ عَنْهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

روى الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟

فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ.

حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ».

يَا أَيُّهَا الخَطَّاءُ، لَا تَكُنْ عَنِيدَاً وَاسْمَعْ وَصِيَّةَ العَبْدِ الصَّالِحِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: إِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ، إِيَّاكُمْ وَالْإِعْجَابَ بِالْأَعْمَالِ، انْظُرُوا إِلَى مَنْ دُونَكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ فَوْقَكُمْ، مَنْ ذَلَّلَ نَفْسَهُ رَفَعَهُ مَوْلَاهُ، وَمَنْ خَضَعَ لَهُ أَعَزَّهُ، وَمَنِ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ أَطَاعَهُ أَنْجَاهُ، وَمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ أَرْضَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَازَاهُ؛ فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَزِنَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُوزَنَ،

وَيُحَاسِبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ، وَيَتَزَيَّنَ وَيَتَهَيَّأَ لِلْعَرْضِ عَلَى اللهِ الْعَلِيِّ الْأَكْبَرِ.
/حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ.

زَيِّنْ نَفْسَكَ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ قَبْلَ أَنْ يُنَادَى عَلَيْكَ: قُمْ لِلْعَرْضِ على اللهِ تعالى.

اللَّهُمَّ بَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٣٢ـ خطبة الجمعة: يا آكل أموال الناس بالباطل

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: النَّاظِرُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُلَاحِظُ أَنَّ أَكْثَرَ مَوْضُوعٍ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَالذي لَهُ النَّصِيبُ الأَكْبَرُ مِنَ الذِّكْرِ لَهُ وَالَحدِيثِ فِيهِ، إِنَّمَا هُوَ مَوْضُوعُ الآخِرَةِ، وَالَحشْرِ، وَالحِسَابِ، وَالجَزَاءِ، وَالجَنَّةِ، وَالنَّارِ، لِأَنَّ هَذَا الأَمْرَ هُوَ سِرُّ النَّجَاةِ، وَهُوَ سِرُّ الخُسْرَانِ كَذَلِكَ.

يَا عِبَادَ اللهِ: وَاللهِ إِنَّ الأَمْرَ لَعَجِيبٌ حِينَ لَا يَنْزَجِرُ الوَاقِعُونَ فِي الُمنْكَرَاتِ، وَالُمسْتَهِينُونَ بِأَوَامِرِ اللهِ تعالى وَنَوَاهِيهِ؛ إِنَّ الأَمْرَ لَعَجِيبٌ حَيْثُ لَا يَنْزَجِرُ آكِلُوا

الحَرَامِ، وَآكِلُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، وَالذين يَــسْرِقُونَ وَيَنْهَبُونَ، وَهُمْ يَسْمَعُونَ عَنْ أَصْنَافِ العَذَابِ الأَلِيمِ مِنْ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾. عَذَابٌ لَا يُطَاقُ، مَذَلَّةٌ وَمَهَانَةٌ، عَذَابٌ مُلَازِمٌ دَائِمٌ، لَا يَفْتُرُ وَلَا يَهْدَأُ، وَلَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَنْقَطِعُ.

يَا آكِلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: مِنْ مُنْطَلَقِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَمِنْ مُنْطَلَقِ المَحَبَّةِ لِخَلْقِ اللهِ تعالى، وَمِنْ مُنْطَلَقِ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً». مِنْ مُنْطَلَقِ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾. مِنْ مُنْطَلَقِ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾. أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ مَنْ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَأَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ أَكْلِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، أَتَوَجَّهُ إلى كُلِّ مَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَلَمْ يَصْبِرْ عَنِ الحَرَامِ، إلى كُلِّ مَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ ظُلْماً وَعُدْوَاناً وَعُلُوّاً في الأَرْضِ وَفَسَاداً، لِأَقُولَ لَهُ نَاصِحاً:

أولاً: يَا عَبْدَ اللهِ، تَذَكَّرْ بِأَنَّكَ مَيِّتٌ مَهْمَا طَالَ العُمُرُ، وَأَنَّكَ على مَوْعِدٍ مَعَ يَوْمِ القِيَامَةِ، حَيْثُ سَتَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاكَ الذي قَالَ لَكَ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾.

ثانياً: تَذَكَّرْ يَا عَبْدَ اللهِ طَعَامَ أَهْلِ النَّارِ وَشَرَابَهُمْ، قَالَ تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

وَقَالَ تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾. وَالغِسْلِينُ هُوَ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الدَّمِ وَالقَيْحِ وَالصَّدِيدِ.

وَقَالَ تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

وَقَالَ تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾. فَإِذَا كَانَ هَذَا المَاءُ يَشْوِي الوُجُوهَ، فَمَاذَا يَصْنَعُ بِالأَمْعَاءِ؟ ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾.

«اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الله»:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، وَخَاصَّةً مِمَّنْ يَدَّعِي الإِيمَانَ، وَيَدَّعِي الصَّلَاحَ وَالإِصْلَاحَ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ يُرِيدُ الخَيْرَ لِلْغَيْرِ، وَيَدَّعِي الانْتِمَاءَ للإِسْلَامِ: إِنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً عَظِيمَةً، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَحْسِبَ حِسَاباً لَهَا، وَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَحْسِبَ كَيْفَ سَتَتَحَطَّاهَا، قَالَ تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

إِنَّ أَعْظَمَ فَوْزٍ وَنَجاحٍ هُوَ أَنْ تُزَحْزَحَ عَنْ نَارِ الجَبَّارِ، وَأَنْ تَدْخُلَ جَنَّةَ اللهِ تعالى ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

يَا آكِلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، اسْمَعْ مَا قَالَهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئَاً، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئَاً، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئَاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئَاً، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئَاً» رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنِ اسْتَهَانَ بِأَمْوَالِ الآخَرِينَ إِتْلَافَاً وَسَلْبَاً وَنَهْبَاً وَسَرِقَةً وَأَخْذَاً بِغَيْرِ حَقٍّ، قُولُوا لِمَنْ بَارَزَ اللهَ تعالى بِالمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَتَعَدَّى وَظَلَمَ: أَنْتَ مُسَافِرٌ إلى الآخِرَةِ وَحِيداً فَرِيداً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدَاً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

وَاعْلَمْ يَا عَبْدَ اللهِ بِأَنَّ عَذَابَ الآخِرَةِ لَيْسَ كَعَذَابِ الدُّنْيَا، فَهُوَ عَذَابٌ دَائِمٌ لَا يَقِفُ وَلَا يَنْقَطِعُ، وَلَا خَلَاصَ مِنْهُ وَلَا مَفَرَّ، وَمِنْهُ يَتَمَنَّى الْمُعَذَّبُ المَوْتَ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾. بَلْ يَتَمَنَّى أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ العَذَابُ وَلَو يَوْمَاً وَاحِدَاً ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمَاً مِنَ

الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُن مِمَّنْ قَالَ اللهُ تعالى فِيهِمْ: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ قَالَ اللهُ تعالى فِيهِمْ: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وَاللهِ الذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّ ﴿اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. وَاللهِ الذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ ﴿غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾.

فَفَكِّرْ يَا آكِلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ بِغَيْرِ حَقٍّ فِي المَصِيرِ المَحْتُومِ ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** **

٥٣٣ـ خطبة الجمعة: يا أيها المغرور، تذكر يوم القيامة

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْنَا عَبَثَاً ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾. وَإِنَّمَا خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. وَنَحْنُ مَسْؤُولُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِنَا ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فَمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ مَسؤُولٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ جَلَّ وَعَلَا، فَلْيُعِدَّ للسُّؤَالِ جَوَابَاً، وَلِلْجَوَابِ صَوَابَاً، وَلْيُنْقِذْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ الله تعالى، وَذَلِكَ بِمُتَابَعَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾.

عَلَى قَدْرِ الإِجَابَةِ الصَّحِيحَةِ يَكُونُ الفَوْزُ:

يَا عِبَادَ الله: مِنْ أَوْجَبِ الوَاجِبَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ المَسْؤُولِيَّاتِ فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا، أَنْ نَسْتَغِلَّ فُرْصَةَ هَذِهِ الحَيَاةِ، وَأَنْ نَسْتَعِدَّ للسُّؤَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، عِنْدَمَا يَقِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ القَائِلِ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

عَلَى قَدْرِ الإِجَابَةِ الصَّحِيحَةِ يَكُونُ الفَوْزُ وَالسَّعَادَةُ وَالنَّجَاحُ وَالفَلَاحُ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الذي تَنْكَشِفُ فِيهِ الحَقَائِقُ، وَتَزُولُ الحُجُبُ، وَعِنْدَهَا يَقُولُ أَهْلُ الغَفْلَةِ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ أَقْسَمَ رَبُّنا عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّنا سَوْفَ نُسْأَلُ، فَقَالَ: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾. يَا رَسُولَ اللهِ، يَا سَيِّدَ الخَلْقِ، يَا حَبِيبَ الحَقِّ ﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾. لَامُ التَّوْكِيدِ، وَنُونُ التَّوكِيدِ الثَّقِيلَةِ ﴿أَجْمَعِينَ﴾. بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ.

سَوْفَ يُسْأَلُ أَهْلُ الطَّاعَةِ، وَأَهْلُ المَعْصِيَةِ؛ أَهْلُ الإِيمَانِ، وَأَهْلِ الشِّرْكِ؛ سَوْفَ يُسْأَلُ الحَاكِمُ وَالمَحْكُومُ، سَوْفَ يُسْأَلُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، سَوْفَ يُسْأَلُ الأَقْوِيَاءُ وَالضُّعَفَاءُ، سَوْفَ يُسْأَلُ الجَمِيعُ؛ سَوْفَ يُسْأَلُ الجَمِيعُ يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ، سَوْفَ يُسْأَلُ مَنْ آمَنَ بِيَوْمِ البَعْثِ، وَمَنْ كَفَرَ بِهِ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾.

يَا أَيُّهَا المَغْرُورُ، تَذَكَّرْ يَوْمَ القِيَامَةِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِهَذَا العَبْدِ المَغْرُورِ الذي عَاثَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِقَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

قُولُوا لِمَنْ ظَلَمَ وَجَارَ، قُولُوا لِمَنْ كَانَ لِآيَاتِ اللهِ تعالى عَنِيدًا، قُولُوا لِمَنْ نُزِعَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ قَلْبِهِ، قُولُوا لِمَنْ لَمْ تَهُزَّهُ الأَحْدَاثُ التي جَرَتْ وَتَجْرِي فِي بِلَادِ الشَّامِ، وَهُوَ مُـــصِرٌّ على مَا هُوَ عَلَيْهِ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَلْبِ الأَمْوَالِ، وَتَرْوِيعِ

الآمِنِينَ، وَتَهْدِيمِ البُيُوتِ، وَإِتْلَافِ الأَمْوَالِ العَامَّةِ، قُولُوا لِمَنْ كَانَ وَمَا زَالَ مُحَرِّضَاً على القِتَالِ وَدَاعِمَاً لَهُ: تَذَكَّرْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿يَوْمَاً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبَاً﴾. تَذَكَّرْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾. تَذَكَّرْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

تَذَكَّرْ قَوْلَهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. وَصَحِّحْ مَسَارَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، صَحِّحْ مَسَارَكَ قَبْلَ أَنْ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاكَ القَائِلِ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾. يَعْنِي: فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، حَيْثُ الاسْتِسْلَامُ، وَعَدَمُ وُجُودِ النَّصِيرِ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾. لَيْسَ هُنَاكَ أَنْصَارٌ، وَلَيْسَ هُنَاكَ فِدْيَاتٌ، بَلْ هُنَاكَ تُصَبُّ اللَّعَنَاتُ وَالحَسَرَاتُ ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعَاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابَاً ضِعْفَاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنَاً كَبِيرَاً﴾. صَحِّحْ مَسَارَكَ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ وَلَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَجْعَلْ نُصْبَ أَعْيُنِنَا قَوْلَهُ تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سَوْفَ نُسْأَلُ عَنْ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا، فَلْنُعِدَّ جَوَابَاً لِهَذَا السُّؤَالِ أَمَامَ عَلَّامِ الغُيُوبِ، أَمَامَ الذي يَعْلَمُ الــسِّرَّ وَأَخْفَى، أَمَامَ القَهَّارِ الذي قَالَ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ

هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. أَعِدَّ جَوَابًا، وَلْيَكُنْ صَوَابًا.

يَا عِبَادَ اللهِ: تَرْجِمُوا عَنْ إِيمَانِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، كَيْفَ يَتَوَافَقُ الإِيمَانُ مَعَ ازْهَاقِ الأَرْوَاحِ؟ كَيْفَ يَتَوَافَقُ الإِيمَانُ مَعَ سَلْبِ الأَموَالِ وَأَكْلِهَا بِالبَاطِلِ؟ كَيْفَ يَتَوَافَقُ الإِيمَانُ مَعَ تَحْرِيضِ الْمُؤْمِنِينَ لِقِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؟ كَيْفَ يَتَوَافَقُ الإِيمَانُ مَعَ زَرْعِ نَارِ العَدَاوَاتِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؟

الإِيمَانُ لَيْسَ بَالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي القَلْبِ وَصَدَّقَتْهُ الأَعْمَالُ؛ يَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

قِيلَ: وَمَا إِخْلَاصُهَا؟

قَالَ: «أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» رواه الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَيَا مَنْ حَبَّبْتَ إِلَى قُلُوبِنَا الإِيمَانَ، اشْرَحْ صُدُورَنَا لِلإِسْلَامِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** *

٥٣٤ـ خطبة الجمعة: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: روى الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَاشِرَ عَشَرَةٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ أَكْيَسُ النَّاسِ، وَأَحْزَمُ النَّاسِ؟

قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ ذِكْرَاً لِلْمَوْتِ، وَأَشَدُّهُمُ اسْتِعْدَادَاً لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ، أُولَئِكَ هُمُ الْأَكْيَاسُ، ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

العَبْدُ المُؤْمِنُ يَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ اللِّقَاءِ مَعَ اللهِ تعالى رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحَاً فَمُلَاقِيهِ﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: المَرْجِعُ وَالمَآلُ إلى اللهِ تعالى، وَالوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتْمٌ لَازِمٌ، وَسَوْفَ نُسْأَلُ عَمَّا قَدَّمْنَا وَعَمَّا أَخَّرْنَا، وَعَمَّا أَسْرَرْنَا وَعَمَّا أَعْلَنَّا.

﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾:

يَا عِبَادَ اللهِ: عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَحْضِرَ عِنْدَ جَمِيعِ أَقْوَالِنَا وَأَفْعَالِنَا وَنَوَايَانَا قَوْلَهُ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾. حَقِيقَةٌ لَا مَجَالَ لِإِنْكَارِهَا، فِي كُلِّ يَوْمٍ نُوَدِّعُ مِنْ أُصُولِنَا وَفُرُوعِنَا وَأَحْبَابِنَا وَأَزْوَاجِنَا إلى دَارٍ لَا عَوْدَةَ مِنْهَا إلى هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا،

وَدَّعْنَا الكَثِيرَ إلى عَالَمِ البَرْزَخِ، وَسَوْفَ نُوَدَّعُ في لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحظَاتِ إلى ذَلِكَ العَالَمِ، مَهْمَا طَالَ العُمُرُ فَلَا بُدَّ مِنَ الرَّجْعَةِ إلى اللهِ تعالى.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا مَرْجِعَ وَلَا مَآلَ وَلَا آخِرَةَ فَهُوَ مَوْهُومٌ، وَرَحِمَ اللهُ تعالى القَائِلَ:

زَعَمَ المُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا *** لَا تُبْعَثُ الْأَجْسَادُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا

إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ *** أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَسَارُ عَلَيْكُمَا

يَا عِبَادَ اللهِ: قَضِيَّة: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾. قَضِيَّةٌ حَتْمِيَّةٌ لَا تَحْتَمِلُ نِقَاشَاً وَلَا أَخْذَاً وَلَا رَدَّاً، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.

سَلْ نَفْسَكَ يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُ:

يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُ وَالمُصَدِّقُ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾. سَلْ نَفْسَكَ: مَنْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ سَتَنْقَلِبُ إلى اللهِ تعالى؟ سَلْ نَفْسَكَ مَنْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى قَبْلَ أَنْ تُنَبَّأَ مَنْ أَنْتَ على رُؤُوسِ الأَشْهَادِ يَوْمَ الفَضِيحَةِ الكُبْرَى.

سَلْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللهِ، هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى صَوَّامٌ، قَوَّامٌ، قَائِمٌ بِالقِسْطِ، حَلِيمٌ، جَوَادٌ كَرِيمٌ، عَفُوٌّ، شَهْمٌ، سَلِيمُ القَلْبِ، صَادِقٌ، نَاصِحٌ، أَمِينٌ، وَقَّافٌ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ تعالى؛ أَمْ كَذَّابٌ، غَشَّاشٌ، مُرَاءٍ، مُنَافِقٌ، ظَالِمٌ، حَاقِدٌ، حَاسِدٌ، مُتَعَدٍّ على حُدُودِ اللهِ تعالى؟

سَلْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللهِ، هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى سَارِقٌ أَمْ مَسْرُوقٌ؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى ظَالِمٌ أَمْ مَظْلُومٌ؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى آكِلٌ الحَلَالَ أَمِ الحَرَامَ؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى بَارٌّ بِوَالِدَيْكَ أَمْ عَاقٌّ؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى كَوَلَدِ سَيِّدِنَا نُوحٍ

عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمْ كَوَلَدِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى مُحِبٌّ الخَيْرَ للنَّاسِ كَمَا تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ، أَمْ مُحِبٌّ الشَّرَّ لَهُمْ؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى تُرِيدُ الأَمْنَ وَالأَمَانَ للخَلْقِ، أَمِ الخَوْفَ وَالذُّعْرَ؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى تُرِيدُ جَمْعَ شَمْلِ الأُمَّةِ أَمْ تَمْزِيقَهَا؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى تُرِيدُ حَقْنَ الدِّمَاءِ أَمْ سَفْكَهَا؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى تُرِيدُ سَتْرَ الأَعْرَاضِ أَمْ هَتْكَهَا؟ هَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى تُرِيدُ الهِدَايَةَ أَمِ الغِوَايَةَ؟

سَلْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللهِ: هَلْ أَنْتَ عَبْدٌ للهِ تعالى أَمْ لِنَفْسِكَ وَأَهْوَائِكَ؟

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: حَقِيقَةٌ لَازِمَةٌ ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾. الكُلُّ رَاجِعٌ إلى اللهِ تعالى، سَيُعْرَضُ على مَحْكَمَةٍ قَاضِيهَا هُوَ اللهُ تعالى، الكُلُّ سَيَقْرَأُ كِتَابَهُ الذي سُطِّرَ عَلَيْهِ ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾.

فَالسَّعِيدُ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ، وَاسْتَعَدَّ لَهُ، وَعَرَفَ نَفْسَهُ مَنْ هُوَ عِنْدَ اللهِ تعالى فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا، قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ إلى الآخِرَةِ فَيُنَبَّأَ مَنْ هُوَ على رُؤُوسِ الأَشْهَادِ؛ السَّعِيدُ مَنْ لَمْ يَخْدَعْ نَفْسَهُ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ.

فَسَلْ نَفْسَكَ يَا عَبْدَ اللهِ: مَنْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ تعالى؟

اللَّهُمَّ لَا تُسَوِّدْ وُجُوهَنَا يَوْمَ العَرْضِ عَلَيْكَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** **

٥٣٥ـ خطبة الجمعة: الغفلة أوقعتنا في الذنوب

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: أَجَارَنَا اللهُ تعالى وَإِيَّاكُمْ مِنَ الغَفْلَةِ وَأَهْلِ الغَفْلَةِ، الذينَ قَالَ فِيهِمْ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

هُنَاكَ شَرِيحَةٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا ذُكِّرُوا بِاللهِ تعالى، وَخُوِّفُوا بِعَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَخُوطِبُوا بِالتَّذَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ لِآيَاتِ اللهِ تعالى، وَكَلَامِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَالذي فِيهِ الاسْتِعْدَادُ قَبلَ المَوْتِ، وَالاسْتِدْرَاكُ قَبْلَ الفَوْتِ، لَا تَتَحَرَّكُ فِيهِمُ المَشَاعِرُ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ غَفْلَتِهِمْ عَنِ اللهِ تعالى وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَبِسَبَبِ تَعَلُّقِهِمْ وَحُبِّهِمْ لِهَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ التي لَا تَدُومُ لِأَحَدٍ، وَلَو دَامَتْ لِأَحَدٍ مَا دَامَ هُوَ لَهَا.

يَقُولُ سَيِّدُنَا الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: وَاللهِ لَبَلَغَ مِنْ أَحَدِهِمْ بِدُنْيَاهُ أَنَّهُ يُقَلِّبُ الدِّرْهَمَ عَلَى ظُفْرِهِ فَيُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ، وَمَا يُحْسِنُ أَنْ يُصَلِّيَ. اهـــ.

أَجَارَنَا اللهُ تعالى وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ قَالَ اللهُ تعالى فِيهِمْ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾. يَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَلَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا عَنْ آخِرَتِهِمُ التي هِيَ مَآلُهُمْ.

نَحْنُ في غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ:

يَا عِبَادَ اللهِ: نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَنِ الآخِرَةِ، مَعَ أَنَّ الحِسَابَ قَرِيبٌ ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾. وَرَحِمَ اللهُ تعالى مَنْ قَالَ:

فَـيَـا سَاهِيَاً فِي غَـمْرَةِ الجَهْلِ وَالْهَوَى *** صَرِيْعَ الأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ

أَفِقْ قَدْ دَنَا الوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ *** سِـوَى جَـنَّةٍ أَوْ حَـرِّ نَـارٍ تَضَرَّمُ

نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَنْ يَوْمِ الحَسْرَةِ الذي قَالَ اللهُ تعالى عَنْهُ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

نَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَنْ هَذَا اليَوْمِ الذي قَالَ عَنْهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ».

ثُمَّ قَرَأَ: «﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾. وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾» رواه الإمام البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَأَعْظَمُ دَلِيلٍ على غَفْلَتِنَا عَنِ الحِسَابِ وَيَوْمِ الحَسْرَةِ هُوَ تَعَلُّقُنَا بِالدُّنْيَا، حَتَّى صَارَتْ هَمَّنَا الأَكْبَرَ، وَشُغْلَنَا الشَّاغِلَ، نُسَرُّ لَهَا إِذَا أَقْبَلَتْ، وَنَحْزَنُ عَلَيْهَا إِذَا أَدْبَرَتْ؛ أَمَّا الآخِرَةُ فلَا تُحْزِنُنَا وَلَا تُفْرِحُنَا إِنْ أَطَعْنَا وَإِنْ عَصَيْنَا، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ تعالى.

يَقُولُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَا انْتَفَعْتُ بِكَلَامِ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِكِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ المَرْءَ يَسُوءُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، وَيَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُك بِمَا نِلْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِك، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرَنَّ بِهِ فَرَحَاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعَاً؛ وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ المَوْتِ. اهـ. /كذا في صفة الصفوة.

الغَفْلَةُ أَوْقَعَتْنَا فِي الذُّنُوبِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: غَفْلَتُنَا عَنِ اللهِ تعالى وَعَنِ اليَوْمِ الآخِرِ أَوْقَعَتْنَا فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي، وَأَوْقَعَتِ الكَثِيرَ فِي الكَبَائِرِ، فَجَمَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ المَصَائِبَ تِلْوَ المَصَائِبَ، وَالفِتَنَ مَعَ الفِتَنِ، وَلَا يَدْرُونَ سُوءَ العَاقِبَةِ، وَلَا يَدْرُونَ سُوءَ مَا جَنَتْ أَيْدِيهِمْ، وَلَا مَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ، وَلَا مَا فَعَلَتْهُ جَوَارِحُهُمْ.

الغَفْلَةُ عَنِ اللهِ تعالى أَوْقَعَتِ الكَثِيرَ فِي الآثَامِ، حَتَّى أَصْبَحَ أَحَدُهُمْ لَا يُبَالِي أَكَانَ مُطِيعاً أَمْ عَاصِياً، وَلَا يُفَكِّرُ أَحَدُهُمْ فِي العَاقِبَةِ، وَلَا فِي الخَاتِمَةِ، وَلَا فِي النَّتِيجَةِ، وَيَرَى أَحَدُهُمُ الكَبِيرَةَ وَكَأَنَّهَا لَا شَيْءَ.

يَقُولُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ؛ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ. رواه الإمام البخاري.

وَيَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ» رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَيَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْساً يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً فِي النَّارِ» رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

خَاتِمَةٌ ـــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ـــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: أَعْظَمُ المَصَائِبِ أَنْ لَا يَعْلَمَ الغَافِلُ أَنَّهُ فِي غَفْلَةٍ عَنِ اللهِ تعالى وَاليَوْمِ الآخِرِ، أَعْظَمُ المَصَائِبِ أَنْ يَنْسَى العَبْدُ رَبَّهُ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. أَعْظَمُ المَصَائِبِ أَنْ يَنْسَى العَبْدُ أَنَّهُ فِي نِسْيَانٍ، وَهَذَا هُوَ البَلَاءُ المُرَكَّبُ.

يَا عِبَادَ الله: مَا أَعْظَمَ الغَفْلَة عَنِ الله تعالى وَعَنِ اليَوْمِ الآخِرِ، مَا أَعْظَمَ إِعْرَاضَ الْمُعْرِضِ عَنِ الله تعالى، مَا أَعْظَمَ الإِصْرَارَ على الذُّنُوب وَالْمَعَاصِي، مَا أَعْظَمَ الغُرُورَ، مَا أَعْظَمَ الأَمْنَ مِنْ مَكْرِ الله تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ الله فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

روى الإمام أحمد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ».

ثُمَّ تَلَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الغَافِلِينَ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** **

٥٣٦ـ خطبة الجمعة: الغفلة عن الآخرة طامة كبرى

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: المُؤْمِنُ الحَقُّ هُوَ عَبْدٌ مُشْتَغِلٌ بِاللهِ تعالى، وَهُوَ عَلَى حَذَرٍ مِنَ الانْغِمَاسِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالغَفْلَةِ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ تعالى، وَهُوَ يَنْتَظِرُ مُنَادِي اللهِ تعالى فِي كُلِّ يَوْمٍ، مُسْتَعِدٌّ لِأَنْ يَنْتَقِلَ إِلى الدَّارِ الآخِرَةِ، لِأَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ بِالإِمْكَانِ أَنْ يَأْتِيَ أَجَلُهُ فِي أَيَّةِ لَحْظَةٍ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ مَلَكَ المَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾.

المُؤْمِنُ الحَقُّ يَنْتَظِرُ مُنَادِي اللهِ تعالى، فَإِذَا نَادَاهُ لَبَّى بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ، لَعَلَّهُ أَنْ يَسْمَعَ الخِطَابَ مِنْ مَوْلَاهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. المُؤْمِنُ الحَقُّ لَا يَكُونُ مِنَ الغَافِلِينَ عَنِ المَوْتِ المُحِيطِ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَا يَدْرِي مَتَى يَكُونُ الرَّحِيلُ.

المُؤْمِنُ الحَقُّ يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَعْصِيَةِ حَاجِزاً:

يَا عِبَادَ اللهِ: المُؤْمِنُ الحَقُّ الذي يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ يَكُونُ حَرِيصاً على مَرْضَاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَعْصِيَةِ حَاجِزاً مَتِيناً حَتَّى لَا يَقَعَ فيهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ، حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهَا فِي حَالِ قُوَّتِهِ، وَلَا فِي حَالِ ضَعْفِهِ، وَلَا فِي حَالِ خَلْوَتِهِ، وَلَا فِي حَالِ جَلْوَتِهِ وَاجْتِمَاعِهِ مَعَ النَّاسِ، يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَعْصِيَةِ حَاجِزاً مَتِيناً خَوْفاً مِنَ اللهِ تعالى أَنْ يَأْخُذَهُ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى المُعْصِيَةِ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ

يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾. فَهُوَ فِي حَالَةِ خَوْفٍ مِنْ مَكْرِ اللهِ تعالى وَأَخْذِهِ، فَلَا يَغْفَلُ عَنْهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ على مَعْصِيَةٍ.

يَا عِبَادَ اللهِ: المُؤْمِنُ الحَقُّ يَرَى حَمْلَ الجِبَالِ أَيْسَرَ عَلَيْهِ مِنَ الوُقُوعِ فِي المَعْصِيَةِ، وَلَو كُلِّفَ بِفِعْلِهَا لَفَكَّرَ فِيهَا كَثِيراً قَبْلَ أَنْ يُقْدِمَ عَلَيْهَا، بِخِلَافِ أَهْلِ الغَفْلَةِ الذينَ إِذَا أَرَادُوا فِعْلَ الطَّاعَاتِ فَكَّرُوا فِيهَا كَثِيراً قَبْلَ أَنْ يُقْدِمُوا عَلَيْهَا، وَأَمَّا المَعْصِيَةُ فَهِيَ عِنْدَهُمْ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تعالى أَهْوَنُ مِنْ شُرْبِ المَاءِ.

الغَفْلَةُ عَنِ الآخِرَةِ طَامَّةٌ كُبْرَى:

يَا عِبَادَ اللهِ: الغَفْلَةُ عَنِ الآخِرَةِ طَامَّةٌ كُبْرَى، حَيْثُ تَجْعَلُ الغَافِلَ جَرِيئاً عَلَى ارْتِكَابِ الكَبَائِرِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْ بِالنَّارِ، أَو أَنَّ النَّارَ خُلِقَتْ لِغَيْرِهِ؛ هَذَا العَبْدُ سَوْفَ يَنْدَمُ أَشَدَّ النَّدَمِ إِذَا اسْتَمَرَّ فِي غَيِّهِ وَلَهْوِهِ وَعِنَادِهِ، وَلَمْ يَسْتَفِقْ مِنْ غَفْلَتِهِ وَسُبَاتِهِ، وَيَتُبْ إلى اللهِ تعالى.

يَا عِبَادَ اللهِ: إلى مَتَى هَذِهِ الغَفْلَةُ عَنِ اللهِ تعالى وَعَنِ اليَوْمِ الآخِرِ؟ أَلَمْ يَأْنِ لَنَا أَنْ نَصْحُوَ مِنْ غَفْلَتِنَا؟ أَلَمْ يَأْنِ لِقُلُوبِنَا القَاسِيَةِ أَنْ تَلِينَ وَتَخْشَعَ للهِ تعالى رَبِّ العَالَمِينَ؟ أَلَمْ يَأْنِ لَنَا أَنْ نَصْدُقَ فِي تَوْبَتِنَا للهِ تعالى؟

وَاللهِ إِنَّهَا لَفُرْصَةٌ كُبْرَى أَنْ أَمْهَلَنَا اللهُ تعالى وَأَبْقَانَا أَحْيَاءً إلى الآنَ، وَأَعْطَانَا فُرْصَةً لِلتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتعالى؛ وَاللهِ إِنَّهَا لَفُرْصَةٌ للاصْطِلَاحِ مَعَ اللهِ تعالى قَبْلَ مَوْتِنَا، لَقَدْ تَخَطَّانَا مَلَكُ المَوْتِ فَأَخَذَ غَيْرَنَا، وَسَيَأْتِي اليَوْمُ الذي يَتَخَطَّى فِيهِ غَيْرَنَا وَيَأْخُذُنَا، وَاللهِ سَنَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا خَرَجُوا.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: لَا نُضَيِّعِ الفُرْصَةَ مَا دُمْنَا فِي زَمَنِ المُهْلَةِ قَبْلَ النَّقْلَةِ، لِنَتَذَكَّرِ الذينَ خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَكَانُوا فِي حَالَةِ غَفْلَةٍ عَنِ اللهِ تعالى وَعَنِ اليَوْمِ الآخِرِ، لَقَدْ خَرَجُوا مِنْ دَارِ العَمَلِ إلى دَارِ الجَزَاءِ وَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

مَنْ مِنَّا يَرْضَى أَنْ يَقُولَ عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحَاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾. أَو يَقُولَ: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾؟

مَنْ مِنَّا يَرْضَى أَنْ يَقُولَ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحَاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾؟

مَنْ مِنَّا يَرْضَى أَنْ يَقُولَ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾؟

مَنْ مِنَّا يَرْضَى أَنْ يَقُولَ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلَاً * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانَاً خَلِيلَاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولَاً﴾؟

مَنْ مِنَّا يَرْضَى أَنْ يَقُولَ يَوْمَ القِيَامَةِ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾؟ مَنْ مِنَّا يَرْضَى أَنْ يَقُولَ يَوْمَ القِيَامَةِ: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾؟

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الغَفْلَةِ وَأَسْبَابِهَا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٣٧ـ خطبة الجمعة: كم سيتحسر الظالم؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ الله: كَمْ نَحْنُ اليَوْمَ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ لِأَنْ نَرْتَبِطَ بِيَوْمِ القِيَامَةِ، لَعَلَّ هَذَا الارْتِبَاطَ بِيَوْمِ القِيَامَةِ يُصَحِّحُ لَنَا سَيْرَنَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَخَاصَّةً فِي هَذِهِ الآوِنَةِ، حَيْثُ انْتَشَرَتِ الكَبَائِرُ وَعَلَى رَأْسِهَا سَفْكُ الدِّمَاءِ، وَسَلْبُ الأَمْوَالِ، وَتَرْوِيعُ الآمِنِينَ.

يَا أُمَّةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، اسْمَعِي إِلَى مَا يَرْوِيهِ الإمام الحاكم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ الله، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟

قَالَ: «رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ، خُذْ لِي مَظْلِمَتِي مِنْ أَخِي.

فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلطَّالِبِ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ؟

قَالَ: يَا رَبِّ، فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي».

قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ.

ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ذَاكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ، يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ».

يَا عِبَادَ اللهِ: قُولُوا لِمَنْ كَانَتْ ذِمَّتُهُ مَشْغُولَةً بِحُقُوقِ الآخَرِينَ مِنَ الأُمُورِ المَادِّيَّة، أَو الأُمُورِ المَعْنَوِيَّةِ: أَعْطِ صَاحِبَ الحَقِّ حَقَّهُ، وَلَا تُمَاطِلْ، وَلَا تُسَوِّفْ، فَإِنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ قَرِيبٌ، لِأَنَّ العَبْدَ إِذَا مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ.

يَا مَنْ أَكَلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، يَا مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ، يَا مَنْ قَهَرَ النَّاسَ، يَا مَنْ أَخَافَ النَّاسَ، يَا مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، يَا مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الوَلَدِ وَوَالِدَيْهِ، يَا مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الأَزْوَاجِ، يَا مَنْ عَاثَ فِي الأَرْضِ فَسَادَاً، يَا مَنْ كَانَ سَبَبَاً فِي إِزْهَاقِ الأَرْوَاحِ، يَا مَنْ كَانَ سَبَبَاً فِي نُزُوحِ النَّازِحِينَ، يَا مَنْ كَانَ سَبَبَاً فِي تَيْتِيمِ الأَطْفَالِ، وَتَرْمِيلِ النِّسَاءِ، يَا مَنْ كَانَ سَبَبَاً فِي بُكَاءِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، يَا مَنْ كَانَ سَبَبَاً فِي إِدْخَالِ الهَمِّ وَالحُزْنِ وَالقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ فِي حَيَاةِ الأُمَّةِ ، يَكْفِيكَ حَدِيثُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الإمام البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟».

يَا عَبْدَ اللهِ: سَوْفَ تُحْمَلُ جنازَتُك، فَإِمَّا أَن تُقَدَّمُ إلى رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَإِمَّا إلى حُفْرَةٍ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.

كَمْ سَيَتَحَسَّرُ الظَّالِمُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: كَمْ سَيَتَحَسَّرُ الظَّالِمُ؟ كَمْ سَيَتَحَسَّرُ مَنْ شُغِلَتْ ذِمَّتُهُ بِحُقُوقِ العِبَادِ؟ كَيْفَ لَا يَتَحَسَّرُ وَالمَوْتُ مُحِيطٌ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؟ ﴿قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾.

تَصَوَّرُوا هَذَا العَبْدَ الظَّالِمَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي حُفْرَتِهِ وَحِيدٌ فَرِيدٌ، انْقَطَعَ عَنْهُ الأَهْلُ وَالوَلَدُ، وَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، كَمَا قَالَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا» رواه الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لَقَدْ غَادَرَهُ الجَمِيعُ وَتَرَكُوهُ فِي هَذِهِ الحُفْرَةِ، تَرَكُوهُ فِي القَبْرِ الذي هُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، تَرَكُوهُ بِدُونِ زَادٍ، تَرَكُوهُ وَقَدْ حَمَلَ ظُلْماً.

مَا هَذِهِ الرُّوحُ الخَبِيثَةُ؟

يَا عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ حَدَّثَنَا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا العَبْدِ الفَاجِرِ الذي عَاثَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً عِنْدَمَا يَقَعُ فِي سِيَاقِ المَوْتِ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ، روى الحاكم عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَأَمَّا الْفَاجِرُ، فَإِذَا كَانَ فِي قُبُلٍ مِنَ

الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، أَتَاهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَيَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَيَنْزِلُ المَلَائِكَةُ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ (هُوَ اللِّبَاسُ الْخَشِنُ) فَيَقْعُدُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، فَيَقُولُ مَلَكُ المَوْتِ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ.

فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْقَطِعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ كَمَا يُسْتَخْرَجُ الصُّوفُ المَبْلُولُ بِالسَّفُودِ ذِي الشُّعَبِ (أَيِ: الشَّوْكُ أَوِ الْحَدِيدُ الَّتِي يُشْوَى بِهَا اللَّحْمُ ــ شَبَّهَ نَزْعَ رُوحِ الْكَافِرِ مِنْ أَقْصَى عُرُوقِهِ ــ).

فَيَقُومُونَ إِلَيْهِ فَلَا يَدَعُونَهُ فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يَمُرُّونَ عَلَى جُنْدٍ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟

قَالَ: فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ؛ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ.

قَالَ: فَإِذَا انْتُهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ غُلِّقَتْ دُونَهُ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ.

قَالَ: وَيُقَالُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ.

قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَعِيدُوا عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى.

قَالَ: فَيَرْمَى بِرُوحِهِ حَتَّى تَقَعَ فِي جَسَدِهِ.

قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

قَالَ: فَتَأْتِيهِ المَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: مَنْ رَبُّكَ؟

قَالَ: فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي.

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَرُوهُ مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ.

قَالَ: فَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ.

قَالَ: وَيَأْتِيهِ رِيحُهَا وَحَرُّهَا.

قَالَ: فَيُفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ، وَيَمْثُلُ لَهُ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ.

فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُؤْكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ.

قَالَ: فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يُبَشِّرُ بِالشَّرِّ.

قَالَ: فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ.

قَالَ: وَهُوَ يَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةِ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: الحَمْدُ للهِ تعالى عَلَى نِعْمَةِ المَوْتِ الذي بِهِ قَهَرَ اللهُ تعالى جَمِيعَ خَلْقِهِ، الحَمْدُ للهِ تعالى القَائِلِ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

المَوْتُ حَتْمٌ لَازِمٌ، لَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَلَا مَفَرَّ مِنْهُ، لَا يَنْجُو مِنْهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا مَلِكٌ وَلَو حَكَمَ النَّاسَ جَمِيعاً، أَيْنَ عَادٌ وَثَمُودُ؟ أَيْنَ فِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ؟ أَيْنَ

الأَكَاسِرَةُ؟ أَيْنَ القَيَاصِرَةُ؟ أَيْنَ الجَبَابِرَةُ؟ أَيْنَ الذي قَالَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ؟ أَيْنَ الذي قَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى؟

لَقَدْ خَطَفَهُمُ المَوْتُ، وَأَدْخَلَهُمْ عَالَمَ البَرْزَخِ، يَنْتَظِرُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ للوُقُوفِ بَيْنَ يَدَي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالسَّعِيدُ مَنْ قِيلَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدَاً مِنَ الْجَنَّةِ؛ وَالشَّقِيُّ مَنْ قِيلَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ الجَنَّةِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدَاً مِنَ النَّارِ. اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ النَّادِمِينَ عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

**   **

٥٣٨ـ خطبة الجمعة: المصيبة الكبرى

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: لِأَهَمِّيَّةِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلِخُطُورَةِ ذَاكَ اليَوْمِ، لَو نَظَرْنَا في كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَوَجَدْنَا في كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تعالى ذِكْرَاً لِيَوْمِ القِيَامَةِ، صَرَاحَةً أَو إِشَارَةً، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِخُطُورَةِ ذَاكَ اليَوْمِ عَلَى الخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، فَإِذَا غَابَ يَوْمُ القِيَامَةِ عَنْ نَاظِرِ الإِنْسَانِ عَاثَ في الأَرْضِ فَسَادَاً، وَمَنِ اسْتَحْضَرَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالوُقُوفَ بَيْنَ يَدَي اللهِ تعالى اسْتَقَامَ عَلَى شَرْعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَكَمْ نَحْنُ

اليَوْمَ في هَذِهِ الآونَةِ خَاصَّةً بِحَاجَةٍ إلى مَنْ يُذَكِّرُنَا بيَوْمِ القِيَامَةِ الذي هُوَ اليَوْمُ المَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ حَيْثُ يَقِفُونَ فِيهِ بَيْنَ يَدَي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

رَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الأَهْوَالِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يُؤْخَذُ بِيَدِ الْعَبْدِ وَالْأَمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ عَلَى رُؤُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ: هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، مَنْ كَانَ لَهُ الْحَقُّ فَلْيَأْتِ إِلَى حَقِّهِ، فَتَفْرَحُ المَرْأَةُ أَنْ يَكُونَ لَهَا الْحَقُّ عَلَى أَبِيهَا، أَوْ أُمِّهَا، أَوْ أَخِيهَا، أَوْ زَوْجِهَا؛ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾. فَيَغْفِرُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ مَا شَاءَ، وَلَا يَغْفِرُ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ شَيْئًا.

فَيَنْصِبُ لِلنَّاسِ فَيَقُولُ: ائْتُوا إِلَى حُقُوقِكُمْ.

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، فَنِيَتِ الدُّنْيَا فَمِنْ أَيْنَ أُوتِيهِمْ حُقُوقَهُمْ؟.

فَيَقُولُ: خُذُوا مِنْ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ فَأَعْطُوا إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ بِقَدْرِ طِلْبَتِهِ، فَإِنْ كَانَ وَلِيًّا للهِ فَفَضَلَ لَهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ضَاعَفَهَا اللهُ لَهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ بِهَا الْجَنَّةَ؛ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾. وَإِنْ كَانَ عَبْدًا شَقِيًّا، قَالَ: يَا رَبِّ، فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، وَبَقِيَ طَالِبُونَ كَثِيرٌ.

قَالَ: خُذُوا مِنْ سَيِّئَاتِهِم فَأَضِيفُوهَا إِلَى سَيِّئَاتِهِ، ثُمَّ صُكُّوا لَهُ صَكًّا إِلَى النَّارِ. اهـ.

فِي أَرْضِ المَحْشَرِ لَا يَرْحَمُ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ أَحَدًا مِنَ الخَلْقِ، كُلُّ وَاحِدٍ يُطَالِبُ الآخَرَ بِحُقُوقِهِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَحْتَاجُ إلى زِيَادَةِ حَسَنَةٍ في حَسَنَاتِهِ؛ العَلَاقَةُ الزَّوْجِيَّةُ لَا

تَشْفَعُ، وَالعَلَاقَةُ الأَبَوِيَّةُ لَا تَشْفَعُ، لِأَنَّ حُقُوقَ النَّاسِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمُشَاحَّةِ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَدَائِهَا إِنْ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ فِي الآخِرَةِ.

المُصِيبَةُ الكُبْرَى:

يَا عِبَادَ اللهِ: يَا مَنْ تَعِيشُونَ هَذِهِ الأَزْمَةَ القَاسِيَةَ، حَيْثُ تَدَاعَتِ الأُمَمُ اليَوْمَ عَلَى أَهْلِ بِلَادِ الشَّامِ؛ اصْبِرُوا صَبْرَاً جَمِيلَاً، وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ اللهِ تعالى لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرَاً جَمِيلَاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدَاً * وَنَرَاهُ قَرِيبَاً * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمَاً﴾.

الحَمْدُ للهِ تعالى عَلَى نِعْمَةِ المَوْتِ، وَالحَمْدُ للهِ تعالى عَلَى نِعْمَةِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالحِسَابِ بَيْنَ يَدَي اللهِ تعالى القَائِلِ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾. الكُلُّ سَوْفَ يَرَى الكُلَّ، وَهُنَاكَ يَرَى الْمُؤْمِنُونَ الْمُجْرِمِينَ الذينَ عَاثُوا فِي الأَرْضِ فَسَادَاً يَوَدُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ عَذَابِ اللهِ تعالى.

يَا عِبَادَ اللهِ: تَدَبَّرُوا جَيِّدَاً قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعَاً ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا﴾.

تَصَوَّرُوا هَذَا الْمُجْرِمَ الذي عَاثَ فِي الأَرْضِ فَسَادَاً وَهُوَ فِي أَرْضِ المَحْشَرِ، وَهُوَ يَتَمَنَّى أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ عَذَابِ اللهِ تعالى، وَيُقَدِّمُ فِدَاءً لَهُ جَمِيعَ بَنِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكْفِ الأَبْنَاءُ، فَلْيَكُنْ مَعَهُمُ الزَّوْجَةُ وَالإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ، فَإِنْ لَمْ يَكْفِ ذَلِكَ فَلْيَكُنْ مَعَ

الأَبْنَاءِ وَالزَّوْجَةِ وَالإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ الأُسْرَةُ وَالعَائِلَةُ بِأَكْمَلِهَا، فَإِنْ لَمْ يَكْفِ ذَلِكَ فَبِمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعَاً لِيَكُونُوا جَمِيعَاً فِي نَارِ جَهَنَّمَ، المُهِمُّ أَنْ يَنْجُوَ هَذَا المُجْرِمُ مِنْ عَذَابِ اللهِ تعالى.

وَلَكِنْ مَا هِيَ النَّتِيجَةُ؟

يَأْتِي الجَوَابُ مِنَ اللهِ تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾. إِنَّهَا المُصِيبَةُ الكُبْرَى، إِنَّهَا مُصِيبَةُ المَصَائِبِ؛ أَجَارَنَا اللهُ تعالى مِنْ ذَلِكَ.

خَاتِمَةٌ ــــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: كُلُّ النَّاسِ مَحْشُورُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، الكُلُّ فِي قَبْضَةِ اللهِ تعالى، لَنْ يَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْ قَبْضَتِهِ، وَلَنْ يَغِيبَ أَحَدٌ عَنْ مِيزَانِ اللهِ تعالى، قَالَ تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ * فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

يَا عِبَادَ اللهِ: لِنَبْكِ عَلَى أَنْفُسِنَا قَبْلَ أَنْ يُبْكَى عَلَيْنَا، لِنُحَاسِبْ أَنْفُسَنَا قَبْلَ أَنْ نُحَاسَبَ، لِنَحْمِلْ أَنْفُسَنَا عَلَى الطَّاعَاتِ قَبْلَ أَنْ نُحْمَلَ عَلَى الرِّقَابِ، لِنَسْتَعِدَّ لِلمَوْتِ، حَتَّى لَا يَقُولَ أَحَدُنَا: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

يَا مَنْ كُلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ زَادَ إِثْمُهُ، يَا مَنْ لَا يُفَكِّرُ إِلَّا فِي الإِجْرَامِ، يَا مَنْ لَا يَعْتَبِرُ بِمَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا، كُنْ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّكَ رَاحِلٌ، طَالَ الزَّمَنُ أَمْ قَصُرَ، اصْطَلِحْ مَعَ اللهِ تعالى، وإِلَّا فَأَنْتَ نَادِمٌ.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ النَّادِمِينَ عِنْدَ سَكَرَاتِ المَوْتِ. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

٥٣٩ـ خطبة الجمعة: من المستريح بعد الموت؟

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ: المَوْتُ حَقِيقَةٌ لَا يُمْكِنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَفِرَّ مِنْهُ، مُؤْمِنًا كَانَ أَو كَافِرًا؛ ذِكْرُ المَوْتِ يَرْدَعُ العَاصِي عَنْ عِصْيَانِهِ، ذِكْرُ المُوْتِ يُلَيِّنُ القَلْبَ القَاسِي.

المَوْتُ أَمْرٌ فَظِيعٌ وَأَلِيمٌ، يَفْضَحُ الأَسْرَارَ، وَيَهْتِكُ الأَسْتَارَ، وَيُبْدِي العَوْرَاتِ، وَيُظْهِرُ الــــحَسرَاتِ، المَوْتُ مَا نَجا مِنْهُ أَحَدٌ وَلَنْ يَنْجُوَ، وَلَو نَجا مِنْهُ أَحَدٌ لَنَجا مِنْهُ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾. وَقَالَ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

المَوْتُ نِعْمَةٌ:

يَا عِبَادَ اللهِ: المَوْتُ للإِنْسَانِ المُؤْمِنِ الصَّالِحِ المُنْضَبِطِ بِضَوَابِطِ الشَّرِيعَةِ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَيْهِ؛ المَوْتُ للإِنْسَانِ المُؤْمِنِ رَاحَةٌ لَهُ، لِمَا رواه الشيخان عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا المُسْتَرِيحُ وَالمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟

قَالَ: «العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ».

المَوْتُ للإِنْسَانِ المُؤْمِنِ نِعْمَةٌ، لِأَنَّهُ بِهِ يَخْرُجُ مِنْ سِجْنِ الدُّنْيَا التي فِيهَا الفِتَنُ وَالمَصَائِبُ وَالبَلَايَا، روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَسَنَتُهُ، فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيا، فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ (أَي الْقَحْط)».

يَا عِبَادَ اللهِ: المُؤْمِنُ يَرَى المَوْتَ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَيْهِ، لِذَا لَا يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيَا بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا، روى الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ».

وَيَقُولُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ إِلَّا المَوْتُ خَيْرٌ لَهَا، إِنْ كَانَ مُؤْمِناً فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. وَإِنْ كَانَ فَاجِراً فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾. رواه الحاكم.

المُسْتَرِيحُ بَعْدَ المَوْتِ:

يَا عِبَادَ اللهِ: السَّعِيدُ المُوَفَّقُ مَنْ كَانَ مَوْتُهُ رَاحَةً لَهُ، وَهَذَا يَكُونُ لِمَن رَضِيَ بِاللهِ تعالى رَبّاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ نَبِيّاً رَسُولاً.

المَوْتُ يَكُونُ رَاحَةً لِلْعَبْدِ إِذَا كَانَت ذِمَّتُهُ بَرِيئَةً مِنْ حُقُوقِ العِبَادِ، بَرِيئَةً مِنْ حُقُوقِ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَسَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

المَوْتُ يَكُونُ رَاحَةً لِلْعَبْدِ إِذَا أَمْضَى حَيَاتَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ، وَ يَكُونُ رَاحَةً لَهُ إِذَا خَلَّفَ وَرَاءَهُ صَدَقَةً جَارِيَةً، أَو عِلْماً يُنْتَفَعُ بِهِ، أَو وَلَداً صَالِحاً يَدْعُو لَهُ.

المَوْتُ يَكُونُ رَاحَةً لِلْعَبْدِ إِذَا كَانَ حَافِظَاً لِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَفُؤَادِهِ وَحَامِلَاً هَمَّ الدِّينِ، مُقْبِلَاً عَلَى اللهِ تعالى بِجَنَاحَي الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

المَوْتُ يَكُونُ رَاحَةً لِمَنِ اغْتَنَمَ حَيَاتَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَاغْتَنَمَ شَبَابَهُ في طَاعَةِ اللهِ قَبْلَ هَرَمِهِ، وَاغْتَنَمَ صِحَّتَهُ في طَاعَةِ اللهِ قَبْلَ سَقَمِهِ، وَاغْتَنَمَ فَرَاغَهُ في طَاعَةِ اللهِ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَاغْتَنَمَ غِنَاهُ فَصَرَفَهُ في طَاعَةِ اللهِ تعالى قَبْلَ فَقْرِهِ.

المَوْتُ يَكُونُ رَاحَةً لِمَنْ نَشَأَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تعالى وَشَابَ عَلَيْهَا، لِمَنْ لَازَمَ كِتَابَ اللهِ تعالى آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، لِمَنِ الْتزَمَ دِينَ اللهِ تعالى ظَاهِرَاً وَبَاطِنَاً، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

خَاتِمَةٌ ــ نَسْأَلُ اللهَ تعالى حُسْنَ الخَاتِمَةَ ــ:

يَا عِبَادَ اللهِ: يَقُولُ اللهُ تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾. فَلْيُفَكِّرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا هَلْ مَوْتُهُ رَاحَةٌ لَهُ أَمْ مِنْهُ، السَّعِيدُ مَنْ كَانَ مَوْتُهُ رَاحَةً لَهُ، وَالشَّقِيُّ مَنْ كَانَ مَوْتُهُ رَاحَةً مِنْهُ؛ وَالكُلُّ مَيِّتٌ، وَعِنْدَ اللهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَوْتَنَا رَاحَةً لَنَا لَا مِنَّا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

المحتويات